



مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

مكتبة مجمع اللغة العربية الاردني
رقم التسلسل ٥٦٨٢
رقم التصنيف
تاريخ ٥٤ / ٥٨٢

السنة الثانية

العدد المزدوج ٥ - ٦

أيار - كانون الأول / ١٩٧٩ م.

جمادى الآخرة - ذو القعدة / ١٣٩٩ هـ.

المشتمل

الصفحة

- ١ - كتب الانساب وتاريخ الجزيرة
للدكتور عبد العزيز الدوري ٥
- ٢ - في سبيل تعريب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية
للدكتور أحمد سعيدان ٣٠
- ٣ - تعريب العلوم الانسانية
للدكتور محمود ابراهيم ٤٣
- ٤ - اللغة والاسلوب في شعر عرار
للدكتور محمود السمره ٦٧
- ٥ - قضايا تعريب الكيمياء ومشاكله
للدكتور عادل أحمد جرار ٧٥
- ٦ - مع ديوان الادب ، لابي ابراهيم الفارابي
للدكتور ابراهيم السامرائي ٩٠
- ٧ - تعريب أم اقتباس ؟
للأستاذ عبد الحق فاضل ١٠٦
- ٨ - من مزالق الترجمة بين العربية والفارسية
للدكتور يوسف حسين بكار ١٢٥
- ٩ - دراسات في النظم والعقائد الاباضية
للدكتور عوض خليفات ١٤٤
- ١٠ - الباحثون الايطاليون ودراسة التاريخ العربي
للمستعرب الايطالي أومبرتو ريتستانو ١٦٧
ترجمة : عيسى الناعوري

مع الكتب

- رايات المبرزين وغايات المميزين ، لابن سعيد الاندلسي
مراجعة الدكتور رضوان الدايهه
٢٠٨

• • •

مجمعيون راحلون

- ١ — الزميل المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس
لعيسى الناعوري
٢٢٤
٢ — فقيد العربية الاستاذ عباس حسن
للدكتور عدنان الخطيب
٢٣٠

• • •

تعليقات ومناقشات

- ١ — « تين ايجرز » = « عشريون »
لعيسى الناعوري
٢٤٨
٢ — اقتراح اسم عربي لمحصول الحبوب الجديد
للدكتور خيرى الصفرى
٢٥٠

• • •

اخبار جمعية

- ١ — نعي عالم جليل : الحاج عبد الكريم جرمانوس
٢٥٤
٢ — المجمع العلمي الهندي
٢٥٥
٣ — انتخاب أعضاء مراسلين في المجمع العلمي الهندي
٢٥٥
٤ — المجمع العلمي العراقي
٢٥٦
٥ — من أجل تعريب التعليم العلمي الجامعي
٢٥٦
٦ — تعريب المصطلحات
٢٥٧

كُتُبُ الْأَنْسَابِ وَتَارِيخُ الْجَزِيرَةِ

للدكتور عبد العزيز الدوري

(عضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني)

١ - لا يُراد هنا بيان أهمية النسب ودوره في الحياة العربية ،
وتكفي الإشارة الى أنه كان بصورة المتعددة أساسيا في حياة
القبائل قبل الاسلام ، وعاملا بعيد الاثر في الحياة العامة بعد
الاسلام . واذا كانت ظروف الحياة في البادية تؤثر في حجم
الكيانات القبلية ، بتحديدتها أو بتوسيعها عن طريق المحالفات
وتداخل الأنساب ، فإن الأنساب في العصر الاسلامي أثرت في
تنظيم الديوان ، وفي التمير ، وفي تنظيم المقاتلة ، كما أثرت
(وتأثرت بدورها) بالظروف السياسية في الدولة الاسلامية ،
وبالصراع على السلطة . وخلال ذلك كله كانت العناية بالنسب
كبيرة ، والتأكيد عليه واضحا .

ظهرت العناية بالانساب ، بروايتها وكتابتها ، خلال القرن الاول
للهجرة ، وتمثلت في مرحلتها الاولى بوجود نسبائين في كل قبيلة ،
وبوجود كُتُب لدى القبائل بأنسابها واخبارها واشعارها . ويشير
الهمداني الى وجود سجلات (زُبُر) لدى عرب اليمن بأنسابهم
أطلع على بعضها (الاكليل ج ١٠ ص ٧٠ - ١ وص ١١١) .

وظهر نسبائون وسّعوا اهتمامهم الى اكثر من قبيلة ، وبدأوا
بجمع انساب القبائل في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة ،
جنب الاهتمام بنسب قريش خاصة ؛ كما ظهر بين النسبائين
من اهتمّ بأخبار القبائل مع انسابها ، فاسهموا في الدراسات
التاريخية . وفي طليعة هؤلاء محمد بن السائب الكلبى (انظر

ابن النديم ص ٩١ من اهتمام الوليد بن يزيد بالانساب ؛ والاغاني
ج ١٩ ص ٥٩ عن اهتمام خالد القسري بها) .

ولم تصلنا مؤلفات من الانساب الا من القرن الثالث ،
في مقدمتها "جمهرة النسب" لهشام بن السائب الكلبى ،
ثم "نسب قريش" لمصعب الزبيرى (وقطعة من جمهرة نسب
قريش وأخبارها لابن أخيه الزبير بن بكار ٢٥٦ هـ) . وتبلغ
الكتابة في اطار النسب أوجها عند البلاذري (٢٧٩/٨٩٢) .
وستتناول الملاحظات التالية المؤلفات الثلاثة المذكورة :

٢ - وجمهرة النسب لابن الكلبى (٢٠٤/٨١٩) كتاب شامل في
انساب العرب (اطلعنا على مخطوطين له : الاول مخطوط
المتحف البريطاني ؛ فيه انساب عرب الشمال ، ونسب الازد ،
وعنوانه جمهرة النسب (ونرمز له بـ ق ١) ، والثاني مخطوط
الاسكوريال ، وفيه نسب ربيعة ، ثم انساب القبائل اليمانية ؛
وعنوانه : كتاب النسب الكبير (ونرمز له بـ ق ٢) .

ويبدو أن "جمهرة النسب" جاء برواية محمد بن حبيب
(انظر ق ١ ص ٢ ب ، ١١٩ ، ١٩٤) ، في حين أن كتاب
النسب الكبير جاء عن ابن الكلبى مباشرة . كما يبدو أن
ترتيب القبائل لا يخلو من اختلاف بين المخطوطين ؛ ففي حين
نرد الازد أول القبائل اليمانية في جمهرة النسب ، يبدأ كتاب
النسب الكبير بكندة (ق ٢ ص ٨٧) ويتناول مجموعة من القبائل
قبل أن يتناول الازد (ق ٢ ص ٢٥١) . وهذا يتطلب دراسة
مقارنة لتكوين فكرة عن اثر الرواية في تناقل الكتاب .

ويرد في آخر النسب الكبير : « آخر كتاب نسب معد
واليمن الكبير ، تأليف محمد بن السائب الكلبى » (ق ٢ ص ٥٢٨) .
وهذا يناقض ما جاء في مطلع الكتاب وفي ثناياه ؛ وهو غير
دقيق بالنسبة لكتابتنا ، ولكنه له دلالة . فهل وضع الكلبى
كتابا في الانساب ؟

لقد درس الكلبى (١٤٦/٧٦٣) انساب العرب وحاول جمع

الروايات القبلية من نُسَاب القبائل ، ومن افضل نُسابه في كل قبيلة ،
كما افاد ؛ ورجع الى شعر النقااض، خاصة نقاض الغزدق .
وقد افاد ابنه هشام من دراساته وانمها في وضع كتابه (الدوري —
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٤٠ — ١) . ولكن
لم ترد اشارة الى كتاب له . الا ان الاشارات في ثانيا الكتاب
تشعر بأنه وضع كتابا ؛ فقد جاء : « وفي كتاب الكلبي » (ق ١
ص ٧٤٩) و « عن كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي » (ق ١١١٨/١) ،
و « هذا ليس من كتاب الكلبي » (ق ١٦٥/١ ب) ، و « وقال
ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي » (ق ١٦٤/١ ، ٧٠ ب) ،
و « عاد الى كتاب الكلبي » (ق ١٦٥/١ ب ، ١٧١) و « رجع
الى حديث الكلبي » (ق ١٤٢/٢ ، ١٤٤) . هذا اضافة الى
اشارات مثل « قال الكلبي » (ق ٤٨/١ ب) التي قد تشير
الى الاخذ من كتاب او شفاهما .

وهكذا يتبين ان محمد بن السائب الكلبي وضع كتابا في
النسب (ويبدو ان عنوانه : نسب معدّ واليمن الكبير) ، وان
ابنه هشام روى هذا الكتاب كما يبدو من مطلع الهجرة (ق ١/٢٢) .
ومن ثانيا الكتاب (ق ١/٦٠ : « نسب ولد طابخة بن مضر
بن نزار بن معدّ عن الكلبي » ، وفي ق ٨٥/٢ : « وابنه
هشام بن محمد بن السائب الراوي عن ابيه ») .

واضاف ابن الكلبي دراساته وبحوثه، كما يتضح من
بعض الاشارات . مثلاً : « قال ابن الكلبي : حدثنا خراش
قال : سمعت اشيخا لبكر بن وائل يقولون » (ق ١٩٤/١) ،
و « قال هشام بن الكلبي قال خراش : كانوا .. » (ق ١٧٢/١)
و « قال هشام بن محمد الكلبي، حدثنا ابو خباب الكلبي عن
يحيى بن عروة بن هانيء المرادي .. » (ق ٨٥/٢ — ٦) . وعند
الحديث عن أم « عايذ بن ثعلبة » يرد « وامه اسماء، وهي الجذماء
بنت جل بن عدي بن عبد مناة .. وكان شرقيّ بن القطامي
يقول، هي الجذماء بنت علبة .. بن عميرة بن اسد . قال هشام :

وهذا من قوله باطل لا يعرف ، والقول هو الاول « (ق ١٩٥/١) .
ويرد ذكر بعض من اخذ عنهم ابن الكلبي ، فعند الإشارة الى
لقيط الرواية يقول ابن حبيب : « وكان صدوقا .. وقد لقى
هشام ابن الكلبي لقيطاً » (ق ١٦٣/١ ب) ، وعند ذكر العلاء
بن المنهال (من غني بن اعصر) يُرد : « كان شريفاً لقيه ابن الكلبي
وكان يحدث عنه » (ق ١٨٩/١) . وفي ذكر مسيك المرادي يرد :
« قال هشام بن محمد بن الكلبي ، حدثنا أبو خباب الكلبي .. الخ »
(ق ٦/٢) . ويشار الى بعض من لقيهم ابن الكلبي ، مثل عرفاء بن
مصاد بن شريح ، « وقد لقيه هشام بن الكلبي في زمان أبي جعفر
وهو ابن تسعين سنة ، وكان بدويّاً » (ق ٢٠٤/١) ، وانظر
ق ٧٨/١ عن الشاعر أبي الشعب .

وقد ترد اشارات الى انساب لم يذكرها الكلبي ، مثل
« وولد قيس بن ثعلبة بن عكابة ضبيعة وتيمّا .. ولم يذكر
الكلبي ولد تيسم » (ق ٢١٥/١) ؛ و « هؤلاء بنو الهجيم بن
عمرو بن تميم ، ، وليس هذا عن الكلبي » (ق ١٩٣/١) . أو
تسرد تعديلات ؛ ففي الحديث عن بعض الأوس يذكر : « وعبد
الرحمن بن أبي ليلى .. كان مولى الانصار ، فدخل فيهم ابن
أحيحة ، في قول الكلبي ؛ ولما ولده فقالوا اسمه داود بن بلال
بن أحيحة » (ق ١٥٩/١) .

ويبدو أن محمد بن حبيب قام ببعض التدقيق أو الاضافة
في روايته ونشره لجمهرة النسب ، كما يتبين من بعض
الملاحظات مثل « قال أبو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي ،
كتبته من بعض ولد عطار » (ق ١٦٤/١) ، ومثل « وكان في
أصل كتاب الكلبي خلف بن معشر ، ولم يكن فيه بدر وعتبة ،
وبدر من كتاب ابن الاعرابي (٨٤٦/٢٣١) » (ق ٤٧/١ ب) .
وتتكرر الاشارات لأخذه من كتاب ابن الاعرابي ؛ « وفي كتاب
ابن الاعرابي محتلم ابن حثابة مكان ليث » (ق ١٩٠/١) ، وانظر

٤٩ ب ، ٤٨ ب ، ٤٧ ب) ، ومثل قوله « وهو أبو عبد الله بن عنة .
قال ابن الاعرابي قنمة ، وقال الكلبي قنمة » (ق ١١٣/ ب) .

وينسب الكلبيان الى التشيع ؛ ولا نجد في الكتاب ما
يشعر بذلك الا في ملاحظات قليلة عرضية (انظر ق ١٧٠/١ ،
١٦٧ ، ١٨٠ ، ١٠٧ ب وخاصة ١٢٥٦) وفي الاهتمام بذكر
من قتل مع علي ، والحسين ، وفي حركة المختار . ولكن
الكتابة تتسم بالدقة والموضوعية بصورة عامة .

٣ - ولجمهرة النسب أهمية كبيرة في ذكر الشخصيات العربية من
الجاهلية الثانية الى أيام المأمون (ق ٢٠٣/١ ب - ١٢٠٤) ،
مع تعليق موجز أو اشارة مركزة تبين دور من ظهر في الحقول
المختلفة - من كان شريفا أو سيدا في قومه ، ومن برز في
يوم من ايام العرب ، ومن كان فارسا ، ومن وفد على
النبي (ص) أو صحبه ، ومن استشهد في مغازي الرسول (ص)،
خاصة بدر وأحد ، ومن استشهد في الردة ؛ كما ذكر بعض من
قُتل في أيام العرب الكبرى في الاسلام، كالقادسية واليرموك
والجمل وصفين .

ويعنى المؤلف بصورة خاصة بالاشارة الى من تولّى مناصب
مسؤولية، من أمراء وعمّال، وقادة، واصحاب شرط، وقضاة . وهو
حريص على ذكر الشعراء في القبائل . وبالإضافة فهو ينوّه
بمن تميّز في مجالات أخرى، مثل الخوارج ، ونبلاء الدعوة
العباسية ؛ وبمن تميّز في حقول الثقافة، كالفقه والنحو والانساب .
وهو ينفرد بعد هذا ببعض الملاحظات أو المعلومات التي لا تُرد
عند غيره .

ولعلّ أمثلة من الاشارات والملاحظات التي يوردها توضح
طبيعة اخباره . فمن اخبار الجاهلية - أمثلة : « منهم سعد بن

خسفان بن ظالم، كان سيد بني سعد في زمانه .. وكان جاهليًا «
 (ق ١٨٤/١ - ب) . هوزة ابن علي بن ثمامة (من بني سحيم)
 وكان يجيز البرد لكسرى حتى تبلغ نجران ، فاعطاه كسرى قلنسية
 قيمتها (٣٠٠٠٠ درهم) « (ق ٣٥/٢) . « ومنهم (الازد)
 السموأل بن حيا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كلب ؛
 كان من اوفى العرب، وهو صاحب تيماء، وولده بها الى اليوم «
 (ق ١٢٤٨/١) . « وحارثة بن عمرو (شيبان) وهو ذو الجناح ؛
 كان على بكر بن وائل يوم اواره ، يوم قاتلت بكر بن وائل
 المنذر بن ماء السماء (ق ١١٩٦ /١) .

ومن الفترات الاسلامية - امثلة : « ابو رحم؛ وهو كلثوم
 بن الحضين بن عتبة بن خلف .. استخلفه رسول الله في
 غزوة حنين وفي حجة الوداع على المدينة « (ق ١٤٩/١) .

« وشرجيل بن السمط بن الاسود .. شهد القادسية ؛
 جاهلي اسلامي ، وولي حمص؛ وهو الذي قسمها منازل حين
 افتتحها « (ق ٩١/٢) . « فمن بني سعد بن مرة (ذهل) المثنى
 بن حارثة ... صاحب يوم النخيلة الذي قتل مهران « (ق ٢٠٠/١) .

« فمن بني بهدلة عوف بن حصين؛ وهو الزبرقان بن بدر ..
 الذي ادى الصدقة الى ابي بكر في الردة « (ق ١٨٩/١) .

« ان سليمان بن كندير ولاء عثمان نجران (من قشير بن كعب) «
 (ق ١١٣٦/١) « منهم (مازن بن منصور) عتبة بن غزوان ..
 الذي فتح البصرة، وكانت يومئذ البصرة (كذا) ، وهو الذي
 بصر البصرة « (ق ١٥٧/١) .

« ومن بني عمرو بن امرئ القيس .. عامر بن النعمان بن
 عامر الشرقي؛ وهو الوليد بن القطامي .. النسابة ؛ كان في
 صحابة المنصور والمهدي « (ق ٤٣٧/٢) وانظر (ق ١٦٣/١) .

« لقيط الرواية وكان صدوقا » . « منهم سعيد بن الخنس بن
عمارة .. وكان فقيها بالكوفة » (ق ١٨٣/١) . انظر
ق ٢٠٠/٢ ، ٢٠١ ، ق ١٠٨/١ ب) .

« علي بن ظبيان بن هلال بن قتادة (غطفان) قاضي القضاة
لأهرون الرشيد على الشرقية ، وكان ولّاه الخاتم مع محمد بن
هرون ، وولّاه قضاء القضاة » (ق ١٧٠/١) .

« عبد الله بن الطفيلي بن ثور ، شهد مع علي مشاهده ..
وهو جد البكائي صاحب المغازي » (ق ١٤٢/١ ب) .

« لاهز بن قريظ النقيب بن سري الكاهن ؛ قتله أبو مسلم
لقوله لنصر بن سيار : ان الملائكة يأتون بك » (ق ٨٥/١ ب) .
وانظر ٨٦ عن القاسم بن مجاشع النقيب ، و ٨٥ ب . عن موسى
بن كعب النقيب) .

« أبو بلال مرداس ، وأخوه عمرو ، ابنا مدبر بن عمرو ..
وأمهما أديّة . وهما الخارجيان » (ق ٧٦/١ ب وانظر ق ٣٤١/٢) .
« راسب بطن منهم عبد الله بن وهب الخارجي ، قُتِل يوم النهر » .
اشارات أخرى (ق ١٩٨/١ ب ، ١٩٩ ب ، ٢٣٠ ب ، ٧٨ ب — ١٨٠) .
« من ولده (مخنف بن سليم الأزدي) أبو مخنف لوط بن
يحيى بن سعيد بن عنف الراوية » (ق ٣٢٤/٢) .

« شرحبيل بن معدي كرب .. وفد الى النبي (ص) وكان
في الفين وخمسة (من العطاء) » (ق ٩٠/٢ ب وانظر ٩١ ، ٩٢ ،
١٠٠ ، وانظر ق ١٨٣/١ عن حجر بن عدي « وكان في ٢٥٠٠ ») .

ويشير الى الشعراء (انظر ق ٢٠٨/١ ب — ب ،
٢٠٩ ، ٢١١ ب) ، ويورد مقتطفات من شعرهم
(انظر ق ١٣٨/١ ، ١٥٣) هي في العادة بين بيت وثلاثة
أبيات ، وقد تصل الى خمسة أو ستة أبيات .

ويشير ابن الكلبي الى عدد كبير من ايام العرب في معرض حديثه عن شريف او فارس ؛ مثل قوله : « فمن بني عمرو بن ربيعة هانيء بن مسعود .. كان على بكر بن وائل يوم ذي قار » (ق ١٩٧/١) . و « منهم عبّاد بن مسعود بن عامر الذي هاج القتال بين تميم وبكر بن وائل يوم اللصاف » (ق ١٩٦/١ - ب) . و « ومن بني عتبة بن سعد .. صاحب مقدمة كليب يوم خرار » (ق ٢٢٨/١) . او ترد الاشارة بمناسبة قتل شريف، مثل « ويزيد (غطفان) قاتل كهف الظلم الفساني يوم جبل فيد » (ق ١٧٢/١ ب) ، او لحادث ذي صلة مثل « ضبيعة بن الحارث بن خلف .. الذي يقول له عامر بن الطفيل، وطعنه يوم التناءة .. » (ق ١٨٦/١) .

ومن الايام التي يشير اليها يوم اوراة (ق ١٩٦/١ ب) ويوم الجلاة (ق ١٨٨/١ - ب) ويوم جبلة (ق ١٧٨/١ ب - ١٢١) ويوم الذنايب (ق ٢٢٦/١ ب) ، ويوم الكلاب (ق ١٣٠/١ ب ، ٢٢٧ ، ق ١٨١/٢) ، ويوم قصة (ق ٢٠٧/١ ب) ، ويوم اللصاف (ق ١٩٧/١ - ب) ، ويوم التحالق (ق ١٩٦/١) ، ويوم النجير (ق ١٠٤/٢) ، ويوم الاجفر (ق ١٥٥/٢) ويوم صفاق (ق ١٨٥/٢) ، ويوم فيف الريح (ق ١٨٨/٢) ، ويوم الآخرين (ق ١٩٠/٢) ، ويوم الزرم (ق ١٩٠/٢) ، ويوم بعث (ق ٢٦١/٢) ، ويوم عين التمر (ق ٦٢/٢) ، ويوم انفار (ق ١٦٣/٢) ، ويوم الكلاب الثاني (ق ١٩٨/١) ، ويوم القرينين (ق ١٢٤/١) ، ويوم الحاجر (ق ١٢٣/١) ويوم الرقم (ق ١٢٢/١ ب) ، ويوم النحيل (ق ٢٣٠/١ ب) ، ويوم المذيّار (ق ١٣١/١) ويوم ذي علق (ق ١٢٢/١ ب - ١٢٣) .

ويتناول الكثير من شؤون القبائل ، فيورد ملاحظات عن دخول جماعات من قبيلة في نسب قبيلة اخرى ، وبذلك يعدل من النظرة بان النسب كله لآب واحد ، سواء اكان هذا الدخول

لاسباب قبلية او معاشية او سياسية . فعند الحديث عن نسب اياد بن نزار يقول: « وولد زهير بن اياد حذافة والشلل دخل في تنوخ ، وعبد الله دخل في بني تميم ، وعمرا دخل في بني الصم » (ق ٢٤٢/١ ب) . ويذكر عن ولد ربيعة بن نزار : « واكلب دخل في خثعم ، وهم رهط طائش بن حراك الشاعر ، .. وعابسة وهم باليمن » . ثم يقول « واما ضنة فانهم دخلوا في بني عذيرة بن سعد بن هزيم بن قضاة » (ق ٥/٢) . وعند الحديث عن فزارة بن ذبيان يقول ، « ومنهم بيهس واخوته التسعة .. لحقوا ببطن من مذحج .. وهم اليوم ينسبون في عنس بن مالك بن مذحج » (ق ١٧٦/١ ا) . وعند الحديث عن جذام يقول: « فولد اسلم بن مالك عنب ، وهم اليوم في بني شيبان » (ق ١٣٣/٢ ا) . وعند ذكر سعد العشيرة يقول: « وولد زيد الله ابن سعد العشيرة، عامر واشرس والدليل وعوف ، فدخل اشرس والدليل وعوف في بني تغلب ، واقام عامر بن زيد الله على نسبه، فمنه تفرقت زيدان » (ق ٢١٦/٢) . وعند الحديث عن قبائل الازد يقول: « فولد بكر بن يشكر عامر .. وسعد وعوف والهارث .. دخلوا في بني زبيد » (ق ٣٣٧/٢ وانظر ق ١٨٣/١) . وانظر الحديث عن قيس عيلان ق ١١٩/١ ب ، وعن دخول بني عمرو بن جندود، من حضرموت، في تميم . انظر ق ١٨٨/١ ، وانظر ق ٨٧/١ ب) .

واذا كانت هذه المعلومات تكشف عن بعض التداخل في النسب لاسباب سياسية او اجتماعية، فانها تؤكد الاهتمام بالنسب ورصده بتدقيق المعلومات عن الانساب .

ويذكر ابن الكلبي معلومات اجتماعية عن أسماء القبائل وعاداتها وتقاليدها ، وبعضها له أهمية خاصة . ففي أسماء القبائل يذكر مثلا سبب تسمية أعصر (بن سعد بن قيس عيلان ق ١٦٥/١ - ب) ، ويوضح ظروف تسمية ابنساء تميم (زيد ، مناة ،

عمرو ، الحارث) (ق ١٩٥/١) ، وسبب تسمية الرباب بهذا الاسم
ومما يشمله (ق ١٩٦/١ ب - ١٩٧) .

وهو يركز معلوماته أحيانا ، ففي قصة حوار مع تميمي من
فخذ بني عبد الله بن دارم ، يرجع نسب الأسرة في تدرج متسلسل،
مع وصف كل خطوة حتى ينتهي إلى مضر (ق ١٩٥/١ - ١٩٦ ب) .

ويشير إلى بعض الأعراف القبلية ، فيتحدث عن نوع من
القسم ؛ قال خراش : « كانوا يحلفون بالملح والرماد والنار ،
وبذات الودع ، يريدون سفينة نوح » (ق ١٧٢/١) . وعند
ذكر مقتل زيد بن بكر بن هوازن على يد أخيه معاوية يضيف :
« فوداه عامر بن الظرب ١٠٠ من الإبل ، وإنما جعلها مئة لعظم
الإبل عندهم ليتناهاوا عن الدمار ، فهي أول دية كانت في العرب
مئة من الإبل حكم عامر بن الظرب حكما جاريا » (ق ١٢٠/١) .
وعند ذكر عمرو بن حارثة بن ربيعة (من خزاعة) يقول :
« وهو الذي بحر البحيرة ، وسبب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمل
الحامي ، وغير دين اسماعيل ، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان » ،
« وكان صاحب الكعبة » (ق ١٩٥/٢ ، ١٩٩) ؛ وعند الحديث
عن حجر بن يزيد بن معدي كرب بن سلمة (من بني سلمة بن
الحارث) يسميه « صاحب مربع بني هند » ، ويضيف ، « والمربع
أن يأخذ الربع من الغنمة ، وعليه طعام الجيش لأخذه المربع »
(ق ١٠٦/٢) .

ويورد ابن الكلبي معلومات طريفة ، فيتناول مثلا المغتربات
من بني هاشم ، أو اللواتي تزوجن في قبائل أخرى ، مثل الانتصار
وخزاعة وعامر بن صعصعة وآل معدي كرب ، من حمير والتميم
وسليم ولخم وفزارة ؛ وهو استطراد يبين سعة الروابط
القبلية لقريش ، ويؤكد ما قيل في السقيفة من أن قريشا أو وسط
العرب أنسابا (ق ١١٥/١ ب وما بعدها) . ويذكر أن قيسا

(من ولد منبه بن بكر بن هوزان) وهو ثقيف كان « أول من
جمع بين اختين من العرب » (ق ١٥٣/٢) .

ويتقدم ملاحظة عن بدايات الخط العربي في الجزيرة، في
معرض حديثه عن بشر بن عبد الملك، أخ اكيدر (في دومة من كلب)
اذ يقول: « وهو الذي علّمه أهل الانبار خطاً ، هذا الذي يسمى
الجزم، وهو كتاب العربية ؛ وكان أول من كتبه قوم من طي ببيعة،
فعلّموه أهل الانبار ، فعلم أهل الانبار أهل الحيرة ». وكان
بشر بن عبد الملك يأتي الحيرة بحال النصرانية فيقيم بها الدهر،
فتعلمه بشر بن عبد الملك. ثم شخص الى مكة في تجارة فعلمه
أبا سفيان بن حرب بن أمية - وأبا قيس بن عبد مناف بن
زهرة، وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية ، ثم أتى الطائف فعلمه
غيلان بن سلمة الثقفي ، ثم أتى بادية مضر فعلمه عروة بن زرارة
الكاتب، ثم أتى الشام فعلمهم » (ق ١٢٦/٢) .

ويورد ابن الكلبي أحيانا معلومات عن مواطن القبائل ؛
فعند ذكر بني أسود بن مالك (بطن من بني مالك بن ثعلبة)
يقول انهم « أصحاب النخل باليمامة الذي يصرم في السنة
مرتين ، دعا لهم النبي (ص) » (ق ١٢٥/١) . كما يورد
اشارات الى انتقال القبائل الى الامصار ؛ فعند الحديث عن
عشائر الازد يقول: « وآل معيوف بدمشق بالغوطة في قرية يقال
لها عين حرما » (ق ٣٤٢/٢) . ومكنته معرفته بالكوفة من
تعداد الكثير من العشائر والبطون التي أقامت بها ولها مسجد ،
وقائمه مهمة وغنية . ومن هذه : ذهل بن معاوية (من كندة)
لهم مسجد (ق ٨٨/٢) ، وامرؤ القيس بن الحارث (بطن من
كندة) (ق ٨٩/٢) ، ومالك بن الحارث ، والطمح بن الحارث
(ق ٨٩/٢) ، وامرؤ القيس بن معاوية بن عدي (بطن (ن . ص) ،
ومالك بن ربيعة (بطن) (ن . ص) ، ومالك بن ربيعة (بطن)
(ق ٨٩/٢ - ٩٠) ، وجبله بن عدي بن ربيعة (بطن) والحارث بن

عدي (ق ٩٠/٢) ، ومرة بن حجر بن عدي بن ربيعة (بطن)
(ق ٩٢/٢ كندة) ، وعمرو بن ربيعة من ولد وهب بن ربيعة بن
معاوية (بطن) ، وأبى الخير وهب (بطن) (ق ٨٥/٢ كندة) ،
والارقم بطن من ولد نعمان بن عمرو (ق ٩٦/٢ كندة) ، وشجرة
(بطن) من ولد معاوية بن ربيعة بن وهب (ق ٩٨/٢) . ومن
البطون الأخرى التي لها مساجد، سلمة وهو الحر (بطن) من
ولد عمر بن أبي كرب (ق ١٠٣/٢) ، وبهذلة (بطن) من ولد
المثل بن معاوية (ق ١٠٣/٢) . وفي الحديث عن النخع بن عمرو
يشير إلى بطني جذيمة وحارثة ولكل مسجد بالكوفة (ق ١٩٤/٢) .
ويذكر بني مسلمية (بطن) من بني الحارث بن كعب ولهم مسجد
(ق ٩٣/٢) ويذكر من بجيلة قيس وأوس وعود، لهم بالكوفة
مسجد، وعدادهم في قيس (ق ٢٤٦/٢) . ويتحدث عن ولد
معاوية بن ثعلبة فيذكر زبان « بطن بالجزيرة »، ويضيف « وبالكوفة
أهل بيت وملك وهو تراغم بطن، وبرعم بطن، لهم بالكوفة مسجد »
(ق ١٢٨/٢ - ٩) . وهكذا يعطي صورة عن بطون اليمانية
بالكوفة .

ويتحدث عن اتجاه قبائل سبأ في خروجها، ويضع خبره في
إطار حديث ينسب للرسول ، فيذكر أن سبأ ولد عشرة، فتشام
أربعة، وتيامن ستة ؛ فالذين تشاموا، غسان ولخم وجذام وعاملة ،
والذين تيامنوا، حمير والأزد ومذحج وكندة والاشعر وانمار ، الذين
منهم بجيلة وخثعم (ق ٨٥/٢ - ٦ ، وانظر ق ٩٧/٢ ، ٩٨ ، ٩٩)
وبذلك يعطي صورة لا تخلو من دقة عن حركة اليمانية .

وختاماً يمكن القول أن ابن الكلبي يعطي تعليقات سريعة
مع الأسماء ، ويورد أحياناً ملاحظات أوفى ؛ وهي في مجموعها
تعطي فكرة شاملة عن القبائل ورجالها البارزين في الحقول
المختلفة .

هذه الملاحظات واسعة نسبيا لاعطاء فكرة شاملة عن دراسات الكلبين ، التي تناولت عرب الشمال وعرب الجنوب ، ولان الكتاب لم ينشر ، ولا بد من التنويه بجهود كاسكل ، في تحويل الكتاب الى جداول ، وفي مقدمته المسهبة .

(W. Caskel - Gamharat An-Nasab ... Des Hisham Ibn Muhammad al-Kalbi, 2 vols. Leiden 1966).

٤ - ومن الاوائل في دراسة الانساب مصعب الزبيري (٢٣٣ - ٨٤٧/٦ - ٥٠) وهو من آل عبد الله بن الزبير ، وكان عالما بالانساب . ولم يصلنا من كتابيه « النسب الكبير » « ونسب قريش » الا الثاني . وتدل استشهادات المؤرخين كالطبري والبلاذري وأبي الفرج الاصفهاني على اهمية هذا الكتاب ؛ وهو افضل ما وصل الينا من نسب قريش .

وتشعر خطة الكتاب بوجود اطار مستقر للنسب ، اتبعه معاصرة ابن الكلبي ومن جاء بعده . ويبدو ان مصادره واسعة ؛ فقد افتتح كتابه بالاخذ من الزهري ، « قال محمد بن شهاب الزهري » (ص ٣) . واخذ من مؤلفات تاريخية ، مثل قوله : « قال الواقدي . . في بعض اسناده » (ص ٢١٩) ، او « ذكر موسى بن عقبة عن ابي حبيبة » (ص ١٠٣) . ورجع الى اهل النسب كما يبدو من قوله « واجمع اهل النسب لاختلاف بينهم » ، او « قال بعضهم » (ص ٤) . واثاد كثيرا من روايات في النسب والاختبار ، شفوية ومكتوبة كقوله « سمعت ابي ، عبد الله بن مصعب ، يقول » (ص ٢٩٦) و « حدثني حماد ابن عذيل بن فضالة بن رواد الليثي ، وكان حماد قد بلغ مئة سنة وستين (ص ٢٤١ مشيرا الى سنه ليؤكد اتصال الخبر) ؛ وقوله « واخبرني بهذا الحديث مصعب بن عثمان بن نوفل بن عمارة » (ص ٣٣٩) ، و « حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير وغيره » (١٠٩) ، و « اخبرنا سليمان بن

عياش السعدي قال « (ص ٢٢٩) . وأخذ عن أبي الزناد ،
مثل « قال أبو الزناد » و « ذكر أبو الزناد » (ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

وقد يأخذ مصعب دون ذكر المصدر صراحة ، مثل قوله ،
« وحدثني بعض من يعلم » (ص ٣١٤) و « وأخبرت عن هشام
ابن يوسف الصنعاني عن معمر » (ص ٢٣٩) ، و « أخبرني من
قرأ في ديباج كسوة الكعبة » (ص ٢٣٩) و « وذكر أن أبا
موسى الأشعري ذكر » (ص ١٠٢) . ويأخذ عن جماعة كقوله ،
« قالوا » (ص ٨١) على طريقة الاسناد الجمعي . وكل ذلك
يدلّ على جهده الواسع في دراساته وفي جمع أخباره . ومع
ذلك لا ينتظر من مصعب الزبيري أن يتوسع في ذكر المصادر ، مع
وجود دراسات قبله ، مثل دراسات الزهري وأبي اليعتقان ، ومع
وجود نسابين ، بالاضافة الى ديوان الجند .

ولا بد من ملاحظة أولية هي أن مصعب الزبيري أغنى كتابه
بمجموعة طيبة من الأخبار والشعر ، فتجاوز خطة الملاحظات
المركزة التي أخذ بها ابن الكلبي .

٥ — يعطي المؤلف معلومات مهمة عن التحوّلات في الانساب ، بذكر
النسب الصحيح وما اتجهت اليه بعض القبائل ؛ ولعل التمثيل
مفيد هنا ؛ فيذكر أن عك (الحارث) من ولد عدنان بن أد ، ويضيف
« فكل من بالمشرق من عك ينتسبون الى الأزد . . وسائر عك
في البلاد وفي اليمن ينتسبون الى عدنان بن أد » (ص ٥) .

وبين أن من ولد معدّ بن عدنان قضاة (ونزار) ويضيف :
« وقد انتسبت قضاة الى حمير ، فقالوا : قضاة بن مالك بن
حمير بن سبا . . وزوروا في ذلك شعرا » . ويستطرد الى
تأكيد ذلك بقوله : « وأشعار قضاة في الجاهلية وبعد الجاهلية
تدلّ على أن نسبهم في معدّ » (ص ٥) . ويورد ملاحظة عامة

عن ربيعة ومضر ويقول: « وكان يقال ربيعة ومضر الصريحان من ولد اسماعيل، فدخل من كان منهم بالعراق في النخع، ومن كان منهم بالشام على نسبهم في نزار » (ص ٦) . ويذكر أن بجيلة من أنمار بن نزار، وأنهم « انتسبوا الى اليمن، إلا من كان منهم بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى أنمار بن نزار » (ص ٧) . وعند ذكر خزيمة بن يشكر يقول « وقد انتسبوا في الازد ، ومنهم خثعم، وهو اقبل بن أنمار بن نزار . . وهم بالسراة على نسبهم الى أنمار بن نزار ؛ وإذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبين حضرموت ، كانت خثعم مع اليمن على مضر » (ص ٧) . ويتبين من هذه الاشارات انتساب قبائل من عدنان الى اليمن ، مما يُشعر بتحركها جنوبا قبل الاسلام ؛ فالاشارات اليها في الفتوح وبعدها تعتبرها يمانية . وقد كان مألوفاً في اليمن دخول عشائر او مجموعات في أنساب غيرها، لضرورات زراعية او سياسية .

ولعل أهم ما في نسب قريش أنه يجمع بين الانساب والاخبار التاريخية والادبية ؛ فهو يورد معلومات وأخباراً عن الشخصيات التي يذكرها من العصر الجاهلي الى زمن الرشيد ، وأحياناً المأمون (ص ٢٢٨ ، ٢٧٢) ، اي الى عصره .

وأخبره أحياناً واقية ومهمة ؛ وقد يتوسع فيها الى ما يقرب من ترجمة شاملة ، مثل أخباره عن ابن عباس (ص ٢٦ — ٧) ، وعن عبد الله بن جدعان (ص ٢٩١ — ٧) ، وعن الحكم بن المطلب (ص ٣٣٩ — ٣٤١) ، وعن خالد بن الوليد (ص ٣٢٠ — ١) ، وعن عبد الله بن عامر (ص ١٠٧ — ٩) .

ويأتي أحياناً بملاحظات طويلة هامة عن بعض الشخصيات (مثل ابن الزبير ص ٢٣٧ — ٤٠ وأنظر ٢١٨) بصدد اشتراكها في أحداث هامة ؛ وهي اقرب الى روايات كتب الادب ، ولكنها

على سعتها لا ترقى الى ترجمة (مثلا حركة زيد بن علي ص ٦٠ -
(١) . وقد يكتب المؤلف بمجرد اشارة موجزة او طويلة الى
حدث (انظر ص ٢٢٠ - ١ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٢٢) .

وهو يلتفت في اخباره الى جوانب المروءة، فيهتم بصفات
الشجاعة وبالاستشهاد وبالكرم (انظر مثلا ص ٣٣٨ وما بعدها ،
ص ١٢٧ ، ص ١٤٧ - ٩) . ويتحدث عن اخبار بعض القضاة
(مثلا ص ١٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٢) ؛ ويشيد باستقامة البعض
وصلابتهم عند عرض اخبارهم (مثلا محمد بن عمران ايسام المنصور
ص ٢٨٤ - ٥) .

ويعطي الزبيري معلومات اجتماعية مهمة تتصل بالمصاهرات
وبالعلاقات الاجتماعية ؛ ويُشعر باهمية المرأة وبدورها (انظر
مثلا ص ٣١٣ - ٣١٤) ، كما يعطي اخبارا وافية عن بعض
السيدات ؛ ولهذا دلالته (مثلا صفية بنت عبد المطلب ص ٢٣٠ ،
واميمة بنت عبد بن بجاد ص ٢٣٢ - ٣) .

ويتميز الزبيري ، اضافة الى امانته ، بأنه يعطي احيانا
اخبارا لها اهمية خاصة ، وقد ينفرد ببعضها ؛ ففي الاشارة
الى وجز بن غالب يذكر أنه « أول من عبد الشعري » ، وأنه
كان سيدا في خزاعة ؛ ويضيف « وجز هو أبو كبشة ، الذي كانت
قريش تنسب رسول الله (ص) اليه ؛ والعرب تظن أن أحدا
لا يعمل شيئا إلا بعرق ينزعه شبيهه ؛ فلما خالف رسول الله (ص)
دين قريش قالت قريش : نزعه أبو كبشة ، لان أبا كبشة
خالف الناس في عبادة الشعري .. » (ص ٢٥١ - ٢) .

ولعله أدق من يكشف النظرة الداخلية لمروان للسفيايين
في فترة معاوية، وذلك من خلال نجواه في المدينة مع عمرو بن عثمان
بن عفان ، اذ قال له : « ما أخذ هؤلاء - يعني بني حرب بن أمية -

الخلافة الا باسم ابيك فما ينمك ان تنهض بحقك ، فنحن اكثر منهم رجالا ... » ، وعدّ رجالهم ثم اُضاف : « ومننا فلان وهو فضل ، وفلان فضل ، فضول رجال ابي العاص على رجال بني حرب » . ثم يورد ردّ معاوية على مروان ، وفيه « أشهد بنا مروان اني سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ، ودين الله دخلا ، وعباد الله خولا . والسلام » . وهو قول اشتهر فيها بعد دون المقدمات (انظر ص ١٠٩ - ١١٠) .

ولعل من اطرف ما اورده دور العرفاء أيام معاوية في المدينة في بدء ولاية عاصم بن ابي هاشم بن عتبة . يقول : « وكان العطاء يدفع الى العرفاء ، وكان لكل قبيلة عريف يأخذ اعطيتهم ويدفعها اليهم . فحبس عاصم اعطية الناس وقسال : ياتيني اهلها فأدفع الى كل رجل عطاءه في يده . وكانت العرفاء يأخذونها ، فلا يغيبون غائبا ، ولا يمتنون ميتا ، ويصدقون اهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا ؛ فأراد عاصم ان يصلح الديوان فلا يعطون غائبا ولا ميتا ، ويأتيه اهل العطاء فيدفع اليهم اعطيتهم وقد عرفهم ؛ فكره الناس ذلك لما كانوا يصيرون من حظ الموتى والغيب ، وامتنعوا من آتياته .. » (ص ١٥٤) . وهو نص يدل على تلاعب العرفاء وقبائلهم في دفع العطاء ليحصلوا على اكثر مما يحق لهم ، كما يبين وظيفة العرفاء واهميتهم .

ويكثر في الكتاب ايراد المقطوعات الشعرية والقصائد ، التي قيلت في مناسبات ، او تعود للمترجم له إن كان ينظم الشعر (انظر مثلا ص ٢١٦ - ٢٣٢ ، ٧ - ٣ - ٣١٤ ، ٥ - ٣٢٤ - ٧) .

٦ - اما انساب الاشراف للبلاذري ، ففيه دراسة شاملة للتاريخ العربي الاسلامي ، ومجموعة كبيرة من التراجم في اطار خطة النسب .

ويبدو أن تنظيم خطة الانساب لديه ولدى من سبقه يتشّسّى مع تنظيم ديوان المقاتلة ، ابتداءً بالرسول، ثم الاقرب فالاقرب . فهو يبدأ بالسيرة (ق ١ ص ٤٠ - ٢٧٨) بعد أن يمهد لها بمقدمة في انساب العرب ليصلها بأجداد الرسول، وبتاريخ قریش قبل الاسلام (ق ١ ص ١ - ٤٠) ، يليها أبو طالب وأولاده (العلويون) (٢٩٠ - ٥٢٦) ، والعباس بن عبد المطلب وأولاده (العباسيون) (٥٢٦ - ٦٧١) ، وأمّية بن عبد شمس (الامويون) (٦٩٠ - ١١٩٦ ، وق ٢ - ١ - ٤١٥) ، وبقية قریش (ق ٢ ٤١٥ - ٦٩٧) وبقية مضر (ق ٢ - ٦٩٧ - ١٢٦٨) . وهكذا خصص للسيرة حوالي $\frac{1}{11}$ من الكتاب، ومثل ذلك للعلويين ، وخصّص للأمويين حوالي $\frac{1}{6}$ الكتاب، وللعباسيين حوالي $\frac{1}{16}$ منه، ولبقية مضر أقلّ من ربعه .

لقد تناول البلاذري في كتابه قبائل مضر، الا القليل منها، (مثل كلاب ، هلال ، قشير) ولم يتناول ربيعة واليمن؛ وان وجد ما يدل على أن دراسته تجاوزت ما في الكتاب ، الا أنه توفي قبل أن يتم كتابه (حاجي خليفة ١/٢٧٤ . وفي تاج العروس اشارات اليه تتعلق باليمن) .

تناول البلاذري العباسيين بتوسع الى أيام المنصور ، وأوجز في أخبار المهدي والرشيد (ق ١ ص ٦٦٧ - ٦٧١) ؛ وهذا يسترعي الانتباه اذا تذكرنا معاصرة البلاذري للعباسيين من أيام المأمون الى أيام المعتد (ت ٢٧٩ هـ) ، وصلته بالخلفاء العباسيين من المتوكل (٢٤٧ هـ) الى المعتز (ت ٢٥٥ هـ) . فهل التزم البلاذري بالتوقف عند حدود المعاصرة ؟ ان شيخه المدائني تناول التاريخ العربي الى أيام المعتصم ، وان بعض معاصريه، كخليفة بن خياط واليعقوبي والبسوي (٢٧٧ هـ) والطبري، تناولوا هذا التاريخ الى فترات تالية بين الواصلات (ت ٢٣٢ هـ) والمكتفي (ت ٢٩٥ هـ) . أم ان البلاذري سار على هيكल أهل

النسب مثل مصعب الزبيري وابن الكلبي ؟ لقد بدأ تقليص العرب في الديوان منذ قدوم العباسيين، ولكن هذا لم يحصل جديا الا ايام المأمون ، ثم جاء المعتصم فأسقط العرب من الديوان . وهذا يعني ان تسجيل المقاتلة العرب انتهى في مطلع فترة المعتصم، مما يجعل التوقف في اطار الانساب طبيعيا في الهيكل والتدرج .

وتبدو ميزة انساب الاشراف في أنه قدم تاريخا للأشراف العرب في مختلف الحقول ، مع تاريخ الخلافة ؛ وهو نسق فريد في سعة أمتته وشموله .

٧ - وقد افاد في تفاصيل خطته من خطوط تاريخية متعددة - من اساليب كتب الطبقات، وكتب الاخباريين، اضافة لكتب الانساب . ولئن كان هيكله هو اطار الانساب، فان عناوينه الفرعية للأحداث الهامة في فترة كل خليفة، تذكر بعناوين كتب الاخباريين ، في حين ان تناوله للسيرة ولترجمات الاشراف متأثر بخط التراجم والطبقات . ويلاحظ بين أساتذته المدائني (٨٣٩/٢٢٥) شيخ الاخباريين ، وابن سعد (٨٤٤/٢٣٠) صاحب الطبقات ، ومصعب الزبيري وابن الكلبي .

افاد البلاذري من كتب الاخباريين ، خاصة ابي مخنف (برواية ابن الكلبي او مباشرة من كتبه) وعوانة بن الحكم ، وبصورة واسعة من المدائني مصدره الاول عن الخلفاء (بالاخذ عنه مباشرة او بالنقل من كتبه) . ومن دراسات أصحاب المغازي في السيرة والتاريخ مثل عروة والزهري وابن اسحاق والواقدي وكتبه محمد بن سعد ، كما افاد من اهل الانساب ، خاصة ابي اليقظان ومحمد ابن السائب الكلبي، وابنه هشام، ومصعب الزبيري .

واضاف البلاذري بحوثه ودراساته بالاخذ من شيوخه
ومن روايات شفوية أخرى ، وانساده من أسفاره في جمع روايات
محلّية موثقة من أئبياح المدن التي زارها في الشام والثفور
والمدينة ، اضافة للمدن العراقية .

والبلاذري يّدق مصادره ، ويفاضل بين الروايات ، ويبيدي
رايه احيانا لتوثيق رواية . وقد يورد صورا لرواية بأسانيد
مختلفة لاطهار مجال الخلاف ، ولكنه كثيرا ما ياخذ معلوماته من
مجموعة مصادر ليعطي خبرا متصلا . ويبدو أن النظرة الى
المؤرخين السابقين (من اخباريين ، واصحاب مغازي ، وطبقات ،
وتاريخ ، ونسّابين) استقرّت في عصره ومكّنته من ذلك . وهنا
يختلف البلاذري عن الطبري في اسلوبه التاريخي ؛ فبينما يعتمد
الطبري اساسا احده مصادره في صدر الاسلام (كابن اسحق
في السيرة ، او أبي مخنف في الثورات العلوية) ثم يضيف روايات
فردية ليعطي معلومات مكّلة او مباينة ، يبنى البلاذري قاعدة
معلوماته على ما هو مقبول لدى مجموعة من المؤرخين ليعطي
اخبارا ييهاها به (قالوا) ، ثم يورد روايات مفردة ليتسم اخباره ،
وهو اسلوب بالغ الاهمية في فهم البلاذري . وفي حين يركّز
الطبري على المدرسة العراقية في اخباره ، يبدو البلاذري اكثر
استفادة من مدرسة المدينة خاصة في أحداث الفتوح والاحداث
التي تتصل بتاريخ الامة في الفترات الاولى ؛ كما أنه يعطي
اهمية خاصة لروايات المنطقة التي وقع فيها الحادث ، ويتمّها
بروايات أخرى خارجية .

ويدق البلاذري في ايراد التواريخ والارقام ، ويراعي التسلسل
الزمني في كتابته ، الا حيث يقتضي هيكل النسب التقديم والتأخر
(مثلا معاوية قبل عثمان ، وترجمة عمر بن الخطاب متأخرة) .
وعند حديثه عن كل خليفة يتناول ما وقع في عهده من أحداث ،

كما يعنى بفعاليات الاحزاب السياسية ، وخاصة الخوارج ؛
وهو افضل المصادر عنهم واوفاهها في صدر الاسلام ..

ان ثقافة البلاذري ، كما يبدو من مصادره وشيوخه، ومن
اشتغاله بالترجمة، ومن مواهبه الشعرية ، تشير الى انه جمع
بين الاهتمام بالدراسات العربية والاسلامية، وبالثقافات الاجنبية؛
هذا مع تركيزه على احوال العرب ودورهم التاريخي في الاسلام ؛
وهو لذلك يبدي اهتماما بالنواحي الاجتماعية والثقافية والادبية
في اخباره، ويتوسّع فيما يورد من مقتطفات شعرية، وإن تحاشى
ايراد القصائد المطولة .

وليس هذا مجال تحليل كتابه الضخم ، بل يكفي ايراد
ملاحظات موجزة (خارج تاريخ الخلفاء) .

٨ - ان ميزة البلاذري الخاصة بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هي في
كون انساب الاشراف تاريخا للاشراف العرب في تراجمهم، كلّ
في موقع نسبه ؛ وهو بذلك يعبر عن اتصال هذا التاريخ ،
ويرى في الاشراف مركز الاهمية من هذا التاريخ ، ويعبر عن
النظرة الاجتماعية لهم عند العرب . وهو، في تراجمه وما يقدمه
من اخبار وآثار، معجم ضخم للتراجم العربية (يشبه المعاجم
الوطنية الكبرى الحديثة) . وبعض تراجمه واسعة تسترعي
الانتباه، مثل ترجمته للأحنف بن قيس (ق ٢ ص ٩٩٤ - ١٠١٠)
وللحجاج (ق ٢ ص ١٢١٧ - ١٢٥٨) اضافة لاخباره أيام عبد الملك
والوليد) ، وبعض الفصحاء والشعراء، مثل النابغة الذبياني
(ق ٢ ص ١٠٩٣ - ٦) واكثم بن صيفي (ص ١٠٧٣ - ١٠٨٣)
والفرزدق (ص ٨٧٦ - ٨٩٥) وجريير (ص ٩٤٧ - ٩٦٢) وخالد
بن صفوان (ص ٩٧٧ - ٩٩١) . وقد يفيض في الترجمة أكثر
من المعنيين بحقل الاختصاص، كما في ترجمته لابي الاسود الدؤلي
(ق ٢ ص ٧١٠ - ١٣)، وهو بذلك يكشف جانباً من اهتماماته
الادبية .

وفي أنساب الأشراف ثروة من الأخبار عن المسلمين الأولين ،
فيذكر في كل ترجمة دخول الشخص في الإسلام، ومزايده، ودوره،
ومواقفه، وأخباره الخاصة ؛ وهي ترجمات مسهبة عادة ، وتختلف
أهمية كل منها حسب دور المترجم له .

وَيُعْنَى البلاذري بأمور القبائل في إطارها لنسبها ، فيقدم
معلومات واسعة عن قريش قبل الإسلام وبعده، بتفاصيل لا تُرد
عند مؤرخ آخر ؛ وينبئه إلى أمور طريفة (مثلا في حديثه عن
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : « قيل ما ساد قريش مُلِّق
غير عتبة وأبي طالب » (ق ٢ ص ٤٠٧) ، وانظر أخباره عن
محاولة عثمان بن الحويرث أن يترأس في قريش، ويرتبط بقيصر
الروم (ق ٢ ص ٤٨٨) ، ومثل اشاراته للإيلاف (ج ١ ص ٥٩ —
٦٠) .

ويهتم البلاذري بأيام العرب، ويعطي معلومات مركزة ومهمة
عن مجموعة منها، مثل يوم ذي نجب (ق ٢ ص ٩٢٤ — ٩٠٣ ، ٦ —
٤) ، ويوم غيط المدرة أو صحراء فلج (ق ٢ ص ٩٢٥) ويوم
قحح (ق ٢ ص ٩٢٦) ويوم ذي طلوح (ق ٢ ص ٩٢٨ — ٩٣٠) ،
ويوم المروت (ق ٢ ص ٩١٨ — ٩) . وداحس والغبراء (ق ٢
ص ٩٣٤ — ٥) ، ويوم القريتين (ق ٢ ص ٨٣٠ — ١) ، ويوم
بزاخة (ق ٢ ص ٨٣١ — ٢) ويوم النصار ويوم الجفار (ق ٢
ص ٧٣٨) ، وأيام الفجار ويوم ذات نكيف (ج ١ ص ٧٥) ويوم
نخلة (ج ١ ص ١٠١ — ٢) ، ويوم شمطة (ج ١ ص ١٠٢ — ٣ و
١ ص ٧٠٠) ، ويوم تحرير أول أيام انفجار (ق ٢ ص
٧١٩) ، ويوم نطاع (ق ٢ ص ٨٣٥) ويوم الشيطان (ق ٢ ص
٨٤٥) ويوم جبلة (ق ٢ ص ٨٥٢ — ٣ ، ٨٥٧) ويوم أواره
(ق ٢ ص ٨٦٦ — ٧) ويوم قشاوة (ص ٩٤٠) ويوم الكلاب
الأول (ق ٢ ص ٨٩٧) ويوم الكلاب الثاني (ق ٢ ص ٧٩١ — ٢ ،
١٠٢٣) . هذا، وترد اشارات أكثر إيجازا لأيام أخرى (مثل يوم

خو(ق ٢ ص ٨٦٠) ويوم الهباءة (ق ١٠٢٣/٢) ويوم رحران
(ق ٢ ص ٨٦٣) ويوم الغبيط (ق ٢ ص ٩٤٣) ويوم سلمان
(ق ٢ ص ٨٧٣) .

✓ وهو يورد مقتطفات في مواضع عدة من نقائض جرير
والفرزدق (انظر ق ٢ ص ٩٣٤ ، ٩٤٠) . ويلاحظ ان البلاذري
حاول الافادة من أكثر من مصدر في أخبار الايام (انظر ق ٢
ص ٩٢٥) وفق أسلوبه ، ولكن يبدو ان جلّ اعتماده كان على
محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام (ق ٢ ص ٩٤١ ، ٨٦٧) ،
وهو قليل الاشارة الى أبي عبيدة (ق ٢ ص ٩٤١) . وقد
يأخذ عن راوية من البدو (مثل مراش بن اسماعيل ق ٢ ص ٨٦٧)
او يكتفي باشارة عابرة (مثل « قال بعضهم ق ٢ ص ٩٢٤) .
وهكذا يحفظ البلاذري روايات مبكرة عن الايام توازي روايات
محمد بن حبيب (عن أبي عبيدة) ، ولهذا أهمية خاصة .

ويتحدث البلاذري عن الشؤون المختلفة للقبائل قبل الاسلام ،
من غزوات اعتيادية (مثل غارات بني ثعلبة بن يربوع على بني أسد
(ق ٢ ص ٧٣٥ - ٦ ، وانظر ٩٣٠ - ٢) ، الى احلاف (مثل
حلف قريش مع الاحابيش وظروقه ق ٢ ص ٧٢٢ ، ٧٢٨) ، او
محاولات ثار مهمة (مثل مقتل حُجر بن عدي على يد بني أسد،
ومحاولات امرئ القيس للثأر ق ٢ ص ٧٤٠ - ١) او شؤون
أخرى مثل الاتفاق على جعل ولاية الموسم والافاضة بالناس الى
بني تميم (ق ٢ ص ١٠٢١ - ٢) ، بل يعطي معلومات طريفة
عن الرادفة لدى المناذرة، ومعناها، ومهمة الردف، وامتيازاته
(ق ٢ ص ٩١٧ - ٨) .

ويورد البلاذري معلومات بالفسة الاهمية عن الحياة الاقتصادية
خلال القرنين الاولين (انظر مثلا ق ٢ ص ٧٥٣ ، ٩٨٨ ، ١٠٠٧)
بما في ذلك اثر الجفاف في البادية على مياه بعض القبائل

وحركتها ، كما يقدّم معلومات ثينة عن نظرة العرب للأرض، وعن تحوّل الاشراف الى أرستقراطية ملاكة ؛ وهو في طليعة المؤرخين الذين اهتموا بهذه النواحي هنا وفي كتابه فتوح البلدان .

كما أنه يعطي معلومات غنية في الناحية الاجتماعية (انظر ق ٢ ص ١٠٠٦ ، ٧٥٠) . واخباره عن حركة القبائل وانتقالها من الجزيرة الى الامصار لا مثيل لها في الشمول والتفاصيل والدقة (وإن قاربها الطبري احيانا في السعة) .

٩ — ويستند البلاذري في معلوماته عن القبائل الى أبي اليقظان (٨٠٥/١٩٠) لدرجة كبيرة ، يأخذ عنه عادة بعبارة : قال أبو اليقظان (ق ٢ ص ٨٧١ ، ٢) أو « وفي رواية أبي اليقظان » (ق ٢ ص ٨٩٥) ، وبذلك يؤكد الاشارات الى أهميته ودوره في النسب .

كما أنه يأخذ كثيرا عن ابن الكلبي (هشام بن محمد) برواية مباشرة (عن ابنه) أو بالأخذ من كتابه (ق ٢ ص ٤٥ ، ١٠١ ، ١٥٤) ويعتمد عليه اعتمادا واسما في أخباره عن قريش قبل الاسلام . ويأخذ عن أبيه محمد بن السائب الكلبي برواية ابن هشام، أو بالأخذ عنه مباشرة (قال الكلبي ق ٢ ص ٣٤ ، ٦٦) وبهذا يؤكد وجود كتاب لمحمد بن السائب في الانساب ؛ وهو يأخذ عنه احيانا دون اشارة واضحة، مثل تعقيبه : وقال غير الكلبي (ق ٢/٨١٩) ويبدى تفضيله له حين يقول : « وقال غير الكلبي .. وقول الكلبي أثبت .. » (ق ٢ ص ٨٢٧) .

واذا كان البلاذري في فترة قبل الاسلام يعتمد على روايات فردية، فإنه في الفترات الاسلامية يستند في الاساس في أخباره على مصادر متعددة، يبيدأها بـ (قالوا) ، تعضدها روايات فردية مسندة (انظر ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها) . ونكتفي بالتمثيل من

السيرة . ففي حين يعتمد الطبري على سيرة ابن اسحق ،
 فان البلاذري يعتمد بالدرجة الاولى على الواقدي وتلميذه محمد
 بن سعد ، اضافة الى رجوعه الى مؤسس مدرسة المغازي
 (الزهري ٨٥ رواية ، وعروة بن الزبير-حوالي ٤٠ رواية) ، اما
 ابن اسحق فيرجع اليه بقدر متواضع-٤٣ رواية) . وكمثل لذلك
 فنظر الى اخباره عن بدر لنرى ان صلب معلوماته يرد تحت «
 "قالوا" (٢٨٨ - ٩٠ ، ٢٩١ - ٢ ، ٣٠٤ - ٥) . وبجانب ذلك
 ترد اخباره عن الواقدي (٢٩٤ - ٨ ، ٢٩٨ - ٣٠٢ ، ٣٠٥ - ٣٠٨)
 ويأخذ الاخبار عن ابن سعد مباشرة ، كما ان جلّ اخبار الواقدي
 يرد في حديث ابن سعد، وبعضها بالنقل من كتبه » قال الواقدي
 ص ١١٢ و ٢٩٢ وبعدها ، ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٥ وبعدها « وهو
 يتسم هذا بروايات فردية مسندة عن محدثي المدينة ورواتها .

يبدو ان البلاذري توسع في مفهوم « الاشراف » فهو لا
 يقتصر على من يأخذ شرف العطاء ، ولا على من ينتسب الى
 اشراف القبائل ، كما انه لا يقتصر على من سجل في ديوان
 المقاتلة الذي لم يعد يشمل الاجزاء من العرب في الامصار ، من
 ايسام المروانيين ، بل انه شمل هؤلاء جميعا، وانتبه بصورة
 خاصة الى من صار له دور في الحياة العامة السياسية والادارية
 والفكرية (الشعراء خاصة) .

وهو على صلته بالعباسيين يحاول ان يكون موضوعيا ؛
 ولعلّ صلته هذه امانته في الاطلاع على روايات داخلية عن
 الدعوة العباسية، وعن الفترة الاولى ، وفي الافادة من الدواوين .
 وهو على العموم محايد متزن . وهو في الانساب يعبر عن
 نظرة اجتماعية عربية الى دور الاشراف العرب في تاريخ الامّة ،
 كما يعبر عن اتصال خبراتها وسيرها .

د. عبد العزيز الدوري

في سبيل تعريب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية

مشاكل وحلول

للدكتور احمد سليم سعيدان
(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

١ - في تقديري اننا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى تعريب التعليم الجامعي ، والتغزل بمحاسنه ، والتأكيد على انه ضرورة تربوية وقومية ؛ فقد عقدت من اجل ذلك مؤتمرات ، وأُقيمت بحوث ومحاضرات ، واشترك في هذا المضمار باحثون أجلاء ، من العرب ومن غير العرب . يبدو لي ، على كل حال ، انه لم يعد يجدي في هذه المرحلة ، تعداد محاسن التعريب ، ولا رصد مساوئ التعليم في الجامعات العربية بغير اللغة العربية . فان يكن أحد ما زال في شك من جدوى التعريب ، فغاية الامر عندي أن يقال له : فعّال نجرب ، ثم نحكم على النتائج .

إذا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى التعريب ، فنحن اذن في مرحلة التنفيذ ؛ وإذا كنا قد أجزنا أن نمسك ، في هذه المرحلة ، عن الخوض في تأييد التعريب ومعارضته ، فلا يجوز لنا ، ونحن نخطط للتنفيذ ، أن نتجاهل حجج المعارضين ودعواهم . وغنيّ عن البيان أن دعواوى المعارضين تجعلها تساؤلاتهم : أين المصادر العربية ؟ وأين المراجع التي تبتقينا على علم بتطور العلوم ؟ ثم أين الدوريات العربية العلمية التي فيها ننشر أبحاثنا ؟ انهم ، بإيجاز ، يريدون أن تكون المكتبة العربية

في مثل غنى المكتبات الغربية في الكتب والنشرات العلمية . وهذا
مطلب حق ينبغي أن نسعى لتحقيقه جاهدين .

ولكنني أبادر الى القول بان تساؤلات المعارضين ، على وجاهتها ،
تخفي وراءها غير ما تظهر . وانسي ، وقد سبق أن خضت مع زملاء
لي معركة التعريب في قطر عربي شقيق ، على يقين أن ما لا يظهره
المعارضون هو التهيب والتحرّج : معلّم تعلّم بالانكليزية ، وهو الآن
بها يعلم ؛ فهمه لها محدود ، وفهم طلابه له أقلّ القليل ؛ ولكن الامر
مستور ، فلماذا يخوض هذا المعلم تجربة التعليم بالعربية ، وهذا ما
يقتضي فوق تعلّم مصطلحاتها ، استذكار قواعدها الصارمة ؟ انه
يخشى أن يعلم بلغة قد يتقنها طلابه أكثر منه . ان دافع المعارضين
الباطن هو في أغلبه خوف وكسل ؛ وقد ينجلي أكثر هذا الخوف عند
بدء التعريب . ولكن يبقى أن المطالبة بابقاء الكتب والنشرات العلميّة
تحت متناول يد القارئ العربي امر لا بد من السعي الدائب لتحقيقه .

٢ - ولقد سمعتُ قولة حقّ قالها غير واحد ، مؤداها أن
التعريب خطوة سياسية ينبغي أن تأتي بقرار سياسي من عسل . وفي
يقتني أن هذا القرار يعطي التعريب دعما كبيرا ؛ ولكن يبقى الخوف
من فشل التجربة الاولى، لمجرد أن الجنود المجهولين الذين يمارسون
التعليم في قاعات الدرس لا يريدون التعريب لمثل هذا التحرّج الذي
أشرت اليه . فمع المرسوم السياسي الذي يأمر بالتعريب ، نبقي
بحاجة الى فئة من المعلمين انفسهم تؤمن به ، وتدعو اليه ، وتدافع
عنه ، وترقب، من حيث تشعروا أو لا تشعروا تنفيذه ؛ ونبقى أيضا بحاجة
الى خطوات تهَيء الاسباب للبدء به وللسير فيه .

هنالك خطوتان رائدتان خطوناها في الاردن ، وفي الذهن كل
هذه المشاكل التي ألمحت اليها . ولابدأ بثانية الخطوتين :

أقدم رئيس الجامعة الحالي ، الدكتور ناصر الدين الاسد ، على
الطلب الى عميد كلية العلوم فيها بالاسراع بتعريب التعليم في كليّته .

وسئل الرئيس : هل اقر ذلك مجلس العمداء ؟ فقال : وما لكم ولسه ؟
ان للكلية الحق في ان تعلم بالعربية اذا هي ارادت .

ولما عرف اعضاء هيئة التدريس في كلية العلوم ان رئيس
الجامعة يساند التعريب ويلجّ بطلبه ، ارتفعت أصوات الداعين له ،
وخفتت أصوات المعارضين . وانّ كلية العلوم في الجامعة الاردنية
تتطلع الان لأن تبدأ التعليم بالعربية ، في العام الدراسي القادم ، في
السنة الجامعية الاولى ، على الاقل .

ولا شك ان خطوة رئيس الجامعة الاردنية لم تكن لتنجح لولا
خطوة سبقتها ومهدت لها السبيل ؛ تلك هي خطوة مجمع اللغة
العربية الاردني ، واكثرية اعضائه من رجالات الجامعة الاردنية .
ذلك ان المجمع كان قد شرع بترجمة خمسة كتب في العلوم الاساسية ،
اخtarها اسانذة كلية العلوم انفسهم على أمل استعمالها في السنة
الاولى الجامعية ، وبعض الثانية .

وقد أعلّمت الجامعات العربية والجامع اللغوية بهذه الخطوة
التي خطاها مجمع اللغة العربية الاردني ، وتوالت على المجمع كتب
التأييد والتشجيع من مختلف الجامعات والجهات .

٣ — ولكن غنيّ عن البيان ان أمر ترجمة الكتب العلمية لا ينتضي
بترجمة خمسة كتب ، ولا عشرة ، بل ولا الف ؛ انه عملية متواصلة دائبة، لها
بداية ، وليس لها نهاية . انها تمشي مع التعليم الجامعي جنباً الى
جنب ، وكالتعليم ، يسلمها كل جيل ، مع صفوة خبراته ، الى الجيل
الذي يليه .

في اوائل هذا القرن ، قام واحد من رواد ما يسمى بالنهضة
العربية الحديثة ، بترجمة كتاب انكليزي في الهندسة المستوية . ولعلّ
اكثرنا يذكر الكتاب ، فقد تتلمذنا كلنا عليه ، وكنا نعرفه باسم كتاب
« هول واستيفنز » . ولقد عاشت هذه الترجمة نحو نصف قرن في

مدارس الشرق العربي . ولقد نفد الأصل وتوقف عن الطبع ، وظلت
من بعده الترجمة تُطبع المرة تلو المرة .

مثل هذا لم يعد يحدث ؛ اننا نعيش في عصر ينطور فيه
العلم بسرعة مذهلة ، وتتجدد وسائله وسبل عرضه وتوصيله للناس ؛
فما من كتاب علمي يصمد لرياح التطور أكثر من خمس سنوات ،
بُعْدُها أو قُبُلُها يُطرح على الرف ان لم يبادر المؤلف الى تجديده
على نحو يتفق مع ما استجدّ من معلومات وخبرات ومفاهيم وأذواق .
لذا نجد الكتب التعليمية تتلاحق، ويزحم بعضها بعضا : فما كان يُعدّ
كتابا موثقا بالامس ، يسقط اليوم في الميزان .

وليس هذا التغيّر المستمر نقصا في الفكر العلمي ، ولكنه من
طبعه وطبيعته ؛ فاذا كان الدوام والخلود هدف الادب ، فان التطوّر
هدف العلم . والتطوّر في مقاييس العلم هو الحياة ، والحياة هي
الخلود . نظرتان مختلفتان، ولكنهما تلتقيان في الافق البعيد .

مما تقدم نُخلص الى أن ترجمة الكتب التعليمية عمل ينبغي ان
يكون دائما مستمرا لا ينقطع . وهذه ضرورة تزداد الحاحا كلّما
مضينا قُدُما في تعريب التعليم . ونحن نراعي في الوقت نفسه ان نبقي
مواكبين ، على قدر الطاقة ، لتبّار التطور العالمي .

فاذا أضفنا الى هذا السبل من الكتب التعليمية الذي نفرزه
المطابع ، كتب البحوث العلمية والدوريات وامهات المراجع ، نجد
اننا امام امر جلل يفوق كل وصف . قدّر ما تخرجه مطابع العالم
من الفكر العالمي الرصين ، في الدقيقة الواحدة ، ما لو جمع في مجلد
واحد لبلغ هذا المجلد حجم الموسوعة البريطانية .

والمكتبة العربية لها علينا واجب تزويدها بالفكر العالمي ،
والقارىء العربي له علينا واجب تقريب هذا الفكر اليه ؛ وهذا
واجب لا بد من الاضطلاع به اذا كنا نبغي ان تكون الاجيال العربية

على علم بروح العصر ، وعلى فهم لعقليته . واضطاعنا بهذا الواجب
بستلزم ترجمة دائبة متصلة .

انني ارجو الا يظن انني في تحمسي للترجمة خلطت
بين مهنتين : ترجمة الكتب التعليمية من أجل التعريب ، و ترجمة
الفكر العالمي الذي يستهدف خلق أجيال عربية تضيف الى موروثها
الفكري والحضاري ، الذي نعتز به ، فهما ووعيا لروح العصر الذي
تعيش فيه . صحيح أن هنالك فرقا بين المهنتين ، ولكن يخطئ من
يظن أن التعليم يمكن أن يمضي سليما بمعزل عن الحياة ، أو أن
العلم في أي عصر يمكن أن يُفهم الفهم الايجابي البناء بمعزل عن فكر
ذلك العصر . انه يكون كثرة قطفت من شجرتها ، مهما تكن حلوة
فانها تطعم أكلا واحدا ، أما الشجرة فتطعم الناس أجيالا وأجيالا ،
وتفي بظلها على كل مستظل . اني أتمنى أن يكون تعليمنا ، لا ثمارا
يتخطفها الآكلون ، بل أشجارا تؤتي أكلها الشهي وظلها الظليل ورونتها
الغض النضير . لعل من نقائص نُظْمنا التربوية القائمة انها تقدم ثمارا شهية
أكثر مما تفرس اشجارا ندية .

٤ - نحن اذن امام واجب دائم لا ينقطع ، هو واجب الترجمة .
وأمر الترجمة لا يجوز أن يبقى موضى بسلا تنسيق ، كيلا تصير الترجمة
اقليلية ، وكيلا يهدر الوقت والجهد بترجمة الكتاب الواحد أكثر من
مرة دون مبرر ، وكيلا تنزل الى الميدان مصطلحات متضاربة تدخلنا
في دوامة المقابلة ، وحساسيات الاختيار والمفاضلة .

المطلوب ترجمة الكتب الجامعية ترجمة تشرف عليها الجامعات
العربية ، وتباركها الجامع اللغوية . والترجمة لا تتم بمجرد أن
تُتَلَّ مادة الكتاب الى العربية ؛ فلا بد من طباعة ، ثم لا بد من
نشر . فهل تقوم الجامعات والجامع بالترجمة ، ثم تسلم أمرها الى
دور النشر التجارية ؟ ان كان يتحتم هذا في حالات ، فهو لا ينبغي أن
يكون في الكتب التعليمية التي نؤلفها أو نترجمها لابنائنا الطلبة وزملائنا
المعلمين .

اذن نُحَسِّن الجامعات والمجامع صنعا اذا هي انشأت مكاتبها
للترجمة والنشر ، تُعْنَى بنشر الكتب التعليمية بأثمان تساعد على
تيسير العلم، ولا تستهدف الربح الوفير .

٥ - ارجو الا يغيب عن البال ان الهدف الكبير الذي نهدف
اليه هو تعريب التعليم الجامعي ؛ ومن اجل التعريب جئت اطرح
فكرة الترجمة ، وفكرة مكاتب الترجمة والنشر .

وغنيَّ عن البيان اننا لا ينبغي ان نُؤجل التعريب الى أن نترجم
وننشر ، ونُقيم في كل جامعة او مجمع مكتبا للترجمة والتأليف والنشر .
ان ما أقدم عليه مجمع اللغة العربية الاردني مبادرة فيها كثير من
المجازفة ، وكثير من الامل . كان يستهدف وضع نواة تمكّن المعلم
في الجامعة الاردنية من أن يمضي مع الطلاب في السنة الاولى الجامعية
على نحو لا يختلف كثيرا عما الفوه في المرحلة التوجيهية . ولكن لا
شك أن تعريب التعليم ، مهما ساندته الترجمة ، يمكن أن يمضي بدونها ،
ولو مرحلياً .

ليس أمرا هينا ان نحاضر ونشرح ونناقش بالعربية ، حتى مع
ذكر مصطلحات اجنبية، اذا لزم الامر ، ثم في نهاية المطاف نرجع
الطالب الى مرجع اجنبي ؟ لأن اقول لطلابي : ستقابلكم في هذا المرجع
مصطلحات جديدة ، اليكم قائمة بها وبمعانيها العربية ، اجدى
واضمن لفهم الطالب من أن أحاضره بلغة لا يفهمها ، ثم أسلمه الى
كتاب يُحوّل درس العلم عنده الى بحث في القاموس . بل اني على
يقين ان الرجوع الى كتب اجنبية امر لا مندوحة عنه ، حتى وان تكاثرت
الكتب المترجمة ؛ وهو امر سيتزايد كلما صعدنا في سلم التعليم الجامعي .

٦ - ومشاكل الترجمة والنشر ليست سهلة هينة ، وانما
هي كثيرة متشابكة ، أخذ بعضها برقاب بعض ؛ ولذا فاني ، في سبيل
التفكير فيها تفكيرا صافيا بنّاء ، أحلّلها الى عواملها الاولى . ومن
عواملها الاولى : ما الذي نترجمه ؟ ومن الذي يترجم ؟ وماذا بعد الترجمة ؟

بعبارة أخرى : ابحث في امر الكتب التي تترجم ، وامر الاشخاص الذين يقومون بترجمتها ، ثم أمر نشر هذه الكتب .

١ - أما بصدد الكتاب الذي يترجم ، فبين البروقراطية والمركزية التي تدعو الى مجلس عربي عام يقوم باختيار الكتب، فيوقعنا في بطن الاجراء ودوامه اختلاف الاذواق والمستويات ، وبين فوضى المبادرات الفردية ، كأن يقوم كل مدرّس بترجمة الكتاب الذي يحلو له ، ثم اذا بنا نجد للكتاب الواحد أكثر من ترجمة واحدة ، ارى ان نختار طريق المركبات المحليّة . ففي الاردن ، مثلاً ، يقوم المدرّسون باختيار الكتب التي يوصون بترجمتها من أجل التدريس ، فيعرضون قائمة بأسمائها على مجالس الاقسام ، فمجلس الكلية ؛ فاذا اقتنع المجلس بجسدى الترجمة ، آخذاً بعين الاعتبار عمر الكتاب الحالي من ناحية ، وإمكانيات التأليف من ناحية أخرى ، يتقدم بطلب الى مجمع اللغة العربية الاردني ؛ فاذا اقر المجمع الترجمة، يخبر بذلك الجامعات العربية والجامع ، كيلا تقوم بترجمة الكتاب نفسه . فاذا انقضى سنتان ولم يظهر الكتاب ، تصبح الجامعات والجامع في حلّ من امر ترجمته .

/ فما المشاكل المنظورة التي يمكن ان تقوم في وجهه هذا الترتيب البسيط ؟

اولاً : الجامعة التي لا تجد الى جوارها مجعماً مستعداً للاشراف على ترجمة ما توصي بترجمته من كتب وعلى تمويله ، يمكن ان تستعيض عنه بمكتب ترجمة تقيمه لهذا الغرض ، كي يتولى مهمة المجمع هذه، مستهداً سلطانه من الجامعة ذاتها .

ثانياً : الحصول على حق الترجمة ، اذا امكن ، امر ينبغي ان نسمي اليه الجامع ومكاتب الترجمة ؛ فاذا تعذر فمن حسن حظنا اننا لم نرتبط عالمياً باتفاقية حق المؤلف والنشر ؛ يكفي ان نخبر المؤلف أو الناشر أو كليهما اننا نرغب في ترجمة الكتاب ، وليس علينا بعد ذلك ماخذ قانوني .

ثالثا : ان النظرة الواقعية قد تغاير توحيد الكتاب الجامعي في جميع انحاء العالم العربي . ولعلّ في ان يُترجم في الموضوع الواحد ، من المستوى الواحد ، اكثر من كتاب ، خيرا ؛ فأبناؤنا بحاجة الى كتب مقررة والى مراجع ؛ وإن من الخطر ان يكون ثمة مرجع واحد يرجع اليه الطالب والمدرس .

رابعا : ينبغي ان نشجع التأليف الاصيل بقدر ما ينبغي ان نشجع الترجمة ؛ فاذا استعمل كتاب مؤلف محلياً، فينبغي ان يحرص مكتب الترجمة ان يكون هذا الكتاب من مستوى جيد متجدد ، فاذا لم يجدد وجب تغييره بدون تردد . ان لم يكن ما نؤلفه للجامعة في المستوى العالمي المقبول ، فلا خير فيه .

خامسا : بالتأكيد : ما كل ترجمة مقبولة ، لا من حيث اللفظة ، ولا من حيث المحتوى ؛ فكل كتاب يُترجم أو يُؤلف ينبغي ان يُعرض على لجنة تقييم تشهد بسلامة لغته وصحة ترجمته .

ب - نأتي الآن الى اختيار المترجمين : فهؤلاء طبعا من اساتذة الجامعة ، كل في ميدان تخصصه . والاساتذة منهم قلّة يقدرّون على الترجمة ، واكثرهم لا يقدرّون . أما اولئك الذين يقدرّون على الترجمة فقد اوتوا موهبة عالية، هي القدرة على فهم لغتين فهما صحيحا ، وعلى التعبير بلغتهم على الأتقن تعبيرا صحيحا . مثل هؤلاء قادرّون على ان يكتبوا للمجلات السيارة مقالات يتقاضون عليها مكافآت عالية . فان لم يكن المردود المادي للترجمة مجزيا ، فسيفضّل هؤلاء ان ينصرفوا الى كتابة المقالات ؛ وان هم لم يترجموا فكل ما ندعو اليه مألّسه الفشل . لذلك لا بد من حافز سخّي يحفزهم للترجمة . وأول ما يتبادر الى الذهن اعتبار الترجمة الناجحة مبرا قويا للترقية . انني اقولها بكل ما املك من قوة : مهما بلغ ترحيبنا بالبحوث الجامعية الاصلية ، فان الترجمة الناجحة اكثر منها فائدة وادعى للترحيب . ولذا فاني ادعو الى جعلها مميّزا يستدعي الترقية .

أما الذين لا يقدرّون على الترجمة ، فلا ينبغي أن ندير لهم ظهرنا ؛ ذلك أن الترجمة تتحسن بالممارسة ، ومن لا يتقنونها الآن فقد يتقنونها في المستقبل ؛ ولذا فعلى المسؤولين عن أمر الترجمة أخذ هؤلاء بكثير من الصبر والحكمة والناة،عساهم يغدون بعد حين أحسن حالا . ان من واجبات مكاتب الترجمة أن تساعد على تخريج أجيال ممن يتقنونها .

وبصدد تخريج هذه الاجيال،اقترح بقوة أن يكون من مساقات كل قسم مساق واحد على الاقل يقتضي أن يقوم فيه الطالب بترجمة كتاب ، أو فصل من كتاب ، أو بحث في ميدان تخصصه . ويمكن أن تجمع هذه الترجمات وتنشر . وإذا خُطّط لمثل هذا المساق تخطيطا سليما ، فسيكون ما يُنْذَل فيه من جهد مثمرا أكثر مما نتصور .

وأود أن اشير الى العدو الرابض في المحتل من أرضنا . بمثل هذا الذي اذكره خلقوا لهم لغسة بعد أن لم تكن شيئا مذكورا ، ونقلوا الى هذه اللغة أكثر الفكر العالمي الرصين،وكونوا لهم مكتبات تنافس أغنى المكتبات .

فإذا تصوّرنا نشاطا في ترجمة الكتب العلمية ملء العين ، تنظّمه وتشرف عليه مكاتب متخصصة ، في رحاب مجمع لغوي أو جامعة ، وترجمة أخرى جادة يقوم بها طلاب لاستكمال متطلبات تخرّجهم ، لا يمكن إلا أن يرسم في الصورة سيل من المصطلحات العلمية ، منها المعرّب ومنها المترجم ،ومنها القديم ومنها المستحدث ، ومن هذا المستحدث ما قد يصمد وما قد يذهب كالزبد جفاء ، يرفضه اللسان . ومع هذا السيل الذي يتدفق في كل قطر ، من ذا الذي يضمن ألا نفتح أعيننا إلا وقد وجدنا لكل قطر مصطلحات علمية خاصة به ، تكرّس الانفصال اللغوي مثلما كرّست الاحداثُ الانفصالَ السياسي ؟ !

الذي يضمن ذلك قيام مكاتب الترجمة بتنسيق هذه المصطلحات وجمعها وعرضها في مجموعات على الجامع اللغوية ، كيما تساعد على اقرار ما تراه مناسبة ، وعلى رفض ما لا تراه مناسبة .

وإذا كنا نتردد كثيرا في تقييد المترجمين ، ونطلب أن يمضوا قُدما في ما يروونه مناسباً من تعريب أو ترجمة للمصطلحات المستحدثة ، وإذا كنا ندرك أن مفاهيم بعض المصطلحات يعترها ما يعترى العلوم ذاتها من تطور ، فينبغي ألا نتردد قيد أنملة في اشاعة ما تُقرّه الجامع اللغوية من مصطلحات مستحدثة ، وفي الإلحاح على الالتزام به ريثما يأتي ما هو أحسن منه . ليست الغاية التي نستهدفها قطع الطريق على استحداث المصطلحات ، ولكن الغاية أن نعمل على توحيدها في العالم العربي .

ومكتب التنسيق، الذي يقوم بهذه المهمة خير قيام، ينبغي أن يكون من العلميين المتخصصين الذين يشاركون في الترجمة ذاتها ، ويعرفون عمّا يتحدثون . لذا أرى أن يكون هو نفسه مكتب الترجمة : ينظّم الترجمة ، وينسّق المصطلحات ، ويرفعها الى الجامع .

ج - وبعد الترجمة تأتي الطباعة والنشر .

✓ أما الطباعة فتتولاها المطبعة ، والتكنولوجيا تولي الطباعة اهتماما كبيرا ، فما قد نراه الآن أحدث مطبعة نجده بعد سنتين قد فاته قطار التطور السريع . ومع تطور الطباعة يأتي التفنّن بالتلوين والاخراج وعرض الكتاب على نحو جذاب . ولقد اقمعتني الخبرة العملية والممارسة أن المطابع المحلية تجد أسهل عليها وأقل كلفة أن تلبي الطلبات المتزايدة : من اخراج جذاب ذي ألوان وتجليد ، باللجوء الى مطابع في أثينا أو روما . وهذا أمر مؤسف ، ولكن لعلّ علاجه من شأن المطابع المحلية . علينا أن ندفع بها للحاق بالركب ، وهي عاجلا أو آجلا تستجيب .

ولكن الطباعة غالية التكاليف ؛ انها تبلغ أربعة أضعاف ما تكلفه الترجمة . وإذا كان الكتاب الذي يترجم سيعطى الى عدد كبير من الطلاب ، ضِمْنَا أن تُستردّ تكاليفه في غضون سنتين . ولكن قلّما يتوافر مثل هذا العدد في غير السنة الاولى الجامعية . أما في غيرها

من المستويات فقد يكون استهلاك الكتاب المتخصص بطيئا الى حد لا تتحمله الجامعة ولا المجمع . حتى ولا دعم الدولة يضمن بقاءه طويلا دون هزات مبعثها التغيرات السياسية المحلية .

لهذا ارى ان تتعاون مكاتب الترجمة والتنسيق ، وان يسند بعضها بعضا على نحو يتفق عليه وتوقع بصده اتفاقيات . واود ان اترك تفاصيل هذا الامر الى لجنة العمل التي دعوت الى تكوينها . قد تكون احدى السبل ان تسند الدول العربية الغنية مكاتب الترجمة والتنسيق في الدول الاخرى . ومن السبل التي تتبادر الى ذهني ، والحديث منحصر في الكتب التي تستعملها كليات العلوم ، توزيع اعباء الترجمة على هذه المكاتب ، بحيث يزود كل مكتب المكاتب الاخرى بعدد من النسخ يضمن سرعة التصريف ومواكبة التغير السريع في الكتب .

المطلوب على كل حال ، ان يكون بإمكان كل مكتب ان يقدم ، دون خسارة كبيرة ، على ترجمة كتاب علمي يعرف ان عدد الطلاب الذين يستعملونه لا يزيد عن عشرة في كل عام ، وانسه قد يضطر الى اهماله وترجمة غيره بعد خمسة اعوام . مثل هذا الكتاب لن تكون ترجمته مجدية الا اذا استعمل على نطاق العالم العربي بأسره .

اخُصّص مما تقدّم الى ان مكتب الترجمة الذي في ذهني هو مكتب ترجمة وتعريب ونشر يتبع الجامعة او المجمع ، ويرتبط بالمكاتب الاخرى عن طريق اجتماعات سنوية توزع فيها اعباء الترجمة ، وتحدد التخصصات والارتباطات .

ليس في النية طرد اللغات الاجنبية من كليات العلوم ، بل اني ارى ان قد يكون من الاجدى تعريف بعض الطلاب في بعض التخصصات باكثر من لغة اجنبية واحدة . وانما ابيح لنفسي ان انصرف لمعالجة الوضع في بلد كالاردن ، اللغة الاجنبية فيه هي الانكليزية . والسؤال الآن : كيف نضمن رفع مستواها لدى ابنائنا ، لا خفضه ، في ظل التعريب ؟

وأنسى أنظر في هذا الأمر نظرة واقعية ، توأما النقاط المحددة التالية :

١ - أن طلابنا يأتون الى الجامعة بعد سنوات عدة ظلوا فيها يدرسون اللغة الانكليزية مع موضوعات تعليمية أخرى . فهم ، في ظل هذا النمط التعليمي ، لا يجهلون الانكليزية كلية ، ولكنهم أولا : لم تنح لهم فرصة التحدث بها بالقدر الكافي ، ولا فرصة استعمالها في شؤون الحياة العامة ؛ ثم هم ثانيا : يجهلون الاصطلاحات والتعبيرات العلمية .

٢ - في تقديري أن أي مساق يعطى لهؤلاء الطلاب في اللغة الانكليزية لا يرفع من مستواهم بالقدر الملموس ، سوى مسابقات تنصب على دراستهم والتحدث معهم في موضوعات تخصهم العلمية . هذه المسابقات تعرفهم بالمصطلحات والتركيبات العلمية ، ولكنها ، كالمسابقات التقليدية التي سبق لهم أن درسوها في المرحلة السابقة ، لا تحسن مستوى توظيفهم للغة في شؤون الحياة اليومية .

٣ - أن ما يضمن تحسين مستوى ابنائنا الى حد ملموس باللغة الانكليزية، تحدثا وكتابة، هو ارسالهم للعيش في محيط انكليزي لمدة ثلاثة اشهر الى سنة . ان ابناعنا يذهبون اليوم للتعلم في بلد لا يعرفون من لغته كلمة واحدة ، ثم هم بعد ستة اشهر يصبحون على علم بلغته يمكنهم من حضور المحاضرات والتحدث مع أبناء البلد .

٤ - وغني عن البيان أننا نتمنى أن يحرص جميع ابنائنا على الاستزادة المستمرة من المعرفة ، ولكننا نعلم أن هذه أمنية لا تتحقق الا بقدر محدود .

من هذا كله أخلص الى نتيجة واحدة أجدني مقتنعا بها ، هي أن تعريب التعليم في كليات العلوم ، مع اعطاء مساق تمهيدي باللغة الانكليزية ، يعرف الطالب بأعم المصطلحات العلمية وبعض التعبيرات ؛ ثم مساقين أو أكثر من ميدان تخصصه ، بالانكليزية أيضا ، يراعى

فيهما الإلحاح على استعمال الدوريات والبحوث التي تنشر فيها ،
يخرج لنا طلابا أكثر ممن نخرجهم الآن اتقاننا لموضوعات تخصصهم ،
واقدر أيضا على استعمال المصادر الانكليزية العلمية . فمن شاء
مزيدا من معرفة الانكليزية فليعمش في جوّ يتيح له أن يتعلم المزيد
من الانكليزية تحدثا وكتابة .

ولا ينبغي أن ننسى أننا أوصينا بأن يكون من واجبات كل طالب
في كلية العلوم أن يمارس الترجمة من اللغة الانكليزية ، استكمالا لمتطلبات
تخرجه .

أرجو أن اكون قد وفّقت في طرح بعض المشكلات واقتراح بعض
الحلول .

د. أحمد سعيدان

تعريب العلوم الإنسانية

قضايا ومقترحات

للدكتور محمود إبراهيم

(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

مقدمة :

الاهتمام بالإنسان ، سمة من سمات التراث العربي كله .
فمنذ جاهلية العرب ، كان الإنسان والعلاقات الإنسانية ، محور
ما أنتج من أدب العرب ، وجُلُّه شعر في ذلك الوقت . وحين أتت
دعوة الاسلام ، وتنزل بهذه الدعوة قرآن كريم ، كان الإنسان ، فردا ،
وعضوا في جماعة ، موضع الاهتمام الكبير . وقد كُرم في النصوص
القرآنية ، كما لم يُكرم في أي نص . فلا عجب إذن أن تكون
الحضارة التي وُجدت في ظل الاسلام قد ركزت تركيزا خاصا على
الإنسان ، حتى ليصح القول إن من خصائصها الأولى اهتمامها
بالإنسان ، وإن لم تغفل البيئة التي عاش فيها الإنسان ، والنواحي
الطبيعية التي تحكمها . وما على المرء إلا أن يستعرض النتاج الغزير
لهذه الحضارة ، لكي يرى موضع الإنسان فيه ، والتغافل العميق
في أحاسيس النفس الإنسانية وهواجسها وتطلعاتها .

وهنا ينبغي التنبيه إلى أن شأن الدراسات الإنسانية عند أمة
أمة من الأمم ، غير شأن الدراسات الطبيعية ، لأن الدراسات
الإنسانية مرتبطة بذوات الأمم ، معبرة عن شخصياتها المتميزة ، فسي
حين أن الدراسات الطبيعية غير مرتبطة بذاتية أمة معينة ، اذ هي
نتاج القوانين الطبيعية العامة الشاملة ، التي لا تتغير بتغير المجتمعات
والبيئات ، ولا تتأثر بخصائص الأمم . ولذا فإن قيم الأمم ومثلها وقواعد

اخلاقها ، انما تتراءى فيما يصدر عنها من دراسات انسانية ، قبل
اي نوع آخر من الدراسات . ومعنى ذلك . أن العلوم الانسانية لاية
امة ، ينبغي أن تكون منبثقة عن ذاتها ، معبرة عن شخصيتها ،
والا تعرضت الامة لمخاطر كبيرة ، قد تؤدي في النهاية الى اذابتها
حضاريا في امم اخرى . وليس المقصود من هذا القول ، ان تنفلق
كل امة على نفسها في مجال العلوم الانسانية ، فلا تطلع على ما
لدى الامم الاخرى ، وانما المقصود أن يُكَيَّفَ ما يؤخذ عن الآخرين
مما يُسْتَحْسَنُ وَيُقْتَبَسُ ، حتى يصطبغ بصبغة الامة المقتبسة ، ويندمج
في مُثلها وقيمها ، لكي يكون عنصر إثراء واغناء ، لا عنصر تسلط
وطغيان .

ولقد مرّ العرب بتجربة الاحتكاك بالعلوم الانسانية عنسد
الآخرين ، حينما اختلطوا ، زمن العباسيين ، بشعوب اخرى ذات تراث
حضاري عريق ، فترجموا عن كُتُب الفرس ذات الصبغة الاجتماعية ،
كما ترجموا عن كتب اليونان ذات الصبغة الفلسفية ؛ ولكنهم كانوا
قادرين على أن يستوعبوا ما أخذوه عن الفرس واليونان معا ،
ويصنفوه بالصبغة الاسلامية ، لانهم كانوا في مرحلة ثقة عارمة
بالنفس جعلتهم قادرين على أن يطوّعوا ما يأخذونه عن الآخرين
لعقيدتهم وقيمتهم ، بعد أن طوّعوه للغتهم ، ايمانا منهم اذ ذاك بأنهم
كانوا يدينون بخير عقيدة ، ويتكلمون خير لغة .

ومع ذلك ، فالناظر فيما ترجمه العرب في تلك الحقبة عن
الآخرين في نطاق العلوم الانسانية ، يرى أنه أقل بكثير مما ترجموه
في نطاق العلوم الطبيعية . وذلك أمر طبيعي متوقّع ، لان ما كانوا
يفتقرون اليه من العلوم الطبيعية كان كبيرا ، وهي علوم لا تَمَسُّ ،

كما ذكرنا آنفا ، ذوات الامم وشخصياتها ، بسبب صبغتها الشمولية
العامة ، في حين أن اعتزاز العرب اذ ذاك بما لديهم من قيم انسانية
منبثقة عن عقيدتهم ، كانت تشعرهم أنهم في غنى عما لدى الآخرين ،

وأنهم هم الذين يحملون رسالة انسانية عامة ، من واجبهم ان ينقلوها الى شعوب الارض جميعا .

والذي ينبغي ان نتذكره الآن ، هو انه عندما اتصلنا في العصر الحديث بالعلوم الانسانية الغربية ، لم يكن لدينا ثقة اسلافنا بالنفس ؛ بل على النقيض من ذلك ، كنّا — وما نزال لسوء الحظ — نشعر بتفوّق الآخرين في كل شيء تقريبا ، وبالانسحاق امامهم في كل شيء تقريبا كذلك . ولذا فاننا ونحن نأخذ عنهم علومهم الانسانية ضمن ما نأخذ ، نتمرّض ، اذا لم نحسن التنبّه ، الى مخاطر إحلال قواعد محلّ قواعد ، وقِيَم محلّ قيم ، وبالتالي الى مخاطر اذابة شخصيتنا الحضارية في شخصية حضارية أخرى . وقد تفاقم هذا الخطر في الآونة الاخيرة ، بعد ان كادت حضارة الغرب ، بما توافر لها من امكانيات هائلة ، تطفئ على حضارات الشعوب جميعا ، وبعد ان وُلدت تجربتنا الصعبة مع الصهيونية وحلفائها ، الشعور بالاحباط عند الكثيرين منا ، بكل ما ينبثق عن هذا الشعور من هوانٍ على النفس ، ونقدٍ قاس للذات يبلغ حدّ التهديم .

العلوم الانسانية في الجامعات العربية :

في نطاق الحديث عن تعريب العلوم الانسانية في الجامعات العربية ، قد يقال ان القضية غير قائمة اصلا ، او هي قضية جزئية ، لان العلوم الانسانية : من فلسفة واجتماع وتربية وعلم نفس وعلوم سياسية واقتصادية ، الى غير هذه مما يدخل فيها اصطلاح على تسميته ب « العلوم الانسانية » ، تُدرّس فعلا باللغة العربية في الاغلبية الساحقة من الجامعات العربية ، وبخاصة جامعات المشرق العربي ؛ ولا يشذّ عن ذلك الا عدد محدود من هذه الجامعات ، وبخاصة في المغرب العربي .

وهذا القول ، ولو انه صحيح من الناحية الاحصائية ، الا انه يغفل مجموعة من الامور التي لا بد من توافرها ، لكي يصبح

بوسعنا القول بأن هذه العلوم معربة فعلا . ويمكن ايجاز هذه الامور فيما يلي :

١ - ان اللغة التي تُدرّس بها هذه العلوم في معظم الجامعات العربية ، انما هي خليط من عامية ومفردات أجنبية ، وهي بالتالي ليست اللغة العربية السليمة الموحدة ، التي يفهمها أبناء العرب على اختلاف مواطنهم .

٢ - ان المصطلحات التي تُستعمل في التدريس ليست مصطلحات عربية موحدة ، ذات دلالات واحدة ؛ فهي تختلف من بلد الى آخر ، بل من جامعة الى أخرى ؛ وكثيرا ما تقدم بالفاظها الاجنبية ، حسب لغة البلد الاجنبي الذي تلقى فيه استاذ المادة ثقافته .

٣ - في كثير من الجامعات العربية ، لم تُجر محاولات لربط المصطلح الجديد بمصطلح عربيّ مقابل سَبَق أن استعمله اسلافنا ، واكتسب من خلال استعماله عبر القرون دلالات وايحاءات تاريخية وفكرية ووجدانية لا يمكن أن تتوافر في مفردة جديدة على الاذن العربية .

٤ - وفي كثير من الحالات كذلك ، يجري النقل من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية في العلوم الانسانية ، دون ادراك الناقل للخلفية الحضارية والاجتماعية للمادة المنقولة عن مصدر أوروبي او امريكي ، ولا لدى توافر هذه المادة مع المجتمع العربي ، باوضاعه التاريخية ، والحضارية والاجتماعية الخاصة به . في حين أن الذي يتصدى لنقل مثل هذه المواد ، ينبغي أن يكون على علم باوضاع كلا المجتمعين المعنيين : المجتمع المنقول عنه ، والمجتمع المنقول اليه ، حتى تُقدّم المادة الى الطلبة ، وهم على بصيرة بخلفيتها عند الآخرين ، وبمدى توافرها مع مجتمعهم .

٥ - وقد يحدث أن يكون الناقل - مترجماً كان ام مدرّساً - لا يتعاطف فكريا ووجدانيا مع المجتمع العربي الذي ينتمي اليه ؛ بل قد لا يكون على بينة من تاريخ هذا المجتمع ، وما ارتبط به من نُظُم وقواعد وقيم ، ومن التطورات التي مر بها عبر تاريخه ؛ فكتيرون هم مدرسو العلوم الانسانية الذين كانت جميع دراساتهم التالية للمرحلة الثانوية في جامعات اجنبية لا تُعنى اساسا بالمجتمع العربي ، بل قد لا تدخل ما يرتبط به وبمقومات الحياة فيه في مناهجها ، فيتخرّج الطالب العربي في هذه الجامعات وهو يكاد لا يعرف شيئا عن المجتمع الذي ينتمي اليه اصلا ، في حين انه يعرف بحكم دراسته اشياء كثيرة عن المجتمعات الاخرى : من يونانية ورومانية قديمة ، الى اوروبية واميركية حديثة . وحين يعود الى بلده للعمل في جامعاتها ، لا يدرك ، وهو ينقل علمه الى طلبته ، ان طبيعة المادة التي يدرّسها ليست ذات صبغة عالمية ثابتة ، بل هي قابلة للتكيف والتغير بتغير البيئات الاجتماعية التي تدرّس فيها .

والخطر في مثل هذه الحالة بين ، إذ أن تداخل القيم والقواعد السلوكية والمعيشية ، وتضارب هذه القيم والقواعد أحيانا ، يحدث اضطرابا في النفوس ، وبخاصة في نفوس غضة كنفوس الطلبة ، تكون في دور التطلع الى القيم والمثل والانتماء التي تنبني عليها المواطنة الواحدة في البلد الواحد ، أو الانتماء الواحد في الأمة الواحدة ، كما هي الحال بالنسبة الى طلبة العرب ، وأمة العرب .

التعريب في صورته الصحيحة :

أي نوع من تعريب العلوم الانسانية نريد اذن ، اذا اردناه تعريبا سليما بريئا من الثغرات والمحذورات المذكورة آنفا ؟ ان طبيعة هذه الثغرات والمحذورات كما اوضحت آنفا ، هي ، الى حد كبير ، مؤشر الى طبيعة التعريب الذي نريده للعلوم الانسانية التي

تُدْرَس في الجامعات العربية ؛ ولكن التعريب الذي نريده لهذه العلوم في نطاق الجامعة ، ينبغي أن يتناول كذلك أمورا أخرى ؛ فليس التعريب بمقتصر على أن تكون لغة التدريس هي اللغة العربية السليمة ، بل لا بد كذلك من أن تُجرى بحوث علمية في نطاق هذه العلوم باللغة العربية ، حتى يدرك المشتغلون بهذه العلوم على جميع المستويات ، أن اللغة العربية يمكن أن تكون لغة البحث العلمي في هذا الميدان ، شأنها في ذلك شأن أية لغة أجنبية تُنشر بها بحوث في العلوم الانسانية في الدوريات العلمية . والذي يُنشر بحثا في العلوم الانسانية باللغة العربية في مجلة علمية ، لن يصعب عليه أن يؤلف كتابا في هذه العلوم باللغة العربية ، لكي يُشعر الطالب والقارئ العربي من أي نوع أنه قادر على أن يجد المرجع الذي يقرأ فيه في هذه العلوم بلغته ، مثلما أنه قادر على أن يستمع الى من يتحدث في هذه العلوم باللغة العربية ، وحتى تصبح مفردات هذه العلوم ومصطلحاتها في متناول القارئ العربي أينما كان ، فتشيع على اللسنة ، ولا تنحصر بسين مدرّس وطالب في قاعة محاضرات داخل أسوار الجامعة .

المدرس :

كثيرا ما يقال ان تعريب التعليم الجامعي ، في جميع المواد لا في مواد دون أخرى ، هو أمنية جميلة ، ولكنه صعب التحقيق ، لان المدرس الجامعي غير قادر على أن يدرّس مادته لطلبته باللغة العربية ، بعد أن تلقى هو هذه المادة بغير اللغة العربية . والمدرس كان وما يزال ، أهمّ عنصر في العملية التعليمية ؛ وإذا لم يكن هو مُعدّاً لان يُدرّس باللغة العربية ، فلا يمكن لشيء آخر أن يجعل التعليم بهذه اللغة ممكنا .

وهذا القول بعبء المدرس عن التدريس باللغة العربية ، لا يثبت كثيرا للتحصيل الدقيق ، كما يتبين مما يلي :

١ - اذا افترضنا أولا ان المدرس المعني لا يعرف العربية اطلاقا ،
لانّه اجنبي، فان ذلك لا يكون مشكلة حقيقية ، لان عدد مدرسي
العلوم الانسانية من الاجانب في البلاد العربية قد تضاعف
الآن الى حد بعيد ، حتى غدت جامعات عربية كثيرة ،
ليس فيها اجنبي واحد يدرس هذه العلوم (باستثناء مدرسي
اللغات الاجنبية طبعاً) . وهذا العدد القليل جدا من المدرسين
الاجانب تُحَلَّ مشكلته بان يستبدل به مدرسون عرب ،
وان استُبقِيَ بعض من الاجانب لتفوّق في مادة تخصصه ، فلا
باس من ان يدرّس جزءا من المنهاج في اطار مادته باللغة
الاجنبية ، لابقاء الطلبة على صلة بالمصطلح الاجنبي والمراجع
الاجنبية . بل ان من المفيد ، حتى في حالة عدم وجود مدرّس
اجنبي في قسم من اقسام العلوم الانسانية في جامعة عربية ،
ان يُعطى للغرض عينه بعض محاضرات بلغة اجنبية يلقاها
مدرّس عربي . وقد مررنا في قسم اللغة العربية بالجامعة
الاردنية بمثل هذه التجربة حين حاضر بعض المدرسين العرب
في القسم باللغة الانجليزية ، في مباداة النصوص الاستشرافية
المكتوبة بتلك اللغة .

٢ - اما بالنسبة الى المدرسين العرب ، فان التدريس بلغة غير
العربية في مادة العلوم الانسانية ، اصبح لا يتسق مع واقع هؤلاء
المدرسين بحكم مصادر ثقافتهم ، فقد ذهب الزمن الذي كانت
الانجليزية او الفرنسية فيه اللغتين الاجنبيتين الوحيدتين اللتين
يتعلم بهما الانسان العربي في الخارج ؛ اذ اصبح هذا الانسان
يدرس في عدد كبير من اقطار العالم بلغات تختلف باختلاف القطر
الذي يدرس فيه ، مما يجعل تدريس الطلبة العرب بلغة البلد
الذي درس فيه المدرس امرا غير عملي ؛ ولم يبق والحالة هذه
الا ان يجرى التدريس باللغة المشتركة الوحيدة بين المدرس
وطلبته العرب ، وهي اللغة العربية .

وهنا نعود الى الدعوة القائلة بعدم قدرة المدرس الجامعي على أن يدرس باللغة العربية ؛ ويردّ على ذلك ما يلي :

١ - لا يمكن الادعاء بأن انسانا نشأ في مجتمع عربي ، ودرس مدة اثني عشر عاما على الاقل خلال مرحلة التعليم العام باللغة العربية (هذا اذا لم يدرس بعد ذلك في اية جامعة عربية) يمكن أن يكون أعجميا غير قادر على الابانة ، لجرد أنه قضى بضع سنوات من عمره في بلد اجنبي . وحتى ان تُعثر هذا المدرس في بداية تدريسه بلغته القومية ، فان الممارسة والمران كفيلا بأن يزيلا هذا التثرّ تدريجيا ، الى حين التخلص منه نهائيا . وغير خافٍ ما ينبني على التعليم باللغة القومية من آثار ايجابية على المتعلمين ، لتفاعلهم مع الامكار المتقدمة بلغتهم القومية أضعاف تفاعلهم مع افكار تقدّم اليهم بلغة اجنبية .

٢ - وحتى نساعد مدرّسي هذه العلوم على الاداء عن انفسهم ببسر ودقة في اللغة العربية ، يُقترح ما يلي :

١ - استحثاث هؤلاء المدرسين على مطالعة الكتب المكتوبة بالعربية ذات العلاقة بتخصصهم ، ولا سيما كتب التراث العربي ، التي تقدّم نقارئها افكارا ومادة لغوية ذات علاقة بالعلوم الانسانية ، بما في ذلك المصطلح الفني العربي ، الذي يمكن اقتباسه والاستفادة منه . ومع كتب التراث القديمة ، يمكن للمدرس ، بالطبع ، أن يستفيد كذلك من الكتابات العربية الحديثة المرتبطة بالعلوم الانسانية .

ب - اتاحة الفرصة لبرنامج تبادل بين مدرّسي هذه المواد في الجامعات العربية ، حتى يتاح للمدرسين حديثي العهد باستعمال اللغة العربية في التدريس ، ان يشهدوا تدريس هذه المواد في الجامعات العربية التي تدرّست بتدريسها

باللغة العربية ، وان يشاركوا هم في عملية التدريس بالعربية ؛ ولكي يتاح كذلك لطلبة الجامعات العربية حديثة العهد باستعمال العربية في التدريس ، ولمدّرسهم ، فرصة الاستماع الى مدرّسين زائرين أَلَفُوا التدريس بالعربية ، وهم يحاضرون بهذه اللغة .

ج - تنظيم دراسات للتقوية في اللغة العربية تُعَدّ خُصِيصاً لمدرّسي العلوم الانسانية ، وَيُعْتَمَدُ فيها على نصوص مختارة من مواد تلك العلوم ، ما بين قديمة وحديثة ، فتكون هي المحور الذي يُنطَلَقُ منه في عملية التقوية ، وذلك بغرض اكتساب المهارات اللغوية ، بما في ذلك التعبير غير المتعَرَّ مشافهةً وكتابةً بالعربية ، ومن أجل الالفة بالنص العربي المرتبط بالعلوم الانسانية . وقد يدخل في هذه الدراسات كذلك أعمال ترجمة من اللغة العربية واليها في نطاق تلك العلوم ، وكتابة تقارير وبحوث قصيرة فيها باللغة العربية .

د - وقد يكون مما يفيد ، حيثما توافرت الامكانيات ، أن يحضر هؤلاء المدرسون بعض المحاضرات في كليات التربية الموجودة في جامعاتهم ، للاستماع الى أساليب تدريس العلوم الانسانية التي تقع ضمن اختصاصاتهم ؛ اذ ان ثمة الكثير من العناصر المشتركة في عملية تدريس مواد معينة ، حتى في مستويات تعليمية مختلفة ، ولا سيما ونحن نركز هنا على اللغة التي يجري بها التدريس .

/ المصطلح :

ومن اوائل القضايا التي يوردها المتخوفون من تعريب التعليم الجامعي بشكل عام ، قضية المصطلح ، انطلاقاً من فكرة صحيحة ،

مؤداها أن المجتمع الذي ينتج المادة العلمية ، ينتج معها مصطلحاتها . وبما أن مجتمعنا ما يزال عالمة على الانتاج العلمي الغربي ، الذي يتسارع في عصرنا هذا بصورة لم يسبق لها مثيل ، فإنه سيواجه هذه المصطلحات الاجنبية الكثيرة التي تتسارع مع تسارع الانتاج العلمي . واذا امكن لشعوب لم تمرّ لغاتها بالتجربة الحضارية التي مرت بها الأمة العربية ، أن تتجاوز هذه الصعوبة ، فتدرّس وتكتب وتؤلف في العلوم الحديثة كلها بلغاتها ، فإن بإمكاننا أن نتجاوز هذه الصعوبة كذلك إذا ما قررنا نحن مواجهتها ، وخططنا لإيجاد حل لها ، على أساس العمل الجماعي المنظم .

وأول ما ينبغي فعله في هذا السبيل ، التخلص نهائيا من موقف الكثيرين من اللغة العربية واللغات الاجنبية ، وهو موقف الإعجاب والاكبار للغات الاجنبية ، واعتبارها لغات العلم والمعرفة والحضارة القادرة على مواكبة الحياة الحديثة ؛ وموقف الاستضعاف لشأن اللغة العربية ، واعتبارها لغة الماضي ، أو على أكثر تقدير ، لغة الشعور والعواطف والادب ، لا لغة العلم والمعرفة ، المنبثقين عن الحياة المعاصرة .

وحين نتخلص من هذه العقدة ، يمكن أن نسير في حل مشكلة المصطلح في العلوم الانسانية على ضوء مجموعة من الحقائق ، نلخصها فيما يلي :

١ - ان المصطلحات المستجدة الخاصة بالعلوم الانسانية هي ، في الواقع ، أقل بكثير من نظيراتها الخاصة بالعلوم الطبيعية والتطبيقية .

٢ - ان تراثنا العربي ، بدءاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، ومرورا بمؤلفات ادباء العربية وكتّابها الكبار عبر القرون ، حافلة بالمصطلحات المتعلقة بالعلوم الانسانية ؛ وهذه المصطلحات ،

حين تفرغ وتنظم في جداول حسب موضوعاتها ، كقيلة بان تُسدّ
الدارس بالكثير مما يحتاج اليه من الالفاظ التي يتلمّسها للدلالة
على معان جديدة عليه . وفضل هذه الالفاظ على غيرها ،
انها قد اكتسبت عبر تاريخ استعمالها في البيئة العربية ،
دلالات وايحاءات لا يمكن ان تكون لالفاظ اخرى ، فضلا عن
انها استُخدمت في ظل حضارة وقيم عربية ، وطرائق عربية
في الحياة .

٣ / - واذا عرّ اللفظ العربي لمصطلح اجنبي جديد ، فمن الافضل
ان يُنظر في تلمّس المصطلح العربي المقابل الى وظيفة المصطلح
الجديد ، او الى مدلوله الفعلي في لفته . ولقد مررنا في مجمع
اللسة العربية الاردني بهذه التجربة ، في مصطلحات تُمّت
الى ميادين علم مختلفة ؛ وكنا نسترشد بوظيفة المصطلح
الاجنبي ، ولا سيما اذا لم يسعفنا البناء اللغوي للمصطلح ،
فنجسد في ذلك عوننا لنا في تقديم المقابل العربي . وقد يشدّب
لفظ المصطلح ، وقد يؤخذ جملة كما هو ان كانت له صيغة
عالية لا تحصره في نطاق لفظة دون اخرى .

٤ - ولكي يمكن امداد المترجم او المدرس بذخيرة من المصطلحات
في مادة تخصّصه ، تُلتُمس هذه المصطلحات في المعجمات الاجنبية
المتخصّصة ، ومن ثم تُلتُمس لها المقابلات العربية .

٥ - واذا كان الامر يستدعي في البداية ان يُضمّ مصطلحات كل
فرع من فروع العلوم الانسانية كراس خاص بها ، فان
الهدف النهائي ينبغي ان يكون وضع معجم كبير لمصطلحات
العلوم الانسانية ، يكون عوننا للدارس والمدرس على السواء ،
ويضمّ بين دفتيه المصطلحات المأخوذة من تراثنا ، اضافة الى
المصطلحات المستجدة . وقد يكون من الخير ان يحتوي هذا
المعجم على الفاظ مقابلة بلغة اجنبية واحدة على الاقل ، لما في

ذلك من عون للباحثين والمترجمين في اطار هذه العلوم . وهذا المعجم كاي معجم آخر ، يكون قابلا للتفتيح والزيادة ، في فترات زمنية متتق عليها .

٦ - وغني عن البيان ، ان جهودا كهذه لا يمكن ان تكون فردية ، وذلك بسبب ضخامتها وعجز الافراد عن القيام بها ، ولاننا نتطلع الى ايجاد المصطلح العربي الشامل ، لا المصطلح الخاص ببلد دون آخر . وكثير من المشكلات التي نواجهها في تعريب العلوم الانسانية ، انما كانت نتيجة انبثاق المصطلح من جهد فردي او اقليمي ، دونما تنسيق بين الجهود على نطاق الوطن العربي كله .

٧ - ولتوحيد المصطلح على نطاق العالم العربي ، ولا مكان القيام بالجهودات الكبيرة التي تتطلبها عملية التوحيد ، ثم عملية الطباعة والنشر ، يمكن السير في خطوات لم تُعد مجهولة لمن شاركوا في اعمال التعريب ، والهيئات التي تنظمها وتشرف عليها في العالم العربي ؛ وهي كما يلي :

١ - تقوم الهيئة المحلية في بلد عربي بمجهود على مستوى ذلك البلد ، في عملية تعريب المصطلحات . وهذه الهيئة ، غالبا ما تكون مجعما للغة العربية ، إن وجد ، او جامعة ، او اية مؤسسة معنية باعمال التعريب ، مثل لجان التعريب والترجمة والنشر الوطنية .

ب - تُرسل حصيلة هذا المجهود الى اتحاد المجامع العربية ، ومكتب تنسيق التعريب في الرياض ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ج - تُضم هذه الحصيلة الى نظائرها في كراس يُخصص لكل مادة ، وتتقدم الكراسات المختلفة الى مؤتمر التعريب

العلم الذي ينعقد مرة كل ثلاث سنوات ، وتناقش
مقترحات البلاد العربية المختلفة من خلال لجان تنبثق
من المؤتمر ، وتختص كل منها بمادة من المواد .

د - يُمثل ما اتفقت عليه هذه اللجان تَبْنِيًا على مستوى
العالم العربي لمصطلحات معينة . واذ تطبع هذه
المصطلحات وتوزع ، فإن كل بلد عربي ، في جامعاته
ومؤسساته المختلفة ، يكون ملتزما أدبيا بالاخذ بها
واستعمالها .

هـ - وحين تتكامل هذه المصطلحات ، وتشمل مراحل التعليم
المختلفة ، ينبغي أن تُجمع في معجم فني يضمها جميعا .

ولا بدّ هنا من التنويه بالجهد الذي يبذله مكتب تنسيق التعريب،
في الرباط ، في جمع المصطلحات المرتبطة بميادين معرفة مختلفة
وتنسيقها ، وإخراجها في كراسات ، فضلا عن نشره طائفة كبيرة من
هذه المصطلحات في (اللسان العربي) ، المجلة التي تصدر عن المكتب .
وحبذا لو كانت الاستفادة من هذه الكراسات والمجلة على نطاق
أعمق وأوسع في البلاد العربية ، إذ أن الكثيرين ، حتى من المختصين ،
لم يستفيدوا ، أو لم تتح لهم فرصة الاستفادة ، من محتوياتها .

ومما يرتبط بموضوع المصطلحات في الدراسات الانسانية ، أن
يتفق على أن توضع في نهاية كل كتاب يُترجم الى العربية من لغة
أجنبية ، قائمة بالمصطلحات التي وردت في الكتاب ، مع مقابلاتها
العربية التي استعملت في الترجمة ؛ لأن في ذلك فائدة لقارئ الكتاب ،
ولأن حصيلة هذه القوائم ستكون من الروافد التي ترفد عملية
التعريب المستمرة .

المنهاج :

قد يبدو الحديث عن المنهاج في موضوع تعريب العلوم الانسانية امرًا خارجًا عن الموضوع ؛ ولكن اذا فهمنا تعريب هذه العلوم بالمعنى الواسع ، الذي يتجاوز مفهوم الترجمة ونقل المفردة الاجنبية الى العربية ، فان منهاج هذه العلوم يدخل مباشرة في موضوع التعريب ، لان تعريب العلوم الانسانية ، ينبغي ان يُفهم منه كذلك ارتباط هذه العلوم بمسواد دراسية تتصل بالمجتمع العربي في حاضره وماضيه ومستقبله على السواء . ونحن اذا استعرضنا مناهج التربية وعلم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد ، على سبيل المثال ، فاننا قلّمًا نجد في هذه المناهج مادة كافية عن مبادئ التربية العربية الاسلامية، او اشكال تطبيقها ، او عن النظرية الاجتماعية الاسلامية ، وما أنجز في هذا الميدان من دراسات ، او عن الاقتصاد الاسلامي كما يمكن استخلاصه من النظرية والتطبيق .

ثم ان هذه المناهج ، قلّ ان تُركّز على المجتمع العربي الحديث ، في دراسة اوضاعه الراهنة ، واستقصاء حاجاته ، وتلمّس الحلول لمشكلاته . فالدراسات الانسانية ليست مجرد دراسات نظرية ، بل هي ، في الدرجة الاولى ، دراسة لمجموعة الناس التي ينتمي اليها الطالب ، او هكذا ينبغي ان تكون . وهي بالتالي ينبغي ان تكون في الجامعات العربية دراسة للمجتمع العربي في حاضره وماضيه ، قبل ان تكون دراسة لمجتمعات اخرى . وتعريب هذه العلوم ينبغي ان يُفهم منه ، ضمن ما يُفهم ، توجيهها لخدمة الانسان العربي والمجتمع العربي ، من اجل صياغة الفكر العربي، والاتجاهات والمواقف العربية ؛ لأنّ هذه العلوم ، دون غيرها ، هي التي تحدد هويات الأمم ، وهي التي تُعرّف ابناءها بماهية المجموعة الانسانية التي ينتسبون اليها : بتراثها الماضي ، ووضعها الحاضر ، وتطلعاتها نحو المستقبل .

واذ ندعو الى ان تعالج في مناهج العلوم الانسانية قضايا الانسان والمجتمع العربيين ، لكي لا تكون هذه المناهج نُسخاً عن مناهج وُضعت لمجتمعات غير مجتمعنا ، فاننا لا نقول بالانقطاع عن العالم الخارجي ، وما تَوَصَّل اليه هذا العالم من افكار ونظريات تتعلق بهذه العلوم ، ومن تجارب في نطاق مادتها ؛ غير ان ذلك ينبغي تناوله بالقدر الذي يمكن الاستفادة منه في مجتمعنا وبيئتنا ، حتى لا يَشْمُر طالب التربية، مثلاً ، انه يعالج امور التربية في أمريكا ، ولكي لا يشمر طالب الاقتصاد ان قضايا السوق الاوروبية المشتركة ، مثلاً ، تطفى على القضايا الاقتصادية التي يواجهها العالم العربي ، والبلد الذي يعيش فيه .

ولما كان مدرِّس المادة في الجامعة هو الذي يضع ، في المعتاد ، منهاج مادته ، فانه مدعو الى ان تكون هذه المادة عربية الاهتمامات بالدرجة الاولى ، مع ضرورة الالمام بأية نظريات او تجارب علمية نافعة يستفاد منها جميعا ، باعتبارها أدوات مساعدة يستخدمها الباحث للوصول الى الحقائق .

الترجمة :

عملية التعريب في العلوم الانسانية ، كما في اي نوع من علوم العصر ، تقتضي ترجمة كتب اجنبية كثيرة الى اللغة العربية .

وتلك بديهية من البديهيات ، لا تحتاج الى تبرير او تعليل . ولكن يبقى ان نتساءل عن نوعية الكتب التي تُترجم ، والكيفية التي تُجري بها الترجمة ، لانه لا يمكن ان يُترك امر ترجمة الكتب الى الافراد وحدهم ، لكي يختاروا ما يشاؤون منها ويترجموه كما يشاؤون .

ولعمل النقاط التالية ، تمثل ايجازا لمجموعة من التصورات في هذا الشأن :

أ - تتكوّن بإشراف اتحاد الجامعات العربية لجان ، يُختصّ كلّ واحدة منها بواحد من العلوم الانسانية ، وتضمّ أعضاء هيئات تدريس مختصين من جامعات عربية مختلفة ، لاختيار أهمّ الكتب في الموضوع المعنّي ، من أجل نقلها الى العربية .

ب - يوكل الى كل بلد عربي ، من خلال جامعاته الممثّلة في الاتحاد ، ترجمة كتب معينة من تلك التي اختارتها اللجان المختصة ، حسب امكانيات البلد البشرية والمالية ، واللفة الاجنبية الشائنة فيه .

ج - تتعاون الجامعات العربية في كل بلد عربي مع مجامع اللغة العربية حينما وجدت ، ومع ايسة حياة او افراد يمكن ان يسهموا في عملية الترجمة ، وتضطلع هذه الجامعات بنفقات الترجمة والطباعة .

د - تستفيد الجامعات العربية جميعها من الكتب المترجمة ، بأن تقتني منها في مكباتها ، وبأن تتيح لمن يشاء من طلبتها الحصول عليها .

هـ - تجتمع هذه اللجان اجتماعات دورية ، كل ثلاث سنوات على الاقل ، من أجل اقتراح كتب جديدة للترجمة .

و - يوصى بان يكون مثل هذه الترجمات ، حين يضطلع بها أعضاء هيئات التدريس ، سبيلا الى الترقية في المراتب الاكاديمية .

ز - لتسهيل عملية الطباعة والنشر ، قد يكون من المفيد أن تنشأ في كل جامعة عربية، كما هي الحال في الجامعة الاردنية ، دار للنشر ، تتولى الاتفاق على الترجمة والطباعة ، وتقوم بعملية النشر .

ح - أَيْما ترجمة لكتاب في جامعة عربية ، يُعَمُّ خبرها على جميع الجامعات ، ومجامع اللغة العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط ، احترازا من ازدواج الجهد والنفقات .

ويجسر القول هنا إِنَّ لمجمع اللغة العربية الاردني تجربة متواضعة ناجحة في ترجمة الكتب العلمية ، اذ اختار المجمع ، بمعرفة المختصين في كلية العلوم في الجامعة الاردنية ، مجموعة من الكتب التي تُدرّس للسنة الاولى في اقسام الكلية المختلفة ، وكلّف مجموعة من اساتذة الجامعة الاردنية وجامعة اليزموك ترجمتها . وقد سار العمل في الترجمة سيرا مرضيا ، وستكون الترجمات العربية جميعها في متناول ايدي الطلاب ، باذن الله ، قبل نهاية عام ١٩٧٩/٨٠ ، مع قوائم في نهاية كل كتاب مترجم ، تضم المصطلحات الواردة في الكتاب ، مع مقابلاتها العربية . وقد أحيطت الجامعات العربية ومجامع اللغة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم علما بذلك . والمتوقع ألا تقتصر الاستفادة من هذه الكتب على جامعتي الاردن ، بل ستكون عامة في الجامعات العربية كلها . فاذا استطاع المجمع الاردني ، بإمكانياته المتواضعة ، أن يشرف على هذه الترجمات وينفّذها ، فان الامكانيات المتضامنة للجامعات العربية ، كقيلة بأن تنتج اضعاف ما انتجه هذا المجمع . والامل وطيد في أن تساعد هذه الكتب المترجمة على البدء في اقرب وقت ممكن ، بالتدريس باللغة العربية في كلية العلوم في الجامعة الاردنية .

وبما ان تتبّع المستجدّ في علوم العصر عامة انما يُلتَمَس عادةً فيما تنشره الدوريات العلمية ، فانّ من المفيد جدا أن تحيا توصية كانت قد اتُّخِذت في حلقة الترجمة التي انعقدت في الكويت عام ١٩٧٣ ، ومؤداها ان تُصدّر عن المنظّمة مجلّة علمية ، تُنشر فيها ترجمات البحوث التي تُتَخَرَّج لأهميتها ، ومثل هذه المجلة ، ان وُجدت ، يشارك في الكتابة فيها الاساتذة المختصون في أيما جامعة من الجامعات العربية .

وقد يقبى اتحاد الجامعات العربية نشر هذه المجلة ، وتُخَرِّم موضوعاتها ، وتوزيع مادتها الاصلية على الجامعات العربية للقيام بترجمتها . ومثل هذا المشروع لو خرج الى حيز التنفيذ ، فانه سيكون ذا فائدة مزدوجة ، لانه يصل المختصين بالجديد من البحوث في ميادين اختصاصهم ، ويهيئ لهم الفرصة لنقل المسادة المكتوبة بلغة اجنبية الى اللغة العربية ، بما يحمله هذا النقل من استعمال للغة العربية في التعبير عن هذه العلوم في احدث اوضاعها ومعطياتها ، ومن تعريب للمصطلحات التي تُرَدُّ في بحوثها . وهنا يجدر ايضا ان تُتَبَّع كل ترجمة لبحث من البحوث بقائمة تضم ما ورد فيه من مفردات اصطلاحية ، تُكْتَب بكتبا اللغتين : العربية والاجنبية .

التأليف والنشر :

ايما حديث عن التعريب لا بد ان يُذَكَّر فيه ، في معرض تعداد الصعوبات ، قلّة المراجع باللغة العربية . وهذا التهيّب من التعريب، والتحدّث عن الصعوبات التي تكتنفه، سيبقيان على الالسنّة الى ان يدخُل المسؤولون عن التعريب فعلاً في التجربة ؛ فمثل هذا التهيّب كان قائما في السودان بالنسبة الى تعريب التعليم الثانوي ، قبل ان يصبح هذا التعريب حقيقة واقعة ؛ وهو ما يزال قائما بالنسبة الى بعض مراحل التعليم العام في بعض من اقطار المغرب الشقيقة . والواقع انه بالنسبة الى العلوم الانسانية ، تُمثّل المراجع مشكلة اخف بكثير من مشكلة المراجع في العلوم الطبيعية ، لان ما اُلّف بالعربية في هذه العلوم ، اكبر بكثير مما اُلّف بها في العلوم الطبيعية . ولكننا نبقى مع ذلك بحاجة الى مزيد من المؤلفات من نمط معين ، هو النمط الاكاديمي الذي يحل سمة البحث العلمي .

وحسين يوضع اساتذة الجامعات العربية امام مسؤولياتهم تجاه طلبتهم ، بعد التعريب العام الشمولي للعلوم الانسانية ، فانهم لا بد ان يؤلفوا ويترجموا لكي يؤمّنوا لطلبتهم المراجع التي لا بد منها ، لان تعريبا بالمعنى الصحيح ، ينبني عليه الاتقي الكتب الاجنبية

باحتياجات الطلبة العرب ، حتى لو كان الطلبة قادرين ، من الناحية اللغوية ، على استيعاب المادة المكتوبة باللغة الاجنبية . وهنا اود ان اتحدث عن تجربة عملية في الجامعة الاردنية ، قُدِّر لكتاب هذه السطور الاطلاع عليها عن كتب ، حين كان يشغل منصب عميد البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة المذكورة . هذه التجربة ، تمثّلت في اناحة الفرصة لاساتذة الجامعة لأن يقدّموا بحوثا اصيلة الى مجلة علمية تصدر عن العمادة تحت اسم (دراسات) ، يُعْتَبَر النشر فيها من سبل الارتقاء في المراتب الاكاديمية . وأُشْتُرَط فيما يُقَدَّم للنشر فيها في اطار العلوم الانسانية ، أن يكون باللغة العربية دون غيرها ؛ كما تمثّلت في اناحة الفرصة لاعضاء هيئة التدريس لان يتقدموا بمؤلفات لهم تدعمها العمادة ماديا ، في اطار ميزانية دعم البحوث العلمية .

وقد يصل الدعم ، بالنسبة الى الكتب المتميزة ، الى حدّ تغطية كَلْبَةٍ للنفقات ، بالاضافة الى نشر الكتاب ، ومكافاة مجزية للمؤلف ، وذلك في اطار دار النشر التي أنشئت في العمادة ، ورُصِدَتْ لها ميزانية خاصة . وغنّي عن البيان أن المؤلفات التي تدعمها العمادة ، تكون هي الاخرى من سبل الارتقاء في المراتب الاكاديمية في الجامعة .

ومعنى ذلك انه عندما يواجه استاذ علم من العلوم الانسانية حاجته وحاجة طلبته الى المراجع العلمية ، في ظلّ مناهج يخططها هو لتسدّ احتياجات المجتمع الذي يعيش فيه ، ولا تكفي فيها المراجع الاجنبية والمراجع العربية المطبوعة ، وحين يجد هذا الاستاذ ان مؤلفاته تحظى بسبيل الدعم المالي والنشر ، وتتهيء له اسباب الترقية في جامعته ، فان كل هذه ستكون عوامل تدفع به الى ان يكتب بحوثا اصيلة ، او يُعيدّ ترجحات لنشرها في مجلة ذات قيمة علمية تصدر عن جامعته ، والى ان يؤلف كتابا في مادة اختصاصه وهو مطمئن الى توافر كل ما يحتاجه الكتاب الجيد من متطلبات ، قد يعجز الفرد عن تأمينها . والواقع أن المجلة التي تصدر عن عمادة البحث العلمي

والدراسات العليا في الجامعة الاردنية ، لم تكن تقتصر فيما تنشره على انتاج العاملين في الجامعة ، اذ كانت وما تزال تنشر المادة الصالحة من حيثها وردت ، بعد ان يُقَوِّمها المختصون .

ذكرت هذه التجربة في الجامعة الاردنية ، لأقول إنها تجربة قابلة لان تعمم في كل جامعة عربية ، لانها سبيل عملي للحفز على كتابة البحوث وتاليف المؤلفات في كل جامعة . وجدير بالذكر ان ما كان يصدر عن العمادة من مجلات وكتب ، كان يجد سبيله الى الجامعات العربية عن طريق الاهداء والتبادل .

ولا شك ان تعميم التجربة على الجامعات العربية كلها سيعني اثراءً لمكتبات هذه الجامعات ، وتأميناً للمراجع المطلوبة ، او لعدد كبير منها على الاقل .

الطالب :

من المسلمات ، ان الطالب العربي يفضل ان تكون دراسته في العلوم الانسانية ، واية علوم أخرى ، بلغته العربية ، لان ذلك يكفيه جهداً ووقتاً يُبْذَلان في تقصي معاني المفردات والتركيبات اللغوية الاجنبية.

ولذا فاننا لا نحتاج الى ان ندفع الطالب العربي الى قناعة باستعمال اللغة العربية فيما يتعلم في الجامعة . بقي ان نطمس الدور الذي يمكن لهذا الطالب ان يضطلع به في عملية التعريب ؛ ولا سيما ان الطالب الجامعي الآن أصبح له دور ايجابي في العملية التعليمية ، مثلما ان له دوراً في العملية التعليمية ، ولم يعد مجرد مُتلقٍ للمعارف عن اساتذته . وفي نطاق المشاركة والتعاون مع اسناد الجامعة ، يمكن للطالب الجامعي ان يسهم في تعريب العلوم الانسانية على النحو التالي :

١ — قد يعمل بتوجيه من اساتذته على استقصاء الكتب العربية في العلوم الانسانية ، سواء اكانت كتباً تراثية ، أم كتباً حديثة ،

مع تعريف موجز بها ؛ وذلك بالاستعانة بمكتبة الجامعة ، أو
بأيما مكتبة قد تتوافر فيها هذه الكتب .

ب - وقد يقوم الطالب الجامعي بالإسهام في استقصاء المفردات ذات
الدلالة الاصطلاحية في كتب التراث العربي الخاصة بالعلوم
الإنسانية ، ثم ترتيب هذه المصطلحات والتعريف بدلالاتها .

ج - وقد يقوم الطالب ، من ناحية أخرى ، بالمساعدة في رصد المصطلحات
الاجنبية في هذه العلوم ، بتجريبها من كتب انجليزية أو فرنسية ،
حسب اللغة الاجنبية المستعملة في جامعتهم .

د - وقد يكلف ترجمة فصل أو فصول من كتاب أجنبي ، ليتبرّس
بالأسلوب العربي والاجنبى في هذه العلوم ، ويألف مصطلحاته
في غيرما لغة واحدة .

هـ - ويمكن أن يقوم خلال العام الدراسي بكتابة بحوث باللغة
العربية ، يستعين في كتابتها بمصادر عربية واجنبية ، ثم يناقش
هذه البحوث مع زملائه تحت اشراف أستاذه في قاعة المحاضرة ،
لكي يتدرّب هو وزملاؤه على معالجة موضوعات هذه العلوم
مشافهة ، مثلما يتدربون على معالجتها كتابية .

و - وفي نطاق الدراسات العليا التالية للشهادة الجامعية الاولى ،
يوجّه الطلبة لكتابة رسائلهم العلمية باللغة العربية - كما
يجري الآن فعلا في معظم الجامعات العربية - ويُحرّص على أن
يهتموا ، في مادة رسائلهم هذه بصورة خاصة ، بالمجتمع العربي
في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وأن يبرزوا ما أمكن النظرية
الاسلامية فيما يتعلق بالقضايا المثارة ، وكذلك المعطيات التاريخية
للحضارة الاسلامية ، بشأن ما يعالجه في دراساتهم ؛ مع
الاستفادة الكاملة من أية نظريات أو دراسات أو ممارسات
موجودة في أي مجتمع من المجتمعات العالمية .

وقد يكون من المناسب ، أن استفيد من ملاحظة وردت في ورقة قُدِّمها الدكتور سيد حامد حريز الى المؤتمر التاسع لاتحاد المعلمين العرب في شباط ١٩٧٦ ؛ ومفاد هذه الملاحظة ، انه ينبغي الا نرى العالم من حولنا ، او نرى انفسنا بعيون انجليزية او فرنسية . وهنا قد نحتاج الى التذكير بأن اللغة ليست وسيلة تواصل واتصال فقط ، وانما هي كذلك طريقة احساس وتفكير .

ز - وفي البلاد التي ما يزال التعليم في المرحلة الثانوية فيها باللغة الاجنبية ، لا بد من التنبيه الى ضرورة تعريب التعليم الثانوي قبل أن ينتقل الطالب في تلك البلاد الى المرحلة الجامعية ، لان من المخالف لطبائع الاشياء أن نستعين بالطالب الجامعي الجديد في عملية التعريب ، وهو نفسه ما يزال لم يُعَرَّب بعد في ثقافته .

القرارات والتشريعات :

من الممكن أن يتجادل القائلون على التعليم الجامعي مدّة نصف قرن حول تعريب هذا التعليم ، وأن ينقسموا بين محبّذ ومعارض ، دون أن يُعَدِّم أي من الفريقين حججا يقدمها لدعم موقفه . واذا كنا قد اجمنا في هذه الكلمة المتواضعة عن تفصيل الحجج المؤيدة للتعريب ، اعتقادا منا بأن تلك مرحلة قد فرغ المعنيّون بالموضوع منها وتجاوزوها ، فانه لا بدّ من القول إنّ اجراء واحدا فقط هو الذي ينقل الموضوع كلّهُ من حيز الجدل النظري الى حيز التطبيق العلمي ، وذلك هو القرار السياسي او القانوني او الاداري ، سواء أُصْدِرَ هذا القرار عن السلطة العليا في الدولة العربية ، أم عن وزارة تعليم عال ، إن وُجِدَتْ ، أم عن ادارة كلّ جامعة من الجامعات العربية . واذا بوضع أعضاء هيئة التدريس أمام الامر الواقع ، فانهم سوف يواجهون متطلباته ، ويُمَدِّدُون له ما يحتاجه . والصعوبات التي سيواجهونها ، ستعالج من خلال التكيّف بمد ممارسة التجربة، لا قبلها ؛ فنحن لا

نستطيع أن نتكيف مع اوضاع لم نمارسها اطلاقاً ، ولا يمكن لتَهَيُّبٍ من شيء أن يزول الا بعد أن يُمارَس ذلك الشيء فعلاً ، وغالباً ما يُقْبَلُ أن ما تَهَيُّبُنَا منه كان مبالغاً فيه . وإذا كانت النقلة الى اللغة القومية قد نجحت في عدد كبير من بلاد الدنيا ، فلا يوجد سبب يحول دون نجاحها في الجامعات العربية . وقد يبدو من باب المناقضات أن عالماً كالعالم العربي ، بموقعه الفريد ، وامكانياته الاقتصادية الهائلة ، وبتجربة لغته الحضارية العريضة العريقة ، وبما له من دور في شؤون العالم المعاصر ، ما يزال يتَهَيَّبُ الدخول في تجربة التعريب ، مع أن تاريخ الحضارات يثبت أن الأمم انما تبدع بلغاتها القومية ، وأن الذي يكون عالمة على لغة أجنبية فيما ينطق به ويكتبه ، يكون كذلك عالمة على الناطقين بتلك اللغة فيما يحتاجه ، بل فيما يفكر فيه .

خاتمة :

وفي النهاية ، اسمح لنفسني بأن استفيد مباشرة من فكرتين اوردتهما الدكتور رشدي نكار في بحثه الذي قدّمه الى مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، الذي عُقد في بغداد في آذار عام ١٩٧٨ ؛ وأولى تلك الفكرتين تتعلّق بالدعوة الى القيام بعمل جماعي متكامل ، يرصد مراحل تطوّر امتنا دون أهواء أو تذوّقات شخصية لكل مفكر على حدة ، والثانية تتعلّق بتقديم النظريات العامة لحضارة اليوم الغربية ، وقدراتها المنهجية ، وعدم ترك الساحة الفكرية للترجمات التجارية والمبينة والموجهة ، بهدف سلب شبابنا ذاتيته ، وتعريضه وتشكيكه في أرضيته .

والهدف من الفكرتين واضح، فهو يتمثل في استبانة المعالم الكبرى للتطوّر الحضاري الذي مرّت به امتنا ، حتى تتراءى تلك المعالم بصورة موضوعية في أحجامها الحقيقية ، وفي ركائزها الاساسية ، كيلا يضيع الدارس في التفصيلات الجانبية ؛ وكذلك في استبانة

الاسس والمفاهيم التي تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة ، كيلا يضطرب الدارس بين الاصل والفرع ، والجوهر والمظهر ، ولكي يتجنب المزالق ، فيأخذ من تلك الحضارة ما ثبت نفعه دون ضرره ، مما يساعده على تحديد طريقه ، والاستقلال بشخصيته ، والنجاة من اقتداء جاهل او تبعية غير مبصرة .

الدكتور محمود أبراهيم

اللغة والأسلوب في شعر (عرار)

للدكتور محمود السمر

(نائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردني)

قبل ثلاثين عاما توفي مصطفى وهبي التل ، وقبل خمسة وعشرين عاما صدرت الطبعة الاولى من ديوانه « عشيات وادي اليايس » في عمان .

ورغم أن عراراً مشهور معروف في الاردن ، وهو شاعر الاردن دون منازع ، يحفظ شعره المثقفون ، ويردده حتى من نالوا حظاً قليلاً من الثقافة ، إلا أنه لا يكاد يعرفه أحد خارج الأردن .

لماذا ؟

لعلّ من أسباب ذلك أن ديوانه الاول صدر في وقت كانت فيه امكانيات الطباعة في الاردن محدودة جداً : فالحروف صغيرة ، والاختفاء كثيرة ، والورق رديء ، والتوزيع معدوم .

ثم : ان شعر عرار محليّ ، مغرق في محليته : محليّ في موضوعاته ، واشاراته ، وكثير من تعبيراته . وما لم يتمثل القارئ هذه كلها تمثلاً واضحاً ، فإن تجاوبه مع هذا الشعر يبقى محدوداً . وقد بذل المرحوم الاستاذ محمود المطلق جهداً طيباً في شرح ما يحتاج الى شرح ، لتقريب هذا الشعر الى اذواق القراء العرب . واذكر أنه ما من مرة تذاكرت شعر عرار مع اخوة عرب ، وقدّمت لهذا الشعر بما يُعين على ادراكه وتمثله ، إلا وجدت عندهم استجابة له ، ودهشة لان مثل هذا الشاعر غير معروف عندهم .

ثم : هناك لوم يقع على أدباء الاردن : فهم لم يعنوا انفسهم
بالتعريف بالشاعر وتقديم الدراسات عنه ، الا في نطاق محدود .



لكلّ هذا وجدتُ ان الحاجة أصبحت ملحة لاصدار طبعة ثانية
من الديوان ، وخاصة عندما وُضعت بين يدي أوراق الشاعر ،
فوجدتُ فيها شعرا يستحق أن ينشر ، ولم ينشر .

وهكذا ، في سنة ١٩٧٣ صدر ديوان « عشيات وادي اليابس »
في طبعة جديدة فريدة ، تعكس تقدم فن الطباعة في الاردن الحديث ،
وتضع بين أيدي القراء شعر الشاعر الاول في الاردن في شكل يليق
بجمال هذا الشعر ؛ وقد زينته رسومات الفنان الموهوب مُهنّا الدرة ،
آملين من ذلك أن نستطيع إيصال الديوان الى أيدي محبي الشعر
الجيد ، لا في الاردن فحسب ، بل في أكثر عدد ممكن من البلاد
العربية الشقيقة .

ولكن ما اُردناه لم يتحقق ، لسبب بسيط هو افتقارنا الى
مؤسسة ، او شركة ، لتوزيع الكتاب الاردني وتسويقه . وبقيت
هذه الطبعة يسعى الى الحصول على نسخة منها ، ويجدّ في السعي ،
من يجد الرغبة في ذلك .



وفي رأيي أنه ما زالت هناك حاجة الى اصدار طبعة جديدة
من الديوان ، يقوم المحقق فيها بإيراد الروايات المختلفة للأبيات ،
وترتيبها في القصائد ؛ فقد خلصتُ من اطلاعي على أوراق الشاعر
الى ان الصورة التي بين أيدينا للقصائد والابيات ، ليست الا صورة
واحدة من صور عدة : ففي كثير من القصائد نجد ترتيب الابيات
مختلفا ، والتغيير في الفاظ الابيات كثيرا . ويحضرني هنا التحقيق
الامثل الذي قام به المستشرق Ritter لكتاب « اسرار البلاغة »

للإمام عبد القاهر الجرجاني ، وتحقيق الاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد لديوان قيس بن الخطيم ، وتحقيق الاستاذ الدكتور احسان عباس لديوان لبيد . على هذه الصورة نريده . وقد شغلتنى شواغل كثيرة عن النهوض بهذا العمل الذي يستغرق وقتا طويلا .

وفي رأيي ان اوراق الشاعر التي بين ايدينا ، تغري الناقد ايضا بالقيام بدراسة نقدية نفسية : تدرس حياته ، وظروفه ، ومجتمعه ، باستقصاء . ثم تنظر في زمن نظمه لكل قصيدة ، والاسباب النفسية التي دعته لهذا التقديم ، وذاك التأخير ، وشطب هذه الكلمة او تلك ، ولماذا استبدل بها غيرها . ان قام بهذه الدراسة ناقد بارع موهوب ، فربما حصلنا على دراسة نقدية ممتعة ، على غرار الدراسة التي وضعها John Middleton Murray عن الشاعر

Keats بعد ان حصل على اصول قصائد الشاعر بخط يده .



وبعد ، فان لي على شعر عرار الملاحظات التالية :

١ - شعر عرار بسيط في مضمونه وشكله ، يقترب كثيرا من كلام الناس الذين هو منهم : عاش بينهم ، يشاركونهم أفراحهم ، وأحلامهم ، وآمالهم ، ويأسى لأحزانهم ، وتدميه آلامهم، ومع هذا فلشعره فعل السحر في نفوسهم .

لماذا ؟

في رأيي ان السر في قوّة تأثير شعر عرار في النفوس انه شعر يعبر عن تجربة محلية وانسانية ، معا . . . تجربة عميقة ، فيها قدر طاغ من حدة الاحساس . وهو يعبر عن هذه التجربة بالفاظ مشحونة بهذا الاحساس . وحالة الانفعال الحاد ، حالة تميّز الشعر الجيد عن غيره من الفنون الادبية الاخرى ؛ وهي حالة تصاحب الشاعر في اثناء عملية الابداع الفني ؛ ذلك لان الشاعر

الحق انسان يتمتع بحساسية غير عادية ، تجعله يتعاطف مع أحداث الحياة الانسانية بدرجة عالية .

واللغة التي يستعملها عرار ، رغم محليتها ... ورغم بعض الاخطاء اللغوية والعروضية ، حافلة بالحياة ، تفتح عيوننا على عيوب في المجتمع ، قد نمرّ بها دون ان نحسّ بها ، واذا احسنا بها ، فقد يكون هذا احساسا عابرا . ولكنها في هذا الشعر دفقات قوية ، تنبه العقل ، والنفس ، والاعصاب .

ومن الخطأ ان نعتبر شعر عرار وثيقة تاريخية ترسم بدقة ما كان يسود شرق الاردن زمنه ؛ ذلك لاننا نعرف ان الشعر ذاتي ، والشعراء يعبرون عن احساسهم ، وانفعالاتهم الخاصة . ونحن في بحوثنا لا نعتمد شعر الشعراء وثائق نستشهد بها ، وان كنا نستعين بها في حدود ضيقة . وهذا لا يضير الشعر ولا الشاعر : فالصدق الفني هو غاية الشاعر ، أما البحث عن الحقيقة فغاية العالم .

ان الشاعر لا يعرض لنا الحقائق عرضا موضوعيا كما توجد في الواقع ، بل يحوّرهما بفضل ملكة الخيال التي وهبها ، ويكون منها كُلاًّ فنيا موحّدا . ومنذ ان كان في الدنيا شعر ، كان قدر الشاعر ان يرى ويرصد المظاهر المختلفة لهذا الكلّ المعقد الذي نسميه الحياة الانسانية ، ثم يعبر عن وقع هذا الوجود على وجدانه بصدق وجمال .

وسواء اقلنا بعد قراءة الشعر اننا نوافق الكاتب في رايه ، أم لا نوافقه ، لان الحياة في واقعها ليست كما يراها ، فهذا ليس هو المهم ، وانما المهم ان قراءتنا لهذا الشعر تجعلنا ننظر الى الحياة من زوايا جديدة ، وتضيف الى تجربتنا في الحياة تجارب جديدة ، قد تكون أعمق وأنضج ، حتى اننا لنحس ، عندما نطوي آخر صفحة ، اننا ازددنا معرفة بالحياة والانسان .

وانت في شعر عرار تدخل دائرة التأثير ، وتبقى فيها الى ان تصل الى نهاية القصيدة ؛ ذلك لان شعره يخلو من سقطات بعض الشعراء

الكبار ، الذين يجمعون أحيانا بين الرائع والرديء في القصيدة الواحدة ،
ويجمعون بين صورتين متنافرتين في بيتين متتاليين .

وإذا كنا قد بدأنا القول بأن من صفات شعر عرار أنه
شعر مَحَلِّي ، بالمفهوم الذي حدّدناه ، فما موقف الجماليين ، والنقاد
الجدد (The New Critics) ، الذين يسيطرون على دنيا
الادب في أيامنا هذه في الغرب ، من مثل هذا الشعر ؟ انهم يرون أن
القصيدة الجيدة مكتفية بذاتها ، لا تحتاج للكشف عن أسرار الجمال
فيها الى أن نعرف مناسبتها وظروفها ، ولا حتى من نظمها . وفي رأيي
أن هذا القول صحيح ، ولكن في حدود . وأنا لست من المؤمنين
أيامنا مطلقا بما يقولون ، ومن المؤمنين بالمنهج التكلمي الذي يرى
الاستفادة من كل النظريات النقدية ، لانها متكاملة ، غير متناقضة .
والاختلاف بينها هو اختلاف في زاوية الرؤية .

٢ - شعر عرار شعر ملتزم .

وقد كان عرار شاعرا ملتزما ، بكل ما في هذا المصطلح
من دلالة وأبعاد . وكانت مواقفه واضحة جريئة : فقد وقف الى جانب
الفقراء ، والمعوذين ، وهاجم المستغلّين ، ودعا الى المساواة ،
ونادى بالعدالة .

وهذا موقف سيبقي عرارا مذكورا دوما كشاعر صاحب رسالة ،
اجاد التعبير عنها في شعره .

وهذا يجعلنا نقف أمام قضية مهمة في الفن : فنحن كلما تناقشنا
في الفن عامة ، وفي الشعر خاصة (وسأقصر حديثي هنا على الشعر) ،
تساءلنا : ما غاية الشعر ؟

يرى البعض أن غاية الشعر هي المتعة ، وأن القصيدة الجيدة
هي التي تولد أكبر قدر منها . وفي رأيي أن المتعة نتيجة ، لا غاية ،
وأن غاية الشعر عرض التجربة الانسانية عرضا يُرْسَخ في نفوسنا

قيما ومواقف ، واذا كانت غاية العلم تفسير الوجود ، فان غاية الفن تقييم الوجود . وهذا ما فعله عرار في شعره .

وهذا ما عناه كولردج في كتابه القيم « سيرة أدبية »

Biographia Literaria

عندما قال : ان الشعر ليس مجرد انفعالات واحاسيس ، فارخص انواع الادب قادر على اثارها . انه رؤيا ، وكشف عن أسرار الوجود .

* * *

ورغم التزام عرار العميق الحاد ، فانه كان في الوقت نفسه رومانسيا ، مغرقا في رومانسيته . واذا كان الرومانسيون الغربيون قد عبروا بشعر حافل بالعاطفة المشبوبة عن ثورتهم ، وهربوا الى الطبيعة والحياة البسيطة ، عندما أدركوا عجزهم عن التغيير ، فقد فعل عرار مثلهم : هرب الى مضارب النور ، والى حياة الريف ، حيث البساطة ، وراحة البال ، والمساواة التامة :

الكل زُطٌّ، مساواةً مُحَقَّقةً تنفي الفوارق بين الجار والجارِ

* * *

٣ - شعر عرار شعر للرمز فيه دور كبير .

والحديث عن الرمز في شعر عرار حديث قد يطول ؛ ولهذا سأقصر حديثي عن الرمز عنده على ثلاثة جوانب بارزة :

اولها : شخصية الهبر : وهي شخصية حقيقية ، ورمزية ، في آن واحد .

وقد وصف المرحوم الاستاذ يعقوب العودات الهبر ، فقال :

« شخصية نُورِيَّة ، دميعة الخلق ، مستبحة القوام ، اختارها عرار لزرية شكلها ، وحقارة شأنها ، هدفا لسهام نقده ، ومخاطبتها عندما يحلو له خطاب ذوي الشأن ، واستفزازهم » . (عرار شاعر الاردن ، ص ١٣٨) .

ويقول المرحوم الاستاذ محمود المطلق :

« رأى عرار في هذه الشخصية أنموذجا كاملا لشخصية النُورِيّ ،
ومثالا معبرا عن كل ما في النُور من خير وشر ، وسمو وانحطاط . ولهذا
نقد اتخذ منه رمزا للنُور، وأداة أدبية يستعين بها على التعبير عن
آرائه ومقاصده » . (المقدمة ، ص ٢٣) .

وتقول الشاعرة سلمى الخضراء الجبوسي :

« لعل مراراً كان أول شاعر عربي حديثٍ اخترع نماذج عليا
في الشعر ، وجعلها رموزا لقضايا حيوية . جعل من الهبر رمزا
للانسان البسيط المنبوذ المضطهد » . (مجلة عالم الفكر ، العدد الثاني) .
وحقيقة الأمر أن الهبر في شعر عرار رمز لاكثر من هذا :
انه رمز لما يتعاطف معه عندما يرى فيه الانسان البسيط ،
المنبوذ ، المضطهد ، والانسان المشرذم الضائع .

وهو رمز لما يثير السخرية عندما يرى فيه الانسان الذي فقد
كل احساس بالكرامة .



ويبدو الرمز عند عرار ، ثانيا ، في شخصية الشيخ عبود النجار .
وهي شخصية تناقض الشخصية الاولى تماما : فهي رمز لفئة مترمة
منتفعة : فِتْهُها : « في الجنة الخلود » ، ومبداها أنها : « حِصَّةٌ مَنْ فِي
جِيهه نَقُودُ » .

وسخريته منها ، ورمضه لها ، لانها بسلوكها تساهم في ابقاء
الشعب على حاله من الجهل والتخلف .



ويبدو الرمز عند عرار ، ثالثا ، في كل امرأة تغزل بها ، وكل
قرية ذكرها ، وكل وادٍ تغنى به . انها كلها رموز لهذا الوطن ،
الذي أحبَّ كل من فيه ، وما فيه .

١ - شعر عرار شعر عمودي ، منظوم على أوزان الخليل ،
ما عدا قصيدتين هما :

« متى ؟ » و « يا حلوة النظرة » .

ومن الخطأ الشائع ما نردده من أن كل قصيدة نظمت على وزن
من أوزان الخليل فهي قصيدة عمودية ، مع أن الوزن (أو البحر)
ليس سوى شرط واحد من سبعة شروط حدّدها النقاد العرب
القدماء ، وجعلوها المبادئ التي يجب أن يقتفيها الشعراء .

وكان المرزوقيّ خير من حدّد مفهوم عمود الشعر ، وذلك في
مقدمته لشرح ديوان الحماسة ، في قوله : « انهم (القدماء) كانوا
يحاولون : شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة
في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والثامها على
تخّير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشكلة
اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهذه
سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل باب منها عيار (أي مقياس) » .
وجاء ابن طباطبا فكتب كتابه المعروف « عيار الشعر » .

وشعر عرار عموديّ بهذا المفهوم للشعر العموديّ الجيد .
ولو تأملنا في هذا التعريف لوجدنا كثيرا من الشعر الذي يُعرف
بأنه عمودي ، ليس عموديا .

* * *

هذه ملاحظات نقدية عامة على شعر عرار ، لعلها تصلح
مخططا لدراسة موسعة .

ويبقى عرار ، بعد هذا ، شاعرا لم ينل من عناية الدارسين
ما يستحقه .

وما زال مجال القول فيه واسعا .

الدكتور محمود السمرّة

قضايا تعريب الكيمياء ومشاكلها

للدكتور عادل أحمد جبار

(الجامعة الاردنية)

ان مسألة تعريب الكيمياء جزء من مسألة اكبر، هي مسألة تعريب العلوم ، وخصوصا في المراحل الجامعية . وقد شغلت هذه القضية اهل العلم والفكر ردحا طويلا من الزمن ، فهم بين مناصرين لتطبيق فكرة التعريب ومعارضين لها ، ولكل فريق حججه التي يدعم بها وجهة نظره .

وفي رأيي ان هذه المسألة لا تقبل أنصاف الحلول او الحلول الجزئية ، فهي إما أن تكون تعريبا كاملا شاملا ينتظم جميع مراحل التعليم والدرس ، ويمتدّ ليشمل جميع الاقطار التي تتخذ العربية لغة ، او أن تظل محاولات مبتورة ، عديمة الجدوى ، رهبا أدت الى ضرر ان كانت تنحصر في اقلّيم دون آخر ، او كانت تتناول فروعاً معينة من العلوم، او مراحل محددة في سلم التعليم .

واقوى الحجج التي تساق تايدا لفكرة تعريب العلوم هي :

- ١ - من الناحية التربوية المطلقة، يكون استيعاب الدارس أقوى واشد فعالية ان كانت دراسته بلغته الام ، فهو بذلك ينصرف بكامل جهده الذهني لفهم المعضلة العلمية المعروضة ، بدل أن يصرف جانبا غير يسر من جهده ووقته لفهم معييات اللغة الاجنبية التي يدرس بها ، الى ان يتوصل الى فهم وتحليل الموضوع العلمي الذي وصفته له . وقد ساق الكثيرون براهين لهذه الحجة من نتائج المقارنة بين مجموعتين من الطلاب، احداها تدرس موضوعا علميا باللغة العربية، واخرى تتلقاه بلغة انجليزية او فرنسية .

ولكن الامر في الواقع من البداهة بحيث لا يحتاج الى برهان ؛ فانك اذا قدمت موضوعا عليا لطالب عربي بلغة عربية سليمة ، وكانت لديك الوسائل والقدرات على ان تعبّر عن هذا الموضوع بشكل يخلو من التعقيدات والابهام في المصطلح والاسم والوصف ، فمما لا شك فيه عندئذ ان هذا الطالب سيفهم الموضوع بصورة اسرع واكمل مما لو قُدّم له بلغة اجنبية .

إذا فُلّب الامر هو ان نستطيع وصف الموضوع العلمي بطريقة تخلو من التعقيد والابهام ؛ وهذا امر مهم ساعود اليه حين احلّ القضايا والمشاكل التي تكتنف تعريب الكيمياء .

٢ - اما الحجة الثانية التي تساق ، وهي أيضا حجة لها وجهتها ، فهي ان الاعتزاز القومي باللغة العربية يفرض علينا ان نعزّب العلوم . وكثير من المحتجين بهذا يذهبون الى ان تدريس العلوم بالعربية عامل مهم في سبيل الوحدة العربية ، وكان هذه الامة تفتقر الى عوامل الوحدة ؟ واين عامل الوحدة هذا من الدين الذي ننضوي تحت لوائه ، حيث تقف الملايين كل يوم تعبد ربّها في صلوات واحدة ، تقرأ قرآنا واحدا ، وتهتف باسم اله واحد من أعلى مآذن مساجدها وفي محاريبها . وان كانت هذه الامة ستتوحد ، فهذا جمهور وحدتها ؛ واين من ذلك جمهور الجامعات، وهم قلّة ؟

على أننا، وبسبب ذلك، لا بد ان نقدّس اللغة العربية ونجلّها ، فهي الوعاء الذي صُبّ فيه قرآننا وسُنّتنا ، وادبنا وشعرنا، وخواج نفوسنا ، وهي الوعاء الذي اتسع يوما ليكون قادرا على استيعاب نشاطنا العلمي ابان ازدهار حضارتنا العربية الاسلامية ، حين كانت اللغة العربية لغة العلم العالمية الاولى مدة تقارب القرنين .

وعلىنا ان نؤمن بان هذه اللغة التي قامت بهذا الدور قادرة على القيام به مرة اخرى، شريطة ان نجلو عن صفحتها الناصعة غبار التخلف والاهمال بجهودنا ونشاطنا العلمي في العصر الحديث .

ويحضرنى هنا قول شاعرنا حافظ ابراهيم متحدثا باسم اللغة العربية :

وسعتُ كتاب الله لفظا وغاية وما ضقتُ عن أي به وعظاتٍ

فكيف اضيقُ اليوم عن وصف آله وتنسيق أسماءٍ لمخترعاتٍ

بيد أنه يضيف الى ذلك :

انا البحر في احشائه الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

نحن بحاجة، ليس فقط الى الغوص في بحر اللغة العربية لاستخراج مكنونه من الدرّ ، ولكننا بحاجة الى ثاقبين لهذا الدرّ ، لجعله قلائد تزين صدر اللغة العربية في ميادين العلوم ؛ فلا نريدها أن تقتحم ميداننا تخلفت عنه فترة طويلة دون استعداد وانّ يزيد من جمالها ويُغنيها بالممارسة . لا نريد أن تكون تجربتنا في التعليم والنشر بالعربية عائقا يحول بيننا وبين السير في تيار العلم والثقافة العالمي . ولا يضيرنا أن نذكر أن ماتم حتى اليوم من محاولات تعريب في عدد من الاقطار العربية ليس على المستوى المطلوب ، فهي تقتصر بنسبنا عن مواكبة اهل العلم في مسيرتهم الظافرة ، دون اعتماد كبير على اللغات ذات الانتشار العالمي . فمما لا شك فيه أن للعلم المعاصر بضع لغات دولية ؛ ولتوضيح ذلك تناولُ موضوعا علميا من المواضيع المطروقة كثيرا هذه الايام ، وأخص المنشورات العلمية التي تظهر عنه في عام معين ، فاذا فعلت ذلك ستخرج دون ريب بنتيجة مفادها أن معظم البحوث ذات القيمة نشرت ضمن عدد محدود من اللغات ؛ وانك إن كنت قادرا على قراءة هذه اللغات وفهمها خرجت بزبدة البحوث في ذلك المجال المعين .

✓ وستجد حتما أنك ان اتقنت لغتين من لغات العلم الدولية، ستصل الى ما لا يقلّ عن (٧٠ ٪) مما نشر عن الموضوع . ومع أنك ربما تحتاج الى معرفة ما يقارب عشرين لغة لقراءة كل ما كتب عنه، الا أن ذلك أمر لا يستحق العناء ، لانك ان قُيِّمت المنشورات على انفراد ستجد القِيمة منها منشورة باحدى اللغات الدولية . ذلك

انه ان توصل عالم عربي او سويدي مثلا الى كشف ذي قيمة كبيرة في ذلك المجال ، فان همّسه الاول سيكون ان يصل به الى جبهة المشتغلين به ، فنجده يلجأ الى نشره باللغة الانجليزية مثلا ، وفي احدى الدوريات ذات الشهرة العالمية .

من واجبنا، والحالة هذه، ان نعمل على دفع لغتنا العربية الى مصاف اللغات الدولية ؛ وهي مكانة احتلتها سابقا . وهذا امر لن يتسنى لنا تحقيقه بقرار نتخذه ارتجالا ، ولن يتسنى لنا الوصول اليه بين يوم وليلة ؛ فاستعداداتنا الحالية لا تجاوز في أغلب الاحيان الحماسة والنية الطيبة . لكن ، كما قيل في الامثال الصينية ، فان رحلة الالف ميل تبدأ بخطوة واحدة ، فلا بد لنا ان نخطو الخطوة الاولى ، ولكننا نريدها خطوة واثقة لا تراجع ولا نكوص بعدها . ولهذا فان من واجبنا استجلاء المصاعب والعقبات ، والاشارة الى الوسائل التي تضمن لنا التغلب على المصاعب وتخطي العقبات ، حتى نضع بين ايدي اجيالنا القادمة السلاح الذي يمكّنهم من السير بهدى وعلى صراط مستقيم . وفي ما يلي سامر على بعض القضايا ذات العلاقة الوثقى بتعريب الكيمياء .

المصطلح الكيميائي : ان جهود التعريب لا تثمر دون مؤلفات كيميائية قيمة باللغة العربية . ومن الطبيعي ان المحاولات الاولى كانت ترجمات من اللغات الاوروبية — ساعدت الى الترجمة كقضية منفصلة بعد حين — وقد تلت الترجمات مؤلفات باللغة العربية . جميع هذه المحاولات حتى الان محصورة ضمن القطر العربي الذي بدأت فيه ، وفي اغلب الاحيان نتكلم لغات كيميائية مختلفة . ذلك ان وضع المصطلح كان حتى الان اجتهادا فرديا ، او كان يتمّ بالمشاورة مع اقرب محيط للمترجم او المؤلف ؛ ولذلك نجد اختلافات كبيرة بين ما يُستخدَم في قطر عربي وما يُستخدَم في قطر آخر . وان استمر الحال على ذلك سنصل الى وضع يشبه برج بابل ، حين لم يكن احد يفهم احدا غيره . كل ذلك رغم جهود مكتب تنسيق التعريب ، ورغم المعاجم التي

أوردت سلسلة من المصطلحات ؛ فهذه لا تكاد تنفي بحاجة مناهج المدارس الثانوية . وكثيراً منا يوضع المصطلح الكيميائي بطريقة متسرعة ، فلا ينفي بالغرض الذي وضع من أجله ، لكن تأثير قطر عربي استعمال هذا المصطلح قد يكون واسع الانتشار ، فنرى هذا المصطلح ينشر ويفرس جذوره رغم عدم صلاحيته .

نخلص من هذا الى أن جهود وضع المصطلح جهود مرتجلة ومعزولة وتؤدي الى فوضى وارباك ، فكلّيات :
(Isomerism, physics, Ion, Atom)

وكثير غيرها لا تعني نفس الشيء في كل البلاد العربية .

اين العلاج ؟ لا شك أن في عقد ندوة لهذا الغرض جهدا ايجابيا نحو العلاج ، إن خرجنا منها بنتائج محددة لوضع اسس للعمل على تقديم الوقتود الصالح لعمليات الترجمة والتأليف . ولكن يجب أن أذكر أن الكيميائيين ، رغم اتقان بعضهم للغة العربية ، لا يزالون بحاجة الى عالم اللغة العربية الذي اعتدنا منه الشعارات الرنانة التي تقول أن النحت والاشتقاق والوسائل الاخرى كقيلة بسد حاجات أهل العلم ؛ لكننا لا نراه يضمّ جهده في ذلك الى جهد الكيميائي أو غيره من أهل العلم . ولا يظنّ أحد أن هذه المهمة ذات بداية ونهاية ؛ كلاً ، فهي مهمة مستمرة متجددة ما دام العلم يتطور ، وما دام العلماء يكتشفون كل يوم جديداً ، ويسمّونه ويصفونه بكلام جديد ، سواء أكان هؤلاء العلماء عرباً أم غير عرب .

لذا فإن المطلوب هو أن يقوم علماء الكيمياء واللغة في البلاد العربية بعملية منظمة لاستنباط المصطلحات ونشرها وتوحيدها ، كما أن المطلوب أن يتحوّل مكتسب تنسيق التعريب الى المبادرة بتشجيع هذا الجهد ودفعه نحو النجاح .

التسميات : رغم عدم استطاعتنا فصل ميدان المصطلح عن ميدان التسمية ، إلا أن هناك مئات الآلاف من المركّبات الكيميائية التي

نحتاج الى ان نضع لها أسماء ، كما ان آلاما جديدة منها تضاعف للمعترك الكيميائي في كل سنة ؛ والمشكلة التي يخلقها هذا السيل المعرم تستدعي من علماء الكيمياء في العالم عقد الندوات والتشاور لوضع الاسماء ، وتنقيح طرق التسمية بصورة مستمرة . لماذا نفعل نحن ؟ هل نأخذ الاسم الاجنبي ونكتبه بحروف عربية ، ام نضع لنا طريقة خاصة بالتسمية ؟ الاتجاه السائد حتى الآن ، والذي لا يجادل احد في انه الاسهل ، هو الاول ، مع اصرار الاكثرية على ان يوضع الاسم الاجنبي في كل حالة للاسترشاد به ، ولإبقاء الصلة مع اللغات الاجنبية . ولا شك ان هذه الطريقة ستؤدي بالدارس الى ان يقرأ وأن يفكر باللغة الاجنبية ؛ لان ادراك مرامي هذه الاسماء يتوقف على فهم ما تنقله مقاطعها الاجنبية كل بنفسه ؛ فلو كتبنا الاسماء باللفظ العربي وحده، فأننا دون شك نكون قد قطعنا صلة تلك الاسماء بأصولها ، لتصبح ككتاب اجنبي من جذوره ، يتيم ماله من قرار .

لقد حاولت استيضاح آراء مجموعة من طلاب الجامعة الاردنية حول هذا الامر ، وطلبت منهم الاجابة على الاسئلة التالية :

أرجو ان تجيب على الاسئلة التالية بوضع دائرة حول الجواب الذي تختاره :

١ - كلمة (٢ - ميثيل سايكلو هكسانون) تدلّ على مركّب كيميائي معروف لديك . اذا قرأتها او سمعتها ، فما هي الطريقة التي تنتقل فيها الى ادراك المركّب الذي تدلّ عليه بتخيّل صيغته او كتابتها ؟

١ - هل تخطر الصيغة ببالك مباشرة مثلما تتصور طائرة لدى سماع الكلمة أو رؤيتها مكتوبة ؟

٢ - هل تعود بذهنك للأصل الانجليزي للكلمة
2- Methylcyclohexanone

وتستفيد من مقاطعها للدلالة على معناها ؟

✓ ٣ - هل يتعذر عليك فهم دلالة الكلمة كلياً ؟

٤ - هل تعتقد أن فهمك لها سيكون سهلاً لو كانت مقاطعها قد فُتِّرت لك أولاً ، كما جرى في حالة الاسم الانجليزي للمركَّب ، رغم أن لفظ كل مقطع بالعربية لا يدل على ما يدل عليه مقابله بالانجليزية ؟

٢ - القضية التي عرضت في السؤال الاول ستثار لدى تسمية اي من مئات الآلاف من المركَّبات الكيميائية . في ضوء تقديرك الشخصي للموقف :

١ - هل تحبَّذ أن تدرس الكيمياء بالانجليزية ؟

٢ - هل تحبَّذ أن تدرس الكيمياء بالعربية مع أخذ الاسماء بألفاظها ؟

٣ - هل تحبَّذ أن تدرس الكيمياء بالعربية مع وضع طريقة عربية خاصة بالتسمية ؟

٣ - إذا عُرِّبَت الكيمياء وأُخِذَت المصطلحات والاسماء كما تُلفَظ باللغة الأجنبية، وُكُتِبَت بحروف عربية ، هل تعتقد أن كتابتها غير مشكولة ستخلق مشاكل ، كأن تقرأ الكلمة على وجوه عديدة ؟

١ - نعم

٢ - لا

وقد حُلَّتْ اجاباتهم وحصلت على النتيجة التالية :

السؤال الاول :

٤	٣	٢	١	الجواب
٪٩	٪٢	٪٧١	٪١٨	النسبة المئوية

السؤال الثاني :

٣	٢	١	الجواب
٪٢٩	٪١٩٦	٪٥١٣	النسبة المئوية

السؤال الثالث :

الجواب نعم لا
النسبة المئوية ٨٤٪ ١٦٪

من جواب السؤال الأول نلمس اثباتا لما قلناه من أن الطالب مضطراً للعودة بذهنه الى الاسم بلغته الاصلية ؛ فالعملية الذهنية هذه ضرورية للفهم . ورغم أن نسبة الاجابة على السؤال برقم ٣ او ٤ منخفضة ، الا أن ذلك يُعزى الى أن المركّب المختار مألوف للطلاب . ولا شك لديّ أن مشكلة ستواجه الطالب في فهم اسم جديد ، فهو يجد هذه المشكلة حتى لو كان يدرس باللغة الاجنبية ، فبالاخرى سيجدها، وبشكل أحدّ، اذا عُرض له الاسم مجرداً عن نظيره الاجنبي .

ومن اجابة السؤال الثاني نجد أن الطلاب ينقسمون بالتساوي تقريبا بين المحبّذين للدرس باللغة العربية ومن يفضلون الدراسة باللغة الانجليزية (٥١٣ ، ٤٨٦ على التوالي) . الا أن الملاحظ انه، ضمن من حبّزوا الدرس بالعربية، هناك أغلبية تفضّل وضع الاسماء بطريقة عربية خاصة ، وان كنت لا أجيد دليلا على ماهية هذه الطريقة ، لا بين الطلاب انفسهم ولا بين علماء الكيمياء ، فهي مسألة فضّل الجميع عدم طرّقها، كما اسلفنا .

من الاجابة على السؤال الثالث تتضح أهمية المشكلة التي نجابهنا حين يتعرض الاسم الكيميائي للتغيير في لفظه، نتيجة قراءة الاسم العربي على وجوه مختلفة، ان لم يكن مشكولا ؛ وهذه مشكلة تتناول المصطلح المأخوذ بلفظه عن اللغات الاجنبية ايضا ؛ وهي مشكلة لن يتخطاها الدارس الا بتكرار استخدام المصطلح أو الاسم بعد سماعها صحيحين لأول مرة ؛ اذ لا يُعقل أن تُصَرَف الجهود الاضافية في الطباعة لشكل كلّ من هذه الكلمات .

الرموز والاعداد :

هناك خلط كبير في الرموز المستخدمة في الكتب التي تُرجمت الى العربية او كُتبت بها ؛ وليس من الضروري ان يوجد الخلط في الكتاب الواحد ، بل انه يظهر على شكل اختلافات بين الكتب ذات الموضوع الواحد، والتي تظهر في القطر نفسه، او في اقطار اخرى .. فالامر هنا فيه اختلاف لا يقل عن الاختلاف في المصطلح ؛ ذلك ان اللغات الاجنبية تقدم مجالا اوسع لاختيار الرموز، من حيث وجود الحرف الكبير والصغير ، وكذلك كتابة الحرف نفسه بصورة مختلفة ، وبخطوط مختلفة (عاديّ او مائل) ؛ ورغم ذلك نجد احيانا اختلاطا في الرموز . وفي العربية يضيق المجال اذا اقتصرنا على استخدام شكل واحد للحرف ، الا ان بوسعنا استخدام اشكال مختلفة لتقدم مادة كافية للرموز ؛ لكن يجب الحرص على ان لا تكون النقط المصاحبة لبعض الحروف مصدرا للتشويش .

وهناك مصدر آخر للاختلاف والخلط، ويصعبه العديد من المشاكل التي لا تظهر لنا لأول وهلة ؛ ذلك ان هناك اتجاهات لوضع رموز عربية للعناصر ، واستخدام الاعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ... معها . وفي الحقيقة ان هذه الاعداد ذات أصل هندي ، واما الاعداد ... 4 ' 3 ' 2 ' 1 فهي الأعداد العربية ؛ ولا بد انها كانت تُستخدم من قِبَل العرب ، وقد اخذت بها اقطار عربية كثيرة في الوقت الحاضر .

الرمز الكيميائي لعنصر في اللغات الاجنبية لم يُبنَ على قاعدة تربطه بالاسم المستخدم له في تلك اللغة ، وانما هو كما نعرف، مستمد من اسم قد يكون من اللاتينية او اليونانية او احدى اللغات الاجنبية الحديثة، باخذ الحرف الاول ، او هذا مع حرف آخر . اذا كنا نقبل ان نكتب الكلمة الاجنبية بحروف عربية، ونطمع عندئذ بان نتعرف على المسمى من التسمية ، فكيف نضيق بالرمز الاجنبي ٥، او C ، او Se ، او Ge ، او Na ، او Fe ، ولا سيما انها ستظهر

في المركّبات ، وقد يظهر الواحد منها عدة مرات ؛ فكيف اذا كان رمزا بحروف عربية منقطة ؟ الا يخلق ذلك مجالا لخلط هذه النقطة او النقطتين مع الكترون ، او زوج من الالكترونات ، كما يُرمز لها عادة ؟

ثم اليس من مبادئ التعرف على مركّبٍ النظر الى صورته او صيغته ؟ فهل تساعد على ذلك ان غيّرنا الصورة والصيغة باستخدام الحروف العربية للرموز ؟ والدارس منا مضطّرّ للاطلاع على هذه الصيغ ، سواء اكانت بنائية ام جزئية ، وذلك لاستخراج المعلومات عنها من المختصرات التي تستخدم الصيغة كمفتاح . الا يكون من الامثل الابقاء على هذه الرموز بدل ان نضطر في كل مرة الى اعادة كتابتها كخطوة اولى نحو استخدام هذه المختصرات ؟ وما الضرر في العودة الى الاعداد العربية ان وَجَدنا انها جزء ضروري من هذه الصيغ ؟

اذا كان هدفنا الاول من التعريب ، وباتفاقنا ، هو تسهيل فهم المادة العلمية انطلاقا من المبدأ القائل بان الاستيعاب باللغة الام اقوى ، فان أي عامل يساعد على الاستيعاب يجب ان يُبْقَى عليه ، وأي عامل يقف حجرة عثرة في سبيل هذا الاستيعاب لا يُجدر بنا التمسك به .

وفي ذهني يرتبط الابقاء على الرموز ، وهي عالميّة الاستخدام ، بقرنها باستخدام الاعداد العربية ؛ ولا يضيرنا انها (الرموز والاعداد) تكتب من اليسار الى اليمين ، فهذا امر شكلي لن يضرّ باللفظة العربية ولن يعيق من قدرة الدارس على الاستيعاب ؛ ثم الا تُكتب بعض الارقام الهندية من اليسار الى اليمين ؟ ٩ ، ٦ ، ٤ الى حد ما ، وبعض الارقام العربية الا تُكتب من اليمين الى اليسار 4 ، 5 ، 6 ، 9 اي ان اتجاه الكتابة ليس مطلقا ، وليس مرتبطا بلفظة دون اخرى .

الترجمة :

من الحجج التي يتذرع بها خصوم التعريب عدم توافر المادة العلمية باللغة العربية ، مقارنةً بما يُفيض به المحيط العلمي من كتب دراسية ، وكتب متخصصة ، وسلاسل كتب ، ونشرات ودوريات .

وهي حقيقة نجد انفسنا مضطرين للاعتراف بها ، ليس على مستوى الكم فقط ، ولكن على مستوى النوع أيضا . لذلك فان هناك بعض التضحية في مدى الاختيار، تفرضها ظروف الفترة الانتقالية حين نضطر الى اعتماد كتاب معين ، بينما يكون المجال الاوسع مفتوحا امامنا للاختيار لو درسنا بلغة أجنبية . ذلك لانه لا بد لنا ان نعترف انه قبل ان تتضح معالم الطريق امامنا للتأليف على نطاق واسع ، فلا بد ان نلجأ للترجمة باختيار افضل الكتب ونقلها للعربية . ولا بد ان نلاحظ ان هذه الحركة في الوقت الحاضر ضيقة الى أبعد الحدود ، ولذلك فاننا نجابهُ بِقِلَّةِ الكتب المترجمة ، ونجد اننا نُقَصِّرُ في متابعة التطورات العلمية بالترجمة الدائبة والاستعداد لاضافة كل جديد .

ومنذ مدة طويلة، مثلاً، قامت اكثر من محاولة لترجمة كتاب في الكيمياء العضوية ، واستغرقت وقتاً طويلاً ؛ وحين وضع الكتاب بين ايدي الطلاب، كان قد عفى عليه الدهر في مصدره ، وحلّت محله كتب جديدة ذات مستويات أفضل ؛ فهل كان بإمكاننا متابعة الجديد بجهد جديد ؟ كلا . لماذا ؟

عملية الترجمة بحاجة الى عوامل عديدة :

اولها : الجهاز المتخصص الذي يسمى لاختيار الكتب بالاستعانة بأهل الاختصاص ، ثم يُجرى الاتفاتات بشأن ترجمتها ونشرها بشكل لائق لا يقل عن مستوى الكتاب الاصلي . وهذا الجهاز يجب ان

يكون شاملا للداريين والرسامين والمصورين ، وان تكون لديه مطبعة ،
أو ان يكون بإمكانه الاعتماد على جهود مطبعة دون تأخير .

وثانيهما : المترجمون القادرون على تولي هذه المهمة والتعبير
عن المسادة العلمية بلغة عربية جيدة ؛ ولا بد في نفس الوقت ان
يكونوا مؤمنين بالفكرة ، عاملين للتمهيد لها باستنباط المصطلح وطريقة
التسمية ، وأسلوب الكتابة الجيد . وانت اذا بحثت عن هؤلاء ستجدهم
بصعوبة . فلك ان معظم جامعاتنا تعتمد في تدريب هيئاتها التدريسية
على ارسال المبعوثين الى الجامعات الاجنبية ، فتجد ان الكثير من
أعضاء الهيئات التدريسية إما عاجزين عن التعبير السليم باللغة
العربية كلاما او كتابة ، وإما غير مكرثين للأمر ، فليس لديهم حماس
له ؛ وتجد بعضا منهم ، وهؤلاء ذوو خطر ، وقد تحوّل انتماءؤهم
فكريا وعقائديا نحو الغرب ؛ فهم حتى ان خاطبوك في شأن من
الشؤون اليومية تشدقوا بالانجليزية ، واذا عرّضت فكرة التعريب
هزوا رؤوسهم وناوا بجانبهم ، وكان الامر اثم أو سبة .

وكثيرا ما يتسائل البعض : هل سيتمّ التعليم باللغة العربية
الفصحى ، أم ان اللغات واللهجات العامية هي التي ستسود قاعات
المحاضرات ؟ واذا كان الامر كذلك ، فاي جدوى تعود على اللغة
العربية من عملية التعريب ؟ الحقيقة ان اللهجات المحلية ليست على
تلك الدرجة من القوة ، فهي على طريق الزوال نتيجة لانتشار صورة
واحدة من اللغة الفصحى بانتشار الاذاعات والصحافة والمطبوعات
المختلفة في الوطن العربي .

غير ان اللغة العربية الفصحى تعاني على السنة الساسية
والعاملين في الاذاعات المسموعة والمرئية ، فان أضيفت لذلك معاناتها
في غرف المحاضرات ، فليس العيب في ذلك كما بنا في عملية التعريب
نفسها ، بل في القصور عن تنمية القدرات الاساسية في اللغة العربية
لدى الطلاب في مختلف مراحل الدراسة ، حتى اذا ما شبّوا عن الطوق

وصاروا رجال سياسة أو اعلام أو تعليم، نجدهم لا يتقنون لغتهم ولا يحسنون التحديث بها .

وثالثها : التمويل : اذا وَجِدْتُ المترجمين الصالحين ، فيجب ان تجد المال الكافي لمكافاتهم بشكل مُجَزٍّ على عملهم كي يتقنوه .

وكذلك يجب توفير المال الكافي لجميع الفنانين اللازمة جهودهم للخروج بالكتاب الى حيز الوجود ، كما يجب توفير تكاليف الطباعة وغيرها . كل هذه الامور تتطلب اموالا طائلة . واستطيع ان اقول من تجربتي مع بعض الهيئات التي تصدّت لعملية الترجمة، ان هذا العائق كان حتى الآن العقبة الكداء التي تحول دون توسّع العملية وانتشارها .

ومن طبيعة الاحتياجات اللازمة لعملية الترجمة نجد ان افضل ما يمكن تصويره لنجاحها ان تكون هناك هيئة عربية قومية تقوم بها ؛ فهي بذلك تكفل انصباب موارد الخبرات والمال من جميع الاقطار العربية، فتولد حركة الترجمة ولادة صحيحة قوية ، ويستدّ عودها، وتنهض على اقدامها بثبات .

التأليف :

رغم ان الترجمة في المراحل الاولى ضرورية كصورة من صور نقل التكنولوجيا ، الا انه ، كما في حالة التكنولوجيا ، فاننا بعد فترة يجب ان يصدر عنها، وان نطوّر ما يناسبنا سواء اكان تكنولوجيا مناسبة لبيئتنا ، او كتاباً علمية يضمها علماءنا ، تأخذ بعين الاعتبار عقلية طلابنا ومصادرنا الطبيعية وصناعاتنا، وغير ذلك .

ودون ان أعود من حيث بدأت ، اقول ان متطلبات التأليف لا تختلف اختلافا كبيرا عن متطلبات الترجمة التي اسلفت ذكرها .

على انه في كلا الحالتين — الترجمة والتأليف — لا بد ان يجري على نطاق واسع ، وبسرعة توازي ما يحصل من تطور في

العالم العلمي المتقدم ، حتى لا نجابه بقلة التنوع في المصادر ، وبأن تصبح بعض المصادر قديمة قبل ان يتداولها الدارسون ؛ وهذا لا شك كائن إن كانت الترجمة أو التأليف جهودا فردية ، أو تقوم بها هيئات ضعيفة الموارد ، ونكون بذلك عرضة لعزلة كلية أو جزئية عن تيار العلم .

ولا يفوتني أن اذكر انه لإحكام الصلات بين العلماء العرب والاجانب، لا بد لهاتين العمليتين ، وخاصة الترجمة ، أن تسيرا في اتجاهين : فننقل أحيانا ما يصدر عن علمائنا من مؤلفات ومنشورات عربية الى لغة اجنبية ، ان كان لدينا ما نفخر بأن يطّلع العالم عليه .

اللغات الأجنبية :

أشرنا في ثانيا هذا الحديث الى أن هناك بضع لغات علمية دولية تسود العالم العلمي في الوقت الحاضر . لذلك، وعلى افتراض العمل الجاد والسير بحركة التعريب بخطى ثابتة ، فلا بد لنا من التوسع في تعلّم اللغات المذكورة ، إذ لا غنى للدارسين عندنا عن الاطلاع على المنشورات العلمية التي تستحيل ترجمتها لكثرتها ، كما أنهم لا بد مضطرون للرجوع لمصادر الدراسة الأجنبية استزادة للمعرفة . كما أنهم يجب أن يكونوا قادرين على فهم المحاضرين من الزوار الاجانب الذين تُعتبر زيارتهم ضمن برامج التبادل امرا جوهريا في النشاط العلمي .

زد على ذلك انه ، حتى نصبح في وضع علمي متقدم يحفز العلماء على تعلم العربية لقراءة ما ننشر من أبحاث ، فلا مناص لنا بين حين وآخر من مخاطبة العالم العلمي باحدى اللغات العلمية الدولية .

وبعد ، فان قائمة المشاكل التي تقف في طريقنا لا تقف عند هذا الحد ؛ وهي تتضخم بمقدار النقص في استعدادنا للتصدي للمهمة . لكن الاصالة وعلو الهمة في ان لا نتخاذل أمام المشاكل ، ووعورة المسالك .

وطبيعة هذه المشاكل والقضايا تتطلب ان ننال الدعم من
الساسة واهل النفوذ ، حتى لا نكون كمن يحرق في البحر ؛ فالحلول
المائلة امامنا تتطلب المال والتنظيم والتعاون ، والا لن نتقدم
قيدها نملة نحو تعريب التعليم والنشر .

اني رغم ذلك لا ادعي ان مجرد التغلب على هذه المشكلات
سيؤدي الى فيض من الابداع العلمي ، فهناك الكثير مما يعوق ذلك
مما لا صلة تربطه بموضوع اللغة ، لكن ازالة بعض العقبات من
الطريق حائز لنا للسمي نحو ازالة غيرها من العوائق والعقبات .

الدكتور عادل جرار

مع ديوان الأدب ، نذبي ابراهيم الفارابي

للدكتور ابراهيم السامرائي

(كلية الآداب / جامعة بغداد)

كنتُ قد كتبت شيئاً مما بدا لي وأنا اقرا الجزء الاول، ثم عقيت على ذلك بملاحظات عرضت للجزء الثاني ؛ وهانا اتصدى للجزئين الثالث والرابع، فأخص مجلة المجمع اللغوي الاردني بهذه الاشارة .

اقول : اراد الفارابي أن يعرض لابنية العربية كما جاءت في المعجمات المطولة ، وان يصنّف من ذلك معجماً مرتباً لهذه الابنية؛ فهل تراه صنع معجماً كسائر معجمات المعاني ؟

الجواب : ان "ديوان الادب" معجم فريد في منهجه ؛ وفرداته هذه جعلته صعب المنال، لا يمكنك أن ترجع اليه ببسر ؛ فالابنية مرتبة على نمط خاص من حيث عدّة أصواتها، ومن حيث كونها فعلاً أو مصدراً أو اسماً مهموزاً أو معتلاً أو صحيحاً . وانت ممّتحن اشد الامتحان في الاهتداء الى ما تريد من ذلك . ثم انك محتاج الى فهارس تستوفي هذا القدر الكبير من الابنية وموادها ؛ واظن ان المحقق بعد ان انتهى من تحقيق نص الكتاب، سيعمد الى شيء من ذلك، والا ضاعت الفائدة وبعد الطريق .

لقد قلتُ في الكلام على الجزئين الاول والثاني، ان المحقق قد ادرك في تحقيقه ما يصبو اليه الباحث الجاد في اخراج النص سليماً مبرعاً ، مجلّواً بفوائد نافعة .

غير أنني تناولت مادة الكتاب وطريقة عرضها، فوقفت على ذلك وقفات طويلة. وهأنذا أُنِمَّ هذه المسيرة في هذين الجزأين، الثالث والرابع من الكتاب، فاقول :

١ - لم يكن عمل الفارابي في ديوان الادب عملاً معجبياً يتَّصف بالاستقراء الوافي للأبنية، وما يندرج في كل بناء من الكَلِم . لقد خَصَّ هذا الجزء بالمضاعف، فبدأ بالأسماء، فكان بناء « فَعَلَ »، بفتح الفاء وسكون العين، فاتحة هذا الجزء، مرتباً الكَلِم على حروف المعجم، فجاء بـ « الحَبَّ جمع حبة »، والخَبَّ من الرمل ... والرَّبَّ معرفاً ... وهكذا في سائر الحروف .

اقول : وفاته أن يذكر في حكم هذا الترتيب « الأَبُّ » .
والأَبُّ : الكَلأ ؛ وقالوا : هو المرعى . قال تعالى : « وفاكهةً وأَبًا » .
وفاته أن يذكر « الخَبَّ » ومعانيه، واكتفى بقوله : « الخَبَّ من الرمل »، وهو في تمام معناه : حبل من الرمل لاطيء بالارض . ولم يذكر أن « الخَبَّ » الخُدَاع، وهو الجُرْبُز الذي يسعى بين الناس بالفساد .
وفاته أن يذكر « اللَّبُّ » : الغلام السمين .
وفاته أن يذكر « اللَّبُّ » وهو اللبيب ؛ وهو أيضاً اللطيف القريب من الناس .

ويقال : رجل لَبَّ طَبَّ، أي لازم للأمر ؛ وانشد أبو عمرو :
لَبَّأُ بأعجاز المطيِّ لاحقاً

وفاته « الجَتُّ » . قال ثعلب عن ابن الاعرابي : الجَتُّ هو الجُسُّ للكبش لتنظر أَسْمِينَ أم لا .

وفاته أيضاً « النَّجَّ » ؛ جاء في الحديث : تمام الحَجَّ العَجَّ والنَجَّ .
والعَجَّ العجيج في الدعاء . والنَجَّ : سفك دماء البدن وغيرها .

ولم يشر الى « الدُخ »؛ وفي لغة « الدُخ » بالضم، وهو الدخان ؛
قال الشاعر :

وصار وصلُ الغانيات أخصا

عند سعار النار يغشى الدُخا

وفاته أن يشير الى « الزُخ »، فهو السير العنيف .

وقال في « النُخ » : « أن تناخ الإبل قريبا من المصدق ليصدقها » .

أقول : ولما كان الباب معقودا للأسماء دون الانفعال، فعبارة
« الصحاح » هي المقبولة الواجبة ؛ جاء في « الصحاح » : النُخ : الإبل
التي تناخ عند المصدق ليصدقها » .

وفاته أن يذكر « الصَّخ »، وهو الضرب بالحديد على الحديد،
والعصا الصلبة على شيء مصمت » .

وتخصيص الضرب بهذه الخصوصية المعنوية يُخرج الكلمة عن
المصدر، وهو « الصَّخ » . والمصادر مما أدرجها الفارابي في باب
الانفعال .

ومن المهم أن أشير الى أن المصنّف حين يذكر الكلمة يُكتفي منها
في كثير من الاحيان بمعنى واحد ، وقد يكون هو المشهور الذي يعرفه
الخاصة والعامة . ومن ذلك قوله في « الخَد » :

« وهو الخد »، وسكت .

جاء في « اللسان » : والخَدّ والاختود، شقان في الارض غامضان
مستطيلان . والخَدّ : الجدول .

وقد يختلط الامر على المصنّف فيدرج المصدر مع الاسماء ويحسبه
اسما، كما قال في « الشَّد » أي ارتفاع النهار . وعندي أنه مصدر،
لان الفعل في قولهم « شَدَّ النهار » ارتفع .

وفاته ان يذكر « الصَّد » ؛ و « الصَّد » و « الصَّد » بفتح وضم ؛
الجبل ؛ قالت لبللى الاخيلية :

أُتَابِغْ لَمْ تَنْبَغْ وَلَمْ تَكْ أَوَّلًا وَكُنْتَ صُنِيًّا بَيْنَ صُدَيْنَ مَجْهَلًا
و « الصَّدَان » ناحيتا الشعب أو الجبل أو الوادي؛ والواحد « صُدَّ » .
وقد يثبت من المعاني أحدها، وقد يكون الاغرب، كما قد يكون
الاشهر كما بيَّنا ؛ ومن ذكره اغرب المعاني واهمال المعاني الاخرى
قوله في « القَدَّ » :

و « القَدَّ » : مُسْكُ السَّخْلَةِ ؛ يقال في المثل « مَا يَجْعَلُ قَدُّكَ
مِنْ أَدِيمِكَ » . وشيء حسن القَدَّ ، أي حسن التقطيع .

اقول : وفاته ان يذكر ان « القَدَّ » القائمة ، وقدر الشيء ؛
وغلالم حسن القد أي الاعتدال والجسم .

وأما اثبات المصنّف في قوله « حسن القَدَّ أي حسن التقطيع »
فهو أعلق بالانفعال لانه يذكر بالمصادر .

وقال في « النَّدَّ » : وهو « النَّدَّ » ، واكتفى بذلك، والذي جاء
في كتب اللغة : ان « النَّدَّ » التَّلَّ المرتفع، ونوع من الطيب ، كما في
« الصحاح » .

وقد يتجنّب المصنّف الخلاف وما فيه من أقوال قد تحمل على
التضاد أو غيره، ومن ذلك ما جاء في « الهَدَّ » . قال المصنّف : ويقال :
اني غير هَدٍّ، أي غير ضعيف .

اقول : وقال ابن الاعرابي « الهَدَّ » من الرجال: الجواد
الكريم، وأما الجبان الضعيف فهو « الهَدَّ » بكسر الهاء لا فتحها .

وفات المصنّف ان يذكر « وَدَّ » وتعني الكلمة اسم جبل معروف .
و « الوَدَّ » : الوُدَّ، بلفظة تميم .

واكتفى المصنف بقوله : ان « الجَرَّ » أصل الجبل ، وهو جمع « جِـرَّة » .

اقول : وفاته ان يذكر انه الجبل الذي في وسطه اللؤمة الى المضدّة .

وفاته ان يذكر « العَرَّ » بمعنى الجرب، وهو العَرَّ والعَرَّة بالضم .
وذكر ان « المَرَّ » هو الجبل، وفاته ان يذكر انه المسحاة ايضا ،
وقيل : مقبضها .

وما اريد ان اسرف في استدراكي على ما ذكره المصنف في
بناء « فُعَل » من المضاعف، فانتقل الى بناء « فُعْلَة » بفتح فسكون
من المضاعف ايضا فاقول :

٢ - بدأ المصنف بـ « حَبَّة القلب » بمعنى ثمرته، وفاته ان يذكر :
« بَبَّة » وهي حكاية صوت صبي . قالت هند بنت ابي سفيان ترقص
ابنها عبد الله بن الحارث :

لَأَنْكِحَنَّ بَبَّةُ

جَارِيَةَ خَدْبَةِ

وفي « الصحاح » : « بَبَّة » : اسم جارية . و « البَبَّة » السمين ؛
وقيل : الشاب المتلىء البدن نعمة ، وقد حكاها أبو عبيد في « الغريبين » .
وفاته ان يذكر في « حَبَّة » انها واحدة الحَب ؛ وانها اسم امرأة .
وفاته ان يذكر « الحَبَّة » بفتح وكسر؛ الطريقة من الرمل والسحاب ،
وهي من الثوب شبه الطمرة .

وفاته ان يذكر « الدَبَّة » وهي التي يُجَعَل فيها الزيت
والبزر والدهن، وجمعها « دَبَاب » .

واذا كان المصنف قد ذكر « الرَّبَّ » معرّفاً بانه الخالق ،
وربّ الدار، صاحبها، فلم لم يذكر « رَبَّة الدار » صاحبها !

وفاته أن يذكر « السَّجَّة » وهو صنم كان يُعبد من دون الله .
وبه فسّر قوله — صلى الله عليه وسلم — : اخرجوا صدقاتكم فإن
الله قد أراحكم من « السَّجَّة » و « البَجَّة » .

و « البَجَّة » : الفصيد الذي كانت العرب تأكله في الأزمة .
وقالوا : و « زَحَّةُ الانسان وَمَزَحَّتْهُ وَمَزَحَّتْهُ » : امراته ؛ ولم
يشر الى ذلك المصنف .

وفاته أن يذكر « القَلَّة » وهي النهضة من عِلَّة أو فقر . وفاته
أن يذكر « العَمَّة » مؤنث العَمِّ .

واكتنسي بهذا القدر، وانتقل الى بناء « مُعَل » بضم فسكون،
من المضاعف، فأقول :

٣ — لقد فات المصنف أن يدرج « الخُبَّ » وهو الغامض من الارض .
وفاته أيضا أن يذكر « الأَمْس » وهو الاساس، أي اصل البناء .
وفاته كذلك أن يذكر « الأَصَّ » وهو الاصل .

وفاته أن يدرج « السُّلَّ » وهو الداء؛ وفيه ثلاث لغات : الضمّ
والفتح ثم السَّلال .

وفاته أن يذكر « القُلَّ » هو الخسيس الدين ، ومنه قول الاعشى :
وما كنتُ قُلًّا قبل ذلك أزييا

وننتقل الى بناء « مُعَلَّة » بضم الفاء وسكون العين، من المضاعف،
فنجدد « الجَبَّة » .

أقول : واجتزا المصنف من معاني « الخُبَّة » فذكر الخرقَةَ
تُخْرِجُهَا من الثوب فتعصب بها يدك .

وفاته أن يقول أيضا : أن « الخُبَّة » الخَدَّ في الارض . « والخُبَّة »
طريقة لينة ميثاء، ليست بحزنة ولا سهلة، وهي الى السهولة أدنى .

واغفل ذكر « الدُّبَّة » انثى الدب .

وفاتته « العَجَّة » لضرب من الطعام اختلفوا في مادته وأجزائه ،
فقالوا: الحقيق بالسمن ، وقالوا شيئا آخر .

وقد تجد عبارة المصنف معوزة ، فهو يقول في « الكُرَّة » : البعر
العفن ؛ قال النابغة يصف الدروع :

عُلَيْنٌ بِكَذْيُونٍ وَأَبْطُنٌ كُورَةٌ فَهِنَّ وَضَاءٌ صَانِيَاتُ الْغَلَائِلِ

اقول : وقد تعجب من مجيء الشاهد في الدلالة على المعنى

الذي أثبتته المصنف ، وهو البعر العفن . ولكن الحقيقة تنجلي بعبارة
« الصحاح » الذي زاد على ما ذكره الفارابي بقوله : « تُجَلَّى بِهِ
الدروع » ؛ وهنا يتبين قيمة الشاهد وهو قول النابغة .

ومن ذلك أيضا قوله : « وَالْحُزَّةُ لَفَةٌ فِي الْحُجَّةِ » .

اقول : وإذا رأينا عبارة « الصحاح » : ان حُزَّة السراويل ،
وحُجَزَتها التي فيها التَّكَّة ، أدركنا تقصير الفارابي في إيجازه المُخِلِّ .

ومن ذلك قوله في : « الْمُزَّة » ، الخمر . وهي في « الصحاح » :
الخمر التي فيها طعم حموضة .

وقد يأتي بشيء من المناكير مما لا نجده في أي من كتب اللغة ؛
ومن ذلك قوله : « وَهِيَ اللَّطَّة » .

اقول : وليس في « اللسان » أو « القاموس » أو « الصحاح »
أو « الجوهرة » شيء من ذلك .

وإذا كان الكلام على بناء « فُعْلَةٌ » وما جاء منه في العربية ،
فإن « الأُمَّة » وهي كلمة شهيرة تنصرف الى دلالات عدة ؟

ثم أين « الحُمَّة » وتعني معظم الحر ؟ وأين « السُّمَّة » وهي
حصر يتخذ من خوص الفُضْف ؟

وفي « التهذيب » : والسَّمةُ شبه سُفرة عريضة تُسَفُّ من الخوص وتُبْسَط تحت النخلة إذا صرمت ليسقط ما تثار من الرطب والتمر عليها .

ثم أين « القَمَّة » وهي المزيلَة ؟

وإذا انتقلنا الى بناء « فُعَلِي » بضم الفاء من المنسوب المضاعف، وَجَدْنَا المصنَّف يذكر أربعة الفاظ هي عدة ما جاء على هذا البناء .

٤ - أقول : وليس فيها « العُمِّي » وهو الممام يقابل القُصْرِي، وهو الخاص .

وإذا تجاوزنا هذا البناء المنسوب المضموم الفاء الى نظيره المكسور الفاء، نجد ثلاثة الفاظ ليس غير .

٥ - أقول، وفاته « عَلِّيَّ » وجمعها « عَلَيَّونَ » كما في قوله تعالى : « ان الأبرار لفي عَلَيَّين » .

٦ - وفاته ان يذكر « الحُمَم والصَّمَم »، وليس له ان يحتج بالمصدرية، فقد ذَكَرَ البَلَلُ والمَلَلُ والزَّلَلُ والقَصَصُ وغيرها، وكلّها من المصادر . واين « الدَّبَبُ » وهو الشعر على وجه المرأة ؟

٧ - ويعمد المؤلف كثيرا الى الاكتفاء بمجيء الكلمة على البناء الذي يشميه اليه، من غير أن يذكر شيئا من دلالاته، مع انه يستحق ذلك؛ كقوله في « الحُظَّظ » : انه لفظة في « الحُظَّظ » بضم ففتح وبضميتين .

أقول : وقد وردت بضادين وبطاءين، وبضاد بعدها ظاء، كما في كتب اللغة الاخرى . والحُضُّض دواء من أدوية العين ...

٨ - ونأتي الى بناء « فُعَلَة » فنجد ستة الفاظ، وليس بينها « هُمَزَة » و « لُمَزَة » و « ضَحَكَة » و « هُزُوَة » وكثير غيرها .

٩ - ولم يذكر في بناء « أُمُوعِل » الا « الأُخْدُود »، فإين « الأُنْبُوب » ؟

١٠ - وفاته ان يذكر « الإريز » على بناء « أنعليل » وهو الرعدة ؛ و « إزميم » وهو ليلة من ليالي المحاق .

١١ - وفاته ان يذكر « المدب » وهو مكان جريان السيل . و « المحلل » وهو اشهر من ان يغفل ذكره . ومثل هذا كثير .

١٢ - قلت : انه يوجز، والايجاز حيث يجب من البلاغة والاحكام، فقد قالوا : البلاغة الايجاز . غير ان الايجاز يصبح مأخذاً على صاحبه اذا لم يُفِ بالمراد . ومن ذلك قول المصنف في « المدك » على « مفعّل » مثل « مبرد » : انه شديد الوطء، إنّ قوله « شديد الوطء » معوز، فقد ينصرف « الوطء » الى دلالات عدة ؛ فاذا قرأنا « الصحاح » ووجدنا فيه : انه قوي شديد الوطء للأرض ، انتفى اللبس وزال الغموض .

١٣ - ومن ايجاز المصنف المُخلّ قوله : « وهو المخطاط » . ولا يعرف القارئ ما المخطاط، فيستشير مصادر اللغة، فيجد الجوهري يدرجه في « الصحاح » قائلاً : انه عود يُسوى عليه الخطوط .

١٤ - وفاته ان يذكر في بناء « مفعّل » المضاعف « الدقّاق » و « السلال » من اسماء الرجال، وكذلك السّفاح والسّفاك من القابهم . ومن اعلامهم « زبّان » وبه سمي ابو عمرو بن العلاء، ومن هذا كثير .

١٥ - وفاته ان يدرج « الدبابة » في بناء « فعالة » من المضاعف . و « الدبابة » التي تُتخذ للحروب ، يدخل فيها الرجال ، ثم تدفع في أصل حصن ، فينقبون ، وهم في جوفها ؛ سميت بذلك لانها تدفع فتدب .

و « حبابة » من اعلام النساء المشهورة .

١٦ - وذكر في بناء « مفعّل » بضم الفاء مع تشديد العين ثلاثة اسماء، اولها :

« رجال سُحّاح » اي سمان .

اقول : والضبط في « الصحاح » بكسر السين مع التخفيف ،
وفي « القاموس » بكسر السين وبضمّها مع التخفيف ، ومثله في اللسان .
ولم يرد في أي منها تشديد الحاء . والذي أراه أن قول المصنف « رجال
سُحّاح » وهو جمع « سَحّ » لان « فُعّال » مما يطّرد في جمع « فاعل » .
ولم يذكر « الدُّبّاء » وهو القرع؛ واحدته « دُبّاء » ولا « المَكّاء »
لجنس من الطير، وغير ذلك .

✓ ١٧ — وفي باب « فاعول » من المضاعف ذكر المصنف أربعة
الفاظ بدأها بـ « ماجوج » .

اقول : والرواية فيه الهمز "ماجوج"، وقُرئ « ماجوج » بتسهيل
الهمزة أيضا ؛ فاذا ذُكر « ماجوج » فما باله لم يذكر « ياجوج »، وهو
مثله ويسبقه في الآية الكريمة : « ياجوج وماجوج » !

وذكر « الجاسوس » ولم يذكر « الداسوس »، وهو مثله وقريب
منه في الدلالة .

١٨ — وفي باب « فُعّال » بفتح الفاء مع التخفيف مما لحقته
الزيادة من حروف المدّ بين حرفي تضعيفه، فأتته أن يذكر « اليّاب »
وهو الأرض القفر ، و « الحَزاز » من الرجال، وكذلك الحزيز، الشديد على
السُّوق والقتال والعمل .

١٩ — وفي باب « فُعول » من المضاعف قال المصنف : « وهو الذُّرور » .

اقول : وجاء في القاموس : ما يُدَرّ في العين ؛ وعطر كالذريرة .

٢٠ — وذكر المصنف : « سنة حسوس، أي شديدة » .

وفي « الصحاح » : انها شديدة الحُلّ .

٢١ — وجاء في « الزُّفوف » : أنها فرس كان للنعمان بن المنذر .

أقول : قد يكون هذا ثابتاً، غير أن في « اللسان » : أن « الزُفوف » هي النعامة . وقد أغفل ذكرها صاحب « الصحاح » .

٢٢ - وذكر المصنف أن « السُّوم » شدة الحر . والسذي في « الصحاح » أنها الريح الحارة . وقال في « الهموم » من البحار، الكثير الماء .

أقول : وجاء في اللسان : أن « الهموم » البئر الكثيرة الماء . وسحابة هموم، صوب للمطر .

وقال أبو عمرو : « الهموم » الناقة الحسنة المشية ، والقرواح التي تعاف الشرب مع الكبار ، فإذا جاءت الدهاء شربت معهم ، وهي الصغار . والهموم : الناقة تهتم بفيها الأرض وترتفع أدنى شيء تجده ؛ قال : ومنه قول ابنه الخس : خير النوق الهموم الرموم التي كأن عينيها عينا محموم .

أقول : وقول ابنه الخس : خير النوق الهموم الرموم ، التي كأن عينيها عينا محموم . أقول : وقول ابنه الخس يشير إلى « الرموم » التي نددت عن الفارابي فلم يذكرها .

٢٣ - لقد أورد المؤلف باباً لبناء « فعيل » المضاعف، وأغلبه من الصفات التي كان من منهج المصنف أن تندرج في باب الأعمال؛ نحو، الحبيب، والريبب، والليبب، والشحيح، والجديد، واللذيق، والضريع، والعزيز، والخسيس، والخفيف، والدقيق، والجليل، والديم، والضمن، ومثل هذا كثير في هذا الباب .

٢٤ - وجاء في هذا الباب « اللطيفة » فقال المصنف : وهي اللطيفة .

وليس اللطيفة في « الصحاح » أو « اللسان » أو « القاموس » . وقد وجد في هذه المظان : لَطَطْتُ الشيء : الصقته ؛ ولططت حقه : جددته ؛ ولط الستر : أرخاه ؛ ولطت الناقة بذنبها، إذا جعلته بين فخذيها .

٢٥ - وقال المصنف : « هي البليبة » . واكتنى بذلك . وهي ريح باردة مغ ندى او مطرة ضعيفة ، كما في « الصحاح » و « اللسان » .

٢٦ - وجاء الكثير من بناء « فُعال » ، بضم الفاء المضاعف ، صفاتٍ ونعوتاً ، مما يجب ان يندرج في قسم الانعال .

٢٧ - ومات المصنّف ان يدرج « الطُفّاف » في عدة هذه الالفاظ التي جاءت على هذا البناء .

٢٨ - ومات المصنّف في بناء « فُعالة » ، بضم الفاء مع التضعيف ، « الطُفّانة » ، وهي ما فوق المكيال ، ومثلها « الطُفّاف » الذي اشرنا اليه .

٢٩ - وجاء من المنسوب على بناء « فُعال » ، بضم الفاء لفظ واحد هو « القُساسيّ » ، وَذَكَرَ المصنّف انه السيف .

اقول : وفي « الصحاح » ان القُساس معدن الحديد بارمينية ، و « القُساسيّ » منسوب اليه .

٣٠ - وجاء في بناء « فُعال » ، مكسور الفاء من المضاعف ، « الجُداد » ؛ فنذكر المصنّف انه لفظة في « الجُداد » ، بفتح الجيم .

اقول : والجُداد والجُداد مثل الصِرام والقُطاف كما في « الصحاح » .

٣١ - ومن ايجاز المصنّف انه ذكر « الصِرار » ، بكسر الصاد ، وقال : الخيط الذي يُكَدّ به خِرَق الناقة .

اقول : وزاد في « الصحاح » ، لئلا يَرُضِعَهَا ولدها ؛ وهذه الزيادة مفيدة وواجبة .

٣٢ - وفي مادة « تَمَام » ، بكسر التاء ، ذكر المصنّف : وَلَدَ تِمَام وتَمَام (بالكسر والفتح) ، وَقَمَرَ تِمَام وتَمَام .

اقول : والذي في « اللسان » الكسر وحده ؛ ليل تِمَام وليل لِتِمَام وليل تِمَامِي .

٣٣ - وفاته في بناء « فَعَالَة » بكسر الفاء من المضاعف، « الْكِهَامَة » وهي ما يجعل على منكر الدابة لئلا يؤذيها الذباب، كما في « اللسان » .
و « الْكِهَامَة » أيضا وعاء الطلع، وغطاء النور، كما في « الصحاح » .

٣٤ - وفاته أيضا « الدِّلَالَة » بكسر الدال، وهو ما يعطى للدَّلَال أو الدليل .

٣٥ - وجاء في بناء « فُعَلَى » المضموم الفاء والمضاعف، ثلاثة الفاظ هي : « الرُّبَى » ، و « الحُمَى » و « الغُمَى » .

أقول : وفاته شيء كثير، منه : « الحَبَى » من أعلام الاناث ، و « الدُّبَى » : موضع بالدهناء لئن يالغه الجراد فيبيض فيه ، و « الْجُلَى » للأمر العظيم .

٣٦ - وفات المصنف في بناء « فُعَلَاء »، بضم فسكون من المضاعف، « الدُّبَاء » وهو القرع، واحدته دُبَاءَة .

٣٧ - وفات المصنف في بناء « فُعَلَان » من المضاعف، « زَبَان » من أعلام الرجال ، وكذلك « بَلَّان » .

٣٨ - وفات المصنف أن يذكر « الْحَبَّجَة » على بناء « فُعَلَّة »، بفتح الفاء، وتعني جري الماء قليلا .

كما فاته « الْخَبَّجَة »، وهي رخاوة الشيء المضطرب .

ومثل هذا « الدُّبْبَة » وهي العُجُوف من النمل . و « الدُّبْبَة » كل صوت أشبه صوت الحافر على الأرض الصلبة . ومثل هذا « الدُّبْبَة » وهي تردد الشيء المعلق في الهواء . ومن ذلك « الْجَلْجَلَة » للصوت عامّة . وهذا قليل من كثير مما قصّر فيه المصنف .

٣٩ - وفات المصنف « الصُّرُصَر »، بضم الصاد من مضاعف الرباعي . والصُّرُصَر، بالضم والفتح، والصُّرُصور مثل الجُرُجور، وهي العظام من الإبل .

٤٠ - وقد فاته في بناء « مُعَلَّة » بضم الفاء واللام: « البُلْبُلَة »
لضرب من الكيزان في جنبه بُلْبُلٌ يَنْصَبُ منه المساء .

٤١ - وذكر في بناء « فُعِلَّ » بكسر فسكون من المضاعف :
ورجل صُمِّمَ أي غليظ .

اقول وزاد صاحب « الصحاح » : ويقال الجريء الماضي .

٤٢ - وقد قَصَّرَ المصنّف في بناء « فُعَالِل » بضم الفاء وكسر
اللام وقد فاته « البُسْبَاس » و « الكِبَاكِب » و « الدُّبَادِب » و « الجُبَابِج »
للكثير الصِّياح ، وغير ذلك كثير .

٤٣ - وقد فاته كثير مما جاء على « فُعَلَال » بفتح الفاء
من المضاعف ومنه « الدُّبَادِب » و « الرَّحْرَاح » وشيء رحراح أي غيبه
سعة . وغير هذا كثير .

٤٤ - وقد فاته في بناء « فُعَلَالَة » بالفتح « الطُّبْطَابَة » وهي
خشبة يُلْعَبُ بها في الكرة .

ومن هذا أيضا « البُسْبَاسَة » وهي بَقْلَة ، وهي أيضا من
اعلام الاناث .

٤٥ - وفاته في بناء « فُعْلُول » « الطُّرْطُور » وهو الوغد
من الرجال .

وينتهي المصنّف من باب الاسماء من المضاعف ويعود الى باب
الافعال من المضاعف، فيبدأ بـ « فُعْلُ يَفْعُل » بفتح العين في الماضي
وضمّها في المضارع . ويعقبه بـ « فَعْلُ يَفْعِلُ » بفتح ثم كسر، ثم « فَعْلُ
يَفْعَلُ » بفتحين، ثم « فَعْلُ يَفْعَلُ » بكسر ففتح . وهو في مجموع هذا
يذكر المصادر . ولا تحسبنّ أنه يستوفي الكلّ أو يستوفي الدلالات،
فقد فاته الشيء الكثير . وهو يوجز في كثير من الاحيان ايجازاً مُخِلّاً .

وهو حين يذكر « فَعَلَ يَفْعَل » بكسر ففتح، يعرض للنعوت التي وردت على "أفعل" من الافعال المضاعف، نحو: الْأَخْصَّ وَالْأَشْمَّ وغيرها .

ثم يدخل في باب الزيادات، فيبدأ بـ « أَفْعَلَ » من المضاعف، نحو: أَحَبَّ وَالْحَبَّ . ثم يعقب ذلك بـ « فَعَّلَ » المزيد، ثم يعرض للمشتقات، كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة وغيرها ، وينتهي من المضاعف فيعود الى الافعال غير المضاعفة، ويتبّع منهجه نفسه ، في المجرّد والمزيد وما يتصل بهذه كلها من المشتقات .

ولا بد من القول أن المصنّف مقصّر غير مستوفٍ لمادته في هذه الجهرة الكبيرة من المسواد .

وها نحن نبدا الكلام على الجزء الرابع، والمنشور منه القسم الاول ؛ ولعلّ القسم الثاني خاص بالفهارس .

يبدأ هذا الجزء بـ « كتاب ذوات الاربعة » ؛ وقد يخيّل اليك أن « ذوات الاربعة » هذه تعني الرباعي، فاقول، ليس الامر على هذا النحو، فهو يأتي بباب « فَعَّلَ » بفتح فسكون، مما آخره واو، كالرَّبُّو والفَحْو والفَرُو والدَلُو، وغير ذلك . والمصنّف على نهجه لا يستوفي عدّة الكَلِم ولا يستوفي دلالاتها ؛ وقد يوجز ايجازا يحمل الضيم على المعاني . ثم انه يخلط الاسماء بالصادر، مع أن الباب مخصوص بالاسماء دون المصادر، التي يعلّمها من باب الافعال .

فإذا انتهى من هذه الالفاظ ذات الواو في آخرها، عاد الى الباب نفسه مما آخره ياء .

ثم يعرض لما جاء من الباب نفسه من اللفيف الواوي واليائي، كالْبَوِّ والْحَيِّ . ويستمر في ائبنة الاسماء المنتهية بأحد الحرفين الواو والياء، كبناء « فَعَّلَ » بالفتح، و « فَعَّلَ » بالكسر و « فُعِّلَ » بالضم ، و « فُعِّلَ » بالضم، و « فَعَّلَ » بالكسر، و « فَعَّلَ » بفتحتين، و « فَعَّلَ »

بفتحين، و « فَعَلَ » بكسر ففتح، و « أَفْعَلَ » و « أَفْعَلَة » و « أُمْعُول » بالضم، و « أُمْعُولَة »، و « أُمْعُلَان » بضم الهمزة والعين . و « مَفْعَلَ » و « مَفْعَلَة » بفتح العين، و « مَفْعَلَ » و « مَفْعَلَة » بضم الميم، و « مَفْعَلَ » بكسر الميم، و « مَفْعَلَة » بكسر الميم . وهكذا في سائر المشتقات من الاصل المجرد أو الزيد ، وكل ذلك مما آخره واو أو ياء . ثم عرض للمهموز في الافعال ومصادرها والمشتقات، واتبع المنهج نفسه .

وهكذا ينتهي القسم الاول من الجزء الرابع، والدارس لهذا الكتاب مِتَحَنٌّ أَشَدَّ الامتحان في معرفة الغرض الذي رُمي اليه المصنّف، اهو معجم للأبنية ؟ ومعنى هذا ليس من ضير ان يأتي بهذا القدر الكبير من الالفاظ ؛ ام هو معجم للأبنية والكلم ؟ واذا كان هذا ، فأي جمهرة من الكلم التي فانت المصنّف ؟

ولم أرد ان آتي على ما فات الفارابي من الكلم المدرج في ابنيته المختلفة، فيكون للمستدرك الذي اتيت به صفة الاستقراء الوافي ؛ بل اردت ان آتي بنماذج واضحة مما فات المصنّف، ومما اخلّ به او قصر او اخطأ، لا أقول إن الكتاب لم تتوافر فيه المعجبية العلمية الدقيقة .

على ان من الحق ان اقول في الختام إن المحقق قد قدّم من الفوائد ما اغنى الكتاب، فَيَسَّرَهُ وأجزل عائدته . ولا يضير هذا العمل الجاد هفوات عرضت لها في الكلام على الجزء الاول ؛ وهل تعدم الحسنة ذاما ؟

د. ابراهيم السامرائي

تعريب أم اقتباس؟

للأستاذ عبدالحق فاضل
(بغداد / العراق)

الذي أريد اليه : هو (تعريب) بمعناه القديم أم الحديث ؟

ذلك بأن المعنيين قد تعارضا أخيرا وتناقضا في هذه الكلمة الواحدة .
فقدنيا قالوا: عرِّبْتُ الاسم الأعجمي وأعربته، بمعنى : نطقت به على نهج العرب ، على تعبير المعجم . ويتعبّر أوضح : استعملته في عربيتك ونطقته على طريقة لغتك . ومن ثم أطلق اللغويون « المعرَّب » — زنة المظفر — على الدخيل في العربية . أما اليوم فصاروا إذا اقتبسوا الأسماء الأعجمية نطقوا بها على الأغلب على النهج الاجنب ؛ مثل : تلكس وفولت وهونك كونا، حتى حين يكتبونها هونغ كونغ .. أي ينطقونها بالحركات الممالة الاجنبية والحركات الاجنبية .

ثم تغير معنى (التعريب) حين استعمله بعض المتأخرين بمعنى الترجمة ، فقالوا: هذا الكتاب تعريب فلان ، أو عرِّبه فلان ، أي ترجمه من لغة أعجمية الى العربية . وهذا بطبيعة الحال عكس المعنى السابق الذي يعني اقتباس اللفظ الأعجمي واستعماله في العربية بدلا من ترجمته . والامثل فيما يبدو ، في حالة نقل الكتاب «تجنبي إلى العربية ، أن يسمى العمل (تعريبا) إذا عبّر الناقل عن الفكرة بأسلوبه هو دون تقيّد بتعابير الاصل ، وأن يسمى (ترجمة) إذا التزم بأسلوب الاصل وتعابيره .

وانقلسب (التعريب) قلبه أخرى يوم استعملوه في قولهم (تعريب التعليم)، مثلا، بمعنى ترك اللفظة الاحنية في التعليم واحلال

العربية محلها . ولو سمعها أحد العرب القدامى لتسائل متعجبا :
هل المقصود هو التعليم باللغة الاعجمية مع نطق الفاظها « على منهاج
العرب » ؟ ذلك بأن المعنى القديم قد انقلب في اصطلاح (تعريب التعليم)
تماما من (تعريب الاسم الاعجمي) أي استعماله في العربية بمعناه
الاعجمي مع تحويل نطقه بما يلائم اللسان العربي ، الى طرد اللغة
الاجنبية واحلال العربية محلها .

وبما أن هذا المعنى الآخر المستحدث هو الشائع الدائر على
اللسنة والاقلام اليوم ، وهو الذي يعرفه أبناء الجيل الجديد ،
فلسنك أجد مناصا من الاخذ به في حديثي هذا ، ولا أجد مناصا
كذلك من أن أستبدل بـ (التعريب) بمعناه القديم كلمة أخرى ترفع
اللبس وتزيل التناقض . ولنقل أنها (الاقتباس) .



كثيرون يقترحون علينا اقتباس المصطلحات الاجنبية كما هي،
بدلا من صوغ الفاظ عربية تؤدي معناها . بعض هؤلاء من أجلة
العلماء الذين لا شك في إخلاصهم للعربية وإكبارهم لشأنها . ومن
حُججهم أن العلم صار يتطور بسرعة عظيمة، والمصطلحات تتكاثر؛
فكل يوم يولد نحو خمسين مصطلحا في مختلف العلوم والصناعات
مختلف أقطار العالم . ومن حججهم أيضا أن اقتباس المصطلحات
الاعجمية يساعد الدارس العربي على فهمها حين يقرأها في لغة
أجنبية ، بدلا من الاضطرار الى تعلّمها من جديد . وثالثة هي أن
العرب قد اُكثروا من الاقتباس قديما، ولا سيما في عصر الازدهار
الحضاري على العهد العباسي ، وعُدَّ بعضهم هذا من امارات ذكاء
العرب وحسن تدبيرهم .

وجوابنا على كثرة المولود يوميا من المصطلحات عند الفرنجة،
أن معظمه لا شأن له بنا من العلوم التقنية الحديثة التي لا نعرف
عنها شيئا ، أو لا نعرف عنها الا القليل، والتي سوف نتعلمها ونحتاج

الى مصطلحاتها بعد ربح من الزمن، لعلّه طويل . كما ان مصطلحات اليوم غير متفق عليها عند مختلف الامم، مثل اتفاتهم على المصطلحات القديمة التي كانوا يختارون الفاظها من اللغة الاغريقية أو اللاتينية، كيلا تختلط — ولا سيما أسماء المخترعات الحديثة — بالفاظ لغتهم اليومية من قبيل telephon بمعنى Voice a far بالانكليزية أي : صوت من بعيد ، و telegraph بدل script afar أي : كتابة من بعيد .

بل صاروا الآن، لكثرة المخترعات وابتكار الادوات يوميا، ينعجلون تسميتها ، كلّ بلغة قومه : أحيانا يصوغ اسمها الطبيب المشتغل بها، وأحيانا المهندس، أو حتى العامل . في معجم النفط — مثلا — الذي عُمِلَتْ في وضع مصطلحات عربية للكثير من مصطلحاته الانكليزية ، يطلقون (head : رأس) على أجهزة القسم الاعلى من البئر . فهل نسمّيه على مذهب مؤيدي الاقتباس : (هِد) ؟ أنا آثرت ترجمة المصطلح بدل اقتباسه، فاخترت له كلمة (الهامة) لانني وجدتها اوفى بالمرام .

واحدي الادوات يسميها المعجم الامريكي (عنزة) . ويسدو ان هذه لم تكن من وضع عالم أو مجمع لغوي ، فلعلّها من وضع أحد العمال، وَجَدَ رأس الاداة أو ذيلها أو شكلها العام يشبه العنزة في تصوّره . فهل يجب ان نقتبس اسمها (كوت : goat) ثم ننطقها — على منهج العرب (قوت) بالفتح ، أو (جوت) بالنطق المصري ؟ نسيت الاسم العربي الذي وضعته لها .

واذا كانت اللغات الانرجية تتفق غالبا في الاسماء المصوغة من الاغريقية أو اللاتينية، كالذي المحنا اليه ، فان بعضها يتفاير حتى في هذه ، كالالمانية التي تخالف اخواتها الاوروبيات في كثير من هذه المصطلحات المشتركة . فاما المصطلحات التي يصوغها كلّ بلغة قومه فلا يمكن بحال ان نقتبس واحدة منها من لغة الا تخالف الاخريات .

بهذا الإشكال الذي ينتهي انتصار الاقتباس أن يُجلّوه للعربية
قد أخذت تعاني منه جميع لغات الأرض ؛ حتى الفرنجة لم يبق لهم
معيد عن الترجمة ، كل الى لغته : الفرنسيون يترجمون الى
لغتهم المصطلحات المستحدثة في الانكليزية والالمانية والروسية ،
والانكليز يترجمون الى لغتهم ما استُحدث منها في الفرنسية والالمانية
والايطالية ، الخ ... ولا سبيل للعربية تسلكه غير هذا السبيل ،
مثلن ، اي الترجمة ، بل التعريب — وان بين الكلمتين لفرقاً نوّهنها
بشيء منه آنفاً ، وسيعود الينا نموذج منه بحد —

وبالاضافة الى اختلاف اللغات في الفاظ المصطلحات نذكر ان
اللغة الواحدة الافرنجية قد تختلف مفرداتها في داخلها ؛ فشركات
اللفظ، مثلاً، لا تتشاور فيما بينها حين يستدعي الامر وضع مصطلح
جديد ، بل تضع كلّ واحدة منها المصطلح الذي يعنّ لها للالة
الواحدة، أو الحالة الواحدة، حين تصادفها في اثناء الحفر او التصنيف
او غير ذلك .

فماذا نحن اردنا اتباع قاعدة الاقتباس، فاية لغة نتبع ، ولكلّ
لغة ، وأحياناً لكلّ شركة معجمها ؟

أما الاشادة بذكاء العرب الغابرين لانهم اقتبسوا الالفاظ
والمصطلحات ، فمن باب الاغراء والتشجيع على الاقتباس الذي
قد يدلّ على أي شيء سوى الذكاء . فالاقتباس سجيّة جميع
اللغات ، ولا سيّما القاصرة البدائية منها ؛ فكلّما زادت اللغة
إملاقاً وقلّت مقدرة على التعبير، كثر اقتباسها من اللغات الاخرى
التي تحتكّ بها . (وقد يكون للاقتباس أسباب أخرى غير الفاقة
اللغوية ، لا محلّ لها هنا) .

وقد تكاثرت الاقتباسات في عهد الترجمة العباسي حقاً ، لكن
سبب ذلك على الاغلب ضعف لغة المترجمين، وضالة بضاعتهم من

العربية — وقد كان بعضهم من غير العرب الفصحاء ، نشأست بسببهم مصطلحات أجنبية لم يعرفوا كيف يترجمونها الى العربية ، مثل : الفلسفة ، والجغرافيا ، والاجرومية ، والارتماطيقا ، والطبوغرافيا ، وكثير غيرها ؛ فحيثما جهل المترجم معنى الكلمة الاعجمية (اغريقية او غيرها) او لم يُهتَدِ الى الكلمة العربية المقابلة لها ، أُتَحَمَّ الكلمة الاعجمية في ترجمته العربية .

لكن العرب نَحَّوْا تلك الترجمات فيما بعد، ووضعوا الكثير من الالفاظ العربية بدل الاعجمية ، مثل : الحكمة بدل الفلسفة ، وتقويم البلدان بدل الجغرافية ، والحساب بدل الارتماطيقا ...

ولامر ما بُتُّ بعض المصطلحات الاعجمية بدل العربية ، مثل الفلسفة ، والاسطراب ، والجغرافيا ، والكيمياء ، وغيرها . لكن هذه قليلة اذا هي قيسَت بالمصطلحات العربية التي لا تحصى في الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وغيرها .

ولو قد اخذ العلماء العرب عهدئذ كل المصطلحات الاعجمية كما هي من الاغريقية واللاتينية والهندية .. لضاع علينا من لغتنا هذه العربية خير كثير .

ولئن كنت أعاُضد (التعريب) وأعارض (الاقتباس) فلسست أجهل صعوبة التعريب ، وما زالت الفاظ أعجمية تبحث لنفسها عن صيغ عربية تلبسها ، لانها لم تجسد لدى المجامع ولا الجامعات حتى اليوم ما يقابلها من العربية ، وبعضها لن تجد لها ما يقابلها الا بعد زمن طويل .

عَمِلْتُ في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (التابع لجامعة الدول العربية) — في الرباط — اثني عشر عاما ، ومارستُ تعريب المصطلحات في بعض المعاجم ، وكتبت دراسات عن بعضها (دون توقيع) ، فوجدت أن العقبة الكبرى في طريقي هي أنسى أحس بوجود

كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بالمصطلح الاجنبي ، لكني لا أتذكرها .
 اما الكلمات المعجبية التي أعلم انني لا أعرفها فما أومرها عددا !
 وما مرّت بي مناسبة من هذا القبيل الا اشتدّ شعوري بحاجتنا
 الماسّة الى معجم للمعاني الى جانب هاتيه المعاجم الكثيرة للالفاظ .
 فعندما كتبتُ (في مجلة اللسان العربي) دراسة عن معجم (الطيران
 المدني) ، مثلا ، عرّضتُ لسي أنواع من الغيوم والرياح والتحليق في
 الطيران والاسفاف فيه ، أعلم أن أسماءها موجودة في العربية، لكنني
 لا أعلم كيف أجدها . كذلك كتبتُ عن المعجم العسكري الموحّد
 دراسة وجيزة ، تمّنت في أثناء تحبيرها لو كان تحت يدي معجم
 للمعاني يتناول كل مفردات الهجوم والدفاع وتقسيم الجحافل
 والكراديس ، وكل ما يتعلق برتب القادة وغيرهم من جنود وعرفاء
 وما الى ذلك . ومثل هذا يقال عن معجم النفط ، والجغرافيا ،
 والتاريخ ، والفلسفة ، وكل معجم يضعه العربون في علم النفس ،
 والتربية ، والاقتصاد ... فلكل من هذه المعاجم وغيرها من معاجم
 الاختصاص ذخيرتها المكنوزة في مستودع اللغة العربية الشديدة الغنى .
 لكن كيف نعثر عليها ؟

من فضلك لا تقل لي ارجع الى (مخصّص) ابن سيدة .
 انه معجم جليل الشأن حقا ، ومؤلفه الضريع عبّاري حقا — لكنه قديم ،
 لم تكن اشتات اللغة العربية قد جُمِعت عند تأليفه ، في القرن الثالث
 الهجري ، وخاصة في الاندلس ، وطن المؤلف ؛ فقد ظهرت بعده ،
 ولا سيما في المشرق ، مفردات كثيرة لا وجود لها فيه . ثم ان القارئ
 يتوه فيه في تفاصيل لا يحتاج اليها عن كل لفظة ، تنيد الدارس اللغوي
 لكنها ترهق القارئ المستعجل ، الذي هوّهُ أن يستعرض الالفاظ
 الدائرة حول المعنى المطلوب دون دخول في تشعبات اشتقاقاتها
 ومختلف معانيها . يضاف الى ذلك أن (المخصّص) لا يستوعب كل
 المواضيع ، فضلا عن أن تبويبه غير عصري ، وفهرسته غير دقيقة
 ولا واضحة .

ولو تيسر لجبلنا معجم للمعاني يجمع كل ما يتعلق بالضوء في مكان ، وكل ما يتعلق بالاحلام في مكان آخر ، وكل ما يتعلق بالجهاد والنضال في مكان ثالث ، وكل ما يتعلق بالدرس والحصاد في رابع وخامس ... لا يمكننا في معظم الحالات ان نجد الكلمة العربية المطلوبة مقابل المصطلح الاعجمي ، بالدقة احيانا ، مما سبق للعرب ان استعملوه واودعوه معاجمهم ؛ لكننا لا ندري كيف نعثر عليه .

ازجى بعض الامثلة من معجم صغير ترجمته عن الانكليزية والفرنسية باسم « معجم صيانة الطبيعة » (١) واجهتني فيه مصطلحات اعجمية لا نستعمل اليوم في فصاحتنا مقابلاتها العربية . نذكر منها falconry (fauconnerie بالفرنسية) ويشرحها المعجم بقوله إنها « استخدام طيور كاسرة للصيد » . فأية الكلمتين الاوروبيتين نختار اذا اردنا الاقتباس بدل التعريب او الترجمة ؟ هذا ، ولكل لغة اوروبية اخرى كلمتها التي تؤدي لاهلها هذا المعنى . افليس الامثل ان نؤثر كلمتنا العربية التي استعملها العرب قديما بالفعل لهذا المعنى وهي (التَصَقَّر) ؟

ثم هناك مصطلح relict (وهو بالفرنسية : relicte) يُعرّفه المعجم بأنه « نوع او سلالة من نباتات او حيوانات متخلّفة من فصيلة سالفة اكبر » . فما الداعي الى الاخذ بالمصطلح الاجنبى وعندنا في العربية (الخالفة) وهي معجبا « الامة الباقية بعد الامة السالفة » ؟

كذلك dust storm (بالفرنسية : tempête de pousserie) .. كثيرا ما يستعمل المعاصرون من كتابنا العرب مقابلها (عاصفة ترابية) بينما لدينا في العربية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى هي (السافية) اي « الريح التي تحمل التراب » .

(١) نشر المعجم بلفظه الاوروبيتين مع ترجمته العربية في مجلة (اللسان العربي) . العدد (١٢ - ج ١ - ص ٢٠٦) لسنة ١٩٧٢ .

ثم mass mortality (بالفرنسية mortalité massive)

.. باية صيغة اجنبية نقتبسها ؟ بعضهم يترجمونها لفظيا بكلمتي (الموت الجماعي) . ويقول المعجم المذكور بين قوسين (في الروسية مصطلح خاص « زامور Zamor » للموت الجماعي في الاسماك بسبب عوز الاوكسجين او التسمم) . ومعنى هذا انه ليس لديهم في الانكليزية والفرنسية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى لهم . فما الداعي الى اقتباس المصطلح الاجنبى - الروسى او غيره - او ترجمته بكلمتين وعندنا في العربية (السَواف) - زنة الطَواف - اي : « المسوت يقع في الابل او الماشية » ؟

ما علينا الا ان نبحث في لغتنا فنجد حاجتنا من الالفاظ المعبرة عما نروم بالدقة او بما يقاربها . وسنجد انها في كثير من الاحيان اغنى حتى في المصطلحات ، وادق من الاجنبية . من ذلك مثلا eulittoral (بالفرنسية Zone eulittorale) يعرفها المعجم بانها « المنطقة تُفَرَّقُ دورياً لوقوعها بين حدود تُغَيِّرُ مستوى الماء » اي تقع بين مستوى صعود المد أو الفيضان وهبوطهما . بينما هذه الكلمة الاجنبية لا تؤدي كل هذا في لغتهم ، وانما هي تعني لفويا عندهم (الساحلي) فحسب . وما كسل ارض ساحلية يصيبها الفرق دوريا على هذا النحو ، لكنهم استعملوها لانهم لم يجدوا في لغاتهم كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى الطويل . فهنا لم (أترجم) لفظ المصطلح المغاير لمعناه اللغوي بكلمة (الساحلي) او ما يماثلها ، بل (عَرَّبْتُهُ) اي وضعت مقابله الكلمة العربية التي تؤدي بالدقة هذا المعنى ، وهي (الرُقَّة) - زنة البَطَّة - ومن معانيها : « الارض يغمرها الماء وينضب عنها » على تعبير المعجم ؛ وهي مستعملة في الدارجة العراقية ايضا بهذا المعنى ، وربما في دارجات اخريات كذلك .

على ان ثمة مفردات عربية كثيرة اعرفها لكني لا اذكرها عند الحاجة اليها . واكثر مما اذكر او لا اذكر من المفردات التي اعرفها ، هي المفردات التي لا اعرفها . فهنا تتجلى من جديد مائدة معجم

للمعاني ، عصري ، يُتِمُّ فيه جُرد كلِّ معاجمنا العربية وكتب اللغة
 المعتمدة ، وقرؤها بحسب معانيها ، ليقْدِّمها لنا مصنفة مبنوية مفهومة ؛
 وما علينا عندئذ ، حين يجابهنا مصطلح أجنبي لا يحضرنا مقابلته
 العربي ، الا ان نفتح معجمنا ذلك على الباب المطلوب . حتى اذا لم
 نجد المعنى المروم بذاته جاهزا ، فان مفردات المعاني المتصلة به
 أو القريبة منه ، تساعدنا على صياغة المصطلح العربي بالصورة التي
 ثلاثمنا وتتي بحاجتنا . وفي هذا مساعفة ، اية مساعفة ، للمشتغلين
 بالتعريب ، تقفز بحركة التعريب ووضع المصطلحات قفزة كبيرة
 الى امام والى أعلى ، في هذه الفترة التي يجتاز فيها وطننا العربي أزمة
 تعريب ، ونهضة تعريب ، معا . وعندئذ يتيسر العمل حتى لغير
 اللغويين من المشتغلين في هذا المضمار .

هذا المعجم — حلال المشاكل التعريبية — موجود ، لكنه
 غير مطبوع ، كان قد ألفه اللغوي الذي يكاد يكون مجهولا في هذا
 الجيل ، وهو المرحوم سالم خليل رزق ، منذ عام ١٩٣٣ ، بعد ان عمل
 فيه اكثر من عشرين عاما . ثم فارق هذه الدنيا ولم تكتحل عيناه
 برؤية انجازته تؤدي وظيفتها في خدمة هذه اللغة التي أحبها وهام بها ،
 بدليل انه بذل كل هذا الجهد الشاق في سبيلها ، وبدليل تسمية
 معجمه (لآلىء العرب) .

كئشال بسيط اذكر ان من يعمل في تعريب المصطلحات — ولا
 سيما من غير اللغويين المتبحرين في العربية — قد يتحير اذا جابهته
 بالانكليزية كلمات تعني الكتابة ، وقد ورد كل منها في معنى اصطلاحى
 خاص ، مثل :

putting down, graph, scription, writing, booking, recording,
 ... فساذا لم يكن ممن يعرف الى جانب (الكتابة) : التسطير ،
 والتخبير ، والتدبيج ، والتحرير ، والتسجيل ، والتدوين ، والتقييد ...
 فما عليه الا ان يفتح (لآلىء العرب) في الباب المختص ليجد امامه

أكثر من ثلاثين كلمة تعنسي الكتابة بمختلف أنواعها ، وبضمنها
الكلمات الأتفة (٢) .



لكنني لا أناصر التعريب بسبب ما تقدم فقط من ثراء العربية
وقدرتها على الاكتفاء بنفسها ، ولا لأنها كانت الإمام والقوة في
المصطلحات العلمية ، إنسان ازدهارها حضارة وثقافة ، ولا اعتزازا
قوميا ، ولكن بدافع علمي خالص ، عالمي ، أيضا .

ذلك بأنني صرت أعتقد — بعد طول تأمل في هذه العربية
ومقارنة لها مع غيرها — أنها هي أم اللغات الآريات ، بالإضافة
إلى الساميات والهاميات ، كما أعلنتُ مرارا ؛ بل إنها أم لغات
أخرى أيضا لم يتيسر لي بعد إعداد دراسات وافية عنها . وجدت
في الانكليزية مثلا أن كلمة river (نهر) يعود راسها (= جذرها
الصوتي) إلى قول العربي الأقدم (هو ووو) محاكاة لصوت هبوب
الريح ، وأن two (اثنين) تعود إلى قوله (طو) محاكاة لصوت
انكسار الفصن ، وأن logic (منطق) ترجع إلى قول الطفل
العربي (لغ لغ لغ) ، وأن (sonata) نوع من المعزوفات) ترجع
إلى قول الفروج العربي (صو صو صو) (٢) ... ولا يقتصر هذا
على الانكليزية طبعا، فهو ينطبق على الآريات بوجه عام وبعض لغات
أخرى كالذي مرّ التنويه به .

معنى هذا أن اللغويين الأوروبيين لا بدّ لهم من درس العربية
بأصولها وفروعها ليتعرفوا على المنشأ الذي انبثقت منه مفردات
لغاتهم ؛ لأنها — أي العربية — ما زالت نقيّة تحتفظ وحدها بين

(٢) من حسن الحظ أن وزارة الثقافة والأعلام العراقية قد أخذت على ماتها ، برعاية
السيد رئيس الجمهورية ، نشر هذا المعجم .

(٣) فصلنا ذلك وامثاله في كتابنا « مناهج لغوية » .

اللغات الراقية بالكثير من الجذور اللغوية الاولى التي ضاعت من جميع بناتها الساميّات والحاميّات والآريّات .

والمصطلحات الأجنبية الوفيرة التي اخذت تنهر علينا — اذا اقتبسناها بدلا من تعريبها — افسدت نقاء هذه العربية ، وعكّرت صفو معاجها ، خلطاً بين دخیل واثیل .

الاقتباس أسرع طريقة فعلا واسهلها لتوسيع اللغة ، لكن لتضييع اصالتها أيضا ؛ فالانكليزية اليوم أغنى لغات الارض ، لأنها دأبت على اختطاف كل مصطلح أو لفظ اجنبي يعرض لها ، دون أن تحاول اشتقاق صيغة لها من مفرداتها ، حتى غدت أوفر اللغات ثروة ، وأوفاهها بحاجة الانسان والباحث المعاصر . لكنها — كلفة — من أفقر اللغات أيضا اذا بحثنا فيها عن المفردات الانكليزية الاثيلة . وليس ثمة لغة انكليزية في الحقيقة ، لأنها كلها خليط من اللغة المحلية (الولزية) والسكسونية (الجرمانية) والفرنسية والاسكتلندية ولغات اوروبيات أخريات . ثم جاء عهد الاقتباس — الاستعماري — من كل لغات الناس .

* * *

المصطلحات التي اجدني مترددا بين تعريبها واقتباسها هي التي يرجع لفظها الآري الى رس عربي . أذكر من امثالها ما يأتي :

تلفزيون :

وهي أهم الكلمات الاعجية ، العربية الاثل ، التي تواجهنا الآن ، لشبوعها في كل اقطار الوطن العربي . وكنت اقترحت لفظة (المشوّاف) تعريبا وترجمةً لاسم هذا الجهاز (television) المركب من vision (رؤية) و tele (من بعيد) . أما (المشوّاف) فمن التشوّف الى الشيء ، أي التطلع اليه ؛ و (الشوّاف) من الناس : الحديد البصر ، والشّيفة (زنة السيدة) والشيفان (زنة

السَّيِّدَانِ) : طليعة القوم الذي (يشاف) لهم ، أي يستطلع حركات العدو . فمعنى (المشواف) مطابق لمعنى (التلفزيون) أي الرؤية من بعيد ، أو بالاحرى اداة الرؤية من بعيد ، وهي ادق واصوب . وقد استحسنت اللفظة غير قليلين ، واستعملوها في اكاثيبهم ، لكنهم غير كثيرين ايضا .

غير ان صيغة (التلفزيون) هي الجارية على اللسان في كل مكان ، وبعضهم صار يشتق منها ، فاطلقوا (التلفاز) على الجهاز ، و (التلفزة) على فن البث منه ، و (تُلْفَزَت) المسرحية : اعدتها للاذاعة بالتلفاز ، فهي (متلفزة) .

ويرجع مصطلح التلفزيون (television) ، فيما يخيل لي، الى اثل عربي قديم . اما tele فلعلها من قول العربي تلى فلان : تخلف .. وتلى فلاناً : سَبَقَهُ وَتَقَدَّمَه .. وتلا بعد قومه : تأخر وبقي .. وأتلاه : سبقه أو أخره . واصل المعنى تلاه : تبعه . وهذا ينسجم عن قابلية الكلمة للتطور والانحراف عن معانيها ، شأن الكثير من الالفاظ العربية . ثم ان كثرة ما نجده من الالفاظ العربية متسربة من اللغات الاجنبية، تدعونا الى البحث في العربية عن اثل : الالفاظ الآرية التي لا يعرفون لها اثلا في اللغات الاخرى . لهذا لا نستبعد ان تكون (tele) هذه التي تعني البعد ، منحدره من فعل (تلى) بمعنى التخلّف والتأخر عن القوم ، لشدة اتصاله بمعنى البعد عنهم . والمسافة بين هذين المعنيين اقرب مما بين المعنى الاصلي (الاتباع) والمعاني المتفرعة منه ولا سيما (السبق) — المناقض للاتباع — في العربية نفسها .

واما (vision) بمعنى الرؤية فاثلا من اللاتينية . وهي من (viso) اي وجه ، بالايطالية . ومرادفها (face) ينطق (فاجِه) بالجيم المثلثة . وهذه صلتها بصيغة (وجه) العربية اوضح من ان تطلب ايضاحا . ومن viso او نحوها صيغت (visit)

بمعنى الزيارة . والصلة بين الزيارة والوجه نجدها في العربية ايضا ، حيث اشتقوا من الوجه (المواجهة) بمعنى الملاقاة ، والزيارة عند المحدثين . أما المعجم فيقول أن (المواجهة) تعني اللقاء وجها لوجه . ووجه (بالتشديد) الى فلان : ذهب اليه (وهذا يعني زاره بطبيعة الحال) .

فعلى هذا يكون (التلفزيون) بشقيهِ (tele vision) من العربية أثلا . وسؤالي هو : هل نقتبس هذه الكلمة كرامة لنسبها العربي العريق ، أم نعرّبها .. بالمشّواف او غيره ؟

سوناتا :

لها معناها الموسيقي العالمي المعروف . ويرجع رّسّها (جذرها الصوتي) الى حكاية صوت الفّروج (صو صو صو) الذي منه قال العرب صأى الفرخ : اي صات . ومنه اشتقوا : صاء ، ثم صاح ، ثم صات وصوّت .. ومن (الصوت) تظهر في الانكليزية sound shout . ومن قبل ظهرت في اللاتينية بصورة sona sonitum . ومن هذه الاخيرة صيغت سوناتا sonata

جيولوجيا :

هي بالانكليزية geology ، مركبة من الكلمتين الاغريقيتين : (الأرض) و logia (كلام) التي الحقوها ببعض الاسماء بمعنى (العلم) ؛ فيكون من مصطلحنا هذا : (علم الأرض) ، وقد عرّبوه بد (علم طبقات الأرض) . وكنت شخصا اطلقت على هذا العلم اسم (الأرضانيّات) قياسا على (الأحيائيّات) بمعنى علم الاحياء . والنسبة الى الارضانيات (أرضاني) فنقول المسح الارضاني ، والمعهود الارضانية ؛ بمعنى المسح الجيولوجي والمعهود الجيولوجية . ان كلمة (logy) المنحدرة من الاغريقية لوغيا : (logia) اي الكلام ، ترجع بأصلها العربي الى (لغة) .

واما $g\acute{e}$ فتعني بالاغريقية الارض ، كما تقدم . وتقول المعاجم التأيلية ان الاسم الاقدم للارض في الاغريقية هو (gaia) .. وهنا نتذكر في العربية (الكاع) اي الارض ايضا ، بالنطق البدوي والمراقي ، والدارج في اقطار المعربة (الجزيرة العربية) بوجه عام . و (الكاع) فصيحها (القاع) وهو معجميًا : الارض السهلة المستوية ، على حين ان صيغة (الكاع) في الدارجات المعربة يعني كما في الاغريقية الارض اطلاقا دون تحديد ، وهو المعنى العربي الاقدم فيما نعتقد . وربما كانت صيغة (قيعه) اقرب الى الاغريقية ($g\acute{e}$) ، وقد وردت في الآية « كسرَابٍ يقيِّمه يحسبه الظمان ماء » اي كسرَابٍ بأرض . لهذا لا اجدني اتفق مع المعاجم التي تعتبر (القيعه) صيغة جمع فقط للقاع ، بينما وردت في هذه الآية بمعنى الارض الفردة ؛ وليس من المعقول ان يكون معنى الآية : « كسرَابٍ (بأراضٍ) يحسبه الظمان ماء » .

ثم هناك (القاعة) وهي مجعيا : ساحة الدار ، لكنها كانت تعني الارض بعامة ايضا،فيما أرى ؛ اي ان صيغة (القاعة) المؤنثة ترادف (القاع) المذكور ، مثل مرادفة الماء للماء،او النجمة للنجم، والليلة لليل .

لهذا يغلب على الظن ان ($g\acute{e}$) اثلها (قيعه) و (gaia) اثلها (قاعة) — بمعنى واحد . اي ان الكلمة العربية دخلت الاغريقية بصيغتيها .

واما نطق القاف كانا مخففا فعادة عربية قديمة ؛ وقد جاء الاسلام وقريش وحدها تنطق القاف قافا قرآنيًا، كما لا تزال تنطقه بعض الدارجات متخلفا من القبائل القرشية ومن تأثر بها . اما سائر القبائل العربية فكانت وما زالت تنطقه كانا خفيفا . (وبعض الدارجات تنطقه جيما او همزة) ..

فعلى هذا وذاك تكون الجيولوجيا : **geology** (
 المؤلفات ائلا من (كيه : **gé**) و (لوغيا : **logia**) كلمة
 اعرابية (= عربية قديمة) أثيلة بابتها، اعرابية بصيغتها . وهي
 كلمة أخرى اجدني مترددا بين اقتباسها بثوبها هذا الاوروبي وتعريبها
 بصيغة الارضانيات، التي كنت اقترحها واستعملها بعض اللغويين .

تلفون :

هذه الكلمة الاجنبية قاومت مدة طويلة بعد انقراض زميلاتها
 الاخرى مثل (تلفراف : **telegraph**) الذي صار يدعى
 (برقية) و (غرامافون : **gramaphon**) الذي عُرِّبَ بصيغة :
 حاك .

بالرغم من أن بعض الاقطار العربية عُرِّبَ (التلفون) باسم
 (الهاتف) بقيت اقطار أخرى محتفظة باسمه هذا الفرنجي، واشتقت
 منه (تَلْفَنٌ يَتَلْفَنُ) ؛ على حين أن (الهاتف) بالرغم من عروبه لا يصاغ
 منه (هتفت لفلان) بمعنى تلفنت . كما أن تسميته العربية هذه
 تعوزها الدقة اللغوية ، فمن حقه أن يدعى (مهتوفا به) ، أما
 (الهاتف) فالانسان المتكلم بالجهاز لا الجهاز نفسه . وكان الصواب
 أن تؤخذ له احدى صيغ اسم الآلة : مَهْتَفٌ ، مَهْتَفٌ ، مَهْتَفَةٌ ، هاتوف ! ..

لكن صيغة (الهاتف) هذه المخلوطة معنى ومبنى ، طفتت تطارد
 (التلفون) من قطر الى قطر ، الى أن تبتأها الاكثرون، حتى في العراق
 الذي بقي حيننا من الدهر متمسكا باللفظة الاجنبية . وأحسب أن هذا
 سيكون مصيره في بقية ارجاء الوطن العربي .

و (التلفون : **telephon**) مركب، كما هو معلوم،
 من (tele) التي سبق لنا تأثيلها و (phon) : صوت ، التي
 يخيل لنا أن ائلاها الاعربي (= العربي الاقدم) هو (الفوه) أي النسم،
 الذي تنطقه الدارجة المغربية بالضم (فم) وبعضهم يمدّه على عانة

المغاربة في مد بعض الحركات : (نوم) .. وهي ظاهرة نطقية مختلفة من مادة اعرابية لبعض القبائل القديمة . وقد استعملت العرب (الفوه) بمعنى الكلام في قولهم : «ناه يفوه فَوْهًا ، اي نطق .. وتفاوت القوم : تكلموا . وليس بمستبعد أن تكون (فون : phon) تحريفا يسيرا من (الفوه) بالضم : فم ، أو (الفوه) بالفتح : مصدر فعل «ناه يفوه» ، اي ينطق .

تكنولوجيا :

technology .. أما (لوجي logy) فقد تحدثنا عنها ، وأما (تكنو : techno) فأصلها الاغريقي (تكنه : techné) اي الفن . وأصلها العربي هو (التَّقْن) زنة الفكر ، اي الطبع ، في مثل قولهم : « الفصاحة مِنْ تَقْنِهِ » اي من طبعه « فهي على هذا تعني الملكة والفطرة — اي الموهبة أو ما اليها . وهي من (الانتان) : الإحكام . والرجل (التَّقْن) زنة الشَّرس ، هو « المتقن للأشياء » الحاذق في العمل » .

اذن فـ (التكنولوجيا) أيضا عربية ائسلا . ولكن اذا أخذنا بها فلا ينبغي أن نفرط بصيغة (التَّقْنِيَّات) و (التَّقْن) وإنما نقتصر في استعمال (التكنولوجيا) على المواطن التي لا تفي (التقنيات) بالتعبير الدقيق عنها ، فيما اذا جابهتنا مثل هذه المواطن .

بنزين :

هذه الكلمة الاعجمية ترجع كذلك الى ائسل عربي ، لكنها غير خالصة النسب في العروبة ولا هي قديمة ، ولا صلة لمعناها الحالي بمعناها الاصلي . فهي من مؤلِّدات المعهد الاسلامي أولاً ، ومنحوتة من كلمة عربية واخرى اعجمية ، ثانيا . وذلك الاثل هو (لبان جاوة) وهو نوع من الصمغ العطر كان يطلبه التجار العرب من (جاوة) الى أوروبا ، ولا علاقة له بالبنزين المستعمل وقودا للسيارات ونحوها . لكن

الفرنسيين سموه (بنجوان : benjoin) بعد حذف لام (لبنان)
 ظناً منهم، فيما يظهر، أنه لام التعريف (في لغتهم) . وعنهم أخذ الانكليز
 بنفس الكتابة (benjoin) لكنهم نطقوه على طريقتهم (بنجوين) ،
 ثم جعلوه (بنزوين : benzoin) . ثم تطور معناه ايضاً
 حتى صار (بنزين : benzin) .

جغرافياً :

أما هذه فلا مجال الآن لمناقشة الاحتفاظ بصورتها الاغريقية
 هذه أو تعريبها بلفظ عربي مبين ، لأنها شاعت وفرضت نفسها
 بالرغم من أن العرب سبق أن عربوها باسم (تقويم البلدان) ثم
 اختصروها الى بلدانيات .

وهي من الاغريقية (gé : أرض + graph : كتابة)
 أي علم الكتابة عن الأرض .

أما (كيه : gé) فقد اثلناها عند كلامنا عن (الجيولوجيا) ،
 وأما (كراف : graph) بمعنى الكتابة فيخيل لنا أنها من
 العربية ايضاً .

ذلك بأن العرب قالت خرفش شيئاً : خلطه (بالتشديد)، وهي
 من قولهم خربش الكتاب (أي المكتوب) : أفسده . وهذا المعنى
 مستحدث في الكلمة، سبته معنى التقريب في الكتابة بين الكلمات والسطور،
 الذي عدوه إفساداً بالقياس الى المباعدة بينها تطلباً للوضوح والرفاهة .
 وهذا المعنى المضاع من الكلمة نجده في قولهم: قرُمَدُ كتاباً : كتبه دقيقاً
 وقارب بين سطوره ، ؛ وب نفس المعنى قالوا: قرُمَطَ الكتاب . ومن
 هذه الفصيحة قولهم: خرُفَصُ في المشي : قارب خطاه ، وفي الكلام : قاربه .
 وأصل المعنى في كل هذا هو الانسداد ، في لفظ (خربش) المشتق من
 (خُرب) . وعند انتقال المعنى الى الكتابة صار يعنى التقريب بين
 الكلمات والسطور، باعتبار ذلك نوعاً من الانسداد . وليس ببعيد أن

فكون graph الاغريقية بمعنى الكتابة تحريفا تطوريا لكلمة (خرفش) أو (خُرب) بمعنى الكتابة المتقاربة أولا، ثم الكتابة مطلقا . وقد رأينا أن التحريف كان أكبر في كلتا الكلمتين لفظا ومعنى في داخل العربية الأم .

فامصطلح (الجغرافيا) هذا الذائع على الالمنة ، الراسخ في المدونات العربية ، لم يعد في الامكان تعريبه، أي استبدال لفظة عربية به ، حتى لو قررنا طرد امثاله من المصطلحات الاجنبية التي يرجع نسبها البعيد الى العربية .

فونوغراف :

وقد وردت بصيغتي (phonograph) و(gramophone) ، وكلتاهما تتألف من مادتي phon (صوت) و (graph) (كتابة) اللتين تَقَدِّمُ تائيلهما — بمعنى تسجيل الصوت . أما هذا المصطلح فقد انقرض مذهب شاع بدله (الحاكي) ، ولم نعد نقرأ لاحد تعبير (الفونوغراف) أو (الغرامافون)، كما انقرض (التلفراف : telegraph) الذي حَلَّتْ محلّه (البرقية) . ولم يعد بالامكان احياؤه حتى لو اردنا ؛ أي انسه أصبح (معرّبا) بالمعنى الحديث للتعريب ، وشأنه عكس شأن (الجغرافيا) مثلا — المعرّبة بالمعنى القديم .

على أن الانكليزية أيضا أهملت المصطلح بصيغتيه، وصارت تدعو الحاكي الحديث باسم (بيك أب : pick-up) الذي شاع في الدارجات العربية ولغات أخرى .

متر :

مَتَرُ الحبل : مَدَدَتُهُ . ومعلوم انهم كانوا يقيسون مساحات الاراضي بالحبل ، ومن هنا نشأ (المتر : meter) وفعل (measure) أي يقيس طولاً أو ثقلاً أو حجماً أو أي شيء — في الفرنسية والانكليزية عن طريق اللاتينية .

و (المنر) أيضا أصبحت عربية ، بل عالمية ، ولم يعد بالامكان الاستبدال بها ، لو اردنا .



لا حاجة بي - بعد الذي تقدم - الى اعادة القول إنني من انصار التعريب ، ضد اقتباس الالفاظ الاعجمية المحض . لكن تساؤلي هو كما قلت : ما هو موقفني من هذه الاسماء الاجنبية التي يكشف لنا التائيل عن محتد لها في العربية عريق ؟ هل نرفضها ؟

أم نقبلها ، لا أقول مباهاة بها بين الأمم ، لكن اعزازا لها ، وتكرمة لنسبها العربي ، وتدليلا علميًا على أمومة العربية لكثير من اللغات ؟

فهذا الامر الذي لا أزال أراني مترددا فيه .

عبد الحق فاضل

من مزالق الترجمة بين العربية والفارسية

للدكتور يوسف حسين بكار

(جامعة اليرموك / الأردن)

- ١ -

الترجمة بين العربية والفارسية قديمة جدا ، اذ كانت البهلوية (الفارسية الوسطى) ، ثم الفارسية الاسلامية (الدرية الحديثة) من اكبر منابع الترجمة ومصادرها الى العربية . وقد اثبت ابن النديم - فيما اثبت من فهرس - « فهرسا » ، بأسماء المترجمين من الفارسية الى العربية ، من مثل ، ابن المقفع ، والحسن بن سهل ، وآل نوبخت (١) . ونشط الدكتور محمد محمدي ، في الستينات ، أيام كان مستشارا ثقافيا لايран ببيروت ورئيسا لقسم اللغة الفارسية وآدابها بجامعة اللبنانية ، في جمع « ما نُقِلَ من الآثار الادبية الفارسية الى اللغة العربية في القرون الاسلامية الاولى ، وخاصة في اوائل العصر العباسي ، مما أمتزج بالادب العربي حتى أصبح جزءا منه » (٢) ، وأصدر الجزء الاول من « الترجمة والنقل عن الفارسية - في القرون الاسلامية الاولى » الذي أفرد له كتب « التاج » و « الآيين » (٣) بعد أن جمع

(١) الفهرست ، ص ٣٠٥ . تحقيق محمد رضا تجدد ، طهران ١٩٧١ .

(٢) محمد محمدي : الترجمة والنقل عن الفارسية ١ : ٢ ، منشورات الجامعة اللبنانية ،

بيروت ١٩٦٤ .

(٣) هكذا تتناقلها المصادر العربية ، وقد كانت تعرف باسم « آيين ناه » في الادب الفارسي الساساني . و « آيين » لفظة فارسية بهلوية معناها : القاعدة ، او الطريقة ، او القانون ؛ قال المسعودي في « التنبيه والاشراف » : « تفسر آيين ناه : كتاب الرسوم » . واستعملها العرب في كتاباتهم بشكلها الفارسي .

(محمد محمدي : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ وما بعدها) .

ما تنأثر منها في المصادر العربية الإسلامية بشئى أنواعها .

واخذت حركة النقل والترجمة تقوى في العصر الإسلامي التالية ، ولم تعد محصورة في ترجمة الآثار الفارسية وحدها الى العربية ، انما امتدت جهود المترجمين الى ترجمة بعض الآثار العربية الى الفارسية ، من مثل : « تفسير الطبري » و « تقويم الصحة » ، و « الشاهنامه » و « تاريخ بخارى » .

وأما في العصر الحديث ، فانتسعت حركة الترجمة بين اللغتين اتساعا كبيرا ؛ اذ ترجم العرب عددا من أمهات كتب تراث فارس ، من مثل : « بوستان » سعدي الشيرازي و « كلستانه » ، و « ديوان حافظ الشيرازي » و « رباعياته » ، و « مثنوي » مولانا جلال الدين الرومي ، و « شاهنامه » الفردوسي ، و « جامع الحكمتين » و « سفرنامه » لناصر خسرو ، و « رباعيات الخيام » (لها أكثر من عشرين ترجمة عربية بالفصحى والعامية) ، و « قابوس نامه » (كتاب النصيحة) ، و « سياست نامه » (كتاب السياسة) ، و « عطار نامه » ، و « سندهاد نامه » ، و « بختيار نامه » ، و « تاريخ البيهقي » ، و « جامع التواريخ » .

وترجموا عددا لا يستهان به من مؤلفات الإيرانيين المعاصرين وآثارهم . ومن ترجم لهم مثلا : الدكتور زادة شفق ، علي دشتي ، صادق هوايت ، حسين قدس نخعي ، رشيد ياسمي ، أبو القاسم حالت ، ابرج ميرزا ، بروين اعتصامي ، والدكتور غلامحسين يوسفى (٤) .

(٤) لمعرفة مزيد من ترجمات العرب المختلفة عن الفارسية ، راجع :

١ - يوسف بكار : جهود عربية معاصرة في خدمة الادب الفارسي ، مجموعة سفراننهاي دومين ككره تحقيقات ايراني ، جلد دوم ، مشهد ١٣٥٢ شمسي (١٩٧٣ م) ، ص ٤٢٧ - ٤٦٨ ، وترجمته الفارسية : ادبيات فارسي در كشورهاي عربي ، للدكتور جعفر شمار .

سفن ، دوره ٢٣ ، شمارهاي ٦ و ٧ و ٨ ، سال ١٣٥٣ شمسي .

أما الإيرانيون فترجموا عددا من مصادر تراثنا العربي ، وعددا آخر من آثارنا المعاصرة ؛ وهو — على أية حال — أكثر مما ترجمنا لهم من أعمال معاصرة . ومن كتب تراثنا التي تُرجمت إلى الفارسية في العصر الحاضر : تاريخ الطبري ، مروج الذهب ، تاريخ اليعقوبي ، الأخبار الطوال ، سني ملوك الأرض والأنبياء ، تقويم البلدان ، مقدمة ابن خلدون ، رحلة ابن بطوطة ، ورحلة ابن فضلان .

ومن المعاصرين العرب الذين تُرجم لهم شيء أو أشياء من آثارهم وأعمالهم إلى الفارسية (٥) : قاسم أمين ، عبد الوهاب عزام ، جرجي زيدان ، طه حسين ، أحمد أمين ، زكي محمد حسن ، بنت الشاطيء ، محمد أبو زهرة ، محمد عبد الغني حسن ، جورج جرداق ، سيد قطب ، محمد مندور ، نزار قباني ، عبد الوهاب البياتي ، محمد الفيتوري ، غسان كنفاني ، فدوى طوقان ، محمود درويش ، سميح القاسم ، وتوفيق زياد .

٢ — يوسف بكار : الفارسية وآدابها في البلاد العربية ، نشره دانشكده الهيات ومعارف اسلامي دانشكاه مشهد ، شماره ١٢ ، پائيز ١٣٥٣ شمسي (١٩٧٤ م) ، وترجمته الفارسية : زبان وادبيات فارسي در كشورهای عربي ، للناسة مليحة شريفي .

سخن ، دوره ٢٦ ، شمارهای ٩ و ١٠ ، سال ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .

٢ — الدكتور طلعت أبو نرحة : أضواء على الدراسات الفارسية في مصر ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران (ص ١٩٩ — ٢٢٦ هـ) ، القاهرة ١٩٧٥ .

٤ — نصر الله مبشر الطرازي : الكتاب الإيراني في مصر ، في الكتاب السابق أعلاه (ص ١٤٥ — ١٨٤ هـ) .

(٥ هـ) راجع أيضا : مرتضى آيت الله الشيرازي ، جولة حول الروابط المعنوية بين إيران ومصر والكتاب المصري في إيران ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران (ص ١٨٥ — ١٩٧ هـ) .

ليس عبثا ان يُعنى العلماء والباحثون ، من هوراس ، الى زماننا هذا ، بالترجمة ، وان ينشطوا في التقنين لها ، وتعميد قواعدها ، وتبيين اهميتها ودواعيها ، ووضع الشروط لمن يتصدون لها على انها « فن » كغيرها من الفنون . غير انه بات معروفا ايضا ، ان الترجمة لم تعد تنحصر ، فقط ، في دائرة « الفن » الدقيق الذي لا يستطيعه الا اولو المقدرة والبراعة عن طريق الممارسة ، انما جاوزتها ، كسائر العلوم اللغوية ، الى دائرة « العلوم الوصفية » لوضوح الجانب « الوصفي » فيها . ومن هنا انبثقت الدعوة وجاء التخطيط الى « علم للترجمة » ، من غير انكار لما فيها من عناصر فنية ، على يد يوجين . ا. نيدا Eugene A. Nida في كتابه « نحو « علم للترجمة » * . وبهذا اوضحت الترجمة ، كالنقد تماما ، تجمع بين « الفنية » و « العلمية » .

ان حركة الترجمة الحديثة النشطة من العربية الى الفارسية وبالعكس ليست بدعا بين مثيلاتها من اللغات الاخرى واليهما ؛ فهي تخضع لكل مقومات الترجمة وشروطها ، كما ان زُمر المترجمين المنتمين لها عرضة لما يتعرض له غيرهم من المترجمين من صعوبات ومشاق ومزالق . وقد تكون مزالق الترجمة ومشكلاتها بين العربية والفارسية أكثر من غيرها ، لما بين اللغتين من تداخل وتشابك وتشابه وقرص ، وان لم تجمعهما اسرة لغوية واحدة ، فيما هو معروف .

ولقد قُبِض لي ، من خلال اقامتي في مدينة مشهد الايرانية (١٩٧٠ - ١٩٧٨) لتدريس العربية وآدابها في جامعتها ، ان اتعلم الفارسية ، ثم ازاول تدريس الترجمة ، واجرب حظي فيها عمليا من الفارسية الى العربية ، بترجمة « سياست نامه » ، لنظام الملك

« * » Horace.

« * » Towards A Science of Translating.

وقد ترجمه ماجد النجار الى العربية ، ونشرته وزارة الاعلام العراقية . بغداد ١٩٧٦ .

الطوسي ، وبعض الابحاث والمقالات الاخرى * ومن العربية الى
 الفارسية (مع صديقي الاستاذ الدكتور غلامحسين يوسفى) بترجمة
 « قِصَّتِي مع الشعر » ** لنزار قباني ، و « مختارات من الشعر
 العربي الحديث » *** كما قِض لى ان اطلع على كثير من ترجمات
 الايرانيين عن العربية ، وترجمات العرب عن الفارسية . كل هذا ،
 يتر لى ان اكتشف ، من كتب ، بعض المشكلات والمزالق التي قد
 تعترض المترجمين من العرب والايرانيين ، والتي لم يسلم كثيرون
 منهم من تيارها .

- ٣ -

لعل من اهم ما يركز عليه في الترجمة عامة ، المعرفة التامة
 او الجيدة ، على الاقل ، باللغة المنقول منها والمنقول اليها سواء
 بسواء . ففديها اوجب « جاحظنا » على الترجمان « ان يكون بيانه في
 نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي ان يكون اعلم
 الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها حتى يكون فيهما سواء وغاية » (٦) .
 وي زيد وديع فلسطين الامر وضوحا بقوله « ولا بسد لفهم المتن المراد
 نقله من اجادة اللغة التي كتب بها ، ومعرفة دقائقها وقواعدها وآدابها
 وشواذها وشواردها . ولا بسد قبل النقل من اجادة اللغة التي يُنقل
 اليها النص » (٧) .

* — من مثل : « العالم المنشود في بستان سعدي الشيرازي » و « سيات الادب
 الفارسي المعاصر » للدكتور غلامحسين يوسفى ، و « الخيام الشاعر »
 لعلى دشنتى .

** — منشورات طوس ، طهران ١٩٧٧ .

*** — الكتاب معد للطبع .

(٦) الحيوان ١ : ٣٨ ، المطبعة الحيدية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

(٧) فن الترجمة في الادب العربي ، ص ٢٧ نقلا عن : مجلة المجمع العلمي العربي
 بدمشق ، يناير ١٩٦٢ .

وقد أكد « اتين دوليه Etienne Dolet » (١٥٠٩ — ١٥٤٦) ، الذي يُعدّ واضع أول نظرية للترجمة ، هذا الشرط اللازم في بحث له عن مبادئ الترجمة ، وجعله واحدا من مبادئ خمسة أساسية للترجمة ، فقال : « لا بد أن يكون المترجم على معرفة رفيعة تامة باللغة التي يترجم منها ، وأن يمتلك بنفس الشكل معرفة رفيعة باللغة التي يترجم اليها » (٨) .

هذا الشرط من أبرز المزالق التي تواجه المترجمين من عرب وفرنس معا ، فضلا عن عدم تمكن أغلبهم من اللغة التي ينقل منها خاصة ؛ فان جمهرة من الالفاظ العربية التي دخلت الفارسية واستوطنتها واتخذت فيها معاني مغايرة لمعانيها الاولى ، أو اشتهرت بمعانيها الرائجة المشهورة ، قد اضحت لبعض المترجمين الايرانيين حقائق مسلّمة ، صرّفَتْهم حتى عن استشارة « معجمات » اللغة ، مع انها من واجبات المترجم في أحسن الاحوال . يقول يوجين نيدا : « يمثل أول وأوضح مستلزم يحتاجه أي مترجم بامتلاكه لمعرفة كافية بلغة المصدر ؛ فلا يكفي أن يكون المترجم قادرا على فهم (المفرد العام) للمعنى، أو أن يكون ماهرا في استشارة القواميس (فمن المفروض انه سيفعل ذلك حتى في أحسن الاحوال) ... ان ما هو أهم من ذلك معرفة المترجم بموارد لغة المصدر ، وسيطرته الكاملة على لغة المطلق ... ، التخلّص الشامل بلغة المتلقي ليس له بديل . ان أغلب الأخطاء المتعددة والخطيرة التي يقع فيها المترجمون، تنشأ في المقام الأول من افتقارهم الى المعرفة الشاملة بلغة المطلق » (٩) .

وكذا الامر بالنسبة للمترجم العربي الذي يجابه بسيل من الفاظ العربية التي اتخذت في الفارسية معاني غير معانيها في لغتها

(٨) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، ص ٤٥ ، ثم انظر ايضا : ٢٨٥ — ٤٦٥ .

(٩) نحو علم للترجمة ، ص ٢٩٣ — ٢٩٤ .

الأم . وليس مبالغاً أن يقال إن النصب والمعاملة المتأتين عنها أكثر مما يثنى من جانب مفردات الفارسية نفسها .

أن منا اشار اليه هؤلاء الثلاثة يَصْدُقُ على ما نجده عند بعض المترجمين الفرس والعرب من أخطاء وأوهام . وهذه بعض النماذج :

١ - كان المرحوم محمد رضا تجدد آخر من حقق « الفهرست » لابن النديم (طهران ١٩٧١) ، وهو الذي ترجمه الى الفارسية ايضاً ؛ وطُبعت الترجمة مرتين الى الآن ، وهي لا تخلو من هنات مثلما لا يخلو الاصل العربي من أخطاء كثيرة « (١٠) . فلقد اعتاد ابن النديم أن يصف الكتاب الذي كان يراه بنفسه بأنه « كبير » أو « لطيف » أي « صغير » وفقاً لحجمه . يقول في الكلام على ابن سمردان « ... وله من الكتب : كتاب الخيل ؛ رأيت . لطيف » (ص ٨٧) ، ويقول في أخبار محمد بن داود الجراح : « وله من الكتب ... كتاب (الشعر والشعراء) . لطيف » (ص ١٤٢) ، ويقول في أخبار جعفر ابن حمدان الموصلی : « فأما كتبه الادبية ، فهي : ... كتاب محاسن أشعار المحدثين ، لطيف » (ص ١٦٦) ، ويقول في الحديث عن يحيى بن أبي منصور الموصلی : « وله من الكتب : ... كتاب الطبخ . لطيف » (ص ١٦٦) .

لكن ، ما الذي فعله المرحوم تجدد حين ترجم الكتاب الى الفارسية ؟ ! لقد ترجم لفظة « لطيف » في كل الموارد السابقة بمعناها المعروف في الفارسية : « خوب » أو « نازك » * ، والاكثر شيوعاً في العربية : جميل ، أنيق ، جيد . فكانت ترجمة المثال الاول : « از كتابهاي

« (١٠) راجع في نقد الكتاب : يوسف بكار ، نظرات في فهرست ابن النديم ، مجلة كلية الآليات والمعارف الاسلامية - جامعة مشهد ، العدد الخامس ، شتاء ١٣٥١ شمسي (١٩٧٣ م) .

(*) توجد هذه اللفظة في عدد من اللهجات العربية المحلية بالمعنى نفسه . ومن الطريف أن المحقق نسرها بالعربية بقوله « ونترك كلمة فارسية بمعنى الناعم » (ص ٢٨٤ ، الحاشية) .

أوست : كتاب الخيل كه بسيار خوب است « (١١) ، وترجمة الثاني « وأين كتابها از اوست : ... كتاب (الشعر والشعراء) . نازك است « (١٢) ، وترجمة الثالث « وكتابه‌اي أدبي او بدینقرار است : ... كتاب محاسن اشعار المحدثين . نازكست « (١٣) ، وترجمة الآخر « وأين كتابها از اوست : ... ، كتاب الطبيع . نازك است « (١٤) .

فلو استشار المحقق — المترجم المعجمات العربية واستجد بها ، على الأقل — لوجد أن لفظة « صفر » من معاني كلمة « لطيف » (١٥) ، وهو ما كان يعنيه ابن النديم مقابل لفظة « كبير » ، كقوله في الكلام على ابن عبد الحميد الكاتب : « وله من الكتب : كتاب أخبار خلفاء بني العباس . كبير » (ص ١٢٠) ، وترجم اللفظة في مواطنها السابقة وغيرها بلفظة « كوجاك » الفارسية ، ليس غير .

ولربما أن لفظة « ملطفة » التي تلقانا بكثرة في المصادر الفارسية التاريخية، من مثل « سياست نامه » و « تاريخ البيهقي » ، ومعناها الرسالة الصغيرة التي تكتب في الحالات الفورية ، أخذت من الاصل العربي « لُطْف » نفسه ، لأن المعجمات العربية لا تذكرها .

٢ — في ترجمة الاستاذ الدكتور جعفر شعار لبحثي « جهود عربية معاصرة في خدمة الادب الفارسي » ، ترجم لفظة « نفر » في هذه العبارة « قام (نفر) من اساتذة معهد اللغات الشرقية بجامعة القاهرة بترجمة كتاب (تراث فارس) ، الذي كتب فصوله اساتذة من المستشرقين » بشخص واحد ، وهو معناها في الفارسية وفي بعض

(١١) الفهرست ، ص ١٣٣ . (الترجمة الفارسية) ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٤٦ شمسي .

(١٢) المصدر السابق ٢١١ .

(١٣) المصدر السابق ٢٤٦ .

(١٤) المصدر نفسه ٢٤٧ .

(١٥) أنظر مثلا : ابن منظور ، لسان العرب . مادة (لطف) ، والدكتور حسين نصار : المعجم العربي ١ : ٤١ دار مصر للطباعة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٨ .

لهجائنا المحلية . قال « يكي از استادان (معهد اللغات الشرقية) در دانشگاه قاهره به ترجمه كتاب (تراش فارس) برداخته است » ، بيد ان المعنى اللغوي الصحيح للفظه هو : جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة (١٦) . فالترجمة الصحيحة اذن « جنّدتن از استادان ... » .

والحق ان مترجمي القرآن الكريم الى الفارسية ترجموا اللفظة عينيها في قوله تعالى « قل أوحى الي أنه استمع نفر من الجن » فقالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا « (١٧) ترجمة صحيحة . وهذه ترجمة الآية الكريمة « بگو : وحى آمده كه گروهى از پريان استماع (قرائت من) كردند و گفتند : مسا قرآن شگفت آور شنيديم » (١٨) .

٣ — يستعمل العرب ، في العصر الحاضر ، الاصطلاحات : « أغراض الشعر » و « موضوعات الشعر » و « فنون الشعر » بمعنى واحد ، وهو ما لا يعرفه اكثر الايرانيين ، ان لم يكونوا كلهم . من هنا و هم الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني في ترجمة لفظه « أغراض » بمفناها المعجمي « أهداف » في ترجمته مقدمة مختارات الدكتور محمد مصطفى بدوي « مختارات من الشعر العربي الحديث » .

جاء في مقدمة الدكتور بدوي « وما زالت موضوعات هؤلاء الشعراء هي الاغراض التقليدية من مديح للحكام ، وتقريظ للاخوان ، وتاريخ للمناسبات ... » (١٩) .

١٦ | لسان العرب ، مادة (نفر) .

(١٧) سورة الجن ، آية (١) .

(١٨) القرآن الكريم ، ترجمة أبي القاسم پاينده ، الطبعة الثالثة ، طهران ١٣٥٤ شمسي ، وترجمة المكتبة الاسلامية ، طهران ١٣٣٦ شمسي (١٣٧٧ هـ) .

(١٩) مختارات من الشعر العربي الحديث — المقدمة ، ص ج . دار النصار ، بيروت ١٩٦٦ .

و ترجم الدكتور كنكني العبارة كالتالي « موضوعات شعري اين گروه نيز ، همان هدفهاي كلاسيك بود ، از قبيل مديح حاكمان ، وتقریظ برای دوستان ، وتاریخ مناسبات » (٢٠) .

٤ - لست ادري لماذا ترجم صديقنا الدكتور ابرهيم الدسوقي شتا لفظه « لحاف » في قول صادق هدايت « لحاف را جلو چشم نگه ميدارم » (٢١) بلفظة « غطاء » : « ووضعت الغطاء على عيني » (٢٢) ، مع ان اللفظة من الالفاظ العربية التي دخلت الفارسية ، وهي اخض من « الغطاء » ؟ فالحاف غطاء ، ولكن ليس كل غطاء لحافا .

٥ - وردت في فصل « خيام شاعر » (الخيام الشاعر) من كتاب « دمی باخيام » ، وهو الفصل الذي ترجمته الى العربية ، الجملة التالية : « كشیدن رباعیات اصيل خيام از اين (بازار مکاره) کارآسانی نیست » (٢٣) . وقد ترجمتها بهذا النحو « ان استلال رباعيات الخيام الاصيله من (سوق المكاره) هذه ، ليس بالامر الهين » .

اقول ، لقد اغرتني لفظه « مكاره » العربية في هذا الاصطلاح الفارسي المركب « بازار مكاره » ، فترجمته كما اثبتته اعلاه ، وهي ترجمة مفهومة ولا غبار عليها لدى القارئ العربي . غير ان معناه الدقيق ، الذي اطلعت عليه فيما بعد في المجمعات الفارسية المعتبرة ، يوحي ، فيما يبدو لي ، بترجمته بلفظة « معرض » ؛ لان معنى (بازار مكاره) : « السوق التي تقام عدة أيام مرة في السنة ، وتجلب اليها البضائع من اقطار مختلفة للمعرض والبيع ايضا » (٢٤) .

٢٠) ذكر كونيهاي شعر معاصر عرب ، كتاب الفبا ، جلد سوم ، طهران ١٣٥٢ شمسي ، ص ١٨ - ٢٨ .

(٢١) زندۀ بگور ، ص ١١ ، الطبعة السابعة ، طهران ١٣٤٤ .

(٢٢) قصص من الادب الفارسي المعاصر ، ص ٩٩ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ .

(٢٣) دمی باخيام ، ص ٧ . امير كبير ، طهران ١٣٤٤ .

(٢٤) انظر مثلا : محمد معين ، فرهنگ فارسي - بازار ، ودهخدا : لغتنامه دهخدا - مادة (بازار) ايضا .

ومما يندرج في موضوع اللغة ، ما يعرف بالتراكيب اللغوية التي يُعَدُّ التغلب عليها في أي لغتين من أهم وظائف المترجم (٢٥) الذي يُشترط فيه « أن يكون ملئاً المأماً كاملاً بمعاني تراكيب الجمل . ففي هذا المجال الخاص ، غالباً ما يُظهر المترجمون ضعفهم الكبير . ومع أنهم يمكن أن يفهموا بشكل جيد تماماً معاني الكلمات والعبارات منفردة ، فغالباً ما يفتقرون بشكل شنيع إلى التقييم الأساسي للمعاني والابنية اللغوية » (٢٦) .

هذا الامر ، من أهم مشكلات الترجمة بين العربية والفارسية خاصة ، لكثرة ما بينهما من فروق في الخصائص الاصلية؛ من حيث التراكيب والمجازات ، والتذكير والتانيث ، والإفراد والتثنية ؛ وكلها تدخل في دقائق اللغة وقواعدها التي يتحتم على المترجم أن يتقبط لها ؛ ولكن ما أكثر ما ينزلق فيها المترجمون !

ومن أمثلة هذا المزلق ، ما وقع فيه الدكتور محمد شفيعي كدكني أيضاً في ترجمة النص التالي من مقدمة الدكتور مصطفى بدوي : « لم يكد ينصرم القرن التاسع عشر إلا وقد ظهر ضرب جديد من الشعر ، يتميز بشيء من التعارض والتوتر بين الشكل والمضمون » (٢٧) ، إذ اختلط عليه معنى « لم يكد ينصرم » ، فكانت ترجمته « هنوز قرن نوزدهم به بابان نرسیده بود که نوع تازه ای از شعر به ظهور بیوست . . » (٢٨) . والصحيح « مدتی از قرن نوزدهم نگذشت بود که نوعی جدید در شعر عربی پدید آمد . . . » .

(٢٥) یوجین نیدا : نحو علم للترجمة ، ص ٢١٢ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢٧) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص و .

(٢٨) دگر گونیهای شعر معاصر عرب ، کتاب النبا ، ص ٢٧ .

ومن أخطر المزالق التي قد يساق إليها المترجم غفلته عن « لغة عصر » ما يترجم . وبديهي أن ما يُتَوَخَّى من لغة وأسلوب واصطلاحات في ترجمة مثل : « تاريخ البيهقي » و « الشاهنامه » و « سفرنامه ناصر خسرو » و « سياست نامه » و « رحلة ابن بطوطة » غير ما يُتَوَخَّى في ترجمة « قصتي مع الشعر » و « الايام » و « قلمرو ادب سعدى » (آفاق ادب سعدى) و « دمی باخيام » (وقفة مع الخيام) لعلي دشتي .

مراعاة روح العصر في لغته واسالييه واصطلاحاته ومفرداته واجبة اذن ؛ لذا اُبقيت الالفاظ والمصطلحات العربية التي افاد منها صاحب « سياست نامه » كما هي لتناسب الفترة التي اُلّف فيها الكتاب ، ولم أحاول أن استعيز عنها بالفاظ واصطلاحات عصرية ، وإن هجر كثير من تلك الالفاظ وترك منذ زمن بعيد . ومن الامثلة عليها : المحتسب ، المستوفي ، الشحنة ، العسس ، وخريطة * . وقد راعى مترجما « تاريخ البيهقي » هذا الصنيع ، فقال أحدهما « وقد تعمدا ان نترك الالفاظ العربية التي وردت في الكتاب كما هي : لكي تعبّر عن مدلولاتها في العصر الذي كُتبت فيه » (٢٩) . بيد انهما جاتا هذا الشرط في ترجمة اصطلاح « كُشادنامه » (نامه سرکشاده) بالاصطلاح المعاصر « كتاب مفتوح » (٣٠) . وقد ترجمته بـ « رسالة مفتوحة » في « سياست نامه » .

واذكر اننا حين ترجمنا (الدكتور يوسفى وانا) المقطع التالي من قصيدة (عيد ميلادها) لنزار قباني (٢١) :

(*) الخريطة : كيس من قماش . وما زالت تستعمل في انحاء من الاردن وفلسطين .
(٢٩) يحيى الخشاب : مقدمة ترجمة تاريخ البيهقي ، ص ٣٩ . الاتجولو المربية (دون تاريخ) .

(٣٠) يحيى الخشاب وصادق نشأت : تاريخ البيهقي (الترجمة العربية) ، ص ١٢٨ .
(٣١) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص ١٤٩ .

باي شيء أُفدُ

إذا يَهْلُ الأَحَدُ

بخاتم ؟

بباقية ؟

على النحو التالي أولاً :

با چه هديه اى بروم ؟

وقتي روز يكشنبه فرارسد

با انگشترى ؟

بادسته گلى ؟

راى الدكتور يوسفى انه من الافضل ان نترجم « بخاتم » الى
« با انگشتر » بدلا من « با انگشترى » لان الاول هو المستعمل في الوقت
الحاضر . وهكذا كان .

- ٦ -

لم يكن اعتباطا ان تقسم الترجمة ، من حيث الطريقة والكيفية ،
الى انواع من اهمها الترجمة (اللفظية) ، والترجمة بالمعنى (المعنوية) .
ان الترجمة الحرفية لا تتيسر في كل الاحيان ، خاصة في ترجمة
المصطلحات والامثال والمجازات ؛ وهنا تكمن الحيرة ويكون المزلق ؛
الحيرة في ترجمة هذه الاشياء كما هي من اللغة الاجنبية ، مهما يكن
وقعها في الذوق العربي ، او وضع ما يقابلها في العربية مما يؤدي
ممنها الاصلي دون تقيّد بحرفية ما يترجم (٢٢) . ومن الشق الاول
— اي الترجمة الحرفية — تنبعث المزالق التي يدعو اكثرها الى الضحك ،

(٢٢) انظر ايضا : محمد عبد الفنى حسن ، من الترجمة في الادب العربي ، ص ٢٠٦ و
٥٦ . الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ .

وتقود في احيان كثيرة الى البتر والتشويه والحذف الذي لا مندوحة من تفسيره الا بعجز المترجم وجهله .

اقول هذا ، لان للفارسية مجازات واصطلاحات غريبة علينا كل الغرابة ، وربما لا نجد مثلها في اللغات الاخرى . ولقد سُئِلْتُ مرة ان اترجم المثل الفارسي « **كُلُّ پِشْت ورو ندارد** » ، فاحترت في امري ؛ اترجمه ترجمة حرفية لا مساء فيها ولا رونق ، فأقول « **ليس للورد ظهر ولا بطن** » !! ، ام ابحث عن معادلة له في عربيتنا ؟ وكان من الطبيعى ان ابحث عن المعادل ، غير انني لم اجده في تراثنا الضخم من الامثال الفصيحة . ومن يدري ، فربما انني انا الذي لم أستطع الاهتمام اليه . حينئذ انعطفت الى امثالنا الشعبية ، فاهتديت الى المعادل الدقيق ، وهو المثل « **كُلُّكَ وَجْه** » الذي يستعمل في الحالات عينها التي يستعمل فيها المثل الفارسي . وينطبق هذا الكلام ايضا على المثل الفارسي « **كَبُوتَر باكَبُوتَر بازبا باز** » اذا ما ترجمناه ترجمة حرفية سقيمة « **الحمامة مع الحمامة ، والبازي مع البازي** » وتركنا المثل الرائع « **ان الطيور على اشكالها تقع** » الذي لا يعدو المثل الفارسي قيد أنملة . هذا ما فعلناه (الدكتور يوسفى وانا) بالمثل العربي نفسه الذي ضَمَّنَه عبد الوهاب البياتي المقطع الاتي من قصيدته « سوق القرية » (٢٢) :

وبنادق سود ، ومحراث ، ونار

تخبو ، وحداد يراود جفنه الدامي النعاس :

« **ابدا على اشكالها تقع الطيور** »

والبحر لا يقوى على غسل الخطايا والدموع

اذ ترجمناه بمعادله الفارسي السابق « **كَبُوتَر باكَبُوتَر ، باز با باز** » .

ومن المترجمين العرب الذين انساقوا في حماة التيار الحرفي في

(٢٢) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص ١٩٦ .

ترجمة الامثال ، المرحوم الدكتور ابراهيم الشواربي ، الذي اثبت نسي احد كتبه (٢٤) طائفة من الامثال الفارسية ، وترجم اكثرها ترجمة حرفية مع ان لها في العربية نظائر واشباها تكاد تكون ترجمة لها . فقد ترجم المثل « صبر مفتاح كارهها است » بـ « الصبر مفتاح الامور » وعزف عن المثل العربي « الصبر مفتاح الفرج » ؛ كما ترجم المثل « صدا از يكدست بر نيابد » بقوله : « اليد لا تصفق وحدها » وترك مقابله الدقيق « يد واحدة لا تصفق » .

اما مترجم « رحلة ابن بطوطة » الفارسي ، فقد راعى نوع الترجمة الذي ندعو اليه ، حتى في الامثال العربية غير المتداولة كثيرا ، وسلك سبيل الترجمة المعنوية والبحث عن المعادل في ترجمة المثل « صدقهم سن بكرة » (٢٥) في نص ابن بطوطة : « ثم ان النبوة وصلت يوما الى الشيخ شهاب الدين ، فعقد التوبة ليلة النبوة ، وعزم اصلاح حاله مع ربه ، وقال في نفسه : ان قلت لاصحابي اني قد ثبت قبل اجتماعهم عندي، ظنوا ذلك عجزا عن مؤونتهم . فاحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكول ومشروب وجعل الخمر في الزقاق . وحضر اصحابه ، فلما ارادوا الشرب فتحوا زقا ، فذاقه احدهم فوجده حلوا . ثم فتحوا ثانيا فوجده كذلك ، ثم ثالثا فوجده كذلك . فكلوا الشيخ في ذلك ، فخرج لهم عن حقيقة امره ، وصدقهم سن بكرة ... » « رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٨٧ » .

فترجمه ، وما احسن ما ترجمه ، بقوله « شهاب الدين راز خود بر آتان فاش ساخت ... » (٢٦) . اي خرج لهم شهاب الدين عن سره .

(٢٤) القواعد الاساسية لدراسة الفارسية ، ص ٢٢١ - ٢٢٦ ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٤ .

(٢٥) راجع قصة هذا المثل مفصلة في : لسان العرب ، مادة (صدق) .

(٢٦) سفرنامه ابن بطوطة ، ص ٣٩٥ . ترجمة محمد علي موحّد ، طهران ١٣٣٧ شمسی (١٩٥٨) .

ومن المشكلات التي تعترض المترجم عن الفارسية ، مسألة رد المترجمات الفارسية عن العربية الى أصولها الاولى . ففي المصادر الفارسية المختلفة مترجمات كثيرة من القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة ، واقوال الصحابة والخلفاء المشهورة ، والشعر والكلم المعروف . واحسب ان الدقة والامانة معا توجبان على من يترجم اشرا فارسيا فيه أشياء مما ذكر ، أن يسعى الى البحث عن نصوصها العربية الاولى، وإن يكن في استطاعته ترجمتها بلغته الخاصة ، وهو ما قد يضطر اليه اذا ما اعيتته الحيلة ، واضناه التقصي والاستقراء والتفتيب دون جدوى .

واعترف صادقاً أنني بذلت جهداً كبيراً في استنطاق كتب الحديث من صحاح وغيرها ، والبحث في معجماتها ، وخاصة « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث الشريف » للاهتمام الى نص ترجمة الحديث : « **داد كنندگان را اندر بهشت سراها باشد از روشنايي ، با اهل خویش ، با آن كسها كه زیر دست ايشان باشند** » (٢٧) الذي استشهد به نظام الملك مروياً عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ؛ فذهبت جهودي ادراج الرياح . وانصمت بآخرة الى ترجمته بلغتي الخاصة : « **للمقسطين و ذوي قرباهم ومن هم تحت ايديهم قصور من نور في الجنة** » . وليست هذه المشكلة خاصة بالترجمة من الفارسية الى العربية فقط ، انما تلقانا في كل لغة اجنبية استشهد بها صاحب الاثر بنصوص عربية وترجمها الى لغته دون أن يثبتها . ولقد عانى منها نفر من المترجمين العرب ، فتغلب عليها بعضهم ، وأخفق آخرون أحياناً . يقول الدكتور ابراهيم امين الشواربي، مترجم كتاب (A Literary History of Persia) للمستشرق الانجليزي ادوارد براون (A. G. Browne)

« اعتمد براون في تأليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية ، واستشهد ، بالطبيعة ، بالتأليفات العربية والفارسية والتركية ، ولكنه

(٢٧) سياست نامه ، من ٨٧ . تحقيق الدكتور جعفر شعار ، طهران ١٣٤٨ شمسي .

لم يستطع ، في الغالب الاعم ، أن يورد لنا شواهد في نصوصها
الاصلية في هذه اللغات ، واكتفى بإيراد ترجمتها الى الانجليزية .
ولم يكن من المستساغ عقلا أو المقبول فنا أن أعود فأنترجم هذه
الترجمات الى العربية ، لان الترجمة عن ترجمة — لا شك — تَضِلُّ
المرجم ، وتبعده عن الاصل . ومن أجل ذلك ألزمت نفسي بآثبات
الشواهد العربية بنصّها الذي وردت به في الكتب العربية ، اللهم
الا اذا كان الكتاب مخطوطا ، وليست له نسخة في دُور كتبنا « (٢٨) .

وكان المرحوم عادل زعيتر شيخ المترجمين العرب يواجهه
بمثل هذا . يقول في مقدمة ترجمته لكتاب « ابن رشد » لارنس رينان
الفرنسي : « وهنا ننبّه القارئ الى أن العلامة رينان اقتطف كثيرا
من العبارات العربية الموجودة ، فاعدنا معظمه الى أصله العربي .
وأما الذي لم نتوصل الى نصه العربي بسبب فقدان الاصل غالبا ،
فقد ترجمناه من الفرنسية ... » (٢٩) .

وابتلي محمد عبد الفني حسن بكثير من هذا في ترجمة كتاب
« المرأة والدولة في فجر الاسلام » للباحثة العربية المتأركة « نابية
أبوت » (نابية عبود) الذي نشره عام ١٩٤٣ (٤٠) . وهو يرى أن هذا
الامر ناحية واحدة من نواحي صعوبات الترجمة من غير العربية الى
العربية ، ولكنها ليست صعوبة في الترجمة ذاتها ، بل هي صعوبة
فيما حول النص المترجم ، ومحاولة ارجاعه الى أصله (٤١) .

ومن مزالق ما حول النص التي تعترض المترجم عن الفارسية
ايضا ، كثرة التحريفات والتصحيفات والاطفاء في الاصول العربية

(٢٨) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي — المقدمة ، ص ١٠٠ . مطبعة

السعادة ، القاهرة ١٩٥٤ .

(٢٩) ابن رشد والرشدية ، ص ٧ . القاهرة ١٩٥٧ .

(٤٠) عن الترجمة في الادب العربي ، ص ٨ .

(٤١) المرجع السابق ، ص ٩ .

في المؤلفات الفارسية ، في الآيات والاحاديث ، والاشعار والامثال الماثورة ، والاعلام والاماكن والكتب ، لاسباب قد يعود اكثرها الى تلاعب النسخ وجعلهم — او جهل اكثرهم — ، والى توانسي المحققين وتقصيرهم ، وعدم معرفتهم الجيدة بالعربية وتراثها .

وكتاب « سياست نامه » اكبر شاهد ودليل على ما اقول ، لان فيه تحريفات وتصحيحات واوهاما كثيرة ، غام معظمها عن اعين المحققين والمصححين ، والمترجمين غير العرب ايضا ، مع انه طبع اكثر من خمس طبعات مختلفة في ايران وخارجها ، كان آخرها طبعة الدكتور جعفر شعار التي ترجمتها الى لغة الضاد ؟ فقد حُرِّفَتْ فيه لفظة « الحق » في قوله تعالى : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ، فاحكم بين الناس بالحق » (٤٢) الى « العدل » (٤٢) ، وُصِّحَّت « وتصدق » في الآية الكريمة « وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين » (٤٤) الى « فتصدق » (٤٥) ، واضحى اسم زعيم الديالة « اسفار بن شيرويه ورداوندى » ، فيما اثبتته المسعودي (٤٦) وابن الاثير مثلا (٤٧) ، اضحى « سيار شيروى ورداوندى » (٤٨) ، وحُرِّف اسم كتاب الاسماعيلية « البلاغات السبعة » الذي نص عليه ابن النديم (٤٩) الى « بلاغة

(٤٢) سورة ص ، آية ٢٥ .

(٤٣) سياست نامه ، ص ٢٧٦ .

(٤٤) سورة يوسف ، آية ٨٨ .

(٤٥) سياست نامه ، ص ٩٠ .

(٤٦) مروج الذهب ٤ : ٢٧٤ وما بعدها . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٨ .

(٤٧) الكامل في التاريخ ٨ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٩ — ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٧ . طبعة صادر ، بيروت ١٩٦٦ .

(٤٨) سياست نامه ، ص ٣٢٨ .

(٤٩) الفهرست ، ص ٢٤٠ .

السابع « (٥٠) . وغير هذا كثير في أشياء شتى لا حاجة لذكرها (٥١) .

انجسوز للمترجم ، والحال هذه ، أن يسكت — إذا ما عرف —
عن مثل هذه التصحيفات والتحريفات والالوهام أنى وجدت ، فيزيد
الطين بلة ويشارك المحتقن فيما انزلتوا اليه ولم يكتشفوه ؟ ! وهل
كان عبثا أن يحتدم الجدل بين المهتمين بالترجمة حول « تخصص
المترجم فيما يترجم ، أو « معرفته » به ؟ أحسب أن لا ، لأن قدرة
المترجم وسعة اطلاعه ومعرفته تبرز واضحة هنا ؛ وهو ما يدل
على أن الترجمة ليست نقلا وحسب ، فيما يتصور الكثيرون ، بل هي ،
فيما يذهب صاحب « المتكلم » الدكتور يعقوب صروف ، « صعبة
وأصعب من التأليف » .

* * *

وبعد ،

أفلا تستحق مقولة الإيطاليين « الترجمة خيانة » أو « المترجم
خائن » (٥٢) مزيدا من التفكير والتقدير ؟

أوليس يوجين نيدا محقا في قوله (٥٣) : « فإن مهمة المترجم
مهمة صعبة في الأساس ، ومهمة لا يشكر عليها في أغلب الأحيان .
فإذا ما ارتكب غلطة انتقيد بشدة ، ولكنه لا يُمتدح سوى امتداح تافه
عندما ينجح في عملية ... » ؟ ! .

د. يوسف بكار

(٥٠) سياست نامه ، ص ٣٥٢ .

(٥١) راجع التفاصيل في : يوسف بكار ، نظرات في سياست نامه ، نشره دانشكده
الهیات و معارف اسلامی مشهد ، المجلد (٢٤) ، خريف ١٣٥٨ شمسي (١٩٧٨) .

(٥٢) Tarduttore Traditore نقلا عن :

الدكتور محمد عوض محمد : فن الترجمة ، ص ٢٩ . معهد البحوث والدراسات
العربية ، القاهرة ١٩٦٩ .

(٥٣) نحو علم للترجمة ، ص ٣٠٢ .

دراسات في النظم والعقائد الاباضية

للدكتور عوض غليفات

(الجامعة الاردنية)

١ - تمهيد

الولاية كلمة مشتقة من الفعل "وَلِيَ" ، ولها معان مختلفة (١) ، منها المحبة ، والناصره ، والمؤازرة ، والقرب . والبراءة تعني ضد هذه المعاني ، أي : الجفوة ، والبغض ، والعداوة ؛ وهذه المعاني هي التي تعيننا في هذه الدراسة الاولى لنظام الولاية والبراءة عند اتباع المذهب الاباضي . وقد استعمل العرب الكلمتين لتدلّ على المعاني الآتفة الذكر منذ الفترة الجاهلية ، واكتسبتا مع مرور الزمن دلالات اجتماعية وسياسية ودينية . وسنحاول في هذه اللحة ان نوضح هذين المصطلحين حتى أصبحا — بمدلولهما الفقهي — من اهم الدعائم التي ارتكز عليها المذهب الاباضي في مسيرته منذ القرن الاول الهجري حتى يومنا هذا .

كانت القبيلة هي الوحدة الاساسية في المجتمع العربي البدوي ، وافرادها متكافلون ، متآزرون ، يتولى بعضهم بعضا ، وعلى كل فرد منهم نصرة أخيه ظالما كان أو مظلوما ؛ فاذا وقع لاحدهم سوء سارع الجميع لم يد العون والمساعدة له بحكم هذه الولاية العصبية . ويصف أحد الشعراء هذا الحال فيقول :

(*) أشكر الاستاذ محمد المغربي الذي أعارني بعض المخطوطات ، والذي أشار على بكتابة التمهيد لهذا بحث . كما أتوجه بالشكر الجزيل للاستاذ الدكتور مهدي العزيز الدوري لما أسداه لي من آراء وملاحظات قيمة .

لا يسألون أخاهم حين يُنذِبُهُمْ في النَّاتِبَاتِ عَلَى مَا قَالِ بَرَهَاتُ (٣)

ويقول شاعر آخر :

إذا اسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَائِهِمْ لَآيَةَ حَرْبٍ أَمْ بَايَ مَكَانٍ (٤)

كانت هذه المساعدة القبلية مشروطة بوجوب التمسك بمادات القبيلة وتقاليدها وأعرافها ومعتقداتها ، أما إذا ظهر من الفرد خلاف ذلك ، فإن قبيلته تنبذه ، وتتبرا منه ، فيصبح طريدا أو مخلوعا ، وقد يصبح صعلوكا . ويحدث التبرؤ من الشخص وخطمه لأسباب متنوعة ، كان يخرج على إجماع القبيلة ، أو يُقتل أحد أفرادها ، ولا يقبل ذوي المغدور الدية ؛ أو أن يقتل شخصا ينتمي الى قبيلة أخرى بينها وبين قبيلته حلف أو عهد أو جوار ؛ أو يصبح سيء الخلق ، مذموم السمعة والسيرة ، أو يضحي مبذرا مدمنا على شرب الخمر ، وغير ذلك مما يقدح بسمعة القبيلة ومكانتها . ويبدو أن معاملسة القبائل العربية لأفرادها المنبوذين كانت الأساس الذي تطوّر عنه هذا المبدأ الذي عرف بـ « البراءة » (٥) .

ولما بُعث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استخُذَت قبيلته ، قريش ، هذا المبدأ ضده ، إذ وجدت في دعوته خروجاً عن أعرافها وتقاليدها ومعتقداتها ، فدعت الى نبذها والبراءة منه . وتعرض الرسول عليه السلام — تبعاً لذلك — لكثير من الأذى والاضطهاد ، ولم تلث قريش أن قاطعت الرسول وبني هاشم الذين حموه طبقاً لمبدأ الولاية بالعصبية . وعقد القرشيون عهداً فيما بينهم علّقوا نصوصه في جوف الكعبة ، لتأكيد قداسته ووجوب التقيد به . وقد تعاهد القرشيون على مقاطعة الرسول وبني هاشم ، وعدم التعامل معهم ، فلا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم ولا يبايعونهم ولا يناكحونهم ولا يكلمونهم ؛ وبقوا على هذه الحالة قرابة ثلاث سنوات (٥) .

وعندما هاجر الرسول الكريم الى المدينة المنورة ، جعل مبدأ الولاية والبراءة في خدمة الدعوة الإسلامية ، فكوّن الجماعة الإسلامية

التي عرفت باسم الأمة وجعل أفرادها أولياء بعضهم من دون الناس ؛
وبذلك أحلَّ رابطة الدين والعقيدة محل رابطة السدم والنسب .
وأصبح المسلم أخا المسلم ووليّه . وأوجب الاسلام على كل فرد
ان يُحبَّ أخاه في الله وينصره ويساعده ، كما أوجب على كل فرد
من الأمة البراءة من أعداء الله ورسوله . وبهذه الوسيلة أصبح
جميع أفراد الأمة وحدة متجانسة متكافلة متضامنة ، وبذلك استطاعوا
ان يصمدوا أمام التحديات ، وهي كثيرة ، وينشروا دعوتهم، ويحرزوا
النصر المبين . أما اذا احدث أحد أفراد الأمة الاسلامية حدثا
يضرّ بالاسلام وأصحابه ، او قصّر في أداء واجباته الدينية الاساسية،
فان الرسول، عليه السلام، لم يتردد في الدعوة الى البراءة منه
وبغضه ومقاطعته (٦) .

مثال ذلك ما حدث للثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد في غزوة
تبوك ، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ؛ فقد
أمر الرسول المسلمين بأن يقطعوهم ولا يتكلموا معهم حتى ضاقت
عليهم الارض بما رحبت ؛ ثم أنزل الله كلمته فيهم بالتوبة عنهم، فعاد
المسلمون الى ولايتهم وموادعتهم (٧) .

وقد اتخذت الفرق الاسلامية فيما بعد — على اختلافها وتنوعها —
من هذا المبدأ وسيلة للتبرؤ من أعدائها . وكانت كلّ فرقة تزعم
بأنها وحدها التي تمثل الاسلام الصحيح كما جاء به محمد، صلوات
الله وسلامه عليه ، وبالتالي فان لها الحق في ان تتبرا من مخالفيها
باعتبارهم ضالّين حادوا عن الطريق القويم . وعلى هذا الاساس
قسام الثوار ضدّ عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بالتبرؤ منه ثم قتله،
لانه — حسب زعمهم — حاد عن الصواب، وخالف سنّة الرسول الكريم
وسنّة الخيفتين الراشدين من بعده . وتبرا المحكّمة من علي بن أبي
طالب — كرّم الله وجهه — بعد قبوله التحكيم لانه — طبقا لوجهة
نظرهم — حكّم الرجال في أمر من أمور الله، وبذلك خلع نفسه
من منصب الخلافة الذي بايعه المسلمون عليه .

والحقيقة ان الامثلة في هذا الشأن كثيرة ولا حصر لها، وما
اوردناه من امثلة يكفي للتدليل على وجود هذا المبدأ عند العرب
منذ فترة سحيقة ؛ ولم يكن الاباضية مبتدعين في هذا المضمار ،
ولكنهم اعطوا لهذا المفهوم اهمية خاصة، وبعدا سياسيا ودينيا دقيقا
لا نجد له شبيها عند اتباع الفرق الاسلامية الاخرى .

لقد التفت ائمة الاباضية ومشايخها منذ البداية لأهمية هذا
المبدأ، وضرورة استخدامه في سبيل تطوير حركتهم ونشر دعوتهم ؛
ولا نبالغ اذ قلنا : ان هذا المبدأ كان من اهم العوامل التي أدت
الى الحفاظ على وحدة الجماعة الاباضية وتماسكها عبر العصور .

بدأت الحركة الاباضية سرية ، واتخذت من البصرة مقراً لها ؛
وكان ذلك خلال النصف الثاني من القرن الاول الهجري والنصف الاول
من القرن الثاني الهجري، حيث كان الامويون يتربعون على عرش
الخلافة الاسلامية ، وكان ولائهم في العراق — مثل زياد بن ابيه، وابنه
عبيد الله، والحجاج بن يوسف الثقفي — يشتدّون في ملاحقة اتباع
الفرق الاسلامية المناوئة للحكم الاموي ، ومنها الخوارج ؛ فرأى
الاباضية ان يسيروا بدعوتهم بحذر شديد متجنبين المعارضة المسلحة
ضد الحكم القائم . وفي الوقت نفسه اوجدوا الوسائل الكفيلة
لنشر دعوتهم في الامصار الاسلامية، فاستعملوا التقية الدينية، واوجدوا
تنظيماً سرّياً دقيقاً — كانت الولاية والبراءة احد عناصره — ساعد
في نجاح الحركة وتحقيق أهدافها (٨) .

لقد نظر الاباضيون الى الحكم الاموي على انه غير شرعي،
واعتبروا الخلفاء الامويين جبابرة مستبدّين ، ولذا لا بد من ايجاد
حكم اسلامي صحيح على غرار ما كان موجودا زمن الرسول الكريم
والخلفتين ، ابي بكر وعمر . وحتى يتمكن الاباضية من الوصول
الى هذا الهدف ، رأوا انه لا بد من اعادة تحديد مفهوم الامة
الاسلامية على أسس جديدة تتفق والمعتقدات الاباضية ، وعلى كل

من يريد الانضمام لهذه الجماعة — الأمة أن يعلن الولاية لكل اتباع الحركة الاباضية جملة وافرادا ، وأن يتبرأ من أعدائهم ومخالفهم ، مشركين كانوا أم موحدين . وتورد المصادر الاباضية امثلة كثيرة لسي هذا الشأن ، منها ما يذكره أبو سنيان حول اعتناق أبي النظر ، بسطام بن عمر بن المسيب بن زهير الضبي للمذهب الاباضي . فقد كان أبو النظر صغريا من أصحاب شبيب ، وفرَّ من الحجاج، ونزل البصرة ، فدعاه الاباضية لمذهبهم وقالوا له : « ندعوك الى ولاية من قد علمته يقول الحق ويعمل به » (اي الشخص الاباضي) والى براءة من قد علمته يقول بخلاف الحق ويعمل به ، والوقوف فيمن لا تعلم حتى تعلم » . ففعل أبو النظر ذلك ، وأصبح من مشايخ الاباضية المرموقين (٩) . وقد أصبحت هذه الدعوة قاعدة هامة نادى بها ومارسها الاباضية في كل زمان ومكان ، بحيث لا يُقبَل في الجماعة الاباضية احد الا بعد أن يعلن انه وليّ وليهم وعدوّ عدوّهم (١٠) . وأصبح مبدا الولاية والبراءة فرضا دينيا واجبا ، على كل اباضي أن يتقيد بأحكامه وشروطه طبقا للقواعد التي وضعها وطبقها مشايخ الاباضية الاوائل . وقد قام علماء الاباضية ومفكروهم بتدوين هذه القواعد والاحكام ، وألفوا الكتب التي تبحث في هذا الموضوع ، بحيث أصبح للاباضية نظرية خاصة في هذا الشأن لا نجد لها مثيلا عند اتباع الفرق الاسلامية الاخرى * . وسنستعرض في الصفحات التالية قواعد الولاية والبراءة — كما اوردها المصادر الاباضية — مستعينين بامثلة عملية واضحة حيثما تقتضي الضرورة .

(*) من هذه الكتب : الجبالي ، قواعد الاسلام ، عمرو بن جميع ، عقيدة التوحيد ، شباخي ، شرح عقيدة التوحيد ، السامي ، مشارق أنوار العقول . بالاضافة الى كتب أخرى تحوي نمولا خاصة عن الولاية والبراءة يلحظها القارئ في هوامش هذا البحث .

٢ - الولاية

الولاية عند الاباضية تعني المحبة والمودة والمؤاخاة والمصانفة والمناصرة والثناء ووجوب الترحم والاستغفار للمسلمين (أي الاباضية) .
وتَجْمَع هذه المعاني كلها عبارة الحب في الله وفي العقيدة الاباضية (١١) .
والولاية واجبة على كل اباضي لاختيه في المذهب اذا كان مطبقا لاوامر الله ، قائما بواجباته الدينية على أكمل وجه ، آمرا بالمعروف ،
ناهيا عن المنكر ، ممتنعا عن كل ما حرم الله (١٢) .

وللولاية قواعد واحكام يمكن اجمالها بما يلي :

١ - ولاية الجملة : وهي فريضة على كل مكلف عندما يصل الى سن البلوغ (الخامسة عشرة للذكور ، والثانية عشرة للاناث) . وعلى المكلف ان يوالي جميع المسلمين الاباضية من غير قصد الى أحد باسمه . والعمل بهذا المبدأ توحيد ، والترك له ، او الجحود ، او الجهل بانه فرض ، يُدْخِل صاحبه في دائرة الشرك (١٣) .

٢ - ولاية المعصومين ، وتشمل ولاية الانبياء والرسل والملائكة وغيرهم من اولياء الله المذكورين في القرآن الكريم . سواء بالاسم او بالوصف . وهي على نوعين : ولاية الجملة ، وولاية الافراد .
اما ولاية الجملة فتشمل جميع الانبياء والرسل ، وكذلك الجماعات التي ورد ذكرها او وصفها في القرآن الكريم ؛ مثل اهل الكهف ، واصحاب الاخدود واشباههم . وولاية الافراد على نوعين : مسمى ، مثل آدم وابراهيم ومريم بنت عمران وغيرهم ، وغير مسمى مثل مؤمن آل فرعون ، وولاية هؤلاء جميعا توحيد ، والبراءة منهم شرك (١٤) .

٣ - ولاية الاشخاص ويقصد بها ولاية الافراد من اصحاب المذهب الاباضي ؛ وهي عبارة عن حق متبادل بين أتباع العقيدة الاباضية . ويجب ان تتوافر في الشخص الذي يتولاه الاباضية الشروط التالية :

١ - أن يكون اباضيا في القول والعمل .

٢ - أن تكون سمعته جيدة وتصرفاته مرضية .

٣ - أن يكون المكلف مقتنعا بأن الشخص المتولى يستحق الولاية .
ويمكن التحقق من توافر هذه الشروط بالوسائل التالية :

١ - الخبرة بالشخص المتولى على أنه موافق للإباضية في القول والعمل .

٢ - الشهرة التي لا تُدْفَع ، أي أن يكون مشهورا بالخير ، فمن عرفه لا يعرف عنه إلا الخير والفضيلة .

٣ - أن يُشهد على أحقيته في الولاية شخصان اباضيان عدلان .

ويكتفي بعض العلماء بشهادة شخص واحد عدل (١٥) . ويبدو أن الإباضية كانوا أحيانا يقبلون شهادة المرأة . وتذكر المصادر الإباضية أمثلة كثيرة تشير إلى صحة هذا الرأي ، منها ما يورده الشماخي من أن أم عمروس ، أحد علماء الإباضية في جبل نفوسة ، أوصت إليه في المهد واستخلفته ، فلما كبر وقضى وصية والدته وجد فيها الحج ، أي الطلب منه أن يحج عنها ويدعو لها . فسأل عمروس أقرانه من الإباضية عن أحقية والدته في الولاية ، فلم يجد من يتولاها به (أي يشهد بأنها كانت إباضية المذهب ومن أهل الولاية) إلا امرأة، فتولاها بها ، وحج عنها ودعا لها واستغفر « (١٦) .

وإذا تحققت ولاية الشخص، فعلى من يتولاها أن يضر له الحب في الجنان ، ويعلن الترحم والاستغفار له باللسان ، « فمتى ما ظهر من أحد الوفاء بدين الله قولا وعملا ، فعلى من شاهده ذلك منه ولايته ، واعتقاد الحب له ، والاستغفار له ، وتحريم بغضه وشتمه وغشه وغيبته وسوء الظن به .. » (١٧) .

وتشمل ولاية الأشخاص الأنواع التالية :

١ - ولاية أئمة الإباضية ، وتعتبر فريضة على كل إباضي يعيش في القطر الذي يوجد فيه الإمام ، كما انها فريضة على أي إباضي آخر يسمع بوجود الإمام . وتنسحب الولاية ، في هذه الحالة ، على جميع الإباضية الذين يعيشون في ظله وينضوون تحت سلطانه . ويسمى هؤلاء : أهل العدل والاحسان ، كما تسمى بلادهم : دار العدل والحق . ويسمى الإباضية هذه الولاية بـ « ولاية البيضة » أي العاصمة أو مركز الحكم . وفي ذلك يقول الجبيطالي : « ولاية البيضة هي ولاية الإمام العادل ، إمام المسلمين (الإباضية) ومن اتبعه على طاعة الله ، إلا إن ظهر من أحد ما يبرأ به منه ، وذلك إن كل دار يكون أهلها الغالبون عليها هم العاملون بما جاء به التنزيل ، المتبعون لما شرعه الرسول عليه السلام ، الناهون لما نهى عنه الشرع ، الداعون إلى السنة والعمل بها ، الرادون للبدعة على من جاء بها ، غير متجانفين للأقارب ، ولا متعصبين على الأجانب ؛ يتولاهم الانسان ويسميهـم أهل العدل والاحسان ، وينسب الدار اليهم فيسميها دار العدل والحق » (١٨) .

ويقول الإمام أفلسح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : « اذا كان إمام المسلمين (الإباضية) عدلاً فكل من جرت عليه طاعته ، ورضي بحكمه ، ولم يظهر منه خلاف المسلمين ، فهو عندهم في حكمهم من الولاية ، يتولونه بعينه ، ويتولون جميع من في البيضة جملة وقصدا » (١٩) .

ويرى الإباضية انه لا يجوز التجاهل ، أو الجهل ، بوجود الإمام ؛ فمعرفة الإمام واجبة على كل من يعيش في البيضة . ولا يجوز أيضاً لأي فرد إباضي أن يتبرأ من أحد الأئمة بشهادة الشهود ، على خلاف الأشخاص الذين يُتَوَلَّون ويُتَبَرَّأ منهم طبقاً للشروط التي شرحناها آنفاً ، ومنها شهادة العدول . ويشرح الجبيطالي هذه القاعدة ويقول : « أما أئمة الدين والهدى ، وقادات المسلمين من أهل المروءة والتقوى ، فانهم يتولون عند أصحابنا بغير حجة لانها بمنزلة الديانة ..

وليست بمنزلة ولاية الأشخاص وبراعتها . ألا ترى أنك تنتقل من ولاية الأشخاص وبراعتها بشهادة الأمناء ؟ وليست كذلك ولاية الأئمة، لأنك لا تنتقل عليها بالشهود وإن كثروا « (٢٠) .

ب - ولاية الخارج من الشرك الى الاسلام . يتولى الإباضية الشخص الذي يعتنق الاسلام ، ويشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويعلن وحدانية الله تعالى وقدرته ، ويتعد عن المعاصي والكبائر . ويرى بعض علماء الإباضية أن المستجيب للدعوة الاسلامية لا يتولى حتى يبرأ من الجبابة، أي الحكام والسلاطين غير الإباضية ، وإذا لم يفعل ذلك فانهم يتوقفون عن الحكم عليه (٢١) .

ج - ولاية الخارج من مذهب أهل الخلاف الى مذهب أهل الصواب : أي ولاية المسلم الذي كان يتبع مذهباً اسلامياً معيناً ثم اعتنق المذهب الإباضي . وهذه الولاية على وجهين : ولاية المتدين ، وولاية غير المتدين . ويقصد بالمتدين الشخص العالم المجتهد المتبحر في شؤون الدين ، الذي يستطيع أن يعطي رأياً فقهياً، أو يُصدر فتوى في شأن من شؤون الدين . وفي هذه الحالة فعلى الشخص أن يعلن توبته عن آرائه الخاطئة ، أي التي لا تتفق مع المذهب الإباضي ، ويعلن أيضاً أن مبادئ الإباضية وعقائدهم هي وحدها التي تمثل الاسلام الحق . وإذا فعل ذلك فعلى الإباضية حينئذ أن يتولوه ويعتبروه واحداً منهم (٢٢) .

وإذا كان المخالف متديناً ، ولكنه صاحب بدعة، أي أنه ينادي بآراء مخالفة للعقائد الإباضية ويدعو الناس لاعتناق آرائه، واستجاب له عدد من الناس ؛ ثم رأى خلاف ذلك وأراد أن يتوب ويعتق المذهب الإباضي ، في هذه الحالة يجب عليه - قبل أن يتولاه الإباضية - أن يذهب الى أصحابه ومن استجاب لدعوته ، ويخبرهم أن ما دعاهم اليه ضلال ، وأنه تاب الى الله وعاد الى رشده ، واعتنق المذهب الصحيح (الإباضي) . بعد ذلك تُقبل توبته ، ويتولاه الإباضية كواحد منهم (٢٣) .

أما إذا كان المخالف متدينا وكان صاحب بدعة ، ودعا إليها الناس فأضلُّ بها خلقا كثيرا ، بحيث يصعب عليه الاتصال بهم ليخبرهم عن توبته ، ويعلمهم أن ما دعاهم إليه كان ضلالا ، فعليه في مثل هذه الحالة ، أن يتوب ، ويعمل جاهدا للدعوة للمذهب الاباضي ، عند ذلك تُقبلُ توبته ويتولاه الاباضية (٢٤) .

أما المخالف غير المتدين، أو ما تسميه المصادر الاباضية: المخالف المقلد ، فإن الاباضية يتولونه بمجرد توبته، وإعلان انضمامه اليهم واعتناقه لمبادئهم ؛ وعليه في هذه الحالة ان ينطق العبارة التالية مخاطبا بها الاباضية : « انا منكم ، وليُّ وليكم ، وعدوُّ عدوكم » (٢٥) .

٤ - ولاية الاطفال . يتولى الاباضية الاطفال المولودين لاشخاص من اتباع حركتهم، على أن يتوفر في الطفل احد الشروط التالية :

١ - المعرفة لدى الجماعة أن الطفل وُلِدَ على فراش أبيه . ومعنى ذلك التيقن من أن الطفل ولد لاب اباضي .

٢ - اقرار الأب الاباضي أن الطفل ابنه إذا حضر . ويرى بعض العلماء أن شهادة الأب غير كافية ، بل يجب أن تتوثق بشهادة رجل اباضي آخر عدل ؛ وبعضهم اشترط شهادة رجلين اباضيين عدلين .

٣ - شهادة الامناء الموثوقين (الاشخاص العدول) بأن شخصا اباضيا معنا له أولاد ؛ عند ذلك تتحقق ولايتهم، حضورا كانوا أم غيابا .

أما الاطفال المخالفون فإن الاباضية يتولونهم حتى يبلغوا الحلم، ثم يجري عليهم حكم الوقوف . فإذا ظهر منهم الوفاء للمذهب الاباضي تولوهم، وإن ظهر منهم خلاف ذلك تبرأوا منهم. وحكمهم في ذلك حكم آبائهم من الموحدين المخالفين .

أما أطفال المشركين فإن الإباضية يتوقفون عن الحكم عليهم حتى يبلغوا الحلم ، فإذا أسلموا بعد ذلك واتبعوا المذهب الإباضي فإنهم يتولون .

أما أطفال العبيد الذين يملكهم شخص متولى، والموالي الأطفال إذا اعتنقهم المتولى، ففيهم قولان : أحدهما يقول بوجوب توليهم ، والآخر يقضي بالوقوف حتى سن البلوغ ؛ فإذا بلغوا واتبعوا الطريق القويم والمذهب السليم (الإباضي) فعند ذلك يتولون .

أما الطفل الذي يولد لامرأة مشركة اعتنقت الاسلام وتولاها الإباضية، فولايته واجبة . أما إذا ولد الطفل لابوين مسلمين، أحدهما إباضي والآخر غير إباضي، فإن الإباضية يتوقفون عن الحكم عليه حتى سن البلوغ . فإذا اعتنق المذهب الإباضي تولوه، وإن لم يفعل تبرأوا منه . ويرى بعض العلماء أن ولاية الطفل الذي ولد لاب إباضي واجبة، باعتبار أن الولاية تورث من الأب دون الأم .

ومن أصيب بعاهة الجنون في سن الطفولة فحكمه عندما يكبر حكم الطفل ، إذا كان أبوه من لهم حق الولاية فإنه يتولى، وإن كان مشركا أو منافقا وقف عنه .

وإذا ارتد الشخص المتولى من الاسلام الى الشرك فإن أولاده الأطفال يبقون في منزلتهم من الولاية (٢٦) .

٣ - البراءة

البراءة عند الإباضية تعني عكس الولاية تماما ، أي العداوة والمنابذة والبغض ووجوب الثتم واللعنة للكافر ، وعدم الترحم عليه أو الاستغفار له . والبراءة فريضة على كل مكلف في حال البلوغ كالولاية « حذو النعل بالنعل » (٢٧) .

وكما أن للولاية قواعدها وأحكامها فإن للبراءة أيضا قواعده وأحكامها يمكن أجمالها كالآتي :

١ - براءة الجملة : وتعني وجوب البراءة من المشركين بشكل عام ؛ فعلى كل إباضي - تبعاً لذلك - أن يبرأ من أعداء الله من الأولين والآخرين، من الجن والناس أجمعين الى يوم الدين ، معروفين او غير معروفين ، أحياء كانوا ام امواتا . فالبراءة من الكافرين توحيد ، والترك لشيء من ذلك شرك ، والجهل بأن الله أكرم بها شرك ، والانكار لوجوبها وفرضها شرك ايضا (٢٨) .

٢ - براءة الحقيقة او براءة أهل الوعيد ، وتعني وجوب البراءة من أولئك الذين توعدهم الله في كتابه العزيز ، وهم المذمومون في القرآن، والموصوفون بالاساءة والمعصيان (٢٩) وهم قسمان : جملة وأفراد . ومن أمثلة الجملة قوم نوح ولوط وعاد وثمود، وأصحاب الرس وغيرهم ممن ذكرهم القرآن بالسوء . أما الافراد فهم نوعان : مسمى مثل هامان وقارون وفرعون ، وأبي لهب . وغير مسمى مثل الذي حاج ابراهيم ، وحَمَّالة الحطب ، وامرأة لوط وغيرهم .

وبكلمة فان البراءة من جميع من نص الله عليهم بأسمائهم وأوصافهم والقابهم من الرجال والنساء المنعوتين بالاساءة توحيد ، وولايتهم شرك (٣٠) .

٣ - براءة الاشخاص . يعتقد الإباضية بوجوب البراءة من كل شخص مشهور بارتكاب الآثام والكبائر ؛ وهؤلاء نوعان : الأول يشمل أولئك الذين يرتكبون الكبائر ؛ والكبيرة عندهم هي الخطأ الذي يوجب الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة، مثل الزنا ، وشرب الخمر ، والتولي يوم الزحف، وأشباه ذلك . والثاني يشمل أولئك الذين يرتكبون الصفائر ويصرون على الاستمرار في الخطأ رغم تحذير أقرانهم لهم (٣١) .

✓ وتجب البراءة من الشخص اذا تحقق فيه أحد الشروط التالية :

١ - أن يعترف الشخص أنه اقترف إحدى الكبائر ، أو أنه استمر في ارتكاب الصفائر مدعياً أن هذه الامور لا تتعارض مع مبادئ العقيدة .

٢ - أن يشاهد الشخص وهو متلبس باقتراف احدى الكبائر ،
مثل الزنا وشرب الخمر وأشباه ذلك .

٣ - أن يشهد رجلان اباضيان عدلان ممن تقوم بهم الحجة
في الولاية والبراءة على أن شخصا ما يستحق اللعنة والبراءة (٢٢) .
ويبدو من مطالعة المصادر الاباضية أن هذه القاعدة قد وُضعت في
وقت مبكر جدا من عمر الدعوة الاباضية ؛ اذ تروي المصادر أن جابر
ابن زيد (ت ٩٣ هـ) سمع رجلين من أصحابه يتحدثان حتى ذكرا رجلا
فلعنناه . فقال جابر : « لعن الله من لعنتنا ، قالا : كيف تلعن رجلا
لم يثبت عندك لعنه ؟ فقال : وأي ثبات اثبت من اجتماعكما على
لعنه ! » (٢٣) .

٤ - الشهرة التي لا تُدْفَع ، أي أن يكون الشخص معروفا بالسوء
مشهورا به ؛ اذ ان المشهور بالشر يُبرأ منه بغير شهادة (٢٤) .

والبراءة من الاشخاص تكون على وجوه يمكن ذكرها كما يلي :

١ - البراءة من السلطان الجائر ؛ أي البراءة من الحكام
المخالفين . ولا تشمل البراءة جميع من ينضوي تحت لواء السلطان ،
لان بعضهم قد يكون من اصحاب المذهب الاباضي ، ولكنهم اخفوا
معتقدهم على سبيل التقية الدينية حتى لا يبطش بهم السلطان وأعوانه .
والحقيقة ان الاباضية في طور الكتمان كانوا دوما يعيشون تحت حكم
« الجبابرة » ، ومن هنا كانت البراءة وقفا على السلطان ومن ثبتت
طاعته له بقناعة واخلاص . وتسمى دار السلطان دار الجور
والظلم (٢٥) .

ب - البراءة من المرتد من الاسلام الى الشرك . وفي هذه الحالة
يستتاب المشرك ثلاثة أيام ، فان لم يعد الى صوابه ورشده فيجب
أن يجاهد ويقتل ، ولكن لا تُسبى له ذرية ، ولا يغنم له مال (٢٦) .

ج - البراءة من الخارج من مذهب أهل الحق الى مذهب

اهل الخلاف ؛ أي البراءة من كل شخص يرجع عن المذهب الاباضي الى أي من المذاهب الاسلامية الاخرى . اما اذا تمادى هذا الشخص ولم يكتف بترك المذهب الاباضي ، بل أخذ يطعن في اهله ويعيب عليهم ، فعند ذلك يوجب الاباضية قتله . يقول الجيطالي : « فمن خرج من مذهب اهل الحق الى مذهب اهل الخلاف ، فتولى ائمتهم ، وتبرأ من ائمة المسلمين (الاباضية) كان واجبا على المسلمين (الاباضية) بغضه وعداوته ، وخلع ولايته ، حتى يتوب ويرجع الى المسلمين (الاباضية) فيتولّى وليّهم ويعادي عدوّهم . وان خرج من مذهب المسلمين وخالفهم وطعن في مذهبهم ، وعابه منهم ، فقد حلّ قتله بأي سبب وصلوا الى اهلاكه وقتله » (٢٧) . وقصة خردلة التي ترويها المصادر الاباضية من اوضح الامثلة على ذلك ، فقد جاء شاب اباضي الى الامام جابر بن زيد ، وسأله عن افضل انواع الجهاد ، فقال الامام يقتل خردلة . وكان الشاب لا يعرفه ، فأراه اياه رجل من الاباضية ، فضربه بخنجر مسموم فمات ، وقبض على الشاب الاباضي وأتى به الى الوالي فقتله . وكان خردلة من الاباضية ، ولكنه خرج عليهم وأخذ يطعن في دينهم ويدلّ على عوراتهم ، فاستحلّ جابر بن زيد دمه ، وتمّ قتله على النحو الذي ذكرناه (٢٨) .

د — البراءة من الاباضي المبتدع ، أي الذي يقول براهي ديني أو فكري مخالف لما يعتقده علماء الاباضية وفتاؤهم ، ويدعو الناس اليه ، مثال ذلك ما يرويّه المؤرخ — الامام أبو سفيان من أن شخصا اباضيا من مشايخ الكوفة كان يقول بالقدر ، ويدعى حمزة الكوفسي ، وقد جاء الى الامام أبي عبيدة في منزله ، فقال الامام : « من جاء بك الي ؟ فقال : وإليّ من اذهب يا ابا عبيدة ؟ اني أريد أن اذكرك بعض هذا الامر . قال فعليك بمنزل حاجب (الطائي) قال : وما اصنع به ولست حاضرا ؟ قال : فاني آتيتك هناك ، قال : فخرجا حتى آتينا منزل حاجب . قال : فدخلا : البيت ، فتكلما كلاما كثيرا . فكان آخر ما سمع من أبي عبيدة أن قال : يا حمزة على هذا القول فارقت غيلان ،

قال : فخرج أبو عبيدة ، ثم كلمه حاجب . قال : فكان هيئته من حاجب أعظم من هيئته من أبي عبيدة ؛ قال : فقال حمزة : انما أخذت هذا الكلام (أي القول بالقدر) من عند المسلمين (الإباضية) قال : فقال له حاجب ، لم تدرك أحدا الا وقد أدركته ولقيته الا جابر فعن من أخذت هذا القول ؟ قال : منك أخذته . قال : فقال له حاجب فاني أرجع عنه ، فارجع عنه كما رجعت . قال : فقال ، ارفق بي يا أبا مودود ، واقبل مني ما أقول لك . قال : هات . قال : أقول ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ؛ فالحسنات من الله والسيئات من العباد . وأقول : لا يكلف الله نفسا الا وسعها . قال : فقال له حاجب : أما من غيرك فمقبول منه هذه الجبلة ، وأما منك فأنا أعرف مذهبك فيه أولا . قال : فخرج حمزة من عنده . قال : فسئل عنه حاجب فقال : ارفقوا بحمزة ولا تقولوا فيه الا خيرا ؛ قال : فمكث بذلك ما شاء الله ، ثم بلغهم انه مشى الى النساء فكلهن في ذلك ، والى الضعفاء . قال : فلما بلغ ذلك أبا عبيدة وحاجبا ، أمر أبو عبيدة حاجبا أن يجمع له الناس ، فمشى اليهم وأعلمهم ووعدهم ، فاجتمعوا ولا يعلمون ما يريد أبو عبيدة وحاجب . قال : فتكلم المتكلمون وحاجب ساكت لا يتكلم ! قال : فلما تكلم حاجب محمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ان حمزة وعظيمة والحارث (الشخصان الاخيران وافقنا حمزة في مقالته) احدثوا علينا أحداثا ، فمن آواهم أو جالسهم فهو عندنا الخائن المتهم . قال : فتفرق الناس وطردهم من المجالس ولم يقربهم أحد (٢٩) .

وقبل أن ننهي حديثنا عن البراءة وأحكامها يجدر بنا أن نشير الى أن علماء الإباضية يوجبون استتابة الشخص قبل التبرؤ منه ، فان تساب بقي على ولايته ، وان لم يفعل تبرأوا منه ؛ ويرى بعض المفكرين الإباضية أن البراءة لا تتم الا بعد طلب التوبة ثلاث مرات ، فاذا أصر الشخص على معصيته وجبت البراءة منه (٤٠) .

٤ - الوقوف

الوقوف يعني الإمساك من امضاء حكم - بحق ولاية شخص أو مجموعة أو البراءة منهم - لعدم توافر الأدلة والمعلومات البينة التي توجب الولاية أو البراءة . ويرى الإباضية تبعاً لذلك - أن الناس ثلاثة فرقاء : فريق عليم منه الخير ، وهو الموافقة في الدين والعمل ، وهذا هو الولي المستحق للولاية . وفريق عليم منه الشر ، وهو المخالفة في الدين بالقول والعمل ، وهذا هو المخلوع المستحق للبراءة والعداوة ؟ وفريق ثالث لم يعلم منه شر أو خير، وهو الموقوف منه حتى يثبت عليه ما يوجب الولاية أو البراءة (٤١) .

والموقوف عنه صنفان :

١ - كل شخص بالغ لا يعرف منه كفر ولا إيمان . فالغرض فيه الوقوف عن الحكم عليه حتى يعرف حاله من خير أو شر، فيستحق حينئذ الولاية أو البراءة ؛ ومن أمضى فيه حكماً ، سواء بالولاية أو البراءة ، بغير علم ، فهو لا شك مشرك هالك (٤٢) .

٢ - أطفال المشركين والمنافقين . وهؤلاء يجب الوقوف عن الحكم عليهم حتى يبلغوا الحلم ؟ فإذا شوهده منهم الإيمان والصلاح فانهم يتولون ، وإن شوهده منهم الكفر والضلال فیتبرأ منهم (٤٣) .

ويشير العلماء الإباضية الى اشكال مختلفة من حالات الوقوف من أهمها :

١ - وقوف الدين ، أو ما يسميه البعض وقوف السلامة . ويعني ذلك الوقوف عن الحكم على شخص غير معروف عنه خير أو شر ، كفر أو إيمان، وهذا أشمل أنواع الوقوف (٤٤) .

٢ - وقوف السؤال . وهو أن يقوم شخص إباضي بعمل سيئ ، ويعرف عنه بعض أقرانه ذلك، فعند ذلك يجب التوقف عن الحكم عليه

حتى يسألوا اهل العلم والمعرفة من مشايخ الاباضية عن طبيعة ذلك العمل وكيفية الحكم فيه . مثال : ان يرى الشخص متوليا له على معصية مثل الزنا ولا يدري ما قول المسلمين (الاباضية) فيه . فيأتي اليهم ويقول : ما تقولون في رجل ممن تتولونه رايتموه يزني ؟ (ولا يحق له ان يقول رايت فلانا بالاسم ، لانه اذا فعل ذلك برىء منه لكونه رمى متولئ لهم بكبرة) فاذا اخبروه انه يبرأ منه برىء منه ، اما قبل السؤال وسماع الجواب من العلماء والمشايخ فانه يتوقف عن الحكم عليه (٥٥) .

٣ - وتوقف الاشكال . ويعني الوقوف عن الحكم على المتوليين ، اذا قُتِل أحدهما الآخر ولم يُعرف المحقّ من المبطل ؛ مثال ذلك ما جرى للحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي، اللذين تَزَعَّمَا الحركة الاباضية في شمال افريقية بعد مقتل رئيسهم عبد الله بن مسعود التجيبي نحو عام ١٢٧ هـ . وقد وُجِدَا مقتولين وسيف كل منهما مغمدا في جثة صاحبه . ولما لم يتمكن الاباضية من معرفة الباغي منهما على الآخر ، فقد رجح لدى العلماء الوقوف على الحكم عليهما . واصبحت هذه الحالة مثالا يحتذى به في الحكم على قضايا مشابهة (٥٦) .

٥ - أهمية الولاية والبراءة في تطور الحركة الاباضية

يرى الباحث ان لنظام الولاية والبراءة الاثر الاكبر في تطور الحركة الاباضية واستمرار بقائها الى وقتنا الحاضر ، ويمكن اجمال أهمية هذا النظام في التاريخ الاباضي في النقاط التالية :

١ - لقد ساعد نظام الولاية والبراءة اتباع الحركة الاباضية على اقامة مجتمع متماسك قائم على المحبة والاخوة والمساعدة . ولما كانت الولاية عند الاباضية فرضا واجبا فائنا نرى الاباضي - تبعا لذلك - يقدم اخاه في العقيدة على اخيه في النسب . وتشر المصادر الاباضية الى امثلة متعددة تؤكد هذا المبدأ ، منها ما يرويهِ الامام -

المؤرخ الإباضي ، أبو سفيان الذي يذكر أن شخصا إباضيا يدعى المعتمر بن عماره جاء الى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ثاني أئمة الكتمان في البصرة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين - وقال له : انك لأحبُّ الي من أبي . فقال أبو عبيدة : « هكذا ينبغي لك يا معتمر أن تكون ، لانك بذلت لي ما لم تبذل له ، أي الولاية » (٤٧) . وهناك أمثلة أخرى كثيرة في هذا الصدد؛ منها ما يرويه أبو سفيان أن أبا الحر - أحد مشايخ الإباضية في الحجاز في القرن الثاني الهجري - كان في المسجد جالسا في حلقة له، فقدم أخوه الحسن من العراق . فاقبل بريده حتى جاء الى الحلقة فسلم على أخيه ، ولكن أبا الحر لم يقم من مجلسه، واكتفى بأن اخذ بيد أخيه وهو جالس، على الرغم من أنه لم يره منذ فترة طويلة ! وبينما هم كذلك، اطلَّ رجل إباضي من أهل عمان ، فلما نظر اليه أبو الحر، هبَّ قائما وخرج من الحلقة، فتلقاه وعانقه وقبل صفحتي عنقه، ورَّحَّب به ترحيبا كبيرا . فتأثر أخوه لما رآه ، وعاتب أبا الحر على الاستقبال الفاتر الذي أبداه نحوه، مقارنة بما فعل مع ذاك الإباضي العماني . فقال أبو الحر « مودة هذا (أي الإباضي العماني) على غير مودتك ! لان مودة هذا على الدين والولاية، أما مودتك فعلى النسب » (٤٨) .

ولم تقتصر المودة والمحبة بين اتباع الحركة الإباضية على مثل هذه المظاهر التي أشرنا اليها، بل تعدتها الى النواحي العملية الأخرى ؛ فقد كان الإباضية الأغنياء يتسابقون في مدِّ يد العون للمتولى الفقير منهم . وهناك أمثلة كثيرة في هذا الشأن تزخر بها المصادر الإباضية؛ منها ما يقوله أبو سفيان : « سمعت بعض مشايخ من أدركت يقولون : اننا لنذكر اذا دخل شعبان، إن كان الفقراء من المسلمين (الإباضية) لتأتيهم الاحمال بالسويق والتمر وما يصلحهم لشهر رمضان، ولا يعلمون من بعث بها . يأتي الرجل بالجمال حتى يقف به على باب الدار فيقول : ادخل ، فيكتب في خرقة كلوا واطعموا » (٤٩) . ويروى أن شخصا من الإباضية يدعى ديال بن زيد « كان يستاجر الأكسية فسي

البرد الشديد .. بألف درهم أو اقل أو أكثر ، وليس عنده منها شيء ،
وانما يتكل على الله ، وعلى المسلمين (الاباضية) ثم يفرقها بين
الفقراء، ويجمع ثمنها بعد ذلك من أغنياء المسلمين (الاباضية)
وكرمائمهم « (٥٠) . وكان الداعية الاباضي ، أبو الحر ، موسرا جدا،
وتأتيه غلته سنويا « فيقسمها نصفين ، فيفرق نصفها في فقراء المسلمين
(الاباضية) وفي معاونتهم » (٥١) . ولم تقتصر الموالاة بين اتباع المذهب
الاباضي على الاحياء منهم، بل تعدتها الى الاموات . فاذا كان الميت
متولى لهم ومات وعليه دين، فإن أصحابه يتسابقون في دفع الدين عنه .
يقول أبو سفيان : « مات حاجب وعليه دين مئتان
 وخمسون ألفا أو أكثر (دراهم) قال : فدخل قرّة بن عمر وجماعة من
المسلمين ليفصلوه ... فقال لهم قرّة : يا قوم ، ما تقولون في دين
هذا الرجل ؟ فابتدر ثلاثة رجال، وقرّة رابعهم، وضمنوا دينه . ودخل
الفضل بن جندب، وكان من خيار المسلمين (الاباضية) وكان موسرا
فأخبروه ، فقال لهم الفضل : دينه عليّ دونكم حتى أعجز عنه ، ولا
يبقى لي مال » (٥٢) .

وهكذا فإن نظام الولاية وما يوجبه من مساعدة ومؤازرة ومؤاخاة
قد جمل من الجماعة الاباضية أسرة واحدة متماسكة متضامنة، تسيطر
على أفرادها روح المحبة والمودة والتفاني في خدمة العقيدة والمؤمنين بها .

٢ — لقد أدى نظام الولاية والبراءة الى أن يتخذ الاباضية
موقفا متعنّتا جدا من الصحابة الاوائل ، فانكروا أن بعضهم مبشّر
بالجنة ، وكفّروا آخرين كفر نعمة وليس كفر شرك ، وتبرأوا منهم ؛
كما فعلوا مع عثمان وعلي وطلحة والزبير (رضي الله عنهم)
وغيرهم (٥٣) .

٣ — ساعد نظام الولاية والبراءة الاباضية في شمال افريقية
على المحافظة على عقيدتهم رغم التحديات الكثيرة التي تعرضوا لها
منذ سقوط الدولة الرستمية الاباضية على أيدي الفاطميين نحو عام ٢٩٧هـ .

وبدلاً من التخاضل واليأس والخضوع لمخالفهم فقد انسحب الاباضية الى مناطق نائية، واستغلوا مبدأ الولاية والبراءة الى أبعد الحدود، وأقاموا مجتمعات اباضية متماسكة، تسودها المحبة وتسيطر عليها روح الجماعة .

وانشأوا هيئة العزابة التي تشبه في مهماتها وسلطاتها مهام مشايخ البصرة في طور الكتمان، ابسان القرنين الاول والثاني الهجريين (٥٤) . وكانت العزابة تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الاباضي طيلة عدة قرون . وكان شيوخ العزابة يطبقون الاحكام على جميع الافراد « دون أن يشذ منهم شاذ ، أو يتكبر عليهم متكبر » . وكان سلاحهم في تنفيذ احكامهم مبدأ الولاية والبراءة . ولولا هذا المبدأ لظهر التمرد عليهم والاستنكار لهم (٥٥) .

د. عوض خليفات

الهوامش :

- (١) حول مزيد من التفاصيل من محاتي الولاية ، انظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، بولاق ، ١٣٠٧ هـ ، ج ٢٠ ، ص ٢٨٧ وما بعدها .
- (٢) أبو تمام ، الحماسة ، ج ١ ، ص ٩ (نقلًا من يوسف خليف ، الشعراء الصماليك في العصر الجاهلي ، ص ٩٢ ، ملاحظة رقم (١) .
- (٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٤ .
- (٤) يوسف خليف ، الشعراء الصماليك في العصر الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٩ - ١٠٣ .
- (٥) ابن هشام ، السيرة ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .
- (٦) ترد في القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر المسلمين بموالة بعضهم بعضًا والبراءة من أعدائهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم . مثال ذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . سورة التوبة آية ٧١ ، وقوله تعالى : « لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم فمك مآلئك هم الظالمون » سورة التوبة ، آية ٢٣ .
- (٧) في شأن هؤلاء الثلاثة قال الله تعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظننوا أن لا ملجأ من الله الا اليه . ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله نواب رحيم » سورة التوبة ، آية ١١٦ - ١١٧ .
- (٨) حول التنظيم السري الإباضي في القرنين الاول والثاني الهجريين انظر كتابنا : نشأة الحركة الإباضية ، ص ٨٦ وما بعدها .
- (٩) شماخي : سمر ، ص ١١١ - ١١٢ .
- (١٠) جيطالي ، قواعد الاسلام ، المطبعة البارونية ، ١٢٩٧ هـ ، ص ٤٧ .
- (١١) شماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٤٨ ، ٦٤ ، ٨٢ - ٨٤ ، عمرو بن جبيع ، عقيدة التوحيد ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٦٩ ، جيطالي ، قواعد الاسلام ، ص ٤٣ - ٤٤ .
- (١٢) جيطالي ، قواعد ، ص ٤٣ .
- ص ٦٤ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٤٣ .
- (١٣) شماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٦٥ ، عمرو بن جبيع ، عقيدة التوحيد ، ص ٦٤ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٤٣ .
- (١٤) جيطالي ، قواعد ، ص ٤٤ .

- (١٥) شياخي ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٧٢ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٤٤ ، ٥٢ .
- (١٦) شياخي ، سسج ، ص ٢٢٨ ، انظر مثالا آخر ص ٢٢٢ .
- (١٧) جيطالي : قواعد ، ص ٤٨ - ٤٩ .
- (١٨) المصدر نفسه ، ص ٤٤ - ٤٥ .
- (١٩) الامام النج ، جوابات ، ق ٢ ، ص ٥ (نقلًا من نسخة مصورة يملكها الاستاذ محمد المغربي) .
- (٢٠) جيطالي ، قواعد ، ص ٥٤ .
- (٢١) المصدر نفسه ، ص ٤٦ ، شياخي ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٧٢ - ٧٢ .
- (٢٢) جيطالي ، قواعد ، ص ٤٧ .
- (٢٣) المصدر نفسه .
- (٢٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .
- (٢٥) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .
- (٢٦) من ولاية الاطفال انظر ، جيطالي ، قواعد ، ص ٥٠ - ٥٢ ، شياخي ، شسرح ، ص ٧٥ .
- (٢٧) جيطالي ، قواعد ، ص ٥٦ ، شياخي ، شرح ، ص ٤٨ ، علي يحيى محمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ٨٦ .
- (٢٨) جيطالي ، قواعد ، ص ٥٦ - ٥٧ ، عمرو بن جبيع ، عقيدة التوحيد ، ص ٧٤ - ٧٥ .
- (٢٩) عمرو بن جبيع ، عقيدة التوحيد ، ص ٧٥ .
- (٣٠) شياخي ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٧٥ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٥٨ ، عمرو بن جبيع ، عقيدة التوحيد ، ص ٧٦ .
- (٣١) السالي ، مشارق انوار العقول ، القاهرة ، ١٣١٤ هـ ، ص ٢٧٠ وما بعدها ، ص ٣٧٨ - ٣٨٠ .
- (٣٢) المصدر السابق ، ص ٣٨٠ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٦٢ - ٦٢ .
- (٣٣) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، شياخي ، سسج ، ص ٧٢ .
- (٣٤) جيطالي ، قواعد ، ص ٦٢ (من ابي المؤثر) .
- (٣٥) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .
- (٣٦) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .
- (٣٧) المصدر نفسه ، ص ٦١ .
- (٣٨) شياخي ، سسج ، ص ٧٥ - ٧٦ ، الحارثي ، العقود القضيية ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

- (٣٩) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .
- (٤٠) المصدر السابق ، ص ٢٨١ (من أبي سفيان) ، جيطاني ، قواعد ، ص ٦٢ - ٦٤ .
- (٤١) جيطاني ، قواعد ، ص ٦٩ .
- (٤٢) المصدر نفسه .
- (٤٣) السالي ، مشارق ، ص ٢٨٢ وما بعدها .
- (٤٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .
- (٤٥) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ ، جيطاني ، قواعد ، ص ٧١ .
- (٤٦) أبو زكريا ، المسيرة ، مخطوط ، ورقة ٩ ، البرادي ، الجواهر ، ص ١٧٠ ، شياخي ، سمر ، ص ١٢٥ .
- (٤٧) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .
- (٤٨) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .
- (٤٩) شياخي ، سمر ، ص ١١٤ .
- (٥٠) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .
- (٥١) المصدر نفسه ، ص ١٠١ .
- (٥٢) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .
- (٥٣) القلحاني ، الكشف والبيان ، مخطوط ، ورقة ٨٥ - ١٠٦ ، الأزكوي ، كشف الغيبة ، مخطوط ، ورقة ١١٢ وما بعدها ، البرادي ، الجواهر ، ص ٥٢ وما بعدها ، شياخي ، سمر ، ص ٢٠ وما بعدها ، أنظر كتابنا ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ٥٧ - ٦٢ ، ١٧٢ - ١٨٠ .
- (٥٤) يقوم المؤلف بإعداد بحث من نظام المزابة سوف ينشر في مجلة المؤرخ العربي التي تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب في بغداد .
- (٥٥) علي يحيى سمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

الباحثون الايطاليون ودراسة التاريخ العربي للمستعرب الايطالي الأستاذ أومبرتو ريتستانو ترجمه عن الايطالية : عيسى الناعوري (الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني)

تمهيد

هذه المراجعة الموجزة لمشاركات الباحثين الايطاليين في حقل (التاريخ العربي) خاصة ، لا تشمل الاشارة الى المؤلفات ذات الطابع السياسي والديني ، لان ذلك اكثر اتصالا بموضوع الاسلام بحدوده الواسعة — والدراسات الاسلامية تدخل في نطاق ما يدعى باسم « الاستعراب الاسلامي » ، الواسع الاستعمال — غير ان وجود فصل في هذا البحث حول (الدراسات الاسلامية) ، كان القصد منه ان يحول دون اي تحديد لا ارادي قد يقع عند الحديث عن حضارة — كالحضارة العربية الاسلامية — كثيراً ما يتعذر معها فصل المسيرة التاريخية عن تطور العقيدة ونموها .

وبالنسبة الى الاساس الذي سرننا عليه في تقديم المعلومات هنا ، نذكر أنه ، من أجل ترتيب افضل لهذا البحث ، كان لا بد من التضحية بالتسلسل التاريخي للمشاركات الفردية المختلفة ، حفاظا على تسلسل الفترات التي ألفنا تحديدها زمنياً ، وأعني أن تلك الفترات التي تبدأ بالمعهد الجاهلي ، ثم تمرّ بالنبي محمد ، وخلفائه الراشدين الاربعة ، والخلافة الاموية ، ثم العباسية ، الى سقوط الخلافة في

بغداد عام ١٢٥٨ ، قد تلاها الانحطاط ، أو الركود ، الذي غلب على العرب حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين بدأت في بعض الاقطار العربية ، الافريقية والاسيوية، تباشر عهد النهضة . وعند عمر النهضة يتوقف حديثنا .

...

حَوَالِيَاتُ الْإِسْلَامِ

في الوقت الذي تتناولُه مراجعتنا الموجزة هذه ، من حيث الترتيب الزمني ، تَبَرَّزَ بين المستعربين الإيطاليين والاوروبيين شخصية عملاقة ، هي شخصية ليونى كاثيتانى . ففي الاعوام التي تَلَسَّت الحرب العالمية الاولى مباشرة ، نجده ينصرف من جديد الى عمله في (حَوَالِيَاتُ الْإِسْلَامِ) التي كان قد انتقطع عنها بتطوُّعه في الجيش . ونحن نحيل من يودُّون معرفة شيء عن أسرة كاثيتانى الشهيرة ، وابنها العبقري الفذِّ ، الى كتاب فرانسيسكو غبريلي (آخر آل كاثيتانى) ، كما نقترح على من يدفعهم الفضول الى معرفة البيئة التي وُلِدَتْ وتطوَّرت فيها تلك (الحوَالِيَاتُ) أن يقرأوا — ان لم يقرأوا بعد — الصفحات الرائعة ذات الطعم الغسقي ، التي كرَّسها جورجيو ليفي ديلاً فيدا في كتابه (سقف الحوانيت المظلمة) ، ففي هذا الكتاب اهتمَّ ذلك العالم باللغات السامية والمؤرخ الشهير للإسلام ، بالاصالة والدقَّة اللتين عُرِفَتْ بهما ابحاثه ، بأن يُبرِّز المزايا العديدة والهُنَات الضئيلة لعمل كاثيتانى الجبار ، وللنتائج العميقة والحواشي النيرة التي أُلْكَتْ مما تحليلاً ناقداً من أدقِّ الاعمال التحليلية وأصوبها . وقد أوصله الى ذلك اطلاعه التاريخي والديني العجيب ، وكذلك ما لا يجوز إغفاله من أنه كان ، هو وبعضُ المستعربين الآخرين ، بين الذين تعاونوا في العمل مع كاثيتانى تعاوناً فعالاً . ولهذا نرى أنَّ من الادِّعاء الذي لا يُفْتَقَرُ أن نحاول اضافة شيء افضل او اكثر مما جاء في الكتابين المشار اليهما ؛ ونعترف باستحالة فحص كل محتويات (الحوَالِيَاتُ) ، لان هذا لا يستطيعه الا مَنْ قَرَأَ قراءةً كاملةً كلَّ الصفحات الـ ٧٠٠ من تلك الحوَالِيَات . ولذلك نكتفي بأن نذكر في هذا المقام ضمن اية حدود زمنية وتاريخية يجري القسمُ الاكبرُ

من عمل ذلك المؤرخ ، دون أن نتقاضى عن إبراز بعض مزاياه
الكثيرة ، رغم ما نخشاه ، بل نحن واثقون منه ، من تكرار ما أحسن
كتابتهُ ليني ديلاً فيدا وغربيلسى .

ونحن نتفق تماماً مع ليني ديلاً فيدا في اعتبارنا أنه « إذا كانت
أولى نوايا كائيتاني التفكير في جعل عمله يقتصر على جمع المسواد
وعرضها ، فهو خلال ذلك قد شعر بدافع لا يُقاوم الى التمهيص والبناء ،
فأضاف بذلك الى عمل جامع الوقائع ، عمل المؤرخ » . والواقع أنه
منذ الجزء الاول الخاص بتاريخ العرب في الجاهلية ، وقسم لا بأس
به من سيرة الرسول ، بدا جلياً أن كائيتاني كان يعترزم أن يجعل
عمله أكثر اتساعاً واحاطةً مما كان العنوان يسمح باقتراضه . وهذا
التمهيص للمصادر الذي التزم به المؤرخ منذ البداية ، ازداد دقة في
الأجزاء التالية التي زوّدها بكثير من التنبيهات الصغيرة والمفيدة ،
وذات الطابع البنائي . ولقد شجّع ما لقيته من تأييد كبار الباحثين ،
ولم يُبْطِ همته ما لقيته أحياناً من النقد الذي لا بدّ منه . ومضى كائيتاني
يعمل بهمة نشطة وحماسة متواصلة في نشر الجزئين الثالث والرابع ،
وهو يزداد يقيناً من أن الخطّة الجريئة التي اختطّها ليجمع في عشرة
أجزاء أحداث ما يزيد عن ٩٠٠ سنة من التاريخ (أي حتى احتلال
العثمانيين لسوريا ومصر ، سنة ٩٢٩ هـ . ١٥١٧ م .) كان لا بدّ من
تعديلها تعديلاً أساسياً . وقد عبّر عن تلك الضرورة بصراحة في
مقدمة الجزء الخامس حيث يقول : (ان وفرة المواد تستمرّ في قلب
التوقعات المتكررة حول عدد اجزاء الحوليات وسيجد البعض
حجة لانتقاد الأبعاد التي ما نتي تأخذها . . . لان استمرار العمل على
قاعدة شديدة الاتساع ، يزيد من صعوبة إنجازها . . .) .

ويتبع كائيتاني تصريحه هذا بتوقع ، لا شك في أنه أكثر واقعية
من ذلك الذي سبق ان تكوّن لديه حين شرع في تنفيذ تلك المهمة
الموسوعية ، وهو أنه من الممكن أن يصل بعشرين مجلداً أخرى الى
نهاية العهد الاموي . « لقد عملتُ حساباً — كما يقول بعدئذ — بأننى

لو استطعت الثقة من أن أعيش عشرين عاما أخرى من العمل الجاهد ، وبالمساعدة النشيطة التي يُقدِّمها لي بعض المعاونين القديرين ، فلربما استطعت أن أقدِّم للطبع نحو عشرين كتابا مثل تلك الكتب التي صدرت حتى الآن . . . مستمرا على غرار تلك الكتب السابقة دون تغيير في الطريقة أو النوع . ان النتيجة واضحة : فحياة انسان بكاملها ، اذا كُرِّست لهذا العمل ، قد تبلغ بالحوليات الى بداية الخلافة العباسية فقط ، دون أن تمسَّ كلَّ عصور التاريخ الاخرى . . . لهذه الاعتبارات وسواها ، مما أريحُ القارئ من سرده ، توصلتُ الى أن أُقرِّر الشروع في طبع كتاب آخر ، تكميلي ، أو على الاصح ، مُكَمِّل ، يكون الصورة أو الشكل التحليلي تقريبا للعمل الاكبر . . . » ومن هناك نشأت (الوقائع الاسلامية) التي استُخدمتُ فيها ، في موجزات اخبارية ذات صلة بتاريخ الشعوب الاسلامية ، الجزاءات التي لا عُدَّ لها مما جمعه خلال إعدادة لعمله الكبير . غير أن كائيتاني لم يستطع ، حتى مع هذه المهمة الجديدة التي وُقِّفتْ عند عام ١٤٤ هـ / ٧٦٢ م ، أن يَحَقِّقَ ما كان قد حَزَمَ امره عليه من الوصول الى حدود عام ٩٢٩ هـ / ١٥١٧ م ، كما كانت نيَّته الحازمة ، بل ظلَّ ذلك مرةً اخرى طُموحا وهُمَيَّا . ولم تكن اقلَّ وهَمًّا كذلك — كما تجلَّى بعدئذ في ما يتعلق بالحوليات — توقعاتُ المؤرخ حول (الوقائع) ، فانه لم يُكملْ بعدُ ذلك من عمله العظيم اكثر من خمسة أجزاء أخرى ، بلغ معها العمل الى الجزء العاشر ، الذي وصل الى سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ م (نهاية خلافة علي) . وهذا يعني اقلَّ من ثلث ما كان قد خَطَّطَ له بجراة حماسية .

ان هذه الحوليات ، التي أعاد كائيتاني نشر بعض موادها في جُزْأَي كتابه (دراسات في التاريخ الشرقي) ، سرعان ما لقيتْ تقدير الاوساط العلمية الاستعرابية وغيرها ، في ايطاليا وفي الخارج ، وليس فقط للعمل الجبار في جمع اكثر من مئة وخمسين مرجعا تاريخيا ، وتاريخيا ادبيا ، ومُرَزَّها (واغلبها ما يزال غير مطبوع) بل لاعتبارها ايضا مرجعا لا مثيل له في الحقيقة ، لمعرفة العهد الاسلامي الاول ،

وللاعتبارات النقدية والتحيزية العديدة ، والحدس العبقري ،
والفرضيات المغرية المنبثقة في ثنايا ترجمات النصوص أو تلخيصاتها .
ولئن كانت مواقف الباحث المتساهلة جداً مع الإيجابية التاريخية ،
وتُقدِّه العنيد لقيمة الأبحاث التاريخية التقليدية في شؤون الإسلام ،
لم تُلَقَّ أصداءً حسنة لدى المختصين ، فإن هؤلاء أنفسهم ، حتى
في عدم اتفاقهم معه ، قد أبدوا أعجابهم الشديد بمواهبه ومقدرته
العلمية ، واثنوا دائماً على المثابرة والدأب اللذين أبداهما في قيامه
بتلك المهمة التاريخية ، مُشِيدِينَ بنشاطه في التنقيب التاريخي ، وعكوفه
على البحث الدائب ؛ ناهيك بالثناء على الروح التي تحلّى بها في إعادة
صياغة المادة الخام التي كان يعثر عليها .

لختام هذا الحديث نضيف الى ما تقدم ان (حوليات الإسلام) ،
حتى في نموها المحدود في هذه الوقائع بأجزائها العشرة ، قد رُدت
الاعتبار والفضل الى الدراسات العربية والإسلامية في إيطاليا ، بعد
ان مُقِّدَت قيمتها الصحيحة في حقل الحوليات التاريخية منذ (الحوليات
الإسلامية) العشوائية التي كان قد جمعها (ج . رابولدي - ميلانو
١٨٢٢ - ٢٥) والتي لا يستطيع حتى النقاد المتساهل ان يُضفي
عليها ولو قيمةً ضئيلة من الاصاله .

وفي سنة ١٩٢٦ ، سنة ظهور الجزء الأخير من الحوليات ،
كان قد صَحَّ عزم كاثيتاني على مغادرة إيطاليا ، لأسباب مختلفة .
وقد نَفَّذَ عزمه ذاك ، ولكن بعد ان قرّر ان يَعُودَ بمؤلفاته وموادّه
الدراسية الأخرى الى (مؤسسة كاثيتاني) التي أنشئت في الأكاديمية
الإيطالية (أكاديمية الفهود) وكان الغرض من ذلك رغبته في أن يهيء
للباحثين الآخرين الشهادات الناطقة بتكريس عشرين سنة من عمره
لدراسة التاريخ العربي . وربما كان يأمل - أملاً لم يتم - مع الأسف -
أن يقوم غيره باكمال عمله .

مع التسلسل التاريخي :

ونبضي نحو الهدف الذي رمينا اليه وأعرينا عنه في ما تقدم ، من أن نستمر في دراستنا السريعة ، مُؤَخِّين قبل كل شيء تَتَبُّع الأحداث التاريخية ، فنرى من المناسب أن نبدا بإبراز الأعمال التي نجد فيها جميع قرون التاريخ العربي الثلاثة عشر ، أو الاربعة عشر ، أو قسما كبيرا منها موجزة في رؤية اجمالية . ومن هذه نستدل على المنشورات الثقافية الجديرة بالاعتبار ، والتي تقوم الجدية العلمية ، وثقافة المؤلفين الواسعة ، ضماناً كافية لصلاحها وأهليتها .

أول محاولة لجمع تاريخ مثل هذا العدد الكبير من القرون ضمن حدود ضيقة ، قامت بها السيدة لاورا فيتشيا فاليري . ففي الفصل الذي عقدته على (العرب) والمنشور في كتاب (حضارات الشرق) ، وضعت خطوطا لرسم سريع وكامل لتاريخ ذلك الشعب ، واستطاعت أن تجرّد التاريخ مما لا حاجة اليه في مثل هذه الأبحاث التاريخية . وكان أهم من ذلك كثيرا اهتمام مستعربتنا هذه في كتابها (الاسلام ، من محمد الى القرن السادس عشر) بأن لا تستعرض تاريخ العرب فحسب ، بل توجز خصائص الاسلام التاريخية ، والدينية ، والثقافية ، وكذلك الادبية والفنية . انها لدراسة واسعة للعالم الاسلامي ، دون استثناء لعناصره الفارسية ، والبربرية ، والتركية . وهذه الدراسة تجد ختامها المنطقي في بداية القرن السادس عشر ، فتلقي زميناً بعُثمّة العالم العربي المتوسّطي . وهذا ما لم تستطع أن تصل اليه (حوليات الاسلام) ، كما أوجزنا في ما تقدّم .

أما فرانثيسكو غبريلي ، الذي ستتوالى في هذه الدراسة الاجمالية وفي غيرها الاشارات الى جهوده الجبارة في حقل الدراسات الاستعمارية ، والاسلامية ، والفارسية ، فقد صادف بكلّ جدارة نجاحا كبيرا بكتابه (العرب) ، الذي يستحقّ التقدير الكبير لحسن توزيعه للمواد ، ووضوح عرضه حتى للأحداث العربية التي لا يتاح الوضوح في عرضها الا لقلّة من المثقفين ، وكذلك لبعض المحفّات

الشخصية التي لا يصل اليها بسهولة غير العالم المتخصص . ومزايا هذا الرسم الجانبى الكامل للتاريخ ، المرسوم في ضوء رؤية دؤوبة مَحَصّة نقادة ، من اقدم العصور الى ايامنا هذه ، يؤكدُها ان هذا الكتاب سرعان ما تُرْجِمُ الى الانكليزية والفرنسية والالمانية . ولا يختلف عن هذا الكتاب ، من حيث التقسيم التاريخي ، كتاب آخر هو (العرب ، من العصر الجاهلي الى اليوم) ، لأومبرتو رينستانو . فبعد استعراض وافٍ لا يَدّ منه للأحداث التاريخية العربية من الوثنية الى العصر الحديث ، نجد احدث الظروف والشؤون العربية معروضة عرضا وافيا ، ومنها ما لا يزال الى اليوم يفرض نفسه على اهتمام العالم الغربيّ - غير الواعي دائما ، مع الأسف - . واخيرا سنذكر في هذا العرض السريع للملامح الشاملة لأحداث الشعب العربي التاريخية ، ان لفظة (عرب) والفترات الخاصة بعلم الأعراف ، وبتاريخ اسم (الجزيرة العربية) في (دائرة معارف تريكاني) قد حرّرها جورجيو ليفي ديلّا فيدا ، وهي تحمل الخصائص المتميزة للمعلومات السريعة الحسنة التبويب ، والتي لا تعرف التعميمات السهلة .

الجزيرة العربية :

من السهل ان يدرك المرء ان الجزيرة العربية ، قبل ان يَجِدَّ الاسلامُ مجتمعاتها القائمة على البناء البدويّ ، والخاملة الى حد ما ، والتي تُعَوِّزنا معرفتها لندرة المعلومات والوثائق ، وتصعب معرفة بعض مظاهرها الفريدة ، قد كُتِبَتْ فيها الابحاث والرسائل العلمية ذات الطابع التاريخي في أساسها . وهذا ما عُقِدَ عليه الفصل الاول من (تاريخ الدين الاسلامي) لميكلانجيلو غويدي . واكثرُ من ذلك الفصلان الأوّلان من كتابه الذي نُشِرَ بعد وفاته بعنوان (تاريخ العرب وثقافتهم حتى وفاة محمد) الذي جاء تهيّدا لا يَدّ منه لحديث اشمل حول ثقافة العرب . ولكن هذا الحديث لم يُكْمَلْ بسبب وفاة المؤلف المبكرة . ومع ذلك لم يُخْلُ الكتاب المذكور من عُرْض كافٍ للبيئة الاجتماعية التي تكوّنت فيها هذه الثقافة في اقدم الازمنة . وكان غويدي

يعني هذه الحاجة ، فرسم للجزيرة في وثيقتها لوحة امينة بقدر الإمكان ، استنادا الى المادة التاريخية الواسعة التي استطاع ان يجمعها خلال سنين عديدة ، ويقيمها بحس تاريخي عجيب ، وبروح مجردة من كل شكل من اشكال النقد الاعتباطي الذي لا مبرر له ، مع ان الكثير منها خرافي .

وهناك أعمال أخرى لباحثين قديرين اقتصرت تماما على الجزيرة العربية في جاهليتها . وان الواجب ليدفعنا الى ان نذكر في مقدمة هؤلاء الباحثين اغناطيوس غويدي ، الذي جمع تحت عنوان (الجزيرة العربية قبل الاسلام) اربع محاضرات القاها بالفرنسية عام ١٩٠٩ في جامعة القاهرة ، حيث دُعي لالقاء دروس في الأدب الجغرافي والتاريخي واللغوي عند العرب . واذا لم يكن هنا المجال لتذكير المختصين بمزايا هذا المستشرق العظيم ، وفضله في مختلف حقول الساميات المتعددة ، فاننا نرى من فضول القول ان نؤكد ما لهذه المحاضرات الاربع من قيمة رفيعة ، يستطيع ان يلمسها حتى الجاحدون ، حول مهد الحضارة العربية في شمال شبه الجزيرة وجنوبها . وهي تؤكد ما لاغناطيوس غويدي من مقدرة فريدة على تحويل المادة الجافة المتعلقة بظروف الثقافة العامة ، الى عمل علمي .

غير ان الباحث الذي انتقطع في الماضي القريب ، وبشكل يكاد يكون مضرب المثل ، الى صرامة البحث العلمي في دراسة الجزيرة العربية قبل الاسلام ، كان كارلو الفونسو نلّينو ، الذي جمعت آثاره العلمية في هذا الحقل الخاص ، بعد نشرها في مجلات عديدة - ولم ينشر بعضها من قبل - في المجلد الثالث من مجموعة أعماله العلمية ؛ وقد نشرت هذه المجموعة بعد وفاته في ستة مجلدات بعنوان (مجموعة كتابات منشورة وغير منشورة) . والباحثون في علوم العربية والاسلاميات ، المختصون بدراسة مهد الاسلام من المستشرقين وغيرهم ، يعيد الى اذهانهم اسم نلّينو كثيرا من الكتابات الفنية حول العقيدة الاسلامية ، ومن الاشارات القاطعة حول وجود الادب في الازمنة القديمة . ومن

ذلك بحثه بالفرنسية تحت عنوان (هل كانت لمصر صلات مباشرة بجنوب شبه الجزيرة العربية قبل عصر بطليموس ؟) وأكثر من ذلك أبحاثه الأخرى الخاصة (بالعربية السعيدة) التي انفصلت عن شبه الجزيرة بتركيبها الاجتماعي والدستوري ، ومنها (اليمن في العصر الجاهلي) ، ويكمله أيضا (اليمن في العهد الإسلامي) ؛ وهما بحثان متميزان وكبيرا القيمة ، كَتَبَهُمَا حول كلمة (اليمن) لدائرة معارف تريكاني . وفي مقالات أخرى عديدة مدونة في الجزء المشار إليه من (مجموعة كتابات) — ولم نذكرها هنا ، لأنها سَبَقَتْ الأعوام الخمسين التي تتناولها هذه الدراسة — نجد إشارات متلاحقة الى (الجاهلية) . ونحن نجد للجاهلية تاريخا كاملا في (الجزيرة العربية قبل الإسلام) .

ولكن هذا الكتاب ، بحكم الأهداف التعليمية التي وُضِعَ من أجلها ، يختلف عن سابقاته بعرضه السهل ، الذي تَخَصَّصَ عَمْدًا من التقنية الزائدة ، ولكنه دون ريب بعيد جدا عن الضعف أو عدم الاتقان ؛ فلقد كان هذا المعلم الشهير أبعد ما يكون عن الضعف وعدم الاتقان .

وفي وثنية الجزيرة العربية نجد كتاب (الجزيرة العربية قبل الإسلام : التراث العربي) ، وقد وضعه ليفي ديلاميدا باللغة الانكليزية . وبعد أن يرسم المؤلف لوحة رائعة لمهد الإسلام ، يمضي في الحديث على ذلك التراث العربي الذي عرفه الباحث كما لم يعرفه غير القليلين ، لِمَا شَغَلَ بِهِ نفسه طويلا من التقييم الواعي ، والدراسة الناضجة ، والفحص الناقد للمصادر . هذه الأعمال جاءت نتيجة للبحث العلمي الجاد الصارم في تاريخ بِلَدٍ كانت أرضه الجنوبية — اليمن الاسطورية — قد أوحى ببعض الأعمال والأبحاث في العصر الحديث . ونقتصر ههنا على ذكر (اليمن في التاريخ والاسطورة) لكارلو أنسالدي ، وهو كتاب يُعِيدُ تركيب بعض الصور والوقائع التاريخية التي يُعَوِّزُهَا العرض الصحيح أحيانا . وكما هو معروف ، يمكن أن نعتبر الشعر العربي في العهد الوثني ، بكثير من الثقة ، تعبيرا أدبيا عن العرب في ذلك العهد ،

يُمَثِّلُ في الوقت نفسه واحداً من أكثر المصادر مباشرة وأصاله لمعرفة المجتمع البدوي القديم . ولذلك كثيراً ما أشار مستعربنا الأوثق والأكثر معرفة بالشعر العربي القديم ، فرانثيسكو غبريلي ، الى الوثنية العربية ، لضرورة وضع اطار لأقدم فحول البرناس العربي ضمن ذلك النطاق التاريخي ، والتاريخي الثقافي . وكان أطول من ذلك وادعى الى عمق التفكير انشغاله المتمهل بالتراث التاريخي والاسطوري في ذلك العهد . وأكثر ما يكون غرض ذلك البعثة تحديداً ، كان في وضع البداوة العربية في صلة مباشرة مع اللحظة الشعرية ، كما فعل في أبحاثه التالية - : (المجتمع البدوي والشعر الجاهلي - القبليّة والدولة في الشعر العربي القديم - الادب البدوي الجاهلي) وكلّهما موضوعاتٌ عادَ الى بحثها من جديد في دراسته للعهد الاسلامي في كتابه الفرنسي (القبليّة العربية والدولة الاسلامية في العصر الاموي) ، وفيه أجاد غبريلي اختيار مقاطع شعرية ، وترجمها الى الإيطالية بمهارته المعروفة وناقصة صياغته . وكان ذلك مما سكنت عنه المصادر التاريخية ، أو أشارت اليه اشاراتٍ غير واضحة دائماً .

• • •

العهد الاسلامي :

ويجيء الآن الوقت الذي نُعبّر فيه من شبه الجزيرة العربية الوثنية الى ابنها الاعظم ، نبيّ الاسلام ، الذي كانت سيرته موضوعاً لأروع الأبحاث التي قام بها كائنتاني ، ثم أصبحت بعد ذلك ، في عام ١٩١٧ ، مادة لمناقشاتٍ وأبحاثٍ علمية واسعة ، راحت تتزايد وتنمو مع الايام ، على اثر أطروحةٍ علميةٍ للدكتورة حَوْلَ أقدم الاحاديث المتعلقة بحياة محمد . وبعد بضع سنوات قامت السيدة فرجينيا ثامكا دى بوسيس - التي أثارت ذلك النقاش غير عامدة ، ولم يلبث اسمها أن برز بين كبار المستعربين - بنشر كتابها (سفارات محمد الى الملوك ، في رواية ابن اسحق والواقدي) ؛ وفيه درست ، على أساس الاخبار التي أوردها المؤرخان المذكوران ، علاقات الاسلام في بداياته بالنجاشي وكسرى الثاني ، وهرقل ، والمقوقس .

وبين أوائل الباحثين الذين عُنوا بوجوب فصل الخرافة عن التاريخ ، في تلك الغابة الكثيفة من الاخبار التي وصلت الينا من الروايات التاريخية العربية ، نجد كارلو نلّينو . فَبَعْدَ أن كَتَبَ بحثا رائعا حول سيرة النبي ، كَتَبَ كذلك بحثا حول اسم (محمد) لدائرة معارف تريكاني ، قَسَّمَهُ حسب التقسيمات الكلاسيكية : الحداثة ، العهد المكّي ، العهد المدني ؛ وبعض الاعتبارات القصيرة العامة التي كان الباحثة قد اطلال الكتابة فيها في بحث له بعنوان (في الذكرى المئوية الثالثة عشرة لوفاة محمد) . ومن المفروض أن ميكيلانجيلو غويدي ، في الفترة نفسها ، كان معنيّا بترتيب مجموعته ، وفي دراسة المراجع التي استمدّ منها فصل (النبي محمد) وتنسيقها . وكان ذلك الفصل هو الثالث والآخر من كتابه المذكور آنفا (تاريخ العرب وثقافتهم) . في هذه الصفحات يبدو هنا وهناك اقتناع غويدي المسبق بأن ثمة تأثيرا أساسيا للروح العربية في الحضارة الاسلامية . وكان الكاتب يودّ أن يثبتها فيما بعد بأدلة يفترض انها ثابتة وأصيلة ، لو قُدِّرَ له أن يبلغ بكتابه الى منتهاه .

أما الأبحاث التي ضَمَّنْها غبرييلي كتابه (مظاهر من الحضارة العربية والاسلامية) ، فقد كان الغرض الاساسي منها التعميم ، والقليل منها كان بقصد التاريخ — كما يوضح ذلك عنوان الكتاب — كانت ثلاثة من هذه الأبحاث تدور حول نبي الاسلام ، فُتَقَدِّمُهُ أولاً الى القراء منصرفا الى حوافز تجربته الدينية ، ثم مُوَاطِئاً أولُ في مجتمع المدينة . حتى في هذه الخطوط القصيرة يبدو الباحثة رسّاما ومفكرا بارعا في رسم الملامح واللمسات التاريخية السريعة ، والجديرة بأن تقول شيئا جديدا حتى للمتخصص ، ولكنها بشكل خاص تُثَقِّفُ الجاهل دون أن تفرض عليه عناء الثقافة المتخصصة جدا . وبعد اعادة صياغة الأبحاث المشار اليها حول شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وحول محمد ، في مقال بالالمانية عنوانه :

Mohammad und der Islam als weltgeschichtliche erscheinungen

ظهر ضمن سلسلة (تاريخ العالم) ، كُتِبَ غبريلي كتابا بعنوان (محمد والفتوح العربية الكبيرة) هو ، في الواقع ، كتابٌ قليل عليه ان يُنعت بان قراءته ممتعة . وهذا العمل الجديد يرمي ، كغيره ، الى تعريف عامة المثقفين بمظاهر خاصة من حضارة قد لا يعرفونها الا على وجه التقريب . ونجد فيه ثلاثة فصول متكاملة حول نبى الاسلام ، تُقدِّمه أولاً في ضوء تقديس أتباعه له ، ثم يلي ذلك حالا تقديمه في ضوء حكم المسيحية السلبي في دفاعها عن عقيدتها خلال القرون الوسطى ، ثم في ضوء التقييم المستنير الجديد ، واخيرا في الرؤية الرومنتيّة (كصاحب شريعة ، وملهم عظيم) و (كموظ لقوى شعبه الهاجعة) . وكان المستعربون والباحثون في الاسلام قد قاموا ، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، بالعمل على قواعدٍ أوثقٍ واثبت في اعطاء حكم تاريخي أكثر توثيقا ومصادر حول باعث العروبة ورسالته النبوية . وهذه الصحائف التي كُتِبَها غبريلي والتي جاءت بعدّها ، ورَدَتْ فيها ، ببراعة المعلم القدير ، أحداث حياة محمد في مكة والمدينة ، وبالتالي اوضحت بجلاء خطى الاسلام الماضية قُدِّمًا الى اقصى مدى لانتشاره في الشرق والغرب . واذا كانت هذه الفصول تلتقي في الاصل التاريخي العام مع اعمالٍ علمية مشابهة لها لعلماء آخرين ، فانها تختلف عنها اختلافا تاما من حيث المقارنات الجديدة ، ومن حيث التقييمات الدقيقة التي غالبا ما تتميز بالاصالة المطلقة .

ويقتضينا واجب الامانة العلمية ان نختم هذا الحديث بان نذكر أن في الكتابات المتعلقة بسيرة محمد ، والتي تتضمنها كُتُب التاريخ العربي العام المشار اليها ، وكذلك في المؤلفات الرامية الى التعريف بالاسلام — ونذكر منها أبحاث مارتينو ماريو مورينو ، ولورا فيتشا فاليري — اقتصر المؤلفون على البناء المألوف ، ولم يبتعدوا عنه الا ليدخلوا فيه أفكارا واستنتاجات ذات طابع شخصي .

• • •

بعد الانتصارات العسكرية المدويّة الأولى للإسلام ، والتي
نَجِدُ منها في كتاب فرانثيسكو غبريلي المذكور صُوراً ملحمة من
المعارك الآسيوية والأمريكية ، اندلعت في المجتمع العربي والإسلامي،
الهُشَّ حينئذ ، نَارُ الحرب الأهلية ببايعة عليّ بالخلافة . فلقد
اعترض عليها معاوية اعتراضاً شديداً عنيداً ، إلى حدّ المناداة
بالحرب . وكان أول من درس الموادّ التاريخية التي يتضمّنُها كتاب
(أنساب الأشراف) للبلاذري ، يَقْصِدُ المَضَى نحو إعادة بناء فكرة
صحيحة عن تلك المعارك التي كان سببها الوصول إلى السلطة ، هو
جورجيو ليفي ديلاميدا ، عام ١٩١٥ . وكان قد أتيح له أن يصل
إلى معرفة ذلك النصّ وتقدير أهميته ، في أثناء معاونته في (حوليات
الإسلام) . ونتج عن ذلك أن أصبحت هذه لديه رسالة يؤديها في فترة
ما . وبعد قرابة عشرين سنة أخذ ذلك العالمُ بالساميات يهتمُّ
بالعودة إلى دراسة ذلك الكتاب بمعاونة المرحومة أولغا بينتو — تلميذته —
في القسم الذي خَصَّصه البلاذري للخليفة معاوية . ولكنه في الغالب
كان يعتبرها مجموعة غير منظّمة أكثر منها أخباراً تاريخية ، أو مادة
تتعلّق بالأنساب ، شعرية أو جامعة . وبعد هذا الذي قدّمه جورجيو
ليفي ديلاميدا ، وليوني كاثيتاني ، وفرانثيسكو غبريلي، وميكلانجيلو
غويدي ، ظَهَرَ كتاب آخر في دراسة الأحداث التي رافقت هذا
المنعطف التاريخي الحاسم في بداية عهده . الكتاب للسيدة لاورا فيتشا
فالييري ، وقد عادت فيه إلى فحص هذه القضية الصعبة على
أساس مواد جديدة تاريخية ، وأخرى تتعلّق بالانشقاقات الدينية ،
مستقاة من مصادر (اباضية) استطاعت بواسطتها القضاء على
بعض التناقضات ، وأن تسدّ بعض الفجوات المتعلقة بالأحداث .
ودعمت السيدة فالييري ذلك بكتابها (ترجمة خطوات تتعلّق بالنزاع بين
معاوية وعليّ ، وانشقاق الخوارج) ، لتجعل منه فهرساً لا بدّ منه
لأبحاثها الخاصة التي كتبتها بروح نقادة ، وتوثيق جاهد دؤوب . وقد
استقت مادة كتابها هذا على الأغلب من (كتاب الجواهر) للبرّاذي ؛
وهذا المؤلف يمكن اعتباره واحداً من أوثق مؤرخي الشيعة الإباضية

في أفريقيا الشمالية . وبهذين الكتابين القيمين اكتسبت مستعربتنا كفاءتها العالية في هذا الحقل ، بحيث أن العديد من (الكلمات) التي ورد شرحها في الطبعة الثانية من (دائرة معارف الاسلام) والمتعلقة بالفترة المشار إليها ، تحمل توقيعها ، وأهمها اسم (عليّ ابن أبي طالب) .

أمّا كتاب البلاذري التاريخي الكبير ، الذي يمكن اعتباره أقدم المراجع التاريخية الباقية لدينا حول القرنين الأولين من ظهور الاسلام ، فقد شارك فرانشبيسكو غبريلي مشاركة فعالة في الانتشار الواسع الذي لقيه — وكان قد عُهدَ الى غبريلي بتحقيق جزء من هذا الكتاب ، ولكن من المؤسف أنه لم يُنشر بعد — ومشاركته هذه هي في كتابه (خلافة هشام) الذي أعاد فيه بناء فترة الملوك الطويل الامد للابن الرابع لعبد الملك، على أساس المصدر المذكور وغيره من المواد التاريخية الموثوق بها ، وذات الصلة بالموضوع . على أساس من هذه الدراسة الاولى بدأ غبريلي سلسلة مرموقة من المشاركات في الدراسات التاريخية للعهد الأموي ، لم يلبث أن أغناها فيما بعد — الى جانب الفصول التي تضمّنتها مؤلفاته العامة المتقدّم ذكرها حول تاريخ العرب — بأبحاث موثقة جدّاً حول (الوليد بن يزيد ، الخليفة والشاعر — وثورة بني المهلب في العراق ، والبلاذري الجديد — والبطل الأموي مسلمة ابن عبد الملك) . وفي هذه الكتابات — كما في ما سبقها حول الفترة العباسية ، مما سبقت الإشارة اليه — تُصبح الاعمال التاريخية ، والاعمال الضئيلة الاهمية ، معالم واضحة بما يضيفه عليها من تفكيره واستطراداته ذات الطابع الاجتماعي ، والبيئي ، والثقافي ، والتي تمثّل ، هنا وفي أي مكان آخر ، الجزء الادعى الى التقدير من انتاج غبريلي العلمي والتعريفسي .

وفي اطار العصر الأموي يدخل ايضا البحث الذي عنوانه (العرب في الهند) للمؤلف نفسه ، ومن خلال مصاحبة البلاذري ، ولا سيّما في كتابه (فتوح البلدان) المشتغل على القليل من المعلومات التي وصلت إلينا في كتب التراجم والتاريخ العربية حول فتح السند ، وضع

غبريلي كتابا حول محمد بن القاسم الثقفي ، الذي صُمَّ الى الامبراطورية
الأموية تلك الولاية الجديدة النائية — السند — « حاملا معه الى
الهند ديانة جديدة ، وثقافة جديدة » . في هذه المرة ايضا يضيف
غبريلي في الفهرس ترجمة لبعض الصفحات المأخوذة عن (الشاهنامه)
— وهي رواية فارسية ، من القرنين السابع والثامن ، منظومة شعرا
عن أصل عربي مفقود من تاريخ الفتح — . ولهذه الرواية الشعرية ،
القليلة الاهمية التاريخية بالنسبة الى الاحداث المشار اليها ، نجد
تقييما مفيدا في الجزء الاول من البحث . ورغم خشيتنا من التكرار ،
لا بدّ لنا هنا أيضا من أن نثبت بالتحديد — مثلما قدّمنا في العصر
الجاهلي — أن هناك مشاركات أخرى لمعرفة البيئات التاريخية
والاجتماعية في العصر الأموي ، نجدها في جميع كتابات مستعربنا هذا ؛
كتبها حول الصوفيّين ، والشعراء ، والناقدين في ذلك العصر ، من
الحسن البصريّ الى ، جميل بن مُعَمَّر ، الى ابن المقفع .

وأما عبد العزيز بن مروان ، الذي وُلِّي على مصر عشرين سنة
(٦٨٥ — ٧٠٤) للأمويين في دمشق ، حيث كان الخليفة أخوه عبد الملك
ابن مروان ، فقد كتب حوله أومبرتو ريتستانو بحثا ، جاء استكمالا
لدراستين كان قد كتبهما في شبابه حول الشاعر (أبو محجن نُصَيْب
ابن رباح) ، الشاعر والمولى المخلص لذلك الوالي (عبد العزيز بن
مروان) ، وكان يُكثَرُ في شعره المدح والشكوى ، وقد تضمّنت كتب
الادب مقاطع من قصائده .

وعلى غرار لاورا أثينشا ثالييري ، وبارشادها ، دُرُس مستعربون
آخرون من المعهد الشرقي في نابولي ، مظاهر ووجوها خاصة من
الشيعة الاباضية ، وما كان لها مع الشيعة الخارجية ، التي تحدّرت
منها الاباضية ، من خلافات لا يستهان بها في التاريخ العربي . أما
العلاقات بين عبد الملك بن مروان وزعماء تلك الفئة المنشقة ، فنجدها
موضّحة في مقال لروبرتو رُوبيناتشي عنوانه (الخليفة عبد الملك بن
مروان والاباضيون) . ويشتمل المقال على ترجمة لرسالة من عبد الله

ابن إياض الى الملك الاموي ، نقلا عن المراسلات التي جرت بين
الرجلين ، والتي لم يُحفظ لنا التاريخ سوى بعضها .

• • •

العصر العباسي :

وكما هو معروف ، لم يجد العصر العباسي بعد بين المستعربين
مؤرخا ذا استعداد لأجل العكوف على اعادة بناء القرون الخمسة
من تاريخه . ولكن أهم اثر دُرِس فيه شيء من ذلك العهد الطويل ،
لا يزال الى اليوم كتاب (الوزارات العباسية ، من سنة ٧٤٩ الى
٩٣٦) الذي وضعه الفرنسي د . سورديل . أما من المستعربين
الايطاليين ، فقد وضع س . موسكاتي ، العالم بالساميات ، سلسلة
أبحاث حول تلك الخلافة وتطوراتها . وهذا الباحث اهتم اهتماما
جادا بنشاط علمي يباعدُ بينه وبين الاستعراب ، رغم انه عمل في
حقوله فترة من الزمن بموهبة وغيرة . وقد سلط ضوءا جديدا على
بعض اللحظات الانسانية من الأسرة العباسية التي يصعب بناؤها في
الغالب ، بسبب الفجوات والاختفاء في الاخبار التي يمكن العثور عليها
في المصادر . وأما نهاية الامويين الفاجعة فقد سجل موسكاتي وقائعها
في كتابه (مذبح الامويين في التاريخ وفي المقتطفات الشعرية) . وأما
بداية العباسيين الذين وصلوا الى السلطة بمساعدة ثمينة من
(عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي) ، فقد خُصص لها ثلاثة أبحاث
جمعتها تحت العناوين التاليين : (دراسات حول أبي مسلم) و (ثورة
عبد الجبار على الخليفة المنصور) . وكان المنصور قد غاظه كثيرا
مما كان لمبعوثيه من نفوذ ، فقرّر وضع حدّ عنيف لحياتهما . ولكن
الاحداث اللاحقة لتلك الأسرة العباسية كانت أيضا موضع اهتمام ذلك
الباحث ، فقد أعاد بناءها على أساس دراسة واعية للمصادر ،
ونشرها ، بمظاهرها السياسية والعسكرية ، في ثلاثة أبحاث : هي :
(دراسات تاريخية حول خلافة المهدي — ودراسات تاريخية جديدة
حول خلافة المهدي — وخلافة الهادي) وهي كلّها مراجع لا غنى عنها

للباحث الذي سيحاول كتابة تاريخ الخلافة العباسية . فاذا ما وُجد هذا الباحث ، فسيجد موادّ نفيسة تساعد على القاء الضوء على العلوية والخارجية خلال الفترة الاولى من العصر العباسي ، في بحث عنوانه (شطحات فكرية حول ثورتين علويتين) ، للسيدة لورا ميثشا فاليري ، و (المراسلات بين المنصور ومحمد النفس الزكية) للكاتب ر . ترايني ، وفي (تبادل الرسائل بين هرون الرشيد وحمزة الخارجي ، حسب كتاب « تاريخي سيستان ») للمستشرق المتخصص بالفارسية ج . سكارتشيا . وهذه دراسات استخدمت فيها مصادر لم يسبق فحوصها .

بعد بضع عشرات من السنين من بداية الخلافة العباسية الدموية ، كان يمكن اعتبار هذه الخلافة قد توطدت أركانها . وكان من نصيب هرون الرشيد فضلُ المضيّ على آثار الخلفاء الاربعة الأولين حتى تبلغ الخلافة أقصى زهوتها . وقد تضافرت الاساطير التي نسجت حول شخصية الرشيد الملكية ، وحول امبراطوريته الزاهرة ، وبلاطه ذي الفخامة المذهلة ، مثلما تضافرت كذلك الانجازات غير العادية التي تمت في عهده ، على تمجيده وتعظيمه .

ونحن فعلا نجد في كتاب (هرون الرشيد ، تاريخ واسطورة) ، الى جانب الاحداث الرئيسية لذلك الخليفة ، التمجيد الذي أُسبغ على شخصيته بعد وفاته . وأما وُله ، فقد اهتمّ الباحث نفسه بايضاح النزاع الدمويّ الذي ثار بينهما لاجل ارتقاء العرش ، وذلك في ثلاثة بحوث كان قد كتبها في شبابه ، وهي : (وثائق تتعلّق بخلافة الامين ، في الطبري — وخلافة هرون الرشيد ، والحرب بين الامين والمأمون — والمأمون والعلويون) . هذه البحوث التاريخية الثلاثة تتكامل مع العديد من أبحاث غبريلي الاخرى ، الادبية والدينية ، التي خصّصها للعصر العباسي . وهذا حقل كان قد بداه في بواكير دراساته العلمية ببحث عنوانه (حياة المتنبي) . ومن المؤسف أن دراسات الباحثين الايطاليين تتوقّف عند هذه الفتنة من العصر العباسي ؛ وهي في الواقع ، ازهى فتراته واتواها . وأما الفترة التالية فليس في وسعنا أن نذكر حولها

أكثر من بحث واحد حول (الفتح بن خاقان ، الرجل المفضل لدى المتوكل) ، وفيه توضح السيدة أولغا بينتو صورة ذلك الرجل — الذي يلقب به بعض المؤرخين خطأ بلقب الوزير — في شخصيته الزوجية : شاعرا ، ورجل سياسة . وكان الفتح رفيق الطفولة للمتوكل ، ثم أصبح مستشاره ، وأحيانا مرشده وموجه . ونذكر هنا كتابا آخر للسيدة أولغا بينتو عنوانه (المكتبات العربية في العصر العباسي) .

غير أن العصر العباسي ، كما يعلم المؤرخون والمستعربون ، يعيد إلى الذهن العلاقات بين أوروبا المسيحية والعالم الإسلامي : فالمصالحات بين هرون الرشيد وشارلمان ، نجد حولها إشارات كافية إلى حد ما لدى بعض المهتمين بدراسة العصور الوسطى ، الذين درسوا — لدوافع مختلفة ، وبتنتائج مختلفة كذلك — النشاطات الدبلوماسية للملك الفرنجي . ومن بين آخر ما نعرف من تلك البحوث في ذلك الموضوع الشائق ، دراسة كتبها ج . موسكا ، وعنوانها (شارلمان وهرون الرشيد) ، وفيهالقى ضوءا على تلك الفترة التاريخية ، معتمدا على المصادر اللاتينية التي استمد منها اعتبارات أصيلة حول الأسباب الدينية والسياسية التي دعت الغرب إلى الاتصال بالعالم الإسلامي . وبعد نحو قرن من الزمن من تلك العلاقات ، قامت روابط أخرى بين حكومة بغداد وأحدى الدوقيات الإيطالية ، أو بالأحرى بين المكتفي وبيترنا التوسكانيّة — كما يُسهّل أن نعرف من رسالتين متبادلتين بالعربية : رسالة كتبها تلك المرأة الطموح بيرتا ، وردّ الخليفة عليها ؛ وقد نشرهما لأول مرة المؤرخ محمد حميد الله — وأوّل من أثارت تلك الاتصالات الرسائية اهتمامه الشديد كان ليفي ديلا ثيدا — ومعه نسي وقت واحد تقريرا س . ج . مور كذلك — . لقد قام ديلا ثيدا بترجمة الرسالتين إلى الإيطالية ، وتقدّم لهما بأخبار وافية حول المصادر العربية التي استعان بها ، وعقب عليهما بأفكار شخصية ثابتة ، حول الأسباب الدبلوماسية والسياسية التي ربما كانت الأساس لتلك الاتصالات .

• • •

المغرب وأوروبا :

بسطا فتح المغرب ، كما هو معلوم ، منذ عهد معاوية ، ولكنه ثبت وتوطد في عهد بنسي مروان ، وازداد ثباتا ومتانة في زمن العباسيين . وتلت ذلك سيادة الاسلام التدريجية في وسط البحر المتوسط وشماله ، تمهيدا لغزو الاندلس ، ثم ، بعد قرن أو أكثر قليلا ، لغزو صقلية أيضا . ولم يتم ادخال القوات العربية — البربرية الفتية الى المغرب المسيحي القوطي في اسبانيا ، والبيزنطي في صقلية ، دون اصطدامات في الواقع ، كانت مع ذلك تمهيدا للقاءات غنيّة غير قليلة ، نجد وقائمها التاريخية والاجتماعية والثقافية في كتابين اصبحا الآن من الاعمال الكلاسيكية ؛ وهما : (تاريخ مسلمي اسبانيا) لدوزي — وقد أعاد ليثي بروفنسال صياغته بشكل أساسي — وكذلك (تاريخ المسلمين في صقلية) للمستعرب الايطالي ميكيلي لماري . هذه الاحداث وقّع معظمها في القرون الوسطى الأوروبية ، ولذلك اثارت اهتمام المؤرخين الغربيين ، تحفزهم اليها تقييمات اثارها أطروحة شهيرة وجديرة بالمناقشة ، كتبها ه . بيرين ، بعنوان (محمد وشارلمان) . وفي هذه الاحداث كلّها كانت مشاركة الباحثين الايطاليين بارزة . ونكتفي بأن نشير منها الى البحوث التي كتبها المستعربون ، لاعتقادنا بعدم المقدرة على اعطاء دراسة وافية في هذا الحقل .

وكما فعل العرب من قبل في الاراضي الشرقية في آسيا ، كذلك فعلوا في البحر المتوسط ؛ فقد وجدوا انفسهم وجهاً لوجه مع البيزنطيين . وفي هذا الموضوع كان (العرب والبيزنطيون في البحر المتوسط الاوسط) عنوان البحث القيم الذي يوضح فيه فرانثيسكو غبريلي أهم الوقائع . وهناك اخبار تاريخية مهمّة حول غارات المسلمين على صقلية وكالابريا ، وحول الاستيلاء على كاستروجوفاني عام ٨٥٩ ، وعلى العموم ، حول العلاقات العربية البيزنطية في تلك الاراضي في القرن التاسع . هذه الاخبار نجدها في (حياة القديس ايليا الشاب) ؛ وهو كتاب يوناني ، ترجمه وعلّق عليه أحد المهتمين بالدراسات

البيزنطية ، واسمه ج . روسي طايبي . وأما الهجوم على سيراكوزا والاستيلاء عليها ، عام ٨٧٨ ، فهناك وثيقة نفيسة حولها هي رسالة الراهب تيودوسيو ، التي نشرها لنسا عالم بالدراسات اليونانية اسمه ب . لافانييني .

وأما الأبحاث المتعلقة بإسبانيا المسلمة فليست كثيرة ، بل هي في الواقع قليلة جدا . وهذا أيضا حقل دراسي طرّقه فرانثيسكو غبريلي في كتابه (رسالة ابن عبدون النقدية حول حكومة اشبيليا) ؛ وهو يحتوي على ترجمة ، مع حواشٍ وملاحظات ، لنصٍّ كبير الأهمية حول الحياة المدنية والاقتصادية والاجتماعية في اشبيلية في أوائل القرن الثاني عشر . ثم تلي ذلك حالا كتابات أخرى له ، بعضها محاضرات ذات مستوى أخباري رفيع ، من مثل (الازدهار السياسي والاجتماعي في إسبانيا المسلمة — والزراعة العربية في إسبانيا وصقلية — وعرب صقلية وعرب إسبانيا) ، وكذلك الفصول التي سبق ذكرها بعنوان (مظاهر الحضارة العربية الإسلامية) التي نجد فيها تفاصيل لاكثر المظاهر التاريخية والفنية والثقافية الإسلامية ايجابية في إسبانيا وصقلية . وإلى تاريخ أكثر حداثة يرجع بحث للباحث نفسه بعنوان (العرب في إسبانيا وإيطاليا) ، اهتم فيه بشكل خاص بدراسة التنظيمات العسكرية في العهد الذي كانت فيه البلاد الاندلسية والصقلية جزءا من العالم الاسلامي . وهنا أيضا ، كما في المؤلفات والأبحاث السابقة ، يتحرّك المؤلف من فحص زمني للأوضاع في شبه الجزيرة الايبيرية والجزيرة الإيطالية . والاحداث التي أدّت الى ضعف الخلافة الاموية في إسبانيا ثم انهيارها في القرن الحادي عشر ، وأدّت كذلك الى انجازات مجاهد العامري — وهو واحد من أبرع رؤساء الطوائف — نجدها كذلك مصوّرة في احدى الدراسات الموثقة أحسن توثيق ، كتبتها بالعربية المستعربة السيدة كلييا سارنيللي — وسنعود الى ذكر هذه السيدة فيما بعد — .

ويظهر أن كثيرا من المستعربين والمؤرخين الإيطاليين الذين تخصصوا في دراسة مواقف معينة من العصور الإسلامية الوسطى في صقلية ، وفي إيطاليا الوسطى والجنوبية ، شاقهم اسم ميكيلي أماري وبحته المتفوق في (تاريخ مسلمي صقلية) . وهو من أهم كتب التاريخ الإيطالية في القرن التاسع عشر ، وقد استحق بجدارة أن يعاد طبعه مرة ثانية ، بعناية فائقة من كارلو الفونسو نلليو ، مع اضافة بعض النصوص المختارة اليه . وأما فرانثيسكو غبريلي فانه ، بمد البحث الاول الذي كان قد كتبه سنة ١٩٣٨ بعنوان (التراث الروماني في ايطاليا الجنوبية والغزوات الإسلامية) ، عاد في فترات متقطعة الى (صقلية العربية) — وهذا هو فعلا عنوان أحد مقالاته الصحفية القصيرة ، من بين كتاباته المتقدم ذكرها ، حول اسبانيا المسلمة ، وكلها متمتع ، يتميز بعق التفكير ووضوح العرض — . وأما في ما يتعلق باحتلال الاغلبة لصقلية ، وما نتج عنه من انعكاسات على الصعيد الثقافي والفني ، فنجد دراسة متمعة في كتاب (المسلمون في صقلية) الذي ألفه باللغة العربية المرحوم مارتينو ماريو مورينو ، وجمع فيه محاضرات كان قد القاها في الجامعة اللبنانية في بيروت .

ونجد أومبرتو ريتستانو معنياً بالحقل نفسه منذ نحو عقد ونصف العقد ، تحفزه الى ذلك على الأخص رغبة في الحفاظ ، في صقلية خاصة ، على نوع من الدراسة كان قد أعطاه الحياة والقيمة العلمية المؤرخ الصقلي ميكيلي أماري ، الذي سبق ذكره مرارا ، أكثر مما تحفزه الثقة في قدرته على المساهمة في تحسين آثار أماري الرائعة . ذلك لان النصوص غير القليلة التي خرجت الى النور بعد ذلك ، لم تزود المستعربين بمواد تسمح بإجراء تعديلات أساسية على تلك التي كان قد جمعها أماري في (المكتبة العربية الصقلية) . ومن دراسة النصوص التي لم يطلع عليها أماري ، ومعظمها مختارات ، والتي لم تختلف عن تلك التي نشرت في (الذكري المثوية لوفاة ميكيلي أماري) ، استطاع ريتستانو أن يلفت الى نفسه الانتباه يبحث له

عنوانه (مصادر عربية جديدة لتاريخ المسلمين في صقلية) . واهمّ ما استوقفه منها تلك المصادر الفاطمية ، وعلى الاخص (سيرة جوذر) لابي علي منصور العُزيري ؛ وهي وثيقة نفيسة ، تلقي الضوء خاصة على وجوه غير معروفة من نشاطات بعض امراء الكلبين في صقلية ، وصلات جزيرتنا مع الضفة الانريقية المقابلة ، في نحو منتصف القرن العاشر . وقد خُتِمَ بحثُه بترجمة بضع صفحات من (السيرة) المذكورة . ومن بعد ذلك ظهرت لها ترجمة فرنسية كاملة ، قام بها م . كانار . وبعد ان كشف ريتستانو هذه المصادر الجديدة ، تلا ذلك بنشر بعض تلك النصوص ، وفيها اخبار تاريخية لا وجود لها في اي مصدر آخر . ومن هذه نذكر ههنا (كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار) للحميري . وهو مؤلف جغرافي لم ينشر الا بعضه حتى الآن ، والذي نشره ريتستانو منه حتى الآن هو القسم المتعلق بالبرّ الايطالي وصقلية (١) . غير ان هذه المصادر المكتشفة — كما قدّمنا سابقا — كانت اهميتها في انها قدمت لنا مقاطع من الشعر ، وبعض السير وأعمال المؤلفين ، اكثر مما قدمت لنا اخبارا ذات صلة « بتاريخ » المسلمين في صقلية . الا ان تلك المعلومات تُكْمِلُ معرفتنا بالثقافة العربية التي نمت وتطوّرت في الجزيرة منذ عهد الفتح ، واستمرّارها في العهد النورمندي ، ثم في العهد السوابي Svevi . وقد استفاد الباحث نفسه من هذه المواد في كتابه (الثقافة العربية في صقلية) ، الذي صدر منه الجزء الاول فقط ، ومن المؤسف أنه لم يكمل بعد بالجزاين الثاني والثالث اللذين كان المؤلف يعتزم اصدارهما . ونحن نذكر هذا الكتاب ههنا لان في الفصلين الخامس والسادس منه دراسة سريعة حول الازمة الفاطمية في المغرب وصقلية في القرن العاشر .

في أعمال فرانثيسكو غبريلي ، ومارتينو ماريو مورينو ، وأومبرتو ريتستانو المتقدم ذكرها — وكلّها تستلهم آثار ميكيلي أماري — يعيش المرء من جديد مع لحظات بارزة من أحداث امتدت — من الوجهة

(١) الكتاب كاملا حققه الدكتور احسان عباس ، وتولت نشره مكتبة لبنان ، في بيروت ،

سنة ١٩٧٥ (ع . ن . ١٠) .

التاريخية الصرف — مدة أقل من قرنين ونصف القرن ، غير أن آثارها ، في جوانب أخرى ، استمرت في صقلية إلى عهد فريدريك الثاني ، وفي إيطاليا الجنوبية كانت نهايتها الحاسمة على يدي الملك السوابي كارلو الثاني دانجو ، الذي قضى على العناصر العربية في لوشيرا ، واضطرّ العناصر الإسلامية الباقية في صقلية إلى الهجرة . والوثيقة العربية الوحيدة التي وصلت إلينا حول هذه الحادثة هي (تسجيل العرب — لريكاردو دي لوشيرا) وقد نشرها ليثي ديلاثيدا بعد أن قام بترجمتها وتعليق الملاحظات عليها .

وأما صقلية النورمندية والسوابية في صلاتها بالعالم الإسلامي في أفريقيا وآسيا ، وكذلك أنماط حياتها المتعددة وفكرها العربي الذي استمر في ذلك العهد ، فنجد صورة لها في سلسلة من الأبحاث التاريخية والثقافية التي كتبها فرانثيسكو غبريلي ، وأومبرتو ريتستانو : الأول منهما نذكر له (سفارات بيبيرس ومانفريدي) ، يليه حالا لأومبرتو ريتستانو مقالان باللغة العربية بعنوان (النورمنديون والعرب في صقلية) ، وهما يدوران على علاقات النورمنديين والزيريين في إفريقية ، وعلاقات غوليلم الثاني وصلاح الدين . وقد عهدت وزارة التعليم الإيطالية إلى هذين الباحثين بالإشراف على نشر أعمال ميكيلي أماري وأورائه . وكانت هذه المهمة تقتضيها واجب العناية بالطبعة الثانية من (الدراسات القديمة) و (المكتبة العربية الصقلية) نصوصاً وترجمات . وأما النورمنديون الذين وطأ لهم الأميرال جورجيو الانطاكي السيطرة على إفريقية مدة عشر سنوات ، وكذلك الموحّدون ، وهم القوة السياسية والدينية الجديدة التي قضت على التحصينات المسيحية في أفريقيا ، فنحصد حولهم أخباراً موثقة في (تاريخ طرابلس وليبيا) لإيتوري روسي ؛ وسنعود إلى ذكره في ما بعد . وحول الأسرة الملكية المذكورة ، ولا سيما أخبارها التي وصلت إلينا من المؤرخ الدمشقي ابن القلانسي ، كتب فرانثيسكو غبريلي (أصول حركة الموحدين في مصدر تاريخي شرقي) . وتعود بنا الذكريات إلى

الاحداث التاريخية في صقلية في عهد الكليبيين ، والمعهد النورمندي خاصة في كتاب (باليرمو حسب الجغرافيين والرحالين العرب في القرون الوسطى) للسيدة أدا الجيزا دي سيمونه ، وكان هذا البحث رسالة قدّمتها لنُبْل شهادة الدكتوراة الى كلية الآداب في جامعة باليرمو ، حيث يقترن تعليم اللغة العربية في وقت واحد بالدراسات العربية الصقلية .

وبعد وفتتنا القصيرة هذه عند صقلية ، نلتفت الآن الى شبه جزيرتنا ، فنذكر ان الغزوات العربية المتعددة للبرّ الايطالي ، قد تحدّث حولها أومبرتو ريتستانو في بحثه (العرب في ايطاليا) . وقد خَصَّص القسم الاول منه لرسم صورة سريعة شاملة لفتح صقلية . وكذلك فرانشيسكو غبريلي في أكثر من بحث واحد ، ولا سيما في مثل دراستيه (العرب في كالابريا) و (مدينة باري العربية) ؛ وكذلك في بحثين آخرين أكثر جدية وأوسع إحاطة من حيث الزمن والرقعة ، وهما : (سالنتو والشرق العربي) و (العرب في أوروبا : اسبانيا وفرنسا وايطاليا) ؛ وهذا الأخير فصل من كتاب للمؤلف عنوانه (محمد والفتوح العربية الكبيرة) .

وحول وجود العرب المشار اليه آنفا في الاراضي الايطالية الوسطى والجنوبية ، وأعمالهم الحربية المتواصلة ، الى حدّ ما ، وما كان يتبعها من فرضهم الجزية ، أضيفت الى جهود المستعربين جهود أخرى قيّمة ، في الغالب ، من بعض المعنيين بدراسة العصور الوسطى . وينبغي أن نحدد أن جهود هؤلاء قد عُنيت باعادة بناء صورة الاحداث المشار اليها ، وما رافقتها من الاعيب اللومبارديين والبيزنطيين السياسية التي عاصرتها . وكانت هذه الأعمال اقرب الى الصحة في ما يتعلّق بالفئة الاولى ، لان المصادر اللاتينية ، رغم ما فيها من نقص وعدم دقة من حيث صحة الوقائع ، كانت أقلّ توزّعاً وتشتّتاً من المصادر العربية ؛ ففي هذه المصادر لا نجد في الغالب أثراً لأعمال العرب في البرّ الايطالي . وبالرجوع الى المصادر اللاتينية — ويندر أن نجد

في المصادر العربية ما يطابقها أو يكملها — استطاع ج . موسكا ، العالم بتاريخ العصور الوسطى ، أن يعيد بناء تاريخ الاعوام الخمسين التي كانت فيها مدينة باري عاصمة لدولة اسلامية مستقلة ، وإن يكن قد اعطانا تقييمات غير تلك التي ألفناها . وقد استطاع أن يصوّر فيما بعد غروب تلك الدولة النهائي في بحث لاحق . ومن الواضح أن وجود العرب في صقلية وفي ايطاليا ، وعلى الاخص في سالنتو ، قد اشار اليه مؤرخون من أمثال ل . سلفاتوريللي ، و م . سكيبا ، و ج . بوكيتينو ، و س . ج . مور ، و إي . بونتيري ، و ن . تشيلينتي ، و ج . بيتروني ، وغيرهم ممن نجسد ذكرا لاعمالهم لدى موسكا ، مصحوبا برأي مدروس حول قيمتها في ما يتعلق بمدينة باري . ١٩٠١/٤٠

ان الغزوات العربية لشواطئ البحر التيريني الايطالية تُدخل في تاريخ العصور الوسطى كبرى الجزر في ذلك البحر ، وهي جزيرة سردينيا التي كان المسلمون يغزونها إمّا من افريقية ، وإمّا من جُزر الباليار . وكانت جنوا وبيزا بشكل خاص منهنكيتين دائما في صدّ هذه الغزوات . ولقد قامت منذ نحو قرن من الزمان محاولة لاعادة بناء وقائع هذه الغزوات ، بشكل خيالي ، في الواقع . والذي قام بذلك هو ب . مارتيني ، الذي « اعمته الغيرة الوطنية — كما يقول اماري — فلم يفتن الى ما يحوم من شكوك حول أصالة الوثائق التي استند اليها في بحثه » . وبعد أكثر من مئة سنة من ظهور ذلك البحث الذي لا قيمة له ، قامت السيدة كلييا سارنيللي باعطاء صورة وافية لتلك الفترة التي كانت فيها سردينيا تحت تهديد مباشر من أسطول مجاهد العاصري الجبار . وقد فعلت ذلك في فصل رائع التبويب من الدراسة المذكورة آنفا ، والتي ظلت ، مع الاسف ، بعيدة عن تناول علماء العصور الوسطى . وقد قدّمت هذه الدراسة الى كلية الآداب في جامعة القاهرة لنيل شهادة الماجستير ، ثم قامت بنشرها بالعربية ، كما ذكرنا آنفا . وفي موضوع سردينيا عينه والاعمال التي قام بها المسلمون فيها ، ظهر أيضا بحث للسيدة لورا ميثشا ثاليري ،

استاذة كليلا سارنيلي ، كأنما كان الدافع اليه دعم تلميذتها في مجال بحثها عنه . ويتجدد الاهتمام بسردينيا (العربية) في بحث بالفرنسية عنوانه (آثار عربية في سردينيا) ، يرى فيه المؤلف جوفاني أومان انه لن يمكن القاء ضوء جديد حول تلك الغارات العربية الا بعد دراسة آثارية كاملة للجزيرة ، تكون نتيجة حُفريات منظمة في مناطق معينة . أما المواد القليلة التي يضمها متحف كالياري فليست كافية لأي اثبات .

• • •

✓ الحروب الصليبية :

وعهد الحروب الصليبية الذي اصطدمت فيه المسيحية بالاسلام في بلدان الشرق الادنى الافريقية والآسيوية ، حيث كانت جذور الاسلام متصلة أكثر من سواها ؛ لقد تعددت بحوث علماء العصور الوسطى حولها ، ولكننا نكتفي بأن نذكر من أحدثها : (تاريخ الحروب الصليبية) للمؤلف ف . كونيأسو . وأما المستعرب الاول والآخر حتى الآن الذي التفت الى المصادر العربية ، لكي يرى تلك الحروب بعين الخصم حينذاك ونفسيته ، فهو أيضا فرانثيسكو غبريلي ؛ فقد اكتشف مجموعة من المختارات الباهرة لاشهر مُدَوِّنِي الاحداث العرب ، ممن نُقِلوا اليها اخباراً وانطباعات ، أغلبها ذو أهمية تاريخية كبرى ؛ وقام بترجمتها الى اللغة الإيطالية وتحقيقها . ومن هذه المجموعة **الكتبة والادب** كتاب (مؤرخو الحروب الصليبية العرب) ، الذي يستحق عليه غبريلي اعظم الثناء لدقته اللغوية ، وفخامة عبارته النثرية . وبهذا الكتاب فعل المؤلف ما كان قد فعله قبل عدة أعوام حينما نُشر كتابه (فرسان القديس يوحنا لدى مؤرخي الحروب الصليبية العرب) ، إذ أتاح للزملاء من غير المستعربين فرصة الوصول الى اكثر المصادر أصالةً في (الكتابة التاريخية العربية للحروب الصليبية) — وكان هذا عينه موضوع مقال لاحقٍ لـه — وإن لم يكن السرد متتابعاً في الدراسة ، فلقد كان غريباً في الاغلب على المؤرخين ومدونِي الحوادث المسلمين .

وفي رقعة الشرق الأدنى عينها ، حيث كان يتأجج العداء بين المسيحيين والمسلمين ، يُدْخَلُ بحثُ (العالم الإسلامي في زمن فريدريك الثاني) ، وهو بحث كتبه ليثي ديلا ثيدا ، مركزا فيه بشكل خاص على لحظة سريعة من سلسلة الاتصالات والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين ، الذين عاشوا أفضل أوقاتهم فعلا مع ذلك الامبراطور السوابسي .

• • •

عهد الركود :

والعهد الذي يأتي مباشرة بعد سقوط خلافة بغداد عام ١٢٥٨ ، يسجّل بداية ركود بطيء، ولكنه مستمر، في العالم العربي . ويزداد الركود — أو الانحطاط — تأكدا منذ بداية القرن السادس عشر ، بسيطرة العثمانيين على البحر المتوسط الشرقي والوسط . منذ ذلك النصف من القرن الثالث عشر كان المماليك أهمّ صنّاع التاريخ الإسلامي واستمرار العروبة مدّة قرنين ونصف القرن . وظلّت مصر مركز الإسلام والعروبة ، مثلما كانت كذلك في العهد الفاطميّ والعهد الأيوبيّ الذي جاء بعده . والجهد الإيطالي الوحيد لمعرفة البروتوكول الجافّ والمعقد الذي كان سائدا في إدارة الحكم المملوكي ، هو بحث بعنوان (مرسوم تعيين الى نيابة طرابلس ، في سوريا ، من السلطان المملوكي خُصْفَدَم ، ١٤٦١ — ١٤٦٧) ، وفيه نُشِرَت المستعربة الشابة ريتا روزي دي ميليو الوثيقة العربية ، مشفوعة بتعليق تاريخي توضيحي . واكثر من ذلك كانت الأبحاث المتعلقة بعلاقات سلاطين المماليك مع بعض المدن البحرية الإيطالية ، ولا سيما البندقية . وكانت هذه العلاقات ، قبل أن تقوم في شرقيّ البحر المتوسط أكبر دولة معادية لهم ، هي الدولة التركية ، قد نمت علاقات تبادل تجاري واسع مع من سبقهم في السيادة على ذلك البحر . وأما العلاقات مع البندقية — وقد عرّض لها غبريلي بنظرة شمولية في مقال له بعنوان (البندقية والمماليك) — فان الكشف الذي قامت به ماريا نلّينو على (مذكرات مارين سانودو) سيكون عوننا ثمينا لمعرفة هذه المذكرات

هي في كونها وثائق تعكس العلاقات وغيرها مما سبقها . وقد كشفت ذلك ماريا نلّينو في بحثها (مصر منذ وفاة قايت باي الى مجيء قانصوه الغوري ، ١٤٩٦ - ١٥٠٥ - في مذكرات مارين سانودو) . وكانت للدوقيّات مصالح مع تونس كذلك منذ القرن الثالث عشر ، حينما بدأ في افريقية حكم السلالة البربرية الحفصية . وفي هذه العلاقات يتحدث ١ . ساتشردوتي حديثا واسعا في بحث له عنوانه (البندقية ومملكة الحفصيين في تونس : معاهدات وعلاقات دبلوماسية - ١٢٣١ - ١٥٣٤) . وسنعود فيما بعد الى ذكر اسم هذا الباحث من جديد .

ان الاشارة الى العثمانيين باعتبارهم قوة جديدة في البحر المتوسط تقودنا الى ذكر كتاب (فخر الدين الثاني ، امير لبنان ، والبلات التوسكاني ، ١٦٠٥ - ١٦٣٥) ، وهو جزآن نفيسان قُدّم فيهما ب . باولو صورة موثقة اوسع توثيق لجميع الاحداث التاريخية والدبلوماسية التي كان بطلها ذلك الامير الدرزي ، وكان مسرحها لبنان تارة ، وتارة اخرى بلاط الفراندوق كوزيمو الثاني التوسكاني ، الذي كان يبدو أن حكّام البندقية والاتراك معًا يكرهونه : فقد كان البندقيون مشغولين بمنازعة التوسكانيين على السيادة في الشرق ، مثلما كان يثير الاتراك أن يجد ذلك الامير المغامر في صلاته ببلاط آل ميديتشي ما يدعم نفوذه وسلطانه . واما مصر العثمانية فيعيدنا اليها مقال بعنوان (تاريخ علي بك المصري ، ١٧٦٣ - ١٧٧٣ - في مخطوط للمؤلف ج . م . ديجون) يوضح فيه ، ايتوري روسي ، استنادا الى مصدر نفيس غير منشور ، حياة ذلك الرجل المغامر ومنجزاته الثورية ، وظهوره على المسرح السياسي المصري مدى عشر سنوات ، محاولا فصل مصر عن سلطان العثمانيين ، ومستفيدا في مطامحه تلك من الحرب التي نشبت بين روسيا وتركيا .

• • •

في البحر المتوسط :

جاء ظهور العثمانيين في البحر المتوسط ، وما تلاه من تأخر العرب اللغوي والثقافي ، في وقت واحد مع تأليف الحكومات البربرية في المغرب . وقد اهتم بجمع الوثائق الوفيرة حول هذا الحدث مستعربون وغيرهم ، وكتبوا فيه أبحاثا واسعة . واحدى الوثائق التي لا شك في أهميتها ، والتي يمكن أن تُطلِعنا على أعمال القرصنة المريعة التي جرت في أوائل القرن السابع عشر ، هي في تقرير حول الجزائر وتونس ، قدّمه الى دوق البندقية ج . ب . سلفاغو - وكان هذا كاثوليكيّ المذهب ، تركيّ التبعية ، وكان قد أُرسِل في مهمّة خاصة الى تينك المدينتين سنة ١٦٢٥ . وقد اهتمّ بنشر تلك الوثيقة ا . ساتشردوتي في كتاب له عنوانه (افريقية ، أو بلاد البربر) يُعْتَبَر جهدا نفيسا يساعد على معرفة تلك الفترة التاريخية الحاسمة التي تقلّ فيها الاخبار . أما الاعادة الكاملة لبناء تاريخ البحر المتوسط في القرون التي كان فيها ذلك البحر يعمّ بالرعب القاتل الذي زرعه القراصنة ، والمتاجرون بالعبيد ، فقد عني بهاس . بونو ، مؤلف كتاب (القراصنة والبربر) . في هذا الكتاب الذي استقبله النقاد بالثناء الواسع ، نجد دراسة دقيقة لتلك الاحداث التي تُعْتَبَر بين اشرس الاحداث في تاريخ الانسانية .

والى تاريخ البحر المتوسط في القرون الوسطى وفي العصر الحديث ، سرعان ما تنبّه الاهتمام التاريخي لدى المستشرق ايتوري روسي ؛ وكان هذا من كبار المعنيّين بالدراسات التركية من المستعربين ، وقد ساعده ذلك اكثر من سواء على أن يُعْنَى باللقاء الذي تمّ بين عالمين مختلفين في ذلك البحر ، ليقوم بدراسة بعض أحداثه استنادا الى وثائق مزدوجة . ومن أبرز الادلة على ذلك مؤلفاته النفيسة التالية : (حكم فرسان مالطة في ليبيا ، ١٥٣٠ - ٥١) و (صلات جمعية الفرسان بطرابلس الغرب في القرون اللاحقة ، ١٥٥١ - ٩٨) و (المراسلات بين كبار معلمي جمعية القديس يوحنا في مالطة وبيات

طرابلس ، من ١٧١٤ الى ١٧٧٨) و (والصلات بين كبار معلمي جمعية مالطة وبيايات تونس ، من ١٦٤٢ الى ١٧٥٦) — الكتابان الاولان منهما اسبق من سواهما ، وهما من اوسع مؤلفات روسي حول طرابلس الغرب وارضيه ، التي سنشير اليها فيما بعد .

في السجلات الحكومية في المدن الايطالية التي كانت لها ، لاسباب مختلفة ولا سيما الاسباب التجارية ، صلّات مع بعض البلدان العربية في المشرق أو في المغرب ، وقد نجد وثيقة هنا وأخرى هناك ، تلقي ضوءاً على تلك الصلات . ومن ذلك مجموعة من الرسائل نشرتها ماريّا نّليّنو بأصلها العربي وترجمتها الايطالية ، وقُدّمت لها بمقدمة تاريخية ، وعلّقت عليها تعليقات وملاحظات واسعة في بحث لها عنوانه (وثائق عربية حول العلاقات بين جنوا ومراكش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر) . ويبدو أن هناك كثيراً من الوثائق المأخوذة عن السجلات بلّغات مختلفة ، غير اللغة العربية ، استفاد منها بعض الباحثين الايطاليين ، ممن لم يكونوا دائماً من المستعربين ، في اعمالهم الرامية الى معرفة العلاقات بين الحكومات الايطالية قبل الوحدة ، والدول البربرية في الجزائر وتونس وطرابلس الغرب . وفي هذا الصدد ، ودون الاختصار على تونس وحدها ، كما أشرنا سابقا ، قسّم لنا س . بونو مقارنات واسعة في بحثه (مصادر ووثائق ايطالية في تاريخ تونس) . والاهتمام المتجدد الذي نُود أن نشير اليه هنا ، والذي تثيره تلك العلاقات التي ترجع الى عهود متأخرة عن تلك التي دحرمها آتفا ، بدأ بمقال للسيدة لاورا فيتشفا فاليري — اذا لم تخنّا الذاكرة — عنوانه (وثائق ثاتيكانية تتعلّق بالجزائر — ١٨٢٥ — ١٨٣٠) تلتّه بعد مدة قصيرة دراسة حول العلاقات بين (الكرسيّ الرسوليّ والبربر ، ١٨١٤ — ١٨١٩) . وقد أضيف اليه بعد بضع سنوات بحث بعنوان (علاقات غر اندمقّة توسكانا مع دولة تونس ، ١٨١٨ — ١٨٢٣) ، كتبه أ . ريّجيو ، وكذلك (سردينيا ودول البربر ، من ١٧٩٤ الى ١٨١٥) للمؤلف اي . بوسي ، ثم (علاّات اسبانيا وسردينيا مع دول البلدان البربرية — ١٧٧٨ — ١٧٨٣) له ايضا .

وعلى الرغم من انه ليس من قصدنا ان نمضي في تدوين جهود الباحثين الايطاليين الرامية الى معرفة تلك العلاقات مع دول البربر ، فانه يبدو واجبا علينا ان نُذكر ان كثيرا من العلماء المتخصصين بالعصور الوسطى والمؤرخين قد قاموا بأبحاث في هذا الحقل ، مستندين في الغالب الى اكتشافات واسعة لوثائق مستمدة من السجلات . ومن هؤلاء الباحثين نذكر : ج . كابوفين - و ج . فيدوثاتو - و ر . تشيسي - و ا . غاليكو ؛ كما نذكر ، بالنسبة الى ايطاليا الجنوبية وصقلية في نطاق السياسة في عالم البحر المتوسط : ج . لامانتيا - و ج . مونتي - و تشي تراسيلي - و ف . جونت . ونحن حين نذكر هؤلاء ، ليس لنا من قصد غير الاشارة الى الاتجاهات ، وكذلك المواقع المتعلقة بجزء من كتابة التاريخ الايطالية خلال الاعوام الخمسين الأخيرة بالنسبة الى تاريخ البحر المتوسط .

• • •

/ القرن التاسع عشر :

بالقرن التاسع عشر - وهو نقطة الوصول ، بالنسبة الى هذه المراجعة السريعة-تنتهي فترة الركود ، او الانحطاط ، في العالم العربي ، وتبدأ بعد ذلك فترة التحرر التدريجي من السيطرة العثمانية المسؤولة مسؤولية مباشرة عن استنزاف المقدرة على التطور لدى شعوب الشرق الأدنى ، والمغرب ، نتيجة للمناخ الاداري التركي المرهق الذي استمر أكثر من ثلاثة قرون . وفي هذه اليقظة يساهم الغرب بوجوده في مصر في نهاية القرن الثامن عشر ، بحملة نابوليون ، التي وضعت أمام العرب مثاليات تختلف كل الاختلاف عما عرفوه في الماضي القريب الجديب ، وتدفعهم الى الاخذ بأسباب الوعي القومي ، تمهيدا لقيام الحركات الثائرة ابتداء من الحرب العالمية الاولى . وكان بعض البلدان العربية ، منذ بداية القرن التاسع عشر ، قد اتجه الى الخروج من الحكم العثماني الذي استمر أكثر من ثلاثة قرون ، ليصل الى استرداد بعض ملامحه القومية الاصيل . ولذلك نرى من

الانسب والانتفع من جميع الوجوه ختام القسم الاخر من هذه المراجعة ،
مكتفين بذكر جهود الايطاليين العلمية في بعض الحقول الفردية .

من السهل الحدس أن الفرنسيين قد ساهموا مساهمة جليسة
في كتابه تاريخ البلدان المغربية المختلفة، منذ عهد الفتح العربي حتى
الاحداث السياسية المعقدة التي انتهت هنالك بالاستعمار الفرنسي
للجزائر وتونس ، والاستعمار الفرنسي والاسباني للمغرب . وأما
جهود الباحثين الايطاليين فيما يتعلّق بتاريخ المغرب ، وعلى الاخص
في الوضع الاداريّ في تلك المناطق الثلاث (الفرنسية ، والاسبانية ،
والدولية) فنذكر منها ، للأهمية ، كتاب (تقسيم مراكش — احداثها
السياسية والدبلوماسية) للباحث س . نافا — ولو أن هذا الكتاب
ينتمي بشكل خاص الى القرن العشرين ، وليس من اختصاص هذه
الدراسة — وأما في التاريخ الحديث ، أو على الاصح في فترة تاريخيّة
محددة منه ، فنذكر (اسبانيا والمغرب ، ١٨٤٤ — ١٩١٢) للباحث ا .
فيستا ؛ وكذلك كتاب (وجهها المغرب) للمؤرخ م . جامبيرو ، وهو
أكثر تحديدا . وحول الجزائر — والذي لدينا عنها قليل — نذكر (الحرب
الجزائرية التونسية عام ١٨٠٧ ، في مذكرات دبلوماسي هولندي) .
وهناك كتاب آخر شامل هو (تاريخ الجزائر للمؤرخ ر . راينرو ،
الذي اولى اهتمامه أيضا للحركة الوطنية الجزائرية . وأما التزامات
فرنسا في شمالي افريقيا فقد خصص لها ف . دي لويجي كتابا .
وأما الاستعمار الفرنسي لافريقيا الشمالية ، والتدخلات ذات الطابع
الدبلوماسي ، التي سبقتها ورافقتها وتلتها مؤسسات سياسية واجتماعية
ودينية في كل البلدان الاربعة (الجزائر ، وتونس ، ومراكش ، وليبيا) ،
والتغيرات التي جرت على اثر اتصالها بالمغرب ، فاننا نجد لها كلّها
تصويرا وافيا في كتابين قيّمين للمؤرخ اي . دي ليوني . وقد استفاد
المؤلف الى حد كبير — فيما يتعلق بمراكش خاصة — ومن وثائق
جديدة عثر عليها في السجلات الحكومية في جنوا ، وليفورنو ، ونابولي ،
وتورينو . وهذا الباحث عنه كان من قبل قد وضع كتابا حول

(سياسة الوطنيين في افريقيا الشمالية الفرنسية) ، ومثالا حول
(مشكلة الوطنيين ومشاكل اجتماعية في الجزائر) . واكثر عددا مما
تقدم كانت كتاباتُ الباحثين الايطاليين حول تونس . وكان بعضهم
مدفوعا بعامل « المدافعة » عن ازمة أخرى ، فلم يكن من الممكن تقييم
اعمالهم هذه تقييما مجردا . وكان بعضهم الآخر يتميز بالاتزان المرموق ،
لتَجَرُّدهم عن التعصّب « للقضية الايطالية » التي طُرِحَتْ خلال
الحرب العالمية الثانية . ومن المنطقي أن يكون التّطَرُّ المغربي الذي
ازدادت فيه اهتمامات مستعربينا ومؤرخينا ، هو ليبيا ، وعلى الاخص
طرابلس الغرب . وفي تاريخ هذا البلد من الفتح العربي (٦٤٢) الى
الاحتلال الايطالي (١٩١١) ترك لنا ايتوري روسي عملا رائعا
لإعادة بناء هذا التاريخ . وقد اكمل كتابه هذا عام ١٩٢٨ تقريبا ،
ولم يُنشر الا بعد وفاته ، منذ بضع سنوات فقط (١) . وهو أوفى كتاب
وَادَقَهُ في هذا الموضوع — وهو في القسم الحديث منه يقوم بديلا عن
كتاب (طرابلس الغرب من عام ١٥١٠ الى ١٨٥٠) للكاهن الفرنسيكاني
الاب كوستانتسو دابيرنيا ، ويضيف اليه تحسينات قيمة — وقد استند
في كتابه هذا الى العديد من المصادر العربية والتركية ، مع دراسة
نقدية واسعة لها ، كما رجع الى وثائق وسجلات غير منشورة . فجاء
كل فصل من فصول الكتاب التسعة عشر تصويرا وافيا مُشَبَّهاً ،
وقائما على تفكير عميق في الاحداث التاريخية ، والتاريخية السياسية
خلال ثلاثة عشر قرنا . ولم يُعَنَّ بالتعميمات ، بل اعتمد دائما اعتمادا
دقيقا على النصوص . والذين عرفوا ايتوري روسي معلما لهم —
كما عرّفه كاتب هذه المراجعة — يشهدون شهادة امينة بعدائه لكل
شكل من أشكال الحلول الوُسْطى بين البحث العلمي الجادّ والهواية
الارتجالية .

(١) قام الاديب الليبي خليفة التليسي بترجمة هذا الكتاب الى العربية ، ونشره في
بيروت ، سنة ١٩٧٤ (ع . ن .) .

ان الاشارة الى المصادر العربية التي استُمدُّ منها الباحث المذكور موادّه الاولى لتاريخ ليبيا هذا ، ولعدد آخر من الابحاث ، يحدونا الى ان نذكر - حتى قبل هذه الابحاث - ترجمته الدقيقة لكتاب (تاريخ الوقائع العربية الليبية ، لابن غلبون) وما علّقه عليه من هوامش وملاحظات . وهذا الكتاب ينفرد من بين المصادر العربية الاخرى لتاريخ ليبيا ، ليس فقط بامتداده الى سنة ١٧٣٢ ، بل باشتماله ايضا على اخبار لا توجد في سواه ، حول الحياة الفكرية المحليّة ، ابتداءً من الحكم العثماني . ونرى من لغو القول تأكيد أهمية الخدمة التي قدمها روسّي للباحثين من غير المستعربين في تاريخ ليبيا ؛ فقد كانت ترجمته للكتاب المذكور من أهم المراجع في تاريخ ليبيا . ومن سلسلة كتابات هذا الباحث حول ليبيا ، وهي تؤلف حقلا خاصا في انتاجه الضخم النفيس ، نشر كذلك الى كتاب له حول (فُزّان وواحة غات) ، والى صورة سريعة من (تاريخ ليبيا من الفتح العربي الى سنة ١٩١١) حيث تعطينا لمحة موجزة ، حسنة الشرح ، حول ذلك التاريخ .

هنالك صفّ كثيف من الباحثين الايطاليين الذين قرّنوا اسماءهم بمشاركات في الموضوع عينه . ومن بين هؤلاء يجدر بنا ان نذكر كذلك ر . ميكايّ ، الذي كُتِبَ بحثاً تاريخياً حول (طرابلس وليبيا قبل الاحتلال الايطالي) وكتاباً بعنوان (ليبيا تحت حكم آل قرْمَلي) . وآل قرْمَلي هم اسرة اهتم بها كذلك من بعده الاب كوستانتسو بيرنيا ، الذي تقدّم ذكره . ولأجل وضع الكتاب المذكور ، استعان ميكايّ - وكان موظفا كبيرا في الادارة الاستيطانيّة حينئذ - بموادّ وغيره غير منشورة ، كانت متوافرة في السجلات الاوروبية ، وتتعلق بليبيا تحت حكم الاسرة القرملية (١٧١١ - ١٨٣٥) وقد جساد بوضعها تحت تصرفه ب . توسكي ، وكان قد وضع لها كشافاً غنياً بعنوان (الصادر غير المنشورة في تاريخ ليبيا) . وهناك اشارات اخرى الى الوثائق المحفوظة في السجلات الرسمية قدّمها بعدئذ س . بونو . وهناك

عدد كبير آخر كبير من المؤلفات حول تاريخ ليبيا نترك ذكرها للمقدمة التي وضعها روسي لكتابه (تاريخ طرابلس) ولما الحقه من اضافات ببيوغرافية بمختلف الفصول . واما ما له صلة مباشرة بالسوسية - وكانت هذه قد دُخِلَتْ منذ منتصف القرن الماضي دخولا بارزا في الاحداث التاريخية في بَرْقَة وطرابلس - فنتركها الى الاشارات البليوغرافية التي تضمّنتها كتابات كارلو نَلّينو ، والييتسي حول هذه الجماعة الدينية .

• • •

✓ اسرة محمد علي :

ونأتى الآن الى محمد علي ، راس الاسرة التي حكمت مصر الى عام ١٩٥٢ ، والرجل الذي كان، بإجماع الآراء، معيدُ مجد مصر بعد سقوطها في اوائل القرن الماضي في حالة من الفوضى ، كانت الحملة النابوليونية قد خَفَفَتْ مِنْ حِدَّتْهَا آتِيًّا فقط . لقد كانت جهود الباحثين الايطاليين حوله كبيرة ، غير ان القليل منها ذو قيمة حقيقية جديرة بالتقدير . ومن بينها جميعا تتميز اعمال ا. سَمَارُكو ، الذي عَهِدَ اليه الملك فؤاد الاول بتكملة الوثائق الدبلوماسية الايطالية المتعلقة بِمُلْك محمد علي ، ودراستها ونشرها . وكان اي . غريفيّني قد بدأ بجمع هذه الوثائق وادارتها ، وهو مستشرق متخصص بالدراسات التركية ، كان قد استُدْعِيَ الى القاهرة ليتولّى ادارة مكتبة القصر الملكي . ومن هذه المجموعة النفيسة غير المنشورة وَلِيدُ القسمِ الأهم والأكثرُ أصالة من انتاج سَمَارُكو التاريخي المتعلق بمصر الحديثة ، ومن ابرزها : (رحلة محمد علي الى السودان ، من أكتوبر ١٨٢٨ الى ١٥ مارس ١٨٢٩)؛ وكتاب (ملكة محمد علي في الوثائق الدبلوماسية الايطالية غير المنشورة) بأجزائه الأحد عشر . لاجل هذه الكتب ، وغيرها مما تلاها ، قام المؤرخ بفحص قسم كبير من الوثائق العشرة الآلاف المحفوظة في السجلات الحكومية في نابولي ، وفلورنسا ، وتورينو ، والبندقية ، وينيّا ، مدقّقًا ومقارنًا بينها ، ومستخلصا منها حقائق

وتقييمات تاريخية جديدة كل الجدة بالنسبة الى تلك التي كانت تتميز بها الكتابات التاريخية الشرقية والغربية حينذاك ، بسبب نقص الوثائق الصالحة .

ومن المؤسف ان اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ووغاة الباحث بعنذ ، كانا السبب في عدم انجاز العمل في عدد آخر من الاجزاء التي كانت متوقعة لهذا الكتاب ، عدا الاجزاء المنشورة منه . ولقد كان سَمَارُكو كذلك مؤلفاً للجزء الرابع من الكتاب الفرنسي (موجز تاريخ مصر) حول مُلْك عباس ، وسعيد ، واسماعيل ؛ وكذلك المجلد الثالث من كتاب ذى خمسة مجلدات ، تبدأ من اوائل القرن التاسع عشر ، وتصل الى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ ، وكذلك (مُلْك الخديوي اسماعيل ، من ١٨٦٣ الى ١٨٧٥) باللغة الفرنسية . وهذه كلها اعمال انضجتها الدراسة الجادة للوثائق المنشورة وغير المنشورة ، المتطقنة بالقرن التاسع عشر من التاريخ المصري .

وفي هذا القرن نُجِدُ تمهيدات لجوارٍ مع أوروبا ، كان قد بدا من قُبَلُ في زمن محمّد علي ، واستأنفه من بعده خلفاؤه بكثير من الاهتمام ، مما ساهم في وضع مصر على رأس البلدان العربية ، في الحثل السياسي ، والسياسي الثقافي ، وبمحمد علي يُخْتَمُ كتابُ (تأسيس مصر الحديثة ، والمساهمة الايطالية في نهضتها السياسية والمدنية - فجر النهضة المصرية - ١٧٦٠ - ١٨٤٠) ؛ وهو رؤية شاملة ورائعة قدمها ١ . ميرتسي . وكذلك كتاب (القضية المصرية من سنة ١٧٩٨ الى ١٨٤١) تأليف تشي . جيليو ، المعروف بأبحاثه الاخرى في التاريخ والسياسة المتعلقين بالاستيطان ، او الاستعمار . ومن هذه الفترة عينها انطلق باولو منغاتي في كتابه (مصر الحديثة) ، الذي يمكن اعتباره واحدا من اكمل الابحاث واحديثها في الاحداث التي جرت في منطقة الدلتا من القرن التاسع عشر الى ثورة ١٩٥٢ .

ولا تختلف زَمَنِيًّا نقطة الانطلاق في الكتاب الآخر (مصر من احداث ١٨٨٢ الى ايامنا هذه) بِجَزَائِهِ ، للباحث ب . البيتي ؛ وقد غني في

هذين الجزأين عناية جادة بتحديد وجه مصر خلال الأعوام الثمانين الأخيرة من تاريخها . وانطلاقاً من مقدرة المؤلف الفريدة ، وتحليلاته الدقيقة ، وبحته الجاد ، استطاع - وهو موظف كبير في وزارة الخارجية الإيطالية - أن يكمل كتابه في عدة سنين ، كما يبدو من مقالته المنشورة في مجلات مختلفة ، حول أزمنة معينة من تاريخ مصر الحديثة .

ويمكننا أن نذكر بين المصادر التاريخية ذات الأهمية القليلة أو الكثيرة ، إضافةً إلى كتيب الباحث أو . توسكي ، أعمالاً إيطالية عديدة تساهم في معرفة تاريخ مصر بين قرنين . وقد أغفلنا الإشارة إليها لأن مؤلفات منغانتى قد أشارت إلى أهمها في ثنايا الفصول .

✓ قنّاة السويس :

وقنّاة السويس ، التي ولدت في القرن التاسع عشر باهتمام دوليٍّ ومصالح مشتركة ، وبمباركة الجميع ، ولم تلبث أن أصبحت مثار جدلٍ محتدمٍ على اثر تأميم عبد الناصر لها في صيف سنة ١٩٥٦ ؛ لقد كُثرت حولها الأبحاث والدراسات والمقالات ، ليس فقط من قِبَل المؤلفين الذين سبق ذكرهم ، بل من قِبَل كثيرين آخرين وقفوا العديد من المقالات على هذه المشكلة الشائكة ، لكي يبرزوا بشكل خاص تعقيداتها السياسية والقانونية . جميع الظروف التاريخية الماضية والحديثة التي كان فيها ذلك الممرّ المائي ذا دور حاسم من حيث النقل العسكري ، كانت تبدو مناسبات تُفرض على الباحثين خوض ذلك الموضوع . وكما أن الحرب الإيطالية الحبشية عام ١٩٣٥، أوحى إلى سماركو بأن يكتب مقالته (الحقيقة حول قنّاة السويس) ، وعنوانه يرينا نيّةً سابقة مبرمجة لدى المؤرخ لالتقاء الضوء على قضايا ذات أهمية رئيسية ، كذلك أوحى إليه الحرب العالمية الثانية بوضع كتابه (السويس - تاريخ ومشكلة) . ولكنه في هذه المرة أراد أن يوضح لنا بعض الوجوه بشكل أوسع ،

واستنادا الى وثائق مصرية وأوروبية غير منشورة . وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية مباشرة ، خرج الى النور كتاب بعنوان (قناة السويس والعلاقات الانجلو مصرية) للباحث ب . البيتي ؛ وكتاب (السويس) وفيه أعاد اي . انكيري طبع كتاب كان قد نشره قبل ذلك بعامين ، واكملة بأحدث المعلومات . والبليوغرافية الفنية التي يتضمنها هذا الكتاب تغنينا عن أية اشارة اخرى .

١٠٠٠ السودان :

وهناك عبء آخر في التاريخ المصري الحديث ، وقد ظلّ كذلك عشرات السنين ؛ ذلك هو السودان الانجلو مصري ؛ وهو حكم مشترك عاصف كان قد تَكَرَّرَ منذ سنة ١٨٩٩ لذلك القطر الواسع جنوبي نهر النيل ، ولم يكن أقلّ من قناة السويس اثاره للنزاع والفوضى بين حُكَّمين متخالفين . وقد اضطر الانجليز والمصريون الى النزول عند مطالبة اهله الشرعية بالاستقلال . وأُعلنَ الاستقلال رسمياً في ديسمبر ١٩٥٥ . وقد خصص سَمَارُكو ، ومنفائتي ، والبيتي ، في مؤلفاتهم المذكورة آنفاً ، فصولا لهذه القضية ، فأوضحوا ببراعة فائقة الوجوه البارزة المختلفة ، وأصدروا في ذلك تقييمات موضوعية . وقد قام اي . انكيري ، و او . توسكي بتحليل أحداث الامس واليوم في مصر : الاول فعل ذلك بكتابه (تاريخ السياسة الانكليزية في السودان ، ١٨٨٢ — ١٩٣٨) والثاني في صورة سريعة للقضية اجملها في كتيب يؤلف مع كتابه السابق حول مصر لوحدة عضوية ذات وجهين . واوسع من ذلك كتابٌ وضعه ا . ميلليني بونشه دي ليون ، عنوانه (تاريخ السودان الشرقي وبعض وجوهه — السودان الانجلو مصري) ؛ وهو جدير بأن نذكره بين الاعمال الحديثة جدّاً ، وبالتالي بين اونهاها واشملها ، ولكنه يخلو من أية اشارة الى الوضع الذي انتهى اليه البلد حالا بعد الحرب العالمية الثانية ، حين احتدم النزاع بين الوحدويين ، الذين كانت القاهرة تشرف على تنظيمهم وتوجيههم لدعم الوحدة مع مصر ، ومعارضيهم الاستقلاليين .

ختم :

بهذه الإشارة الى أهم الاحداث التاريخية والانعطافات السياسية في العالم العربي في نهاية القرن التاسع عشر ، التي أَوْضَحَتْهَا أيضا ايضاها كافيا الفصولُ الأخيرة من الابحاث التاريخية العامة والجزئية ، نختتم هذه المراجعة السريعة لأهمّ الجهود الايطالية في حقل التاريخ العربي خلال الاعوام الخمسين الأخيرة . وقد لا يكون الحصاد وافرا في بعض الحقول ، ولكنه وافر فعلا في حقول أخرى . وقد جمعناه مما عُنِيَ بتأليفه المستعربون ؛ وهم ذوو فضل في انهم كثيرا ما هياؤا للباحثين الآخرين امكانية الوصول مباشرة الى المعلومات ، او بالأحرى قَدَّمُوا لَهُمُ الْمَثَلُ في التخصّص المهني ، والانقطاع الى دراسة عالمٍ ظَلَّتْ البحوثُ الخاصةُ بمسيرته التاريخية زمنا طويلا تُعْتَبَرُ هامشيّةً بالنسبة الى تاريخ الانسانية الأكبر ، ولكنه اليوم — أخيرا — لم يُعَدَّ خارج نطاق الابحاث العلمية المتخصصة .

رأيات المبرزين وغايات المميزين لابن سعيد الأندلسي^(١)

مراجعة : الدكتور محمد ضوان الراية
(أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة دمشق)

- ١ -

بعد اضطراب أحوال الأندلس في القرن السادس الهجري ،
كثرت الهجرة عنها الى بلاد المغرب والمشرق . وكان في العلماء الادباء
الذين قصدوا الى المشرق أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد ؛
وهو أندلسي من قلعة يَحْصَب (قرب غرناطة) ، ولكنه اشتهر في
المشرق بابن سعيد المغربي ، باعتبار أن ما وراء مصر جميعا مغرب .

وكان موسى والد علي يعمل مع الموحّدين ، ثم انضم الى
ابن هود في مدة سطوته على قسم من الأندلس (٦٢١ - ٦٣٥) .
ثم غادر موسى وابنه علي الى تونس فمصر . واشتهر ابن سعيد
في مصر والشام والعراق وغيرها أديبا شاعرا مصنفا ، وترك عددا
من المصنّفات ، طبع بعضها وما زال بعضها مخطوطا .

وقد اطرف ابن سعيد (الأندلسي) أهل المشرق بطرف من
أخبار بلاده ، وبتراجم أدبائها ورجالها ، وأشاع بينهم ألوانا من
أشعارهم وموشحاتهم وأزجالهم ورسائلهم . . . السخ ، فكان بحق رسولا
من رسل الثقافة الأندلسية الى المشرق الذي كان متعطشا الى
الطُرف الأندلسية والمغربية .

ومن أشهر كتبه ، وهي مطبوعة : « المُغْرِب في حُلَى المُغْرِب » ،
و « الفصول الياضعة في محاسن المئة السابعة » ، وكتاب في الجغرافية ،

(١) تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي — القاهرة .

وكتاب « المُرْتَصِّ والمُطَرَّب » المطبوع باسم : « عنوان المرتصات والمطربات » . وفي كتبه أيضا : « رايات المبرزين وغايات المميزين » الذي نعرض اليوم له ، ولتحقيقه .

وكتاب الرايات هو مختارات شعرية مختصرة ، اعتمد فيه المؤلف اساسا على كتابه الآخر : « المُغْرَب في حُطَى المُغْرَب » . وقد قسمه الى ثلاثة اقسام ،

القسم الاول : ويختصّ بجزيرة الاندلس ؛ وجعله في ثلاثة اقسام داخلية ؛ (غرب الاندلس ، ووسطها ، وشرقيها) .

والقسم الثاني : يختصّ بالمغرب ، وهو في ثلاثة اقسام داخلية ايضا ؛ (المغرب الاقصى — المغرب الاوسط — المغرب الادنى « افريقية ») .

والقسم الثالث : يختصّ بجزيرة صقلية .

ويقوم اختيار ابن سعيد في كتابه على منهج يتابع فيه ما نجده في كتابه : « عنوان المرتصات والمطربات » : من التفريق بين انواع النظام والكلام بحسب منهج خاص ، وذوق معين ...

فهو يحتفل احتفالا كبيرا ، بالغريب من المعاني ، والبعيد في الخيال ، والجديد المخترع من المعاني والصور . ولهذا قال في مقدمة "الرايات" (ص ٣١) : هذا مجموع اوردت فيه من غرائب شعراء المغرب ما كان معناه ارق من النسيم ، ولغظه احسن من الوجه الوسيم ، ليرت على نداءه ريحان القلوب ، وتتعلق الاسماع بمعاده تعلق عين المحب بطلعة المحبوب ... وحق له ذلك اذ قُصَّ الفاظه مفصلة على قدود معانيه ، وزخرف اتقانه من حسن مبانيه ؛ واشترطت مع هذا الا اورد منه الا ما لم يُسَبِّحوا الى معناه ، او استحقوه بزيادة او حسن عبارة ، ابرزته بعد تجويده في حلاه .. » .

وهو سفر لطيف الحجم، يشغل ما بين صفحة ٣١ ، ١٥١ من المطبوع . وتشغل مقدمة المؤلف ثلاث صفحات .

أما مخطوطة الكتاب فهي نسخة وحيدة متأخرة ، لا تخلو من تصحيف وتحريف هنا وهناك ، غير أن خطها نسخي جميل مجوّد .

وليست طبعة الكتاب الجديدة هي الطبعة الاولى ، فقد سبق ان حققه المستشرق الاسباني البحّاث القدير غارثيا غومس ، في مدريد ، سنة ١٩٤٢ ، ثم نهض بعبد نشره ثانياً الدكتور النعمان القاضي في القاهرة .

وقدّم الدكتور القاضي للكتاب بمقدّمة طويلة نسبياً (نحو ٣٠ صفحة) من كتاب لا يتجاوز ١٨٤ صفحة بنهارسه وملاحقه . وهي مقدّمة يُستغنى عن كثير مما فيها ، كما سأبيّن .

والامر المطلوب في مقدمة كتاب كهذا أن يُعرف المحقق بمؤلف الكتاب ومخطوطة الكتاب ، وأن يتحدث عن مضمون الكتاب ومنهجه ، ومصادر المؤلف ومراجعته ؛ وله أن شاء أن يُقوّمه ويضعه في مكانه من الكتب الماثلة ، إن وُجدت ، وما أشبه ذلك ...

ولكن المحقّق زَحَمَ المقدمة وطَوَّلَهَا بموضوعات من نافل القول ، واضطر — وقد جَبُرَ الكلامُ بعضُه بعضاً — الى اطلاق الاحكام العامة ، والى البتّ في قضايا اندلسية ما زالت مدار بحث ، لم يُقَطَّعَ فيها المتخصصون انفسهم ، ووقع في اخطاء تاريخية وأدبية كثيرة !

وتدور مقدّمة المحقّق حول ثلاثة أسور :

١ — الحديث عن وحدة الفكر العربي على مرّ العصور ، وعن ارتباط الاندلس بالشرق . وقد اضطر المحقّق في هذه العلاقات وتحديدّها .

٢ — الدفاع عن الحضارة الاندلسية ، ولاعتذار عن غياب بعض الاغراض ، كالشعر الفلسفي الذي نجده في شعر المعري ؛ واعتذر عن غياب بعض فنون القول ، كالذي ظهر في الغرب !!

٣ - الحديث عن كتاب الرايات ، وصاحبه ، وعن الطبعة السابقة (بتحقيق غارثيا غومس) .

ولم يؤمر حماسته البالغة حين وصف المحقق السابق (١) لنص رايات المبرزين بالعُجْمة (عجمة المحقق ، صفحة ٢٦ ، وبوقوعه في المزالق ، صفحة ٣٠ ، وبأنه يتصف بالغفلة ، هامش صفحة ٥٣) الخ . وهناك مسوِّغات كثيرة لنشر الكتاب ثانية دون الوقوع في عمل المستشرق القدير وشخصه . فهذه هفوة من هفوات الدكتور القاضي في هذا الكتاب وسنعدُّ لك منها أشياء .

- ٢ -

من أحكام المحقق الخاطئة ، في مقدمته ، ما قرَّره جازماً بأنه كان من الصعب اشاعة وحسدة سياسية في الاندلس (صفحة ٥) . وقوله ان ابن عبد ربه جمع مادة كتابه **كلُّها** من آثار المشرق . (صفحة ٨) . ومعلوم أن في العقد نبْذاً أندلسية تمنع ذلك التعميم . ومنه حكمه على الشعر الاندلسي بأنه يصطبغ بصبغة المحافظة (صفحة ٩) على غموض العبارة ، وقصره مهمة العرب في صِغْلِيَّة على نقلهم التراث اليوناني الى ايطالية وسائر اوروبة !! (صفحة ٦) ، وقوله ان ابن سُهيْد تأثر أبا العلاء المعري (صفحة ٩) ، وغموضه في قوله عن الاندلسيين ان تجديدهم « لا يتجاوز التعمُّق في الخيالات دون المساس بالجواهر » ؟ ! (صفحة ٩) ، واشادته بشاعرية ابن قُزَّمان (صفحة ٩) علماً بأنه كان زَجَّالَ الاندلس ، أما شعره فكان من طبقة دون طبقة الاجادة ... وأوهامه في ذلك واسعة كثيرة .

(١) يظهر لي ان المحقق الدكتور القاضي لم يطلع على كتاب (الشعر الاندلسي - بحث في تطوره وخصائصه) الذي ترجمه د. حسين مؤنس وطبعه مرتين في القاهرة . فان غومس اعتمد اساساً في هذا الكتاب على نصوص "رايات المبرزين" .

وانفق قسما من المقدمة للحديث في نشأة الموشحات ، ونصر
 رأي الدكتور شوقي ضيف الذي تبناه من القول بالاصل المشرقي
 للموشحات ، علما بأن كتاب "الرايات" لا يذكر الموشحات ولا يمر بها
 — عدا ذكره خرجة واحدة صفحة ٧٩ من موشحة لابن بقي ! — .

وفي الجملة، هي مقدمة مشوشة ، كان الاجدر بالحقق ان يقتصد
 فيها ولا يفوص في قضايا لم يُبَيَّن فيها ، او في قضايا هي بحاجة الى
 بحث موسّع لتبين معالمها ..

- ٣ -

ونظرا لكثرة الملاحظات التي سَجَلْتُها على حواشي نسختي من
 الكتاب ، سأقتصر على نُبْذ منها في ابواب متفرقة من الحديث ؛
 وسأكتفي بقسم من الاقسام الثلاثة في الكتاب (القسم الاول) ففايتي
 هي تقديم النماذج ، ومناقشة منهج المحقق ، ومراجعة بعض القضايا ...

واول ما ابدأ به امر هام يتعلّق بأصول تحقيق النصوص ، وهو
 الاخذ بالنص والتقيّد به ، وعدم الخروج عنه . وفي النسخ الوحيدة
 لا يكون التبديل الا بقرينة واضحة او مرجح واضح ، ويُنبّه الى ذلك
 في مواضعه ، كما يُنبّه الى ذلك في خطة العمل . وقد يكتفي بعض
 المحققين باثبات النص على حاله، مع التعليق والتصويب في الحواشي .

وقد وَجَدْتُ الدكتور القاضي يخالف النصّ ، ويُخْرِج عن روايته
 الى رواية مصادر اخرى دون سبب او داعٍ الى ذلك .

١ — في الصفحة ٤١ ، قال ابن زهر الإشبيلي :

وموسّدين على الأكفّ خُدودهم قد غالهم ضوء الصباح وغالني

وهذه رواية "النفخ" والوفيات"؛ أما رواية المخطوطة الاصلية فهي :

وموسّدين على الخُدودِ اَكْنَهُم قد غالهم ضوء الصباح وغالني

ومن العجب مخالفة النص في هذا المجال .

ب - في الصفحة ٤٣ انشد قول صفوان بن ادريس ، صاحب كتاب " زاد المسافر " :

أَبْعَيْنِكَ الشُّرَاءَ عَيْنُ ثَرَّةٍ مِنْهَا تَرْتَرُقُ دُمُوعُ الْمَسْفُوحِ
شَتَرْتُ فُقُلَنَا زُورَقًا فِي لَجَّةٍ مَالَتْ بِأَحْدَى جَانِبَيْهِ الرِّيحُ

ورواية المخطوطة :

" مَالَتْ فُقُلَنَا زُورَقًا " الخ . فخالف النص الى سواه ، وكان حَقُّهُ ان يرجع الى " زاد المسافر " صفحة ٩٣ حيث روى صفوان الابيات لنفسه !

ج - في الصفحة ٤٦ من شعر أبي الصلت أمية بن عبد العزيز :

قال حسودي وقد رآه يُخِيبُ تَحْتِي إِلَى الْقِتَالِ

والبيت ، في جملة أبيات ، في صفة فرس وروايته في المخطوطة :

قال حسودي وقد رآه يَجْنِبُ خَلْفِي إِلَى الْقِتَالِ

فبذلكه مُفَضَّلًا رواية " النفع " على رواية النص الاصلية " الخريدة " معاً !

د - في الصفحة ٤٦ ، عن شعر أبي الصلت :

لا غرو أن سبقت يَدَاكَ مدائحي وَتَدَفَّقَتْ جِدْوَاكَ مَلءَ إِنَائِهَا

ورواية النص : لا غرو أن سبقت عَلَاكَ مدائحي ...

ه - في الصفحة ٤٧ : وقال في فرس أَصْفَرُ . وفي الاصل المخطوط : في فرس أَكْهَلُ !

و - في الصفحة ٥١ وصف الشاعر تمايل القَصَبِ بِمَرِّ الْهَوَاءِ

على مجلس الشراب حتى لثم رؤوسهم ، وقال للساقي :

أُسْهِمُهُ مِنْ أَكْوَابِنَا وَلَوْ أَنَّهُ سَكَرَانُ يَطْفَحُ ، حَقٌّ مَا لَثَمَ الرَّؤُوسُ

ورواية المخطوطة :

”أَلْتَمَّ مِنْ أَكْوَابِنَا . الخ . فَبَدَّلَهَا الْمُحَقِّقُ ، وَضَيَّعَهُ أَنْ النَّاسِخَ
أُورِدَهَا (أَلْتَمَّ) فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى تَصْحِيفِهِ ، وَبَدَّلَ الْكَلِمَةَ بِرَوَايَةِ الْمَغْرِبِ .

ز - فِي الصَّفْحَةِ ٧٧ :

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى مُحَاسِنِ وَجْهِهِ ابْصَرْتُ وَجْهَكَ فِي ثَنَاهِ غَرِيقًا
أُورِدَهَا (ثَنَاهِ) اجْتِهَادًا . وَتَرَكَ رَوَايَةَ الْأَصْلِ وَهِيَ
(ابْصَرْتُ وَجْهَكَ فِي سِنَاهِ غَرِيقًا) . وَالْأَبْيَاتُ مَشْهُورَةٌ جِدًّا لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ
وَتَتَرَدَّدُ فِي تَرَاجُمِهِ .

• • •

وَيُلْحَقُ بِهَذِهِ الْفَقْرَةُ خَطَأُ الْمُحَقِّقِ فِي قِرَاءَةِ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ .
وَكَثِيرًا مَا تَجَدَّهَ يَلْتَمِسُ رَوَايَةً أَوْ يَصَوِّبُ كَلِمَةً ، وَلَوْ أَنَّهُ قَرَأَ النَّصَّ
عَلَى وَجْهِهِ لَاسْتَقَامَ لَهُ وَاتَّضَحَ . فِي الصَّفْحَةِ ٣١ قَالَ أَنَّ الْكَلِمَةَ فِي
الْمَخْطُوطَةِ (إِذَنْ) وَحَوَّلَهَا إِلَى (آذَنْ) . وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَهْمَلَةٌ مِنْ
الْهَمْزِ ! وَفِي الصَّفْحَةِ ٣٨ قَرَأَ (زِدْتُكَ) وَ (زَادَ) وَحَوَّلَهَا إِلَى : زُرْتُكَ
وَزَارَ . وَهِيَ كَذَلِكَ فِي الْمَخْطُوطِ ! وَلَكِنَّهُ خَفِيَ عَلَى الْمُحَقِّقِ قَاعِدَةُ كِتَابَةِ
الْخَطِّ النَّسْخِيِّ . وَفِي الصَّفْحَةِ ٢٤ قَرَأَ الْعِبَارَةَ (قَلْتُ بِهِ) وَصَوَّبَهَا
إِلَى (قَلْتُ إِيَّاهُ) وَهِيَ كَذَلِكَ فِي الْأَصْلِ . وَفِي الصَّفْحَةِ ٤٧ قَرَأَ الْعِبَارَةَ
(وَقَرَّبَ بِهِ) وَاثْبَتَهَا : فَفَرَّبَ بِهِ ، وَهِيَ كَذَلِكَ فِي الْأَصْلِ . . . النَّسْخِ .

وَمِمَّا أَخْطَأَ فِي قِرَائَتِهِ وَاثْبَتَهُ عَلَى خَطِّهِ قَوْلُهُ، صَفْحَةُ ٤٦: ”وَأَنْشَدَ
صَاحِبُ الْخَرِيدَةِ لَأُمِّيَّةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي (مَجْمَرَةِ طَبِيبٍ) هَكَذَا ، وَصَوَّبَهَا
فِي مَجْمَرَةِ (طَبِيبٍ) ، وَهِيَ كَذَلِكَ فِي الْمَخْطُوطَةِ !

- ٤ -

وَفِي ضَبْطِ بَعْضِ الْبُلْدَانِ وَهَمَّ أَوْ خَطَأَ . فِي الصَّفْحَةِ ٣٨ (رُنْدَه)
بِفَتْحِ الرَّاءِ ، وَالصَّوَابُ (رُنْدَه) بِالضَّمِّ . وَفِي صَفْحَةِ ٥١ : وَقَدْ تَقَعَدْنَا
بِالْفُرُوسِ عَلَى نَهْرِ أَشْبِيلِيَّةٍ . وَالصَّوَابُ : تَقَعَدْنَا بِالْفُرُوسِ (بِالْعَيْنِ

(المهمة) على نهر اشبيلية (ديوان ابن سهل الاشبيلي صفحة ٩٢)
و (العروس) من متنزهات اشبيلية .

وفي صفحة ٥٢ وردت (مدينة مُنَيْش) مشددة النون ، ثم
اوردها بعد سطر بنون مفتوحة مخففة (مُنَيْش) . وفي المُغرب (مُنَيْش)
بنون مخففة مكسورة . وفي جغرافية الاندلس وأوروبية (قطعة من المسالك
والممالك للبكري صفحة ٦٢ ، ٦٣) مدينة مُنَيْشَة Mantesa
بتاء زائدة . وكان يُحْسَن أن يوحد رسم الكلمة ويراجعها على المظان
الجغرافية الاندلسية .

وفي الصفحة ٦١ قال : هي مدينة (يابُرّه) بباء ساكنة ، وصوابها
(يابُرّه) بباء مضمومة .

وضبط مدينة شَنْتَرِين (صفحة ٦٤) بكسر التاء والصواب فتحها .

وفي الصفحة (٨٦) عرّف (الزاب) بأنه بلد بالاندلس !! والصواب
أنه ، كما في الروض المعطار : في اطراف الصحراء من عمل إفريقية .

وضبط (صَقْلِيّة) بفتح الصاد ، والصواب كسر ها . وفي :
١٢٧ ضبط (مُكْناسَة) بضم الميم والصواب كسر الميم ...

وتحدث في المقدمة وفي الحواشي عن جزر (البليار) والعرب كانت
تسميها الجزائر الشرقية ، وهي ميورقة ومنورقة ويابسة .

وَوَقَعَ مثل هذه الاوهام في ضبط بعض الاعلام أو التعريف بهم ،
ما هو ظاهر أو معروف . فهو ضبط (الخَشْنِي) بسكون الشين ،
والصواب فتح الشين : صفحة (٤٠) .

وضبط غياث (صفحة ٥٣) غَيَّاثٌ على وزن شُدَاد !

وضبط ابن دُحْيَة (صفحة ٥٣) بضم الدال ، والصواب (دُحْيَة)
بكسر الدال .

وتقال في نسب ابن حزم إنه (أبو محمد علي بن أبي عمرو بن حزم) والصواب (ابن أبي عُمر) . (صفحة ٦٩) .

وفي الصفحة ٤٣ في الحاشية (٨) عُرِفَ بابي بكر محمد ، وهو من بني عم ابن زُهر المعروف بالحفيد فقال : « هو أبو بكر بن زُهر الأصغر ، وهو ابن عم الأكبر ... » . فأخطأ في تعيين أبناء زُهر الثلاثة . والصواب أن المترجم في الصفحة ٤٣ واحد من أسرة بني زُهر ، أما الآخران فأحدهما ابن زُهر الحفيد أبو بكر محمد بن عبد الملك (ت ٥٩٥) والثاني جدُّه أبو العلاء زُهر (ت ٥٢٥) .

ونقل ابن سعيد خبراً عن شيخه الأعلَم البطليوسي (ت ٦٤٢) . فعَلَّقَ المحقق في الحاشية (٤) : « هو غير الإعلَم البطليوسي صاحب التأليف المشهورة : .. الخ » . وهذا وهم . وهو يريد : الأعلَم البطليوسي غير الأعلَم الشنمري (ت ٤٧٦) صاحب التأليف المشهورة .. (هذا في الصفحة ٤٨) .

وعُرِفَ بأحد الأدباء الصقَلِيِّين فقال : (أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي البشر ، الكاتب الصقَلِي) ، والصواب إنه الشاعر الكاتب ، وله ديوان طُبِعَ مرَّتين !!

واستغرب المحقق (صفحة ٢٣) أن يُنسَبَ المؤلِّف ابنَ رشيق إلى المسيلة (الحمديّة) !! وليس في هذا عجب لأنه مولود بها ، وإن اشتهر بابن رشيق القيرواني .

— ٥ —

وتجد بعض الالفاظ مضبوطة بالشكل بما يخالف الصواب ، أو بما لا يتفق مع المعنى . وقد يكون شيء من هذا من أخطاء الطباعة .

من ذلك ورود كلمة (زخر) بالذال ، أخت الدال ، مرَّتين (صفحة ٢٦) وهو يريد (زخر) بالزاي ، أخت الراء .

وضبط (الكَلَّة) (صفحة ٧٠) بفتح الكاف وهي (الكَلَّة) بالكسر ،
لمعنى السِّتر الرقيق ...

وفي "الصفحة (٧٢) قال أحد شعراء "الرايات" :

امسى الفراش يطوف حول كؤوسنا اذ خالها تحت الدجى قنديلا
ما زال يخفق حولها بجناحه حتى رمته على الفراش قتيلا !
ضبط المحقق (يخفق) بضم الفاء ، والصواب كسر الفاء .
وزاد ان ضبط (الفراش) في البيت الثاني بالفتح ، والصواب بالكسر ،
لمقتضى المعنى .

وضبط المحقق (صفحة ٨١) كلمة (كناس) بضم الكاف ،
والصواب الكسر لانه يريد المأوى الذي يلجأ اليه الطيبي .

وضبط كلمة (كبَد) بكسر الباء (صفحة ٤٩) والصواب فتح
الباء ، يريد معنى المشقة ، والبيت من قطعة في وصف فؤارة :
يا حسن فؤارة للأفق راجسة بالشَّهب تنزو نزو الوائب اللُعب
ينساب عنها حباب الماء مندفعاً الى البحيرة مثل الأيم من رُعب
كأنما مارَ تحت الارض في (كَبَد) : فحين ابصر وسعاً جد في الهرب ..

وفي "الصفحة ٤٢" "كافورتي" ضبطها بكسر التاء، والصواب فتحها
كما في المغرب ١ : ٢٤٨ من قول الشاعر :

وبيضاء تحسبها ثرة تذوب اذا ذكرت او تكاد
تنمى باليسك كافورتي محيا حوى الحسن طرا وزاد ..

ولم يُعْنِ المحقق بإيضاحات اشارات المؤلف التي يقتضي التحقيق ايضاحها أو يُحَسِّنْ ؛ وهي اشارات هامة بالقياس الى تبيين منهج المؤلف وموقفه النقدي .

في الصفحة ٥٩ قال الشاعر :

انهض ابا طالب النينا واسقط سقوط الندى علينا

وكان حقه ان يشير الى بيت عمر بن ابي ربيعة :

واسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه ولا امر

وفي صفحة ٥٩ نفسها :

يا ايها الملك الذي آباؤه شُم الانوف من الطراز الأول

وكان حقه ان يضع الشطر الثاني بين قوسين ...

وفي الصفحة (٧١) ورد بيت ابن زيدون :

تِهْ، اُحْتَمِلْ ، واسْتَطِلْ، اُصْبِرْ ، وَعِزْ اَهْنْ

وَلَّ، اُقْبِلْ ، وَقُلْ اُسْمَعْ ، و مُرْ اُطِيعْ

وقال المؤلف ابن سعيد انه احسن من بيت المتنبي . ولم

ينبه اليه المحقق . وقُلْ مثل هذا في اشارة المؤلف الى متابعة ابن

شُهَيْد لأبيات امرئ القيس ، ولم يشير المحقق اليها .

وفي الصفحة ٧٤ قال الشاعر :

فانَّ قرين السوء يُعْدي، وشاهدي (كما شَرِقَتْ صدرُ القناة من الدم)

وكان يُحَسِّنْ ان يشير الى انه شاهد نحوي في قصيد للأعشى .

- ٧ -

أما الشروح التي أضافها المحقق فكانت أحيانا سريعة لا تُغني ، وكان أحيانا يُسكت عن شرح ما يجب شرحه ؛ وهو كثير ، أذكرُ منه مثلا تعليقه على قول الشاعر :

خلان قد كُفّر الكافور ذاك وقد عَقَّ العقيقُ احمرارا ذا وما ظلما !

وقال : « معنى كفر : ستر » . والصواب : انه اخذ من الكافور فعلا ، ومن العقيق فعلا ، ولهذا قال : وما ظلما .

وفي الصفحة ٨٣ مرّ ذكر الدولار ولم يشرحه ، وهو الناعورة . وأورد أبيات ابن القوطية وأولها :

إِثْرَبْ عَلَى السُّوسَنِ الْفُضِّ الَّذِي فُغِمَا
وَبَاكِرِ الْأَسَى وَالْوَرْدِ الَّذِي بَخِمَا

والصواب الذي نجما ، وهذا ظاهر . ولم يشرح "فغم" وإن شرح غيرها من الالفاظ في القطعة !

- ٨ -

— ومما يسلك في الوهم ، والسرعة في العمل قوله (صفحة ٧١) في التعريف بالكاتب أبي يحيى أبي بكر بن هشام القرطبي في الحاشية (٥) : كانت له كنيّتان !! — وأضاف أيضا — : على عادة أهل الاندلس ! فهذا خطأ مركّب ؟ فلم يكن من عادة أهل الاندلس أن يتخذوا كُنْيَتَيْنِ الا في القليل ، وعلى الاحكام التي تعرف في المشرق (للحرب والسلم .. الخ) . ومن جهة أخرى فالترجم اسمه أبو بكر وكنيته أبو يحيى ، ولكن الامر التبس على المحقق !

— ومن ذلك قوله ان ابا بكر بن ميمون صاحب شرح (المجمل) ؟ وكرر هذا في الاصل والحاشية ص ٧٧ ، وصوابه (الجمل) ، وهو كتابُ نحو مدرسيّ مشهور في الاندلس بخاصة ، وهو للزجاجي .

— ومن ذلك قوله في الصفحة ٧١ ان المعتضد العبادي غزا قرطبة واخذها . والصواب انها وقعت في يد المعتمد ابنه سنة ٦١ هـ .

— ومن ذلك قوله صفحة ٧٣ في ترجمة ابن عبدوس : « وهو الذي وَجَّهه الى ابن زيدون رسالته الهزلية » . وهذا خطأ صوابه : « وهو الذي وَجَّهه اليه ... »

— ومن ذلك قوله (صفحة ٤٠ هامش ٢) عن علي بن يوسف ابن تاشفين انه ملك المرابطين . والحق ان المرابطين لم يتلقبوا بغير « امير المسلمين » ...

وغیر هذا مما يقع تحت عنوان الاوهام ...

- ٩ -

ومن الامور الهامة في عملية التحقيق مراجعة الاصول التي نُقِل عنها المؤلف . فاذا كان لدى المحقق نسخة وحيدة، تَعَيَّنَ عليه ان يعود اليها .. فما بالك بنسخة وقع فيها شيء من السهو ، والوهم ؟

وَيُعْجَبُ القارئ حين يتنبَّه الى ان المحقق اغفل العودة الى عدد من الاصول التي اعتمد عليها ابن سعيد ، والاصول التي ذَكَرَهَا ، او لم يذكرها ، واكتفى بذكر بعض تلك المصادر التي لم يرجع اليها المحقق ، على ضرورة العودة اليها في مثل هذا الكتاب : من ذلك : كتاب (البديع في وصف الربيع) لابي الوليد الحميري ، وكتاب (زاد المسافر) لابي بحر صفوان بن ادريس، وكتاب (العقد) لابن عبد ربه ، ودواوين ابن سهل ، وابن زيدون ، وابن الزقاق ، والرصافي البلنسي ، وابن عمار ، وكتاب (المطرب) لابن سعيد ، و (المعجب) للمراكشي و (يتيمة الشمالبي) وغيرها كثير .

وهذا الاغفال أثر على قضية توثيق النصوص في الكتاب . وقُلْ مثل ذلك في التعريف بالادباء والشعراء ، فهو لم يُسْتَقْصَمَ ما

بين يديه من مصادر ، بل لم يرجع الى بعض كتب المؤلف نفسه ...
وكاد أن يلتصق بكتابه (المُغْرِب) وان لم يلتزم بضبطه وحواشيه .

ومن ههنا كانت تعريفات كثير من الاعلام سريعة ، مبتسرة ، او
كانت نقلا من عبارات المؤلف نفسه او من سبقه الى التأليف في (المغرب)
مما لا يزيد قضية التوثيق توكيدا وتوضيحا .

- ١٠ -

ولا تشعر أن المحقق (عايش) المؤلف في مقصده ومنهجه ، ولا
خالطه بالعودة الى مؤلفاته ، ولا هو رَّصَدَ مواقفه الادبية والنقدية .
ومن اوضح الامثلة على ذلك أن المؤلف اعتذر الى موسى بن يغمور
(المَهْدَى اليه الكتاب) عن صغر حجمه ، فقال له :

» ... والمملوك - يعني نفسه - ينهي للمولى أن هذا المجموع
إِنْ نَقَصَ فِي عَيْنٍ مِنْ عَمِيَّتْ بِصِرْتِهِ لَصَغَرِ جَرْمِهِ ، فجوابه قول اشعر
مَنْ مَلَكَ طَرِيقَ التَّخَيُّلِ ، وتوصَّلْ بِلَطَافَةِ الذَّهْنِ إِلَى الاسْتِنْبَاطِ وَالتَّحْيِيلِ :

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْفِرُ الْإِبْصَارَ رُؤْيَاهُ

وَالذَّنْبُ لِلْعَيْنِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّفْرِ

ولم يُعَلِّقَ المحقق بشيء ، ولم ينسب الشعر .

وعبارة المؤلف ابن سعيد تنبئ عن منهجه ، وميله الى مدرسة
أبي العلاء المعري وطريقته في التخيُّل والغوص على المعاني . والبيت
المذكور من سقط الزند (١ : ١٦٢) . وإذا نظرنا في كتاب ابن سعيد
الآخر : (عنوان الرقصات والمطريات) (صفحة ٤٦) وجدناه يقول :
أبو العلاء المعري هو جليل القدر في الغوص ، وكثرة التخيُّل .

ولو تابعتُ ما في القسمين الآخرين مما وقع لى ، ورأيتُ ليه
مسادة ملاحظة ، لطال الحديث وتشعب .

ونحسن ، وإن وجدنا للدكتور القاضي ، محقق « رايات المبرزين » ،
عذرا في بعض ما اشرت اليه في هذه المقالة ، لا نستطيع أن نلتمس
العذر للباتي ، وهو كثير ، ولكن يكتفيه ان عمل ، ومن لا يعمل لا يخطيء !

• • •

أما (رايات المبرزين وغايات المميزين) لابن سعيد فهو حقاً
في حاجة الى تحقيق علمي متأن .

د . محمد رضوان الداية



الزميل المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس في ذمة الله لعيسى الناعوري

لم أعلم بوفاة الصديق جرمانوس الا بعد أكثر من عشرين يوما من رحيله ، وقد قرأتُ النبأ في جريدة (البعث) الدمشقية الصادرة في ١٩٧٩/١١/٣٠م ، وحزنتُ للنبأ ، لانني فقدتُ بالحاج عبد الكريم جرمانوس صديقا عظيما حقا ، وانسانا طيب القلب ، عالما ، محبا لاصدقائه ومخلصا لهم .

أول معرفتي للمستشرق الكبير كانت عن طريق كتاباته في بعض المجلات العلمية والادبية العربية ؛ ثم كُتِبَ هو السيّ أولاً ، فكان من بعد ذلك اتصال مستمرّ بالمراسلة . وسعى لاجل زيارتي للمجر ؛ ونجح مسعاه، فزرتُ المجر في كانون الاول عام ١٩٦٤م ، وهناك سعدت ببلقائه ، وأُنيستُ بجالسته وتبادل الحديث والفكر معه في منزله ؛ وتفضّل فرافقني الى اتحاد الكتاب المجريين ، واتحاد الصحفيين ، ونادي القلم ؛ وهناك قدّمني الى الحضور تقديما لطيفا كريما ، وقام بدور الوسيط المترجم بيني وبينهم . وقدّمني كذلك الى الجمهور في احد الاندية الثقافية في بودابشت ، حيث أقيمتُ محاضرة باللغة الانكليزية حول (الحركة الادبية في المملكة الاردنية الهاشمية) . واکرمني كذلك بدعوتي الى العشاء في منزله هو وقرينته الحاجة عائشة .

ولم ينقطع تبادل الرسائل بيننا بعد ذلك . وآخر رسالة تلقيتها منه تحمل تاريخ ٢٨/تموز/١٩٧٩م. وهذه صورة عنها .

الى الخ الزخ المحبوبة العلامة الكبير رئيس الجامعة حفظه الله
عزيزي بعد تحياتي القلبية اخبرك اني تلقت مع الشكر العظيم
الكتيب الممنون "بمخططات التجارز والاقتصاد والمصارف"
من اشراف علماء الجميع العلمي في الاردن . واشكركم من صميم قواي
لهذه الهدية الثمينة - ان التفاهة العربية حينئذ انسانية في
القرن الوسطى ، وهكذا تقدم روح الجنس البشري اليوم باعمالها
العلمية الادبية . ونحن في الغرب مضطرون لعرض الجليل والتفكير
للإجتهااد الثقافي الذي تهديه بجامع اللغة العربية لنا اننا هذه الأيام
الخطيرة - ارجوه ان تقدم تكملة الخصلة الى رئيس الجميع وكل الاعضاء
الكرام ، وتحييت مع الاحترام والودعة بخلك الساج عبد الكريم ميانوس

١٩٧٩
تموز ٢٨

أبت من
١٩٧٩/٢٨

وقد رددت عليها بتاريخ ٢/آب/١٩٧٩م ؛ فكاننا بالرسالتين تبادلنا
تحية الوداع الاخير .

كان المرحوم جرمانوس عضواً لمجامع دمشق وبغداد والقاهرة ،
الى جانب عضوية المجمع العلمي المجري ، وعدد من المجمع العلمية
العالمية الاخرى . وحين علم باننا في الاردن ايضا قد انشأنا مجمعا
للغة العربية ، سرّ لذلك كثيرا ؛ وحين منحه المجمع عضوية شرف
فيه ، اعتبر ذلك مجدا كبيرا له يختم به عمره المديد ؛ واهتمت
بذلك صحف المجر ومجلاتها ومحافلها العلمية والادبية .

والعجيب في جرمانوس انه كان ، رغم تنادي العمر ، كثير
الحوية والنشاط : يقرأ ، ويكتب ، ويؤلف ، ويترجم ، ويسافر ،
ويراسل اصدقاءه العديدين بنشاط يعجز عنه الشبان . واذكر انني

حين لقيته في بودابشت سنة ١٩٦٤ كان قد بلغ الحادية والثمانين من عمره ، وكان يُدِينُ الجسم ؛ ومع ذلك فقد كنتُ ، حين ارافته في طريق ، أُضْطَرُّ الى الجَرْيِ لكي أستطيع مسايَرةُ مشيته الشبابيَّة السريعة . وكان قد أُحِيلَ على التقاعد قبل سنة واحدة فقط من معهد الدراسات الشرقية في جامعة بودابشت . فقال لي ساخراً وهو يعلّق على ذلك : حتى السنة الماضية كنت « شاباً صالحاً للعمل » ... والآن صرت في نظر الناس (هُرمًا) لا يصلح لشيء ...

وبعد عشر سنوات من ذلك اللقاء ، في عام ١٩٧٤ ، كان جرمانوس قد بلغ التسعين من عمره ؛ فكَرَّمَهُ أصدقاؤه وتلاميذه من علماء بلده وأدبائها بمجموعةٍ من البحوث والدراسات ، كتبوها حول العالم الإسلامي ، وجمعوها في كتاب عنوانه (الشرق الاسلامي : بحوث لتكريم جوليوس جرمانوس) . و (جوليوس) هو اسمه المُجَرِّي الأصلي ، وقد استبدل به بعد اسلامه اسم الحاج عبد الكريم جرمانوس . وكذلك زوجته السيدة عائشة ، استبدلت باسمها المجري النصراني اسمها الاسلامي (الحاجة عائشة) ، وَحَجَّتْ مع زوجها الى الديار المقدسة، وكرَّست حياتها معه لخدمة الاسلام والعروبة والثقافة العربية الاسلامية .

ولد جوليوس جرمانوس في بودابشت سنة ١٨٨٤م ، ودرس في جامعات بودابشت واسطنبول ، وفيينا ، وليبتزغ . وفي سنة ١٩٠٧ نال درجة الدكتوراة بدرجة شرف من جامعة بودابشت في اللغة التركية وآدابها، وفي اللغة العربية وآدابها ، وفي التاريخ القديم . وكان من أساتذته في اللغات الشرقية المشرق المُجَرِّي الشهير إينياس غولد تزيهر .

وفي سنة ١٩١٢ عيِّنَ مُدَرِّساً في أكاديمية التجارة الشرقية ، ثم أصبح مُدَرِّساً في كلية الاقتصاد منذ سنة ١٩٢١م . فلما كان عام ١٩٢٩ دعاه شاعر الهند الاعظم رابندرانات طاغور، فقام بإنشاء قسم

الدراسات الاسلامية في جامعة البنغال ، وظلَّ يدرِّس فيه الى سنة ١٩٣٣ . وفي تلك الفترة شعر بميل الى الاسلام ، فاعتنقه عقيدة له بدلا من عقيدته المسيحية . ثم سافر الى مصر سنة ١٩٣٤ والتحق بالازهر لاجل التعمُّق في دراسة اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي . ومن هناك ذهب الى الديار المقدسة ، حيث اَدَّى فريضة الحج ، وشاء ان يتعرف بالاسلام في منابعه الاولى . ومن نتيجة ذلك الحج اصدر كتابه (الله اكبر) الذي طُبِعَ سنة ١٩٣٦ بالمجرية ، ثم لم يلبث ان تُرجم الى الالمانية والايطالية ، واعيد طبعه بعد ذلك مرارا .

وفي سنة ١٩٤١ اختير جرمانوس لرئاسة المعهد الشرقي في كلية الاقتصاد في جامعة بودابشت . ثم دعتة بعد ثلاث سنوات كلية الفنون لادارة قسم اللغة العربية فيها . وحتى ذلك الحين كان قد كَتَبَ العديد من البحوث والدراسات في التاريخ العربي والاسلامي وفي الثقافة العربية . وفي سنة ١٩٤٨ عُنِّيَ استاذاً للعربية والدراسات الاسلامية في جامعة اوتفوش لورانت ، في بودابشت ، وظلَّ في منصبه هذا الى ان اُحيل على التقاعد سنة ١٩٦٤م .

وتقديرًا لفضل جرمانوس وعِلمه ، منحه الكثير من المجمع اللغوية والاكاديميات العلمية عضوية المراسلة أو عضوية الشرف ، كما دعاه العديد من الجامعات الى التدريس أو المحاضرة : ففي سنة ١٩٥٧ عُنِّيَ عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وفي سنة ١٩٦٢ عُنِّيَ عضوا مراسلا في المجمع العلمي العراقي ، وسنة ١٩٦٦م في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وسنة ١٩٧٨م عُنِّيَ عضواً شرف في مجمع اللغة العربية الاردني ، وعُنِّيَ عضواً شرف في اتحاد الكتّاب العرب في القاهرة ، وبغداد ، ودمشق . وكان قد عُنِّيَ عضواً في اكااديمية البحر المتوسط في ايطاليا سنة ١٩٥٤ ، وفي اكااديمية ليوناردو دافنشي ، في روما ، سنة ١٩٦٩ . وكان استاذاً زائراً في العديد

من الجامعات ، ومنها جامعات : الاسكندرية ، والقاهرة ، ودمشق ،
واكره ، وُعُيُكْرَه ، ولكنو ، وحيدر اباد ، ودلهي ، والرباط ، وفاس .

واختير عضوا في البرلمان المجري من عام ١٩٥٨ الى عام
١٩٦٦ ، فكان العضو المسلم الوحيد فيه .

وأما أعماله العلمية فأكثر من أن تحصى ؛ وهي ما بين مؤلفات
وبحوث ودراسات ؛ وقد كُتِبَ هذه الكتب والبحوث والدراسات
باللغات : المجرية ، والتركية ، والعربية ، والانكليزية ، والالمانية ،
والايطالية ، والهندوستانية ، تعريفا بالثقافة العربية الاسلامية
والثقافات الشرقية .

وعلى الرغم من تقدُّمه في السن ، فقد ظلَّ الى آخر حياته يكتب
ويطالع ويكتب اصدقاءه في مختلف البلدان .

واذا كان من غير اليسر سردُ ثُبُت جميع مؤلفاته وبحوثه
بمختلف اللغات ، فسأقتصر ههنا على ذكر ما كتبه باللغة العربية
وحدها ، وهو :

- ١ - بعض الكلمات عن الادب العربي الحديث في المغرب الاقصى -
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٦٩م .
- ٢ - حماية فلسفة التشريع الاسلامي - الاصاله / الجزائر ١٩٧٤م .
- ٣ - الاسلام كدين عالمي - ١٩٧١م .
- ٤ - دور الاسلام في تاريخ الانسانية - ١٩٧٢م .
- ٥ - نهضة الادب العربي - ١٩٧٥م .
- ٦ - النظرة الاسلامية الى الحياة - مجلة رابطة العالم الاسلامي -
مكة المكرمة .
- ٧ - الاسس اللغوية لوحدة الناطقين بالضاد - مجلة قافلة الزيت /
الظهران ١٩٧٥م .

٨ - ذكريات عن الحج - ١٩٦٩م.

٩ - دور الاسلام في تاريخ الانسانية / مجلة الاديب / بيروت ١٩٧٤م.

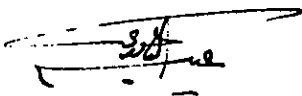
١٠- عباس محمود العقاد - الاصاله / الجزائر ١٩٧٧م.

وعدد من الاعمال العلمية الاخرى ، ظهرت في مجلة المقتطف
وغيرها في مصر .

ولقد عكف جرمانوس في الاعوام الاخيرة على كتابة سيرته
وجولاته في البلاد العربية والاسلامية . وذكر لي في بعض رسائله
الاخيرة ان هذا الكتاب سيتجاوز ٦٠٠ صفحة . وكان قبل ذلك قد اصدر
كتابا باللغة المجرية عنوانه : "Az Arab Irodalom Tortenete"
تحدث فيه عما رآه في البلاد العربية، وعمن عرفهم من اعلام الادب
والفكر ، وعن الحياة الثقافية في هذه البلاد . فجاء هذا الكتاب تاريخا
حافلا للفترة التي عاشها جرمانوس مناضلا بقلمه ولسانه في سبيل
الثقافة العربية والاسلامية ، وفي سبيل الاسلام الذي كان قد اعتنقه
منذ شبابه الباكر عن يقين وايمان . وكان من دواعي اعتزالي ان
يتحدث عني المؤلف في كتابه ، وينشر بين صور الاعلام ورسائلهم
صورة لسي وجزءا من احدى رسائلني اليه .

والآن وقد مضى الشيخ والعالم الجليل الحاج عبد الكريم
جرمانوس ، فان مجمع اللغة العربية الاردني ليعث الى روحه
الطاهرة باطيب التحية ، معربا عن الاسف العميق لفقده .

رحمة الله عليه .





فَقِيدُ الْعَرَبِيَّةِ
الْأَسْتَاذُ عَبَّاسُ حَسَنُ
(١٩٠٦ - ١٩٧٩)

لِلدُكْتُورِ عِدْنَانَ الْخَطِيبِ
(عَضْوُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي دِمَشْقٍ
الرَّأْسِ الْغَامِ الْمُسَاعِدِ لِاتِّحَادِ الْجَمَاعِ)

نَمَى مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ ، فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ
شَهْرِ نَيْسَانَ الْمَاضِي (أَبْرِيلِ سَنَةِ ١٩٧٩) ، إِلَى عِلْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَرِجَالِهَا ،
الْأَسْتَاذِ عَبَّاسِ حَسَنِ مُصْطَفَى ، عَضْوِ الْمَجْمَعِ وَالْأَسْتَاذِ السَّابِقِ بِدَارِ
الْعِلْمِ ؛ اخْتِطَفَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ فِي أَوْجِ نَشَاطِهِ الْجِسْمِيِّ وَقَبْلَ عَطَائِهِ
الْفِكْرِيِّ ، لَمْ يَنْقُطِعْ يَوْمًا عَنْ حُضُورِ جُلُوسَاتِ الْمُؤْتَمَرِ السَّنَوِيِّ لِمَجْمَعِ
اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْآخِرَةُ مِنْهَا كَانَتْ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَسَابِيعٍ قَلِيلَةٍ ، كَمَا
أَنَّهُ لَمْ يَتَغَيَّبْ عَنْ شُهُودِ اجْتِمَاعَاتِ اللِّجَانِ الْمَجْمُوعَةِ الْمُتَخَصِّصَةِ ،
وَأَخْرَجَهَا — كَمَا نُبَيِّنُ الْيَوْمَ — كَانَ قَبْلَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجْهَ رَبِّهِ الْكَرِيمِ .

كان الفقيه ، رحمه الله ، من أركان الدفاع عن لغة القرآن ،
الذائدين عن الفصحى وسلامتها ؛ كما كان في طليعة المناهجين عمن
قواعد النحو الاصلية ، ومن أصلبهم عودا في ردّ هجمات المتخفّفين منها ،
وشطحات المستهترين بها ؛ لا يبالى بحجّجهم ولا يقيم وزنا لذرائعهم ،
ولو أدى الامر به الى شيء من اللّد .

كان ، رحمه الله ، من اثبت علماء العربية جنانا في الدفاع عن
قدسيّة المتون — وقد آمن بها — ونذّر نفسه لخدمتها وتجديد عرضها
على من يطلبها ؛ شديد الكره للنظريات المستحدثة بأسم «علم اللسانيات» ،
يدحض آراء أصحابها ومحاولاتهم تلبّيسها باللغة العربية ، ولا يُحجم
أحيانا عن وصف ادعاءات بعضهم الفيرة على العربية ، بأنها سُتور
للتفريب والتهديم .

دخل الفقيه الساحة ، والمركة محتدمة بين انصار العربية
وخصومها ، وكان مع أهل اليمين ، وسلاحه ، كثير من المقاتلة ، ايمان
بالعربية لا حد له ، وعلم بأصولها وقواعدها قلّ نظيره ، وخبرة
أيام خلّت ، أمضاها في نقل هذا العلم الى طالبيه ما استطاع ،
وغرس ذلك الايمان في نفوس طلابه ما تقبلوه .

واختير فقيدا بأخرة ، ليكون مع النخبة من علماء العربية ،
يعملون ليل نهار في خدمة اللغة ودفعها لتساير ركب الحضارة العالمية
المتسارعة في خطواتها ، والمتسابقة مع الزمن في اندفاعاتها .

وكان الفقيه في مجمع اللغة العربية مع طائفة قال الله
عز وجل فيها : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) .

• • •

زميل جديد :

في يوم من أيام سنة ١٩٦١ ، دخلتُ لأول مرة قاعة المؤتمرات في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؛ وقادنتني خطواتي الوئيدة الـى الصف المواجه لمقعد الرئيس ، واخترتُ مقعدا منحرفا ، يستطيعُ من يجلس عليه ان لا يَدْعَ حركة في داخل القاعة او خارجها تفوتُه . وتتالت جلسات المؤتمر ، وقد الْفَتُ المقعد عينه ، أَسْرَعُ اليه كلما كان فارغا ، او الى اقرب مقعد يُجاوُرُه .

وفي نهاية السنين دخلت قاعة المؤتمر وجلست على المقعد إِيَّاه ، واخذتُ اتطلع نحو الزملاء وهم يدخلون القاعة ، انتظر صديقا منهم يجاورني فَأَنعم بجواره ؛ غير أنني فوجئت بعضو جديد ، لم يسبق لعيني ان وقعت عليه ، يسير بخطى ثابتة نحو المقعد المجاور ويحتله ، دون ان ترفَّ عينه نحو مقعد آخر . كان ربيعة بين الرجال يميل الى القصُر ، وما بقي من شعر رأسه قد اِشْتَعَلَ شيئا ، وفي وجهه شيء من جهومة ، ونشاطيغُه نَمَمَ عن جسدٍ تُخالطه وحشة . وكتمتُ ما شعرتُ به ، واخذتُ اُتظاهر بالبحث عن شيء بين أوراقِي ؛ ولم البث ان ادرتُ وجهي يمنة ، فساذا بأسارير الزميل الجديد تكاد تنفجر عن ابتسامه ، وبراسه ينحني قليلا وهو يتمم بكلمات لم اُفهمها ، فُكِّدْتُ انه يحييني ويذكر اسمه ، ووجدت نفسي أردّ تحيته بمثلها ؛ ثم رُفِعَت الجلسة دون ان نتبادل شيئا ما .

وفي جلسة اليوم التالي كان جَارُ الامس جاري ، ودارت مناقشات حامية حول بحثٍ أُلْقِيَ وفيه دعوة الى شيء من التحرّر في قواعد اللغة ، تسهّلا لتعميم الفصحى بين الناس . وأُعْطِيَت الكلمة للزميل الذي يجاورني ، فوقف يرتجل كلمة واضحة ، هادئة، متسلسلة الانكار ، ينكر فيها دعواتٍ تُرَدَّدُ بين حين وآخر باسم تسهيل تعليم الفصحى ، مستنكرا التوجّه بأمثالها الى مؤتمرٍ ما انعقد الا لخدمة لغة القرآن والحفاظ عليها سليمة صحيحة ، داعيا الى رفض كل

دعوةٍ ظاهرُها خدمةُ اللغة ، وما هي في الحقيقة الا من مُعاول هذنها .
ورأيتُ نفسي اشارك المؤثرين ، الذين اعلنوا تاييدهم لتعليق الزميل ،
بالتصنيق . وما لبث الزميل أن جلس والتفت نحوي وهو يتسم
ابنسامة أُشْرُق بها وجهه ، فبدأ لي انه أصبح مطمئنا الى جوارِي .

كان ذلك الزميل عالمُ النحو الكبير عباس حسن ، الذي افتقدناه
بالامس القريب ، وجاءني نعيُّه مصادفةً (١) ، رحمه الله وأجزل ثوابه .

لقد تناولت المؤتمرات ، وتعددت فيها الجلسات ، وحافظُ كُلِّ
منا على مقعده . حتى في اللقاءات خارج المجمع ، كان الفقيد كثيرا ما
يانس بجواري ويسمى اليه . وأصبحنا صديقين نتبادل الاحاديث المتعلقة
بشؤون المؤتمر وبرامج جلساته ورحلاته ، وفي شؤون كثيرة أخرى .

• • •

نبذة عن حياة الفقيد وأثاره

فتى أزهرى « يَنْدُرْعَم » :

وُلِدَ عباس حسن سنة ١٩٠٦ ، وكانت مصر في ضرام حركتها
الفكرية ، والوعي اللغوي لدى جمهرة المثقفين فيها قد نَبَّط ، واخذ
كثيرون ينادون بالعمل لتَصْبِح « الفصحى » ، لغة العلم والثقافة ، لغة
سهلة متطورة تنمىها وتتنمى العامة فضلا عن الخاصة .

(١) نعاد لي الزميل الاستاذ محمد عبد الفتى حسن ، وكان يجلس الى جانبي ، خلال
مهرجان مؤرخ الشام ، الحافظ ابن عساكر .



(الفقيـد في مؤتمـر ١٩٧٨ بين الدكتورين محمد احمد سليمان وعـدنان الخطيب)

والتحق الفتى عباس ، كالمئات من إـداته ، بالجامع الازهر ، يحفظ القرآن ويتلقى مبادئ العلوم العربية ، على الطريقة الازهرية المتوارثة . وشعر عباس بحبّ للعربية وعلومها يعلّق قلبه ، فأخذ يفكر في الانتقال الى « دار العلوم » ، وقد شاع بين أقرانه ما يدور في مختلف الندوات العلمية ، وحتى على صفحات الجرائد ، من أن تنظيما للدراسة في دار العلوم قد أُقيم على أسس جديدة جامعية ، تضاهي الاسس التي يقوم عليها تدريس العلوم المصرية .

ما لبث عباس — على حد قول العالم الاديب الدكتور أحمد عمّار — أن « تملكته نزعة الهجرة من القديم الى الجديد ، فتحوّل من الازهر الى دار العلوم ؛ واذا به يحرز قصب السبق في اللغة العربية »

ويستأثر بالجائزة المرصودة لها ، على مدى أعوام دراسته في دار العلوم ، ما أخلفته ولا فاتته علما « (١) .

وانتم عباس تحصيله في دار العلوم ، وعمل معلما في المدارس الحكومية ، منتقلا بين ثانوياتها ، واسمه يزداد لمعاننا بين معلمي العربية ، مما ساعد على ترشيحه ليكون مدرّسا في « دار العلوم » نفسها ؛ حتى اذا ما تحوّلت الدار الى كلية من كليات جامعة القاهرة ، كان عباس حسن أحد أساتذة العربية فيها ، ومن ثم رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض ، الى أن بلغ سنّ الاحالة على المعاش .

النحو الوافي :

اشتهر الفقيه بدراساته النحوية المتعمقة (٢) ، وقد توجّها أخيرا بكتابه الضخم « النحو الوافي » (٣) وهو في اربعة أجزاء ، تستوعب جميع الابواب النحوية والصرفية ، مع ربطها بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، وقد أعدّه — على حد قوله — إعدادا محكما يناسب طلبة الدراسات « النحوية والصرفية » ، ومناهج هذه الدراسات بالجامعات ، ثم ذلّسه بتعقيبات وافية وشروح ضافية ، تكون مرجعا وافيا للأساتذة والعلماء والمتخصصين ، غير مغفل الضوابط والاحكام التي قرّرتها المجامع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية .

قدم الفقيه لكتابه « النحو الوافي » بمقدمة هامة بين فيها قيمة علم النحو في ذاته ، وأثره في بقية علوم العربية ؛ فهو دعامتها وقانونها الاعلى ، ترجع اليه في جليل مسائلها وفروع تشريعها ؛ كما ضمّن هذه

(١) انظر الخطاب المجمعى في استقبال عباس حسن . ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية . القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) من هذه الدراسات كتاب « رأي في بعض اصول اللغوية والنحوية » وكتاب « اللغة والنحو بين القديم والحديث » .

(٣) صدر الكتاب عن دار المعارف بمصر ، وصدرت طبعته الرابعة سنة ١٩٧١ .

المقدمة « دستوراً » ملزماً نفسه باعتماده في التأليف ، موضحاً خطته لسي
تجميع مواد الكتاب ، عارضاً تاريخ النحو منذ نشأته ، وللشواذب التي
داخلته ثم « نُكِّتَ على مَرِّ الليالي ، وتغلغلّت برعاية الصروف ، وغفلة
الحراس ، فشُوِّهت جماله ، وأضعفت ثنائه ، وانتهت به الى ما نرى » (١) .

وشرح الفقيّد الغرض الذي رمى اليه من تأليف الكتاب ، وقد
استعان « بخبرة طويلة ناجعة ، وتجربة صادقة في تَعَلُّمِ النحو ، طالباً
مستوعباً ، ثم تعليمه في مختلف المعاهد الحكومية مدرّساً ، فأستاذاً
ورئيساً لقسم النحو والصرف والعروض بكلية « دار العلوم » بجامعة
القاهرة ، سنوات طوالاً » (٢) .

ثم أوضح « الدستور » الذي أتمّام عليه الكتاب ، وخلصته في
المواد التالية :

أولاً - تجميع مادة النحو كلّهُ ، وما يتّصل به من الصرف ، في كتاب واحد
ذي أربعة أجزاء ، في كل منها قسمان : قسم موجز يناسب
طلاب الجامعات غايّة المناسبة ، مذيّل بقسم مفصّل يلائم
الاساتذة والمتخصصين اكمل الملازمة وأتمّها .

ثانياً - العناية بلفظة الكتاب وضوحاً وإشراقاً وإحكاماً واسترسالاً .

ثالثاً - اختيار الأمثلة ناصعة ، بارعة في أداء مهمّتها .

رابعاً - الفرار من العلل الزائفة ، وتعدّد الآراء الضارّة في المسألة
الواحدة .

خامساً - تدوين أسماء المراجع في المسائل التي تتطلّب الرجوع إليها ،
استجلاء للحقيقة أو ازالة للوهم .

(١) أنظر ص ٤ من النحو الوافي .

(٢) أنظر ص ٥ من مقدمة الكتاب .

سادسا - عدم التزام طريقة تربوية معينة ؛ فقد تكون الطريقة « استنباطية » أو « القائية » ، وقد تكون « حوارا » حسب ما يقتضيه صادق الخبرة وملاءمة الموضوع .

سابعا - تسجيل أبواب النخوة مرتبة ترتيب « ابن مالك في الفيتة » لشيوعه ومزاياه التي تلائم العصر .

ثامنا - توثيق المسائل المترابطة بذكر مواضع ورودها .

وختم الفقيه مقدمته بقوله : « والله أرجو مخلصا ان يجعل الكتاب نائما لغة القرآن ، عونا لطلابها ، محققا الغاية النبيلة التي دعت لتأليفه ، والقصد الكريم من إعدادده » (١) .

عباس حسن ناقدا :

لم يكن عباس حسن شاعرا ، ولكنه كان عروضيا ناقدا ؛ كان شديد التذوق للشعر، قديمه ومُعاصره ؛ وكان في تذوقه هذا ، دقيق الملاحظة عميقها ، مرهف الشعور ، ذا حساسية فنيّة تكشف مواطن الجمال والخيال الرائع ؛ ساعده على ذلك ذوق بلاغيّ نّماه وأصله فيه الاطلاع الواسع على الادب العربي ، والمعرفة الكاملة بعلوم العربية وأساليبها البلاغية .

اقسام عباس حسن للنقد الادبي منهجا علميا ، كما اقامه في ابحاثه اللغوية والنحوية . لقد كان ، مثلا ، من أشدّ المعجبين بأحمد شوقي ، من الشعراء المعاصرين ، وعندما اقام موازنة بينه وبين المتنبي ، كبير شعراء العربية الاسلاميين في كتابه عنهما ، كان حكمه في القمّة من الانصاف . لذا رايناه - كما يقول الاديب الكبير الدكتور أحمد مّبار - على فرط إعجابه بشوقي : « قد نأى بحبه إيساه عن أن يكون باعث محابة ، كما لم يُضنّ على المتنبي بالمستطاب من الثناء حيثما جلى واجاد ... » (٢) .

(١) انظر ص ١١ من المقدمة .

(٢) انظر الخطاب المشار اليه سابقا .

قارن عباس حسن بين الخيال عند المتنبي والخيال عند شوقي ،
وبين المعاني لدى كل منهما ، مستشهدا بشعر منتقًى من ديوانيهما ،
ثم ختم مقارنته بقوله :

« ومن طرائفه — شوقي — الساحرة أندلسيته النونية التي
يعارض بها نونية ابن زيدون ، والتي أطلق فيها خياله ، يبتدع ويبتكر ما
شاءت له القدرة والحرية والبراعة التي أغرته بالجموح حينا ؛ وبهذه
المناسبة نقول : ان خيال شوقي بادر في مختلف قصائده ، شأن الذين
أتاحت لهم ثقافته وسياحاته ومُتَعُه ووسائل حياته ؛ وقد يتجاوز
خياله حد الفَراهة المحمود الى حد الجموح . وقد يموج الخيال
في قصائده ويجول ويمرح ، وقد يجمع ؛ وشوقي في خياله الهادئ أو
الجامح خير من المتنبي وأقدر ، فكيف به في الخيال الفارح النشيط » (١) .

الفقيد في مجمع اللغة العربية :

في سنة ١٩٦٥ شُغر في مجمع اللغة العربية بالقاهرة مقعد
كان يحتله المرحوم علي بدوي ، أحد كبار اساتذة القانون اللامعين ؛
وفي جلسة المجمع المنعقدة بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة
١٩٦٦ ، تمّ انتخاب الاستاذ عباس حسن ، أحد كبار علماء اللغة
العربية المتخصصين بالنحو ، ليحتلّ المقعد الخالي في المجمع .

وعُقِد المجمع بتاريخ ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٣٨٦ هـ ، الموافق
٦ من آذار (مارس) ١٩٦٧ م ، جلسة خصصها لاستقبال الاعضاء
المنتخبين لاحتلال المقاعد الخالية فيه ؛ وكان أولهم مؤرخا ، وثانيهم
قانونيا ، وأما الثالث فكان نحويا ؛ لذا كانت من أطراف جلسات
الاستقبال الجمعية ، **لما جمعتهم من اصناف الرجال المتباينة بضائعهم** ،
اذ كانت بضاعة الاول هي : الانسان والمجتمعات ، بينما بضاعة الثاني :
النظام والدول ، وأما ثالثهم فبضاعته : الحروف والكلمات .

(١) نبذة منقولة من كتاب « دفاع عن شعراء » تلويق الفكيكي . بيروت ١٩٧٥ .

ووقف الدكتور أحمد عمار ، يستقبل صديقه الزميل الجديد عباس حسن ؛ فلم يجد بُدًّا من أن يرفه عن زملائه ، وقد طال بينهم الحديث عن التاريخ والقانون ، بالتمريض بطلماء النحو ، ذاكرًا بعض **المُلح المروية عن رجال كان النحو بضاعتهم** ، مجتزأ من معابثاته مع صديقه عباس بِمُلْحَةٍ « تجلوه فقيها نحويا ، قد ملك عليه النحو أوتار حسه ، وملا عليه أقطار نفسه .

قلتُ له يوما في إحدى ندواتنا الأدبية التي نعقدتها في أمسية محددة من كل أسبوع : ما أنا من رجال النحو ، وإنما شائني معك شأن ذلك الاعرابي الذي قال :

ولست بِنَحْوِيٍّ يُلوك لسانهُ ولكن سُلَيْتِي أَقُولُ فاعربُ

فقال : يلوك لسانهُ أم يلوك لسانهُ ؟ فُلذتُ بالصمت ايثارا للسلامة ، وخشية التورط فيما أُقَصِّر عن المبالاة فيه « (١) .

علي ان الدكتور عمار ، وهو يتحدث عما يُسْتَشعر به الناس من ثقل في النحو ، وعما تحفل به الكتب من أفاعيل للنحاة هي بأفاعيل **الحواة أشبه وأشكل** ، استطاع، وهو العالم الاريب، أن ينتزع من زملائه بعض ما بثه فيهم رهبةً من أفاعيل رجال النحو ، وهو يقول : « .. وعالمنا النحوي عباس حسن ، وإن كان يحلو له في هزله أن يصطنع بعض تلك الأفاعيل ، فإنه في جدّه لشدّ ما يستكره ويستنكر كلّ ما يعتور النحو من حيّل مستنقلات ، وتقديرات تخبايا النّيّات ، وإرجاف بخفايا المضمرات ؛ بل إن حبّه للنحو حبًّا جمًّا ، وتدلّهُ فيه مستهما به سببا ، واستيقانه أنه من أجلّ علوم اللغة نفعا وجدوى ، كل ذلك لم يثنه عن أن يشنّها حملات صدق شعواء على كل ما يشوب النحو من متعارف المعايب ومتناقل المثالب » (٢) .

(١) انظر ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية . القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) انظر المصدر السابق .

واستشهد الدكتور عمار بما جاء في حملات صديقه على من
يُلصق بالنحو ما هو منه براء ، وعلى الذين يفتعلون المُلح للتندر
والارتزاق . واتى على ذكر نادرة اقتبسها عباس حسن من كتاب
« الحيوان » ، للجاحظ ، مستكرا ، « وهي ان معترضا قال للأخفش :
انت اعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلَّها ؟ وما بأننا
نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها ؟ وما لك تُقدِّم بعض العويص وتؤخر بعض
المفهوم ؟ فاجاب قائلا : انسا رجل لم اصعُ كُتبي ابتفاء وجه الله ولا
زلفى اليه ، فليست من كتب الدين ، ولو وضعتها على النحو الذي
تريدونه ، لُقلت حاجة الناس الى السؤال عما لا يفهمونه منها ، وانسا
غايتي الكسب ، فوضعت بعضها مفهوما لتدعوهم حلاوة ما فهموه الى
التماس فهم ما لم يفهموا .. » (١) .

وعندما قام الاستاذ حسن ليدافع عن النحو، رأس علوم اللغة ،
وعن سمعة النحاة الذين جَمَعُوا اللغة وصانوها ، ورفعوا صرحها
شامخا ركيناً ، كما قال أحد كبار الفقهاء ، اثنى على مجمع اللغة
العربية الذي يستقبله اليوم، نقد « استطاع بنافع عمله وكثير منجزاته ،
ان ينتزع الاعجاب من اهل النصفة والاعتدال ، وان مارى في الانصاف
والنقد بعض زنادقة الفلسفة ، لهوى مدخول او حقد كامن ، او جهالة
بقدر اللغة واهلها » . ثم خاطب عباس حسن زملاءه طالبا منهم
التاسي بالنحاة قائلا : « فلا يبتسئ علماءنا بما كان ويكون من خوارج
هذه الايام ، فتلك شئشنة عرفناها من قرنائهم في مختلف الاجيال (٢)

صراع داخل الصف :

لا يحسبن الذين يقرأون مقررات مؤتمرات مجمع اللغة العربية ،
ان اقرارها كان سهلا هينا ، فكم من حوار امتد زما حول قاعدة لغوية
او حول مدى التقيد بها ، وكم من مناقشة حادة جرت حول إثبات
كلمة او حول حذفها ، وكم من جلسة صاخبة عقدها مجلس المجمع

(١) انظر المصدر السابق .

(٢) انظر ص ١٧٥ من المصدر السابق .

حتى استطاع اتخاذ قرار في مسألة من مسائل اللغة ، ، وكجم من الوقت استغرقه اقترار أو رفض مقترح عرض على مؤتمر المجمع ؟ !

لعمل عباس حسن ، يوم دخل مجمع اللغة العربية ، كان يعتقد بأن عناءه في خدمة لغة القرآن سيخفف عما كان قبل دخوله ، فقد أصبح من النخبة من علماء العربية العاملين على خدمتها ودعمها لتساير ركب الحضارة . ولكنه لم يلبث أن وجد نفسه وحيدا أمام أعضاء من دأبهم التحرش بالنحو والنحويين ، شأن القدامى من العلماء ، ومنهم من يجاهر بكرهه للمتون ، ولا يقيم وزنا لآراء علماء عاشوا من مئات السنين ، اذا كانت آراؤهم لم تعد تتلاءم والعصر الذي نعيش فيه ؛ ولعل ، رحمه الله ، كان شديد الدهشة من زملاء عرفهم من غلاة الغيارى على العربية يوم أنكروا عليه القول بـ (تحديث) اللغة لتساير العصر الحديث ، وهو لا يدري ماذا ينتقص عن شأن (علم الحديث) اذا كان للتحديث اكثر من معنى في المعجم (١) !

التزم فقيدنا في مجمع اللغة بخط اختطه لنفسه ، غير مبال بموقعه بين علماء العربية ؛ فبينما تراه في أقصى يمين هؤلاء مرات عديدة ، تراه احيانا في أقصى يسار أولئك ؛ وليس لك ان تعجب ، لان الفقيه ألزم نفسه بالمتون التي حفظها ، وبالقواعد التي قال بها علماء اللغة ، والنحويون بخاصة ، تلك القواعد التي آمن بها أسلوبا وحيدا للحفاظ على اللغة وإنائها .

وعندما اختلف رأي المجمعين حول اجازة ادخال لفظه « مناورة » في المعجم على أحد الوجهين التاليين :

الاول — ان بن معاني « المناورة » : الدهاء ، فمن حقها ان تثبت في المعجم في مادة (ن و ر) التي تحمل معنى الخداع والحيلة .

(١) انظر وقائع مؤتمر ١٩٧٩ في ص ١٢٤ من مجلة المجمع الاردني عدد ٣ .

الثاني — ان لفظ « مناورة » معرب ، ومنقول بدلالته الخربية والسياسية المجازيتين ، ومن الواجب ان يدخل في المعجم في مادة (م ن ا) .

وقف الفقيد مع اصحاب الرأي الاول ، ليعلم ان وزن « المفاعلة » وزن اصيل شائع في العربية مثل : المداورة والمراوغة والمشاورة والمحاورة ، وليس في قواعد العربية ونصوصها ما يمنع من ان تدخل الكلمة في مادة (ن و ر) كما تدخل الكلمات المشابهة في مواد (د و ر ، و ر و غ ، و ش و ر ، و ح و ر) فهي مثلن عربية ، وان لم ترد في المعجمات ؛ وكأنه يقول بأن المناورة عربية الجذر بمعنى الدهاء ، اما معانيها الحديثة فهي من قبيل المجاز المستحدث (١) .

وعُرِضَتْ على المؤتمر ، في دورته الاخيرة ، كلمة (التطبيع) بمعنى (جعلها طبيعية) ، كما ترددت على صفحات الجرائد وعلى السنة رجال السياسة ، فكان الفقيد مع كثير من زملائه لا يرون ما يمنع من اجازة الكلمة بالمعنى المذكور ، طبقا للضوابط اللغوية ، ولكن هذا المعنى السياسي الجديد رَفَضْتُهُ الاكثرية عند اعلان التصويت عليه (٢) .

وعندما وقف بعض المتشددین من الجمعیین ينتقد استخدام الكتاب والصحافیین لفظة (تواجد) بمعنى لا تُقْرَأُ معجمات اللغة ، ثار الفقيد مبرئا العربية من الجمود الذي توهم به ، وقائلا : ان العربية لا تحول دون اعطاء كلمة (تواجد) المعنى الذي يريده المعاصرون ، فَمَثَلُهَا مَثَلُ : (تكاثر) و (تناسل) (٣) .

شمائل الفقيد ومزاجه :

خَبِرْتُ الفقيد خلال عدد من السنوات ، بمجاورتي له في المؤتمرات السنوية لجمع اللغة العربية ، فما عرفت عنه الا رقة

(١) انظر المصدر السابق .

(٢) انظر المصدر السابق .

الشمائل ، مع اقتصاد في المجاملات المتعارف عليها بين الزملاء . كان رحمه الله ، عَفَّ اللسان ، صافي السريرة ، يقول ما يعتقد ، دون محاباة أو مواربة ، أو يُصمت . لم اسمع منه يوما كلمة نابية ولو بحق انسان فيه انحراف أو عنده زيغ .

كان خجولا ، لا يجلس الا جنب من يانس اليه ، ولا يتطفل على مكان شاغر بين الناس اذا لم يُدْعَ اليه ؛ كان هادئ الاعصاب ، عنده قدرة عجيبة على امتلاكها اذا ما أثرت ، مع كثرة المنفصات .

لم اشعر يوما بِكْرِهِ يُضْمِرُهُ نحو أحد ، ولو كان ممن يُكثر الفُحز واللَّز من النحو أو النحاة ؛ وكثيرا ما سمعته يردد جملة (هداه الله) .

كان الفقيد ، اذا ما استقرَّ به المقام ، نُثِرَ دفاتره واوراقه امامه ، وقد ملأها بخطوط وشارات ورموز لِتُدَكَّرَ بالمواضع التي عليه أن يَتَّبِعَ لموعده عرضها ، فيبيدي اعتراضه عليها أو نقده لها ، أو دفاعه عن سلامتها ؛ وكانت الدفاتر تُسَعَّفُ بالدلة التي يستند اليها وبالمصادر التي يعتمدها ، وحتى بأرقام الصفحات في هذه المصادر وبتاريخ طبعها ومكانه .

كان الفقيد يسند كوع يسراه على المنضدة ، وكُنْه مفتوحة تشير دائما الى أن صاحبها يطلب الكلام ، بينما تكون يمناه تعبت بالاوراق المنثورة ليستخرج منها الورقة ذات الصلة بالموضوع الذي تدور حوله المناقشات . وهو يحاول أن لا تفوته كلمة مما يدور ، وكثيرا ما غاته الاذن بالكلام وهو راغب فيه ، فكان يتردد في الاصرار على طلبه ، وبخاصة عندما يشعر برغبة الاكثرية في امضاء الامر المطروح على التصويت ، الا اذا كان الأمر مما لا يصحّ سكوته عنيه ، فكان يرفع يمناه انى أقصى ما يستطيع لينال الاذن بالكلام ؛ واحيانا كان لا يتأخر عن الوقوف ليعلم أنه يريد الكلام ، حتى اذا ما اعطيه ، كان جريئا في الدفاع عما

باعتقد صوابه ، شديداً في مهاجمة ما سمعه أو ما يراه اقراره ، مبيناً وجه الصواب المتفق مع النصوص ، تالياً لها أو مشيراً الى موضعها .

كان الفقيد يحاول ان لا يُردّ على زميل من غير المصريين لا يعرفه ، قبل ان يميل نحوي سائلاً عن هوية المتكلم ومشربه ، كي لا يتمدّي حدود الموضوع الى البواعث الخفية .

كان وطيس المناقشات يحمى في كثير من الجلسات ؛ فاذا رغب فقيدنا في الكلام انتظر الاذن ليبداه . ولم اراه مرة يقاطع متكلماً ، على كثرة الذين كانوا يقاطعون ، حتى اذا انتهى الراي الذي يريد ابداءه أو تسجيله في محضر الجلسة لبقراه الاجيال الناشئة ، استراح غير عابئ بصدى كلامه عند سامعيه ، وغير مهتم براي منكر أو مستهجن .

كان رحمه الله ، كثيراً ما يفضّ الطرف عن الحركات التي يقوم بها بعض مخالفي آرائه ، أو عن التقلّصات التي تملو وجوه بعض آخر ، غير ملتفت الى الوريقات الصغيرة تتداولها بعض الايدي ، وفيها البيت أو البيتان من روائع « شعر البداهة » غمزا بالنحو والنحويين . وان أنسى لا أنسى يوماً وقعت بيده احدى تلك الوريقات ، فاذا به يبتسم متوجّها نحو مصدرها وهو يقول : رائع .. ولكن لو كان (كذا) بدل (كذا) لكان القول ابلغ .

كما اني لا أنسى يوماً قرأت فيه قطعة أدبية صنّعها المرحوم محمد كامل حسين ، صاحب « النحو المعقول » (١) ، فيها تهكم على النحويين وسخرية بأرائهم وتعقيداتهم ؛ ثم علمت بأن عباسا ، تفهده الله

(١) محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية (١٩٠١ - ١٩٧٧) كان أحد عباقرة العلم والأدب والنقد ، وكان جراحاً ماهراً وفيلسوفاً أدبياً ، وناقداً يؤمن بالعلم والحقيقة ، وكان يكره أساليب النحويين القديمة وتعليقاتهم ، له ، فضلاً عن كتابه « النحو المعقول » ، مؤلفات قيّمة من أهمها : « قرية ظالمة » و « التفسير البيولوجي للتاريخ » و « الوادي المقدس » و « الذكر الحكيم » و « وحدة المعرفة » و « متنوعات » .

بالرحمة والرضوان ، سبق ان اطلع عليها ، ولكنه لم يخرج عن قوله :
« سَامِحْهُ اللّٰه » .

كان فقيدنا ، رحمه الله ، يَحْلُقُ في اجوائه منفردا ؛ كان أُمَّةً
وحده . اجزل الله نوابه ، وعُوْضُ العربية خيرا .

دمشق في ١٩٧٩/٤/٥ .

د. عدنان الخطيب

« تين إيجرز » = « عَشْرُونَ »

جاء في مقال للزميل الدكتور ناصر الدين الاسد عنوانه :
« العشرينات والعشرينيات » ، ظهر في العدد الاول من هذه المجلة
(عدد كانون الثاني ١٩٧٨) في الصفحة ١٤٥ منه ، قوله : « إننا نحار في
اختيار كلمة عربية مقابلة لكلمة « تين إيجرز » الانكليزية .

وأنا مثله لا اعرف أن العرب استحدثوا قبل اليوم مصطلحا عربيا
يقابل هذا الاصطلاح الانكليزي ويؤدي معناه .

ولقد رَدَّ الزميل الاستاذ روكس بن زائد العزيزي في العدد
الثاني من المجلة (عدد تموز ١٩٧٨) في الصفحة ١٨٢ ، على مقال
الدكتور الاسد ، بأن « الارادنة يقولون ، وهم يذكرون الفتاة والفتى
في ما بين الحادية عشرة والتاسعة عشرة : بالَطْعَش ! » .

العامّة يقولون هذا حقا ؛ فالتضية محولة بالنسبة الى اللهجة
العامية ، لان هذا اللفظ موجود فيها ، فيقال : (ثلاث طُعْش - اربع
طُعْش - السخ) وليس في الاردن فقط ، بل في كل بلاد
الشام ؛ كما أن المصريين لا يختلفون في هذا كثيرا عن الاردنيين ،
اذ يقولون : (ثلاث طُعْش - اربع طُعْش .. السخ) . واما العربية
الفصيحة فليس فيها شيء من ذلك ، ولا يُعْقَل بأيّ حال أن تستفيد
من المصطلح العامي الثقيل على اللفظ والسمع . ولعل الاخ العزيزي
انما قصد في رده المداعبة ، ولم يكن جادا في ما قاله .

وقد خطر لي أن لفظة « عَشْرُونَ » يُمكن أن تؤدي المعنى بدقّة
ولطف معا ، قياسا على ما ذكره الدكتور الاسد نفسه في مقاله
المشار اليه ، عند تفسيره لقول الشاعر :

بُنْتُ مَشْرِ لَمْ تَعَانِقِ رُجُلًا صُورَ الْبَدْرُ عَلَى صَوْرَتِهَا

مقدِّعُ عَلَى ذَلِكَ قَائِلًا : « ان الشاعر لم يقصد الى تحديد سن العاشرة ... وانما اراد هذه السن التي تزدهر بين العاشرة والتاسعة عشرة » (ص ١٤٤/١٤٥) . وهذا حق ؛ فليس حتما أن تعني « العشرة » رقمها وحده ، بل يمكن أن تشمل بقية الاعداد المركبة . ولهذا يمكن أن نقول ببساطة : « هذا فتى عَشْرِيَّ » وهذه فتاة عَشْرِيَّة » ، ونحن نعني سن العشرات ، لا السنوات العشر فقط .

إذا جاز هذا — ولست أرى ما يمنع من جوازه — فإن أنسب لفظة عربيّة تقابل « تين ايجرز » الانكليزية هي « العَشْرِيَّون » ؛ وهذه لفظة سهلة ، يتقبلها الذوق ، وتدلّ على معناها دون غموض أو تعقيد أو جناء .

ومن الممكن أن تقترن أحيانا بالموصوف ، فيقال : « الْفُتَيَانُ الْعَشْرِيَّونَ » ، كما أن بقاءها وحدها يكفي للدلالة على المقصود ، لانه لا يمكن أن تُردّ إلا في جملة تدلّ على أن المقصود هو الْفُتَيَانُ والفتيات الذين هم في سن العشرات .

وقياسا على ذلك يُمكن أن يقال لِمَنْ هم في سن العشرينات أو الثلاثينات : (الْعَشْرِيَّيَّونَ ، أو الثلاثينيون ... الخ) ولمن هم في سن الثمانينات أو التسعينات : (الثَّمَانِيَّيَّونَ أو التسعينيّون) . ولعله ليس غريبا على اللفظ والذوق والسمع أن يقال : « شيخ ثمانينيّ » أو « شيخ تسعينيّ » ، دون تحديد للثمانين أو التسعين من عمره .

* * *

عيسى الناعوري

اقترح اسم عربي لمحصول الحبوب الجديد المسمى في اللغات الاجنبية : TRITICALE تريتيكالي

تريتيكالي هو اول محصول للحبوب يوجد الانسان عن طريق تهجين القمح Triticum من الشيلم Secale ؛ وتولّد الاسم لهذا المحصول الجديد Triticale من المقطع الاول والثاني للاسم العلمي للقمح Triticum ، والثاني والآخر للاسم العلمي للشيلم Secale . ودُرَج كثيرٌ من العرب المشتغلين في مجال علوم المحاصيل وتربية النبات على استعمال هذا الاسم الاجنبي . ولقد حاولت منذ مدّة ايجاد اسم عربي — يضاف الى لغتنا العربية التي نعتزّ بها جميعا — لهذا المحصول الجديد، باستعمال الطريقة نفسها تقريبا التي تولّد عنها الاسم الجديد في اللغات الاجنبية . وذلك بأخذ بعض المقاطع من كلمة (قمح) وكلمة (شيلم) وضمّها الى بعضها البعض .

واذا ما نظرنا الى كلمة (قمح) فانها تتكوّن في نظري من مقطعين: (قم) و (ح) ؛ أما كلمة (شيلم) فهي تتكون ايضا من مقطعين اثنين (شيل) و (لم) .

واذا ما افترضنا ان الاسم العربي الجديد الذي نبحت عنه لهذا المحصول لا بد ان يبدأ بالمقطع الاول من كلمة (قمح) او (شيلم) ، لان هذا هو الشيء المنطقي والسليم ، فان الاحتمالات المتوافرة لدينا عندئذ هي :

١ — قلم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح (قم) والآخر من كلمة شيلم (لم) .

٢ — قمشى ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح (قم) والاول من كلمة شيلم (شيل) .

٣ — شيح ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شيلم (شيل) والآخر من كلمة قمح (ح) .

٤ - شَيْقَم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شَيْقَم (شيم) والاول من كلمة قَمَح (قم) .

واذا ما استعرضنا هذه الاسماء العربية الاربعة المتولدة لدينا والمبينة اعلاه، من حيث سهولة النطق بها ووقتها على اذن السامع العربي، فاننا نجد ان :

١ - قَمَح : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٢ - قَمَشَى : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٣ - شَيْح : خفيفة على النطق وموسيقية ومستساغة ، غير ان لها عيبا كبيرا وهو انه عندما يساء نُطْقُهَا (بكسر حرف الشين) يحصل الالتباس بينها وبين اسم نبات آخر ينمو بَرِيًّا في بعض البلاد العربية وهو : شَيْح (نكرة) والشَّيْح (معرفا) .

٤ - شَيْقَم : اخف من كلمة قَمَح وقَمَشَى، ولها وقع موسيقي، ومستساغة ايضا ، مع عدم وجود الالتباس بينها وبين أي كلمة عربية أخرى .

وعليه فان : "شَيْقَم" هو احسن اسم عربي بين هذه الاسماء الاربعة يرثح لحصول الحبوب الجديد تريتيكالي Triticale

د. خيري الصغير

كلية الزراعة / جامعة الفتح

طرابلس / ليبيا

نمي عالم جليل

ينمي رئيس مجمع اللغة العربية الاردني واعضاء
المجمع زميلهم العالم الجليل المستشرق المجري :

الحاج عبد الكريم جرمانوس

الذي انتقل الى جوار ربه بعد أن تجاوز الخامسة
والتسمين من عمره . وكان المرحوم عضوا في مجامع
القاهرة ودمشق وبغداد، وفي عدّة مجامع علمية غربية وشرقية.



حاجه عبد الكريم جرمانوس

١٩٧٢م

مع المودة والاحترام

وإنّ المجمع الاردني اذ يعرب عن أسفه الشديد لفقد
هذا العالم الجليل والزميل الكريم ، ليتقدّم بتعازيه الى
أسرة الفقيد ، وإلى الحكومة المجريّة وجامعة بودابست .
تفمّده الله بواسع رحمته ورضوانه .

وانا لله وانا اليه راجعون .

المجمع العلمي الهندي

تلقى رئيس مجمع اللغة العربية الاردني رسالة من الدكتور مختار الدين أحمد ، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة عليكرة والامين العام للمجمع العلمي الهندي في عليكرة ، في الهند ، جاء فيها ما يلي :

« يُشرفنا ان نخبركم باننا هنا ، بجامعة عليكرة الاسلامية بالهند ، أسسنا مجمعا علميا عربيا باسم (المجمع العلمي الهندي) ، وأصدرنا مجلة علمية عربية باسم (مجلة المجمع العلمي الهندي) ؛ نتمنى وندعو الله ان تكون هذه الجلسة مجلة علمية أدبية خالصة ، وتكون همزة وصل بيننا وبين أبناء العروبة ، وتكون ملتقى الاقلام من علماء الشرق والغرب ، وتحمل لسواء اللغة العربية في القارة الهندية العظيمة . وقد صدر العدد الاول منها ، ونرجو ان يلحق به العدد الثاني في المستقبل القريب » .

ونحن نبارك للمجمع العلمي الهندي ، ونتمنى له الازدهار والعمل المثمر الناجح .



انتخاب اعضاء من المجمع الاردني اعضاء مراسلين في المجمع العلمي الهندي:

تلقى الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني ، والاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد ، عضو المجمع ، وعيسى الناعوري ، الامين المسام للمجمع ، رسائل من الدكتور مختار الدين أحمد ، الامين العام للمجمع العلمي الهندي في عليكرة ، يبلغهم فيها انتخابهم اعضاء مراسلين في المجمع العلمي الهندي . فللمجمع الشقيق خالص الشكر والتقدير .

المجمع العلمي العراقي

قرر المجمع العلمي العراقي في جلسته الثالثة التي عُقِدَتْ يوم الثلاثاء ١٢/١٦/١٣٩٩ هـ ، ٦/١١/١٩٧٩ م . ، انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية الاردني وجميع اعضاء المجمع ، وعددهم اثنا عشر عضوا ، اعضاء مؤازرين في المجمع العراقي الشقيق . وقد تُلْقَى كلٌّ منهم كتابا بهذا الصدد من الدكتور صالح احمد العلي ، رئيس المجمع .

والمجمع الاردني ، برئيسه وأعضائه ، يعزّز بهذا التقدير الكريم من المجمع العراقي الشقيق ، ويعتبر هذه البادرة تكريما يستحقّ اجمل الشكر وأعطر الثناء ؛ وهي ايضا مسؤولية علمية وأمانة في حمل رسالة اللغة العربية العزيزة بمزيد من الهمة والنشاط والغيرة ، لكي تعود لغة علم وحضارة في يومها مثلما كانت في أمسها الغابر المجيد .
وَمَقْنَنَا الله جميعا الى الخدمة المثلى للفتنسا وتراثها الغاليين .

* * *

من اجل تعريب التعليم العلمي الجامعي

صَدَرَ عن مجمع اللغة العربية الاردني اخيرا كتاب الرياضيات (حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية) ، تأليف سووكوفسكي وترجمة لجنة من اساتذة الجامعة الاردنية المختصين ، في مجلدين كبيرين . وهو الكتاب الاول من سلسلة الكتب العلمية الجامعية التي قام المجمع بترجمتها ونشرها ضمن حملته الرامية الى تعريب تدريس العلوم في الجامعات العربية . وقد أُرْسِلَ المجمعُ نسخة منه الى كل واحدة من الجامعات في الوطن العربي للعلم .

هذا وستُصدر قريباً كتب (الكيمياء — والبيولوجيا — والجيولوجيا) .

وأما كتاب الفيزياء فسيُتأخر بعض الوقت .

والمجمع يرجو ان تجد حُلَّتَهُ اصداءها المرجوة لدى الجامعات العربية الموقرة ، بعد ان اصبح تعريبُ التعليم العلمي ضرورةً ملحةً ، تستدعيها كرامة اللغة ، والحرصُ على دعمها .

* * *

تعريب المصطلحات

اتَّزَّعَ مجلس المجمع في الآونة الأخيرة المصطلحات العسكرية الخاصة بسلاح المدفعية ، وسلاح اللاسلكي ، واللوازم والنقل ، والتموين العسكري . وسينظر قريباً في مصطلحات سلاح الهندسة ، تمهيداً لإصدارها في معاجم خاصة ، لكل سلاح على حدة .

ولم ينسَ المجمع الجهد الكبير الذي بُذِلَ في وضع (المعجم الموحد) الذي اشتركت في وضعه الجامعة العربية ، والمجامع اللغوية والعلمية ؛ فهو جهد كبير يستحق التقدير والاحلال . غير أن جُهدَ المجمع قد اقتصر على الإضافات التي رآها الخبراء العسكريون الأردنيون ، وما ارتآه المجمع والخبراء من تصويبات لبعض المصطلحات الواردة في (المعجم الموحد) . وبذلك يكون جهد المجمع مكماً لجهد اللجان التي عملت في وضع المعجم الموحد .

ومن جهة أخرى ، فرغت اللجان الفنية في المجمع من حصر مصطلحات التعليم المهني والتقني ، في الزراعة والصناعة والتجارة ، من واقع الكتب المدرسية ، لترسلها بواسطة وزارة التربية والتعليم الأردنية الى المكتسب الدائم لتنسيق التعريب ، في الرباط ، لإدخالها ضمن برنامج عمل المؤتمر الرابع للتعريب الذي سيعقد عام ١٩٨٠ .

غير أن هذه المصطلحات عينها ستناقش في اللجنة العامة للمصطلحات والتعريب والمعاجم ، ثم في مجلس المجمع ، لوضعها في اللفظ الأدق والأسلم ، ثم إصدارها في معاجم مستقلة ضمن منشورات المجمع .



مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

السنة الثالثة

كانون الثاني - تموز ١٩٨٠ م.

العدد المزدوج ٧ - ٨

صفر - رمضان / ١٤٠٠ هـ.

مستمل

الصفحة

- ١ - تأهيل أعضاء هيئة التدريس للتدريس بالعربية
للدكتور عبد الكريم خليفة ٥
- ٢ - صناعة المعاجم والجدول المعجمي الكامل
للاستاذ نجيب اسكندر ٣٣
- ٣ - لو أخذ القوس غير بارها
للدكتور إبراهيم السامرائي ٤٨
- ٤ - العرب وتراث فارس في العصر الحديث
للدكتور يوسف حسين بكار ٦٤
- ٥ - كشف الخفاء في البيعة لعلي الرضا
للدكتور محمد ضيف الله بطاينه ١٠٥
- ٦ - موقف من يونس بن حبيب
للدكتور محمود حسنى محمود ١١٨
- ٧ - شاعر السمو زهير بن أبي سلمي
للدكتور عبد القادر الرباعي ١٥٢
- ١٧٧ تعليقات ومناقشات
- ١ - ذبول وملاحظات
للمهندس حاتم غنيم ١٧٨
- ٢ - عشريون ، مقابل قين إيجرز
للاستاذ أحمد الخطيب ١٨٣
- ٣ - حول كتاب حساب التفاضل والتكامل
للاستاذ حسن سعيد الكرمي ١٨٤

- ٤ - رد على حساب التفاضل والتكامل
 ١٨٧ للدكتور أحمد سعيدان
- ٥ - حول مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف
 ١٩٠ للاستاذ عبد الرازق الجزار
- ٦ - حول مصطلح « حاجز الخدمة » مقابل « كاونتر »
 ١٩٥ للمدير العام للبريد العراقي
 (ورد المجمع عليه)
- ١٩٨ أخبار جمعية
- ١ - أعضاء مؤازرون في مجمع اللغة العربية الاردني
 ١٩٩
- ٢ - مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة السابع والاربعون
 ٢٠٣
- ٣ - شفيق جبري في ذمة الله
 ٢٠٤
- ٤ - البطريك يعقوب الثالث والدكتور ميشيل خوري
 ٢٠٦ في ذمة الله
- ٢٠٧ المصطلحات

تأهيل أعضاء هيئة التدريس للتدريس بالعربية

للدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

قرّر مجلس اتحاد الجامعات العربية ، أن يكون الموضوع الرئيسي للمؤتمر العام الرابع للاتحاد هو « تعريب التعليم الجامعي » ، فكان هذا القرار معبرا عن النتائج والتوصيات التي انتهت اليها المؤتمرات والندوات العربية حول تعريب التعليم الجامعي .

منذ حوالي ثمانية عشر عاما ، وعلى وجه التحقيق في المدة الواقعة بين الثالث الى العاشر من شهر ايار (مايو) سنة ١٩٦١ ، اجتمع ممثلو الدول العربية في حلقة لدراسة مشكلات التعليم الجامعي في مدينة بنغازي ، وكان لي شرف المشاركة فيها ، وكنا اذ ذاك ، في الاردن ، نكافح من اجل تأسيس جامعة وطنية في بلدنا .

وقد صدر عن الحلقة توجيهات وتوصيات مهمة ، نتيجة دراسات موضوعية ، وبروح الانتماء الى امة واحدة ، تكون اللغة العربية الفصيحة مقوّمًا اساسيا من مقومات وجودها . وأود هنا أن ألفت عند بعض الاشارات فيما يتعلق بالتوصيات حول التعريب الجامعي ؛ فالاشارة الاولى تتمثل بالمبدأ ؛ اذ قررت الحلقة آنذاك أن التعريب وتدرّيس العلوم باللغسية العربية ضرورة علمية ، علاوة على أنه ضرورة قومية . . الى أن تقول : « هذا الى أن الفكر الاصيل لا يخلق في الامة إلا اذا كانت تعلم بلغتها ،

وتكتب وتؤلف بلغتها أيضا ... » (١) .

والإشارة الثانية التي أود أن أقف عندها أيضا ، هي اتفاق الحلقة بالاجماع على مبدأ تعريب التعليم الجامعي والعالي ؛ ثم خلصت من ذلك الى توصيات تتناول وسائل التنفيذ . وها انذا أشير الى توصيتين من التوصيات الخمس ؛ فقد نصّت التوصية الاولى على مايلي :

« أن تسرع الجامعات العربية بتعريب التعليم في كلياتها المختلفة

..... » وجاء في التوصية الخامسة ما يلي :

« العمل على توفير أمهات المراجع باللغة العربية ، وكذلك الدوريات العلمية ، واصدار المجلات الخاصة لنشر مختصرات عربية لكل البحوث الأجنبية المهمة » (٢) وتوالت المؤتمرات والندوات العلمية لدراسة مختلف مشكلات التعليم الجامعي والعالي وكان الراي دائما متّفقا على تعريب التعليم الجامعي والعالي في جميع كلياته .

ومنذ ذلك التاريخ أيضا تسارعت حركة تأسيس الجامعات فسي الوطن العربي ؛ ففي تلك الحلقة التي عقدت سنة ١٩٦١ ، لم يكن عدد الجامعات العربية المشتركة فيها يزيد عن عدد أصابع اليد الواحدة ، وفي الحلقة الثانية التي عقدت ببيروت سنة ١٩٦٤ ، شاركت سبع عشرة جامعة عربية من مختلف أرجاء الوطن العربي . وهكذا أخذ التعليم الجامعي يحتل مكانة حية في البناء الثقافي والاقتصادي في البلاد العربية ، في دور تحرّرها من نير الاستعمار المباشر . فازداد عدد الجامعات

١ - انظر : مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية ، الحلقة الأولى والثانية ص ٥٢ - ٥٨ .

٢ - انظر : مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية ، الحلقة الأولى والثانية ص ٥٢ - ٥٨ .

العربية . وقد بلغ أربعين جامعة ، كما ورد في دليل اتحاد الجامعات العربية المنشور سنة ١٩٧٦ ...

ان وطننا العربي بحاجة شديدة الى اعداد اخرى كثيرة من الجامعات والمعاهد ومؤسسات البحث العلمي ؛ ولكنني اود ان اتساءل فيما اذا كانت المستويات العلمية والانجازات المبدعة قد سائرت هذه الحركة المباركة من الانتشار الافرقي في التعليم الجامعي والعالي في وطننا العربي، وهو يخوض كفاحا مريرا للتغلب على مخلفات الاستعمار ، ومراكز نفوذه ، ومصالحه في مجال الثقافة والاجتماع، وكذلك في مجال الاقتصاد والسياسة ! .

لا شك ان المستويات العلمية العالية والانجازات المبدعة التي يجب ان يحققها التعليم الجامعي في الوطن العربي ما زالت بعيدة عن الواقع؛ وان من اهم اسباب هذه النتائج ، هو التردد والتلكؤ حتى الوقت الحاضر في تعريب التعليم العالي والجامعي .

فاذا نظرنا الى جوهر هذه القضية الحيوية ، التي تتصل اتصالا عضويا بكيان امتنا ونهضتها العلمية الاصلية ، وجدنا انها تتوقف على عاملين اساسيين : العامل الاول هو سياسة الدولة وادراكها اهمية التعريب في بنائها السياسي والاقتصادي والعلمي ؛ ولذا فان الدولة مدعوة الى اتخاذ قرار في اعلى مؤسساتها التشريعية ، يجسد ارادتها السياسية في تعريب التعليم الجامعي والعالي، في جميع ميادينه ومستوياته، وان تكون العربية الفصيحة لغة العلم والتقنيات والحضارة الحديثة .

اما العامل الثاني ، فهو عضو هيئة التدريس ، بل الانسان المعلم ، الركيزة الاساسية في بناء الامة . فقد اصبح من البدهيات القول ان التقدم يعتمد بصورة كبيرة على مميزات وقابليات اعضاء هيئة التدريس ، سواء اكانت مميزاتهم الانسانية ام التربوية والعلمية ام التقنية.

ونحن اذا اعتبرنا التربية حياة ونموًا ، تمتد بالانسان من المهد الى اللحد ، وتهدف دائما الى تطوير الشخصية الانسانية ، وتسمى الى التقدم الروحي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع ، نجد الانسان المعلم محور هذه العملية . وان من عوامل هذا التقدم في مجتمعنا العربي استخدام اللغة القومية للتعبير عن جميع حاجاتنا الحضارية ، وعن حصيلة ما وصل اليه الانسان في جميع مجالات العلوم والتقنيات الحديثة . وسنقتصر في بحثنا هذا على جانب مهم واحد من جوانب هذه القضية الخطيرة ؛ وهذا الجانب يتمثل بكيفية تأهيل عضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية ، لكي يصبح قادرا على استخدام اللغة العربية في التدريس والتأليف والبحث .

ربما كان من المفيد أن ننطلق من واقعنا في الجامعات العربية ، لكي نستشرف المستقبل ، مستفيدين من تجاربنا وخبرائنا ، وكذلك من تجارب الأمم الاخرى التي سبقتنا في هذا المضمار .

فاذا اخذنا احصائية ١٩٧٦ ، كما وردت في دليل اتحاد الجامعات العربية ، وجدنا ان ثمة أربعين جامعة عربية ، تفرّدت من بينها الجامعات السورية ، وعلى رأسها جامعة دمشق منذ أكثر من خمسين عاما ، بتدريس جميع العلوم والفنون في مختلف الكليات الجامعية باللغة العربية ؛ وأن العلوم الانسانية قد سجّلت نجاحا كبيرا في التعريب في كثير من جامعاتنا ، وان كان الامر لا يخلو من نكسات مؤسفة ، لا يمكن أن نجد لها مبررا في مجال العلم والمنطق والمصلحة الوطنية . اما من حيث اللغة العربية ، فإخالفنا قد انتقمنا منذ زمن بعيد على أن القضية لا تتعلق باللغة العربية من حيث هي لغة ، ولكنها تتعلق بعوامل أخرى غريبة عن مصلحة الأمة ، كما هي غريبة عن لغتها وتراثها .

إن نظرة شاملة للكفايات العلمية العالية التي يتمتع بها كثير من

علمائنا من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية ، تشير الى تعدد المصادر الثقافية والعلمية التي تشارك في التكوين العلمي والثقافي لكثير من هؤلاء العلماء ؟ فثمة أعضاء هيئة تدريس انهوا دراساتهم في جامعات امريكية وروسية وبريطانية وفرنسية والمانية وايطالية ، فضلا عن الجامعات الاخرى من اسبانية ورومانية وبولونية ويوغوسلافية وغيرها ..

فاذا كانت الفترة الاستعمارية حتى الحرب العالمية الثانية وبعيدها بقليل ، قد جعلت مشرق البلاد العربية منطقة مغلقة على اللغة الانجليزية، ومغربها منطقة مغلقة على اللغة الفرنسية ، مع انعكاس هذا الوضع على لغة التعليم الجامعي وغيره ، فان هذا الامر لم يعد قائما ، بل أصبح كثيرا ما يدعو للسطحية والسخرية . فكيف نطلب من خريج هذه الجامعات المشهورة في المانيا او روسيا او غيرها ان يدرس باللغة الانجليزية ، مثلا ، معتمدا على ماتبقى عنده من تعلمه في المرحلة الثانوية .. في حين يفترض فيه العجز سلفا في التعبير بلغته القومية التي رضعها مع لبنان امه ، وتعلمها وتعلم بها في كثير من مراحل التدريس ؟.....؟

بل قد يصل الامر الى حال من السخرية عجيبة .. فكيف يمكن لهذا المدرس الجامعي الذي نال جميع شهاداته باللغة البولونية او الروسية او الالمانية، مثلا، ان يدرس بالانجليزية !! ولكي يمين للتدريس بكليسة تدريس باللغة الانجليزية ، تؤمده هذه الجامعة او تلك الى بلد ناطق بالانجليزية لكي يعود ليدرس باللغة الانجليزية !! في حين تنكر عليه حق التعبير بلغته القومية التي نشأ وترعرع في أفيائها !!

نريد من هذه الاشارة العابرة ان نخلص الى القول ان مصادرنا في تكوين أعضاء هيئة التدريس في جامعاتنا باتت متعددة ومتنوعة ، وإن الحل الوحيد الذي لا ثاني له في مواجهة هذا الوضع هو جعل « اللغة العربية » لغة البحث والتدريس في جميع هذه الجامعات ، وبين جميع هؤلاء العلماء من أعضاء هيئة التدريس .

فاذا سلّمنا بالقيمة التي يشغلها الانسان من حيث هو محور كل عملية تربوية ، فان من أهم العوامل التي تُعيق الانطلاق في عملية « التعريب الجامعي » هي هذه الحرب النفسية التي تشنّها وسائل الاعلام المختلفة من الخارج والداخل ، تدعمها سياسات معيّنة تكون نتيجتها احياء عدم الثقة بالنفس ، وتكون العقدة أمام تفوق الاجنبي ، فتعكس هذه القيم على ضعف عضو هيئة التدريس باللغة العربية ، او كسله ، وهو المختص بمادته العلمية ، عن بذل الجهد في التعريب ، واتصاله بالجذور التاريخية لهذه العلوم الحديثة ، من خلال التعرف على نصوص هذا التراث العلمي . وربما دفعته هذه الحال من عدم الثقة بالنفس الى استعلائه على مواطنيه ، بهجره لغتهم الى التحلق بكلمات وسمابر اجنبية .

ان القناعة بضرورة التعريب ، ووجود الدوافع الكافية بين أعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي والجامعي ، من أجل بذل الجهد اللازم للتعريب ، شرطان أساسيان لكي نضمن نجاح اي برنامج يهدف الى جعل اللغة العربية لغة التدريس والبحث العلمي في جميع مجالات العلوم . ولذا فان عقد المؤتمرات، واقامة الندوات ، واثارة الحوار حول قضايا التعريب ومشكلاته ووسائله ، في جميع الاقطار العربية ، بل في جميع المؤسسات العلمية والجامعية ، يساعد كثيرا في التغلب على هذه الرواسب النفسية .

وان معظم هذه الحرب النفسية يتّجه الى طبيعة المستوى العلمي، واطلاق التحذيرات من ضعفه ، والاتحادار في هاوية التخلف اذا ما انتقل عضو هيئة التدريس الى التعليم باللغة العربية .

ان عضو هيئة التدريس الذي يستوعب مادة تدريسه ، ويحقق مستوى علميا ممتازا في تدريسه الجامعي بلغة اجنبية ، سيرتفع مستوى

تدريسه عندما يعبر باللغة العربية ، لغته القومية ؛ والسبب في ذلك انه بحاجة اولا الى استيعاب المضمون في مصادره الاجنبية ، وفهمه وهضمه ، ثم التعبير عنه باللغة العربية .

فكيف يمكن ان يهبط المستوى اذا كان الشخص نفسه ينتقل من التدريس بلغة اجنبية الى التدريس بلغته العربية ؟ فهو في مثل هذه الحال يرى ان من واجبه ان يستوعب المصطلحات والمفاهيم التي وردت عند المؤلف ، وان يستبدل بها صيغا بلغته العربية ؛ وفي ذلك ما فيه من عملية ذهنية نشطة مبدعة ؛ في حين ان عضو هيئة التدريس الذي يدرس بلغة اجنبية ، قد تجذبه المادة الجاهزة ، ويميل به الكسل الى تكرارها دون ان يتقهم دقائقها تفهما عميقا . ونحن اذ نتحدث في هذا الباب عن « تعريب التعليم الجامعي » فانتنا نعني به العمق والاصالة ، وننأى به عن ان يكون مجرد ترجمة سريعة رديئة قد يقوم بها غير المؤهلين لممارستها .

ويطيب لي في هذا الصدد ان استشهد بتجربة خاصة في العلوم الهندسية خاضها الاستاذ الدكتور علي محمد كامل ، وسردها في حديثه عن « تعريب العلوم الهندسية في جامعة عين شمس » ، الذي القاه في مؤتمر تعريب التعليم الجامعي المنعقد في بغداد من الرابع الى السابع من شهر آذار ١٩٧٨ . والاستاذ — حياه الله — كان قد حصل على الدكتوراه في الهندسة من انجلترا، يقول :

« مضى عليّ عقد من الزمان وانا ازاول التدريس بالخليط العربي الانجليزي ، قبل ان استجمع عزمي — وقد اصبحت استاذ المادة التي ادرسها ، ورئيس القسم الذي اعمل به ، وهو قسم هندسة الطاقة بكلية الهندسة بجامعة عين شمس في القاهرة — واستندت الى نص قانون الجامعة الذي يعتبر العربية لغة التدريس ، ما لم تكن هناك عقبات في سبيل ذلك . وخطوت نحو التعريب الكامل للمحاضرة ، فلم

أجد العقبات التي كان بعض الناس يتصورها .

فكثير من المصطلحات كان متداولاً ، وإن احتاج بعضه الى شيء من التهذيب ، وغيرها كانت تحتويه المعاجم ، وإن اعتراه بعض التشبث ؛ أما الباقي فقد افادتني خبرة التدريس لعشر سنوات خلت في الوثوق من معناه الى درجة تؤدي في يسر الى اختيار اللفظ العربي الصالح لتأديته .

وكان عليّ أن أعود اتباع الأسلوب العلمي الصارم في التعبير . . حتى اصل من أقرب الطرق وأوضحها الى اذهان الدارسين ، فأنقل اليهم المفاهيم في ترتيب منطقي سلس . « (٣) .

وثمة تجارب أخرى كثيرة في هذا الصدد ؛ وإن أكبر مثال وأوضحه تلك التجربة الجماعية الخصبة التي توّفرها لنا جامعة دمشق واساتذتها منذ أكثر من خمسين عاماً . فقد انطلق هؤلاء الاساتذة الاعلام ، بمجهوداتهم الفردية والجماعية أحياناً ، وفي إطار ظروف صعبة وإمكانات مادية محدودة ، للتعبير في محاضراتهم الجامعية ، وفي ترجماتهم ومؤلفاتهم وبحوثهم . . . هذا مع العلم أنهم قد تكوّنوا في الأصل علمياً في جامعات أجنبية .

لا أحد يزعم أن هؤلاء الرواد في النهضة الحديثة لم يواجهوا مشكلات حقيقية ؛ بل على النقيض من ذلك ، فقد واجهوا وما زالوا يواجهون — تحديات صعبة في مجال إلقاء المحاضرات باللغة العربية . والمحاضر في حقيقة الأمر يقوم بنقل العلم من اللغة التي تعلّم بها الى اللغة العربية ، من خلال عملية ترجمة فكرية ، ومجهود علمي عقلي مبدع في اختيار الصيغ ، وتركيب الجمل باللغة العربية ، لتأدية تلك المعارف والمفاهيم ،

٢ — تجربة في العلوم الهندسية ، الدكتور علي محمد كامل ، ص ٢ — ٤ .

وبالتالي للوقوع على المصطلحات العلمية .

لاشك أن ممارسة التدريس الجامعي والبحث العلمي والتأليف باللغة العربية هي الطريق الوحيد الذي يضعنا على بداية الطريق في تنفيذ سياسة التعريب التي يجب أن تتبناها الدولة ؛ فمن خلال هذه الممارسة يستطيع أعضاء هيئة التدريس ايجاد المصطلحات العلمية ، والوصول الى الصيغ اللغوية العلمية ، مستفيدين من الانجازات العظيمة التي بُذلت في بعض الجامعات العربية وفي الجامعات اللغوية العربية . وثمة تجربة متواضعة قام بها مجمع اللغة العربية الاردني : فقد قام ، ضمن امكانياته المادية المحدودة ، بمشروع ترجمة الكتب العلمية الاساسية التي تُدرّس في السنة الاولى في الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك . فاختار احدث الكتب العلمية التي تُدرّس في الجامعات الاجنبية في مجال الرياضيات والكيمياء والاحياء والجيولوجيا والفيزياء ، وشكّل لجانا من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين الذين يقومون بالتدريس الجامعي في هاتين الجامعتين ، وجميعهم من الاساتذة النابهين الذين تخصصوا في الجامعات الأجنبية . وخلال بضعة اشهر أنجزت الترجمة ، ودفعت معظم المشاريع الى الطباعة . وقد استفاد هؤلاء الاخوة من جميع الجهود الخيرة التي بُذلت في الجامعات والجامع اللغوية العربية ، ومن المؤلفات والترجمات التي وُضعت باللغة العربية . حدثني احد هؤلاء المتخصصين النابهين ، وقد اتم جميع دراساته الجامعية في الفيزياء في انجلترا ، انه وقف أمام بعض المصطلحات ، ولم يكن امامه الا أن يأخذ اللفظة الاعجمية بأصواتها الناشزة كما هي ، او أن يأخذ ترجمة التعبير الى اللغة العربية . ثم قال : وفي اثناء مطالعته لمقال في هذا المجال في مجلة « المتكطف » ١٩٣٠ ... كانت فرحته عظيمة حين وجد كاتب المقال يستعمل لفظة « حَشَك » للتعبير عن المدلول المطلوب ، فاستعملها هو ... لقد حدثني بذلك للتندر ، لأن هذه اللفظة ببدلولها المحدد ، شائعة وذائعة في لغة العامة عندنا ...

وعلى كل فهي كلمة معجمية نصيحة .

وتجربة مجمعنا تجربة متواضعة ، نرجو أن تكون بداية طريق للنجاح في تعريب التعليم الجامعي ، وبالتالي جعل اللغة العربية لغة التدريس والبحث والتأليف دون تأخير ودون تردد .

لقد أوردت هذه الأمثلة السابقة لكي أخلص إلى القول : إن عملية تعريب العلوم ، وجعل اللغة العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي والتأليف المبدع ، إنما هي عملية تنمو وتتقدم عبر الممارسة الفعلية والتنسيق المستمر بين ذوي الاختصاص العلمي في جميع الجامعات العربية ، ومؤسسات البحوث العلمية ، والجامع اللغوية العربية .

كل ذلك يجري في تفاعل مستمر من أجل التهذيب والتثقيف والتصحيح ، من أجل مسايرة اللغة العربية لجميع متطلبات الحضارة الإنسانية الحديثة . فهي عملية حية نامية، وسر حياتها يكمن في الاستعمال والتطبيق والممارسة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، وتنمو بالتطبيق والممارسة ، ولاتحيا في بطون الكتب وفهارس المعجمات . وفي هذه العملية يمثل عضو هيئة التدريس المكانة الأولى من حيث الفاعلية والتطبيق .

الثورة العلمية والتعريب

لقد أصبح من الحقائق الثابتة القول : إن العلاقة بين التنمية والتربية والتعليم العالي والجامعي عميقة وجوهرية ؛ وأن كل توسع في هذا المجال من التعليم يجب أن يتم في ضوء حاجات القوى العاملة ، وحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الحاضر وفي المستقبل ، وذلك ضمن الأهداف الإنسانية الرفيعة التي تهدف إلى رقي الفكر الإنساني والحضارة الإنسانية في جميع جوانبها .

وقد رأينا كثيرا من الدول الحديثة التي اجتازت مرحلة التخلف ، ودخلت مضمار الثورة العلمية ، كاليابان في أوائل القرن العشرين ، والصين

الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين ، قد رفعت لواء العلم لل تنمية وللمجتمع . ومن البدهيات أن تدخل هاتان الامتان وغيرهما من الأمم الحديثة مضمار هذه الثورة العلمية من خلال اللغات القومية . وما كان من الممكن مطلقا أن تصل اليابان الى ماوصلت اليه من ذروة العلم والتقنيات الحديثة إلا من خلال لغتها اليابانية ؛ وكذلك القول في الصين ، وقد ورثت قرونا ثقيلة من التخلف ، تراكت على إرثها القديم من حضارة انسانية عريقة في القدم .

وكانت هذه الامم قد اعادت النظر في جميع أنظمتها الجامعية والتربوية ، ووضعت خططا بعيدة المدى وأخرى قصيرة المدى ، أخذة بعين الاعتبار ما تتطلبه التحولات الجذرية في الثورة العلمية ، سواء منها ما يتعلق بسيطرة الآلة والتسيير الذاتي ، أم مايتعلق بالمكانة الخاصة التي يحتلها البحث العلمي من حيث هو عنصر اساسي في زيادة الانتاجية . ولا شك أن هذا الاتجاه الجديد يحتم على النظام التربوي أن يعد أنماطا جديدة من الاختصاصيين والفنيين ؛ وفي طليعة هؤلاء يأتي الاختصاصيون بالصناعات الالكترونية ، والعلماء الباحثون في ميادين الكيمياء وعلم الحياة والذرة بصورة خاصة ، وكذلك الفنيون الخبراء بالوسائل الحديثة في الادارة والتسيير والتنظيم بصورة عامة (٤) .

وفي جميع الاحوال كانت اللغة القومية المنطلق الاساسي الذي تنطلق منه هذه الامم جميعها في ثورتها العلمية . فما كان لشعار « العلم للتنمية وللمجتمع » أن يكون له معنى خارج اللغة القومية ، وسيلة للتعبير ، ومقوما من مقومات فكرها الابداعي وهويتها المميزة . ولذا رأينا التأهيل اللغوي لأعضاء هيئة التدريس وغيرهم من الباحثين والفنيين في مجال التخطيط يحتل مكانة خاصة في برامج الإعداد والتدريب المستمر .

٤ - انظر : التربية في البلاد العربية ، الدكتور عبد الله عبد الدائم ، ص ٢٢٢ .

وهكذا نستطيع القول : ان الثورة العلمية قد أدت الى تعميق مفهوم التربية المستمرة او الدائمة في حياة الانسان ، وفي حياة الجامعات والمؤسسات العلمية والحضارية المختلفة .

وما كان لهذا المفهوم التربوي ، ان تكون له آثاره العلمية والحضارية بمعزل عن اللغة القومية .

ونحن اذا وجهنا نظرنا صوب مجتمعنا العربي ، وبصورة خاصة صوب جامعاتنا العربية ، حيث يكون اعضاء هيئة التدريس جوهر وجودها ، وجدنا اننا بالفعل امام ثورة علمية لابد قادمة ، لكي تزيل ما تراكم من غبار القرون في التخلف والجهل ، وتصهر من جديد ما تراكم من مخلفات الاستعمار ، لكي تزيل الاوشاب ، ويظهر من جديد عنصر هذه الامسة سليماً نقياً ، لكي تعاود مسيرتها المبدعة في ركب العلم والحضارة الانسانية .

ان التعريب ، او استعمال اللغة العربية في التدريس الجامعي في جميع مستوياته ومجالاته ، وفي البحث العلمي والتقنيات الحديثة ، هو القاعدة الاساسية التي تُبنى عليها ركائز هذه الثورة العلمية المقبلة إن شاء الله . ومن دون ذلك يصبح كل تخطيط لا معنى له ، لانه يكون قد خالف طبائع الاشياء ، ونواميس التقدم والرفي . وفي مجال هذا التخطيط ، يهّمننا في هذا البحث جانب واحد من جوانب قضية التعريب ، هو الجانب الذي يتعلق بكيفية الوصول بعضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية ، ولاسيما في الكليات العلمية ، الى المستوى اللغوي اللائق ، لكي يستطيع ان يتكلم ويكتب بلغته العربية بشكل سليم ، وان كان الهدف البعيد الذي يجب ان تسعى اليه جامعاتنا العربية هو ان يكون المتخصص في اي علم من العلوم على معرفة واسعة باللغة العربية ، التي جانب اتقان لغة او لغتين من اللغات العالمية الحية .

لابد لكل تخطيط ناجح يهدف الى تأهيل اعضاء هيئة التدريس

وجعلهم قادرين على استعمال اللغة العربية في محاضراتهم وابعائهم، ان يرتكز على منطلقات الواقع وما يستشرفه من مستقبل يتطلع اليه ؛ سواء اكان ذلك في مجال بناء خطة بعيدة المدى ، أم خطة قصيرة الاجل ، تهدف الى معالجة قضايا التحول وفترات الانتقال . وربما كان من المفيد ان لاندخل في جزئيات هذا التخطيط ، الذي لابد ان يتأثر بالظروف والاحوال المختلفة في كل قطر من اقطار العروبة ، وانما نعالج الموضوع من حيث المنطلقات العامة التي تقيد مبادئ واهداف ، أصبحت تعتبرها أمّتنا من المسلمّات التربوية في بنائها الحضاري والقومي والانساني .

يمكن ان ننظر الى موضوع إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا على مرحلتين : فالمرحلة الاولى تشمل إعدادهم قبل العمل الجامعي ، والمرحلة الثانية تتناول إعدادهم في اثناء الخدمة والعمل الجامعي .

إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا قبل العمل الجامعي :

لا يخفى على كل مهتم بقضايا اللغة العربية ان يسجل حقائق محزنة في مجال ضعف المثقفين العرب ، والمتخصصين منهم في شتى العلوم في لغتهم العربية . وقد يصل هذا الضعف ، مع الاسف ، الى بعض المتخصصين في اللغة العربية ، وليس من مهمتنا في هذا البحث أن نستبين أسباب الضعف وطرق العلاج ، فقد أقيمت ندوات في هذا الموضوع ، ووضعت توصيات مهمة ، ولكنها مع الاسف تنتظر طريقها الى التنفيذ ... ولكن ما نود أن نشير اليه ، هو أننا لا نستطيع أن نبحت في ضعف أعضاء هيئة التدريس الجامعيين في اللغة العربية بمعزل عن ضعف طلابهم في لغتهم القومية ، وبمعزل عن أسباب الضعف المتراكمة في تعليم هذه اللغة منذ الطفولة ، وعبر المدرسة : بمراحلها الابتدائية والاعدادية والثانوية . بل لانستطيع أن نبحت في ضعف أعضاء هيئة التدريس باللغة العربية بمعزل أيضا عن ضعف الطلبة الجامعيين في هذه

وهكذا لابد من اعادة النظر بصورة جذرية في تعليم اللغة العربية في جميع مراحل الدراسة ، من حيث أساليب تدريس اللغة العربية ، واستخدام التقنيات الحديثة في التربية ، ومن حيث الكتاب المدرسي ، مادة وطباعة واخراجا ، ومن حيث المنهاج في مرونته وشموله وقابليته لمسيرة حجم المعارف الأساسية المتسارعة في نموها ... وقبل ذلك كله ، العمل على اعداد المعلم الناجح اعدادا خلقيا وعلميا ومهنيا .

ان مرحلة الاعداد الاولى هذه تتطلب ، من حيث الاساس ، رعاية اللغة العربية في مراحل الطفولة ، نطقا وتعبيرا وتذوقا ، وان تكون هذه الرعاية احدى المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها سياسة الدولة التربوية . فلو القينا نظرة على مدارسنا الابتدائية والاعدادية والثانوية ، في الاقطار العربية التي درجت على التعليم باللغة العربية في جميع هذه المراحل ، ومنذ خمسين عاما تقريبا ... وسألنا انفسنا : هل نحن نعلم حقيقة باللغة العربية في هذه المراحل ؟ ونحن اذا نتحدث عن اللغة العربية لانعني بطبيعة الحال سوى اللغة الفصيحة ، لغة القرآن الكريم ، العامل الابدي في وحدة امتنا ووجود كيانها .

وفي الجواب عن هذا السؤال ، نسارع فنقول : مع الاسف كلا ، فان اللغة التي نعلم بها جميع المواد في هذه المراحل المعربة قانونا وعرفا ، هي خليط من اللغة الفصيحة والعامية ؛ وقد يتعدى الامر ذلك في بعض الاحيان ، لكي نرى مدرسي اللغة العربية يدرسون (النحو) باللغة العامية ، او بهذا الخليط المستهجن من المفردات والتعابير ... فرعاية اللغة العربية في المراحل التعليمية الثلاث : الابتدائية والاعدادية والثانوية ، والاهتمام بتطوير برامجها التدريسية ووسائلها التعليمية ، ضرورة أساسية ، يجب ان توضع في مقدمة الموضوعات التي يجب ان

تهتم بها الدولة في سياستها التربوية والتعليمية . ولا شك أن العناية باللغة العربية على هذه الشاكلة ، واستخدام اللغة الفصيحة في تدريس جميع المواد ، وفي تلك المراحل التعليمية التي تسبق التعليم الجامعي ، ضرورة أساسية في البناء اللغوي السليم لجميع الذين ينهون الدراسة الثانوية ، سواء منهم الذين يخرجون للحياة العملية أم أولئك الذين يلتحقون بالمعاهد المهنية أو الجامعات .

فالاعداد اللغوي في هذه المرحلة قبل التعليم الجامعي ، يشكّل الأساس المهم في تأهيل هؤلاء الذين سيواصلون دراساتهم ، وبالتالي صبحون في المستقبل الهيئة التدريسية في الجامعات . ونحن نؤلي هذه المرحلة أهمية كبرى في الاعداد اللغوي ، وذلك لأهمية المرحلة التربوية التي يجتازها الفرد في تكوينه العقلي والعاطفي ، ولأن بعض هؤلاء النابهين قد يلتحقون مباشرة بجامعات أجنبية في الخارج، حيث يحصلون على جميع درجاتهم العلمية . وفي مثل هذه الحال يصبح إعدادهم اللغوي حتى نهاية المرحلة الثانوية ، ركيزة سليمة في نقل العلوم والمعارف التي يتعلمونها باللغة الأجنبية الى اللغة العربية .

أما المرحلة الثانية في الاعداد اللغوي لأعضاء هيئة التدريس ، فتتمثل في التركيز على ضرورة رفع مستوى الطالب الجامعي في اللغة العربية ، وذلك عن طريق وضع مناهج متطورة وبرامج تدريسية لتعلم اللغة ، والتركيز على قواعد الأساسية ، وجعل محور هذا البرنامج الممارسة الفعلية في مجالات التخصص العلمي بكفاية وفعالية . فمعظم أعضاء هيئة التدريس سيكونون ممن أنهوا دراساتهم الجامعية الأولى في جامعات عربية ، وحصلوا على درجاتهم الجامعية العليا المتخصصة من جامعات أجنبية . ولذا فإن الاهتمام برفع مستوى الطالب الجامعي ، بصورة عامة ، باللغة العربية ، هدف أساسي يجب أن تحقّقه جامعاتنا العربية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن هذا التعليم الجامعي هو الذي يُبَدِّ التعليم الاعدادي والثانوي ، غالبا ، بالمدرسين . ومن هنا نرى مدى العلاقة الجوهرية بين التعليم الثانوي والتعليم الجامعي والعالي ، ولاسيما في مجال التعريب والعناية باللغة العربية .

فالتعريب ، من حيث هو استخدام اللغة العربية لغة للتدريس في جميع العلوم ، والعناية باللغة العربية السليمة ، من حيث الممارسة وفهم قواعدها النحوية والصرفية الأساسية ، واستيعاب متطلباتها كل ذلك يكون وحدة متكاملة تؤثر للطالب الجامعي الحد الأدنى لفهم الحقائق العلمية ، وإدراك المعارف المختلفة ، والتعبير عنها بسهولة ويسر . وفي جميع الأحوال ، نحن نعتقد أن دراسة النصوص العربية المختارة يجب أن تكون محور هذه الدراسة في جميع الكليات والأقسام العلمية .

ونحن في هذا البحث لا نريد أن نعالج جزئيات هذا المنهج الذي يمكن أن يكون أساسا في النهوض بمستوى الطالب الجامعي في اللغة العربية ؛ ولكن من المفروض أن تحدّد الجامعة مستوى معينا في اللغة العربية يجب أن يجتازه جميع طلبة الجامعة ، مهما كانت تخصصاتهم . ولا شك أن مثل هذه الدراسة لن تكون هامشية ، بل يجب أن تؤدي إلى رفع مستوى الطلبة العلمي ، وزيادة كفاياتهم في فروع تخصصاتهم ؛ فقد يشترط كثير من الجامعات المريقة في البلاد المتقدمة ، عند استخدام عضو هيئة التدريس ، أن يجتاز مستوى معينا في اللغة التي سيدرس بها . وما أوجنا في الجامعات العربية إلى تطبيق هذه السياسة ، على أن ندعمها بتنظيم برامج معينة في الدراسات العليا تهدف إلى تأهيل عضو هيئة التدريس الجامعي المرتقب ، لكي يصبح قادرا على استخدام اللغة العربية في مجال تخصصه ، تدريسا وبحثا وتأليفا ، وأن يؤخذ هذا البرنامج بالتقدير والاعتبار عند تعيين عضو هيئة التدريس في الجامعة .

إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا في أثناء الخدمة

ربما يمضي وقت طويل قبل أن نصل الى تحقيق أهدافنا في مختلف المراحل التعليمية : قبل المرحلة الجامعية منها ، وخلالها ، وما يتبعها من دراسات عليا . وليس في متدورنا أن نضمن ، في المستقبل المنظور ، أن اية نسبة كبيرة من طلاب الدراسات العليا سيستفيدون من هذه البرامج والخبرات للتأهيل باللغة العربية . ومهما يكن من أمر ، فإن الحقيقة الواقعة تنبئ بأن نسبة كبيرة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات في الوقت الحاضر ، ولو قد يطول في المستقبل ، ستكون من هؤلاء الذين قد تم استخدامهم في الكليات والمعاهد والجامعات . وإذا انطلقنا من واقعنا المرير ، حيث يشكو أعضاء هيئة التدريس من الضعف في اللغة العربية ، فأننا نخلص الى القول : انه من الواجب ، مع البدء بعملية التثريب عن طريق الممارسة الفعلية ، أن تقوم كل جامعة ، بل كل كلية وكل قسم مختص فيها ، بتخطيط برنامج يكفل رفع مستوى أعضاء هيئة التدريس في اللغة العربية ، وتدريبهم أثناء الخدمة ، لكي يتمكنوا من استكمال العربية لغة للتدريس والبحث العلمي .

لقد اشترطت معظم الجامعات ، عند تعيين عضو هيئة التدريس فيها ، أن يكون حاصلا على شهادة الدكتوراه في مجال تخصصه ، ثم وضعت شروطا معينة في الانجازات العلمية والبحث العلمي من أجل الترقية من مرتبة الى أخرى ولكن أمام حجم المعارف الأساسية الذي يتزايد كل يوم ، وأمام هذا التسارع الهائل في تطور العلوم ، ولاسيما العلوم التطبيقية والنظرية البحتة ، باتت الجامعات والمؤسسات العلمية مدعوة لأن تخطط برامج محددة ، موجهة لأعضاء هيئة التدريس ، من أجل تجديد معلوماتهم وزيادة فعاليتهم ، وأن لا تترك هذا الموضوع الخطير لقواعد وشكليات جامعية قد تجاوزت مرحلتها التاريخية . ففي الوقت

الذي تشير فيه الاحصائيات ، مثلا ، الى أن بعض العلوم الهندسية تتبدل كليا كل عشر سنوات ، وأخرى كل خمس عشرة سنة ، ولا تستطيع هذه الجامعات وتلك المؤسسات العلمية أن تقف جامدة في اطار قواعد وأنظمة قد تجاوزها الزمن . هذا كله يستلزم عملية دؤوبا هادفة ، من شأنها أن تجعل أعضاء هيئة التدريس يسايرون التطورات الجديدة والنظريات العلمية الحديثة في مجال تخصصاتهم ، وبالتالي تؤدي الى تعديل مستمر للمناهج ، وتبديل مبدع للكتب المعتمدة في جميع هذه العلوم .

ان من ضرورات الثورة العلمية المرتقبة أن تتجاوز جامعاتنا العربية هذا الاطار التقليدي من القواعد والأنظمة ، التي أخذ معظمها تقليدا لجامعات اجنبية قد تجاوزت ظروفنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وان ماتطبقه من هذه التركة يأتي في كثير من الأحيان مشوها لا هوية له . وكيف يمكن للتقليد أن يرقى الى درجة الاصاله ، حتى لو حسنت النيات وأخلص القائمون على التنفيذ . فلا بد للجامعات العربية ان، من أجل قيامها بدورها التاريخي في نهضة هذه الأمة ، من أن تخطط وتنفذ ، بفعالية وبمستوى رفيع ، برامج علمية ولغوية وتربوية تهدف الى تهيئة أعضاء هيئة التدريس الجدد في الجامعة ، من ناحية ، والى نموّ مزدهر ومستمر لقدرات أعضاء هيئة التدريس القدامى من جهة أخرى . ولا شك ان هذا الوضع هو ترجمة عملية لمفهوم التربية المستمرة ، او الدائمة ، في عصر هذه الثورة العلمية . وان هذه الحياة العلمية المتسارعة لمسي نموّها وتطوّرها لا يمكن ان تكتسب أصالتها في امتنا العربية إلاّ من خلال لغتنا القومية .

وفي هذا الاطار من التخطيط الشامل للتدريب المستمر في اثناء الخدمة الجامعية لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة ، يأتي دور وضع برنامج مستمر لتأهيل أعضاء هيئة التدريس كي يصبحوا قادرين على

التدريس والبحث العلمي والتأليف باللغة العربية في أثناء خدمتهم . ونحن نعتقد أن مثل هذا البرنامج يجب أن يُعدَّ إعداداً على أسس علمية سليمة ، وفق ما وصل إليه العلم الحديث في النظريات اللغوية والتربوية ؛ وإن التطور السريع في وسائل التقنية لتعليم اللغات ، لابد أن يغني هذا البرنامج ، ويزيد من فعالياته وحيويته .

وربما كان من الواجب أن يركز التخطيط لهذا البرنامج على منطلقات تمثل سياسة تربوية ثابتة للدولة ، في مبدأ جعل اللغة العربية لغة البحث والتدريس في التعليم الجامعي في مختلف مستوياته ومجالاته . وإن كل خطة تهدف إلى التدريس باللغة العربية، وتهيئة عضو هيئة التدريس علمياً ونفسياً ، وتدريبه المستمر في أثناء الخدمة ، يجب أن تحقق ما نصبو إليه من المستوى العلمي الرفيع الذي نريد إيصال الجامعيين إليه . وانطلاقاً من مفهومنا الشامل لعملية التعريب ومقوماتها الأساسية المترابطة ترابطاً عضوياً ، نرى أن هذا البرنامج يجب أن يتجه إلى مجالين رئيسيين : فالجال الأول يخص عضو هيئة التدريس بصورة قاصدة، والمجال الثاني يخص الوسائل والإمكانيات التي تشكل البيئة العلمية الخصبة لعملية التعريب ، ومن دونها فإن فعاليات عضو هيئة التدريس تبقى جامدة محدودة .

يهدف البرنامج في المجال الأول الذي اشرنا إليه ، إلى تنظيم دورات مركزة في اللغة العربية ، والقاء محاضرات خاصة بالتعريب والمشكلات اللغوية ، وتناول القواعد الأساسية في النحو والصرف ، والوسائل اللغوية التي تمكن عضو هيئة التدريس من اختيار الالفاظ المناسبة للمفاهيم والمصطلحات العلمية ، وضعا أو استنباطا أو تعريبا ، بالمعنى الاصطلاحي الضيق للتعريب. ولا شك أن من أهم هذه الوسائل اللغوية التي لابد من أن يركز عليها هذا البرنامج ، هي الاشتقاق بأنواعه، والابدال

والقلب ، والمجاز ، والنحت ، والتوليد ، والترجمة ، وكذلك التعريب ، سواء أكان بصياغة اللفظ بالنقل الصوتي الى العربية مع تحريف فني الحروف والحركات والاوزان ، لتتناسق وباقي الالفاظ العربية ، أم بصياغة اللفظ بأصواته الاعجمية كما هي

وان تنظيم الندوات والحلقات الدراسية كي تناقش فيها جميع مشكلات التعريب ، والقضايا المهمة التي يواجهها اعضاء هيئة التدريس ، وايجاد الحلول المناسبة ، يشكلان جزءا مهما من معالم هذا البرنامج . وان استعمال وسائل التقنية المتطورة في التعليم ، يجعل هذا البرنامج يسرا وأكثر فعالية ، وذلك مثل استعمال الافلام العلمية المتخصصة ، وكذلك الافلام الراجعة (الفيديو تيب) والشرائح ، والكتب العلمية المبرمجة ، وغير ذلك من الوسائل الحديثة . فان تسجيل محاضرة علمية باللغة العربية واعادتها للدراسة وملاحظة الاخطاء التي اقترفها عضو هيئة التدريس في برنامج التدريب ، لهي وسيلة فعالة في التصحيح الذاتي وتنمية القدرة اللغوية السليمة ... وهكذا فالنقاش المفتوح والحلقات الدراسية والتطبيق ، واستعمال التصوير المتلفز ، من أجل تقويم الأخطاء ، تشكل بنودا مهمة في برنامج تأهيل أعضاء هيئة التدريس لاستخدام اللغة العربية .

إن تصميم هذا البرنامج يجب ان يتخذ من النص محورا أساسيا لجميع فعالياته ، وأن اختيار هذه النصوص عملية في غاية الاهمية بحيث توفر للدارس روافد لغوية مهمة في مجال تخصصه العلمي ، فضلا عن فصاحة اللغة وجمال الأسلوب . ومن خلال هذه النصوص والصادر العلمية المختارة من التراث العربي ، يستطيع عضو هيئة التدريس أيضا ان يربط العلم الحديث بجذوره التاريخية التي تمتد عميقة في هذا التراث العربي ، ليحقق بذلك انطلاقة الاصالة العلمية الى جانب الاثراء اللغوي في التعابير

ودون أن نخوض في دقائق هذا البرنامج، ومجالاته العلمية واللغوية، نقول : إنه من الضروري أن يُعنى بفن الترجمة عند عضو هيئة التدريس، لأنه في حقيقة الأمر مترجم ماهر سواء أكان ذلك في إعداد محاضراته أم في التأليف والترجمة العادية . وأنه من المهم أن يعرف عضو هيئة التدريس اللغة التي يُترجم عنها معرفة دقيقة، وكذلك معرفة اللغة التي يترجم إليها؛ فضلا عن معرفة دقيقة لمجال تخصصه العلمي، وهو موضوع الترجمة . فالترجمة ليست قضية لغوية فحسب ، ولكنها من حيث الجوهر تتعلق باختصاص وبمضمون معين ، يختل فيه صاحب الاختصاص العلمي المكانة الأولى، حيث تتضح له وحدة حقائق العلم ودقائقه . ولذا فمن الواجب أن نضع المعجم المختص في موقعه الطبيعي ، إذ لا يكفي أن يلجأ المترجم، أيّا كان، إلى معجم مختص ؛ فما يذكره المعجم المختص لا يفهم سوى صاحب الاختصاص . ومن هنا نريد أن نقرر أن اللغوي غير المختص، لا يمكن أن يكون إلا عاملا مساعدا في عملية التعريب والترجمة . ولعل من أعظم الخدمات التي يمكن أن يقدمها اللغويون في هذا المجال ، وضع كتاب شامل في اللغة والنحو والصرف ، ليستطيع المثقف العربي ، كما يستطيع عضو هيئة التدريس المختص في أي علم من العلوم ، أن يعود إليه بين الفينة والفينة، من أجل تقويم وزن أو تصحيح تركيب لغوي أو نحوي . وأن كتاب المرشد في اللغة يجب أن يوجه لمعالجة المشكلات اللغوية والنحوية والصرفية التي يمكن أن تواجه المثقف العربي في حياته العلمية، وذلك من خلال نصوص أدبية وعلمية حيّة .

وطالما نحن بصدد الحديث عن (النصوص) العلمية : القديم منها والحديث ، نجد من الواجب أن نشير إلى قضية فرعية ، ولكنها على جانب كبير من الأهمية، وهي ضرورة « الشكل » ، ولا سيما في النصوص

العلمية باللغة العربية .

فأسلوب التعبير العلمي يقتضي اثبات حركات الحروف في نهايات الكلمات ، حتى ننقل المفاهيم العلمية بدقّة الى القراء ، كما ان اثبات حركات بدايات الكلمات وأواسطها يمنع اللبس ، واحتمال التحريف .

وأما المجال الثاني الذي اشرنا اليه سابقا ، فيما يخص البيئة العلمية الخصبّة المؤاتية لعملية التعريب، وبالتالي لفعاليات أعضاء هيئة التدريس ، فانها تتمثل في القضايا الرئيسية التالية :

أولا : انشاء مراكز علمية متخصصة في جميع حقول المعرفة ؛ كأن يكون هنالك مركز للطب، وآخر للهندسة ، ومركز للكيمياء ، وآخر للفيزياء ، وكذلك للرياضيات، وهكذا ويهدف كل مركز من هذه المراكز الى جمع الاعمال العلمية ، والحصول على المعلومات والنشرات من مجلّات متخصصة ودوريات وملخصات وغيرها ، وان يقوم كل مركز بتصنيف هذه المواد ووضعها في فهرس متممّة الاساليب والاعراض ، بحيث يحصر كلّ ما كُتب ، بمختلف اللغات عن موضوع علمي معين ، او حقل علمي في العالم اجمع ؛ ذلك لأن ارشاد هذه الفهارس الى مصادر المعلومات ومراجعتها وحجمها ومكان وجودها، يساعد أعضاء هيئة التدريس والباحثين العلميين مساعدة كبيرة. ومن دونها فإن كثيراً من الوقت والجهد يذهب سدى ؛ هذا فضلا عن بقاء أعضاء هيئة التدريس يدورون في مجالات ضيقة وضمن امكانيات محدودة .

ثانيا : انشاء مركز رئيسي للتعريب والترجمة والنشر ، تكون مهمته نقل العلوم والتقنيات الحديثة الى اللغة العربية ، فيوفّر المصادر والمراجع العلمية باللغة العربية في جميع التخصصات على مختلف مستوياتها. ونحن نرى ان من واجب مثل هذا المركز أن يقوم بتعريب العلم

والتقنيات الحديثة ، كما ذكرنا / لا مجرد ترجمة هذا الكتاب أو ذاك .

وهنا لابد من أن نشدد على ضرورة وجود التعاون التام والتنسيق الكامل بين هذا المركز الرئيسي وبين المراكز العلمية المتخصصة والجامعات والمؤسسات العلمية ، ومجامع اللغة العربية ، من أجل وضع المقابلات العربية للمصطلحات العلمية والتقنية ، وتغطية ما يُستحدث منها . فقد دلت الإحصاءات التي بين أيدينا على أن عدد المصطلحات التي تُستحدث كل عام يربو على عشرين ألف مصطلح .

وإن تعريب هذه المصطلحات العلمية المتسارعة في نموها ، لا يوازيه في الأهمية القضية توحيدها في الوطن العربي ، لئلا تنشأ لغات علمية مختلفة نتيجة استعمال مصطلحات علمية مختلفة ؛ وفي هذا ما فيه من خطر كبير .

لقد باتت الحاجة ملحة لإقامة مثل هذا المركز الرئيسي ، وإذا أردت أن أحدد هذا المشروع ، أجدي أقول : ولماذا لا تبتني ، مثلاً ، دولة من الدول ذات الإمكانيات المادية الهائلة ، موضوع تأسيس جامعة دون طلبه ، تُطلق عليها اسم « جامعة التعريب » تحشد فيها خيرة العلماء المتخصصين ، لفترات دورية ، وتكون مهمتهم نقل العلوم والتقنيات الحديثة الى اللغة العربية ؟! وفي رحاب هذه الجامعة العتيدة تعقد المؤتمرات واللقاءات بين المتخصصين لبحث مشكلات التعريب التي يواجهونها في أثناء ممارستهم الفعلية المبدعة ، سواء منها ما يتعلق بالمصطلحات أم بالمصادر العلمية أم غيرها .

إن جامعة مثل تلك المقترحة ، ستدخل التاريخ الثقافي والعلمي لهذه الأمة من أوسع أبوابه ؛ هذا مع العلم أن مجالها الحيوي ، سيكون الوطن العربي كله في جميع أقطاره ، في جامعاته ومؤسساته العلمية

وطلابه وعلمائه ، ولاسيما أن من بعض أوجه نشاطها العلمي ، اصدار
المجلات العلمية والدوريات المتخصصة للعلوم المختلفة باللغة العربية
العلمية الموحدة .

الخلاصة :

وخلاصة القول ان وطننا العربي مُقبلٌ، ولا شك، على ثورة علمية ، لا بد
من أن تركز على تعريب التعليم في جميع مراحل ومستوياته ، وجعل
اللغة العربية لغة التدريس والبحث العلمي في جميع حقول المعرفة . إن
مثل هذه الثورة العلمية والتعليمية ستكون الوسيلة الوحيدة لكي تجتاز
امتنا العربية وضعها الحاضر ، حيث تقبع على هامش الحضارة
الانسانية ، لكي تأخذ دورها في المشاركة العلمية الكاملة ، وبناء حضارة
اصيلة ، تصل ماضيها بحاضرها ، وتدفع نحو مستقبل زاهر ، فترفع
بخصوبتها حضارة الانسان ورقية ، ويحتل العلم بصورة عامة ، وعضو
هيئة التدريس في المعاهد والجامعات بصورة خاصة ، المكانة الاولى في
هذه النقلة الحضارية وفي ضوء هذا التطور السريع في الوسائل
التقنية للتعليم في جميع مراحل ، سيحدث تغيير اساسي في دور أعضاء
الهيئة التدريسية ، من حيث استخدام الوسائل التقنية ، والتأكيد على
مسؤولية الطلاب أنفسهم في عملية مفهوم التربية المستمرة او الدائمة .
ولا بد من توجيه الاهتمام الى تطوير كل ما من شأنه أن يبعث على التعلم .

وإن الركيزة الاساسية في هذه الانطلاقة العلمية والتربوية ، ستكون
اللغة العربية ، من حيث كونها اللغة التي يستطيع ان يعبر بها المواطن
العربي عن جميع حاجاته الحضارية وعن كل ما يتعلمه من معارف في
جميع مراحل التعليم المختلفة ، ومن حيث كونها لغة التدريس الجامعي
والبحث العلمي ، ولغة العلوم والتقنيات الحديثة . ونحن نعتقد ان عملية
التعريب عملية متكاملة ، تدور حول محور اساسي هو المعلم بصورة

عامّة وعضو هيئة التدريس في الجامعات والمعاهد العليا بصورة خاصة. ومن أهم الجوانب التي يجب أن يُعنى بها في تأهيل أعضاء هيئة التدريس لكي يتمكنوا من التدريس الجامعي والبحث العلمي باللغة العربية، ما يلي :

١ — أن تتخذ الدولة قزارا سياسيا ، في أعلى مؤسساتها التشريعية ، بوجوب جعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتدريس في جميع مراحلها : الابتدائية، والاعدادية والثانوية، والجامعية، والدراسات العليا ؛ وذلك لكي تأخذ على عاتقها الدعم المادي والمعنوي من أجل تنفيذ هذه النقلة التاريخية .

٢ — العناية التامة باللغة العربية منذ مراحل الطفولة الاولى ، وفي جميع مراحل التعليم ، وضرورة اعادة النظر في الكتب المدرسية ، والمناهج ، ووسائل التعليم ، وسياسة إعداد المعلمين ، في ضوء النظريات التربوية والوسائل التقنية الحديثة . وكذلك وجوب جعل اللغة العربية الفصيحة لغة التدريس في جميع المواد ، وأن تنطلق في هذه المراحل من المبدأ القائل ان كل معلم هو معلم للغة العربية . هذا مع الحرص على شكل جميع الكتب المدرسية شكلا كاملا .

٣ — ان تفرض الجامعات ، في جميع الكليات ، مستوى معيناً في اللغة العربية يُعتبر متطلبا أساسيا لتخرج الطالب الجامعي في مجال تخصصه .

٤ — أن تُنظّم دراسات لغوية في أثناء الدراسات العليا ، تهدف الى تمكين من ينضم إليها من أن يقوم بالبحث العلمي والتدريس الجامعي باللغة العربية ، وأن يقدر من ينهي هذا البرنامج تقديرا مجزيا عند التعيين في عضوية هيئة التدريس الجامعي .

٥ — أن تُنظّم برامج للتدريب المستمر لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة في أثناء خدمتهم ، وذلك لتأهيل أعضاء هيئة التدريس من أجل القيام بأعبائهم التدريسية باللغة العربية ، وأن تشمل هذه البرامج

على القضايا الأساسية في النحو والصرف واللغة ، ومشكلات التعريب والترجمة ، وذلك عن طريق محاضرات وحلقات وندوات للنقاش المفتوح ، مع الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة في مجال التعليم ، مثل التصوير المتلفز ، والنصوص المبرمجة ، والتسجيلات ، وغير ذلك .

٦ - أن يوضع في أيدي أعضاء هيئة التدريس كتاب خاص باللغة وقضاياها الأساسية في النحو والصرف والأساليب اللغوية ، لكي يكون مرشداً يمكن الرجوع اليه بين الفينة والأخرى من أجل التصحيح الذاتي .

٧ - انشاء مراكز علمية متخصصة في جميع حقول المعرفة من أجل جمع الأعمال العلمية في أهم اللغات الحية وفهرستها ، لمساعدة أعضاء هيئة التدريس في بحوثهم وإعداد محاضراتهم .

٨ - انشاء مركز رئيسي للتعريب والترجمة والنشر ، وربما كان « جامعة » دون طلبية ، حيث يُخشد فيها أهم المتخصصين والعلماء ، وتكون مهمتهم تعريب العلوم والتقنيات الحديثة ، وإصدار الموسوعات العلمية ، والمجلات ، والدوريات المتخصصة باللغة العربية ، ليكون مجالها الحيوي جميع الأقطار العربية : بجامعاتها ومؤسساتها العلمية وطلابها ، وان يُحصر على أن يكون جميع منشوراتها باللغة العربية مشكولة شكلاً تاماً ؛ وذلك لأن شكل أو آخر الكلمات ضرورة قصوى تتطلبها طبيعة الأسلوب العلمي الدقيق ، ولا سيما في نقل المفاهيم العلمية ، كما أن شكل أول الكلمة ووسطها يزيل اللبس . ويتحول الى عادة متأصلة في الكتابة .

٩ - أن تأهيل أعضاء هيئة التدريس لكي يستطيعوا استخدام اللغة العربية في البحث العلمي والتدريس ، لا يمكن أن يُنظر اليه الا من خلال جميع هذه العوامل بصورة كلية ، ومن خلال الممارسة الفعلية والبدء

المصادر والمراجع

- ١ - مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية - الطلقان الاولى والثانية
الحلقة الاولى : بنغازي - مايو ١٩٦١ .
الحلقة الثانية : بيروت - مايو ١٩٦٤
القاهرة
- ٢ - المؤتمر الاول لاعداد المعلمين في المملكة العربية السعودية
٨ - ١٣ صفر ١٣٩٤ الموافق ٤/٧/مارس ١٩٧٤
- ٣ - مؤتمر تمريب التعليم العالي في الوطن العربي
بغداد ٤-٧/٣/١٩٧٨
- ٤ - دليل الجامعات العربية ، القاهرة ١٩٧٦
- ٥ - جورج شهلا وعبد السميع مريلي ، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية بيروت ،
١٩٦١ م
- ٦ - عبد الله عبد الدائم ، التربية في البلاد العربية - حاضرها ومشكلاتها ، ومستقبلها
بيروت ١٩٧٤ م .
- ٧ - عبد المغني النوري وعبد المغني عبود ، نحو فلسفة عربية للتربية ، ١٩٧٦ .
- ٨ - نعيم عطية ، معالم الفكر التربوي في البلاد العربية في المئة سنة الاخيرة بيروت .
- ٩ - علي محمد كامل ، تجربة في العلوم الهندسية ، بغداد ١٩٧٨ .
- ١٠ - يول وودرنج ، اتجاهات حديثة في اعداد المعلم ، ترجمة الدكتور حسين سليمان فوده
القاهرة .
- PAUL L. DRESSEL, The undergraduate curriculum in higher education , Washington , 1963
- JENN THOMAS, Teachers for the schools of tomorrow, UNESCO , 1968

صناعة المعاجم والجدول الهجائي الكامل للاستاذ نجيب اسكندر

في وسعنا ان نكتب في العربية أي لفظ بمجرد سماعه ، فالاملاء العربي
سويّ ، لكنه ما هكذا هو الامر في بعض اللغات الأوروبية، حيث الإملاء
اصطلاحي ؛ فلو اردنا مثلا ان نكتب في الانكليزية اللفظ « تو » لملئت امامنا
ثلاث طرق تتوقف على المعنى المقصود : too ، two ، to
واللفظ « رايت » يمكن ان يكتب بأي من هذه الصور : write ، right ،
rite . وفي صناعة المعجم نرى العكس ؛ ففي حين يكون لكل مفردة مكانها
الصحيح في المعاجم الأوروبية ، فيه يضعها المؤلف وفيه يجدها المراجع بلا
أدنى صعوبة في الحالين ، نلمس في المعجم العربي حيرة المؤلف في تعيين
موضع كثير من المفردات، وحيرة المراجع في الاهتداء إليها . ويرجع الفضل
في سهولة المعجمية الغربية إلى كون الجدول الهجائي عندهم كاملا .

الترتيب المعجمي

كان المعجم العربي يرتب حسب الاصول ، فيثبت كل مزيد ومشتق
تحت ائلة المجردة ولم يُثر هذا الترتيب ، على تعدد الطرق في تطبيقه ،
الاشتباه في صلوح الجدول الهجائي المعتمد .

اما الآن ، وقد بدأ الاتجاه إلى الترتيب اللفظي الذي تُدرج فيه
المفردات حسب حروفها، كما هي الحال في دليل الهاتف ، فيصبح اكمال
الجدول وضبطه ضرورة بالغة في كل عمل معجمي .

يُدرج الفعل في المعجم العربي في صيغة الماضي باعتبارها الأصل الذي يصرف منه المضارع والامر . ويُفترض في الفعل عند اثباته في المعجم ان يكون مطلقاً ؛ لكن جميع الصيغ الفعلية العربية مسندة، بما في ذلك صيغة فعل، وهي أبسط تصاريف الماضي، وعند الوقف تطرح هذه الصيغة الفتح لتُلَفَّظ ساكنة . ومن الصواب ان تُؤخذ الصيغة الوقفية الساكنة هذه لتكون الصيغة المعجمية للفعل ، بسبب افتراض الصرفيين ان صيغة فعل، المفتوحة الآخر، هي الأصل، ووضَعُوا قاعدة لما أسموه تبدل حركة الماضي في التصريف . لكن إن نحن افترضنا ان الأصل هو الصيغة الساكنة فعل، أدركنا ان ثمة لا فتحة تبدل، بل سكون يلزم الفعل المطلق، وما الفتحة في الحقيقة سوى نوع من ضمير بارز متصل تدخل على الفعل المطلق لتُخَصَّصَه للغائب المفرد، كما تدخل عليه الفتحة الطويلة (الالف) لتُخَصَّصَه للغائب المثني، الى آخر هذه التصاريف .

وتدرج معظم الاسماء مضمومة الآخر ومعروفة بالاداة . والذي اراه ان وجود الاداة لا يتفق مع الترتيب المعجمي الذي يقتضي ادراج المفردة حسب الحرف الاول فيها . والافضل، اذا ما أهملت اداة التعريف ، الاكتفاء بالضمة غير منوثة ، فما التنوين في الواقع سوى اداة تنكير .

وكذلك هي الحال في المنقوص ، فليس ثمة من موجب لحذف الياء من آخره عند تجريده من اداة التعريف . وقد درج نفر من الثقات على الاحتفاظ بياء المنقوص في كل حال .

ونظراً لإهمال علامات الحركة والتنوين في الكتابة اليدوية وفي الطباعة اليومية، جرت العادة بزيادة الالف بعد تنوين الفتح فلا تهمل ، لان الجمهور يعدّها جزءاً من احرف الكلمة .

لكن هذا الحرف الذي لا تبة املائية له، وما كان القصد منه سوى

التعويض عن علامة التنوين، من شأنه الإخلال بالترتيب المعجمي . اكتفى بمثال واحد : أبد^١ ، أبد^٢ (أبدًا)؛ فني الترتيب الهجائي الصحيح تجيء أبد^١ قبل أبد^٢ ، لأن الفتحة تسبق الضمة ، لكن زيادة الألف تقضي بعكس هذا الترتيب . على هذا يُستحسن الاستغناء عن الألف في طبع المعاجم الكاملة التشكيل، اكتفاءً بعلامة تنوين الفتح، كما هو الحال في الاسماء المقصورة والممدودة والمنتبهة بقاء التانيث ، فهذه كلها لا تزداد عليها الألف في أي حال . وهكذا يمكن أن يتوفر للمعجم صيغ ملائمة : الفعل الماضي ساكن الآخر، والاسم نكرة غير مؤن، والمنقوص كاملاً، والمنصوب مجتزأ بعلامة التنوين دون الف .

الحروف

إذا حللنا النطق البشري، لاحظنا أنه يتألف من أصوات متتابعة يختلف بعضها عن بعض اختلافاً أساسياً ؛ كما نلاحظ أن الصوت الواحد يقف أحياناً بمجرد نطقه، ولكنه في أحيان أخرى يظلّ يتردد بعض الوقت، مخذاً في تردده اتجاهات متباينة . وتسمى مدة التردد واتجاهه بالحركة . ويمكن أن نشبه الأصوات بالجواهر، والتردد الذي يصحبها أحياناً بالمعرض .

وقد اقتصرَت الأشكال الأولى التي وضعها الإنسان للرمز إلى الأصوات على اظهار الاختلافات الأساسية في وقع الأصوات على الأذن ، مثل الاختلاف الذي نحسُّ به بين صوت اللام وصوت السين .

لكنَّ الإنسان يتعذَّر عليه أن ينطق كلاماً مؤلفاً كله من أصوات ينتهي كل منها عند نطقه، فبدأت المحاولة لابتداع أشكال ترمز إلى تردد الأصوات، واتجاهات هذا التردد .

وفي حين تُعرف الأشكال التي ترمز إلى الأصوات بالحروف الصامتة، فقد اصطلح على تسمية الأشكال التي ترمز إلى الحركات بالحروف

وقد عُمِدَت بعض الشعوب الى اظهار كلِّ حرف صامت بأشكال مختلفة ترمز الى انواع الترددات التي يتخذها هذا الحرف في الكلام . وتمثل هذه الطريقة القصور — قصور الاقدمين — عن ادراك الحركة عنصراً إضافياً يمكن ، رغم لطافته ، الرمز إليه بشكل خاص به . ويظهر اثر هذه الطريقة في اللغات الأوروبية ، إذ صوّروا الهمزة بعدة اشكال ليدلوا على مختلف الحركات في نطقها aeio . لكنهم عندما جاء دور الحروف الصامتة الأخرى تركوا الحرف على حاله واتبعوه ، إظهاراً لحركته ، بالأشكال التي رمزوا بها الى الهمزة متحركة .

وهكذا صار لأشكال الهمزة وظيفة مزدوجة ، فهي تُلفظ همزة متحركة إذا جاءت بداية مقطع وتكون مجرد حركة عندما توضع بعد أي حرف صامت آخر .

وتحتفظ العربية بظاهرة من هذا النوع ؛ فما الحالات التي تُكتب فيها الهمزة فوق الألف أو الواو أو الياء إلا أثراً من هذه المحاولة للرمز الى الصامت متحركاً بتبديل شكله .

لكن في حين فقدت الهمزة في اللغات الأوروبية اسمها ورسمها الخاصين ولم يبق منها سوى اللفظ ، فإنها في العربية تحتفظ ، بالإضافة الى لفظها ، باسمها وتتنوّج جميع الأشكال التي تتخذها بعلامتها المميزة ، بل إنها في بعض الحالات تظهر مجردة من أي شكل إضافي .

✓ الحروف المصوِّتة

ومن جهة أخرى فعندما أرادوا في العربية اثبات الحركات استعانوا ، كما رأينا في اللغات الأوروبية ، بأحرف صامتة هي ، فضلاً عن الهمزة ، الواو والياء . ولم يكن اختيار هذه الأحرف الثلاثة بدون مبرر من قواعد التصريف .

ويسمى الحرف الاول في العربية واللغات الأخرى بالالف، ومن هنا عُرِمت حروف الهجاء بالالف باء ء لكنه في العربية يسمى أيضا ، بوصفه صامتاً ، بالهمزة . وعندما صار هذا الحرف يُرمز الى الفتح، سُمي الفتح بالالف . وخطر للبعض بعد مدة أن يزحزحوا الفتح عن موضع الصدارة منعا للالتباس، ولتصورهم عن تصوّر الحركة في شكل مستقل، عمدوا الى حرف صامت آخر هو اللام، فكانت اللام الفأ .

وفي اللغات الأوروبية تظهر الحركات بجميع انواعها واقدارها في شكل حروف تتلو الصامت . ولم يدوّن في العربية سوى حركات ثلاث . ولما كانت الاحرف التي اختيرت لاطهار هذه الحركات لا تبين قدر الحركة، جعلوا يشرّون الى الحركة القصيرة بالنص عليها: (فتح فسكون فضم) . واخيرا فطنوا الى اظهار الحركات القصيرة شكلا فوق الحروف الصامته أو تختها .

وتد ترك التأخر في اظهار الحركة القصيرة ما نراه في ضبط الفعل الناقص وبعض حروف المعنى، مثل متى ، إذا ؛ فالحركة هنا قصيرة، ولما لم تكن قد وُجِدَت بعد طريقة لاطهار الحركة قصيرة، ضُبِطت هذه الفئة من الكلمات بالفتح الطويل .

إن وضع الحركات القصيرة بصورة شكلا تختلف عن الحروف، شاهد على احساس واضعها بأن الحركة من عنصر آخر غير عنصر الصوت في حدّ ذاته . ونحن نرى مثل هذا في تدوين الموسيقى، فبينما يُرمز الى انواع النغمات بموضعها من المدرج، يُرمز الى الازمنة التي تستغرقها بعلامات خاصة .

على أن هذه الطريقة البارة في اظهار الحركة القصيرة لم تضمّن لهذه الحركة من الحرمة ما للحركات الطويلة التي تظهر في شكل احرف . ففي الكتابة والطباعة غالبا ما تهمل الحركة القصيرة، فتجيء الكتابة سهلة، لكنها

عذيمة الضبط .

وفي الصرف العربي يختلف دور الحركات القصيرة عن دور الطويلة . لكن في علم الأصوات فالنوعان يجتمعان في مفهوم مشترك، هو ما يسمى في اللغات الأوروبية بالفاولز . ولسنا نجد في العربية لفظة مقابلة ؟ فني حين نعرف الحركة الطويلة بحروف العلة، أو حروف المذ، تعرف القصيرة بالحركات أو بالشكلات. ويمكن وصف الفرق بين الحركات الطويلة والقصيرة بأنه كمّي لا كيفي ، فالفتحة والضمة والكسرة لا تختلف عن الألف والوار والياء، إلا بأنها أقصر تردداً : نام لم ينم ، يقول لم يقل ، يبيع لم يبع .

ولما كانت الحركات جميعها، من طويلة وقصيرة، جزءاً أساسياً من بنية الكلمات متمماً للحروف الصامتة، فإن الجدول الهجائي لا يكون كاملاً ومتممداً إذا لم يشمل الحركات .

وعلى الرغم من الاختلاف في الشكل بين الحركات الطويلة والقصيرة، وعدم تأخر اسم مشترك، فقد فطن الأقدمون إلى الصلة بين كل حركة قصيرة والحركة الطويلة المماثلة لها في الاتجاه، واسموا هذه الصلة بالموافقة .

وقد حاول الفيومي كما يقول في مقدمة « المصباح » ترتيب هذا المعجم بتتبع الحركات القصيرة على الحرف الواحد قبل الانتقال إلى الحرف التالي، لكنه عدل عن هذا الترتيب لما بدا له من وعورته . ويمكن أن نعرف هذا الترتيب، الذي حاوله هذا اللغوي الثبت، بنظام الشوط الواحد، وهو المتبع في المعاجم الأوروبية . لقد جاءت الفكرة قبل أوانها . ولا ريب في أن تكون هي المتبعة لو أُعطيت الحركات القصيرة شكل حروف سوية .

وفي الوضع الحالي ليس أمامنا سوى مواصلة نظام الشوطين: تناول المفردة وتتبع الحركات على حروفها واحداً واحداً قبل الانتقال إلى المفردة التالية .

الكتابة المنفصلة :

من المرجح ان رموز الاصوات الكلامية، التي نسميها الحروف الهجائية، وُضِعَتْ اول ما وُضِعَتْ منفصلة . وكان هذا النظام ملائماً لوسائط الكتابة المستعملة آنذاك، كالنقش في الحجر، او الخط على الفخار . وما تزال لغات كثيرة تُكْتَب بحروف منفصلة ولا تعرف الوصل ابداً . وفي العربية نفسها، الفصل غير شامل، فثمة مفردات لا تتصل حروفها في حال : اداري ، ارادات .

وتطوّرت وسائط الكتابة، فظهر الورق والقلم، الامر الذي اقتضى وصل الحروف . وقد بدأت الآرامية هذا الاتجاه، وتبعتها العربية . بل ان الأوروبيين اوجدوا نمطاً متصلاً من الحروف للكتابة بالورق والقلم .

لقد استلزم وصل الحروف العربية تعديل اطرافها، مما شوّه احجامها، وقُلَّ من الفروق بين اشكالها؛ الامر الذي اضطر معه الى الاستعانة بالنقط للتمييز بينها، وحال دون ابتداع حروف جديدة ترمز الى الحركات القصيرة، فُرِسمت هذه الحركات بصورة شكلات .

ورغم تقبل المطبعة للحروف المنفصلة، فقد تمسك الطابعون بالحرف المتصل، واخذوا يكيفون للتضيد الطباعي، متجاهلين الدعوات القوية التي ظهرت بُعيد دخول المطبعة لاستعمال حروف منفصلة في الطباعة .

وفي سنة ١٩٤٧ دعا مجمع القاهرة ، وكان اسمه اذ ذاك مجمع فؤاد الاول ، الى مسابقة لتيسير الكتابة العربية ، فكان اقتراحي فصل الحروف في الطباعة، واعطاء الحركات القصيرة اشكال حروف عادية، على غرار الحركات الطويلة، وتسوية مشكلة الهزة ؛ لكن المجمع قرّر في نهاية الامر حنظ جميع المقترحات التي وردت اليه .

وبعد مدة من مسابقة المجمع، عاد الى لبنان المغترب نصري خطّار ،

وعرض آلة تنضيد تُسَبِّك الحروف منفصلة . لكن هذا الحدث لم يُلْقَ في حينه ما يستحق من الاقبال لدى اوساط الطبع والنشر . وحين شُرِعَ صانعو الحاسبات (الكومبيوتر) يدخلون الحروف العربية، فضّلوا الحرف المنفصل، وبذلك بدأت الحروف المنفصلة تغدو مسيرتها الحالية .

مميزات فصل الحروف

ان فصل الحروف في الطباعة، فضلا عن فائدته في تبسيط عملية التنضيد الطباعي وتسهيل تعلم القراءة، سيكون من شأنه التمكن من تحويل الحركات القصيرة من علامات ثانوية الى حروف عادية، وإيجاد ما يعرف بالحرف الكبير (كابيتال) للعناوين وبدايات الجمل واسماء الاعلام، ووضع جدول عربي مقابل لجدول IPA يرمز الى الأصوات غير المعروفة في العربية، بقصد ضبط المفردات الأجنبية .

وفي صناعة المعجم خاصة يمكن ، عند فصل الحروف ، إيجاد مخرج عملي لمشكلة تتبّل الحرف الواحد لأكثر من حركة : ففي العربية افعال واسماء يصحّ أن تُلَفَّظ الواحدة منها على عدّة وجوه، من حيث السكون والحركة الطويلة او القصيرة، والتخفيف والتثقيب بدون اي تبدل في المعنى؛ اكتفي منها بمثال واحد هو: اصبع، فإن كلاً من الهمزة والباء تقبل ايا من الحركات الثلاث . ويتم اثبات هذه الحالة في المعاجم عادة إما بتكرار ادراج المفردة بمختلف الحركات، او باظهار الحركات جميعها دفعة واحدة على الحرف، او بالنص أنّ الحرف ثلاثي الحركة . ولو قُصِلَت الحروف لتُيسَّر وضع رموز خاصة في شكل حروف (حركات) لهذه الحالات .

ثم ان الحروف المنفصلة تفوق بقوتها التدوينية الحروف المتصلة، وهذا يجعلها اشد ملاءمة للمعاجم . ونلاحظ في « مختار الصحاح » للرازي ، الذي طبع قبل سنوات في القاهرة بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي، ان المفردات كُتبت منفصلة ، فكان هذا من

استاذين جليلين من المدرسة التقليدية تعبيراً عن ادراكهما تطلُّب المعجم للحروف المنفصلة .

النمط

لدينا الآن نمطان من الحروف المنفصلة : نمط خطّار الذي سار على اساسه الكومبيوتر ، والآخر هو الحروف المطبعية كما تظهر منفصلة في الحالات التي لا تقبل الوصل .

لكن يبدو عند التأمل ان هذين النمطين كليهما غير صالحين للطباعة ؛ فقد اكتفى خطّار بالفصل الجسماني بين الحروف المتصلة، ولم يحاول ايجاد نمط خاص من الحروف المنفصلة ، ولهذا جاءت حروفه مستهجنة ؛ أما الحروف المنفصلة اساسا في الطريقة المتصلة، فانها لو صُفّت لتؤلف كلمات وسطوراً لبدت متناثرة عاطلة من الجمال .

لقد اكتسبت الحروف المتصلة جمالها من توفر اجيال بعد اجيال من الخطاطين على تطويعها وتحسينها ، ولا شك ان في وسع الخطاطين اليوم ان يتدعوا اطرزة مختلفة من حروف منفصلة تتسم بالبساطة والوضوح، والتماييز فيما بينها، والجمال الأخاذ .

الجدول الهجائي

يمكن تشبيه الاسلوب الصحيح في الترتيب المعجمي بطريقة ترتيب الاعداد ١ فالذي يحفظ جدول الاحاد، ويعرف كيف تُكتب بهذه الأرقام العشرة مختلف الكميات، يستطيع، حتى دون إلمام بالمعاملات الحسابية، ان يرتب أي مجموعة من الاعداد حسب قيمها الكمية .

وفي الجدول الهجائي، الموضوع هو الأشكال التي تُستعمل في تدوين الاصوات على اختلافها . ويعرف هذا الباب من قواعد اللغة الذي يعالج الجدول بـ « الرسم »، وهو مستقل بطبيعته عن الصرف، وادخال أي اعتبار

صرفي من شأنه الإخلال بقواعده .

لقد مرّ الجدول الهجائي العربي بأنواع من الترتيب، منها الأبجدي، ومنها الترتيب الصوتي الذي يتمثل في تقاليد « كتاب العين » . أما الترتيب الحالي فيقوم على أساس أشكال الحروف، ويبدو مع ذلك ترتيباً عملياً . على أنه لكي يصحّ اعتماد هذا الجدول بصورة مضبوطة في أي عمل معجمي، وفقاً لاملأ المفردات، ينبغي أن يشتمل على جميع الأشكال المستعملة في الكتابة من حروف وحركات ؛ ذلك أن المفروض أن يجد المراجع جميع هذه الأشكال في الجدول، ويتبيّن موضع كل واحد منها، ليستطيع أن يجد المفردة في المعجم في سهولة .

الهمزة

تعرّف الهمزة أحياناً باسم الالف، وتظهر في بداية الكلمات مركّبة على الالف، بل إنها كثيراً ما تُكتب بصورة الف خالية من سمتها الخاصة . وعندما ترد في كلمة متبوعة بالالف، يبدل شكلها وتوضع فوق الالف، وتسمى مّدة . وفي حالات أخرى تظهر الهمزة مركّبة على الواو أو الياء . وفي التصريف، فانها تشارك الحركات فيها يسمى بالاعلال . كل هذا اسبغ على هذا الحرف الصامت السويّ شيئاً من الابهام، واقتضى وضع قواعد لكتابته .

لقد ادى وصل الحروف في الكتابة الى شيء من التعديل في شكل كل حرف، حسب موضعه من الكلمة ؛ وهذا التعديل أمره يسر ولا يتعارض مع الترتيب المعجمي . لكن الهمزة يتبدّل شكلها، لا وفقاً لموضعها من الكلمة، بل وفقاً لحركتها أو حركة ما قبلها ؛ وهذا خارج عن أصول الرسم، ويعود الى اعتبارات صرفية، ولا يتفق مع الترتيب المعجمي الصحيح والطباعة المتطورة . ولما كان هذا الشذوذ ليس من طبيعة الهمزة ، يمكن تسويته وكتابة الهمزة على غرار بقية الحروف .

وفي فئات معينة من الكلمات المبدوءة بالهمزة، يهمل نطق الهمزة في

الدُرَج • وللتنبية على هذا رُسِمَت هذه الهمزة بشكل خاص يعرف بهمزة الوصل، لكنها لم تدخل في الجدول الذي جعلوه مقتصرًا على شكل واحد لكل حرف صامت ، واستكمال الجدول يقتضي ادخال هذا الشكل .

لا شك ان اظهار الهمزة المتنوعة بالالف بالشكل المعروف بالمدة ترتيب عملي في الكتابة اليدوية ، لكن ليس لهذا الشكل موضع في الجدول الذي يقتصر على رموز الأصوات البسيطة غير المركبة . وكل محاولة لاستعمال هذا الشكل في المعجم من شأنها الاخلال بالترتيب الصحيح المستند الى الجدول . وينبغي ادراج كل همزة متنوعة بالالف على حالهما ، كما هو الامر مع الهمزة والواو والهمزة والياء .

التاء المربوطة

تُلَفِّظ تاء التانيث عند الوقف شبيهة بالهاء، ولهذا وضعوا لها شكلا خاصا كما فعلوا في همزة الوصل، وينبغي اكمال الجدول باضافة هذا الشكل الآخر للتاء الى جانب الشكل العادي .

الالف

ليست الالف سوى حركة فتح طويلة ، ولهذا لم يكن لها موضع في الجدول الذي لم يتصور واضعوه أن يكون للحركة شكل خاص ، وعمدوا الى اظهارها متطفلة على الهمزة ، ثم جعلوها متطفلة على اللام .

لكننا ندرك الآن ان الرمز الى الحركة بشكل مستقل أمر ممكن ، وعلى هذا تضاف الالف الى الجدول ، ومكانها الى جانب الواو والياء، كما فطن الذين اختاروا لها اللام ، وكما يفهم من ادراج المعاجم التقليدية للأجوف الواوي في هذا الموضع .

وعندما تجيء الالف آخر الكلمة، تكتب أحيانا بشكل ياء مهملة . وقد ابتدع الرسم والاسم لاعتبارات صرفية لا موجب لها من اصول الرسم .

على أنه ما دمنا نستعمل هذا الشكل ينبغي اثباته في الجدول الى جانب الالف العادية .

الواو والياء

يكون هذان الشكلان حرفين صامتين ، كما يكونان حركتين طويلتين .
والتمييز بين الوظيفتين غير صعب في الكتابة الكاملة التشكيل .

تكون الواو أو الياء حرفا صامتا اذا جاءت متحركة بحركة طويلة او قصيرة ، او جاءت ساكنة وما قبلها متحركا .

تكون الواو أو الياء حركة اذا جاءت غير متحركة بعد حرف ينتظر التحريك .

وينبغي أن ترد في الجدول اشارة الى ازدواج وظيفة هذين الحرفين .
وفي الترتيب المعجمي فان المفردة التي تكون فيها الواو أو الياء حرفا صامتا تجيء قبل مثلثتها التي يعمل فيها هذا الحرف حركة .

كما ينبغي أن تحتفظ الياء الصامتة بالتنقيط عند ورودها في نهاية الكلمة لتلافي الالتباس مع الياء المهملة التي هي شكل آخر للالف .

الحركات القصيرة

لما كانت الحركات القصيرة جزءا أساسيا من الكلمة، ينبغي ادراجها في الجدول، وضبط ترتيبها وفقا لترتيب الحركات الطويلة .

الشدة

عندما يتتابع الحرف الواحد ساكنا فمتحركا، فإنه يكتب شكسلا واحدا تعلوه علامة تعرف بالشدة . ان الفكرة في الرموز هي ابتداء شيء صغير يرمز الى شيء أكبر ، لكن الشدة وقد أوجدت لاعتبارات صرفية لا

تؤدي هذا الغرض ، فهي عبارة عن شكل بليد يوضع فوق الحرف فيشوه الكتابة، ولا ينوب الا عن شكل واحد هو الحرف المحذوف رسمه .

لكن ما دمنا نستعمل الشدة، فإن الترتيب المعجمي الصحيح هو ادراج المفردة ذات الحرف المشدد وفقا لحركة الحرف الثاني ؛ لكن في حالة وجود كلمة مماثلة غير مشددة فإن هذه الكلمة المماثلة غير المشددة تُدرج أولا .

ويقتضي ترتيب المعجم اللفظي ادراج اللفظ الثلاثي المدغم بموجب الحرفين الظاهرين رسماً؛ وهذا هو المتبع الآن ، في حين تراعي المعاجم المرتبة حسب الاصول الحرف الثالث الذي حُجب رسمه بالشدة ، فتدرج سرّ بعد سرّ .

✓ السكون والحركة

في الترتيب الصحيح يُدرج الساكن أولا ، والسكون لا يحتاج الى علامة، فكل حرف غير متحرك يكون ساكناً، ويتجلى ذلك على أنه في المعاجم حيث التحريك كامل .

وعندما يكون الحرف الصامت متبوعاً بحركة طويلة لا يبقى لزوم للاستعانة بالحركة القصيرة .

أداة التعريف

هذه الاداة المؤلفة من همزة وصل ولام لا تُلفظ دائماً هكذا ؛ فاذا دخلت على كلمة مبدوءة بحرف شمسي انقلبت اللام الى حرف مماثل، وأُدغم الحرفان ؛ واذا جاءت في الدُرَج سقط لفظ الهمزة ، أما اذا زاد على ذلك دخولها على شمسي بطلَ لفظها كلية ، وبقي الشمسي مشدداً . وعلى هذا يكون لها اربع طرق في اللفظ . همز ولام ، همز وحرف شمسي ، لام ، حرف شمسي .

ولو صنع شكل خاص لاداة التعريف يُلفظ حسب الحالة كما فعلوا
في همزة الوصل والتاء المربوطة/لكان ذلك افضل من الهمزة واللام في
الرمز الى هذه الظاهرة .

تدوين اضبط وكتابة أبسط

ان الاخذ بالجدول الطبيعي للحروف سيجعل الترتيب المعجمي محكما
دون ادنى خلل . ثم ان تسوية رسم الهمز والاستغناء عن الحركة القصيرة
عند وجود الحركة الطويلة ، واهمال علامة السكون، من شأنه تبسيط
الكتابة وجعل المطبوع يبدو اوضح واجمل .

الحروف الهجائية : الجدول الطبيعي الكامل لغرض التدوين المعجمي

الحروف الصامتة		الحروف المصوتة (الحركات)	
أ	آ	س	ل
ب	ش	م	
ت	ة	ص	ن
ث	ض	ه	
ج	ط	و	
ح	ظ		
خ	ع		
د	غ	ي	
ذ	ف		
ر	ق		
ز	ك		

ا ي

هذا الحرف اذا جاء

غير متحرك بعد

حرف ينتظر الحركة

هذا الحرف اذا جاء

غير متحرك بعد

حرف ينتظر الحركة

يُدرج الحرف الذي تعلوه الشدة حسب حرّكته فإن وجدت كلمة مماثلة غير مشددة تأخرت الشدة عنها

الممزة

في البنية في الدرج والاخير في الاخير بعد حرف لا يقبل الاتصال

أداة التعريف

شكل مقترح

R

نجیب اسکندر

لَوْ أَخَذَ الْقَوْسَ غَيْرُ بَارِيهَا

للدكتور إبراهيم السامرائي

(كلية الآداب / جامعة بغداد)

رعاك الله — اخي الكريم — وسدّد خطاك، وأثال من عثرتك ؛ لقد ضبطتُ الكَلِمَ في مبحثي المنشور في « العدد المزدوج الخامس والسادس » ، تكلمة لعمل المطبعة التي ينقصها الشكل ، ثم مررت بقولي : « يتوفر فيه » في آخر الموضوع ، فرايت ان تصحّح ما بدا لك انه خطأ ، فرسمت ألفاً بعد الواو ، فصارت « يتوافر فيه » .

شكر الله لك سميعك، إنك حفزتني الى الكتابة في موضوع التصحيح اللغوي لما هو خطأ وتجاوز ، ولما خيل لطائفة من أهل العلم انه خطأ .

اقول : إن الذين ذهبوا الى ان من الفصيح ان نقول : توافر الشيء ، ولا نقول : توفّر الشيء ، لم يكونوا على علم كاف بكتب العربية ، وأقرب هذه هي المعجمات . ليس غريباً ان اقول : إننا نحن معاصر العرب ، ولا سيّما أهل العلم منهم ، لا نرى فينا حاجة الى الرجوع الى المعجم القديم . فماذا من امر « تَوَفَّرَ » و « تَوَافَرُ » في المعجم ؟ جاء في « التهذيب » للزهرى :

والمستعمل في التعدي : وَفَّرناه توفيراً .

وجاء في « اللسان » :

وَفَّرَ عليه حقه توفيراً ، واستوفره ، اي استوفاه . وتوفّر عليه اي رمى حرّماته ، ويقال : هم متوافرون اي هم كثير ، ووفّر الشيء وفراً ،

وَوَفَّرَهُ : كَثَّرَهُ . فليس من « تَوَافَرُ » إِلَّا قَوْلُهُمْ : « هم متوافرون » أي هم كثير . وقولهم « تَوَفَّرَ عليه » شيء آخر ليس من قبيل استعمالنا في اللغة المعاصرة ، لأنه يفيد رعي الحُرُمَات .

وليس لنا إِلَّا أن نقول إن استعمالنا الحديث « تَوَفَّرَ الشيء » (متأتٍ) من وَفَّرْتُهُ فَمَتَوَفَّرَ ، كما تقول عَلِمْتُهُ فَتَعَلَّمَ . إن المعجم لا يعرض لما هو واقع وجارٍ على سنن العربية .

لقد خلت مادة « حَزَب » من بناء « تَحَزَّبَ » ، كما خلت مادة « خَرَبَ » من بناء « تَخَرَّبَ » . فهل يجوز لنا أن نقول : إن الفعلين « تَحَزَّبَ » و « تَخَرَّبَ » غير صحيحين فصيحين ، وإن استعمالهما من الخطأ ؟ ماذا كان « تحزيب » ، كما في حديث أوس بن حذيفة قال : سألت اصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كيف تَحَزَّبُونَ القرآن ؟

أقول إذا كان هذا ، فَلِمَ لا يكون « تَحَزَّبَ » ؟ وإذا اشتملت العربية على الفعل « خَرَّبَ » والمصدر التخريب ، فَلِمَ لا يكون « تَخَرَّبَ » ؟ الم يُقْلُّ اللغويون بالمطاوعة ، نحو قَدَّمْتُهُ فَتَقَدَّمَ ؟ ثم الم يستعمل الفصحاء طوال قرون الفعلين : تَحَزَّبَ وَتَخَرَّبَ في نثرهم وشعرهم ؟ وعلى هذا كان استعمال « تَوَفَّرَ » هو الفصيح المليح ، ولم يرد « تَوَافَرُ » إِلَّا في قولهم : « هم متوافرون » أي هم كثير ، وهذا لا يعني ما نريد من « تَوَفَّرَ » الشيء إذا كان وافرًا .

ولا حجة لأصحاب التخطئة من المتصدين الى تصحيح الالفاظ والأبنية ووجوه القول ، في أَنَّ المعجم القديم خلا من هذه اللفظة او تلك ، ذلك أَنَّ المعجم القديم مُعَوِّزٌ يفتقر الى شيء كثير من الاستقراء . ثم ان المعجم قد يذكر الكلمة ويفوته ذكر الجمع ؛ فهل يعني هذا ان الجمع غير وارد في اللغة ، وليس من حق المعريين الا يأتوا بجمعها حملاً على نظائرها ؟ إن « الخمر » معروف ، وهو مادة طويلة في المعجم القديم ،

ولكنها خلت من « الخُمور » وهو الجمع ؛ فهل يقال : إن « الخُمور » خطأ لأن المعجم اُخْلَ بها ؟ و « الخُمَر » بالتحريك ما وارك من الشجر ، وليس من جمع له في المعجم ، فهلاً اِئْتْنَا لِنُفْسِنَا ان نجعله على « افعال » مثل قلم واقلام ؟ واذا اشتمل المعجم على « تمر وتمور » فَلِمَ لا نقول إن المعجم اُخْلَ بـ « الخُمور » جمعا لـ « خُمَر » ، واُخْلَ بـ « البقول » جمعا لـ « بُقُل » ، وغير هذا كثير لا يحصره العد . واذا خلا المعجم من « التطور » في مادة « طور » فهل ترى أن جبهة المعريين منذ ما يقرب من مئة سنة مخطئون في صوغ هذا المصدر ؟ ثم إنك تجد الفعل في المعجم ولا تجد مطاوعه ، وهو جار في الاستعمال الفصيح منذ قرون عدة . إلا ترى أن المعجم قد اُخْلَ بـ « انحبس » و « انحجز » و « انجر » ، وكله فصيح جار في اساليب المتقدمين ؟ ولعل ما آخذه على اصحابنا المتصددين للتخطئة في عصرنا هذا انهم لا ينظرون في اساليب المعريين في المظان الادبية واللغوية والتاريخية غير ما ندعوه « معجمات » . ومن امثلة هذا الكثير مما ندعوه خطأ ، لانه لم يرد في المعجم القديم ، ما قالوا في الفعل « ساهم » بمعنى « شارك » كأن يقال : « ساهم محمد في إنجاز المشروع الثقافي الكبير » بمعنى انه شارك مع غيره من العاملين .

جاء الفعل « ساهم » في لغة التنزيل العزيز في قوله تعالى :
« فساهم فکان من المدحضين » . اي قارع اهل السفينة فقرع ، في الكلام على النبي يونس — عليه السلام فقاتل تعالى : « إذ أَبَقَ فِي الْفُلْكِ المشحون ، فساهم فکان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو ملیم . (۱) »
وفي الحديث الشريف : ان رجلين احتكما الى النبي — صلى الله عليه وسلم — في مواريث قد دُرست فقال لهما : اذهبا فتوخيا ، ثم استهما ، ثم لياخذ كل واحد منكم ما تُخرجه القسمة بالقرعة .

ان هذا ليشير الى ان الفعل « ساهم » او « استهم » متصل بالمقارعة التي تقوم على المساهمة، أي المقارعة بـ « السهام » ؛ فأما دلالة المشاركة العامة كما هي الحال في اللغة المعاصرة فقد اخل بها المعجم القديم والنصوص القديمة . غير ان اللغة حين اتسعت فيها مجالات القول، وتأثرت بها فرُضت عليها الحضارات، استجابت للتوسّع الكبير، فاتسّعت ، فكان من ذلك ان يكتب الشريف الرضي الى ابي اسحق الصابي رسالة يعزّيه بفقد ولده فيقول له : وانا المساهم لك في تحمّل النائبة .

لقد اخل المعجم القديم بالفعل « شاكس » وهو معروف مشهور، في حين ورد فيه « تشاكس » كما في لغة التنزيل العزيز : « ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً » . اقول: اذا ورد الفعل « تشاكس » فمن الصحيح ان يكون الفعل « شاكس » لأن « التشاكس » ان « يشاكس » الرجل آخر . فهل من الحق ان نقول إن الفعل « شاكس » والمصدر المشاكسة، او الشكاس من الخطأ لأن المعجم القديم قد اخل بها ؟

واذا عرفنا ان قياس المصدر في « فاعل » هو « الفعل والمفاعلة » وجدنا المعجم قد يكتفي بأحدهما، والغالب ما جاء على « مفاعلة »، ويهمل « الفعل » ؛ كما في « المواظبة » ولم يشر المعجم الى « الوظائف » . ومثل هذا « المباراة » مصدر الفعل « بارى »، يشير اليه المعجم القديم ولا يشير الى نظيره « البراء » . ونجد « المضاهاة » ولا نجد « الضهاء » ونجد « المسامة » . ولا نجد « التسماء » .

وقد حلا لابي عثمان الجاحظ ان يستعمل الأبنية القياسية وان لم تكن مما ألفها الاستعمال وأشارت اليها كتب اللغة ، فقد استعمل « الخطار » ولم يقل « المخاطرة »، وهي أشيع في القياس ؛ واستعمل « البراء » ولم

يستعمل « المبراة » (٢) ، ولأبي عثمان نظر فريد في دلالة الالفاظ ؟ لقد فرضت علينا الحياة المعاصرة الفاظا تعد بالمئين بل الآلاف لا مكان لها في المعجم ، فهل جاز لنا ان نعدّها من الخطأ أو المولد أو ما شئت ؟ أفليس من الحكمة ان يكون لنا معجم جديد يشتمل على المباحثة والمكاملة والمشادة ونحو هذا ؟ أما ان تقول — حفظك الله — ان هذا خطأ وتجاوز، فما أراك رعيتَ للغة حقّها وحُرمتها ، افلستَ ممن حَمَلَ الضيمَ عليها ووشمها بالتخاذل والضيق ؟!

قلت : إن المتصدّين للتخطئة والتصحيح لم يتجاوزوا المعجم القديم ، ومنهم من لم يُطل النظر في هذا المعجم فيعرف ما فيه معرفة يستوفي فيها الكلمة واستعمالها . وكيف يتأتّى لفلان أو فلان من أصحاب العلم المتصدّين للتخطئة وتقويم اللسان والقلم وهو لم يستوعب ما جاء في كلام الله العزيز ؟!

اعرف من خبر احد هؤلاء الفضلاء ، بل من متقدّميهم ممن ضربوا في هذا الامر بسهم صائب ، انه قد شارك في وضع كتاب مدرسي في «ألبلاغة» مع اثنين آخرين ، فاتفق الثلاثة على أن يضطلع اثنان منهم بوضع مادة الكتاب ، وينفرد صاحبنا المعنيّ بتقويم اللغة وأسايب القول والكتابة بمراجعة الكتاب . ولما أن تم لصاحبيه وضع الكتاب ، أقبل هو يراجعه فوجد في فاتحته شيئا موجّها الى الطالب جاء فيه :

« فليتدبّر الطالب هذه الموضوعات ... » . كأن أستاذنا الجليل قد هجس في نفسه ان « التدبّر » في قولك كاتب مقدمة الكتاب من الخطأ فقال : « ان التدبّر » يعني النظر في الأدبار .

اقول : لو ان أستاذنا الجليل قد اطال النظر في كتاب الله العزيز

٢ — لأبي عثمان الجاحظ مادة لغوية ذات قيمة تاريخية كبيرة ، وكنت اشرت الى هذا في كتاب لي ما زال مخطوطا وسيمته بـ « معجم الجاحظ » .

لقرا الآية الكريمة : « افلا يتدبرون القرآن ... » . ثم انه قد اُثِر عنه انه كان يقول : « يقال هذا الشيء عاديّ » وهو خطأ، لأن « العاديّ » هو اشيء القديم العتيق ، والنسبة الى «عاد» من الامم البائدة الاولى ، ومن ذلك « العاديات » للنفائس والتحف . لقد قيل له : وكيف النسب الى « العادة » ؟ فلم يكن منه إلا أن تراجع وصدّق .

اقول : إن يبتدر المرء الى القول بـ « الخطأ » شيء يناقض العلم، ذلك ان الإحاطة بالمستعمل وغير المستعمل من الابنية والاساليب أمر عسير ، ومن هنا كان الاقتصار على ما في المعجم القديم لا يحقق غرضاً علمياً . الا ترى أن المعجم القديم لم يشر الى بناء « فظع » المضاعف، وقد تحسبه من لغة العوام لأنهم يستعملون « التفضيع » ولكنك تفاجأ حين ترى هذا البناء في « شرح المفصلیات » للتبريزي حيث يقول (٣) : « والقصد الى التفضيع .. »

ثم نجد ابن المقفع يقول في « الادب الصغير » (٤) :

« فالسعيد الفالح ، والمرجؤ من لم يخصم » .

لقد اخلّ المعجم القديم بـ « الفالح » اسم الفاعل من « فَلَحَ » ذلك ان في المعجم « افلح » الرباعي ليس غير ، افجائز ان نذهب الى خطأ القول بـ « الفالح » وقد استعمله ابن المقفع، بحجة ان المعجم لم يشر اليه ؟ ولا بد لي ان اتوجه الى أصحابنا الفيارى على العربية والساعين الى سلامتها فأتقول لهم : إن الطريق الى معرفة الصحيح والخطأ في الابنية والاساليب رهين بالنظر في كتاب الله العزيز، والحديث الشريف، وسائر المواد الاخرى مما اشتملت عليه كتب اللغة والادب والتاريخ ، وان الاقتصار على المعجمات

٣ - التبريزي ، شرح المفصلیات (بتحقيق البجاوي) ٢١٧/١ .

٤ - ابن المقفع ، الادب الصغير (دار الجيل في بيروت) ص ١٧٢ .

اللغوية لا يحقق هذا الغرض العسير .

إن أصحابنا أهل التصحيح وتخريج الأساليب القويمة قد وقعوا في أوهم بسبب من نقص أدواتهم . لقد قال أحدهم مثلا : « إن الصحيح » اجزوة السفر « لا » جوازات السفر « والحجة ما جاء في » أساس البلاغة « : » وخذوا اجزوة سفركم « ومثله في » التاج » .

أقول : وفات المصحح الفاضل المتوخي استعمال الأبنية الصحيحة إن الجاحظ استعمال في إحدى رسائله « الجوابات » (٥) جمعا لـ « جواب » .
الا يحق لنا أن نقول بعد استعمال الجاحظ هذا ، بصحة « جوازات » السفر ، كما نقول بصحة « اجزوة » السفر الذي جاء ذكره في (أساس) الزمخشري وفي « تاج العروس » . . وقد جمع الجواب على « أجوية » (٦) أيضا .
وكنيت قد لاحظت كما لاحظ غيري أن أهل التصحيح قد عرضوا لمواد نجدها مكررة مرتدة منذ عصر الحريري إلى يومنا هذا ؛ فأنت تجد أن جلوم قال :
الحوائج جمع حاجة من الخطأ الشائع ، وإن أثر في الشيء هو الصحيح لا أثر عليه . ولا يشير المتأخر من هؤلاء إلى ما ذكره المتقدم حين يعود إلى القول نفسه .

وسأعرض لنماذج من هذا الذي تردّد في مصنفات أصحابنا الذين تصدّوا إلى تصحيح الأبنية والأساليب . وليس غريبا أن أقول : إن طائفة كبيرة مما ذهبوا فيه إلى الخطأ قد ورد في كتب الأدب والتاريخ واللغة ، ولكنهم حين اقتصروا على المعجمات فاتهم علم كثير . على أن من الحق أن أقول إن بينهم من كان دائم النظر في كتب الأدب والتاريخ واللغة ، ولكن الإحاطة والشمول أمر معجز ، نقصر كما قصر غيره .

٥ - الجاحظ ، فصل من صدر كتابه في الجوابات في الإمامة (المورد ج ٧ ، ١٩٧٨) .

٦ - ولابي حميد الغزالي كتاب عنوانه « (الاجوية الغزالية في المسائل الاخرية) » ط . مصر

قال غير واحد من الأساتذة العلماء في مادة التصحيح :

يقولون : تسرَّب اليه بمعنى تسرَّب فيه ، والثانية هي الصواب . أقول
إذا كان السابق المتقدم قد أشار الى هذا فلم يتكرَّر علينا من جاء بعده
فيحشُر هذا في مادته دون أن يشير الى سابقه ؟ وقال الشيخ ابراهيم
اليازجي في « لغة الجرائد » (٧) : ويقولون : تخرَّج على فلان ، وتخرَّج في
مدرسة كذا وهو خريج فلان .

وخلف بعده جماعة فأعادوا المسألة مع خلاف ، فقال أحدهم : تخرَّجَ
فلان في الكلية الفلانية وليس تخرَّجَ من الكلية .

أقول : والذي وقفت عليه في كتب الرجال اني قرأت كثيرا وتخرَّجَ به
جمهرة من العلماء .

وإذا كنا قد عرفنا في باب التضمنين قوله تعالى :
« عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ » فهل ترانا أنصفنا العربية وأنصفنا انفسنا ؟
إنلا يكون من الجور أن نتشدد الى هذا الحد ؟ قالوا : لقد حجَّرتُ واسعا .
وقالوا : من الصواب أن نقول : تعرَّفتُ الأمور لا تعرَّفتُ بها .

إنَّ من المتقدمين في عصرنا من قال بهذا ، الشيخ ابراهيم اليازجي في
« لغة الجرائد » (٨) :

ويقولون : تعرَّفتُ على فلان إذا أحدثت به معرفة ، وهو من التعبير
العامي .

ومرجع الشيخ اليازجي والذين أعادوا مقولته هو المعجم القديم .
ولكن الأساليب تتغير ، وأن المعربين يصيرون الى أنماط من الإعراب تخالف
ما درج عليه متقدموهم . ولست أذهب مذهب اللغويين الأوائل فأحظر أن

يؤخذ بأقوال من سموهم « مولدين » أو « محدثين » ؛ تلك شنشنة
 قديمة عفى عليها الزمان ؛ أفلا ترى أن من التعسف الكبير ألا نأخذ بقول
 أبي الفرج الاصبهاني صاحب « الاغاني » الشهير في اخبار « عبادل »
 ونسبه وهو قوله : « فحرّكت بعيري لاتعرّف بهنّ وأنشدهنّ » ؛ ومثل هذا
 ما قرأناه في « نفح الطيب » ، في الكلام على يوسف الدمشقي : وكان من
 الذين أخفاهم الله لا يتعرّف به الا من تعرّف له (٩) .

ومما كرّره غير واحد من غير اشارة الى المتقدم السابق قولهم :
 دُعِستَه السيارة لا دُهِستَه .

وقولهم : كتاب شائق لا شيق .

وقولهم : « نُكْنَةُ الجندي » بضم الناء مع سكون الكاف لا « نُكْنَةُ »
 بفتحتين .

وقولهم : « فلان يرأس اللجنة » بفتح الهزة ، لا « يرئس » بكسرها .

وقولهم : « كابد فلان العذاب » لا « تكبّد » .

وقولهم : « استهتر بالخمير » لا « استهتر » .

أقول : ان ممن نبّه على هذا من السابقين ، أبو الفريّ ابن الجوزي
 في كتابه « تقويم اللسان » ؛ قال ناقلا عن غيره : « تقول استهتر فلان بكذا »
 بضم التاء الاولى وكسر الثانية على ما لم يُسمّ فاعله والعامة تفتـح
 التائين (١٠) .

وكان الاساتذة قد وقفوا على ما في « لسان العرب » حين صححوا
 هذا الخطأ الشائع ، لقد جاء في « اللسان » الحديث الشريف : سبق

٩ — من كتاب « الاستدراك على كتاب قل ولا تقل » للاستاذ صبحي البصام ص ٩٠ .

١٠ — تقويم اللسان (دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦٦) ص ٧٧ .

المُفْرِدُونَ ؛ قالوا وما المُفْرِدُونَ ؟ قال الذين أهُتَرُوا في ذكر الله . وجاء في حديث آخر : هم الذين اسْتُهُتِرُوا بذكر الله ، أي أولِعُوا به . كما جاء في « اللسان » و فلان مُسْتُهُتِر بالشراب ، أي مولِع به .

ومما رده أصحاب التصحيح من أقوال يأخذها لاحقهم عن سابقهم قولهم :

اسْتَسِيت المدرسة لا تاسَّسَتْ .

و « ما زال الخلاف قائما » وليس « لا زال الخلاف قائما » .

و « هو عائل على غيره » وهم عائلة على غيرهم « وليس « هو عائلة على غيره » .

و « ينبغي لك » لا « عليك » . و « صادَرَه على المال واستصْفَى ماله » لا « صادَر ماله » .

هذه جملة موجزة لمواد أدرجت في كتب التصحيح في عصرنا هذا ، يرددها غير واحد منهم مع أن شيئا منها قد تنبَّه له المتقدمون . وأريد أن أعرض لنمط آخر مما لم يُرد في هذه الكتب ، بل اختصَّ به علم من الاعلام من أهل الفضل والدراية والتبحُّر .

قال — رحمه الله —

قل : « أَيُّهُما أَفْضَلُ الْعِلْمُ أَمْ الْمَالُ » ولا تقل « أَيُّهُما أَفْضَلُ الْعِلْمُ أَمْ الْمَالُ » . والحجة أن « هما » في قولك « أيهما » ضمير يعود الى اسم ظاهر متأخر عنه لفظا ورتبة عودا غير مجاز .

وقال : « أن التركيب مخالف للمنطق اللغوي » .

اقول : إن ما ذهب اليه الأستاذ الجليل هو الأسلوب الفصيح الذي نجده في كلام المتقدمين الفصحاء ؛ غير أن الوجه الآخر الذي شدد النكير

عليه مما نواجهه في كلامهم أيضا؛ فمن ذلك ما جاء في اخبار أبي عمرو بن العلاء : انه كان يخاف الحجاج بن يوسف ، فكان يتستر . قال : فخرجت في الفلّس أريد التنقل من الموضع الذي كنت فيه الى غيره فسمعت منشدا ينشد :

رُبَّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الْإِمَامِ ——— رَ لَهُ فَرْجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ .

وسمعت عجوزا تقول : مات الحجاج ، فما أدري بأيّهما كنت أسرُّ ؟
أقول المنشد « فَرْجَةٌ » بالفتح ، أم يقول العجوز : مات الحجاج ؟ (١١)
ولقد استدرك الأستاذ صبحي البصام على استاذته الدكتور مصطفى جواد — رحمه الله — شواهد كثيرة تشير الى ان ما أنكره وهو القول « ايها » كلام فصيح وارد في كلام المتقدمين الفصحاء ، ومن ذلك :

١ — جاء في « نهج البلاغة » : وسئل عليه السلام ، أيّهما افضل .
أعدل أو الجود . ؟

٢ — وفي طبقات الشعراء لابن سلام الجهمي : « ان ابا العطف
قال : إن شابا لقي الفرزدق ، فقال له : ايها احبّ اليك تسبق الخير
أو يسبقك ؟ »

٣ — وفي « الاغني » : انّ أم عمر بنت مروان قالت لطوئيس المغنّي
ايها احبّ : العاجل أم الاجل ؟ (١٢)

واستوفى الأستاذ البصام من هذا خمسة عشر موضعا كلها تؤيد استعمال « ايها » وعودها على الضمير المتأخر .

١١ — الزبيدي ، طبقات القهوين ص ٢٩ .

١٢ — البصام ، الاستدراك ص ١٢ — ١٤ .

ان هذا يعني ان العربية وإنْ دُرِّجَتْ في سننٍ واضحٍ من النظام
النحوي في نظم الكلم في الجمل المفيدة ، تبتعد كثيرا عن هذا السنن في
طائفة من وجوه القول . ثم الم نذكر أن النحاة حين رسموا القاعدة في عدم عود
الضمير على متأخر لفظا ورتبة ، اثاروا في الوقت الى شواهد ما جاء شاذا
عن هذه القاعدة النحوية كقول ابي الاسود الدؤلي يهجو عدي بن حاتم
الطائي ، وقد نسبه ابن جني الى النابغة الغبياتي :

جزى رثه عني عدي بن حاتم جزاء الكلاب العاويل وقد فعل
وكقول حسان يرثي مطعم بن عدي احد اجواد العرب :

ولو ان مجدا اخلد الدهر واحدا من الناس ابقى مجده الدهر مطعما
وقال — رحمه الله — :

قل : « السكك الحديد ولا تقل : السكك الحديدية » .

وقال شارحا العلة : وذلك لان السكك المذكورة مصنوعة كلها من
الحديد ولم يضاف اليها شيء آخر من الفلزات والمعدنيات .

وهو يقول : إن الناس اتبعوا في هذا الخطأ ما جاء في « تذكرة
الكاتب » لاسعد خليل داغر .

وقد عرض لهذا القول الأستاذ البصام فجاء بشواهد من الشعر
والنثر ما يرد به مقولة الدكتور مصطفى جواد ، وخلص منها الى ان السكة
الحديد والسكة الحديدية كلاهما فصيح (١٢) .

وقال — رحمه الله — :

« قل اجاب عن السؤال ، ولا تقل اجاب على السؤال » .

١٢٠ اقول : إن القول بفصاحة الاستعمال الأول صحيح مليح، ولكن
الاستعمال الثاني قد ورد في نثر المتقدمين كما ورد استعمال الأول،
والشواهد كثيرة في كليهما .

ثم إن لاستعمال حروف الجر في العربية طرائق عدة تظهر أن بعضها
ينوب عن بعض ويحل محله . وما القول بـ « التضمين » في هذه الأدوات
الماضيه من مظاهر التطور اللغوي ، فإذا كان التضمين جائزا وقد عرض
للعربية في عصورها المتقدمة ، فلم لا نقبل حلول « على » محل « عن » مثلا
في قولنا : اجاب عن السؤال او على السؤال ؟

ولم لا نقول : وفق الحاجة تأسيًا بأبي عثمان الجاحظ كقوله في رسالته
« استنجاز الوعد » « واسماؤكم وكُنَّاكُمْ بين فَرْحٍ وَنُجْحٍ ، وبين سلامةٍ
وفضلٍ ، ووجوهكم وفق اسمائكم ، وأخلاقكم وفق أعرافكم » (١٤)

ومجيء « وفق » من غير أن يسبقها « على » كثير ، فهل آن للمتصدين
للتصحيح أن يعيدوا النظر في مناهجهم ويتعقبوا النصوص في كتب الأدب
واللغة والتاريخ ؟

ثم إنهم لم يأخذوا في أن « الإيجاز » هو من البلاغة في الأساليب العربية
حيث يجب الإيجاز . ومن الإيجاز البليغ قوله تعالى « واختار موسى قومه
سبعين رجلا » أي من قومه . أن حذف الجار تفرضه علينا البلاغة العربية
فنقول : حَدَّثَ اثناء ذلك ، أو خلال ذلك ، وهو أبلغ مما نقول : « في اثناء »
أو « في خلال » .

ولقد عني بموضوع التصحيح في عصرنا جمهور من العلماء من أهل
الفضل والدرابة حتى إذا توفاهم الله خَلَفَ من بعدهم خَلَفٌ لم يكن لهم

من العلم ما كان لأولئك، فتعجلوا الطريق فكانوا كحاطب الليل، وعادوا الى ما سطره اولئك الاعلام فزادوه عبثا .

لم يكن هذا الخلف على علم بالعربية ، معتمدا على كثير من المواد التي توزعتها كتب الادب والتاريخ . ومن أجل ذلك اقتصر جلهم على مادة من سبقهم فرددوها غير مشيرين الى اصحابها ، ثم انهم يصلون الى تلك المواد بلغة العصر الجديد التي كثر فيها التجاوز بل الخطأ .

ان احدهم يستعمل « التصويب » وهو يريد به « التصحيح » ، وهذا من لغة العصر ؛ فالتصويب ان تصوب كلاما اي تجده صوابا وتعدّه صوابا ، كأن يقال : ابدى فلان رايه فصوّبته . وان آخر يستعمل « الكواهل » فيقول : « كواهل عقولهم » وما ادري اعرف صاحبنا معنى « الكاهل » ام جهله ؟ واذا كان قد عرفه فهل جائز استخدام هذه الاستعارة في حدود العقل ؟ وكيف يكون للعقول « كواهل » ؟

وكيف يتأتّى هذا وقد عاب النقاد المتقدمون على ابي تمام قوله :

يا دهرُ قَوْمٍ منْ أُخْذَعِيكَ فَقَدْ اضْجَجْتَ هذا الأَنامَ منْ خُرْقِكَ

لقد هالهم ان يكون للدهر « اخذعان » كما يهولنا الآن ان نغير « العقول كواهل » . ويستعمل هذا النفر كلمة « التشويش » ، وهذه الكلمة عامية في عصرنا هذا ، يقال : « حدث تشويش في البلد » اي اختلاط واضطراب . ولقد عدّ اللغويون المتقدمون هذه الكلمة من العامية . قال ابن الانباري : اجمع اهل اللغة على ان « شوش » عامية (١٥) ووهم الجوهري في عدّها في جملة الفصيح الصحيح . اترى بعد هذا ان من الفصاحة ان نستعمل هذه في كتاب لغوي انصرفت لتصحيح الابنية والاساليب ؟!

و « التشويش » نظير « الفوضى » وقد استعملت « الفوضى » في
المعنى نفسه ، والاصل فيها الجمع ، والمفرد « فضيض » ، ثم عرض لها
الابدال ، بماذا قلنا : « الناس فوضى » فالمعنى : متفرقون مختلطون . قال
الافوه الاودي :

لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سراةَ لهمْ ولا سراةَ اذا جهَّالهمْ سادوا

ولست ارى أن يضطر مُعرب في كتاب في أصول العربية أن يستعمل
« القرون الوسطى » مستعرا هذا المصطلح من التاريخ الغربي المسيحي .

ثم ليس من التساهل والتعسف أن تستعمل وصف « الاملائية »
للاخطاء فنقول : « الاخطاء الاملائية » ؟ ان مصطلح « الاملائية »
مأخوذ من مادة « الاملاء » وهو أن المعلم يملئ على تلامذته ليختبر
معرفتهم بـ « رسم » الحروف ؛ وعلى هذا لا يمكن أن ينصرف « الاملاء »
الى معنى رسم الهزة والالف المقصورة ، كأن ترسم الفاقائمة او برسم الياء
ونحو هذا . ويستعملون « الاستعجال » بمعنى العجلة فيقولون : « ان
هذا الكتاب يعين المستشير المستعجل » . وكان الصواب أن يقال
« العجلان » لأن الاستعجال والاعجال والتعجل بمعنى الاستحثاث وطلب
العجلة . واعجله وعجله واستعجله اذا استحثته وطلب العجلة .

ومن العجب أننا نقف على اخطاء يذكرها هذا التفرد فلا نراها الا في
كتبهم ، وهي إنْ وُجِدَتْ ففي استعمال الصبية أو قتل العوام ؛ وإلا فمن
يقول « المروءة » بفتح الميم أو « الخراج » لما يخرج من القرح أو شبيهه ،
بفتح الخاء ؟

واني لأعجب من طائفة منهم في قولهم يقال : خرج عن القانون ولا
يقال : خرج على القانون . ولو قرأ هؤلاء في كتب التاريخ وأحصوا الخارجين
على السلطان في عصر بني امية وعصر بني العباس لوجدوا جمهرة من
هؤلاء كلهم « خارج على السلطان » . ولا يعني هذا أن المرء حين يقول :

« خرجت عن الحد اللائق » مخطيء ، فكلاهما صحيح ، ولكل توجيه في الدلالة والمعنى ؛ فاعرف ذلك — رحمك الله —

ولم اكن اقصد الى استيفاء هذه المواد ولو قد فعلت لكان لي منه كتاب برأسه ما زلت احتفظ بمواده ، ولكني اقول : إن المعربين في العربية قد ضاقوا بها ذرعا فلم تسلس لهم ، ولم تسلمهم قيادها لانهم لم يملكوها ولم يشقوا بالنظر في مصادرها .

واذا لم يكن هذا فكيف اقرأ في مجلة مغربية ان احدهم كتب : لقد خلا الوطاب وتنوعت الاسباب وكثرت السبل ...

اقول : إن صاحب هذا الكلام لا بد ان يكون قد فهم ان « الوطاب » مفرد لا جمع ل « وطب » ، ومن اجل هذا لم يلحق الفعل « خلا » بتاء التانيث في حين ان الفعل الذي اتى بعده مقترن بالتاء في قوله : « وتنوعت الاسباب » وبعده « وكثرت السبل » مع ان الامر جائز مع الفاعل اذا كان جمعا مكسرا . غير ان التزام تاء التانيث في الجملتين مع خلو الاولى منها يشعر ان المَعْرِبَ حَمَلَ « الوطاب » على الامتراد والتذكير ، وهو في حقيقته جمع . قال تابط شرا :

اقول للْحَيَّانِ وقد صَفَرَتْ لَهُم وَطَابِي وَيَوْمِي ضَيْقُ الْحُجْرِ مُعَوَّرُ
ومثل هذا استعمالهم « اذ » وهو ظرف للزمان الماضي استعمال
« اذا » الشرطية فيقولون : « واذا لم ينهيا لي العمل في بغداد فقد غادرتها الى ... » .

والصواب « اذا » اما « اذ » فكتوله تعالى : « رَّبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بعد اذ هديتنا » .

وبعد فهذه المأبة موجزة بشيء يتصل ببحث سلامة العربية ونهج المعنيين فيها لم ارد منه ان اقسو على احد من العاملين ، وفقه الله لخير هذه اللغة الشريفة .

الدكتور ابراهيم السامرائي

العرب وراث فارس في العصر الحديث

للدكتور يوسف حسين بكّار

(جامعة اليرموك / الأردن)

ثمة ظن قديم جديد يسود أوساط كثيرين من ادبائنا ومثقفينا، خلاصته أن اهتمامنا باللغات الشرقية عامة ، وصلاتنا بأدابها وتأثرنا بها ، ضعيفة، بل هي أقل بكثير من اهتمامنا وصلاتنا وتأثرنا بلغات الغربيين وآدابهم (١). قد تكون لهذا الظن وجاهته وصدقه في شقّه الآخر عند من يتابعون مسيرة المتخصصين منا باللغات الشرقية وآدابها ، والفارسية خاصة ، أما الذين لا خَبَرَ لديهم بهذا ولا خُبَر ، فهم آخذون — ولا شك — بشقّي الظن كليهما.

هذا الظن هو الذي دعاني الى التفكير في موضوعه ، ومحاولة العمل على نفيه أو التخفيف من حدته وسطوته على الاقل ، الى أن تمخّض عنه هذا البحث، الذي يؤكد بوضوح عنايتنا بالفارسية وصلاتنا بأدابها ، وتأثر بعض ادبائنا بها ، في القرنين التاسع عشر والعشرين خاصة ، وأن يكن التأثير أقل من نظيره بأداب الغرب (٢) .

البحث في حقيقة أمره مقدّمة لعمل علمي اكبر واشمل اسميته «العرب وراث فارس — في القرنين التاسع عشر والعشرين» وهو عمل بليوغرافي أدبي وصفي نقدي لجهود باحثينا المعاصرين في لغة الفرس وتراثها، قديمها

١ — انظر ، مثلا : رجاء النقاش ، موقفنا من الآداب الشرقية ، مجلة الدوحة ، السنة

الثالثة ، العدد ٢٤ ، أكتوبر ١٩٧٨ ، ص ٥٤ — ٥٧ .

٢ — سوف اعرض لهذا الموضوع في بحث مستقل ان شاء الله .

والحديث . وهو اصدق برهان على صلات العرب العلمية والادبية بواحدة من اعرق اللغات الشرقية وتراثها المتشعب الفنون والموضوعات ، أتيسح لها ان تتأثر بلغتنا وآدابنا وتؤثر فيهما أيضا ، فكان العطاء — وما زال — خصبا ، والعناق مستمرا .

القسم الأول

الوشائج الثقافية والعلمية بين العرب والفرس

(مظاهرها وأنواعها وازدهارها)

العلاقة بين الامتين العربية والفارسية بعيدة الغور في —ذور التاريخ ؛ فهي وان تارجحت بين مدّ وجُزّ في الجاهلية ، فقد أخذت تتوطد وتتقوى بعد ان دخل الفرس في دين الله افواجا ، وبعد ان تعانقت الأُمّتان تحت شعار « الله أكبر » في ظلال دستور الاسلام وكتابه الخالد القرآن الكريم .

لقد كان لكل من الفترتين الجاهلية والاسلامية وسائل اتصال وضروب تأثير وتأثر بين الامتين . لكن تلك الصلات والعلاقات كانت اصلب واقوى في الاسلام، مما جعل تأثير الفرس في العرب حينئذ اوسع واعمق منه في الجاهلية ، كما ان آثار العرب في الفرس لم تكن تقلّ عما نقلوه منهم ، ان لم تزد عليه شمولاً وعمقا وسعة ، فيما يقول الدكتور احمد الحوفي (٣) .

ولسنا في حاجة الى الاسهاب في الحديث عن هاتيك العلاقات والصلات القديمة في الجاهلية والاسلام ، فأخبارها مبثوثة في أمّهات كتب التراث الاسلامي والعربي ، فضلا عن دراسات حديثة قيّمة تعهدت دراسة تلك العلاقات والصلات وبحثها نشأة وتطورا وتحليلا .

٢ — تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، ص ٤ .

ليس غريبا أن يصادف تاريخ العلاقات بين العرب والفرس حيناً من الدهر ، تضاعلت فيه الصلات بين الثقافتين العربية والفارسية عن غير قصد . ولقد كان مرجع هذا كله السبات العميق والركود الطويل اللذين ابتليت بهما الأمة العربية في مرافق حياتها المختلفة، من سياسية وثقافية وعلمية وأدبية وغيرها ، في فترة سماها العرب أنفسهم « الفترة المظلمة » أو « فترة الركود » .

وليس غريبا أيضا أن يكون علم العرب بشؤون الأدب الإيراني قبل النهضة ضيقا محدود الوسائل . يقول المرحوم طه حسين : « وقد كان علمنا بشؤون الأدب الإيراني ضيقا محدود الوسائل، لا نستطيع أن نتلمسه عند أهله وإنما نتلمسه عند الانجليز والفرنسيين والألمان الذين سبقونا — مع الأسف — إلى العلم بهذا الأدب وتذوقه . ويكفي أننا عرفنا أول ما عرفنا عمر الخيام في هذا العصر الحديث عن طريق التراجم الانجليزية ، وعن طريق ما كتب عنه الانجليز (٤) .

وعلى الرغم من كل الظروف والملابسات التي المحنا اليها ، فإن الصلات لم تنبت كليا ، بل ظلّت أشتات منها قائمة ؛ وكان للغة الفارسية شيء من مكانة . فكترة المتعلمين والشعراء العرب في الدولة العثمانية إلى بدايات القرن العشرين كانوا يعرفون الفارسية (٥) ، لأن التركيبة والفارسية كانتا متلازمتين ، وكان الأتراك يعدّون الفارسية أصلا لثقافتهم (٦) ، وكان العلم بها « ضرورة ثقافية لا غنى لتركي عنها ، وكانت

٤ — من مقدمته لكتاب « حافظ الشيرازي » ، للشواري .

٥ — محمد كفاي : في الأدب المقارن ، ص ٢٠١ .

٦ — نواد عبد المعطي الصياد : دور الفرس في بناء الحضارة الإسلامية في كتاب : الصلات الثقافية بين إيران والعرب ، ص ١٢٩ .

الفارسية عندهم لغة الفصحاء» (٧) : ومن هؤلاء جبرائيل المخلع السوري ،
الذي ربما كانت ترجمته لگلستان سعدي الشيرازي ، بالنظم والنثر المسجّع ،
أول ترجمة من الفارسية الى العربية في العصر الحديث ؛ وميخائيل عوراء
اللبناني ، الذي كان يحسن الانشاء بالعربية والتركية والفارسية (٨) ،
والاديب اللبناني أحمد فارس الشدياق ، والمصلح والاديب السوري
عبد الرحمن الكواكبي (٩) ، والشاعر المصري محمود سامي البارودي ،
والشاعرة المصرية عائشة التيمورية ، وعدد غير قليل من علماء العراق
و « ساداته » وشيوخه ممن كتبوا بعض اعمالهم بالفارسية ، وخاصة
من كان منهم من أصول فارسية .

فالبارودي ، مثلاً ، كان يتقن ، فضلاً عن التركية والانجليزية ،
الفارسية (١٠) التي لُقِّنَها في اثناء مقامه بالآستانة (استانبول) ، واطّلع
على آدابها ، واستظهر شعرها ، ونظم بها وبالتركية أيضاً شعراً ، وتأثر
ببعض أشعار شعرائها (١١) ، وترجم شيئاً منها شعراً ومما ترجمه ، دون
أن يدل على صاحبه (١٢) :

هتف الديكُ سُحْرَةً فاصطبحنَا لهتْفَه
بشْرَابٍ كعِينِه وكِبَابٍ كَعُرْفِه

٧ - حسين مجيب المصري : ايران ومصر عبر التاريخ ، ص ٢٢ .

٨ - لويس شيخو : الآداب العربية في القرن التاسع عشر ١ : ٧ .

٩ - جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ١ : ٢٢٢ ، الطبعة الثالثة ،
مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٢٢ .

١٠ - لويس شيخو : الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ، ص ١١ ، وجرجي
زيدان : تراجم مشاهير الشرق ٢ : ٢٩٩ .

١١ - محمد حسين هيكل : مقدمة ديوان البارودي ١ : ١١ دار المعارف ١٩٧١ ، وصحيف
مجبب المصري : ايران ومصر عبر التاريخ ٢٤ - ٣٥ .

١٢ - ديوان البارودي ٢ : ٢٩٥ .

وكالبارودي، كانت عائشة التيمورية (١٨٠٤ - ١٩٠٢)، التي عاشت في استانبول حوالي عشرين سنة أو تزيد ، تعرف التركية والفارسية ، فضلا عن العربية . ونظمت الشعر باللغات الثلاث جميعا (١٣) . غير أنها ذكرت في مقدمة ديوانها بالتركية انها ألقت - بعد وفاة ابنتها - ديوانها بالفارسية في النار صفحة صفحة، ليحترق كما احترقت فلذة كبدها - « توحيدة » ، فتلاشى شعرها الفارسي ، ولم تَبْقَ منه الايام شيئا (١٤) .

ويقال إن عراراً ، مصطفى وهبي التل شاعر الاردن (١٨٩٧-١٩٤٩) شغف بالفارسية بعد أن قرا رباعيات الخيام التي ترجمها الشاعر الفلسطيني وديع البستاني ، فعمد الى تعلمها ليقرا الخيام بلغته الأم ، ومن ثم نفذ الى ترجمة رباعيات الخيام نثرا (١٥) ، هي التي نشرها في مجلة « مينرفا » اللبنانية (عدد تشرين عام ١٩٢٥) التي كانت تصدرها السيدة ماري يني عطا الله . وهاهو ذا يتحدث عن معرفته بالتركية والفارسية، وعن ترجمته الرباعيات : « انني اتقن التركية اتقاناً لا بأس به ، والتركيا كما لا يخفى على من عرفها، تتألف من ثلاثة أحدها فارسي ، كما تتألف الفارسية من ثلاثة أحدها عربي . فمن انضمام معلوماتي الفارسية المستقاة من علمي بالتركية والعربية الى معلوماتي الخاصة الضئيلة بالفارسية كانت ترجمتي اقرب الترجمات المعروفة (في زمانه) للأصل الفارسي (١٦)». ولم

١٣ - لويس شيخو : الاداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ، ص ١٦ ، ومسي زيادة : شاعرة الطليعة عائشة تيمور ، ص ١١٧ - ١١٨ (دار الهلال) ، وعبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص ٤ ، المكتب الاسلامي ، دمشق ١٩٦٧ م .

١٤ - حسين مجيب المصري : في الادب العربي والتركي ص ٢١ ، وايران ومصر عبر التاريخ ، ص ٢٥ .

١٥ - يقال انه ترجمها قبل هذه المرة في عام ١٩٢٢ عن التركية (البدوي المثلث : عرار شاعر الاردن ، ص ٩٤) .

١٦ - البدوي المثلث : عرار شاعر الاردن ، ص ٩٣ .

يُخْلُ انشغال الشاعر بالخيام ورباعياته من أن يترك آثاراً في سلوكه
وشعره ، والأمثلة على تأثره بالخيام (أو بما نسب إليه) كثيرة (١٧) .

يقول عرار :

كوخنا يسمو على القصر المنيف
كل ما فيه جميل وظريف
تلكم دنياكم قد بعثها
أنا بالدين وذيتك الرغيف
يا نديمي ان عيشي اليوم طاب

ويقول الخيام :

واخلُ بي نحسو شراباً عتقا
ثم نلهو بنشيد نمقنا
ورغيفٍ تحت ظلٍ أورقنا
وأشدُّ بالالحن ، يرتدُّ الخلا
جنَّةً راق بها الحسن وراع

ويقول عرار :

وحياتي : لا تسل عن كنهها
إنها حانٌ والحنٌ وصَدْحُ !

ويقول الخيام :

يعلم الله أنني سكيرٌ وهو أمر عند العليم يسيرٌ

ونظيري بين الكرام كثير وزقاقني مملوءة ودنانني
وانا أشرب الكؤوس امتثالا !

ومن شعرائنا في هذه الايام من ينظم الشعر بالفارسية ، ومن هؤلاء
الدكتور حسين مجيب المصري، صاحب المؤلفات الرصينة في الآداب الثلاثة:
العربية والفارسية والتركية، ويقال إن له ديوان شعر بالفارسية لمّا
يطبع (١٨) . وهو ، علاوة على ذلك ، من اكثر شعراء العرب المعاصرين
تأثرا بالشعر الفارسي في شعره العربي والفارسي ، سواء في انتخاب
عناوين دواوينه، من مثل : « شمعة وفراشة » (١٩٥٥) ، و « وردة وبلبل »
(١٩٥٨) ، و « حسن وعشق » (١٩٦٣) ، و « همسة ونسمة » (١٩٦٤) ،
ام في افكاره ومضامينه . وكثيرا ما كان يكشف هو نفسه عن تأثراته
الفارسية في هوامش دواوينه (١٩) . ومن شعره المتأثر بالفارسية (٢٠) :

أَدِرْ كاساً على فكري	والهم خاطري شعرا
بِشْعَرِكِ بِلْ على راسي	وَأُوْدِعْ مُهْجَتِي سِرّاً
الانسى المرء من ياسي	وتنفح روضتي عطرا
وزيّنْ مجلس الانس	بزهرة الخدّ حمراً
والقِ الشمس في كاسي	شعاعاً منك اوتبرا
فشمعة ليلنا ذابت	وحسبك يظهر الفجرا

١٨ - انظر من شعره الفارسي : قصيدة « ونام » (الاخاء ، السنة ١١ ، العدد ٢٠٠ ، آب
١٩٧١) وقصيدة « خير مقدم » - اهلا وسهلا - (الاخاء ، السنة ١٢ ، العدد ٢٤٧ ،
ايلول ١٩٧٢) .

١٩ - راجع : وحيد الدين بهاء الدين : شخصيات من الادب المعاصر ، ص ١٦٠ - ١٦٢ ،
حلب ١٩٧٠ ، والدكتور المصري نفسه : ايران ومصر عبر التاريخ ، ص ٣٦ - ٤٠ .

٢٠ - ايران ومصر عبر التاريخ ٢٧ - ٢٨ .

فراشة قلبنا طافت	بثفرك يضرم الجمر
قوامك سرّوةً مالحت	وهزّت عطفها سكر
افني الجنّات قد كانت	ترشف ماءها خمرا
أعدّ ماضي ليلينا	ريبعاً عاد مخضراً
نكاسك تلك تحيننا	غماماً يمكيب القطر

نمطلع القصيدة متأثر بأحد ملّعات (٢١) حافظ الشيرازي « ألا أيها السامي ادر كاساً وناولها » ؛ وبيتها الثاني يرنو الى قول الشاعر الايراني نفسه « ومال على اذني ، وقال بصوت عميق الحزن : يا عاشقي منذ طويل زمان ، انت الآن وسنان » . وكذا الامر في سائر مضامين القصيدة ورموزها ؛ فالعطر في شعر الفرس الضوفي رمز لنشوة العشق الالهي ، وشرب الخمرة وحي الى التذهب بالتصوف . فالصوفية ، وان ذكروا الخمرة بأسمائها واوصافها ، فانهم يرمزون بها الى ما افاء الله عليهم من معرفة او شوق . وما أكثر تردد ذكر « الفراشة والشمعة » في حنايا الشعر الفارسي ؛ فالفراشة عند الفرس قلب العاشق الذي يحترق في ضرام العشق الالهي ، والمرأة طيف خيال ؛ وهم يشبّهون القامة المشوقة بشجرة السرو ، في حين شبّهها العرب بغصن « البان » .

انه لمن الصيحي ان يتأثر شاعرنا بالادبين التركي والفارسي بعد ان طوى ما يقرب من نصف قرن في حدائقهما الغناء وبساتينهما الوارفة الظلال .

ومن انواع الصلات الاخرى في القرن الماضي واوائل هذا القرن

٢١ - الملّح : شعر مختلف اللغة ، فيه شطر عربي وآخر فارسي ، او بيت عربي وآخر فارسي . وهو كثير في الشعر الفارسي والتركي .

ايضا ، وهو ما يعدُّ دليلاً حياً على اهمية الفارسية وآدابها عند العرب ، مسألة طباعة الكتب الفارسية في البلدان العربية ، وطباعة الكتب العربية في ايران . فقد كان للكتاب الفارسي — على قلة المطبوعات عموماً آنذاك — نصيب فيما كانت تخرجه المطابع العربية . يقول لويس شيخو: « وكانت مطبوعات بولاق الى سنة ١٨٣٠ تربي على الخمسين في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية (٢٢) ، ويقول عن الفترة ما بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٥٠ م ، إن مطبعة بولاق ابرزت نحو ثلاثمائة كتاب في فنون شتى بالعربية والتركية والفارسية (٢٣) .

ويقال إن اول كتاب فارسي طبع بمطبعة بولاق بمصر هو كتاب « تحفة وهبي — في تعليم اللغة الفارسية » الذي طبع عام ١٢٤٣ هـ. أي قبل أكثر من قرن ونصف ، ثم تلتها طباعة كتب ودواوين أخرى في مصر — في بولاق وغيرها — لأمثال فريد الدين العطار ، وسعدي الشيرازي ، وحافظ الشيرازي ، وغيرها من المؤلفات الحديثة ؛ وقد تتبّعها مبشر الطرازي تتبعاً تاريخياً ، واثبتها في بحثه عن « الكتاب الإيراني في مصر » (٢٤) . وقد انصرفت العناية منذ حوالي قرن من الزمان الى إعداد فهرس بها في دار الكتب المصرية سابقاً (دار الكتب والوثائق القومية حالياً) من كتب فارسية ، فأعدَّ هذان الفهرسان :

١ — فهرس الكتب الفارسية الموجودة بدار الكتب . إعداد الداغستاني . عام ١٣٠٦ هـ .

٢ — فهرس الكتب الفارسية بدار الكتب (الجزء الثاني) عام ١٣٥٨ هـ .
ويذكر مبشر الطرازي في بحثه السابق أن قسم الفهارس الشرقية

٢٢ — الادب العربي في القرن التاسع عشر ١ : ٢٠ نقلا عن : المجلة الآسيوية الفرنسية
Journ. AS. 1843, 11, 31 - 38 : المرجع السابق ١ : ٤٨ نقلا عن :
Journal. AS. 1843 24 - 61
٢٤ — راجعه في : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران ، ص ١٥٧ — ١٥٩ .

بدار الكتب أعَدَّ - تحت اشرافه - فهرسا بالمطبوعات الفارسية فيها منذ تأسيسها الى عام ١٩٧٠ (٢٥) .

وكانت مصر كذلك ، الميدان الثاني ، بعد تركية ، للصحافة الفارسية خارج ايران ؛ حيث أصدر الايرانيون فيها خمس صحف (٢٦) ، كانت صحيفة « حكمت » (الحكمة) اولها ، وقد صدر اول عدد منها في ١٩ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٩٢ في عهد الخديوي عباس حلمي باشا . وصاحب هذه الجريدة الدكتور ميرزا محمد مهدي التبريزي ، الذي انتقل من استانبول الى القاهرة ، ودرس الطب في « القصر العيني » ، ثم مارسه طيلة اقامته بمصر . ويقال إنه قامت بين هذا الطبيب والامام محمد عبده صداقة امتدت اربعين عاما ، وكان من اثر الامام في صديقه الفارسي تأليف الاخير ، بالعربية ، كتاب « مفتاح باب الأبواب » ، عن تاريخ الحركة البابيية والبهائية ، وقد طبع بالقاهرة . وكان مهدي التبريزي يرمي من انشاء صحيفته الى إحداث تحول في ايران والبلدان الاسلامية ، وتحقيق نهضة رائدة بما يكتبه ، على صفحاتها الاربع المجددون والمصلحون من الايرانيين . وفي دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة حوالي (٥٤) عددا فقط من هذه الصحيفة .

وكانت صحيفة « ثريا » الثانية ؛ وتولى ميرزا علي محمد خان الكاشاني اصدارها بالقاهرة ، وقد صدر العدد الاول منها في ٥ نوفمبر ١٨٩٨ . وبعد عامين تولى امرها فرج الله خان الكاشاني الذي ما لبث ان نقلها من القاهرة الى طهران .

اما الجريدة الثالثة ، فاسمها « پرورش » (التربية) نسبة

٢٥ - قال إنه كان تحت الطبع .

٢٦ - راجع التفاصيل في : الدكتور نور الدين آل علي : الصحافة الفارسية في مصر . مجلة القندى ، السنة الاولى ، العدد الثاني ١٩٧٨ ، ص ١٩٢ - ٢٠١ .

إلى مؤسسها محمد خان الكاشاني المشهور بـ « پوروش » الذي أصدرها عام ١٩٠٠ بعد أن ترك الجريدة السابقة « ثريا » . وكانت « التريية » اسبوعية تظهر أيام الاثنين بلبوس ثوري . ورابع هذه الصحف ، صحيفة « چهره نما » (المصوّر) التي أسسها ميرزا عبد الحميد خان . مؤدب السلطنة (الاصفهاني) عام ١٩٠٤ . وبعد وفاته ، تولى ابنه منوچهر مؤدب زاده (الأستاذ بالجامعة الامريكية بالقاهرة الآن) ادارتها الى أن توقفت عن الصدور عام ١٩٦٥ في فترة قطع العلاقات السياسية الاولى بين مصر وايران . وفي دار الكتب والوثائق القومية اعداد كثيرة منها .

وآخر الصحف الخمس ، صحيفة « رستاخيز » (البعث) . وقد كان من المقرر أن يتحدث عنها الأستاذ منوچهر مؤدب زاده في العدد الثالث من مجلة « المنتدي » (٢٧) ، ولكن احتجاجها المبكر بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين ايران ومصر ، في نيسان ١٩٧٩ ، حال دون ذلك .

واما في العراق ، فتأتي اللغة الفارسية في الدرجة الرابعة ، بعد العربية والكردية والتركية ، بين اللغات الشرقية التي كتب بها العراقيون والفوا على مدى ما يقرب من قرنين من الزمان ، هما التاسع عشر والعشرون ، وعلى وجه الدقة من عام ١٨٠٠ الى عام ١٩٦٩ ، فيما يفهم من احصاء للباحث والمفهرس العراقي المعروف كوركيس عواد (٢٨) ، ولا غرو ، لان اعدادا كبيرة من العراقيين ، وخاصة في المدن والاماكن الدينية كالنجف وكربلاء ، والكوفة والكاظمية ، يعرفون الفارسية ويتقنونها ؛ ولا سيما اذا عرفنا أن فيهم من هم من ارومة ايرانية . وفي معجم « المؤلفين العراقيين » عدد من مؤلفات هؤلاء بالفارسية ، وهي في موضوعات عامة ، اكثرها ديني يبحث في الفروض والواجبات الدينية والعبادات ، كالحج

٢٧ - المنتدي ، العدد الثاني ، ص ٢٠١ .

٢٨ - معجم المؤلفين العراقيين ١ : ٢٥ .

والجمرة ومناسكهما ، ومنها ما هو في الوعظ والارشاد والفقہ والعقائد وما الى ذلك .

ومن هؤلاء ، أبو القاسم الخوئي (٢٩) ، أحمد بن محمد مسروروف
النودهي (٣٠) ، آقا حسين القمي (٣١) ، جمال الدين الكلبايكاني (٣٢) ،
حسن الصدر (٣٣) ، السيد عباس الكاشاني (٣٤) ، الشيخ عبد الحسين
الرشتي (٣٥) ، عبد الرحيم مولوي (٣٦) ، عبد العزيز الجواهري (٣٧) ،
عبد الكريم الزنجاني (٣٨) ، عبد الله المامقاني (٣٩) ، عبد الهادي اسماعيل
الشيرازي (٤٠) ، علي الفاني الاصفهاني (٤١) ، محمد الحسين آل كاشف
القطاء (٤٢) ، الشيخ محمد حسين الغروي النائيني (٤٣) ، الشيخ
محمد رضا الطبسي (٤٤) ، الشيخ محمد بن محمد مهدي الخالسي (٤٥) ،

٢٩ - المصدر نفسه ١ : ٦٤ .

٣٠ - نفسه ١ : ٩٧ .

٣١ - نفسه ١ : ١٢٢ .

٣٢ - نفسه ١ : ٢٦٤ .

٣٣ - نفسه ١ : ٢٢٠ .

٣٤ - نفسه ٢ : ١٩٤ .

٣٥ - نفسه ٢ : ٢٢٧ .

٣٦ - نفسه ٢ : ٢٥٥ .

٣٧ - نفسه ٢ : ٢٨٥ .

٣٨ - نفسه ٢ : ٢٠٨ .

٣٩ - نفسه ٢ : ٢٢٢ .

٤٠ - نفسه ٢ : ٢٥٥ .

٤١ - نفسه ٢ : ٤٢٩ .

٤٢ - نفسه ٣ : ١٦٧ .

٤٣ - نفسه ٣ : ١٥٢ .

٤٤ - نفسه ٣ : ١٦٧ .

٤٥ - نفسه ٣ : ٢٢٥ - ٢٣٩ .

السيد محمد بن مهدي الشيرازي (٤٦) ، محمد مهدي القزويني الكاظمي (٤٧) ،
الشيخ مرتضى الأنصاري (٤٨) ، السيد هبة الدين الشهرستاني (٤٩) ،
واحمد الكازروني (٥٠)

وفي الطرف المقابل ، يمكن ان تأتي ايران في طليعة البلدان الشرقية —
غير العربية — التي طبع فيها عدد من العراقيين ممن ذكرنا وغيرهم
انتاجهم في تلك الفترة (٥١) ، او التي نشرت فيها بعض الكتب العربية
القديمية ، وخاصة في أخريات القرن التاسع عشر . يقول لويس شيخو
عن الفترة الممتدة ما بين عام ١٨٧٠ و ١٨٨٠ م مثلا : « ونشرت في جهات
العجم عدة منشورات تاريخية كمقاتل الطالبين ، لابي فرج الاصفهاني ،
وروضات الجنات ... ، وبعضها أدبية ولغوية ، واغلبها دينية . واكثر
هذه المطبوعات سيئة الطبع ، يسقط بذلك معظم فوائدها » (٥٢) .

ومع بزوغ فجر النهضة الحديثة ، وبعد ان اخذ الادب العربي يقف على قدميه
من جديد ، ويعود الى عهود قوته واعصاره الذهبية الاولى ، ويتطلع الى
غيره من الآداب ، بدأ العرب يتلفتون الى من حوالهم من الأمم الأخرى ،
وأخذت نفوسهم تشرب الى معين آخر غير الآداب الغربية ، فكانت
الفارسية وآدابها . ولكن اكان هذا الاختيار ، فضلا عن ضرورته الإنسانية
والحضارية ، صدفة ؟ احسب ان لا ؛ ولعل الجواب الكامل ان يكن في قول

٤٦ — نفسه ٣ : ٢٤٧ .

٤٧ — نفسه ٣ : ٢٥٤ .

٤٨ — نفسه ٣ : ٢٩٢ .

٤٩ — نفسه ٣ : ٤٣٨ — ٤٤١ .

٥٠ — نفسه ٣ : ٥١٦ .

٥١ — كوركيس عواد : معجم المؤلفين العراقيين ١ : ٢٥ . وللمعرفة المزيد من الكتب المطبوعة
في ايران انظر على سبيل المثال : الجزء الثالث من هذا المعجم ، ص ٣١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،
٢٩٢ ، ٥٠٥ ، ٥٢١ .

٥٢ — الاداب العربية في القرن التاسع عشر ٢ : ٧٣ .

الدكتور فؤاد افرام البستاني : « ... ولكن دراسة الفارسية أجدر بنا من دراسة اية لغة أخرى ، لتشابك اللغتين (العربية والفارسية) ... وبفضل هذه الدراسة نتقدم في ميدانين :

اولا : نتقدم في فهم الحضارة العربية في العصور العباسية خاصة ، ... لان هذه الحضارة مبنية على ما ورثه العرب من الفرس خاصة ...

ثانيا : تفيدنا هذه الدراسة — وقد تكون هذه الفائدة أهم وأعمق وأروع — تفيدنا العناصر المهمة لفهم الروحانية الاسلامية التي تتجلى في مظهرين : الحركة الفكرية والحركة الصوفية ... » (٥٣) .

ومن اعلام العرب المعاصرين ، كسليمان البستاني (١٨٥٦ — ١٩٢٥) مترجم البازة هوميرس الى العربية ، مَنْ كان يلجّ على ضرورة دراسة الفارسية ، وقد كان يتقنها ويترجم عنها ، بعد ان امضى مدة في بلاد العجم (٥٤) .

انه وان كان لمصر فضل الريادة في ميدان الدراسات الشرقية ، والفارسية خاصة ، فقد كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام اول من عمل فيها على انشاء الدراسات الشرقية ، واول من علّم الفارسية والتركية وآدابها في الجامعة المصرية (٥٥) .

ومهما يكن ، فمئذ حوالي نصف قرن اخذت كوكبة من الباحثين والدارسين العرب تتطلع بشغف الى استئناف الصلات الادبية بين العرب والفرس . وقد ساعد على هذا انشاء اقسام مستقلة أو فرعية في

٥٢ — بين العربية والفارسية (مجلة الدراسات الادبية ، السنة الثالثة ، العدد الاول ، ربيع ١٩٦١ ، ص ٢٧ — ٢٨) .

٥٤ — المرجع السابق ، ص ٢ . والروائع رقم ٤٤ ، ص ٢١٠ ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦٢ .

٥٥ — نعمت احمد فؤاد : قيم ادبية ، ص ٢٢٥ ، عالم الكتب — القاهرة ، دون تاريخ .

الجامعات العربية ، لعل من أقدمها « معهد اللغات الشرقية » في كلية الآداب بجامعة القاهرة الذي أنشئ عام ١٩٤٤ م (٥٦) .

وتتالى ، بعد ذلك ، انشاء أقسام أخرى أو شعب للدراسات الشرقية في جامعات مصر الأخرى ، وجامعات سورية والعراق ولبنان (٥٧) والمغرب والكويت والسعودية ، لتدريس اللغة الفارسية وآدابها ، بالإضافة الى عدد غير قليل من الطلاب العرب الذين قصدوا الجامعات الأجنبية ، وجامعة طهران والجامعات الإيرانية الأخرى لدراسة الأدب الفارسي والتخصص فيه . وفي هذه الجامعات وتلك تخرجت أمواج نشطة تحمل درجات علمية في الأدب الفارسي ، أخذت على عاتقها ، فيما بعد ، تدريسه ونشر أطايبه ومد العرب بزاد من الثقافة الفارسية يستأنفون به صلاتهم القديمة التي لا غنى للأمتين عنها . يقول طه حسين : « ولست في حاجة الى أن أتحدث عما ينبغي من العناية بالصلة بين الأدب العربي والفارسي . . . ففي أقل من ربع قرن (٥٨) ظهر في حياتنا الأدبية رجال ممتازون يعنون بهذه الصلة عناية ممتازة ويظهرون في أدبنا العربي الحديث آثارا فارسية بارعة ، يسلكون في ذلك سبل القدماء من أدباء المسلمين في القرون الأولى . . . (٥٩) ، ويقول الدكتور ابراهيم أمين الشواربي : « ان الدراسات الشرقية بمصر لم تسلك من عمرها في الجامعات المصرية الاقاربة (٦٠) ربع قرن من الزمان ولكنها استطاعت أن تبرز بين سائر الدراسات الأدبية والعلمية التي صاحبت نهضتنا

٥٦ - عبد الوهاب مزام : مقدمة ترجمة « فصول من المتنوي » ، ص ٢ .

٥٧ - افتتح قسم اللغة الفارسية في الجامعة اللبنانية بيروت في الثاني والعشرين من شهر ايار (مايو) عام ١٩٥٦ م .

٥٨ - كان هذا عام ١٩٤٤ .

٥٩ - من مقدمته لترجمة ديوان حافظ « اخاني شيراز » للدكتور الشواربي .

٦٠ - كان هذا عام ١٩٥٤ اي قبل حوالي ربع قرن .

الحديثة ، وان تخرج لنا جيلاً جديداً من المتخصصين في لغات الشرق وآدابه
يشاركون الآن جماعة المستشرقين من اهل الغرب في مجهودهم الطويل
الذي بذلوه منذ قرون في هذه الدراسات (٦١) .

واما في الوقت الحاضر ، فإنّ الصلات الادبية بين الامتين العربية
والفارسية ، ناهيك عن الصلات الاخرى ، أخذت تزداد ازديادا مطردا
وتتقوى يوما بعد يوم . ومن الشواهد عليها تنشيط حركة البعث وتبادل
الطلاب بين ايران والبلاد العربية، وقبول ايران لعدد من
الطلاب من اكثر بلاد العروبة لتلقي العلم في جامعاتها على حسابها
الخاص ، وتشجيع الوفود العلمية والثقافية لزيارة ايران والإطلاع على
أوجه النشاطات العلمية والثقافية وغيرها .

ومن الشواهد ايضا اشتراك نخبة طيبة من صفوة العلماء والباحثين
والاساتذة من ايران والوطن العربي، في المؤتمرات العلمية والأدبية
والثقافية التي تعقد في ايران وفي اقطار العروبة .

ومثلما انشئت في اكثر الجامعات العربية أقسام للدراسات الشرقية
والفارسية خاصة ، منذ عهد بعيد ، أسست أقسام مستقلة للغة العربية
وآدابها في بعض جامعات ايران، من مثل جامعة طهران ، وأصفهان ،
والفردوسي في مشهد (٦٢) .

ومن الشواهد اللافتة للنظر حقا ، ما تقوم به بعض البلدان العربية،
كالاردن مثلا ، من إعداد بعض نشراتها الدينية والسياحية باللغة الفارسية

٦١ - من مقدمته لكتاب ((نظامي الكنجوي)) للدكتور عبد النعيم حسنين .

٦٢ - وتوجد اقسام فرعية للغة العربية في بعض جامعات ايران الاخرى ، كجامعة جند يشابور
في الاهواز ، مثلا . ولا تخلو برامج بعض الجامعات الاخرى ، وخاصة في اقسام اللغة
الفارسية وآدابها ، من عدد من الدروس العربية .

جنباً الى جنب مع العربية واللغات العالمية الاخرى ، كالانجليزية مثلا (٦٣) ، وان كانت ايران قد سبقتنا في هذا المضمار منذ شرعت بترجمة نشراتها السياحية والإعلامية في كل مدينة سياحية واثرية ، إلى العربية كغيرها من اللغات الأجنبية الأخرى .

ومن أحدث ضروب الاتصال وتنمية العلاقات وتقويتها ما جدُّ من مبادرات جديدة بين مصر وإيران خاصة ؛ إذ قامت إيران بافتتاح «المركز الثقافي الإيراني» بالقاهرة ، على غرار ما تقوم به بعض الدول الأخرى، من مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا بافتتاح مراكز ثقافية لها في عواصم البلدان المختلفة ومدنها الكبرى أيضا .

وكانت باكورة انتاج هذا المركز وفاتحة أعماله ، إصدار كتاب « جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران » (٦٤) الذي نشرته وزار الثقافة والفنون الإيرانية (وزارت فرهنگ و هنر) . هذه خطوة ، وخطوة أخرى ، هي ان مؤسسة الثقافة الإيرانية (بنیاد فرهنگ ایران) بطهران ، أعلنت عن تعهدھا بالإسهام في نفقات طبع كل كتاب عربي عن إيران ولغتها وآدابها ، وقد بدأت بتنفيذ هذا المشروع بالفعل .

أما مصر ، فبادرت بتأسيس « جمعية الصداقة الإيرانية — المصرية » بالقاهرة التي وصفت بأنها « أكبر مظهر للأخوة ^{التي} الصداقة والمحبة الكاملة ، بقصد التعاون المثمر المفيد في شتى المجالات العلمية والثقافية

٦٣ — أعدت وزارة الأوقاف الأردنية نشرة سياحية تتضمن معلومات عن مؤنة أرض الشهداء ومقامات الصحابة ، والمتحف الإسلامي في بلدة المزار ومواقع إسلامية أخرى ، والنشرة باللغات العربية والفارسية والإنجليزية .

وقد نشرت مجلة « (الأتیب) » هذا الخبر في عدد أيلول عام ١٩٧٤ ، ص ٦٣ .

٦٤ — انظر : تقديم الدكتور نور الدين آل علي لهذا الكتاب ، ص ١٢ .

والاقتصادية (٦٥) » . وقد بدأت هذه الجمعية في السنوات الاخيرة الماضية بتنظيم مواسم ثقافية تلقى فيها محاضرات وابحاث عن الصلات العربية الإيرانية ؛ وقد تمخضت عن صدور كتاب « الصلات الثقافية بين ايران والعرب » الذي يضم محاضرات الموسم الثقافي الايراني الاول بالقاهرة، التي جمعها ورتبها الدكتور نور الدين آل علي، المستشار الثقافي الايراني بالقاهرة آنذاك .

وكان آخر سهم في هذا المجال إصدار المركز الثقافي الإيراني بالقاهرة مجلة « المنتدى » باللغتين العربية والفارسية ، على غرار مجلة « الدراسات الأدبية » التي كانت تصدر عن قسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية . والمنتدى فصلية ثقافية متخصصة في دراسة الحضارتين العربية والفارسية والصلات بينهما ، وقد صدر منها عددان اثنان فقط في عام ١٩٧٨ ، ثم احتجبت باغلاق المركز الإيراني وتجميد شتى الصلات التي اشيرنا إليها بعد قطع العلاقات السياسية بين إيران ومصر في نيسان ١٩٧٩ .

القسم الثاني

الجهود العربية في تراث فارس

فلم يكن العرب في عصرنا الحديث هذا اقلّ جهداً من غيرهم من الامم الاخرى في خدمة التراث الفارسي — وان جاءت جهودهم متأخرة لأسباب خارجة عن ارادتهم — ونستطيع أن نقول — في غير مفر — إنها كثيرة

٦٥ — فؤاد عبد المعطي الصياد : دور الفرس في بناء الحضارة الإسلامية ، في كتاب : الصلات الثقافية بين إيران والعرب ، ص ١٢٠ .

وكبيرة ومثيمة ؛ وهي لم تقتصر على تراث فارس القديم بكل موضوعاته ، وإنما تخطته الى الحديث أيضا .

دور المصريين والعراقيين :

مما لا شك فيه انه كان للمصريين ، وما زال ، الدور الأكبر في الجهود العربية التي بُذِلَتْ وَبُذِلَ في خدمة الفارسية وتراثها قديمه والحديث ، لاسباب واضحة ، هي قدم الطباعة في مصر ، وما لها من عراقة واقدمية في الميادين العلمية والثقافية ، خاصة أنها كانت أسبق البلدان العربية في الخروج من الدائرة العثمانية المظلمة في أوائل هذا القرن ، ولأن مصر كانت النسبقة الى الاهتمام بالدراسات الشرقية وتأسيس أقسام لها في جامعاتها ، ومنها خرج الرواد الأوائل في تعريف العرب بروائع التراث الفارسي وكبار اعلامه . يقول مبشر الطرازي : « ... فان الانجازات العلمية والادبية التي قام بها علماء مصر تجاه ايران وثقافتها لعمل عظيم ومشرف . إن الايادي المصرية التي تناولت الكتاب الإيراني بكل تمجيد وتقدير ، والعلماء المصريين الذين اطلعوا على روائع التراث الإيراني ، اخذوا يزودون المكتبة العربية بمجموعة كبيرة من الكتب الإيرانية المترجمة الى العربية ، وعدد ضخم من الأبحاث الأدبية والعلمية ، وذلك منذ النصف الثاني من عصرنا الحاضر . ونهجوا في ذلك نهج علماء العرب السابقين الذين قاموا بمهمة الترجمة والتأليف ، منذ أن ربط الاسلام الشعبين ، وصار للثقافة الإيرانية شأنها في إرساء الثقافة الإسلامية (٦٦) .

وعلى أساس ما قُدمنا عن العراق قَبْلاً ، وما سنلاحظه أيضاً ، يمكن أن يقال إنه يأتي في المرتبة الثانية ؛ وهو امر بديهي أيضاً لان

٦٦ - الكتاب الإيراني في مصر ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران ، ص ١٥٩ .

العراق كان ، في القديم ، مركز تفاعل الحضارات القديمة والتقائهما ،
والبوتقة التي انصهرت فيها نتائج كل ذلك ؛ وإما في العصر الحاضر ، فهو
يضم من الإيرانيين ما لا يضمه أي قطر عربي آخر ، وهو من أقدم البلاد
العربية التي أوجدت فيها إيران « المدارس الإيرانية » ليتعلم فيها أبناء
الإيرانيين هناك .

دور مجلة « الدراسات الأدبية » :

لئن جاءت جهود أقسام اللغة الفارسية وأعضاء هيئاتها التعليمية في
الجامعات العربية مبشرة هنا وهناك ، فإن جهود قسم اللغة الفارسية
وآدابها بالجامعة اللبنانية ببيروت تتوجت بإصدار مجلة « الدراسات
الأدبية » التي كُرِّست على مدى تسعة أعوام (٦٧) متتالية لخدمة اللغتين
الفارسية والعربية وثقافتهما وآدابهما وعلومهما ، فأنت أكلها طيبة ،
وانتجت ثمرات يانعة بما حوت من بحوث ومقالات وتعريفات (بالعربية
والفارسية) بآداب الامتين وعلومهما المختلفة .

وانه لمن الواجب والحق أيضا أن ينوّه بفضل استاذين إيرانيين
جليلين على تلك المجلة هما : الاستاذ الدكتور محمد محمدي، الاستاذ
بكلية الآلهيات والمعارف الإسلامية بجامعة طهران ، وقد كان في تلك الآونة
رئيسا لقسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية، ورئيس تحرير
المجلة المذكورة ، والاستاذ أحمد لواساني، نزيل لبنان ، والاستاذ بالقسم
المذكور ، الذي تحمّل عبء ترجمة كثير من المقالات من الفارسية واليها ،
والتعريف بمدد من الكتب الفارسية والعربية باللغتين أيضا . فبفضل
جهودهما حافظت المجلة على مستواها العلمي الرفيع ومكنتها الأدبية
الشامخة في أعوامها التسعة . وربما كان لعودة الدكتور محمدي الى

وطنه كبير اثر في احتجاب المجلة عن الصدور .

وفي استعراض محتويات المجلة — وقد كانت فصلية — واستقراء المقالات والبحوث العربية التي نُشرت فيها ، ولا شأن لنا هنا بالمقالات والدراسات التي كتبها باحثون إيرانيون (٦٨) ، نجد انها تتوزع على : المقالات ، والترجمات ، والتعريف بالأعمال الادبية والعلمية .

فأما المقالات والترجمات فأكثرها في الموضوعات الادبية والتاريخية وأعلام الشعراء والكتاب ، وما الى ذلك ؛ وأما التعريف بالكتب الفارسية باللغة العربية ، فقد أخذت المجلة على عاتقها ، منذ صدورها ، تعريف المثقفين العرب بأهم التواليف الإيرانية بالعربية (والفارسية أيضا) ، بتخصيصها بابا ثابتا لذلك ، هو باب « في مكتبتنا » (در كتابخانه ما) .

دور مجلة الإخاء (٦٩) :

كانت هذه المجلة تصدر باللغة العربية عن مؤسسة جريدة « اطلاعات » الإيرانية بطهران ؛ وقد بُدئ باصدارها عام ١٩٦٠ شهرية ، ثم آلت الى نصف شهرية ، وتحولت بآخرة الى اسبوعية جامعة هدفها خدمة العلاقات الإيرانية العربية من شتى الوجوه . كان يسهم في تحريرها نفر من المتخصصين العرب ممن كانوا يقطنون طهران ، أو يطراون عليها لمدة معينة ، وبعض الإيرانيين ممن عاشوا في البلاد العربية وثقفوا — الى حد — بالثقافة العربية ، أو ممن عادوا الى ايران من العراق في السنوات الأخيرة ؛ وهم الذين يُعرفون فيها الآن بـ « المعاودين » .

وعلى الرغم من أن المجلة لم تكن علمية (أكاديمية) محضة ، وان

٦٨ — لا جرم ان مقالات ممتازة دمجها اقلام إيرانية نشرت على صفحات هذه المجلة نقل الأستاذ أحمد لولاساني أكثرها الى العربية .

٦٩ — توقفت هذه المجلة عن الصدور بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ .

أكثر من كانوا يكتبون فيها من أصحاب الأعلام الشابة ، فإن العين كانت تقع فيها ، بين الفينة والفينة ، على مقالات « أكاديمية » علمية رصينة لنفر من الباحثين والاساتذة العرب ، في الأدبين العربي والفارسي والصلات بينهما ، وموضوعات منهما .

ومهما يكن الأمر ، فإن إسهامها لا ينكر ، وإن دورها في المجال الأدبي كان « على قدها » إذا ما اعتبرنا أنها آلت أسبوعية أولا ، ولم تكن أدبية أو « أكاديمية » متخصصة ثانيا . وأنه لمن الحق في الكلام على هذه المجلة أن يشار إلى فضل كل من : نذير فنصه، والدكتور نادر نظام ، والدكتور نكتور الك على هذه المجلة ، سواء بالعمل فيها أم بمدّها بما يناسبها من موضوعات ومقالات .

مناحي الاهتمامات العربية :

للاهتمام العربي الحديث بالفارسية وتراثها منحيان : الأول ، أكاديمي شخصي تفرضه طبيعة تخصص الكثيرين بالفارسية وآدابها ، وهو كثير متشعب الجوانب ، والآخر حكومي تبنته وتبناه وزارات التربية والتعليم والثقافة والإعلام في بعض البلاد العربية ، وتتعده .

ففي مصر ، كلفت وزارة التربية والتعليم ، في الخمسينات ، الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأت بترجمة « تاريخ البيهقي » ، وكلفت الخشاب وحده بترجمة كتاب « إيران في عهد الساسانيين » . ثم نشرتهما في سلسلة « الألف كتاب » التي كانت تصدرها في ذلك الوقت .

وكلفت الإدارة العامة للثقافة في وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصري الدكتورين محمد موسى هنداي وغازي الصياد ، وصادق نشأت بترجمة قسم من « جامع التواريخ » لرشيد الدين فضل الله ، وهو القسم الذي يختص بتاريخ « هولكو » خاصة . وفي مطلع السبعينات عهدت وزارة الثقافة والأعلام بمصر إلى عدد من الباحثين بوضع كتاب « دراسات في

الفن الفارسي « مشاركة من مصر لايران في احتفالها بمرور خمسة وعشرين قرنا على تأسيس ايران .

وفي سورية ، دعت وزارة الثقافة والارشاد القومي (٧٠) في الستينات ، الشاعر « محمد الفراتي » وكلفته ترجمة بعض الاثـنار الفارسية لسعدي الشيرازي ، وجلال الدين الرومي ، وغيرها ، ثم طبعت ما ترجم .

أضرب الجهود العربية :

جهود باحثينا المتخصصين في الفارسية وآدابها وعلومها والعارفين لها كثيرة ومتنوعة ، فهي لم تقف عند ضرب واحد ، بل وسّعت دائرتها فشملت تراث فارس قديمه والحديث ، في شتى الموضوعات والفنون . وإن حظي القديم بسهم اوفر من الحديث . وهذا امر طبيعي ، لان المُسرّس يضارعوننا فيه من حيث اهتمامهم بلغتنا وتراثنا القديم اكثر من عنايتهم بالحديث منه . وسأكتفي بالاشارة الموجزة الى ضروب هذه الجهود دون سردها سردا تفصيليا ، لان هذا السرد هو موضوع دراسة بليوغرافية ادبية وصفية نقدية لي اعددتها وفرغت منها ، وهي تنتظر الطبع . وقد رصدت فيها جُلّ ما اُثر عنا نحن العرب من تواليف وترجمات وابحاث ومقالات في لغة الفرس وآدابهم وسائر علومهم وفنونهم .

لقد توزعت الجهود ، فيما بان لي ، في ميدانين بارزين :

الأول : اللغة الفارسية وآدابها قديما وحديثا .

والآخر : علوم الفارسية ومعارفها وفنونها المختلفة .

ففي الميدان الأول ، تلقانا دراسات وابحاث في الفارسية وحولها ،

٧٠ - مجلة الدراسات الادبية ، السنة الخامسة ، العددان ٢ ، ٤ عمام ١٩٦٣ - ٦٤ ،

وفي الدراسات اللغوية المقارنة . وخاصة في موضوع التسرب اللغوي من
الفارسية الى العربية الفصحى قديما . والى اللهجات المحلية حديثا . ومن
ابرز من عنوا بهذه الناحية : عبد الوهاب عزام وحامد عبد القادر من
مصر . وداود الجلي ومحمد رضا الشيباني وجعفر الخليلي من العراق ،
وفؤاد أنعام البستاني من لبنان ، ومحمد التونجي من سورية .

وثمة عدد وفير من التواليف التعليمية والمعجمات الفارسية العربية؛
وقد بدا هذا النوع من التأليف منذ وقت مبكر من هذا العصر ، وقد يكون
أقدم أنواع الاهتمامات العربية بالفارسية وآدابها . وتوزعت الجهود في
الادب الفارسي القديم بين التحقيق ، والتأليف، والمقال بالعربية والفارسية
وبعض اللغات الأجنبية ، والترجمة عن الفارسية مباشرة أو عما كتب
عن الادب الفارسي بلغة أجنبية . وقد شملت أيضا الاهتمام بأعلام
الشعراء وآثارهم .

ولقد حظي اعلام الادب الفارسي القديم وآثارهم البارزة باهتمام
كبير ، ومنهم : الخيام ورباعياته ، وسعدي الشيرازي و « بستانه »
و « گلستانه » ، وحافظ الشيرازي وشعره ، وجلال الدين الرومي
و « مثنويه » ، والفردوسي و « شاهنامته » ، وناصر خسرو و « رحلته »
وآثاره الأخرى ، وفريد الدين العطار ، وعبد الرحمن الجامي ، ونظامي
الكنجوي .

وكان الخيام اكبرهم نصيبا من هذا الاهتمام من حيث التأليف فيه
وترجمة رباعياته عن الفارسية وغيرها ، لأنني اهديت فيه الى سبعة
مؤلفات وأكثر من خمسة وعشرين مقالا ، والى عشرين ترجمة مختلفة
لرباعياته بالعربية الفصحى ، وثلاث باللهجتين المصرية واللبنانية . ومن
اشهر مترجمي رباعياته :

وديع البستاني ، أحمد رامي ، محمد السباعي ، جميل صدقي

الزهاوي ، أحمد زكي أبو شادي ، أحمد الصافي النجفي ، أحمد حامد الصراف ، طالب الحيدري ، عبد الحق فاضل ، وإبراهيم العريض . وتبرز في طليعة المهتمين بالأدب الفارسي القديم تحقيقا وتأليفا وترجمة أسماء : عبد الوهاب عزام ، وإبراهيم أمين الشواربي ، ويحيى الخشاب ، ومحمد كفافي ، وحسين مجيب المصري ، وعبد النعيم محمد حسنين ، وطه ندا ، ومحمد الفراتي ، ومحمد موسى هندواي ، وعبد العزيز الجواهري ، وحسين علي محفوظ ، وأمين عبد المجيد بدوي ، وأحمد ناجي القيسي ، وعبد اللطيف السعداني ، وعلي الشابي .

ومن أهم جهودنا في هذا الميدان ما أنتجه باحثونا في حقل الدراسات الأدبية المقارنة بين العربية والفارسية في الشعر والنثر وفنونهما المختلفة ، من مثل : الأوزان والقوافي ، الوقوف على الاطلال ، المقامة ، القصص الغرامي وقصة « ليلى والمجنون » خاصة ، وتأثر عدد من شعراء الفرس الكبار من مثل سعدي الشيرازي، ومنوچهر الدامغانى، وعمر الخيام ببعض الشعراء العرب خاصة والثقافة العربية عامة .

ومن أصحاب الجهود في الدراسات المقارنة ، مثلا : عبد الوهاب عزام ، ومحمد غنيمي هلال ، وطه ندا ، وحسين علي محفوظ ، وجعفر الخليلي ، وفارس أبراهيم حريري ، وفكتور الكك ، ومحمد كفافي .

وأما في الأدب الفارسي المعاصر فثمة اهتمامات فيه ، وإن تكن أقل من نظيرتها بالقديم ، وأكثرها في حدود البحث والمقالة وترجمة مختارات من الشعر والنثر . ومن الأعلام المعاصرين الذين ظفروا بنصيب أكثر من غيرهم : القاص المعروف صادق هدايت، إذ تُرجم عدد من قصصه إلى العربية ، والشاعر الشيرازي حسين قدس نخعي، الذي تُرجمت رباعياته غير مرة ، وشاعر باكستان الذائع الصيت محمد اقبال، الذي نُقلت بعض دواوينه بالفارسية إلى العربية .

ومن انماط الادب المعاصر التي حظيت باهتمام العرب أيضا ، أدب الرحلات ، فقد رحل عدد من العرب الى ايران أو بعض مدنها ، وسجلوا مشاهداتهم ووقائع رحلاتهم أو جُلّها في كتاب أو مقال . ومن هؤلاء الرحالة: عبد الوهاب عزام ، وابراهيم أمين الشواربي ، وعبد الله الفياض (من العراق) ، وأحمد مكي (من لبنان) .

وأما القسم الثاني الخاص بعلوم الفارسية ومعارفها وفنونها ، فتندرج فيه الجهود العربية بأنواعها المختلفة في : التاريخ ، والصلوات بين العرب والفرس قديما وحديثا ، والجغرافية والبلدان ، والديــــن والفلسفة والتصوف ، والفنون والموسيقى والغناء ، والمخطوطات والكتب والمكتبات .

ففي التاريخ : أصبحت المكتبة العربية تضم عددا من أمهات كتب التاريخ الفارسية عن الفارسية مباشرة ، من مثل : شرف نامه لشرف خان البديسي ، وتسنرنامه ، وتاريخ البيهقي ، وراحة الصدور للراوندي ، وجامع التواريخ لفضل الله الهمداني ، وتاريخ بخارى ، وسياست نامه (سير الملوك) لنظام الملك الطوسي ، وفصول من تجارب السلف لهندوشاه النخجواني، ومن تاريخ جهانكشائي لعطا ملك الجويني ، ومن تاريخ كزیده لحمد الله المستوفى القزويني . يضاف اليها ما ترجم عن غــــر الفارسية مما كتبه الاوروبيون عن تاريخ ايران ، وما ألفه العرب انفسهم من كتب ، وسطّروه من أبحاث ومقالات .

وكذلك الامر في الصلات بين الامتين على امتداد التاريخ والى الوقت الحاضر ، وفي الموضوعات الاخرى التي اثير اليها آنفا ، وليس هذا مجال الإنفاضة فيها ، فهي مستقصاة الى حد كبير في كتابي « التــــراث الفارسي عند العرب » .

نماذج للمشاق في الجهود العربية :

يبدو جهد الباحثين العرب الشاق في خدمة تراث فارس ، فيما تحمله كثيرون منهم من اعباء ومشاق في سبيل البحث عن مخطوط يحققونه ، أو كتاب يؤلفونه ، أو اثر يترجمونه .

فالدكتور عبد الوهاب عزام يحدثنا في « مدخله للشاهنامة » ، عما عاناه من مشقة وضنك في التنقل من مكان الى آخر بحثاً عن نسخ الشاهنامة ، إذ سافر على مدى سنتين (١٩٢٧ - ١٩٢٩ م) الى بريطانيا وفرنسا والأتانة (استانبول) قبل ان يبدأ بنشر الشاهنامة بالعربية ، غير مكتفٍ بما عُثر عليه من نسخها المخطوطة في دار الكتب المصرية (٧١) .

أما أحمد الصافي النجفي ، فما هو ذا يصف تجربته ومعاناته وضنكه وحيرته حين كان يعد نفسه لترجمة عدد من رباعيات الخيام ، وفي اثناء الترجمة ايضا : « وقد أدركتُ حينئذ خطورة موقعي وما يعترضني فيه من العقبات ، مما يدركه كل من عانى ترجمة الشعر بشعر مثله ؛ ولا غرو فإن نقل المعنى شعراً من لغة الى أخرى مع الاحتفاظ بالمعنى الأصلي بحيث لا يبدو عليه اثر التكلف في الترجمة ، امر شاقٌ تهي (تضعف) دونه العزائم ، وتقرب الهمم حائرة أمامه . ولكن الرغبة سر النجاح ، والعشق يجتاح العراقيل ويذل الصعوبات ، فانصرفت وكلي رغبة نحو التعريب (الترجمة) واخذت أجرب قريحتي في ... بضع رباعيات عرضتها عند ترجمتها على ادباء الفرس العارفين بالعربية وآدابها ، فقابلوها بالأصل وأبدوا إعجابهم منها ، وشجعوني على إكمال العمل ، فأخذت أوالي السعي وانفرغ الجهد ثلاث سنوات كاملات لم يكن لي فيها شغل سوى إتمام هذا العمل ، حتى اكملت ثلاثمائة واحدي وخمسين رباعية . . » (مقدمة الترجمة ، ص ٦) .

٧١ - مدخل الشاهنامة (الترجمة العربية) ١ : ٣ - ٥ طبعة الانست ، طهران ١٩٧٠ م .

أمورا مفرقة في القدم ، ما تزال تندرج في تاريخ هذه البلاد وما أنتجته من علم وأدب، حتى تصل بنا الى نهاية الربع الأول من القرن الذي نعيش فيه . ولقد حرص المؤلف على أن يجعل كتابه دائرة معارف « يثبت فيها كل ما نشر من كتب ومقالات وأبحاث تتعلق بسائر العصور التي تعرّض لها كتابه ؛ وترتب على ذلك أنه أصبح لزاما على من يتصدى لترجمته أن تكون له سابقة اطلاع على كتابات الشرقيين والمستشرقين التي ذكرها في ثنايا كتابه ، وأن يكون على قدر كبير من الخبرة بحيث يأمن الزلّة ويتجنب العثرة . ولطالما صادفتني إشارات اضطرتت فيها الى الرجوع الى المكتبات العامة والخاصة في مصر، فوجدت فيها بغيتي أو انصرفت عنها بخييتي لعدم عثوري على المرجع الذي أطلبه ، ثم ظلت أسمى الى تحقيق ما أريد بوسائل أخرى كلفتني رهقا وجهدا كبيرا .

ثانيا : إن هذا الكتاب ، وقد مضت سنوات على تأليفه ، يتطلب من مترجمه أن يزود ترجمته بكثير من الحواشي والتعليقات . فمنذ فرغ « براون » من كتابته ، نشرت كثير من الأبحاث والمقالات ، وصدرت كثير من الكتب والمؤلفات التي تتعلق بالموضوعات التي احتواها الكتاب ، وأصبح لزاما على المترجم أن يشير الى هذه الأمور وإلى أمور أخرى تتعلق باختلاف وجهة النظر وإثبات الآراء الجديدة . ولقد شئت أن أوفي الترجمة حقها فأزودها بما في الوسع من تحشيات وتعليقات ، ولكني وجدت أن حجم الكتاب يتضاعف اذا فعلت ذلك ، فاكثفت مضطرا بجعل تعليقاتي تقتصر على الأهم دون المهم ، وأن ينصرف أكثرها الى التنبيه الى المسائل الفارسية دون غيرها من المسائل الغربية أو العربية التي ذكرها « براون » ...

ثالثا : اعتمد « براون » في تأليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية ، واستشهد بالطبيعة ، بالتأليفات « العربية » و « الفارسية » و « التركية » ، ولكنه لم يستطع في الغالب الأعم ، أن يورد لنا شواهد ، في نصوصها الأصلية في هذه اللغات ، واكتفى بإيراد ترجمتها الى الانجليزية ،

ولم يكن من المستساغ عقلاً أو المقبول فناً ، أن أعود فأترجم هــذه
الترجمات الى العربية ، لأن الترجمة عن ترجمة لا شك تضلل المترجم
وتبعده عن الأصل . ومن أجل ذلك ألزمت نفسي بإثبات الشواهد العربية
بنصها التي وردت به في الكتب العربية، اللهم إلا إذا كان الكتاب مخطوطاً
وليس له نسخة في دور مكتبنا . كما ألزمت نفسي أن أترجم الشواهد
الفارسية والتركية عن أصولها في هاتين اللغتين ، وأن أثبت أصولها
في متن الكتاب أو هامشه، حتى تكون في متناول القارئ المتخصص الذي
يريد التحقيق والمقارنة ...

رابعاً : إن صاحب هذا الكتاب ، بالإضافة الى تمييزه في انتـقـان
جملة من لغات الأمم الإسلامية ، كان مبرزاً كذلك في طائفة غير قليلة من
اللغات الأوروبية القديمة والحية ؛ ومن أجل ذلك كثر نقله عن اللغات
« اليونانية » و « اللاتينية » و « الفرنسية » و « الألمانية » ، وغير ذلك
من اللغات . وبعض هذه اللغات أعرفها بعض المعرفة ، وبعضها الآخر
أجهله جهلاً تاماً ، ومن أجل ذلك اضطررت اضطراراً الى أن الجأ الى
اصدقائي كلما صمد في وجهي شاهد من هذه اللغات ، فاستطاعوا مشكورين
أن يعينوني على نقله وترجمته .

خامساً : يُعْتَبَرُ صاحب هذا الكتاب من كبار أدباء الانجليز ، ويستطيع
أن ينشئ في الانجليزية نثراً فنياً رائعاً وشعراً فنياً شائقاً ؛ ومن أجل
ذلك أغرم بترجمة النثر الفني الشرقي الى نثر فني انجليزي ، وشغف
بترجمة الشعر الشرقي الى شعر انجليزي ، فصار من العسير على المترجم
في الحالتين أن يتأنق تأنقه في اصطناع الأساليب وإبداع التراكيب ، وأصبح
عليه أن يتكلف كثيراً من الجهد للوصول الى قرارة هذه العبارات الانيقية
والوصول الى معانيها الدقيقة « (٧٥) » .

٧٥ - تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي (الترجمة العربية) ، مقدمة المترجم ،
ص : ١ - ٢ .

(تقدير ايران والاييرانيين للجهود العربية :

كان لجهود العرب العلمية في خدمة الفارسية وآدابها صدى جيد في ايران، حكومة وعلماء وباحثين ، وخاصة من يعرفون العربية وآدابها .

التقدير المعنوي :

ولقد قدرت ايران — فيما أعلم — جهود أربعة من رواد الدراسات الفارسية عند العرب ، هم : الدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور ابراهيم امين الشواربي ، والدكتور محمد موسى هنداوي ، والدكتور يحيى الخشاب .

فأما عبد الوهاب عزام ، الذي مثل جامعة القاهرة في المؤتمر الدولي للفردوسي عام ١٩٣٤ م ، فأنعم عليه بـ « الوسام الهمايوني » تقديرا لجهوده في الشاهنامة بُعيد انتهاء المؤتمر (٧٦) . وقُلِّدته الدولة الوسام العلمي من الدرجة الثانية عام ١٩٣٥ ، واختارته عضوا في المجمع الايراني (٧٧) .

لقد كان عبد الوهاب عزام يستحق كل هذا ، بل أكثر ، لأنه وقف حياته على خدمة الاسلام وراثته بأكثر لفاته . فكان ، كما قال عنه المرحوم عباس محمود العقاد في المقدمة التي كتبها لديوانه « المثاني » : « وكان لدراسته الفارسية والأردية أثر في تقريبه ثقافتها ، بحسب من سفارات الأدب التي تعاون فيها العلم والعمل » ، وكما قال عنه عبد المنعم خُلاف عندما رثاه « جمع الله في لسانه البسنة العرب والفرس والترك والهند ، أعظم أمم الحضارة الاسلامية ، وكان موضع ثقتهم وإعزازهم ، وسفير

٧٦ — صالح الشهرستاني : أول اديب مصري ينال الوسام الهمايوني . مجلة الاخاء ، العدد ١٨٢ ، ص ٩ ، السنة (١١) ، تشرين الثاني ١٩٧٠ .

٧٧ — قم أدبية ٢٣٩ — ٢٤٠ .

بعضهم الى بعض ، وترجمان التعارف والأخوة بينهم (٧٨) .. » ، وكما قال الدكتور طه حسين « سابق هذا الجيل من علمائنا الذين اشتدّت عنايتهم باللغات الشرقية » (٧٩) .

أما ابراهيم أمين الشواربي ، الذي عني بحافظ الشيرازي عناية ما بعدها عناية ، والذي كان يصف إيران بـ « القطر الشقيق (٨٠) » ، فقد تفرّغ لإيران خدماته في حقل الدراسات الشرقية والفارسية عامة ، وفي دراسة حافظ شيرازها وترجمة ديوانه ؛ فمنحته حكومتها وسام المعارف من الدرجة الثانية عام ١٩٥٢ ، وأنعمت عليه بلقب « مواطن فخري » لمدينة شيراز ، مهد حافظ ومسقط رأسه ولحدّه عام ١٩٥٥ (٨١) .

وأما الهنداوي ، رفيق سعدي شاعر شيراز الآخر في حياته و « بستانه » و « گلستانه » ، فعرفت له وزارة المعارف الإيرانية في تلك الأيام ، فضله وجهوده في دراسة سعدي وترجمة البستان والگلستان ، وطوّقته بوسام المعارف الإيرانية عام ١٩٥٣ ؛ وكان حينذاك أستاذا بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة (٨٢) . وأخيرا منحت جامعة طهران الدكتور يحيى الخشاب درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب الفارسية (٨٣) .

(التقدير الأدبي :

وحظيت بعض الجهود العربية بتقديرات وتقويمات أديبة من لدن نفر من علماء إيران وأدبائها المعاصرين ، وخاصة فيما يتصل ببعض ما

٧٨ - المرجع السابق ٢٤١ .

٧٩ - كنز جديد - تاريخ البهقي (مقال أعادت مجلة الإخاء نشره في العدد ٧٤ ، السنة السادسة ، نيسان ١٩٦٦) .

٨٠ - مقدمة كتاب (إيران : ماضيها وحاضرها) ترجمة الدكتور عبد النعيم حسنين ، ص ج .

٨١ - تعريف الدكتور حسنين بالشواربي في أول كتابه (القواعد الأساسية لدراسة الفارسية) .

٨٢ - راجع : مقدمته لترجمة (بستان سعدي) .

٨٣ - جريدة رستاخيز ، العدد ٩٤٧ ، ٣ ترمه ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .

كُتِبَ عن الخيام أو تُرْجِمَ من رباعياته • ولقد شملت عنايتهم ، أكثر ما شملت ، اثنين من أدباء العراق المعروفين بطول الباع في اللغتين العربية والفارسية وآدابهما ، وهما الشاعر المرحوم أحمد الصافي النجفي ، والاديب والسياسي القديم عبد الحق فاضل .

فأما أحمد الصافي النجفي ، فقد اتخذ طهران « دارا لهجرته » ثمانية أعوام ، وكان همّه الوحيد فيها ، فيما يقول : « درس الادب والنفوذ الى معانيه الدقيقة ومرامييه السامية ، لاصل منها الى ينبوع الصافي الذي سالت منه خيالات عمر الخيام ، الشاعر الذي شُفِّفَتْ به من دون باقي شعراء الفرس (٨٤) . ثم بلغت من درس الادب الفارسي المنزلة التي كانت تتوق اليها نفسي ، واخذتُ اكتب وترجم وانشر باسم « سيد احمد نجفي » في امهات الصحف الفارسية ... (٨٥) » .

وكان من اكبر ثماره في تعلم الفارسية ترجمته لثلاثمائة واحد وخمسين رباعية من رباعيات الخيام ، وهي « التي ظهرت في طبعة لندن الشهيرة لرباعيات الخيام مع ترجمة فيترجرالد الانجليزية (٨٦) » . ولقد لاقت ترجمته قبولا من المحافل الادبية في إيران ، وأكْبُرَتْ ايما اكبار ، حتى قال ملك الشعراء بهار (محمد تقى) : « إن بعض التعريب (يقصد الترجمة) ، مع كونه مطابقا للأصل جداً ، فهو يفوقه من حيث البلاغة » .

٨١ - يقول النجفي :

اخيام قد ارسلت روحيك هاديا	لروحي في اتقان هذي التراجم
فاتي تلبيذ لروحك في الأنسى	امارسه من قبل حلّ القنائم
لئن نلت من بعد التشاؤم لذة	فما نلت من دنياي غير التشاؤم

٨٥ - كلمة النجفي في اول ترجمته للرباعيات .

٨٦ - النجفي ، صوفيه الغربة ، مجلة البيان - الكويت . العدد ١٢٧ ، أغسطس ١٩٧٧ ،

ص ٤ .

والأسلوب . ومن الأمثلة التي استشهد بها على رايه هذا الرباعية
التالية (٨٧) :

أي فلکا یربی کلّ نذلّ وليس یدور حَسْبَ رضا الکریم
کفی بک شیمه ان رُحّت تهوی بسّذي شرفٍ وتسمو باللئیم
والاصل الفارسي لها :

ای چرخ خسیس خس دون پرور خس

هرگز نروي تو بر مراد دل کسّ

چرخا فلکا تراهمین عادت بس

ناکسّ توکسي کنی ، وکسّ را ناکسّ

ويذكر ان العلامة صدر الافاضل قال للنجفي ، لفرط إعجابه بترجمة
الرباعيات : « اكاد أعتقد أن الخيام نظم رباعياته بالعربية والفارسية معا ،
وقد فُقد العربي منهما فعثرت عليه وانتحلته لنفسك » . وربما كان هذا
الراي وأمثاله حافزا لأن يقال عن الترجمات العراقية لرباعيات الخيام :
« وقد امتازت ترجمات أدباء العراق عن سواها أنها — على الأكثر — نقلت
الرباعيات عن الأصل الفارسي ، وأنها ذات نكهة قريبة منه لا تكاد تبعد
عنه إن لم تطابقه . وإنني أجزئ لنفسي القول بأن بعض الرباعيات العربية
يفوق الأصل روعة وجمالا ، ولو كان عمر الخيام نظم هذه الرباعيات
بالعربية لنظمها بهذا الشكل (٨٨) . ونشرت مجلة «أرمغان» ، مجلة النادي
الأدبي ب طهران ، عددا من الرباعيات المترجمة وأصلها الفارسي مسبوقه

٨٧ — ترجمة الصافي ، ص ١٠٧ .

٨٨ — مشكور الاسدي : وقفة على قبر الخيام (الإفاء ، السنة الخامسة ، المعداد ٥٩ ،
كانون الثاني ١٩٥٩) .

بمقدمة ضافية عن مكانة ترجمة الصائفي وأهميتها .

وعندما أرسل الشاعر، بعد فراغه من الترجمة ، ستا وثمانين رباعية الى العلامة ميرزا محمد خان القزويني في باريس ليبيدي رايه فيها ، اجابه برسالة طويلة (٨٩) بالفارسية، هي التي أثبتتها المترجم مع ترجمتها العربية في بداية ترجمته . ومما قال القزويني فيها : « أشهد الله أنني قُلِّمًا رأيت بين التراجم التي لا تُعد ولا تحصى للخيام في اللغات المختلفة، ترجمة صالحة ومطابقة للأصل كترجمة سيادتك » ، وقال : « ولكن من حيث مطابقة الترجمة للأصل — في الحدود التي يسفيها لك التقيد بالوزن والقافية في الترجمة الشعرية — ، فالحق والانتصاف ، كما عرضت لك ، أَجَدُّ كثيرًا كثيرًا في الخروج من عهدتها ، ولعلَّه يمكن أن يقال إن هذه الترجمة أقرب جميع الترجمات الشعرية للخيام بلا استثناء ... »

وأما عبد الحق فاضل ، فقد أتبع له ما أتبع لابن وطنه النجفي من ترجمة عدد من الرباعيات، هي التي ضمَّها القسم الثاني من كتابه « ثورة الخيام » . * خلال وجوده قنصلاً للعراق بطهران في أواخر الأربعينات من هذا القرن، وتيسَّر له من الإيرانيين من يشيد ببراعته وقدرته في ترجمة الخيام وفهمه وسبر أغواره ، إلا وهو الأستاذ سعيد نفيسي المحقق الإيراني المعروف الذي قال في مقدمته لكتاب عبد الحق فاضل ، وهي مترجمة عن الفارسية ، « كان المؤلف المحترم قد استودعني كتابه (ثورة الخيام) قبل طبعه ، وقد قرأته قراءة وإمعان . لم يبلغ أحد حتى اليوم هذا المنحى وهذه الدرجة من الكمال في تحليل نفس الخيام واكتناهاها وتمحيص أفكاره . لقد استهواني هذا الكتاب إلى حدٍّ صرت معه أترصد بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي أقرأ فيه نسخته المطبوعة أيضًا مرارًا عديدة أخرى » .

وقال : « لما سَرَّني الشاعر المفلق آقاي (السيد) عبد الحق فاضل قنصل العراق في طهران برؤيته (عام ١٩٥٠) ، وتلا عليّ بعض رباعيات الخيام التي ترجمها حديثا باللغة العربية بمقدرة بالغة وحذق يبعث الدهشة ، عاودت ذهني نفس الفكرة ، وهي ان هذا الحكيم النيسابوري الكبير أسعد شعراء الدنيا حظا في الحقيقة ، إذ يتاح له مثل هؤلاء المترجمين والمعرفين الامّاذ في مختلف اللغات » .

واشاد الدكتور محمد محمدي، الأستاذ بجامعة طهران، بعملين آخرين : احدهما في باب الترجمة ، وهو « نفحات من خمائل الادب الفارسي » لجعفر الخليلي ، والآخر في الدراسات المقارنة ، وهو « تأثير نرهنگ عرب در اشعار منوچهری داهفاني » للدكتور فكتور الك .

يقول عن الاول : « ... إن الأشعار المختارة أكثرها من الأبيات السائرة المعروفة في الفارسية ، وذلك لجمعها بين جزالة اللفظ ، وسهولة النظم ، والابجاز في التعبير عن فكرة أو نكتة أراد الشاعر بيانها . وقد حذا الشاعر المترجم في تعريبها حذو الاصل ، فراعى في الترجمة كل ما أمكنت رعايته ، ونقل الى العربية كل ما تسمح هذه بنقله اليها من خصائص اللغة الفارسية ، فجمع بين دقة التعبير وجمال العرض . وهذا ما يجعل القارئ يقدر شاعريته الفذة من جهة ، ويرتاح الى حسن اختياره ، ورفعة ذوقه من جهة أخرى » (مقدمة الترجمة) .

والحق أن الدكتور محمدي عبّر عن كل ما بنفسه حول « نفحات » الأستاذ الخليلي ، انظر الى قول سعدي :

من ازجفات نترسم ولي از آن ترسم كه عمر من بجفا كردنت وفا نكبد

ثم انظر الى ترجمة الخليلي :

اذا ان خفت يا حبيبي ، فخوفي لم يكن من جفاك أو إغضائك
لأنما خيفتني بأن يقصر العمر ويمضي ، فلا يفي لجفائك

ويقول محمدي عن الكتاب الآخر « ان الكتاب نموذج لدقة بحث مؤلفه الفاضل وحسن ذوقه وسليقته ، وهو يملأ حيزا في الادب الفارسي ، وفي موضوع الادب المقارن ، ظل شاغرا الى الآن » (مقدمته الفارسية للكتاب ، ص ١٧) .

واما المرحوم صادق نشأت فقد نوّه في تقريره عن « وضع زيسان فارسي در مصر (٩٠) » (الفارسية في مصر) ، أيام كان مستشارا ثقافيا لايران في القاهرة واستاذا للفارسية في جامعاتها ، بجهود الرعيل الاول من المصريين وخدماتهم العلمية للفارسية وآدابها ، ومن هؤلاء: عبدالوهاب عزام ، ويحيى الخشاب ، وابراهيم أمين الشواربي ، ومحمد موسى هنداوي ، وطه ندا ، ومحمد كفافي ، واحمد الساداتي ، ومحمد غنيمي هلال ، وحامد عبد القادر ، وعبد النعيم حسنين ، وفؤاد الصياد ، وحسين مجيب المصري ، وامين عبد المجيد بدوي ، واحمد رامي .

الدكتور يوسف حسين بكار

اهم المصادر

- آل علي ، نور الدين (الدكتور) :
الصحافة الفارسية في مصر . مجلة المنتدى . السنة الاولى ، العدد الثاني ١٩٧٨ .
- الاسدي ، مشكور :
وقفة على قبر الخيام . مجلة الاخاء ، السنة الخامسة ، العدد ٥٩ ، كانون الثاني ١٩٥٩ .
- البارودي ، محمود سامي (الشاعر) :
ديوان البارودي ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .
- البدوي المثلث (يعقوب المودات) :
عرار شاعر الاردن ، ١٩٥٨ (دون ذكر مكان الطبع) .
- البستاني ، فؤاد افرايم (الدكتور) :
١ - بين العربية والفارسية . مجلة الدراسات الادبية . السنة الثالثة ، العدد الاول ١٩٦١ .
٢ - سليمان البستاني (سلسلة الروائع ، رقم ٤٤ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٢)
- جرجي زيدان :
تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر . الطبعة الثالثة ، مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٢٢ .
- الحوفي ، محمد احمد (الدكتور) :
تيارات ثقافية بين العرب والفرس . القاهرة ١٩٦٨ .
- رستاخيز — جريدة بالفارسية ، العدد ٩٤٧ ، ترمهه ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .
- سويف ، مصطفى (الدكتور) :

الاسس النفسية للإبداع الفني . دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٥٩ .

— الشهرستاني ، صالح :

اول اديب مصري ينال الوسام الهمايوني — مجلة الاخاء . السنة (١١) ، العدد (١٨٢) ، تشرين الثاني ١٩٧٠ .

... الشواربي ، ابراهيم (الدكتور) :

١ — مقدمة تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي ، لبراون (الترجمة العربية) ، كمبردج ١٩٥٤ .

٢ — مقدمة كتاب ((نظامي الكنجوي شاعر الفضيلة)) للدكتور عبد النعيم حسنين ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٤ .

— شيخو ، لويس :

١ — الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، المطبعة الكاثوليكية ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٢٤ .

٢ — الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٦ .

— صقر ، عبد البديع :

شاعرات العرب ، المكتب الاسلامي ، دمشق ١٩٦٧ .

— المصباح ، فؤاد عبد المعطي (الدكتور) :

دور الفرس في بناء الحضارة الاسلامية ، بحث في كتاب : الصلات الثقافية بين ايران والعرب ، القاهرة ١٩٧٥ .

— الطرازي ، مبشر :

الكتاب الايراني في مصر ، بحث في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٥ .

— دله حسين (الدكتور) :

١ — كثر جديد — تاريخ البيهقي (ترجمة الخشاب ونشأت) . الاخاء ، السنسنة
السادسة ، العدد (٧٤) ، نيسان ١٩٦٦ .

٢ — مقدمة كتاب « حافظ الشيرازي شاعر الفناء والغزل في ايران » للدكتور ابراهيم
الشواربي مطبعة المعارف ، القاهرة ١٩٤٤ .

٣ — مقدمة « اغاني شيراز » (ترجمة ديوان حافظ) ، للدكتور الشواربي ، الجزء
الاول لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٤ .

— عزام ، عبد الوهاب (الدكتور) :

١ — فصول من المتنوي (المقدمة) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة
١٩٤٦ .

٢ — مدخل الشاهنامة (الترجمة العربية) ، طبعة الانست ، طهران ١٩٧٠ .

— عواد ، كوركيس :

معجم المؤلفين العراقيين ، بغداد ١٩٦٩ .

— كفاي ، محمد عبد السلام (الدكتور) :

في الادب المقارن ، دار النهضة العربية : بيروت ١٩٧٢ .

— المصري ، حسين محيب (الدكتور) :

١ — ايران ومصر عبر التاريخ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ .

٢ — في الادب العربي والتركي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٢ .

— مي زيادة :

شاعرة الطليعة عائشة نيمور ، دار الهلال ، العدد (٦٨) .

- النجفي ، احمد الصافي :
مقدمة ترجمته لرباعيات الخيام .
- نشأت ، صادق :
وضع زبان فارسي در مصر (وضع الفارسية في مصر) ، مجلة دانشكده ادبيات
تهران سال (٨) ، شماره (٢) ، ديماء ١٣٣٩ شمسي .
- نعمات احمد فؤاد (الدكتور) :
قيم ادبية ، عالم الكتب ، القاهرة ، دون تاريخ .
- الهنداوي ، محمد موسى (الدكتور) :
مقدمة ترجمة « بوستان سعدي الشيرازي » الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٤ .
- هيكل ، محمد حسين (الدكتور) :
مقدمة ديوان البارودي ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .
- وحيد الدين بهاء الدين :
شخصيات من الادب المعاصر ، حلب . ١٩٧٠ .

كشف الحقائق في البيعة لعلي الرضا للكَـتَـر محمد ضيف الله بطاينه (جامعة اليرموك / الأردن)

... جعل هارون الرشيد الخلافة من بعده في ولده، ورتبها فيهم
بترتيب البيعة لهم، فعقدوها أولا لحمد الأمين، ثم عقدها لعبد الله المأمون، ثم
عقدوها للقاسم المؤتمن، فقال بعض الناس : أحكم الرشيد أمر الملك، وقال
بعضهم بل القى بأسهم بينهم (١) .

ولما أدركت المنيّة هارون الرشيد، نودي بالأمين خليفة للمسلمين،
فبايعوه وبايعه أخوته، وبايعه المأمون الذي كانت إليه أمور خراسان منذ
خلافة والده . إلا أن أيام الصفاء بين الأمين والمأمون لم تدم، وأخذت حاشية
كل منهما تزين لصاحبها الكيد لأخيه، وأسفرت المحاولات التي كانت
ترمي إلى الإيقاع بينهما إلى إعلان الأمين عقد البيعة بالخلافة
لولده من بعده ، والنفاء عقد بيعة أخيه المأمون، ودق طبول الحرب بينهما ؛
ثم إعلان خلع الأمين والدعوة للمأمون بالخلافة في خراسان (٢) . وهاجبت
الحرب بين الأخوين، وسيقت الجيوش إلى ميادين القتال تباعا، ثم قُتل الأمين،
وخلّص الملك سنة ١٩٨ هـ للمأمون، ومضى يصرّف أمور الدولة من مسروء،
حاضرة خراسان، وترك بغداد وغيرها من البلدان إلى نظر الحسن بن سهل

١ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ . تحقيق محمد أبو
الفضل ، ١٩٦٦ .

٢ - المصدر نفسه ص ٤٠٤ - ٤١١ .

أخي وزيره ومذبح أمره في خلافه مع الأمين ، الفضل بن سهل .

لم تهدأ الأحوال بعد مقتل محمد الأمين، وظلّت الفوضى قائمة وثورات السخط والغضب تتفجر من بلد إلى بلد. ثم حملت الأخبار قرار المأمون بجعل علي بن موسى ابن جعفر العلوي وليّ عهد المسلمين والخليفة من بعده ، وتسميته الرضا من آل محمد، ومطالبة الجند بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة. ثم وردت الكتب بذلك إلى الآفاق، وطلب إلى الولاة أن يأخذوا البيعة له على الناس، وأن يدعوا له على المنابر بعد الخليفة المأمون (٣) . فلما كان ذلك ، أتى بني العباس ما كان يحذرون .

فلماذا أراد المأمون أن ينقل الخلافة من بني العباس إلى عبد المطلب إلى بني علي بن أبي طالب ؟

وهل كان المأمون جاداً في قراره ؟

كانت هذه البادرة لا مثيل لها في تاريخ العلاقات العباسية العلوية من قبل. وقد سبق المأمون إليها غيره ممن تقدم عليه من خلفاء بني العباس. ويقول ابن الطقطقي بخصوص ذلك (٤) : « ومن اختراعاته — يعني المأمون — نقل الدولة من بني العباس إلى بني علي، عليه السلام » .

تناولت الأخبار التاريخية « اختراع المأمون » بالتحليل ، وقدمت ما رآته من الدوافع التي أدت إلى اتخاذه، وجعلت المأمون يُقدّم عليه . وسنتناول هذه الأخبار على النحو التالي :

أولاً : الأخبار التي تذكر أن سبب بيعة المأمون لعلي بن موسى يعود

٢ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٤ ، الكندي / ولاة مصر ص ١٦٨ .
تحقيق حسين نصار ١٩٥٩ ، ابن المبراني / الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ . تحقيق
قاسم السامرائي، لايدن ١٩٧٢ م .

٤ - ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ طبعة القاهرة ١٩٢٣ .

التي تقوى عليّ وعلمه وورعه وفضله على آل عليّ وآل العباس سواء .

قال أبو جعفر الطبري : « وذلك أنه — يعني المأمون — نظر في بني العباس وبني علي ، فلم يجد أحدا أفضل ولا أروع ولا أعلم منه » . (٥)

وقال المسعودي : « ... إنه نظر في ولد العباس وولد علي رضي الله عنهم فلم يجد في وقته أحدا هو أفضل ولا أحق بالامر من علي بن موسى الرضا فبايع له بولاية العهد » (٦) .

وجاء في أخبار مسكويه : « نظر المأمون في بني العباس وبني علي فلم يجد أحدا أفضل ولا أروع ولا أعلم من علي الرضا ، فوالاه عهده وسمّاه الرضا من آل محمد » (٧) .

ويبدو أن تعيين علي الرضا وليا للعهد لعلمه وورعه وتقدمه في الفضل على بني علي وبني العباس غير مقبول ، إذ يبدو أن هذه الأخبار تحصل في ثناياها دعاوى امامية قد لا يكون المأمون مؤمنا بها ، ولا ندري كيف وقع للمأمون أن علي بن موسى أفضل هؤلاء . وقد شك ابن الطقطقي (٨) في اختيار المأمون لعلي بن موسى وليا للعهد لصالح علي ، فقال : « إن المأمون قد فُكّر في حال الخلافة بعده ، وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرا ذمته ، كذا زعم » .

وقال القمي : لم يكن — يعني المأمون — يرمي الى أن يتم العهد

٥ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٤ .

٦ - المسعودي / مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨ . الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٨ .

٧ - مسكويه / تجارب الامم ص ٤٣٦ . مجلد مطبوع ملحق بكتاب الميرون والحدائق مكتبة المثنى - بغداد .

٨ - ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

للرضا (٩) .

ثانيا : الاخبار التي تذكر ان سبب بيعه المأمون لعلي بن موسى يعود الى وفاء المأمون بالنذر الذي نذره على نفسه إن انتصر على أخيه الأمين .

قال الاصفهاني : « قال المأمون : اني عاهدت الله ان اخرجها الى افضل آل أبي طالب إن ظفرت بالملخوع، وما أعلم احدا افضل من هذا الرجل » . (١٠)

وساق القمي حديثا طويلا مفاده : ان المأمون عيّن علي بن موسى خنيفة من بعده وفاء لما عاهد الله عليه إن نصره على أخيه الأمين، وافضت الخلافة اليه، أن يضعها في موضعها الذي وضعه الله تعالى، فلما تم الامر للمأمون، لم ير احداً احق بالخلافة من أبي الحسن علي الرضا (١١) .

وتبدو بوضوح ، من خلال ربط النصر بالنذر، ميول رواة الخبر الشيعية ؛ وهذا مما لا يقوم به سبب مقنع في اختيار المأمون علياً لولاية العهد وجعل مصر الخلافة محكوما بالنذور .

ثالثا : ذكر القفطي (١٢) في اخبار الحكماء ان المأمون لما رأى آل علي بن أبي طالب متخشين متخفين من خوف أبي جعفر المنصور ومن جاء بعده من الخلفاء من بني العباس، ورأى العوام قد خفيت عنهم أمور العلويين بالاختفاء، فظنوا بهم ما يظنون بالانبياء ويتفوهون في صفتهم ما يخرجهم عن الشريعة من التفالي، فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل، ثم فكر انه اذا

٩ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط - دار الكتب القاهرة رقم ٢٢١٢ .

١٠ - الاصفهاني / مقاتل الطالبين ص ٦٢ طبة القاهرة ١٩٤٩ .

١١ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٨ ، ١٨١ مخطوط .

١٢ - القفطي / اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٤٩ - ١٥٠ ، دار الكتب الخديوية / القاهرة - الطبعة الاولى .

فعل هذا بالعوام زادهم اغراء به، فنظر في هذا الامر نظرا دقيقا، ورأى ان يقدم احد العلويين للحكم ويظهرهم للناس، فيرى الناس فسق الفاسق منهم وظلم الظالم، فيتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء، فيستقلوا من أعين الناس وينقلب شكر الناس لهم ذمًا .

وأورد القمي خبرا شبيها بالذي أورده القفطي ، قال القمي : « إن المأمون جعل لعلي بن موسى ولاية العهد من بعده . . ليرى الناس رغبته في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم » (١٣) .

وقد يكون ما أورده القمي والقفطي سببا لقصة البيعة لعلي بن موسى، لا يعدو أن يكون تفسيرا منها لقضية البيعة، وإلاّ فإن علي بن موسى لم يكن إماما لكل العلويين (١٤) وإنما كان إماما لفئة منهم، وعندما قامت ثورات العلويين في البصرة والكوفة والمدينة ومكة واليمن (١٥)، لم تختصر واحدة من هذه الثورات علّيّا رئيسا لها، وإنما اختارت غيره، وإذا كان المأمون أراد بفعلته أن يفضح العلويين المتخفين ويكشفهم أمام المخدوعين بهم ويمزق استار القداسة المضروبة عليهم، فإن المأمون يكون قد فاته هذا الغرض، لأن الناس خبروا الذين ثاروا من العلويين وصارت اليهم مقاليد الامور، وعرفوا ما كان منهم من خير أو شر ، واطافة الى ذلك فقد قيل في علي بن موسى إنه لم يكن له من امور الحكم شيء .

رابعا : قيل إن المأمون كان يتشيع للعلويين، وقد حمله افراطه في التشيع على مبايعة علي بن موسى بولاية العهد .

١٣ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

١٤ - انظر محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٨ ، ٩ . مخطوط .

الحسن النويختي / فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة استنبول ١٩٢١ م .

سعد القمي ، المقالات والفرق ص ٨٩ . طبعة طهران ١٩٦٣ .

١٥ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٢٨ - ٥٤٤ .

قال التميمي : « قال المأمون اتدرون من علمني التشيع ... علمنيه
الرشيد » قيل له، وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال كان
يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم » . (١٦)

وذهب الى ذلك السيوطي قال : « وجعل — المأمون — ولي العهد
من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حملة على ذلك
امراطه في التشيع، حتى قيل إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الامر
اليه » . (١٧)

وبخصوص هذا التشيع الذي رمي به المأمون، فيبدو ظاهره المتمثل
بالبيعة لعلي بن موسى متوهما ومتهوما باطنه كذلك ، لما روي عن علي بن
موسى أنه كان يحدث أصحابه الذين يثق بهم عن المأمون واحاديثه في إمامة
علي بن أبي طالب وتفضيله عن سواه، ويقول لهم : « لا تغتروا منه بقوله،
فما يعتلي والله غيره » (١٨)

ويحدثنا ابن عبد ربه عن المأمون أنه سأل علي الرضا عن سبب
دعواهم أمر الخلافة، فلما أجاب علي أن ذلك كان بقرابة علي بن أبي طالب
وناطمة من الرسول عليه السلام، قال المأمون :

« إن لم يكن هاهنا إلا القرابة فقد خلف رسول الله من أهل بيته
من كان أقرب اليه من علي أو من في مثل تعدده — نسبه — وان كان بقرابة
فاطمة من الرسول، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين، وليس لعلي في
هذا الأمر حق وهما حيّان ؛ فإذا كان الأمر كذلك، فإن عليا قد ابتزها حقهما
وهما صحيحان، واستولى على ما لا يجب عليه » (١٩)

١٦ — التميمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٤ مخطوط .

١٧ — السيوطي / تاريخ الخلفاء ص ٢٠٧ . الطبعة الاولى ١٩٥٢ م تحقيق محمد محيي الدين .

١٨ — التميمي / عيون اخبار الرضا ص ١٩٦ مخطوط .

١٩ — ابن عبد ربه / العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٥ . الطبعة الثانية ١٩٥٦ م .

وهذا دليل ، ان صحت هذه الروايات ، على أن المأمون لم يصدر فيها
اتخذة عن نفس مطمئنة بالتشيع للعلويين .

واضافة الى ذلك فان القنطي يذكر أن المأمون كان ينوي بعد قضاء
غرضه من البيعة لعلبي بن موسى، أن يرد الأمر الى حالته الاولى « . (٢٠)
يتضح مما سبق أن المأمون لم يكن جادا في البيعة لعلبي بن موسى
واتمامها له، وانما يبدو أن في الأمر لسرا ، وان البيعة لا تخلو من غرض، وقد
يجلبها لنا تتبع الاحوال العامة التي واكبت حادثة البيعة، والخاتمة التي
انتهت اليها .

أما فيما يتعلق بالاحوال العامة فلا يمكن إغفال الخلاف الذي دار بين
الامين والمأمون، والاطراف التي شاركت فيه وصنعت رغبة منها بالسلطان
والاستبداد به وتعزير تسلطها والانفراد به ؛ وقد صار قتل الامين وقيام
المأمون بأمر الخلافة انتصارا ضمنيًّا للاتجاه الذي كان يقف وراء المأمون،
ويتستر به، ويقف الفضل بن سهل واعوانه على رأسه ، وهزيمة للاتجاه
الثاني الذي كان يقف وراء الامين ويرأسه الفضل ابن الربيع .

إلا أن بقاء المأمون في مرو، حاضرة خراسان، بعيدا عن بغداد دار خلافة
آبائه ، أعطى من حوله مركزا أفضل، وعزز موقعهم في الدولة، وصار لهم
القول والفصل في أمور الدولة ومصالح الناس، وفاض الفضل بن سهل
بالنصيب الاوفى من ذلك، فصارت اليه الرياستان — الحرب والتدبير — وله
مرتبة من يقول فيسمع منه . (٢١)

كان ذلك تعديا على سلطان الخليفة المأمون، مارسه هؤلاء من خلال
الدالة التي أوجبوها على المأمون، الذي يقيم في خراسان بين انصاره من

٢٠ - القنطي / اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٥٠ .

٢١ - الجهشباري / الوزراء والكتاب ص ٢٠٥ - ٢٠٦ الطبعة الاولى ١٩٢٨ مكتبة البابسي
الحلبي / القاهرة .

أخواله الذين ساقوا اليه الخلافة بتدبير عقولهم وحدّ سيونهم ، وقدضخمت
 الدعاية والاعلام مدى ما وصل اليه هؤلاء من النفوذ، حتى قيل إن المأمون
 وقع تحت نفوذ الفضل بن سهل، وإن الفضل قد استولى عليه (٢٢) وصار
 ما يلزم من أمر ويتخذ من قرار تنسبه الأوساط العامة والخاصة في بغداد
 غالبا الى الفضل بن سهل ، وقد يكون من هذا القبيل ما تُنسب الى الفضل
 ابن سهل من شعر يذكر فيه فضل اهل خراسان على المأمون ونصرتهم
 له في سوق الملك اليه، قال : (٢٣)

ان مأمون هاشم أصله مك ة منها أبأؤه وجدوده
 غير أنا نحن الذين غدونا ه بماء العلا فأورد عوده
 من خراسان اتبع الامر فيهم وتوثقت للناظرين بروده
 قد نصرنا المأمون حتى حوى الملك ففينا طريفه وتليده
 مثلنا لا يراه ما برق الصب ح وشقّ الظلام منه عوده

ويبدو ان هذا الشعر قيل على لسان الفضل لاثارة الشك في نفس
 المأمون، وتحريضه على من حوله واستعدائه على وضعه بخراسان .

وإذا أضفنا الى تسلط أعوان المأمون من خلال الدالة عليه ، صدى
 قتل الأمين واستنكار اهل بغداد ، بخاصة ، ذلك ، وتوجيه اللوم الى
 المأمون (٢٤) ، تبين لنا مقدار الضيق والعنت الذي كان يواجهه المأمون في
 إقامته بمرور .

٢٢ - ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا
 ص ١٧٥ ، ١٨٥ مخطوط .

٢٢ - المرزباني / معجم الشعراء ص ١٨٢ .

٢٤ - ذكر الجهشيارى ان الفضل بن سهل قال لما قتل طاهر بن الحسن الخليفة الأمين : ما
 فعل بنا طاهر ؟ سلّ علينا سيوف الناس والسنتهم . انظر : الجهشيارى / الوزراء
 والكتاب ص ٢٠٤ .

ثم استغل العلويون الفرصة، واشعلوا الثورات في المدن المختلفة من العراق والحجاز واليمن ؛ كذلك واصل الاتجاه المعارض للمأمون والذي كان مؤيدا للاميين، نشاطه وتجرا من اختفى من رجاله، مثل الفضل بن الربيع أيام قتل الامين على الظهور والانضمام الى صف المعارضة، وتحذوا الحسن ابن سهل، ممثل المأمون في بغداد، ووقعت الحرب بين الجانبين. وقد تمكنت المعارضة في فترة تالية من طرد الحسن وطرد عماله . (٢٥).

فما عسى المأمون يفعل ازاء ما كان يجري حتى يعيد للخلافة قوتها ونفوذها، وتصبح قادرة على مباشرة صلاحياتها، وكف الاعتداء على سلطانتها ؟

تذكر الاخبار ان المأمون في غمرة الاحداث الجارية انفذ من خراسان رجلين من اهل ثقته، هما رجاء بن ابي الضحاك وفرناس الخادم، وأمرهما ان يأتيا المدينة المنورة، ويحضرا علي بن موسى بن جعفر ؛ فلما احضراه ، عقد المأمون البيعة بالمعهد له (٢٦) ، واعلن ذلك في الاماق .

ويبدو من صدور قرار المأمون في الظروف الآتفة الذكر ما لا يدع مجالا للشك في ارتباط هذا القرار بما كان يجري من حول المأمون، وعلاقته بالموقف السياسي آنذاك ؛ لذلك سنتابع التطورات التي طرأت بعد اعلان البيعة لعلي بن موسى، لما لها من دور ايجابي يُعَيَّن على توضيح غرض المأمون ومغراه من البيعة لعلي، وسنتناول في مجرى التطورات موقف الفضل بن سهل واهل بغداد، باعتبارهما يمثلان اتجاهين رئيسيين متعارضين في الخلاف

٢٥ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٨ .

٢٦ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٤٨ ، دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٤ .

ابن المهراني / البناء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

ابن الاثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٢ . المكتبة التجارية / القاهرة ١٣٥٧ هـ .

تحقيق عبد الوهاب النجار .

القائم .

ومما يلفت النظر أن مقرّ الخلافة ، وأين يكون ، كان واحدا من أبرز مسائل الخلاف بين الاتجاهين ، واعطاء كل جانب أهمية كبيرة في اتجاه تقرير مصير الخلاف . ويبدو أن الفضل بن سهل رأى أول الأمر أن البيعة لعلّي ابن موسى تخدم غرضه في بقاء المأمون في مرو بعيدا عن بغداد ، لذلك أظهر رضاه عن البيعة . وهو ما يفسر لنا الروايات التي تذهب الى القول بأن الفضل بن سهل زين للمأمون البيعة لعلّي بن موسى الرضا (٢٧) .

أما فيما يتعلق بأهل بغداد فقد تلقى أغلبهم اعلان البيعة بالسخط والانتكار ، وكان بنو العباس أشدهم في ذلك نكيرا ، واتهموا الفضل بن سهل بحمل المأمون على اتخاذ القرار ، ونبذوا الفضل بالمجوسي ابن المجوسي ، وقالوا فيه إنه يحتال في جعل الملك كسرويا ، وأنه زين اتخاذ لباس الخصرة ، وهي لباس كسرى والمجوس ، فأدار العباسيون في بغداد الأمر بينهم وأعلنوا خلع المأمون والبيعة لابراهيم بن المهدي (٢٨) .

أخذت ردود الفعل تبلغ مسامع الفضل بن سهل ، فأسقط في يده ، وصارت تليقوره المخاوف والشكوك ، وبدأ يلتمس خطورة قرار البيعة الذي اتخذته المأمون عليه ، فصار يحاول جاهدا تعمية الأخبار على المأمون ومنع وصولها اليه ، وينزل صنوف العذاب بمن يبلغه عنه أنه دخل عند المأمون بهذا الوجه ، وقد اتهم بقتل القائد المشهور هرثمة بن أعين الذي قيل إنه

٢٧ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٥ . ابن بابويه القمي / عيون

اخبار الرضا ص ١٧٥ مخطوط . ابن الأثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٢ .

ابن الطقطقي / الغري ص ١٩٨ .

٢٨ - انظر من أجل ذلك : الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢١٢ - ٢١٣ .

أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٥ .

جاء من بغداد الى المأمون في مرو ليطلعه على حقيقة ما يجري من الشكوى ضد الفضل بن سهل واعوانه ، وما يخوض الناس فيه، وليردّه السسى بغداد . (٢٩) كما اخذ الفضل يتغيّر لعلّي بن موسى ويقيم عليه المرامد للوقوف على اخباره (٣٠) .

اما فيما يتعلق بعلّي بن موسى فان الاخبار تشير الى انه كان قد اوجس خيفة من مراودة المأمون اياه على البيعة له، وأنه اقتيد الى ذلك اقتياداً، فيذكر القمي انه لما اراد المأمون علي بن موسى على البيعة اعتقل علي بعلل كثيرة (٣١). ويقول ابن العبراني إن علي بن موسى قال للمأمون: يا امير المؤمنين : إن هذا الامر لا يتم، فاعفني، فلم يُعفِه (٣٢) . وكان علي ابن موسى يشعر بالضيق خلال وجوده في مرو مع المأمون والفضل بسن سهل، وتنتابه حالة من الشك والقلق، وتستبد به الظنون، وكثُر ما نسب اليه سؤال المأمون بالرجوع الى بغداد تخلّصاً مما يجري (٣٣) .

اما المأمون فقد ظل يرقب ردود الفعل، وينظر درجة التطورات التي وصلت اليها ، فلما اطمأن الى رغبة القادة الملّحة من حوله في العودة الى بغداد ، وضعف مركز الفضل بن سهل واعوانه ، الى حدّ وضعه في قفص الاتهام وتجريمه ، ونظرة اهل بغداد الى اقامة الخليفة بينهم نظرة المتمني، وبرمهم بالفوضى التي عموا بها ، وخوف بني العباس من انتقال الملك عنهم خوفاً انساهم قتل الامين ، اعلن الرحيل من مرو خراسان صوب بغداد .

٢٩ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٢ - ٥٤٣ .

ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

٣٠ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٩ . ومواضع متفرقة - مخطوط .

٣١ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط .

٣٢ - ابن العبراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

٣٣ - مسكويه / تجارب الامم ص ٤٤١ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٢

مخطوط . ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٦٤ .

تقدم الفضل بن سهل الى المأمون ينصحه بالعدول عن الرحيل ،
ويعرض عليه موانع ذلك ، ويذكره بقتل أخيه الأمين ومعاداة اهل العراق له ،
والبيعة لعلي بن موسى ، وازالة الخلافة عن بني أبيه بني العباس وتغير
قلوبهم له ؛ ولكن المأمون أعرض جانباً عن نصائح وزيره ، وطلب اليه أن
يستعد للرحيل معه الى بغداد ، فلما رأى الفضل بن سهل أن المأمون جاد في
الامر ، اعتذر الفضل الى المأمون عن المسير معه وقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن ذنبي عظيم عند اهل بيتك وعند العامة ، والناس
يلومونني بقتل أخيك المخلوع وبيعة الرضا ، ولا آمن السعاة والحساد واهل
البغي أن يسعوا بي ، فعدني اخلفك بخراسان » . فلم يوافق المأمون ، وأعلمه
عدم استغفائه عنه وليس من هناك الا الثقة المأمون الناصح (٣٤) .

ويبدو أن ليس ادل على مدى التوفيق الذي بلغه المأمون في البيعة
لعلي بن موسى من هذا الحال الذي صار اليه الفضل بن سهل من ضعف
الحول وقلة الحيلة ، فلما بلغ المأمون ببعض الطريق ، قيل في سرخس ،
' قتل الفضل بن سهل ' فاتهم المأمون بقتله ، (٣٥) وقيل أن القتلة قالوا للمأمون
عند مثلهم بين يديه : انت امرتنا بقتله (٣٦) .

ولما بلغ المأمون مدينة طوس ، مات علي بن موسى ، قيل في اكثاره
من اكل العنب (٣٧) وقيل في السم (٣٨) وقيل اعتل أسابيع ومات (٣٩) .

٢٤ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٤ مخطوط .

٢٥ - المصدر نفسه ص ١٨٤ .

٢٦ - ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٢ .

٢٧ - المسعودي / المروج ٤ ص ٢٨ .

٢٨ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ٢ ص ٤٥٢ .

الإصفهاني / مقاتل الطالبين ص ٥٦٦ - ٥٦٧ .

ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

٢٩ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ٢ ص ٤٥٢ .

ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

وتقدم المأمون نحو بغداد يزفّ نفسه إليها، بلا الفضل بن سهل، وبلا علي بن موسى ، ففتحت بغداد ذراعيها له، وكان لسان حالها :

جعل الله قدومك يا أمير المؤمنين ، مفتاح رحمة لك ، ولن قدمت عليه من رعيّتك ؛ فقد أشرقت البلاد حين حلّت بها ، وآنس الله بقربك أهلها ، ونصبت الرعية اليك أعينها ، ومدت الى الله فيك ولك أيديها ، لتصيب من مقدمك عدلا يحييها ، ومن نيل يدك فضلا يغنيها . (٤٠)

ومكث المأمون أياما ببغداد، قبل ثمانية وهو يلبس لباس الخضر، ولم يكن أحد يجتري أن يلبس شيئا من لباس السواد ؛ فلما رأى طاعة الناس له، طرح لباس الخضر وأمر بلباس السواد، وعمّ الناس بعفوه واحسانه (٤١)، ولم يعد الى تعيين ولي عهد علوي آخر .

وهكذا نرى تعيين علي بن موسى خليفة من بعد المأمون كان خطة ذكية، وعملا جريئا لتخليص الدولة من حمى الاتجاهات والأغراض السياسية المتضاربة، وانقاذ الموقف السياسي المضطرب، ولم يكن عملا جادا لنقل الخلافة عن بني العباس الى آل علي .

الدكتور محمد ضيف الله البطاينة

٤٠ - ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت المطار الحسيني ،

٤١ و ٤٠ - ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت المطار

الحسيني ،

موقف من يونس بن حبيب

للدكتور محمود حسني محمود

(الجامعة الأردنية)

- ١ -

هو (١) أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي البصري . يكاد أغلب الذين ترجموا له أن يتفقوا على أنه واحد من الموالى العرب ، ولكنهم حاروا في من كان مولاه ، فقليل (٢) انهم بنو ضبة ؛ وقيل (٣) بنو ليث بن بكر ، وقيل (٤) بلال بن هرمي من بني ضبيعة بن بجالة . أما صاحب « معجم الأدباء » فقد رأى أنه ضبي نسباً صريحاً ، ولكنه عاد وروى أنه مولى بني ليث ؛ قال (٥) : « أبو عبد الرحمن الضبي وقيل اللبثي بالولاء » . وكان نسب يونس يحتر أباً الحسن الخزاعي الذي لم يستطع أن يتحقق من الأمر فكان يقول (٦) : « لا أدري هو مولى أم لا » . وفي جميع الأحوال فإن يونس يبقى عربي الأصل . ولم يذهب أحد إلى أنه غير ذلك سوى صاحب «مفاخر

١ - طبقات المفسرين : ج ٢ / ٢٨٥ . بغية الوعاة : ج ٢ / ٣٦٥ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

٢ - وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٤ . الفهرست : ص ٧٩ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

٣ - وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٤ . معجم الادباء : ج ٢ / ٦٤ . الفهرست : ص ٧٩ .

٤ - وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٤ .

٥ - ج ٢٠ / ٦٤ .

٦ - الفهرست : ص ٧٩ .

العجم » الذي ادعى (٧) انه اعجمي الاصل ، مفتخرا بذلك ، توهما (٨) منه انه من اهل الجبل، بينما هو في الحقيقة من مواليد جبل (٩) : القرية الواقعة (١٠) بين النعمانية وواسط ، ولعل لفظ « جبل » هو الذي اوهمه انه من اهل الجبل .

وقد قدر الله ليونس أن يعيش عمرا مديدا ، اختلفت الروايات (١١) في تقديره ، وتراوح فيها بين ٧٨ سنة الى ١٠٢ من السنين ، ولكن الأغلب انه عاش ٨٨ عاما ، أو قريبا منها ، وانه توفي سنة ١٨٢ هـ .

ويبدو انه فرغ حياته تماما من أجل العلم ، ولم تشغله شواغل الدنيا « فلم (١٢) يَتَسَّرَ ، ولم يفزج » ، و « (١٣) لم تكن له همة الا طلب العلم ، ومحادثة الرجال » ولعل عدم انشغاله بشيء غير العلم يسر عليه جهدا في ابتلاك حصيلته العلمية التي وصل اليها ، وامكنه من الحفاظ عليها حتى قبل فيه قول ظريف : « (١٤) مثل يونس كمثّل كوز ضيق الراس ، لا يدخله

٧ - الفهرست : ص ٧٩ .

٨ - تاريخ الادب العربي (بروكلمان) : ج ٢ / ١٣٠ .

٩ - وفيات الاعيان ج ٧ / ٢٤٤ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

١٠ - معجم البلدان : ج ٢ / ١٠٢ . قال ياقوت : « بلدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي كانت مدينة واما الآن فاني رايتها مرارا وهي قرية كبيرة ، قال البحري : لنن اوحشتي جبل وخصاصها لما انستني واسط وقصورها » .

١١ - ولعل اصحها تلك التي وردت على لسان الجاحظ في حديثه للمبرد، وتفيد بان يونس توفي سنة ١٨٢ هـ وهو ابن ثمان وثمانين (مراتب النحويين ص ٢١ وانظر الحيوان ج ٥ / ٥٩١) . وهذه الرواية تتطابق مع ما ورد على لسان اسحق بن ابراهيم الموصلي في الفهرست ص ٧٩ .

اما في : البداية والنهاية : ج ١٠ / ١٨٤ . فقد ورد انه توفي عن ٧٨ سنة . وفي طبقات المفسرين ج ٢ / ٢٨٦ وبغية الوعاة : ج ٢ / ٣٦٥ توفي عن تسعين . وفي احمدى روايات الانباء : ج ٤ / ٧١ انه جاوز المائة .

١٢ - انباه الرواة : ج ٤ / ٧١ . طبقات المفسرين : ج ٢ / ٢٨٦ . بغية الوعاة : ج ٢ / ٣٦٥ .

١٣ - الفهرست : ص ٧٩ . وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٥ . انباه الرواة : ج ٤ / ٧١ .

١٤ - طبقات النحويين والمفويين : ص ٥١ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

شيء إلا بعسر ، فإذا دخله لم يخرج منه » أي لا ينسى . وبقي يونس يفيد من علمه الى أن (١٥) « تفرغ من الكبر » ، إذ وصل عمراً لا أحد يرجو أن يصل اليه ، فقد (١٦) دخل المسجد يوما وهو يهادي بين اثنين من الكبر ، فقال له رجل كان يتهمه على مودته : بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن ، قال : هو الذي ترى ، فلا بلغت .

وكان يونس ذا نظرة تأملية ، وصاحب رأي في بعض الجوانب الحياتية ، فكان يقول : « (١٧) ثلاثة والله أشتي أن أمكن من مناظرتهم يوم القيامة : آدم عليه السلام ، فأقول له : قد مكثك الله من الجنة وحرّم عليك شجرة ، فقصدت لها حتى القيتنا في هذا المكروه ؟ . ويوسف عليه السلام ، أقول له : كنت بمصر ، وأبوك عليه السلام بكنعان ، بينك وبينه عشر مراحل ، يبكي عليك ، لم لم ترسل اليه : إني في عافية ، وتريحه مما كان فيه من الحزن ؟

وطلحة والزبير أقول لهما : عليّ بن أبي طالب عليه السلام بايعتما بالمدينة ، وخلعتما بالعراق ، لم ؟ أي شيء أحدث ؟ »

وللشباب والاحباء عنده مكانة غالية حين يقول (١٨) :

شيان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يلبغا المعشار من حقيهما شرح الشباب وفرقة الاحباب
وللعلم عنده مكانة لا تدانيها مكانة ، فكان يقول : « (١٩) إن علمك

١٥ - القهرست : ص ٧٩ . انباه الرواة : ج ٤ / ٧١ .

١٦ - مراتب النحويين : ص ٢١ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

١٧ - أخبار النحويين البصريين : ص ٢٩ .

١٨ - شذرات الذهب : ج ١ / ٢٠١ .

١٩ - الحيوان : ج ١ / ٦١ .

من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالك بمكان البدن » .

تتقَّفُ يونس ثقافة واسعة تمثل ثقافة عصره ؛ وكان متجليا في اكثر من علم واحد : فهو عالم بالانساب ، يُضْرَب به المثل في الدراية بهذا العلم والتمكّن منه • قال الجاحظ في حديثه عن الحمام : « (٢٠) ووصف الهذيل المازني مثنى بن زهير وحفظه لانساب الحمام ، فقال : « والله لهو انساب من سعيد بن المسيب وقتادة بن دُعامة للناس ، بل هو انساب من ابي بكر الصّدّيق رضي الله عنه ! لقد دخلت على رجل اعرف بالامهات المنجيات من سُحيم بن حفص ، واعرف بها دخلها من الهُجّة والإقراف من يونس بن حبيب » .

وهو قصّاص من اولئك الذين كان الناس يتحلّقون حولهم في المساجد ويستمعون الى ما يروونه من احاديث واخبار • ويبدو أن الموضوع الذي كان يدور حوله القصّاص — كما يبدو من خلال ذكر (٢١) الجاحظ لهم — هو تفسير آيات القرآن الكريم ، فبرع يونس بين المفسرين ، (٢٢) وتُرجم له في طبقاتهم ، ولا سيما وقد ألف كتابا اسماه « (٢٣) معاني القرآن » • ولعل يونس في تأليفه هذا الكتاب هو الذي اوحى الى تلامذته : ابي

٢٠ — الحيوان : ج ٢ / ٢١٠ .

٢١ — انظر البيان والتبيين : ج ١ / ١٩٢ — ١٩٤ .

٢٢ — انظر : طبقات المفسرين : ج ٢ / ٣٨٥ — ٣٨٦ .

٢٣ — انظر : الفهرست : ص ٧٩ . وقد خلط صاحب معجم الانباء (ج ٢٠ / ٦٧) بين معاني

القرآن و « النوادر » فذكره باسم « معاني القرآن الكبير » « معاني القرآن الصغير »

مع ان كتاب المعاني كتاب واحد ، اما النوادر فالف فيها كتابين : الكبير والصغير كما

سرد فيها بعد .

عبيدة (٢٤) والكسائي (٢٥) والأخفش (٢٦) والفراء (٢٧) أن يسلكوا مسلكه ويؤلفوا كتباً في الموضوع نفسه تحمل اسم الكتاب الذي ألفه . وله آراء (٢٨) تفسيرية تناقلتها الكتب بعده .

وهو ناقد أدبي مؤهل بكل متطلبات النقد ، كان « ٢٩ » عالماً بالشعر ، نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه ، عارفاً بطبقات شعراء العرب ، حافظاً لانسابهم » ، مرجعاً لمن كان الأدب يشكل جزءاً من تفكيرهم وهمومهم ؛ قدم (٣٠) عليه جعفر بن العباس من عند الخليفة المهدي وقال له : أنا وأمرؤنن اختلفنا في هذا البيت :

والشيبُ ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجانيبه نهار
فما الليل والنهار ؟ فقال يونس : الليل ، الليل الذي تعرف والنهار . النهار الذي تعرف ، فقال جعفر : زعم المهدي أن الليل فرخ الكروان ، والنهار فرخ الحباري . فقال أبو عبيدة في البيت ما قاله يونس . والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة .

وكان الشعراء يذهبون اليه يستأنسون برأيه ، قبل أن يذيعوا أشعارهم للناس ؛ حتى أن بعضهم كان يتخذ من رأيه القول الفصل ، فلما أن يظهر شعره وأما أن يلتفت اليه ؟ قدم (٣١) عليه مروان بن

٢٤ - انظر انباه الرواة ج ٢ / ٢٥٦ .

٢٥ - انظر نزهة الالباء ص ٦٠ .

٢٦ - انظر انباه الرواة ج ٢ / ٤٢ .

٢٧ - انظر : نزهة الالباء ص ٨١ .

٢٨ - انظر : الحيوان ج ٥ / ٢٤٠ ، وطبقات فحول الشعراء ص ٥٤ (مطبعة المدني - القاهرة - ١٩٧٤) .

٢٩ - معجم الادباء ج ٢٠ / ٦٤ .

٣٠ - وفيات الاعيان ج ٧ / ٢٤٧ .

٣١ - الموشع ص ٥٠ معجم الادباء ج ٢٠ / ٦٦ .

أبي حفصة ، وقال له : لقد قلت شعرا اعرضه عليك ، فإن كان جيدا أظهرته ،
وإن كان رديئا سترته ، وأنشده :

طرقتك زائرة فحيّ خيالها

قال : فقال له : يا هذا ، اذهب فأظهر هذا الشعر ، فانت والله
فيه اشعر من الاعشى ، يريد في قوله (٣٢) :

رحلت سمية غدوة اجمالها

فقال له مروان : قد سؤتي وسررتني ، فأما الذي سررتني به
فلإرتضائك الشعر ، وأما الذي سؤتي به فلتقديبك إياي على الاعشى ،
قال : نعم ، إن الاعشى قال :

فرميت غفلة عينه عن شاته فاصبت حبة قلبها وطحالها .
والطحال لا يدخل في شيء الا أفسده ، وانت لم تقل ذاك .

وكان يستطيع ان يميز رواية الشعر صدقها من كذبها ؛ فقد روي (٣٣)
أبي عمرو بن العلاء — بحضور يونس وأبي عبيدة — أن الوليد بن عبد الملك
لامّ العجاج لقوله شعراً في عمر بن عبيد الله بن معمر أفضل من ذلك الذي
قاله فيه ، فقال يونس لأبي عبيدة بعد سماع الرواية : اتصدق بهذا ؟ ما
كان من هذا شيء قط ، ولا كان الوليد يحسنه ؛ قال عمر بن شبة : ولا
احسب يونس الا قد صدق ؛ كان الوليد لحانا ، وكان عبد الملك يعتذر من
ذلك ، ويقول : « شغلنا حب الوليد عن تأديبه ، لكن هذا سليمان فاسأله
عما شئتم » .

وكان الشعراء يحفلون بقوله ويننون عليه شعراً ، فقد (٣٤) بنى

٣٢ — ديوان الاعشى ص ٢٧ قصيدة رقم ٢ .

٣٣ — الموشح ص ١٩٦ .

٣٤ — سوفيات الاعيان ج ٢٤٦/٧ .

منصور النمرى على قول يونس : « ما بكت العرب على شيء في أشعارها
كبكائها على الشباب ، وما بلغت كنهه » ؛ فقال من جملة قصيدة يمدح
بها هارون الرشيد :

ما كنت أوفي شبابي كنه غُرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبـع
وليونس قول ذائع يدل على دقة حكمه ومعرفته بطبيعة الشعر ، وما
يتحكم في جودته ؛ فقد سأله ابن سلام عن أشعر الناس ، فقال : « (٣٤) لا
أومىء الى رجل بعينه ولكني أقول : امرؤ القيس اذا ركب ، والنابعة اذا
رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب » . وكان يقول عن الشعر :
« (٣٥) انه كالسَّراء والشجاعة والجمال ، لا ينتهي فيه الى غاية » .

وكان للشعراء عنده مكانة عالية ، وعلاقة وثيقة ؛ ولعل أمتن هذه
العلاقات تلك التي كانت بينه وبين العجاج ورؤبة ، حتى أنها كانا عنده
« (٣٦) أشعر أهل القصيد » . وقد (٣٧) اختص بالرواية عن رؤبة
وتعصب له ؛ وكان يهب للدفاع عنه اذا ما حاول أحد أن ينال منه ؛
فهذا (٣٨) شبيل بن عذرة يدخل على أبي عمرو بن العلاء - يونس حاضر -
- فيبدي استغرابه من أن رؤبة لا يعرف اشتقاق اسمه ، فيثب يونس ،
ثم يجلس بين يدي شبيل ويقول له : « لك تظن أن معد بن عدنان كان أفصح
من رؤبة ؟ فانا غلام رؤبة . فما الرؤبة والرؤبة والرؤبة والرؤبة ؟

٢٤ - معجم الادباء ج ٢٠ / ٦٥ ، خزنة الأئب ج ١ / ١٧٥ .

٢٥ - طبقات محول الشعراء ص ٦٦ (مطبعة المدني - القاهرة ١٩٧٤) .

٢٦ - خزنة الأئب ج ١ / ٩٠ .

٢٧ - الرواية والاستشهاد باللغة ص ١١ .

٢٨ - مراتب النحويين ص ٢٢ . خزنة الانب ج ١ / ٩٠ .

كان شبيل بن عذرة راوية نسبا عالما بالغريب ، وكان شاعرا ، تشيع سبعين سنة ثم
صار بعد ذلك خارجيا ويكنى أبا عمرو ، مات بالبصرة . انظر مراتب النحويين ص ٢٢ .

(الخامسة مهموزة فقط) ، فإذا بشبيل يفضب ويقوم ، وإذا بأبي عمرو ينكر على يونس تصرفه مع رجل شريف قصد مجلسه ؛ فيعتذر يونس قائلا : ما تمالك اذ ذكر روبة ان قلت ما قلت .

غير ان شهرة يونس تأتي من علمه باللغة والنحو ، إذ (٣٩) « كان اغلب عليه » يعرف به فيقال (٤٠) « يونس النحوي » تمييزاً له عن غيره ممن عرفوا بهذا الاسم • وقد سمع (٤١) اللغة عن العرب ، شأنه شأن أوائل النحاة الذين كانوا يستقون المادة النحوية من أفواه الاعراب في البادية ؛ وألف (٤٢) في اللغة كتاب « اللغات » و « النواذر الكبير » و « النواذر الصغير » و « الامثال » .

أما النحو فأخذه عن مجموعة أولهم (٤٣) حماد ابن سلمة ، مع أنه كان اسن (٤٤) منه ، وكان يونس يفضل (٤٥) ؛ ولكن اكثرهم تأثيراً فيه أبا عمرو بن العلاء الذي يبدو أنه كان ملازماً اياه ، يكتب له حتى عد من كتّابه (٤٦) . واثري أبي عمرو في علم يونس ظاهر في ميدان الشعر ، والرواية ، والنقد ، واللغة والنحو ؛ وكان يونس يجلّ استاذه ويحترم رايه قائلا : « (٤٧) لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد ، كان ينبغي لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية ان يؤخذ كله ، ولكن ليس أحد الا وانت آخذ من قوله وتارك » .

٣٩ - مراتب النحويين ص ٢١ .

٤٠ - انظر : وفيات الاعيان ج ٧ / ٢٤٤ ، خزانة الادب ج ١ / ٩٠ . شذرات السذهب ج ١ / ٣٠١ .

٤١ - اخبار النحويين ص ٢٧ .

٤٢ - انظر : الفهرست ص ٧٩ .

٤٣ - طبقات النحويين واللفويين ص ٥١ .

٤٤ - نزهة الالباء : ص ٤٢ .

٤٥ - المصدر نفسه ص ٤٣ .

٤٦ - اخبار النحويين البصريين ص ٢٧ .

٤٧ - طبقات فحول الشعراء ص ١٦ (المدني - القاهرة ١٩٧٤ م) وانظر : نزهة الالباء ص ٣١ .

وقد شاهد يونس مرحلة متطورة في ميدان النحو ، توضحت فيها أسس النحو ، وثبتت فيما بعد في كتاب سيبويه * وتعد هذه المرحلة قفزة واسعة إذا ما قيست بتلك التي شهدها ابن أبي اسحق * سئل (٤٨) يونس عن ابن أبي اسحق وعلمه فقال : هو والبحر سواء ؛ أي هو الغاية . قال : فأين علمه من علم الناس اليوم ، لو لم يكن في الناس اليوم أحد لا يعلم إلا علمه يومئذ لضحك منه ، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه ، ونظر نظره لكان أعلم الناس .

وقد أسهم يونس في تطور النحو مساهمة فعالة ، وكان له شخصيته الواضحة وأثره البين حتى قيل : « (٤٩) له قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها » . وقد خصص معظم حياته للتدريس ، فكان لسه بالبصرة حلقة (٥٠) ينتابها طلاب العلم وأهل الأدب ، وفصحاء الأعراب ، ووفود البادية ؛ ودرس عليه علماء مشاهير سنوات طويلة * فاختلف (٥١) إليه أبو عبيدة أربعين سنة ، وأبو زيد عشر سنين ، وخلف الأحمر عشرين سنة ، وأخذ عنه قطرب ، (٥٢) ومحمد (٥٣) بن سلام الجمحي ، والكسائي ، والفراء .

ويكفيه أن سيبويه أخذ عنه فأكثر (٥٤) ، ونقل عنه نقولا صدق فيها

٤٨ - طبقات النحويين واللغويين ص ٣١ .

٤٩ - أخبار النحويين البصريين ص ٢٧ وانظر انباه الرواة : ج ٧٠/٤ .

٥٠ - انظر : الفهرست ص ٧٩ ، وانباه الرواة : ج ٧٠/٤ .

٥١ - وفیات الاعيان : ج ٢٤٥/٧ . معجم الانباء : ج ٦٥/٢٠ . انباه الرواة : ج ٧١/٤ .
شذرات الذهب : ج ٢٠١/١ .

٥٢ - انظر : مراتب النحويين ص ٦٧ .

٥٣ - انظر : مراتب النحويين ص ٦٧ .

٥٤ - أخبار النحويين البصريين : ص ٢٧ . انباه الرواة : ج ٧٠/٤ ، طبقات المفسرين
ج ٢٨٦/٢ .

جميعا ، وشهد يونس على صدقها شهادة رفعت من ذكر سيبيويه وكتابه ،
فقد (٥٥) قال حين ذكر سيبيويه عنده : اظن هذا الغلام يكذب على الخليل ،
فتيل له : قد روى عنك أشياء كثيرة ، فانظر فيها ، فانظر فيها ، فقال :
صدق في جميع ما قال ، هو قولي .

وقد ذكر سيبيويه يونسَ وروى عنه في نحو ٢٠٠ موضع (٥٦) من
مواضع الكتاب، بحيث كان يتكرر (٥٧) اسمه في الصفحة الواحدة أحيانا أكثر
من مرة واحدة .

وقد روى يونس في الكتاب لغة كثيرة عن العرب ، وكان مفتاح رواياته
عنهم يختلف من رواية الى أخرى ، فكان يفتتح روايته بـ (٥٨) « أن قوما من
العرب ... » ، (٥٩) « أن ناسا يقولون ... » ، (٦٠) « أن ناسا من
العرب ... » ، (٦١) « أن بعض العرب الموثوق بهم ... » ، (٦٢) « أن بعض
العرب ... » ، (٦٣) « أن قوما ... » ، (٦٤) « أن العرب
تقول ... » ، (٦٥) « أنه سمع أعرابيا ... » ، (٦٦) « أنه سمع

٥٥ - اخبار التوحين البصريين : ص ٢٧ .

٥٦ - انظر : سيبيويه امام النخاعة : ص ٩٠ .

٥٧ - انظر : كتاب سيبيويه ج ١ / ٢٨٨ ذكر أربع مرات ، وج ٢ / ٤١٠ ، ٤١١ ، وانظر :
ج ٢ / ١٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٤٧ ، ٣٦١ ، ٤٤٢ ، ٦٢٢ .

٥٨ - انظر : الكتاب ج ١ / ٢٨٩ .

٥٩ - الكتاب ج ١ / ٤١٦ ، ج ٢ / ٤١٠ .

٦٠ - انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢٧ ، ١١٢ ، ج ٢ / ٢٤٤ .

٦١ - انظر : الكتاب : ج ٢ / ٣٣٧ .

٦٢ - انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢١٣ .

٦٣ - الكتاب ج ٢ / ١١٩ .

٦٤ - الكتاب ج ٢ / ١٤٣ ، ج ٢ / ٤٢٥ .

٦٥ - الكتاب ج ٢ / ٤١١ .

٦٦ - الكتاب ج ٢ / ١٢٥ .

العرب ... » (٦٧) « أن من العرب من يقول ... » .

وقد روى عن رؤية (٦٨) من الشعراء ، والفـرزـدق (٦٩) ،
وجـريـر (٧٠) ، والـأسود (٧١) بن يعفر . وروى عن أبي (٧٢) عمرو بن
العلاء، وكان طريق سيبويه إليه ، وروى عن ابن (٧٣) أبي اسحق .
وتأتي شخصيته النحوية من خلال الكتاب في الدرجة الثانية (٧٤) بعد
شخصية الخليل ، وكثيرا ما كان يتترن اسماهما في رواية أو رأي . ومما
يلفت النظر في رواية سيبويه عنهما ، حين ذكرهما معا ، انه كان يترحم
عليهما اذا سبق ذكر يونس ذكر الخليل ، أما اذا سبق ذكر الخليل يونس
تَرَحَّم على الخليل وحده ، ثم أتبع الترحُّم عليه ذكر يونس، فهو يقول فـي
الموضع الأول مثلا : (٧٥) « وزعم يونس والخليل، رحمهما الله، أن الدرهم
ليست نكرة » ، (٧٦) « ولم يجز يونس والخليل — رحمهما الله — كما غلما
لك » ، (٧٧) « هذا قول يونس والخليل رحمهما الله » . وفي الثاني
يقول مثلا : (٧٨) « واذا لم تلحق الالف قلت، وازيد، إذا لم تضاف ، ووازيد،

٦٧ — الكتاب ج ١ / ٢٦٢ ، ج ٢ / ٦٥ .

٦٨ — انظر الكتاب : ج ١ / ٥١ ، ج ٢ / ١٥٣ ، ج ٢ / ٢٠٤ ، ٥٦٥ .

٦٩ — انظر الكتاب ج ٢ / ٧٢ .

٧٠ — انظر الكتاب : ج ١ / ٢٧٨ .

٧١ — انظر الكتاب : ج ٢ / ١٢٥ .

٧٢ — انظر الكتاب : ج ١ / ٢٨٧ ، ج ٢ / ١١٣ ، ١٨٥ ، ٣٩٩ ، ٣١٩ ، ج ٢ / ١٠١ ، ٢٤٢٢ ،

٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٢٤٧ ، ٣٦١ ، ٤٥٧ ، ٥٦٦ .

٧٣ — انظر الكتاب : ج ٢ / ٢٤٢ .

٧٤ — كتاب سيبويه وشروحه ص ٣١ .

٧٥ — الكتاب : ج ١ / ٤٢٨ .

٧٦ — الكتاب : ج ٢ / ١٥٩ .

٧٧ — الكتاب : ج ٢ / ٣٣٨ .

٧٨ — الكتاب : ج ٢ / ٢٢١ .

إذا أضفت ، وان شئت قلت وإزيدي، واللاحق وغير اللاحق عربي فيما زعم الخليل رحمه الله ويونس » . وفي باب النذبة (٧٩) « وذلك قولك: وأرجلاه، ويا رجلاه، وزعم الخليل، رحمه الله، ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال » . ويقول: (٨٠) « زعم الخليل — رحمه الله — ويونس جميعا أنه يجوزهما أتاني غير زيد وعمر » . وفي أعراب الضمير بعد لولا: (٨١) « وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس » . ولعل ما سلكه سيبويه إزاء الخليل ويونس يذكرني بالاعرابي الذي صلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دعا الله قائلا: (٨٢) « اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا » فدهش النبي وقال له: « لقد ضيقتُ واسعا » .

ومفاتيح رواية سيبويه عن يونس كثيرة منها: (٨٣) « حدثنا يونس ... » ، (٨٤) « أخبرنا يونس ... » ، (٨٦) « أنشدنا يونس ... » وفي أغلب الروايات: (٨٧) « زعم يونس ... » ، (٨٨) « وأما يونس فيقول ... » ، (٨٩) « وهذا قول يونس ... » ونقل سيبويه عنه أبوابا كاملة في النحو والصرف ، إما عنه (٩٠) وحده ، وإما عنه وعن الخليل (٩١)

-
- ٧٩ — الكتاب : ج ٢ / ٢٢٧ .
 ٨٠ — الكتاب : ج ٢ / ٣٤٤ .
 ٨١ — الكتاب : ج ٢ / ٢٧٣ .
 ٨٢ — بطل الإبطال ص ٦١ .
 ٨٣ — انظر : الكتاب : ج ١ / ١٥٥ ، ٤٠٩ — ج ٢ / ٢٥٥ ، ٣٦١ ، ٤١٠ — ج ٢ / ٣٢٧ .
 ٨٤ — انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢٧٦ — ج ٢ / ٢٦٧ .
 ٨٤ — انظر : الكتاب : ج ٢ / ٤٥٥ .
 ٨٦ — انظر : الكتاب : ج ١ / ١٢٠ ، ٢٧٨ .
 ٨٧ — انظر : الكتاب : ج ١ / ٣٨٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٥ ، ج ٢ / ٧٧ ، ٤١١ ، ١٩٩ ، ج ٢ / ١٣٥ ، ٤٢٥ ، ٢٤٩ .
 ٨٨ — انظر : الكتاب : ج ٢ / ٧٦ .
 ٨٩ — انظر : الكتاب : ج ١ / ٤٣٣ .
 ٩٠ — انظر : الكتاب : ج ٢ / ٤١٧ — ٤١٨ . ج ٢ / ٤٢٣ — ٤٢٤ .
 ٩١ — انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢١٢ — ٢١٤ ، ٣٣٨ .

جميعا .

• ويعتز سيبويه في كتابه براي يونس ويعتد به ، ويثق ، فهو يمود اليه ويساله كلما اشكل عليه • يقول في باب ما ينتصب على التعظيم او المدح : « (٩٢) وسمعنا بعض العرب يقول : (الحمد لله رب العالمين) فسالت عنها يونس فزعم انها عربية » ، ويقول في باب اختلاف العرب في الاسم المعروف الغالب اذا استفهمت عنه بمن : « (٩٣) ، وسالت يونس عن : رايت زيد بن عمرو ، فقال : اقول : من زيد بن عمرو ، لانه بمنزلة اسم واحد ؛ وهكذا ينبغي اذا كنت تقول : يا زيد بن عمرو ، وهذا زيد بن عمرو ، فتسقط التنوين » . ومواطن (٩٤) اسئلته له كثيرة .

وكان يتخذ من رواية يونس تصديقا لرواية نحوي آخر ؛ فهو يقول : « (٩٥) وزعم ابو الخطاب ان العرب الموثوق بهم يقولون : انا هذا ، وهذا انا . . . وحدثنا يونس ايضا تصديقا لقول ابي الخطاب . ان العرب تقول : هذا انت تقول كذا وكذا ، لم يرد بقوله : هذا انت ، ان يعرفه نفسه ، كأنه يريد ان يعلمه انه ليس غيره ، هذا محال ، ولكنه اراد ان ينبهه ، كأنه قال : الحاضر عندنا انت ، والحاضر القائل كذا وكذا انت .

واحيانا قد لا يطمئن الى قول نحوي فيلجأ اليه ، فعنده الخبر اليقين . يقول : « (٩٦) وزعم عيسى بن عمر ان ناسا من العرب يقولون : إذن افعل ذاك ، في الجواب ؛ فأخبرت يونس بذلك ، فقال : لا تبعدن ذا ، ولم يكن ليروى إلا ما سمع ، جعلوها بمنزلة هل وبلى » .

٩٢ - الكتاب : ج ٢ / ٦٣ .

٩٣ - الكتاب : ج ٢ / ٤١٤ .

٩٤ - انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢٣٦ ، ج ٢ / ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٤٤٢ .

٩٥ - الكتاب : ج ٢ / ٢٥٤ - ٢٥٥ .

٩٦ - الكتاب : ج ٢ / ١٦ .

ولم تتوقف الثقة بيونس الى هذا الحد ، وانما بلغت اتساعا بحيث اتخذ سيبويه من قوله دعامة يؤيد بها مذهبه ؛ فقد رأى سيبويه رأيا ثم بدا وكأنه يشعر بعدم الطمانينة الى ما رآه، فمدعاه بقول ليونس لتهدا به نفسه، قال : « (٩٧) وأما يا تميم أجمعون فانت فيه بالخيار ، إن شئت قلت : أجمعون . وإن شئت قلت : أجمعين، ولا ينتصب على أعني ، من قبل أنه محال أن تقول أعني أجمعين ؛ ويدلك على أن أجمعين ينتصب لأنه وصف لمنسوب قول يونس : المعنى في الرفع والنصب واحد » .

غير أن الطريقة التي كان سيبويه يذكر بها يونس وروايته تؤهم وتُضلل ؛ إذ يصعب على الباحث بسببها أن يميز بين ما هو رواية محضة ليونس، وما هو رواية وراي في آن واحد . ولعل هذه الطريقة هي التي أوقعت النحاة المتأخرين ، وجعلتهم ينظرون الى رواية يونس على أنها رواية محضة، دون أن يلتفتوا أو ينتبهوا الى أنها في أحيان كثيرة رواية وراي معاً . وقد وقع السيرافي، أشهر شراح الكتاب، في حيرة حين اعترضه قول سيبويه عن يونس في باب الندبة : « (٩٨) وأما يونس فيلحق الصفة الالف فيقول : وأزيد الظريفاء ، وأجمعتي الشامييناه » «فقال (٩٩): ندبة الصفة قول يونس والكوفيين ، والذي حكاه سيبويه عن يونس لست أدري إلحاق علامة الندبة له من قياس يونس ، أو مما حكاه عن العرب فنحتاج له به » .

وهذا « (١٠٠) باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى الى المفعول ولا غيره »، يتحدث فيه سيبويه عن المواطن التي لا يعمل فيها المتعدي فيما بعده ، ويطنب في التفصيل والتوضيح، مبينا أن الاسم بعد هذا

٩٧ ... الكتاب ١٨٤/٢ .

٩٨ - الكتاب : ٢٢٦/٢ .

٩٩ - حاشية الكتاب : ٢٢٦/٢ .

١٠٠ - الكتاب ٢٢٥/١ .

الفعل قد يأتي مرفوعا وقد يأتي منصوبا ؛ كل ذلك في أسلوب يؤهم المرء أن كل ما يقوله من رفع ومن نصب هو له ، ولكنه يفاجئنا في نهاية الصفحة الرابعة بقوله « والرفع قول يونس » ، فلا يدري أهو الرفع الذي تحدث عنه في الفقرة التي ذكر يونس فيها ، أم الرفع في كل ما ورد في هذا الباب ! ومن يتمعن تماما في السياق العام للباب يجد أن الرفع كله ليونس ، إذ يبدو أن كل ما مثل سيبويه به يقوم على موقف يونس ، وإن كنت لا أجزم بأن كل ما جاء به سيبويه من أمثلة هو ليونس ، ولكن يكفي أن يفهم أن مذهب الرفع الذي قام عليه معظم الباب هو مذهب يونس .

وحسب فهمي للامر وتصوري إياه ، فأنني لا أستطيع أن أفهم أن موقف يونس مما يرويه عن العرب كموقف أبي زيد مما يرويه ، أو موقف الأصمعي مثلا مما يرويه ؛ ذلك أن أبا زيد والأصمعي راويان للغة فحسب ، بينما يونس بن حبيب راوية ونحوي ، ولكنه نحوي قبل أن يكون راوية . فإذا ما روى فان ما يرويه لا يكون في معظمه إلا لبيان موقف نحوي ، أو استنباط موقف نحوي ، أو التذليل على موقف نحوي اتخذته ، وذلك على الرغم من أن سوق سيبويه لرواية يونس يؤهم أنه يروي رواية دون أن يتخذ من هذه الرواية موقفا نحويا . فيونس تعد معظم حياته للدرس النحوي ، ولترسيخ القواعد النحوية في ضوء ما بين يديه من مادة لغوية ؛ فإذا قال سيبويه : « (١٠١) وحدثنا يونس أن بعض العرب يقول : يا أمّ لا تفعلني ، جعلوا هذه الهاء بمنزلة هاء طلحة إذا قالوا يا طلح أقبل . . » فكيف يكون هذا القول رواية ليونس ولا يكون رأيا وموقفا ؟ إنه يقيس في هذا القول ويعلل . وكيف يكون قول سيبويه عن يونس في باب النداء : « (١٠٢) ويقوّي ذلك كله أن يونس زعم أنه سمع من العرب من يقول : يا فاسق الخبيث ، يدل على أن

١٠١ - الكتاب : ٢ / ٢١٢ .

١٠٢ - الكتاب : ٢ / ١٩٩ .

كل منادي مضموم هو معرفة » . كيف يكون هذا القول رواية ليونس ولا يكون رأياً يُلْمَح من سياق الكلام ؟ . بل كيف يكون رواية ما ينسب إلى يونس في قول سيبويه : « (١٠٣) وحدثنا بذلك يونس وعيسى جميعاً أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول : ما مررت بأحد إلا زيداً » وقوله : « (١٠٤) وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون : مالي إلا أبوك أحد » . كيف يكون ذلك رواية ليونس مع أنه يروي هنا عن العرب الموثوق بهم ؛ فكيف يكون هذا القول رواية ولا يكون رأياً، ما دام صاحب القول نحويّاً أولاً وقبل كل شيء ، وما دام يروي عن عرب موثوق بهم ؛ والنحوي يتصيد ما يرويه عن الموثوق بهم تصيداً ليبنى عليه رأياً وموقفاً نحويّاً .

ومع أن يونس ذو شخصية واضحة بارزة تمثل في معظم صفحات الكتاب وتتلازم مع الخليل في مواضع عدة، إما رواية — وهي في معظمها رأي كما أسلفت — وإما رأياً صريحاً صرح به سيبويه • إلا أن هذه الشخصية تكاد لا تبين بوضوح، أو أن هذه الشخصية لا تأخذ المكانة التي تستحقها في معظم كتب النحاة المتأخرين ، بينما تظهر فيها شخصية الأخفش والمازني والجري وابن السراج والزجاج بشكل أوضح وأبرز ، مع أن فرقاً كبيراً بين هذا وهؤلاء . لا بد أن يعترك التساؤل والاستغراب حين تجد أن يونس لا يذكر في شرح ابن عقيل مثلاً ، أو شرح المفصل ، أو حاشية الصبان ، أو شرح الأشموني، أو مغني اللبيب، أو شرح التصريح، أكثر من ثلاثين مرة في أكثرها إنصافاً له ، مع أنه ذكر أكثر من مائتي مرة — كما أسلفت — في الكتاب • ولقد أوهمت هذه الكتب الدكتور شوقي ضيف أن يونس لم يكن له دور في علم النحو ، فاستخلص نتيجة، بعد أن مرّ عليه مروراً خاطفاً، فقال : « (١٠٥) وعلى هذا النحو وقع يونس بعيداً عن تطور

١٠٣ — الكتاب ٢/ ٢١٩ .

١٠٤ — الكتاب ٢/ ٢٣٧ .

١٠٥ — المدارس النحوية ص ٢٩ .

نظرية النحو على شاكلة ما انتهت اليه في الكتاب عند سيبويه والنحاة الذين يوضعون بحق في تطورها، هم، ابن أبي اسحق، وعيسى بن عمر، ثم الخليل بن أحمد، وسيبويه . فهو يرى أن ابن أبي اسحق وعيسى بن عمر أهم من يونس وأكثر تأثيراً في مجال النحو ؛ ولو عاد الدكتور شوقي ضيف الى كتاب سيبويه، الذي يعدّه الثمرة الناضجة لتطور نظرية النحو، وتتبع مساهمة يونس فيها، لكان له موقف آخر مختلف ، ولكنه اكتفى بالعودة الى تلك الكتب المتأخرة التي طمست شخصية يونس وأثره في النحو في حد بعيد .

ولعلّ عدم وضوح شخصية يونس وإنصافها وإعطائها ما تستحقه من حق ضائع يعود الى سببين، الأول : ما سلفته ، وهو الطريقة التي كان سيبويه يتبعها في ذكر يونس وروايته ، إذ كانت تؤدي الى اللبس والتضليل، بحيث يصعب على الباحث أن يميز بين ما هو رواية محضّة، وما هو رواية وراي ؛ فترك المتأخرون البحث في هذا الأمر ولجأوا الى الحل الأسهل، وهو أن ينظروا الى كل ما رواه يونس على أنه رواية محضّة ، وأن ينظروا الى الراي الذي بني على ما رواه يونس على أنه رايلسيبويه .

والسبب الثاني : — وهو أشد وقعا — أن النحاة المتأخرين وزّعوا الكثير من آرائه التي صرح بها سيبويه على أولئك النحاة الذين وافقوه فيها ، فنسبوا بعضها الى سيبويه وبعضها الى البصريين تعميماً ، وبعضها الى الكوفيين .

فمما نسب الى سيبويه وهو ليونس والخليل، حكم الاسم المضاف في المنادى حينما يكرر. قال سيبويه : ٢ (١٠٦) هذا باب يكرر فيه الاسم في حال الاضافة ويكون الاول بمنزلة الآخر ، وذلك قولك : يا زيد زيد عمرو ، ويا زيد زيد أخينا ، ويا زيد زيدنا . زعم الخليل، رحمه الله، ويونس أن هذا

كله سواء، وهي لغة للعرب جيدة » . وهذا الرأي واضح انه ليونس والخليل وليس لسيبويه فيه إلاّ التوضيح ؛ وقد نُسبَ هذا الرأي الى سيبويه كل من ابن عقيل (١٠٧) ، والاشموني (١٠٨) ، والصبان (١٠٩) .

ومما نسب اليه ايضا رأي يونس والخليل في الضمير بعد لولا، قال سيبويه : « (١١٠) هذا باب ما يكون مضمراً فيه الاسم متحولاً عن حاله اذا أظهر بعده الاسم، وذلك لولاك ، ولولاي، اذا اضرمت الاسم فيه جُزّ ، واذا اظهرت رُفع ، ولو جاء علامة الاضرار على القياس لقلت : لولا انت، كما قال سبحانه : (١١١) (لولا انتم لكنا مؤمنين) ولكنهم جعلوه مضمراً مجروراً ؛ والليل على ذلك أن الياء والكاف لا تكونان علامة مضمراً مرفوعاً . قال الشاعر يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاي طحت كماهوى باجرامه من قُلة النيق مُنهوى

وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس » . والرأي في هذا الموضع صريح الصراحة كلها انه ليونس والخليل، وقد نسبته الى سيبويه كل من المبرد (١١٢) ، وابن عقيل (١١٣) ، وابن الشجري (١١٤) ، والرضي (١١٥) . ونسبه ابن هشام (١١٦) الى سيبويه والجمهور .

ومما نسب الى البصريين رأي يونس والخليل في ندبة النكرة ، قال

١٠٧ - انظر : شرح ابن عقيل ٢/ ٢١٢ .

١٠٨ - انظر : شرح الاشموني ٢/ ٥٤ .

١٠٩ - انظر : حاشية الصبان ٢/ ١٥٤ .

١١٠ - الكتاب ٢/ ٣٧٢ - ٣٧٤ .

١١١ - سبا - آية ٢١ .

١١٢ - انظر : التكميل في الألب ١/ ١٠٩٧ .

١١٣ - انظر : شرح ابن عقيل : ١/ ٦ .

١١٤ - انظر : امالي ابن الشجري ١/ ١٨٠ .

١١٥ - انظر : شرح التكملة ٢/ ٢٠ .

١١٦ - انظر : مغني اللبيب هو ٣٦١ .

سيبويه : « (١١٧) هذا باب ما يجوز أن يندب ، وذلك قولك : وأرجلاه ،
ويا رُجلاه • وزعم الخليل رحمه الله ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال « . وقد
نسب ابن الانباري (١١٨) هذا الرأي الى البصريين فطمس بذلك ذكر
يونس ، على الرغم من أنه واحد من البصريين كالخليل وسيبويه .
ومما نُسب الى الكوفيين رأي يونس في جواز عود الخافض وعدمه ،
إذا كان المخفوض ضميراً ؛ فقد نسبته الى الكوفيين كلٌّ من ابن عقيل (١١٩)
وابن الانباري (١٢٠) ؛ أما الاثموني فنسبته الى يونس والكوفيــــــــــــين ،
قال : « (١٢١)

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفّض لازماً قد جُملاً
في غير الضرورة ، وعليه جمهور البصريين . . قال الناظم : (وليس)
عود الخافض (عندي لازماً) وفاقاً ليونس والأخفش والكوفيين . . . « .
ومما نسب اليهم أيضاً رأي يونس في الفصل بين المضاف والمضاف
اليه ، فقد نسبته اليهم كل من ابن الانباري (١٢٢) والأزهري (١٢٣) ، بينهما
نسبه الرضي اليه ، قال : « (١٢٤) وانكر أكثر النحاة الفصل بالمفعول وغيره
في السعة ، ولا شك أن الفصل بينهما في الضرورة بالظرف ثابت مع قلته
وقبحه ؛ والفصل بغير الظرف في الشعر أقيح منه بالظرف ، وكذا الفصل
بالظرف في غير الشعر أقيح منه في الشعر ؛ وهو عند يونس قياس « .

١١٧ - الكتاب ٢ / ٢٢٧ .

١١٨ - انظر الانصاف ١ / ٣٦٢ .

١١٩ - انظر : شرح ابن عقيل ٢ / ١٨٧ .

١٢٠ - انظر : الانصاف ٢ / ٤٦٣ .

١٢١ - شرح الاثموني ٢ / ٤٢٩ .

١٢٢ - انظر : الانصاف ٢ / ٤٢٧ .

١٢٣ - انظر : شرح التصريح ٢ / ٥٧ .

١٢٤ - شرح الكافية ١ / ٢٩٣ .

ويكاد يونس لا يُذكر إلا بذكر آرائه التي خالفه سيبويه فيها ؛ من ذلك خلافهما في حكم جواب الشرط المضارع اذا دخلت همزة الاستفهام على الشرط في بدايته ؛ قال الزجاج : « (١٢٥) هذا باب ما جاء في التنزيل من ادخال همزة الاستفهام على الشرط والجزاء ؛ وهذه أيضا مسألة فيها اختلاف بين سيبويه ويونس ، وصورتها إن تأتني اتك ، بجزم الجواب عند سيبويه ، ويونس يقول : إن تأتني آتيك ، بالرفع ؛ ويقول هو في نية التقديم ، ويقدره : انيك ان تأتني . »

ومن ذلك مخالفة سيبويه يونس في أصل لبيك (١٢٦) ، وفي تصغير هند لوسمي بها مذكر (١٢٧) ، وفي : من زيذا واباه ، في النصب على الحكاية (١٢٨) ، والنسبة الى نحو ملهى (١٢٩) ، وابدال نون المثني همزة نحو اضرياء الغلام (١٣٠) ، والنسبة الى مائه (١٣١) ، ورد المحذوف في التحقير (١٣٢) .

وكتاب سيبويه ، حسب فهمي اياه ، يتنازعه نحاة ثلاثة ، وهم الخليل ويونس وسيبويه ، مرتين — في رأيي — حسب مساهمتهم في هذا الكتاب ؛ ولكن سيبويه بدت شخصيته النحوية وكأنها تفوق شخصية يونس ، بل كادت تبدو متفوقة على شخصية الخليل ، وقد ناقشتها فعلا في كتب النحاة المتأخرين ؛ ولعل مرد ذلك الى تأليف سيبويه الكتاب بعد ان لام شتات

١٢٥ — اعراب القرآن ٢/٧٨٢ .

١٢٦ — انظر : خزانة الادب ٢/٩٣ ، شرح التصريح ٢/٢٨ . والكتاب ١/٣٥١ .

١٢٧ — انظر : الخصائص ١/١٥٧ .

١٢٨ — انظر : الكتاب ٢/٤١٣ ، وشرح الاشموني ٢/٦٤٢ .

١٢٩ — انظر : شرح الاشموني ٣/٧٢٧ .

١٣٠ — انظر : حاشية الصبان ٢/٢٢٥ .

١٣١ — انظر : الخصائص ٢/١٠٦ .

١٣٢ — انظر : المصدر نفسه ٢/٧١ — ٧٣ .

القواعد النحوية وبؤبها ودلّ عليها . ولو قدر ليونس — واعتذر لاستعمال
لو — أن يؤلف الكتاب، وأن يتنازعه الخليل ويونس وسيبويه لتفوقت
شخصيته على شخصية سيبويه تفوقاً واضحاً في الكتاب وغيره، ولكانت
وضعت بجدارة في المكانة التي تستحقها . من غير أن أكون في هذا القول
متعصباً ليونس أو معطيه مكانة أكثر من التي له ، كبعض الباحثين الذين
يقفون في أحيان كثيرة موقف المدافع ، أو المتعصب للشخصية التي يبحثون
فيها، وكان الأمر يُسمّم أو يتعلّق بهم . ومنطلقي في موقفني هذا هو العطاء
العلمي الثر الذي بين يديّ ليونس من خلال الكتاب .

ولم يكن ليونس أثر في سيبويه وكتابه بصفة خاصة ، والمدرسة
البصرية بصفة عامة فحسب ، وإنما كان له أثر كبير أيضاً في نشأة المدرسة
الكوفية التي اتخذت من اتجاهه مساراً لها وهادياً .

١- فقد ساد المدرسة البصرية زمن يونس اتجاهان في النحو :

الاتجاه الأول : اتجاه متشدد في القياس والسماع عن العرب، ويمثله
ابن أبي اسحق ، وتلميذه عيسى بن عمر ؛ فكان الأول : « (١٣٣) أشد
تجريداً للقياس » وكان يطعن على العرب ، ولا يتحرّج من أن يقول للشاعر
العربي المشهور بالفصاحة : لحن ؛ فقد لحن (١٣٤) الفرزدق في قوله :
« مولى مواليا » في بيته :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موييـا

وقال له : كان يجب أن تقول : مولى موال .

وتبعه الثاني الذي كان لا يتحرّج من الطعن (١٣٥) على العرب

١٣٢ — طبقات فحول الشعراء ، ص ٣٠ (دار المعارف ١٩٥٢ م) .

١٣٤ — نزهة الألباء ص ٢٧ .

١٣٥ — طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢ .

ايضا ، فكان يقول (١٣٦) : اساء النابغة في قوله :

فَبِتُّ كَانِي سَاوَرْتَنِي ضُئِيلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي انْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ

والوجه الصواب عنده : السم ناقعا .

أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه متساهل في القياس ، معظّم لما يرد عن العرب ؛ ويمثله أبو عمرو بن العلاء ، وتلميذه يونس بن حبيب . وكان الأول « (١٣٧) اوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها » ، وكان (١٣٨) « اشد تسليماً للعرب » ، وكان يجوّز الأوجه المختلفة التي ترد عنهم * جاءه عيسى ابن عمر (١٣٩) « فقال له : يا أبا عمر : ما شيء بلغني أنك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغني أنك تجيز « ليس الطيب إلا المسك » فقال أبو عمرو : نعمت يا أبا عمرو وأولج الناس ، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ، وليس في الأرض تميمي الا وهو يرفع » .

وكان أبو عمرو ينشد قول ذي الرمة (١٤٠) :

وظَاهِرٌ لَهَا مِنْ يَابِسِ الشُّخْتِ

فَقِيلَ لَهُ : أَنْشَدْتَنَا بَائِسَ ، فَقَالَ : يَابِسَ بَائِسَ وَاحِدٌ ، هَذَا شَعْرٌ

لَيْسَتْ عَلَيْهِ مُضَاقِقَةٌ .

١٣٦ - طبقات فحول الشعراء ، ص ١٦ ، (دار المعارف ١٩٥٢ م) .

١٣٧ - طبقات فحول الشعراء ، ص ١٤ (دار المعارف ١٩٥٢ م) .

١٣٨ - نزهة الألباء ، ص ٢٧ .

١٣٩ - طبقات التحويين واللغويين ، ص ٢٨ . وانظر : الاشباه والنظائر ج ٢/٧٢ .

١٤٠ - المحاسب ج ١/٢٩٧ .

أما يونس فسار مساره اذ كان يجّله ويحترم رايه ويقول : (١٤١) «لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد كان ينبغي لقول أبي عمرو ابن العلاء في العربية أن يؤخذ كله ، ولكن ليس أحد الا وانت آخذ من قوله وتارك » . فالتفتى أثره في عدم الطعن على العرب ؛ فهذا ابن أبي اسحق (١٤١) يسمع قول الفرزدق في مدحه يزيد بن عبد الملك :

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منشور
على عمامنا بلقنى وأرجلنا على زواحف تزجى مخها رير
فيقول له : (١٤٢) « أسأت انما هي « رير » ؛ وكذلك قياس النحو في هذا الموضع » . وقيل انه قال له : (١٤٣) « أسأت ، موضعها رفع ، وان رفعت أقوى » . أما يونس فلم يكتف بتجويد قول الفرزدق وانما ذهب الى استجادته فقال : (١٤٤) « وهذا جيد » . او استحسنة فقال : « (١٤٥) والذي قال حسن جائز » .

ويسمع أبو عمرو ويونس قول الفرزدق :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحنا او مجرف
فيقفان حائرين امام الوجه الذي رفع الفرزدق عن أساسه «مجرّف»
من غير أن يفكرا بتخطئته أو الطعن عليه ، ويحاولان أن يجدا تخريجا

١٤١ - الشعر والشعراء (المقنعة) . والمبينان في ديوان الفرزدق ج ١ / ٢١٢ .

١٤٢ - طبقات فحول الشعراء : ص ١٧ (مطبعة المدني - القاهرة) . طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢ .

١٤٣ - خزائن الأدب ج ١ / ٢٣٨ .

١٤٤ - المصدر السابق : ٢٣٨ / ١ وقد اورد هذا الكتاب (٢٢٩ / ١) ان علي بن حمزة البصري كان يقول في كتاب التشبيهات على غلط الرواة : والخفض في « رير » جسد ، وتقديره على زواحف رير مخها تزجى .

١٤٥ - طبقات فحول الشعراء ١٧ / ١ (مطبعة المدني - القاهرة) .

فلم يعثرا ، فيقول أبو عمرو : (١٤٦) « لا أعرف لها وجها ، وكان يونس لا يعرف لها وجها ، قلت ليونس : لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبسه ، فقال : لا ، كان ينشدها على الرفع وأنشد فيها رؤية على الرفع » .

ولما جاء الكسائي الى البصرة تتلمذ على أبي عمرو بن العلاء ، وتأثر به تأثرا ملحوظا ويقال انه بقي ملازما له (١٤٧) « نحو سبع عشرة سنة » ، وتتلمذ بعد ذلك على يونس بن حبيب تلميذ أبي عمرو ، وكان يونس يثني عليه في مجلسه بالبصرة ويشجعه ، فقد سئل (١٤٨) بحضرته عن توجيه رفع الخمر في بيت الفرزدق : (١٤٩)

غداة اخلت لابنِ اصرمَ طعنةٌ حصينِ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ
فقليل للكسائي : على أي شيء رفعت ؟ فقال : اضمرت فعلاً ، كانه
« وحلت لي الخمر » ، فقال يونس : ما احسن والله ما وجهته — وفي رواية
اخرى (١٥٠) انه قال : أشهد أن الذين رأسوك رأسوك على حق — غير
اني سمعت الفرزدق ينشده :

غداة اخلت لابنِ اصرمَ ضريبةً حصينِ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ

جعل الفاعل مفعولا ، كما قال الحطيئة (١٥١) :

فلها خشيت الهونَ والعيرُ مُمْتَكٌ على رغبة ما أمسك الحبلُ حافرهُ
والتقصيدة على الرفع ، جعل الفاعل مفعولا ، فقال الكسائي : هذا

١٤٦ — المصدر نفسه ج ١/ ٢١ . وانظر : الموشح ص ٩٢ والبيت : ديوان الفرزدق ج ٢/ ٢٦ .

١٤٧ — الاقتراح ، ص ٨٥ .

١٤٨ — مجالس العلماء : مجلس ١٠ .

١٤٩ — ديوان الفرزدق ج ١/ ٢٥٤ .

١٥٠ — تاريخ بغداد ج ١١/ ٤١٠ .

١٥١ — ديوان الحطيئة ص ١٨٢ (تحقيق نعمان طه الطبعة الاولى سنة ١٩٥٨) .

على هذا وجه .

✓ وكان يونس يتجنب تخطئة الكسائي ، ويردّ قوله ردّا لطيفا جميلا ؛
فها هو يسأل (١٥٢) في مجلسه إن أولق : ما مثاله من الفعل ؟ فيقول :
انعل ، فيقول يونس له : استحييت لك يا شيخ ! والظاهر عندنا من امر أولق
انه مُوعِلٌ من قولهم : الق الرجل فهو مألوق . اما ابن أبي عيينة الذي سأل
هذا السؤال فيسارع (١٥٣) بعد الاجابة الى القول : خطأ والله .

ليس هذا فحسب ، وانما كان يونس يفضب الغضب كله اذا ما أحس
أن احدا في مجلسه حاول ان يستثيره او يعمد الى تخطئته ، ويقول : (١٥٤)
تؤذون جلسنا ، ومؤدب ولد أمير المؤمنين .

وقد توطدت العلاقة بين يونس والكسائي ، وتعمقت بعد هذا
السلوك الذي كان له أجمل الاثر في نفس الكسائي ، ولا سيما بعد المسائل
النحوية التي جرت بينهما واطر له يونس فيها ، وكافاه على ذلك بأن صدّره
موضعه .

ولم يكن الكسائي الكوفي الوحيد الذي درس على يونس ، وانما
درس عليه الفراء ايضا ، وكان الكوفيون — كما يبدو من رواية أبي الطيب
اللفوي — يفتخرون بأنه اخذ عن يونس فأكثر ، قال : (١٥٥) « واهل الكوفة
يدّعون أنه استكثر منه ، واهل البصرة يدفعون ذلك » وهذه الرواية إن
دلّت على شيء فانما تدلّ على مدى المكانة التي كان يونس يمثلها في ذهن
الكوفيين وفكرهم .

١٥٢ — الفصائص ج ٢ / ٢٩١ .

١٥٣ — مجالس العلماء مجلس ١١٩ .

١٥٤ — المصدر نفسه مجلس ١١٤ .

١٥٥ — مراتب التحويين ص ٨٦ .

وقد كان عقل الكسائي متنبها ويقظا لكل ما كان يسمعه عن يونس
من أجل أن يأخذ به ويقتني أثره ؛ فهذا يونس بن حبيب يسأل (١٥٦)
والكسائي حاضر : لِمَ صارت « حتى » تنصب الأفعال المستقبلية ؟ فيقول :
هكذا خلقت . ويسأل (١٥٧) الكسائي فيما بعد في مجلس يونس عن
قولهم : لأضربن أيُّهم يقوم ، لم لا يقال : أيُّهم ، فيقول أيُّ ، هكذا خلقت .
كل ذلك دفع الكسائي والكوفيين بعده الى أن يتبعوا الاتجاه النحوي
الثاني الذي سار فيه أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وهو الاتجاه الذي
يعظم لغات العرب ويقبل بتجويزها مهما تباعدت ، من غير طعن أو تلحين ؛
أما البصريون فواصلوا السير على الاتجاه الأول ، اتجاه ابن أبي اسحق
وعيسى بن عمر وهو الاتجاه الذي اتسم بالتشدد في القياس وتأويل ما
يخالفه ، أو تشذيبه ، أو تخطئته إذا لم يكن بديل للتخطئة .

وقد اتبع الكوفيون يونس في آراء كثيرة خالف فيها البصريين ، منها
تجويزه (١٥٨) أن تلقى علامة الندبة على الصفة ، نحو قولك « وأزهد
الظريفاه » بينها ذهب الخليل (١٥٩) الى أن هذا خطأ .

وتبعوه في جواز (١٦٠) ادخال نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثنين
وجماعة النسوة ، نحو « افعلن » و « افعلنان » بالنون الخفيفة ؛ وأيد ابن
جني هذا المذهب قائلا : « وليس ذلك ... بالممتع في الحسن ، وإن كان

١٥٦ — طبقات النحويين والكوفيين ص ١٧٧ .

١٥٧ — مجالس العلماء مجلس ١١٤ . وانظر : الخصائص ج ٣/٢٩٢ .
واوضح المسالك ج ١/١٠٩ .

١٥٨ — انظر : الانصاف مسألة ٥٢ ، شرح المفصل ج ٢/١٤ ، حاشية الصبان ج ٢/١٦٩
والراي في الأصول ج ١/٤٣٦ منسوب الى يونس وحده .

١٥٩ — الكتاب ٢٢٦/١ .

١٦٠ — انظر الانصاف مسألة ٩٤ . شرح الاثموني ج ٢/٥٠٢ . شرح النصريح ج ٢/٢٠٧ .

غيره أسوغ فيه منه من قبل أن الالف اذا أُشْبِعَ مَدَّها صار ذلك كالحركة فيها » . أما البصريون فذهبوا (١٦١) الى أنه لا يجوز ادخالها في هذين الموضعين .

وتبعوه في عدم (١٦٢) ضرورة عود الخافض .

وتبعوه في أن « أي » (١٦٣) في نحو : لأضرين أيهم أفضل ، معرب ، ولكنه يقول إنه مرفوع بالابتداء و « أفضل » خبره ، والفعل معلق عن العمل . أما هم فيقولون إنه مفعول به منصوب ، بينما يرى سيبويه أنه مبني على الضم .

وتبعوه في أن الذي (١٦٤) يقع مصدرا ، كما ورد في قوله تعالى : (١٦٥) (وخضتم كالذي خاضوا) أي خاضوا فيه ، وقوله (١٦٦) (ذلك الذي يبشر عباده) أي يبشر الله به عباده .

وتبعوه في أن « وحده » (١٦٧) منصوبة على الظرف ؛ قال سيبويه (١٦٨) وزعم يونس أن وحده بمنزلة عنده .

✓ وبناء على كل ما مضى من أقوال وأدلة وآراء حول اثر يونس في الكسائي والكوفيين فانني أستطيع القول إن تأثير يونس في هؤلاء كان

١٦١ - انظر : الانصاف مسألة ٩٤ .

١٦٢ - انظر : شرح التصريح ج ١٥١/٢ ، شرح الإسموني ج ٤٢٩/٢ .

١٦٣ - انظر الكتاب ج ٢٩٨/٢ - ٤٠١ . والانصاف مسألة ١٠٢ ، وجمع الهوا مع ج ١/٣١٣ .

١٦٤ - مغني اللبيب ص ٧٠٩ ، وانظر نسبة الراي الى يونس في : اعراب القرآن ج ١/٣١٥ .

١٦٥ - التوبة آية ٦٩ .

١٦٦ - الشورى آية ٢٣ .

١٦٧ - حاشية الشيخ ياسين في شرح التصريح ج ٢/١ .

١٦٨ - الكتاب ج ٢٧٧/١ .

واضحاً شديد الوضوح وبارزاً ، بل وبناءً على كل ما مضى يخيل الي أنني
استطيع القول ان ابن حبيب النحوي كان مؤسساً بارزاً من مؤسسي
المدرسة الكوفية، أو على الأقل كان مساهماً مساهمة فعالة في نشأة هذه
المدرسة ، فهو الذي فتح لها مجال السير في الاتجاه المذكور الذي كان ينتجه
مع استغده ، من غير أن يتعارض هذا القول مع بصريته ؛ وبالتالي فلا
استطيع أن أعده ممن وضعوا النواة الأولى للمدرسة البغدادية، كما ادعى
(١٦٦) الدكتور أحمد مكي الأنصاري ه ولعل قرب يونس من الكوفيين
هو الذي دفع الأنصاري الى ذلك . فالتقاء يونس بالكوفيين وأثره فيهم كان
قيل ان نشأة المدرسة البغدادية وتقف على قدميها ؛ ونواة المدرسة
البغدادية لا يمكن أن تكون الا بعد وجود المدرستين البصرية والكوفية، وهي
المعروفة بئها انبثقت (١٧٠) من تمازج المدرستين ، وأنها مدرسة تقوم على
الانتخاب والتوفيق ، والتفاد الى بعض ما يمكن التنفيذ اليه مسن آراء
جديدة .

د. محمود حسني محمود

١٦٦ - نيو زكريا القراء ص ٣٦٦ .

١٧٠ - المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ص ١١٦ .

المصادر

ابن الأنباري

١ - الإصناف - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ط الرابعة

. ١٩٦١

٢ - نزهة الألباء - تحقيق د. إبراهيم السامرائي . الطبعة الثانية . بغداد . ١٩٧٠ .

ابن جني

٣ - الخصائص - تحقيق محمد علي النجار . دار الهدى . الطبعة الثانية . بيروت .

٤ - المحتسب - تحقيق علي النجدي ناصف . القاهرة ١٣٨٦ هـ .

ابن خلكان

٥ - وفيات الأعيان - تحقيق د. احسان عباس . دار صادر - بيروت .

ابن السراج

٦ - الأصول في النحو - تحقيق د. عبد السلام الفنلي . مطبعة الأعظمي ، بغداد

. ١٩٧٣ م .

ابن الشجري

٧ - أمالي ابن الشجري . حيدرآباد . الطبعة الأولى ١٣٤٩ هـ .

ابن عقيل

٨ - شرح ابن عقيل . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ، ط

الثانية عشرة ١٩٦١ م .

ابن العماد

٩ - شذرات الذهب - بيروت .

ابن قتيبة

١٠ - الشعر والشعراء .

ابن النديم

١١ - الفهرست . مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

ابن هشام

١٢ - أوضح المسالك . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار احياء التراث

العربي . بيروت . الطبعة الخامسة ١٩٦٦ م .

١٢ - مغني اللبيب . تحقيق د. مازن مبارك . مراجعة الأستاذ سميد الإفغاني بيروت .

الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

ابن يمشى

١٤ - شرح المفصل . المطبعة النهرية بدمر .

ابو الخليل اللغوي

١٥ - مراتب النحويين - تحقيق أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٧٤ .

ابو الفداء

١٦ - البداية والنهاية - مطبعة السعادة بدمر .

الازهرى

١٧ - شرح الترمذ على التوضيح . دار احياء الكتب العربية .

الإسموني

- ١٨ — شرح الإسموني — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعدية
بمصر . الطبعة الاولى ١٩٥٥ .

الاعشى

- ١٩ — ديوان الاعشى — تحقيق د. محمد حسين . المطبعة التونسية .

الانصاري : د. أحمد مكي الانصاري

- ٢٠ — أبو زكريا الفراء . القاهرة ١٩٦٤ .

بروكلمان

- ٢١ — تاريخ الادب العربي . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية .

البغدادي

- ٢٢ — خزائن الادب . تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة الحلبي .
٢٣ — تاريخ بغداد . مطبعة السعادة ١٩٢١ .

الجاحظ

- ٢٤ — الحيوان — تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة الحلبي .
٢٥ — البيان والتبيين — تحقيق فوزي عطوي . بيروت .

الجمحي

- ٢٦ — طبقات فحول الشعراء — تحقيق محمود محمد شاكر . مطبعة المدني . القاهرة
١٩٧٤ ، دار المعارف ١٩٥٢ م .

الحديث . خبيجة الحديث

٢٧ — كتاب سيويه وشروحه . بغداد . الطبعة الاولى ١٩٦٧ .

حسني . د. محمود حسني

٢٨ — أئسسة البعثانية في تاريخ البحر العربي . رسالة دكتوراة مخطوطة في مكتبة

الجامعة الأردنية قسم المخطوطات وفي مكتبة جامعة القاهرة — كلية الآداب

ضمن الرسائل الجامعية .

الحطيفة

٢٩ — ديوان الحطيفة — تحقيق د. نعيان طه . الطبعة الاولى ١٩٥٨ .

الحوي — ياقوت الحوي

٣٠ — معجم الأبناء — مطبعة دار المنون . الطبعة الأخيرة .

٣١ — معجم الجبالان . بيروت ١٩٥٦ .

الداودي . الحافظ شمس الدين

٣٢ — طبقات المصريين — تحقيق علي محمد عمر . مطبعة الاستقلال الكبرى . الطبعة

الاولى ١٩٧٢ م .

الرضي

٣٣ — شرح الكفاية . الشركة الصحافية العثمانية ١٢١٠ هـ .

الزبيدي

٣٤ — طبقات التحويين واللغويين . تحقيق أبو الفضل إبرهيم . دار المعارف بمصر .

الزجاج

٣٥ — اعراب القرآن — تحقيق إبرهيم اليبيري . القاهرة ١٩٦٢ م .

الزجاجي

- ٣٦ - مجالس العلماء - تحقيق عبد السلام هارون . الكويت ١٩٦٢ م .

الزمخشري

٣٧ - المفصل . دار الجيل . الطبعة الثانية .

سيوييه

- ٣٨ - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون

٣٩ - دار القلم ١٩٦٦ .

٤٠ - دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٨ م .

٤١ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م

٤٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .

السيرافي

- ٣٩ - أخبار النحويين البصريين - تحقيق طه الزيني . الطبعة الاولى ١٩٥٥ م .

المسيوطي

٤٠ - الاشياء والنظائر - تحقيق طه سعد . طبعة جديدة ١٩٧٥ م .

٤١ - الاقتراح في اصول النحو . حيدر آباد . الطبعة الثانية ١٢٥٩ هـ .

٤٢ - بنية الوعاة . تحقيق أبو الفضل إبراهيم . ط الاولى ١٩٦٥ .

٤٣ - معجم الهوامع - تحقيق عبد السلام هارون . الكويت ١٩٧٥ م .

الصبان

٤٤ - حاشية الصبان . دار احياء الكتب العربية .

ضيف . د. شوقي صيف

٤٥ - المدارس النحوية : دار المآثر بمصر ١٩٦٨ م .

عزام . عبد الرحمن عزام

٤٦ - بطل الابطال . مطبعة الحلبي . الطبعة الاولى ١٩٢٨ م .

عيد . د. محمد عيد

٤٧ - الرواية والاستشهاد باللغة . القاهرة ١٩٧٢ م .

الفرزدق

٤٨ - ديوان الفرزدق . دار صادر : بيروت ١٩٦٠ م .

القنطري

٤٩ - انباء الرواة - تحقيق ابو الفضل ابراهيم . مطبعة دار الكتب . القاهرة ١٩٧٢ م .

المبرد

٥٠ - الكامل في الادب - تحقيق د. زكي مبارك : مطبعة الحلبي الطبعة الاولى ١٩٢٧ م .

المرزباني

٥١ - الموشح . المطبعة السلفية . القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ .

ناصر . علي التجدي ناصر

٥٢ - سيويوه امام النخلة .

ياسين

٥٣ - حاشية الشيخ ياسين (ضمن شرح الترمذ للازهري) دار احياء الكتب

العربية) .

شاعر السحر زهير ابن أبي سلمى للكثر عبد القادر الرباعي

(جامعة اليرموك / الأردن)

ما زال الشعر الجاهلي يشغل الدارسين والمهتمين يلقتن عموماً ،
وذلك لما له من تميز في الإشراق واليساطة مع العمق والشمول . وهو
ككل فن بدائي ممتاز يشكل ، بجدارة الأصول الأولى للثقافة الشعرية العربية
الأصيل كله .

أما أعلامه فيُنظر إليهم على أنهم الفلاسفة الأول الذين ابتكروا
المعاني وشقّقوها بقدرتهم الذهنية وبخلاصهم في الوصول إلى حُلُول
مفتحة لمسألة الإنسان والوجود .

زهير واحد من أعلام الشعر الجاهلي ، بل هو واحد من المبرزين
فيه ، فهو لهذا يستحق اهتماماً مستمراً ودراسة متجددة لأن مثل هذه
الدراسة وذلك الاهتمام قلحراً على اكتشاف عناصر جديدة تصالف إلى تراث
هذا الشاعر الخالد .

سأتعرض لزهير في الصفحات التالية من زاويتين : الأولى في
أولاهما زهيراً الإنسان : أصوله وفروعه ، ثم سماته الخلقية والسلوكية ،
على أساس أن لهذا دوراً كبيراً في تشكيل فكره والاهتمامات الشعرية عنده ،
كما أدرس في ثنيتها زهيراً الشاعر ، بهدف الوقوف على قدراته النفسية
التي جعلته شاعراً متميزاً في خصائصه ومذهبه .

هو زهير ابن أبي سلمى (بضم السين) (١) . واسم أبي سلمى
— والده — ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث، من بني مزينة (٢) . وأكد
كمعب بن زهير نسبه في مزينة بقوله (٣) :

هُمْ الْأَصْلُ مِنِّي حَيْثُ كُنْتُ وَإِنِّي مِنَ الْمَزْنِيِّينَ الْمُصَفِّينَ بِالْكَرَمِ

ومزينة إحدى قبائل مضر ، فهي منسوبة
— كما يقول ابن الكلبي — الى مزينة بنت كلب بن
وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، التي كانت
عند عمرو بن أد بن طائفة بن مضر بن نزار من معد بن عدنان ؛ ولم تلد
مزينة لعمرو غير عثمان وأوس ، وهذا الأخير هو الجد الأصل لزهير (٤) .
وذكر عن طريق آخر أن مزينة هي أم عمرو ابن أد، وليس زوجته (٥) .

أما ابن سلام فيجعل مزينة واحداً من أجداد ربيعة والد زهير (٦) .
وعلى كل حال فزهير مزني النسب، لكنه ولد في بني عبدالمطلب غطفان،
لأن والده كان مع أهل بيته في هؤلاء القوم حتى عرف بهم ونسب إليهم .

١ — البغدادي : خزنة الأدب (ط . دار الكتب العربي بالقاهرة ١٩٦٧) ٢ / ٢٢٢ ووردها
أنه جاء في الصحاح : « ليس في العرب سلمى (بضم السين) غيره » .

٢ — الأصفهاني : الأغاني (ط . دار الكتب المصرية) ١٠ / ٢٨٨ .

٣ — السكري : شرح ديوان كمعب بن زهير (ط . دار الكتب المصرية) / ٦٧

٤ — ثعلب : شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (ط . دار الكتب المصرية) / ٢٢٠

٥ — الأغاني : ١٠ / ٢٨٨

٦ — الجهمي : طبقات فحول الشعراء (ط . دار المعارف . د . ت) / ٢٣

وقد ذهب بعض الباحثين واهماً الى انه منهم (٧) . وكان بعض اهل العلم من غطفان يدّعون انه منهم، ويشككون في صحة ادعاء كعب السابق في انه من مزينة (٨) .

أما انضمام أبي سلمى ، والد زهير ، الى بني غطفان وبقاؤه فيهم، نسبيته — كما تقول اكثر الروايات (٩) — ان ابا سلمى هذا كان قد خرج مع خاله اسعد بن الغدير، وابن خاله كعب، وبعض من بني مرة للاغارة على طيء ، فأصابوا نعماً كثيراً وأموالاً ؛ فرجعوا حتى انتهوا الى أرضهم ، أرض بني مرة ، فطلب أبو سلمى من خاله وابنه ان يفردا له سهماً من الغنيمة ، فأبيا عليه ومنعاه حقه ، فكفّ عنها حتى اذا كان الليل أكره أمه على الارتحال معه من أرضهم، وقد قال في ذلك :

لتعدون إبلٌ مُخَيَّـةٌ من عند سعدٍ وابنه كعبٍ
الأكـلـين صرـيحَ قومـهما أكلَ الحبارى بُرْعَمَ الرُّطَبِ (١٠)

واتجه الى قبيلته مزينة فلبث فيهم حيناً ، ثم أقبل بمزينة مفيراً على أخواله من بني غطفان . ولما ابتعد المزيّنون عن ديارهم وأشرنوا على ديار غطفان، تطايروا عنه راجعين، وتركوه وحيداً، فقال معتبراً :

٧ — ابن قتيبة : الشعر والشعراء (ط . دار المعارف ١٩٦٧) ٨٦/١ وما بعدها .

٨ — طبقات فحول الشعراء / ٩٢ . وورد على لسان نعلب في شرح ديوان زهير ص ٨٦ ان بني عبد الله بن غطفان يقولون، هو منا إلا انه يكتب ادعاهم ويعده باطلا .

٩ — الاغانى ٢٩١/١٠

١٠ — الحبارى : طائر يقع على الذكر والانثى، ويضرب به المثل في البلاهة والحق يقال (ابلهمن الحبارى)

من يشتري فرساً خيراً غزوها وأبث عشيرة ربها أن تسهلا

ثم أقبل حين رأى ذلك من مزينة حتى دخل في أخواله من بنسي
مرة، وفي بني عبدالله بن غطفان منهم ، وقد كان هؤلاء يسكنون (الحاجر)
في نجد (١١) .

فعلى هذا يكون الغطفانيون أخوالاً لوالد زهير، وليسوا أصولاً له كما
زعم بعض الباحثين. أما أم زهير فكل ما نعرف عنها أنها من غطفان ، من
بني مرة بن سعد بن ذبيان (١٢) ، وأنها أخت أو ابنة أخ للشاعر الجاهلي
الكبير بشامة بن الغدير . وكان زهير يعجب بشعره ويدعوه بالخال (١٣) .
وذكر حماد أن بشامة هذا كان أشعر غطفان في زمانه ، وكان رجلاً
مقعداً حازم الراي كثير المال . ولم يكن له ولد ؛ جمع ثروته من حزم
رايه، إذ كانت غطفان إذا أرادوا الغزو أتوه فأمروه واستشاروه وصدروا عن
رايه ، فإذا انصرفوا قسموا له مثلما يقسمون لأفضلهم ، فلما حضره الموت
جعل يقسم ماله في أهل بيته وبين أخوته ، فأتاه زهير فقال : يا خاله ، لو
قسمت لي من مالك ؟ قال : قد والله يا ابن أخت قسمت لك أفضل من ذلك
وأجزله . قال : ما هو ؟ قال : شعري ورثتيه . فمن أين جئت بهذا الشعر ؟
لعلك ترى أنك جئت به من مزينة ، وقد علمت العرب أن حصاتها وعيين
مائها في الشعر هذا الحي من غطفان . (١٤) والحدث في هذه الرواية — إن

١١ — الأغاني : ٣٩/١٠ . وشوقي ضيف : العصر الجاهلي (ط . دار المعارف ، الطبعة
الستة) / ٢٠٠ .

١٢ — وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من بني سهم بن مرة أو فهر بن مرة يقال له الغدير .
انظر شرح ديوان زهير / ٥٥ والأغاني / ٣٩٠ .

١٣ — جاء في شرح ديوان زهير ص ٢٢٥ أن بشامة عم أم زهير، لكن صاحب الأغاني ينكسر في
ج ٢١٢/١٠ أنه خال زهير. أما ابن سلام فقد نص في طبقات فحول الشعراء / ٥٦٤ على
أن زهيراً ابن أخته .

١٤ — الأغاني / ٢١٢/١٠ وشرح ديوان زهير ٢٢٥ .

كان صحيحا — يدلّ على تأثير بشامة في زهير، وعلى أن زهيراً كان شاعراً
معجباً به، مما دعا بشامة إلى الاعتزاز بأنه امتداده الفني .

ويظهر أن والده زهير تزوجت بعد وفاة أبيه ؛ فقد ورد في الأخبار
أن أوس بن حجر كان فحل مضر في الشعر، حتى نشأ النابغة وزهير
فأخملاه ، وكان زهير راويته، وكان أوس زوج أم زهير (١٥) .

لم يترك زهير الحاجر في نجد ، أرض أخواله بعد موت والده، بل ظل
فيها هو وأهل بيته الذين لا تعرف منهم سوى أخيه، وكان يدعى أوسا ، وهو
أخوه من أمه الغطفانية (١٦) . وأخته الخنساء التي عاشت إلى ما بعد
موته، حيث نظمت فيه مراثية حزينة معبرة (١٧) .

أما زهير فقد تزوج إلى أخواله ؛ تزوج كبشة بنت عمار بن عدي
ابن سحيم، أحد بني عبد الله بن غطفان، فهي أم ولده (١٨) ؛ ويبدو أنها
كانت الزوجة الثانية بعد (أم أوفى) زوجته الأولى التي أحبها كثيراً ، لكن
الذي دفعه إلى زواج كبشة عقم أم أوفى (١٩) أو أنها ولدت لـه
ومات أولادها جميعاً (٢٠) .

لم يرح هذا الزواج أم أوفى فدبت فيها الغيرة وأذت زهيراً كثيراً، مما
اضطره إلى طلاقها وهو كاره، ثم ندم على ذلك وقال (٢١) :

١٥ — طبقات فحول الشعراء / ٨١ .

١٦ — شرح ديوان زهير / ٥٥ .

١٧ — المصدر السابق / ٣٦٦ .

١٨ — المصدر نفسه ٢٢٦ ، ٢٣٥ .

١٩ — الموجز في الأدب العربي وتاريخه (وضع لجنة من الأساتذة بالإقطار المريسية ، دار
المعارف ببلنات ١٩٦٢) ١ / ١٧٩ .

٢٠ — الأغاني ١٠/٣١٣ والخبر منقول عن ابن الأعرابي .

٢١ — شرح ديوان زهير / ٢٤٢ .

لَعَمْرُكَ وَالْخُطُوبُ مُغَيَّرَاتٌ وفي طول المعاشرة التَّقَالِي

لَقَدْ بِالْيَتِّ مَطْعَنٌ أُمٌّ أَوْفَى وَلَكِنْ أُمٌّ أَوْفَى مَا تُبَالِي

ومن الطبيعي أن يؤثر استمرار هذا الحب لام أوفى على علاقته بكبشة،
زوجته الجديدة . لقد واجهته باحساس المرأة : برمت كثيرا بفتور مشاعره
نحوها فعاتبته عتابا مرأء ذكرته فيه بواجب الزوج تجاه امراته التي تخلص
ليبتها وتقوم بواجبها ، أُمًّا وزوجة ؛ وهذا واضح في أبياته التالية (٢٢) :

وَقَالَتْ أُمُّ كَعْبٍ لَا تَزُرُنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَزَارٍ

رَأَيْتُكَ عِجَّتِي وَصَدَدْتُ عَنِّي فَكَيْفَ رَأَيْتَ عِرْضِي وَاصْطِبَارِي

فَلَمْ أَفْسِدْ بَنِيكَ وَلَمْ أَقْرَبْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَمَاتِ الْكِبَارِ

ويدافع عن نفسه بجواب مقتضب حمله بيته :

اقِمْي أُمُّ كَعْبٍ وَاسْتَقْرِي فَإِنَّكَ مَا نَزَلْتِ بِهَا بِدَارِي

لقد اكد لها ان الذي يحكم معاملته لها هو شعور الزوج الذي
يستشعر مسؤوليته بضرورة العمل على توفير الامان لزوجته ما دامت
في داره تقوم بمهامها جيدا .

اما مسألة الحب فليس لها ان تكلفه بها ، ذلك لان الحب لا يُفرض
على الانسان فرضا . ولعل موقف زهير هذا يعكس لنا مفهوم الناس في
عصره للزواج والحب على حد سواء ؛ فليس الزواج لتحقيق عاطفة
الحب دائما وانما الزواج في كثير من حالاته للانجاب والعناية بشؤون الحياة
العائلية والمنزلية فحسب .

وعلى اية حال فقد انجبت له كبشة هذه ثلاثة ابناء ذكورا ، هم كعب

وبجير وسالم (٢٣)؟ أما سالم فمات في حادث شؤم ينقله الرواة على النحو التالي : كان سالم هذا جميل الوجه حسن الشعر، فأهدى اليه رجل بُردين، فلبسهما وركب فرسا خيارا، فمَرَّ بامرأة من العرب في مكان ماء يقال له النَّتَاءُ، فنقالت : ما رأيت كاليوم قط رجلا ولا بردين ولا فرسا أحسن مما أرى ، فما مضى قليلا حتى عثر به الفرس، فاندقت عنقه، وانشق بُرداه، وكُسرت عنق فرسه ؛ فقال زهير يرثيه ويشير الى الحادثة :

رأيت رجلاً لأمي من العيش غبطةً وخطئه فيها الأمور العظامُ
وشبَّ له فيها بُنُونٌ وتويعت سلامة أعوامٍ له وغنائمُ
وعندي من الأيام ما ليس عنده فقلتُ لها مهلاً فإنك حالمُ
لعلك يوماً أن تُراعي بفاجعٍ كما راغني يوم النَّتَاءِ سالمُ (٢٤)

إن في الأبيات تذكيراً بأن السرور لا يدوم ، وبأن على الإنسان دائماً أن يتهيأ لاستقبال الفواجع لأن الدنيا في تقلب مستمر . ونحن على أية حال لا ندري مدى الصدق في قصة مقتل سالم، لكن الثابت لدينا أن زهيراً فجع بآبائه هذا فجيلة عظيمة جعلته يقف في الأبيات السابقة عند حالين متناقضين : حال من مُدَّت له الدنيا جبل السلامة والغنى ، وحال من بُلِّغته بالمصائب ونجمته بآبائيه . فالشعور بالآسى العميق كان حتما وراء إبراز تناقض الدنيا السحيق .

أما ولداه كعب وبجير فلحقا الاسلام واسلما في اسلم بجير أولا وتنبع كعب، بل قال أبياتا يؤنب فيها بجيرا على اسلامه، ويعرّض بالاسلام والرسول . قال (٢٥) :

٢٢ - العباسي : معاهد التنصيص (المطبعة البية ١٣١٦ هـ) ١١٠/٢

٢٤ - الأملاني : ٢١٢/١٠ وما بعدها لم شرح ديوان زهير / ٢١١

٢٥ - شرح ديوان كعب بن زهير / ٢ وما بعدها و (ونب) كوكيل ، تقول وليك ونب لك .

أَلْبَقْنُ عَنِّي بُجَيْرًا رَسَالَةً فَهَلْ لَكَ فِيهَا قُلْتُ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَ
 سُبُتِي بِكَاسٍ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ فَأَنْهَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
 وَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَتَبَعْتَهُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيَبْ غَيْرِكَ دَلَّكَ

فبلغ رسول الله شمره . هذا فتوعده ونذر دمه ، فكتب إليه أخوه بجير يحذره ويدعوه الى القدوم على الرسول وعلان التوبة والاسلام ، وطمانه بأن محمدا عليه السلام لا يقتل احدا جاءه تائبا . ففعل ذلك كعيب وقسال قصيدة جليلة القاها بين يدي الرسول الكريم ، فقبل توبته وعفا عنه ، وكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين الف درهم .

هذا وتذكر بعض المصادر ان اسلام كعب قد اعلن بعد بعثة الرسول مباشرة بذلك تحقيقا لوصية والده قبل وفاته ، وهي تورد على هذا روايتين :

احدهما ان زهيرا رأى في منامه وفي أواخر عمره ، ان آتيا اتاه فحمله الى السماء حتى كاد يمسكها بيده ، ثم تركه فهوى الى الأرض . فلما حضره الموت قصّ رؤياه على ولده كعب ثم قال : إني لا أشك انه كائن من خبر السماء بعدي ، فان كان فتمسكوا به وسارعوا اليه . ثم توفي قبل المبعث بسنة ؛ فلما بعث رسول الله خرج اليه ولده كعب بقصيدته (بانث سعاد) واسلم (٢٦) . وثانيتهما ان زهيرا رأى في منامه ان سببا تدلى من السماء الى الأرض وكان الناس يمسكونه ، وكلما أراد ان يمسكه تقلص عنه ؛ فأوله نبي آخر الزمان ، فانه واسطة بين الله والناس ، وان مدته لا تصل الى زمن مبعثه ، فأوصى بنيه ان يؤمنوا به (٢٧) . واعتقد ان هاتين الروايتين موضوعتان ، وان الخبر الاول المشفوع بأبيات شعرية لبجير هو اقرب الى التصديق منهما . والذي يدفعني لهذا الاعتقاد ، الامتناع الواضح للرؤية

٢٦ - خزائن الادب ٢ / ٣٣٥ .

٢٧ - المصدر السابق ٢ / ٣٣٦ .

من أجل التدليل على تنبؤ بعض الناس بالنبوة قبل وقوعها • ولربما استفاد واضعها من التقوى التي عرف بها زهير في الجاهلية كما سيأتي .

ومن أخبار زهير أيضا أن كانت له ابنة اسمها (وبرة) وأنها كانت

شاعرة، فعندما قال زهير :

إِرَادَتْ جَوَازاً بِالرُّسَيْنِ نَصْدَهَا رَجَالٌ قُعُودٌ فِي الدُّجَى بِالْمَعَابِلِ
كَأَنَّ مَدَّهْدَى حَنْظَلٍ حَيْثُ سَوَّيْتُ بَاعْطَانِهَا مِنْ جَرِّهَا بِالْجَحَافِلِ

فقال زهير من يجيز هذا ؟ فقالت وبرة : يا ابتاه أنا أجيزه، وانشدت :

جَدُودٌ فَلَتْ بِالصَّيْفِ عَنْهَا جَحَاشُهَا فَقَدْ غَرَزَتْ أَطْبَاقُهَا كَالْمَكَاكِيلِ (٢٨)

١١٢
٢ -

ترسم لنا الأخبار وشعر الشاعر صورة جميلة لزهير ؛ فهو من النفر الذين كانوا يحاسبون أنفسهم كثيراً ليقتربوا من الخير، ويتعدوا عن الشر؛ ولهذا استقام خلقه ، وباعد بينه وبين الموبقات كالخمر والميسر والازلام (٢٩) .

لقد تساوت نفسه وابتعدت عن تدني المجتمع الجاهلي وتساقطه في الحضيض ؛ وبذلك اقترب من الايمان • وفي شعره أبيات تشير الى انه كان قريبا من الايمان حقا فهو — مثلا — يؤمن بأن هناك إلهها يتدبر الكون ويحاسب على الأعمال قال (٣٠) :

وَالْمَالُ مَا خَوَّلَ إِلَهُ فُلَا بَدَّلَهُ أَنْ يَحُوزَهُ قَدَرُ
وَالْإِنَّمُ مِنْ شَرٍّ مَا يُصَالُ بِهِ وَالْبِرُّ كَالْفَيْثِ نَبْتُهُ أَمْرُ

٢٨ - شرح ديوان زهير / ٣٤٥ .

٢٩ - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (دار العلم للملايين بيروت ومكتبة النهضة ببغداد ١٩٧٦) ٦٧١/٤ .

٣٠ - شرح ديوان زهير / ٣١٤ .

وهو — كما يبدو في شعره ايضا — يؤمن بالحساب والعقاب ، وبأن
اعمال الانسان مرصودة ومحفوظة بكتاب مدخور (٣١) :

يُؤْخَرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ حِسَابٍ أَوْ يُعْجَلُ فَيُنْقَمَ

لقد كان ذا خلق جميل، مشدود برباط الايمان دائما؛ ذلك لانه يرى ان
الانسان قادر على اكتساب خلق حميد اذا ما سعى للتعلق بالخير الذي
يريده الاله ان يعم الكون والناس (٣٢) :

عَوَّدَتْ قَوْمَكَ ، إِنَّ كُلَّ مُبَرِّزٍ مَهْمَا يُعَوِّدُ شِمَةَ يَتَعَوِّدُ
حَزْمًا وَبِرًّا لِلَّهِ وَشِمَةَ تَغْفُو عَلَى خُلُقِ الْمُسِيءِ الْمُفْسِدِ

وقد بلغ من ايمانه انه خشي عقوبة الله لانه هجا بني عليم بن خباب
بدون حق، وكان يقول : « ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله
بعقوبة لهجائي قوما ظلمتهم (٣٣) » . ولقد اعتقد بعض الباحثين انه كان
خاضعا لتأثير النصرانية، كما عده بعضهم نصرانيا؛ لكن يبدو ان الراي الذي ذهب
اليه بروكلمان صواب ، فهو يعتقد بأن تأثير النصرانية كان واقعا في الجزيرة
العربية؛ لكننا لا يجوز لهذا أن نعد زهيرا من النصارى * (٣٤). وكان عادلا
يحب العدل ، ويدعو دائما الى اعادة الامور لنصاب الحق؛ ولهذا بارك عمل
كل من هرم بن سنان والحرث بن عوف؛ اللذين تحملا ديات القتلى ، وأصلحا
بين الحيين المتخاصمين : عبس وذبيان؛ بعد حرب دامت اربعين عاما .

يَمِينًا لِنِعْمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُهْرَمٍ

٣١ — المصدر السابق / ١٨ .

٣٢ — المصدر نفسه / ٢٧٧ .

٣٣ — الاغانى ١٠ / ٢٠٩ وشرح ديوان زهير / ٥٦ .

٣٤ — كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربي (ط . دار المعارف بمصر د . ت) ١ / ٩٥ .

تداركْتُمَا عِيسَا وَذُبْيَانَ بَعْدَهُمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوْا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ (٣٥)

ورأيه في تلك الديات أنها أخذت بغير حق لأن الذي تحمّل دفعها لا ذنب له سوى حبه أن يسود الصفاء بدل الشر :

لَعُمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلِّمِ
فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ عَلَالَةُ الْفِي بَعْدَ الْفِي مَصْتَمِ

تساقُ إلى قَسُومٍ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ صحيحات مالٍ طالعاتٍ لِخُرْمٍ (٣٦)

إنه يستغل هذه الحادثة غير المنطقية لبحث المجتمع على رؤية الخطأ في نظامه الاجتماعي؛ فلو كان العدل هو الذي يسيره لما احتاج إلى أن يقبل هذا الأمر الغريب .

إن مطلب العدالة ربما نما مع الشاعر، خاصة وأن أخواله كانوا قد ظلموا والده ظلماً دفعه إلى تصرفات حادة جداً كما مرّ بنا سابقاً . وإنني أعتقد أن حادثة والده التي كانت السبب المباشر في توطئه بأرض أخواله إلى الأبد ، كانت مؤثرة جداً في نفسية زهير وفكره وسلوكه ، ولهذا أصبح السلام والعدالة مطلبه الأساسي في الحياة والوجود الإنساني كله .

ولهذا كان اليفر جداً لمن عرفهم واختلط بهم، مهما كانت مستوياتهم الاجتماعية ، وعلى أية صفة كانت علاقتهم به . والمثل الرائع الذي يستأهل التوقف هنا قصته مع راعيه (يسار) : كان الحارث ابن ورقاء الصيدائي، من بني أسد، اغار على بني عبد الله بن غطفان، فنغم فاستاق ابن زهير وراعيه يسارا (٣٧) مما دفع زهيراً أن يجاهد طويلاً لاسترداد راعيه، حيث

٢٥ - شرح ديوان زهير / ١٤ ومنشم امرأة تباع المظور وقيل : من التثنييم في الشر .

٣٦ - المصدر السابق / ٢٥ وما بعدها . العلالة : الزيادة هنا . مصنم : تام . المخـرم : التثنية في الجبل .

٣٧ - الألفي ٢٠٧/١ - ٢٠٩ .

قال قصيدة يهجو بها الحارث بن ورقاء وقومه، ويهدده بغيرها ان لم يعد يسارا سالما، ومطلع القصيدة (٣٨) :

تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ يُنَادِي فِي شِعَارِهِمْ يَسَارُ

ويبدو ان الحارث قد تأثر بأقوال زهير فعزم على إعادة يسار ، لكن قومه نهوه وحالوا بينه وبين رغبته، فبعث زهير فيهم قصيدة يهجوهم ويمدح الحارث ويشجعه، ويهيب به ان لا يستمع اليهم . ويبدو أنه نجح في ذلك كما يقول (٣٩) :

ابْلُغْ لَدَيْكَ بَنِي الصَّيْدِاءِ كُلَّهُمْ أَنَّ يَسَارًا أَتَانَا غَيْرَ مَقُولٍ
وَلَا مَهَانَ وَلَكِنْ عِنْدَ ذِي كَرَمٍ وَفِي حِبَالٍ وَفِي الْمَهْدِ مَأْمُولٍ

من الملاحظ في هذه القصائد ان زهيراً لم ينشد استرداد شيء من أمواله ، لكنه كان شديد الحرص على ان يعود اليه (يسار) فقط ؛ وهذا يدل على الالفة المتأصلة في طبع هذا الرجل، وعلى الوفاء الذي فطر عليه ايضا . فيسار مجرد راع بسيط، لكن اختلاطه بزهير ولد في ذات الشاعر مشاعر جبهة خاصة ومالاً بدافع منها حتى يسترد راعيه المخلص .

هذا ومضلا عن وفائه السابق الذكر لهم، مدحه لأهله (٤٠) تحقيقا لهذا الوفاء ، عرف عنه شدة وفائه لزوجته (أم أوفى) ؛ فلقد ظل يذكرها بأحسن ما تذكر به أنثى بالرغم من نشوزها وانفصالها عنه ؛ وقد أدى به هذا الوفاء الى مواقف صعبة مع زوجته الجديدة ، لكنه في علاقته بهذه المرأة الجديدة أثبت ايضا انه رجل طبع على الالفة وحسن المعشر، فحين عاتبته

٣٨ - شرح ديوان زهير / ٢٠٠ .

٣٩ - المختصر السابق / ٢٠٨ .

٤٠ - انظر مجله لسنان والد زهير في ديوانه / ١٩٣ ، ٢٦٨ ، ٢٩٢ ، ٢١٦ ، ٢٤٦ ورتاده اباه / ٢٢٤ .

على استمرار تعلقه بأم أوفى — زوجته القديمة — لم ينكر ذلك، بل ذهب في صراحته الى حد أن عرفها موقعها منه، فهي ليست أكثر من امرأة تزوجها للانجاب ، وهو معها يقوم بواجبات الزوج على اكمل وجه، كما مر بنا سابقا .

وكان زهير متعففا، يترفع عن الماديات في علاقاته دائما ؛ لقد ظهر ذلك جليا في تعامله مع ممدوحيه، وخاصة هرما ؛ فلقد أكثر زهير من مدحه حتى حلف هرم ألا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبدا أو وليدة أو فرسا ؛ فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه ، وكان اذا مر به في ملا قال : « عموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت (٤١) » .

والى جانب هذا كان زهير سيدا كثير المال ؛ فقد أغناه هرم ثم آل اليه نصيب من مال خاله بشامة بن الغدير، كما يذكر صاحب الاغانى (٤٢) ؛ وكان كريما يصرف ماله فيما يراه واجبا . روي ان زيد الخيل بن المهمل الطائي تمكن من تجر فأخذه وهو لا يعرفه، ولما عرف أنه ابن زهير حملته على ناقته وخلق سبيله، فأتى بجير أباه فأخبره خبر زيد وما فعله ، فأرسل زهير بفارس كهنيت كان لكعب من كرام الخيل الى زيد ، وكان كعب غائبا فلما جاء انكر على والده ذلك وقال : كأنك أردت ان تقوي زيدا على قتال غطفان، فقتل زهير . هذه إيلي فخذ ثمن فرسك وازدد عليه ؛ وقد عنفت كعبا زوجته فقالت : اما استحييت من أبيك في سنه وشرفه ان ترد هبته ؟ وقد اثر هذا الموقف في زيد الخيل فقال :

فلولا زهير أن أكدر نعمة — لقارعت كعباً ما بقيت وما بقي (٤٣)

٤١ — معاهد التصبص ٢ / ١١٠ .

٤٢ — الاغانى ١٠ / ٣١٢ .

٤٣ — ابو علي القالي : ذيل الامالي (طبعة مصطفى اسماعيل يوسف بن دياب ، الطبعة الثالثة) / ٥٢ وما بعدها . وشرح ديوان كعب بن زهير / ١٢٦ وما بعدها .

ويقال ان زهير مات قبل البعثة بقليل، ويحدد بعضهم وفاته فيجعلها قبل البعثة بسنة واحدة (٤٤) ، اما بروكلمان فيقول : ان « الراجح انسه مات قبل ظهور النبي بزمان طويل (٤٥) » وهناك رواية تجعل وفاته بعد البعثة، وتزعم ان الرسول عليه السلام مرّ به وهو شيخ فقال : اللهم اعطني من شيطانه (٤٦) ؛ وهي رواية مشكوك فيها على اية حال . هذا وقد رثته اخته الخنساء بأبيات جيدة تقول فيها (٤٧) :

فلا يغني توقيّ المرء شيئا ولا عقْدُ التميم ولا الغضارُ
اذا لاقى منيته فأمسى يساق به وقد حُقَّ الحذارُ
ولا قام من الايام يومٌ كما من قبل لم يخلد قُدارُ
وهكذا انتهت حياة شاعر عاش للخير، واتخذ من شعره اداة لنشره وتمكينه في مجتمع كثر فيه الجهل والظلم والشر .

/ - ٣ -

لزهير ديوان شعر طبع عدة طبعات (٤٨) ، ولعل اجودها طبعة دار الكتب التي اعتمدت على رواية ثعلب، وهي الطبعة التي اعتمدتها في دراستي

٤٤ - شرح ديوان زهير / ٥٦ وخزانة الادب ٢/ ٣٣٥ .

٤٥ - تاريخ الادب العربي ١/ ٩٥ وانظر ايضا تاريخ الادب العربي لتالينسو (ط . دار المعارف بمصر / ٧٨ .

٤٦ - معاهد التنصيص ٢/ ١١٠ .

٤٧ - السيوطي : شرح شواهد المغني (دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٦) ١/ ١٢٤ ، والمضار : كان احدهم اذا خشي على نفسه علق عليه خرقة اخضر .

٤٨ - انظر مقدمة ديوان زهير / ٢٠ - ٤٤ . وكتاب لسان القص : زهير بن ابي سلمى...

هذه .

على الرغم من أن قضية الحرب والسلام أخذت القسط الأكبر من اهتمام الشاعر، فنظم فيها شعراً كثيراً مثلته قصائده المدحية، إلا أن شعره يحوي أيضاً أغراضاً أخرى كالرثاء والغزل والهجاء والفخر والحكمة . هذا بالإضافة إلى أن شعره يحوي عناصر مختلفة من معارف عصره ومعاله ؛ فشعره مثلاً من أكثر الأشعار الجاهلية اهتماماً بالكتابة ، لقد كررها أكثر من مرة وبخاصة في مقدماته الطللية؛ مثال ذلك قوله (٤٩) :

لن الديار غشيتها بالفدند كالوحي في حجر المسيل المخلد

وزهير في شعره يشغل بقضايا إنسانية بالغة الدقة والخطورة في مجتمع جاهلي بدائي، كانت تسوده — إلى حد كبير — شريعة باغية قاسية ؛ لذا احتاجت من الشاعر قدراً كبيراً من التجرد والتفكير لوضعها وضعاً مؤثراً . فالشاعر متالم جداً للأوضاع السيئة التي ينحدر إليها مجتمعه ؛ وقد تمثل تأله^٢ هذا بصورة شعرية توحى بأن طريق الخلاص هي السير مع حس السلام الذي بدأ يتخذ جانباً إيجابياً فاعلاً ، ومع كل ما من شأنه ترسيخ قيم أو مثل عليا فوق الأرض . ومن هنا التقى كلام الشاعر في

... (دار الفكر بدمشق ١٩٧٢) ١١٩ وقد عثرت على نص في خزانة الادب ٢ / ٢٣٤ يشير

إلى ديوان زهير وشروحه . قال البغدادي (وديوان شعر زهير كبير وعليه شرحان ، وهما عندي والحمد لله والله ، أحدهما بخط مهمل الشهير الخطاط صاحب الخط المنسوب) ولم يذكر في مخطوطات الديوان المكتشفة ما يشير إلى هذه النسخة .

٤٩ — شرح ديوان زهير / ٢٦٨ .

دعوته الإصلاحية مع الخُلق الاسلامي الذي جاء بعيد موته . قيل : انشد
عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قوله في هرم :

أتني عليك بما علمت وما أسلفت في النجداث من ذكر
والستر دون الفاحشيات ولا يلتفك دون الخير من ستر

فقال عمر : ذلك رسول الله (٥٠) . وكلام عمر هذا هو من نوع كلامه
حين سأل بعض ولد هرم ان ينشده بعض مدح زهير في أبيه ، فلما انشده
ما طلب قال : إن كان ليحسن فيكم القول . قال : ونحن والله ان كنا لنحسن
له العطاء ، فقال : تد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم (٥١) .

ومن هنا قال عبد الملك بن مروان: ما يضر من مدح بما مدح زهير آل
أبي حارثة من قوله :

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السباحة والبذل
ألا يملك أمور الناس (٥٢) (يعني الخلافة) .

ان المعاني التي عاشت وقدرت هذا التقدير في العصور اللاحقة، المعاني
انسانية كثيفة وان بدت بسيطة مكشوفة ؟ فلا عجب اذن ان تلتقي بعض
معاني شعره مع بعض الآيات القرآنية الكريمة . لقد لاحظ بعضهم موضع
التقاء قوله :

ومن هاب اسباب المنايا ينلنـه ولو رام اسباب السماء بسـلم
مع فحوى الآية الكريمة « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج

٥٠ - الاغاني ٣٠٤/١٠ .

٥١ - المصدر السابق ٣٠٥/١٠ ويقال ان عمر قال ايضا (ولكن الحلال التي كسبها أبوك
هرما لم يبلها الدهر) .

٥٢ - المصدر نفسه ٣٠٦/١٠ .

مشيدة (٥٣) «. والاحظ التقاء قوله :

فان الحسق مطعمه ثلاث: يمين أو نثار أو جلاء

فذلكم مقاطع كل حلق ثلاث كلهن لكم شفاء (٥٤)

بالبعد الاجتماعي والانساني الذي عليه القول الالهي : « ولكم في القصائص حياة ». ولربما كان هذا وراء قول ابن قتيبة : « وكان زهير يتاله ويتعنف في شعره ويبدل شعره على ايمانه بالبعث » (٥٥) .

ويبدو أن اتجاهه الخلفي كان وراء تفضيل كثير من الناس له . لقد فضل على الشعراء لانه — كما قيل — : « كان أبعدهم من سخط وأشدهم اجتنابا لحوشي الكلام (٥٦) » .

والواقع أن زهيراً كان شاعراً فذاً ، فلقد فهم بخبرته وذكاؤه قضايا الانسان والوجود ، وعبر عنها تعبيرا أدبيا اكسبها سمة البقاء ، وهذا ما جعله قائما في عقول الناس على مر العصور .

وشاعريته أصيلة عريقة تمتد في جذورها وفروعها بشكل جعلها متميزة في تاريخ الشعر العربي القديم . قال ابن الأعرابي : « كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعرا ، وهو شاعر ، وخاله شاعر ، واخته سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعران ، واخته الخنساء شاعرة (٥٧) » . وقد ذكر أيضا أن عقبة بن كعب بن زهير المعروف بالمضرب

٥٢ — ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي (دار المعارف بصر ١٩٥٦) ٢٠٦ ، والاية في النساء / ٧٨ .

٥٤ — شرح ديوان زهير / ٧٥ . والاية من البقرة / ١٧٩ .

٥٥ — خزنة الادب / ٢ / ٣٣٣ .

٥٦ — المرزباني : الموشح (دار نهضة مصر ١٩٦٥) ٩٥ .

٥٧ — شرح شواهد المفني ١٣٣/١ ومعاهد التتبع ١١٠/٢ .

كان شاعرا ، وأنه كان لعقبة هذا ابن يقال له العوام، وكان شاعرا —
ايضا (٥٨) .

لقد اجتمعت لزهر عناصر وراثية في الشعر أعطته استعدادا فطريا
لقوله ؛ ويبدو انه احسّ مثل هذا الاستعداد مبكرا ، فآخذ نفسه به وعوّل
على تأصيله وتهذيبه حتى غدا شاعرا مذكورا . لقد وضعه ابن سلام في
الطبقة الاولى، تاليا لامرئ القيس والنابغة (٥٩) .

اما ابو الفرج فقد ذكر أن الرواة لم يتفقوا على تفضيل أي من امرئ
القيس أو النابغة عليه ؛ قال : « هو أحد الثلاثة المتقدمين على سائر
الشعراء ، وانما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ؛ فأما الثلاثة فلا
اختلاف فيهم ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبياني (٦٠) » .

وفي التراث النقدي ما يؤيد قول أبي الفرج ؛ فقد جاء في طبقات ابن
سلام نفسه أن أهل النظر قالوا : « كان زهير أحصنهم شعرا . . . وأجمعهم
لكثير من المعنى في قليل من المنطق (٦١) » .

وقد نسب صاحب خزانة الادب الى ثعلب تقديم زهير ، كما أورد
محاورة بين جرير وابنه عكرمة مؤداهاء أن جريرا كان يقدم زهيراً ويجعله
اشمر الجاهليين (٦٢) . وممن كان يقدمه ايضا قدامة بن موسى الجمحي ،
الذي كان — كما يقول ابن سلام — من أهل العلم (٦٣) . وكان كل من عمر

٥٨ — الاغانى ٢١٤/١٠ وخزانة الاب ٢/٣٣٣ .

٥٩ — طبقات فحول الشعراء / ٩٣ .

٦٠ — الاغانى ٢٨٨/١٠ .

٦١ — طبقات فحول الشعراء / ٥٣ والتمالي : خاص الخاص (دار مكتبة الحياة ببيروت
١٩٦٦) ٩٦ .

٦٢ — خزانة الاب ٢/٣٣٣ .

٦٣ — الاغانى ٢٨٩/١٠ .

ابن الخطاب ومعاوية يسميه بشاعر الشعراء أو أشعر الشعراء (٦٤). وقد زعم حماد أنه لم يدرك أحدا من أهل العلم من قریش يفضل على زهير من الناس أحدا في الشعرة لكنه يقول : غير أن قریشا قد اتفقوا على تفضيل زهير والنابعة معا (٦٥) . وكان أبو عمرو ابن العلاء يقول : « كان أوس فخل مضر ، حتى نشأ النابعة وزهير فأخمله (٦٦) » . وسجل بعض النقاد القدامى احكاما نقدية توازن بين زهير وغيره على أساس الدوافع النفسية التي اشتبهوا بها ، فقليل : « كان امرؤ القيس اشعر الناس اذا ركسب ، والنابعة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب (٦٧) » .

والنقد الحديث لا يأخذ بهذه الآراء المطلقة لأنه يدرك اختلاف الشعر والشعراء من حال الى حال ؛ فالمسألة كلها ترتبط بقضايا دقيقة في الشاعر ذاته ، وفي الموضوع الذي يتناوله ، والجو العام الذي يقال فيه الشعر . ولكن تظل الأقوال التي فاضلت بين زهير وغيره على أساس من الضوابط النفسية خاصة اقرب الى الاحتمال والتقبل من تلك التي اعتمدت التعميم أسلوبا في احكامها .

وعلى مستوى الصنعة الشعرية يصادفنا الرأي المنسوب الى عمر ابن الخطاب في تفضيل زهير حيث قال : « كان لا يعاظم في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح أحدا الا بما فيه (٦٨) » . لقد اعجب به لأن شعره مستو ، وفصيح اللفظ ، وناطق بالصدق الحقيقي عن مجريات الاحداث واصاف الناس . ان هذا النقد — بالرغم من ان نظريات الشعر

٦٤ — شرح شواهد المغني ١ / ١٢١ .

٦٥ — شرح ديوان زهير / ٨٦ ، ٢٢٦ .

٦٦ — طبقات فحول الشعراء / ٨١ .

٦٧ — العسكري : كتاب الصنائع (عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٢) ٢٢ .

٦٨ — الاغانى ١٠ / ٢٨٩ ومعاهد التنصيص ٢ / ١٠٩ .

الحديثة قد تجاوزته بكثير — يظل نقدا يقدم أوليات أساسية في الحكم
النقدي المعلن .

وقد لاحظ الأقدمون تأثر زهير في الصنعة بطريقة أوس بن حجر —
وكان زهير راوية له — وهي قائمة على البروز الحسي والاستقصاء للصور
وتفصيلاتها (٦٩) . وعرف عن زهير أنه صاحب مذهب التحريك الشعري
في العصر الجاهلي ، إذ به عُدَّ واحداً من الذين أطلق عليهم الأصمعي «عبيد
الشعر» . (٧٠) قيل إنه كان ينظم القصيدة في ليلة أو شهر، ثم يتركها عنده
عاماً كاملاً لا يذيعها في الناس إلا بعد أن يعاود فيها النظر مرات عديدة .
ولهذا سميت قصائده بالحوليات أو المقلدات والمنقحات (٧١) . وحتى نحكم
حكماً مقنعاً على عمل زهير هذا، لا بد لنا من الإجابة عن مسألة هامة في
المعرفة النقدية : هل الشعر ابن الملكة الشعرية وحدها، أم ابن الصنعة
الحاذقة فقط ، أم ابنهما معا ؟

✓ ان الاجابات العصرية لاتميل الى فصل الصنعة عن الموهبة ، وهي
تعدّها أساساً متحداً لكل فن ناجح، وبهذا يكون زهير واحداً من الذين وعوا
بأكر دورهم الشعري الريادي، لذلك جاء شعره ناضجاً متقناً ، ولقد لاقى
قدراً كبيراً من الإعجاب في عصره وبعد عصره . ان الأساس الفني لمذهبه
اهتمامه كثيراً بالصور الكثيفة التي قادت الى خلق الترابط العضوي في
القصيدة الواحدة، لأنها تشيع معاني عميقة شديدة التشابك والترابط .

٦٩ — شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي (ط . دار المعارف بمصر الطبعة
الرابعة / ٢٨) وما بعدها .

٧٠ — الشعر والشعراء ١/ ٢٣ .

٧١ — الجاحظ : البيان والتبيين (عبد السلام هارون ١٩٣٨) ٩/٢ ومعاهد التنصيص
١١١/٢ وفزارة الادب ٢/ ٣٣٥ . وابن جنسي : الخصائص (ط . الهلال ١٩١٣)
٣٣٠/١ .

ان مثل هذه المعاني تؤدي بتفاعلها وتجاوبها وتجاذبها الى الكشف عن الرموز والايحاءات التي تؤلف الوحدة المعنوية الباطنية للقصيدة : فرصدنا لحركات النفس داخل القصيدة الواحدة يقودنا الى الوقوف على قضايا انسانية بعيدة بعدا جذريا عن الموضوعات الظاهرية التي نتحدث عنها . . وهذه هي القيمة المتوقعة لكل ترابط صوري كهذا الذي يشيعه زهير باتقان نادر .

بهذا تغدو الاموال التي اتهمت معلقته كما اتهمت غيرها من المعلقات بالتفكك (٧٢) ، اقوالا قاصرة عاجزة عن الرؤية الشمولية التي تعتمد اكتشاف الحقيقة من خلال حل العقد والتداخل الشعري العجيب .

ولكن الرواة والنقاد اخذوا على زهير عدة مأخذ في شعره، تنحصر في مجالات اللغة والسرقات والفن وغاياته بشكل عام :

ومن مأخذهم اللغوية استبشاعهم كلمة (حقلد) في بيته (٧٣) :

تَقِي نَقِيٍّ لَمْ يُكْثَرْ غَنِيمَةً بِنَهْكَ ذِي الْقُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدٍ

ومنها انكارهم عليه قوله (ركك) في بيته :

ثم استمروا وقالوا إِنَّ مَوْعِدَكُمْ ماءٌ بَشَرْتَنِي سَلْمَى فَيَدُّ أَوْ رُكَّكُ

لأنه حكى بعض الاعراب انه قال : إنما هو « رك » (٧٤) . ولست أرى وجها لهذه المأخذ . (حقلد) كلمة عربية مستعملة قد تكون ثقيلة على اللسان، لكنها في موضعها في البيت أدت ما أراد الشاعر ؛ أما (رك) فنقلها

٧٢ - الموجز في الادب وتاريخه ١/ ١٨٥ .

٧٣ - كتاب الصنائع / ٣٠ والبيت في الديوان / ٢٢٤ والحقلد : الضيق البخل ، والسيء الخلق .

٧٤ - الموشح / ٦١ وحكي عن بعض الاعراب انه قال : إنما هو (ركك) والبيت في الديوان / ١٦٧ .

هو الذي دفع الشاعر الى فك ادغامها . والشاعر — على أية حال —
اطمأن على وضع كل كلمة في موضعها من شعره ، لذا فإن اي مأخذ لا يكون
بافراد الكلمة ومحاسنته على جمالها او قبحها منعزلة ، وانما في موضعها
من القصيدة . وهذا مبدأ غير الذي حوكم على أساسه زهير كما هو واضح .

واما في نحل الشعر فقد روي ان الأصمعي كان « يرى أن أبياتاً من قصيدة
زهير الميمية (أمن أم أوفى . . .) ليست له ، وانما هي لصرمة بن أنس
الأنصاري (٧٥) » . واتهم أيضاً بالاغارة على شعر غيره من الشعراء ، فقد
جاء على لسان أبي عبيدة قوله : كان قراد بن حنش من شعراء غطفان
وكان جيد الشعر قليله ، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه
وتدعيه ، منهم زهير بن أبي سلمى ادعى المقطوعة التي مطلعها :

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا مَا تَبْتَفِي غُطْفَانَ يَوْمَ اضْلُتَّ (٧٦)

والمقطوعة في ديوان الشاعر ، وقد ذكر انهافي رثاء سنان ابن أبي
خارجة مع زيادة بيت على الأبيات التي رواها أبو عبيدة وهو :

وَمُلْعِنٌ ذَاقَ الْهَوَانَ مَدْمَعٍ رَاخَيْتَ عُقْدَةَ كِبْلِهِ فَانْحَلَّتْ (٧٧)

ومع تقديم وتأخير في الأبيات ، ثم مع اختلاف في رواية بعض الالفاظ
والعبارات .

/ وهذا امر يرتد الى مسألة النحل والانتحال في الشعر الجاهلي . ومن
الصعب ان يجزم الانسان فيها برأي وتظل خاضعة للفرض والتخمين .
على ان مما يضعف احتمالات كون الأبيات لقراد أن أحدا لم يقل بذلك سوى

٧٥ — مصادر الشعر الجاهلي ٣٢٨ عن كتاب المعمرين / ٦٦ . وهناك قصيدة أخرى منسوبة
للأنصاري في ديوان زهير / ٢٨٤ .

٧٦ — المرزباني / معجم الشعراء (عيسى البابي الحلبي ١٩٦٠) ٢٠٥ .

٧٧ — شرح ديوان زهير / ٣٢٤ .

أبي عبدة، وأن الأبيات في الديوان مزيّدة ومختلفة بعض الاختلاف، ومقرونة عند زهير بمناسبة ؛ ولم ترد أية إشارة من ثعلب ، شارح الديوان ، تشير الى اتهامها على غير عادته .

أما في مجال السرقة الشعرية فيذكر الرواة أن زهير أخذ أبياتا ممن سبقه أو عاصره من الشعراء، من ذلك — مثلا — قول امرئ القيس (٧٨) :
فَلأَيًّا بَلأَيِّ ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك السراة مُحْنَبُ
أخذه زهير فقال :

فَلأَيًّا بَلأَيِّ ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك ظمأ مفاصله
والمسألة هنا ترتبط بمفهوم السرقات الشعرية قديما وحديثا ، لأن هذا المفهوم ليس واحدا في العصرين ؛ فبينما يعدّ النقد القديم التآثر والتأثير في الشعر سرقة معيبة، ينظر اليها النقد الحديث على أنها طبيعية، بل ربما كانت عامل اغناء كبير في الشعر ؛ لأن حصيلة هذا الفن تلاقح المشاعر والمواقف والأفكار الإنسانية ، وهو لا يفترض السرقة في الشعر أبدا ، لأنه يعتبر الشاعر مسؤولا عن كل حرف يستخدمه . وهو — على أية حال — لا ينظر الى الشعر نظرات جزئية تتوقف عند التقاء شاعرين عند كلمة أو جملة، لأن الشاعر الذي يصدر عن تجربة ذاتية حية لا بد أن يحدث شيئا ما فيها يتأثره، وذلك ليحوّله الى عالمه الخاص المفروض من المواقف الذاتية .
فزهير تصرف بيت امرئ القيس تصرفا يبدو قليلا، لكنه اذا قرن السى السياق كله ونظر اليهما نظرة شاملة، امكن ان يقال ان التجربة الكلية المتكاملة في القصيدة هي التي فرضت مثل هذا التصرف ؛ عندها يفسدو الشعر كله ملك زهير، يحاسب عليه ويحاكم به .

٧٨ — انظر هذين البيتين وغيرهما من الابيات مجموعة في شرح ديوان زهير ١٥ — ١٧ المقدمة.

وأما في المجال الفني فقد أخذوا عليه اضافته (أحمر) الى (عاد) في قوله :

فُتْنَتِجْ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشَامَ كُلِّهِمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فُتْنَتِجِمْ
قائلين : (ان ثمود لا يقال لها عاد ، لان الله عز وجل انما نسب قدارا الى ثمود » (٧٩) كما خطأوا قوله :

يُخْرِجُنْ مِنْ شُرَبَاتٍ مَأْوَاهَا طَحْلٌ عَلَى الْجَذْوَعِ يَخْفَنُ الْغَمُّ وَالْفَرْقَا
قائلين : « ظن ان الضفادع يخرجن من الماء مخافة الفرق (٨٠) »
وهذا خلاف الواقع .

انهم — كما يبدو من تقدمهم لشعره هنا — لا يفرقون كثيرا بين الصدق الحقيقي والصدق الفني . فالشاعر — فنيا — لا يتقيد بسرد الواقع كما كان وانما كما يمكن ان يكون من جهته ؛ ومن هنا لا يعيب زهير ان وضع (عاد) بدلا من (ثمود) ، لانهما في خياله ترمزان الى معنى ذهني واحد هو الشر الرابض في الارض ؛ ومن هنا اصبحت الواحدة تعني الثانية عنده .
كما لا يعيبه ايضا ان خالف المفهوم السائد في تفسير خروج الضفادع من الماء ، لانه وهو ينظم القصيدة التي منها البيت ، اراد هذا التفسير لحاجة خاصة به . فالذي يجب ان يحاسب عليه الشاعر هو مدى ارتباط الجو الذي يستحدثه بدوافعه ومواقفه ؛ اذ لا بأس حينئذ من تحويل الواقع أو استبداله بواقع جديد يخترعه خيال الشاعر وعواطفه . ان عدم وضوح هذا المفهوم في اذهان كثير من النقاد الذين كرسوا زهيراً هو الذي دفعهم الى محاكمته على أساس محاكاة الواقع ، وبالمعنى الحرفي لهذه المحاكاة ، فأخطأوا في احكامهم النقدية عليه .

٧٩ — طبقات فحول الشعراء / ٧٢ والموشح / ٥٦ .

٨٠ — كتاب الصناعاتين / ٧٢ .

هذه صورة متكاملة لزهر الانسان وزهر الشاعر ، وهي صورة تحوي مضمونا واحدا هو « السمو » : فلقد كانت افكاره ومواقفه الاجتماعية تصدر عنه وتهدف الى انجازه على مستوى العصر كله؛ فبالسمو — كما عبر زهير في شعره مرارا — يعرف الانسان موقعه من الحـرب والسلام ، وبه ايضا يدرك ابعاد ايجابيته في تفاعله مع غيره ممن يؤلفون معه وحدة اسمها المجتمع المتكامل . وكان ايضا يطبق السمو في خلقه . ^{٨١}يروى انه كان يقول : ما انا بأشعر من النابغة . (٨١) ويروى ايضا انه كان محبوبا ومحترما ممن عرفه (٨٢) . كما كانت مناهجه في الابداع الفني تتصف بالسمو ايضا ، فاذا وعينا أن السمو الفني يعني النتيجة التي يتوصل اليها شاعر يجتهد في تعمق تجربته واتقان وسائل فنه حتى تخرج، حين تخرج ، وهي صاعدة الى قمم الابداع، ومتجاوزة كل ما قد يسمها بالابتذال والسوقية ، أدركنا كم كان حظ زهير من السمو الفني عظيما .

ان احساسه بصفة السمو في شعره فكرا وفنا هو الذي دفعني لاطلاق لقب (شاعر السمو) عليه ؛ فزهير شاعر متميز باخلاصه لعصره واخلاصه لشعره ، لذا فهو ما زال بحاجة منا الى دراسة جديدة واعية هادفة تستقصي شعره وتستخرج منه كنوزه الثمينة .

د. عبد القادر الرباعي

٨١ - شرح ديوان زهير / ٢٢٦

٨٢ - خزنة الادب / ١٥٠/٤ وذييل الامالي / ٢٣ وديوان كعب بن زهير / ٢٦

ذبولٌ وملاحظات

للمهندس هاتم غنيم

ما كنت أظن أنني سأكتب يوماً معقّباً على قول قائل أو بحث باحث؛
نما بي تتبع السقاط، ومعرفتي بنفسي تمنعني من ذلك * غير أنني طالعت
في العدد الأخير من مجلة المجمع اقتراحاً للاستاذ عيسى الناعوري بشأن
إيجاد مرادف لكلمة « تين ايجرز » الانكليزية ، معلقاً على بحث للدكتور
ناصر الدين الاسد نشرته المجلة في عددها الاول ؛ وكنت أثناء مراجعتي
للبحث هذا دَوّنت ملاحظات لي تتعلق بالمسألة نفسها ، جرياً على عادتي
في كتابة تعاليق هامشية أرجع إليها عند الحاجة ؛ فارتأيت، وقد طرق
الموضوع مجدداً، أن أنشرها، عسى أن تفيد أو تقود الى نقاش يجزّ منفعة .
ثم عزمت على أن أجمع حواشي أخرى كنت ذبّلت بها بعضاً من المقالات
المنشورة في اعداد المجلة ، لعلّ البحث يكون أوسع ، والفائدة اعم ..

وقد توخيت أن أبدأ ببحثي المنشور في العدد الثاني ص ٧٩
(استدراكات على النصوص الشعرية في كتاب « شعراء عباسيون »)
حتى يصدق القول : من ساواك بنفسه فما ظلمك . ولن أعرض للأخطاء
الطباعية التي حرّفت من النصوص المستدركة بعضاً ، فترك تسهّل
معرفتها إما بديهة أو بالرجوع الى المصادر المذكورة ؛ ولكنني سأنشر هنا
نصّين لسلم الخاسر فاتني ادراجهما ، إذ لم أطلع عليهما إلّا بعد أن كنت
أرسلت بحثي للمجلة . والمقطوعتان هما :

١ — تخريجها : كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار (لمحمد بن

عبد المقيم الحميري ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، منشورات مكتبة
لبنان (١٩٧٥) ص ٤٣٧ (من السريع)

- ١ - ان المنيا ، وهي غدارة صادت حسينا ثانيا يوم فتح
- ٢ - اوقد ناراً خائباً ضوؤها لم يُغنِ للايقاد فيها بنفخ
- ٣ - كبيدق لم يحمره شاهد فشَنَجَتْهُ ضربةٌ شاه رخ

ب - تخريجها : غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة
(لبرهان الدين الوطواط ، الطبعة المصورة نشر دار صعب - بيروت)
ص ٢٥٢ (من مجزوء الكامل)

- ١ - يا ايها الملِك الذي اضحى وهّته المعالي
- ٢ - انت المنوّه باسمه عند الملّات الثقال
- ٣ - ثم الذي امواله عند المحامد خير مال
- للبيه درك من فتى ما فيك من كرم الخلال
- ٤ - يحيى بن خالد الذي يعطي الجزيل ولا يبالي
- اعطاك قبل سؤاله فكفك مكروه السؤال
- ملكّ خلا من ماله ومن المروءة غير خال
- واذا رماك بموعد كان النوال مع القال

(بزيادة اربعة ابيات على المقطوعة ٤٠ ص ١١٠)

ثم يجدر بي أن أشير الى أن القطعة (ي) من النصوص التي جمعتها
لسلم تُروى لأبي العتاهية في الاغانى (٨٢/٤) والمستطرف (٧٢/٢) وثمار
القلوب (٣٥) وبهجة المجالس (١٨٥/١) مما يرجح انهاله .
اما الحاشية الثانية فقد تتبعت فيها ما كتب الاستاذ روكس بن زائد

العزيزي في العدد الثاني والعدد المزدوج (٣ - ٤) بشأن كلمتي كيمياء وكهرباء والنسب اليهما ؛ وما جاء في تعليق الدكتور ف . عبد الرحيم عن الكلمة الاخيرة . وانه لمن اللافت للنظر والداعي الى الاستغراب ما استغرقه هذا الموضوع من نقاش وبحث ، بداه منذ اكثر من اربعين عاماً الى انستاس ماري الكرمل ، اذ كتب مقالاً نُشر في الجزء الخامس من مجلة مجمع اللغة العربية المصري ، انهاء بقوله : « انه لم يبق شك في ان الكيمياء والكيمياء من اصح الكلام واقومه واصدقه رواية وموافقة لكلام الفصحاء والبلغاء » . وكان ان اصدر المجمع في الجلسة الخامسة من الدورة السادسة (سنة ١٩٣٨) قراراً نصه : « يقال في النسب الى كيمياء : كيمياءوي وكيمايوي » ، ثم قدّم الامير مصطفى الشهابي بحثاً في النسب الى كيمياء ونحوها من الاسماء الممدودة المعربة الى المجمع نفسه في دورته الخامسة عشرة ، ورات لجنة الاصول آنذاك (سنة ١٩٤٩) انه « يجوز في النسب الى كيمياء اثبات الهمزة وقلبها واواً ، ولكن القلب اولى » . ثم اعيد بحث هذا الموضوع في الجلسة التاسعة من الدورة الخامسة والثلاثين المنعقدة سنة ١٩٦٩ ، وانتهى المجمع المصري الى جواز النسب الى كيمياء باثبات الهمزة ، وبهذا « قطعت جبهة قول كل خطيب » ، واصبحت تخطئة الاستاذ العزيزي للدكتور بدران غير ذات موضوع .

ولو سلطنا عند دراسة النسب الى كلمة كهرباء النهج الذي طرقه المجمع حين توصل الى قراره المذكور ، وقميين بنا ان نفعل ذلك ، لطلق بظننا ان تكون الهمزة فيها لللاحاق (الحائفاً ببرسساء وعقرباء) ، وذلك لاستبعاد كون الهمزة للتانيث ، لان مذهب البصريين يرى هذه متفرعة عن الف التانيث المقصورة ، ومن المحقق ان الالف في كهرباء ليست للتانيث ، وفي هذه الحالة يجوز ابقاء الهمزة او قلبها عند النسب . فلا نقول غضاضة اذن في ان نقول كهربائي ، فلا يمجهها الذوق ، كما نقول كهربوي وكهربايوي

وكلها جائزة .

بعد هذا سأنتطرق الى البحث الخاص بالمقرنسات واصل اشتقاق لفظها . وقد أبعد الاستاذ عيسى الناعوري مرماحين قدر أن أصل المقرنسات من كلمة Corpus اللاتينية ، فالكلمة لا تعني الجسم بل الجسد ، وشتان ماها ؛ كما أن القرنة لاعلاقة لها بالتجسيم ، بل هي معالجة زخرفية لإبراز جمال العنصر الانشائي عند الانتقال من الاتجاه العمودي الى الاتجاه الأفقي ، وتكون عادة ذات شكل مدرّج أو سلّمى ، مكوّن من منحنيات مقعّرة أو مسطّحة . ولكن من أراغ التشابه الصوتي وجده . وهل نستطيع أن نجزم بأن الطاولة والطليّة وكلمة Table الانكليزية ورديفتها الفرنسية ذوات أصل لغوي واحد ؟ .. لذلك فانا الى ترجيح ما جاء فسي التكملة والتأج عن كلمة القرنة أميل * ونحن بمنذوحة عن الاهتمام بالأصل/كان من القرناس أم من أصل اغريقي أو لاتيني . وقد كنت نظرت في أصل كلمة Cornice الانكليزية ، وهي تعبّر عن زخرفات نائثة فوق تيجان العمدان ، فوقفت على أنها اشتقت من الكلمة اليونانية Koronis والتي تفيد الانحناء ؛ أملا يجوز أن تكون هذه أصلا للمقرنسات ، كما تكون كلمة Curvus اللاتينية ، والتي تفيد الانحناء أيضا ، أصلا للمقرنسات ؟ ولعل اختلاف اللفظين يفسّر اختلاف اللفظ بين المشاركة والمفاربة . .

واختتم هذه الملاحظات بما جاء في الاقتراح المقدم من الاستاذ عيسى الناعوري عن استعمال كلمة (عَشْرِينَ) كمراذف للكلمة (تين ايجرز) الانكليزية . والكلمة المقترحة لا شك خفيفة الوقع تتقبّلها الأذن ، ولكنها لا تماثل الانكليزية تماما . فهذه الأخيرة تشمل الأعمار من ١٣ الى ١٩ سنة ، في حين تشمل الكلمة المقترحة من هم بين العاشرة والثالثة عشرة أيضا . وليست العبارة هنا في زيادة الشمول أو نقصه ، ولكن المرحلة المعنوية

بالكلمة يقصد بها مرحلة تكوينية ونفسية خاصة ، لا يمكننا ادراج من هم في العاشرة مثلا ضمنها . واللغة العربية واسعتا ويمكننا ان نجد اكثر من كلمة تلائم هذه المرحلة ، مثل يَعمَة ومراهقين . وانا لا اجد ضرورة للترام كلمة رقميّة كي تعبّر عن مرحلة من النضج ، إذا امكنا التعبير عنها بكلمة وصفية توضّحها .

ثم يتطرق الاستاذ الناعوري الى انه « يمكن ان يقال لمن هم في سن العشرينات او الثلاثينات : العشرينيون او الثلاثينيون .. الخ » بينما يذكر ابن سيدة في المخصص (د ١٧ / ١١٨) في باب النسب الى العدد أنك « إذا نسبت الى عشرين تقول هذا عِشْرِيّ وثلاثيّ الى آخر العدد .. » وانما فعلوا ذلك لئلا يجمعوا بين إعرابين . اما اذا اردت النسب الى ثلاثة فتقول ثُلَاثِيّ . وربما دفعنا هذا للانتهاء الى ان الاصح ان نقول : « سنوات عِشْرِيّات وثلاثِيّات » بدلا من السنوات العِشْرِينِيّات والثلاثِينِيّات ، رغم ما ذكره الدكتور الاسد في مقاله عن قرار مجمع اللغة العربية المصري بهذا الصدد .

أرجو ألا أكون اطلت وإبرمت ، كما أرجو ألا أكون فرّطت أو انرطت ، وعذري في ذلك حبي لهذه اللغة الشريفة ، وقانا الله من السرف والشطط ، والله من وراء القصد .

المهندس حاتم غنيم

عَشْمَرُون مَقَابِل (تين ايجرز)

جلب نظري تعليقاتكم على لفظ « تين ايجرز » وقترأكم «عشريون» لها ؛ لا بأس به قياسا على العشرينيين والثلاثينيين (العشرينيون أو الثلاثينيون) وشيخ ثمانيني أو تسعيني .

لكن جلب نظري ايضا أن « تين ايجرز » تختلف ، فبعد العشرين ، حتى في اللغات الاجنبية هنالك شبه اتفاق مع العرييات كما في twenties أو thirties ، الخ .

وحين قُلبت صفحة المجلة قرأت تعليق الدكتور خيري الصفيـر النحتي، فعاد فكري الى teenagers للتؤ بسؤال لماذا لا ننحت من — عشر teen — التي تتكرر (في طمشر الاردنية السورية الفلسطينية) ومن age « عمر » لنحصل على عشمري ؟ وال teenagers هم العشمريون — ترفع وتجر وتنصب كما في جمع المذكر السالم .

فالكلمة حلوة ومع التكرار ستجري على اللسان بمقبولية ، ثم انها على وزن عَشْمَرِيٍّ — من يركب راسه في الحق والباطل، لا يئالي ما صنع أو من يأتي الامر من غير تثبت — (١)

وكلتا الصفتين، كما ترون، ليست غريبة (أو ليستا غريبتين ان شئت) عن واقع «العشمريين» . . .

أحمد الخطيب

حول كتاب "حساب التفاضل والتكامل"

للدكتور حسن الكرسي

نظرت نظرة سريعة في هذا الكتاب ، ولي المام لا بأس به بهذا البحث من الرياضيات . وفيما يلي بعض الملاحظات :

١ - كلمة "الاقتران" لترجمة كلمة Function غلط ، لان Function في الاصل معناها كمية تابعة ، ثم صارت بمعنى معادلة فيها كيتان ، احدهما Independent Variable أي متغير وهو الثانية Dependent Variable أي تابعة أو لازمة ؛ ومثال ذلك : $y = 3x$ فان (س) هو ال Variable و (ع) هو ال Dependent Variable . فبين الكيتين تلازم وليس تقارن . واستعمال التقارن في هذه العلاقة غلط . والتقارن في الزواج والفلك معناه الاجتماع ، كالتقارن بين الاصدقاء ، وأين معنى التلازم في هذا ؟ ونظرة الى القاموس ، في مادتي (قرن) و (لزوم) تكفي لايضاح الفرق .

٢ - كلمة (نهاية) لترجمة Limit غلط ، لأن معنى Limit في حساب التفاضل والتكامل هو الحد الذي تؤول اليه نسبة ما عند الاقتراب من كمية ، كالصفر او ما لا نهاية ، وهذا لا يحتاج الى زيادة تعريف . فمعنى Limit هنا وفي نسبة التفاضل مثلا $\frac{dy}{dx}$ هي كمية هذه النسبة في مآلها إذا اقتربت الكمية المتغيرة من قيمة معينة ، وهي الصفر هنا . وفي الانكليزية فرق بين end و Limit .

٣ - لا حاجة الى استعمال (ظل) عند الكلام على مماس الزاوية في

مثلث قائم الزاوية ، لأننا لو رسمنا دائرة على هذا المثلث وكان أحد الضلعين القائمين نصف وتره واعتبرناه بأنه يساوي (١) ، لكان الضلع الثاني المقابل للزاوية مماساً . وأنا اقترح استعمال مماس للطرفين ، ولو أن العرب قديماً استعملوا الظل .

٤ - جيب التمام وتمام الجيب واحد ، وكذلك قاطع التمام وتمام القاطع ، وهكذا . فتمام الجيب هو (تجيب) ولا حاجة الى (جتا) المصرية ، ولا الى امثالها مثل : ظنا .

٥ - يوجد تناف في المصطلحات بين ما هو مذكور في متن الكتاب وما هو مذكور في جدول المصطلحات الملحق بالكتاب ، ويكفي أن أورد بعض الأمثلة :

Discontinuous مستعملة (منفصل) في الكتاب و (منقطع) في الجداول . Intermediate مستعمل (وُسطى) في الكتاب و (متوسطة) في الجداول .

٦ - لا يوجد تساوق بين المصطلحات ؛ فكلمة Series مذكورة بكلمة (متتالية) ثم ذكرت (متسلسلة) في مقابل Series Solution .

٧ - ترجمة كلمة Elliptic بكلمة (ناقصي) على أساس القطع الناقص ، خطأ ، وكان الأفضل أن يقال اهليلجي .

٨ - لم اجد فرقاً بين Compound و Complex ، ولا بين Inverse مثلاً و Opposite او Reversed ؛ وInverse هو المنكوس وليس المنكوس .

٩ - كلمة Interval مترجمة بكلمة (فترة) وهذا غير صحيح

أما ما جاء في المجلة من تسوينغ بعض الاستعمالات العامية ، فإن الأمر لا
يجوز بالتصويت .

وأهم شيء هو السعي لتحديد معاني الكلمات العربية ، وإزالة التشويش
في القواميس العربية ؛ وهذا ما فعلته في قاموسي (الهداية) الذي سيصدر
عن قريب بأذن الله .

حسن سعيد الكرعي

حول كتاب "حساب النفاضل والتكامل"

د. الدكتور أحمد سعيدان

لقد اتيت لي أن التقي بالاستاذ أبي زياد ، الصديق المخضرم ، في عمان ، وإن أبحث بشيء من التفصيل في أمر تعليقاته ؛ ولكن بما أن المجمع قد رأى نشر هذه التعليقات فمن حق القراء عليّ ، ومن حق زملائني المترجمين ، أن أقدم ردي للنشر ، ولو من قبيل « قول على قول » الذي به اشتهر صديقنا أبو زياد .

١ — كلمة Function ، بمفهومها الحديث في الرياضيات ، تتضمن بالضرورة تناظراً بين متغير رئيس ومتغير آخر ، أو متغيرات . فترجمتها بالاقتران لا غلط فيها . ولعل الأستاذ أبا زياد يقلل من وصف الترجمة بأنها غلط ، كان يقول : إنها غير موفقة ، مثلاً . والمصطلحات العلمية ، كالمفاهيم ، يعترئها مع تطور المعرفة تغيرات في الدلالة ، فما كانت تتضمنه كلمة Function قبل خمسين عاماً غير ما تتضمنه اليوم . لهذا نرى أن المصطلح العلمي إنما هو من قبيل التسمية : تسمى المفهومة باسم ما ، فيكون هو المصطلح ، ثم تحدد صفاتها وخصائصها ، فتصبح هي صفات المصطلح وخصائصه . أما الاسم ذاته فقد يدل على هذه الصفات ، كلها أو بعضها ، وقد لا يدل على أي شيء منها .

٢ — كلمة Limit ترجمت في العراق بكلمة « غاية » ، وترجمت في سائر العالم العربي بكلمة « نهاية » ، وما من (غلط) في أي من الترجمتين ، فكلها اسم لمفهومة تحدد صفاتها وخصائصها في سياق

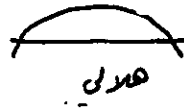
البحث ؛ والاسم يوحى بأكثر هذه الصفات . ولعل كلمة « مآل » اقرب الى المعنى المقصود من النهاية والغاية . ولكن لم يستعملها أحد ، على ما نعلم ، كاصطلاح يقابل كلمة Limit

٣ ، ٤ — أبو زياد جافاه التوفيق في امر الظل والمماس : فنحن نفهم أن يكون للمنحنى مماس ، ولا نفهم كيف يكون للزاوية مماس . أما ظل الزاوية فاصطلاح علمي لمفهوم معروف ، بينه وبين ظلال الاشياء علاقة وثيقة . وهو اصطلاح عربي أصيل يدل على مفهوم أخطأ الغربيون فهمه ، فسموه Tangent ، واليوم يريدنا أبو زياد أن نقع في الخطأ ذاته ، وندير ظهورنا للاصطلاح العربي .

وكذلك جافاه التوفيق في امر جيب التمام وتمام الجيب . هنالك تمام واحد هو تمام الزاوية ، أي متممها الى ٩٠° . وللزاوية جيب هو جا ، ولتمامها جيب هو جيب التمام جتا . أما « تجيب » الذي يقترحه أبو زياد فلفظ - وليسمح لي باستعمال لفظ نهيت عن استعماله - ذلك ان «تجيب» توحى بالتجيب، بتشديد الياء ؛ وما في الاصطلاح شيء من هذا القبيل .

٥ ، ٦ - مايسميه الاستاذ الكرمي تنافير في المصطلحات . إنما هو ترادف ؛ فكلمة discontinuous ، مثلاً، تترجم الى منفصل أو منقطع . لذا قد رأينا أن نستعمل اللفظين بمعنى واحد ، والزمن كفيل بأن يقتصر منهما ما يقر ، ويزيل ما يزيل . ومثل هذا ينطبق على متسلسلة ومتتالية .

٧ — كلمة elliptic ترجمت الى ناقصي، لأن العـرب سَمّوا ال ellipse بالقطع الناقص، فترجمنا elliptic و ellipsoid بالناقصي . وإذا كان أبو زياد يصف هذا الاصطلاح بأنه خطأ ، فبماذا نصف الاهليلجي؟ هل الاهليلجي يحمل لقارئ اليوم أي معنى من المعاني ؟ لقد استعمل العرب الهلالي والاهليلجي للدلالة على شكلين كالتاليين يحدهما قوسا



دائرتين

وواضح أن ليس أي منهما مماثلاً للشكل البيضوي الذي نسميه

• ellipse أو elliptic

٨ — نوافق أبا زياد في أننا لم نفرق بين Compound و complex ،
وبين اصطلاحات أخرى متقاربة . أننا إنما بدأنا السير في طريق طويل
شاق ، ولا ندعي أننا بلغنا نهايته ، أو أن محاولتنا بلغت الكمال . فما لم
نبلغه في أول الطريق سيبلغه غيرنا فيما بعد .

٩ — كلمة "فترة" أردناها أن تكون اصطلاحاً رياضياً ، يشمل الفترة
الزمانية والفسحة المكانية ، ويتجاوزهما إلى أي قيمتين مقيستين أو غير
مقيستين ، مما يتخذ المتغير من قيم .

وفي الختام أرجو أن يجد الصديق أبو زياد في ردي من المتعة مثل
ما أجد في تعليقاته .

المكتور أحمد سعيدان

حول كتاب ”مُصطلحات التجارة والإقتصاد والمصارف“ للاستاذ عبد الرزاق الجزار

لقد اكملت قراءة كراس (مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف)
الذي أصدره مجمعكم الموقر ، وقد وجدت انكم ترحبون بكل ملاحظة أو
تصويب يصل اليكم ، كما ورد في الصفحة الثانية من المقدمة حيث ذكرتم
بالنص :

(واننا لنرحب بكل ملاحظة أو تصويب أو تعديل يصل الينا) .
وعلى الرغم من اهمية الجهود المشتركة الموفقة التي بُذِلَتْ في سبيل
إصدار هذا الكراس ، إلا أنني أرى (وقد أكون مخطئا فيما أرى) أن بعض
المصطلحات العربية المستحدثة إزاء المصطلحات الانكليزية تتطلب تبديلا
أو تعديلا .

ولي الشرف العظيم أن احصر هذه الملاحظات بالضيمة المرفقة طيا .
أملأ أن أكون قد اسهمت في تلبية ندائكم الكريم المنوّه به في اعلاه ،
خدمة للفتنة العربية الشريفة ، لغة القرآن الكريم .
والله الموفق .

١ - إن أول ما يلفت الأنظار هو عنوان الكراس ، اذ ورد باسم
(مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف) . فقد أوردتم التجارة
وعطفتم عليها الاقتصاد ؛ وكلتا الكلمتين مصدر للفعلين (تجر)
و (اقتصد) ، ثم عطفتم عليهما كلمة المصارف ، ويدلّ بناؤها على
أنّها جمع (مصرف) ؛ وكان الأحرى أن يعطف عليهما (الصيرفة) أو
(الصرافة) ، أي ايراد صيغة المصدر لا صيغة الجمع .

٢ - نلاحظ أنه طُبِعَ على الغلافين الخارجي والداخلي تاريخ اصـدار
الكراس . فقد ذكر تاريخ صدوره أو تاريخ طبعه في شهر جمادى
الثانية سنة ١٣٩٩ هـ . ولم يرد في كتب العربية هذا الشهر بهذا
الاسم . اذ تذكر لنا المعجمات العربية المعتمدة أن اسمه (جمادى
الآخرة) وليس (جمادى الثانية) .

٣ - وقبل أن افارق غلاف الكراس الجميل ، هنالك ملاحظة أخيرة ؛ فقد
طبع عليه اسم (المملكة الاردنية الهاشمية) و (مجمع اللغة
العربية الاردني) . وكلتاها وردتا بتخفيف النون . والصواب أن
تكون نونهما مشددة ، على أرجح الأقوال .

قال أبو دَهْلَبَ بن مُرَيْع بن كَعْب بن سعد :
حَنَنْتُ قَلُوصِي أَمْسٍ بِالْأَرْدَنِ حَتَّىٰ فَمَا ظَلَمْتُ إِنْ تَحَنَّىٰ

الخ ..

الصفحة (٢٧)

٤ - (شرط أو فترة التعجيل) المصطلح Acceleration Clause بدلا

من (بند التسارع) ؛ لان البند كلمة ليست بعربية ، بل هي فارسية ؛
وان وردت في معجمات اللغة العربية المعتمدة ، فتعني المعلم الكبير .
أمّا تفضيلي : التعجيل على التسارع ، فعلى الرغم من أن كلتا
الكلمتين عربيتان ، فالمعنى المؤدّى من التعجيل اقرب الى المقصود .

٥ — (كمبالة مجاملة) Accommodation Bill ولا أرى لزوما لذكر
إعادة التوقيع بازائها ، لأن ما ينصرف إلى الأذهان
من المصطلح الانكليزي موضوع البحث باللغة العربية هو كمبالة
مجاملة .

٦ — مدير — وصي على تركة — وكيل التفليسة — لمصطلح Administrator
بدلا من اقتصارها على وكيل التفليسة
الصفحة (٢)

٧ — (سيارة مدرعة) لمصطلح Armoured Car بدلا من (سيارة
مصفحة) . وخاصة أن ذلك منصوص عليه في المعجمات العسكرية
المعتدة .

٨ — (مراجعة الحسابات) لمصطلح Audit بدلا من (تدقيق
الحسابات) وخاصة أن الأوساط الحسابية في معظم البلاد العربية
تستعمل كلمة (مراجعة) بهذا المأل . أما تدقيق الحسابات فيقابلها
باللغة الانكليزية مصطلح check
الصفحة (٥)

٩ — دين ميت — دين هالك لمصطلح Bad Debt ، وقد آثرت ذكر
مصطلح عربي ثان (ميت) لكثرة شيوعه في الأوساط التجارية
والاقتصادية والحسابية من جهة ، ولتطابق المعنى المقصود مع
هذا المصطلح .

الصفحة (٦)

١٠ — (رواج) لمصطلح Boom بدلا من (طفرة اقتصادية) .
الصفحة (١٠)

١١ — (صك حاجز) أو (الصك الحاجز) بدلا من (صك الحاجز) لمصطلح
Counter cheque

١٢ - (موظف حاجز) أو (الموظف الحاجز) بدلا من (موظف الحاجز)

لمصطلح Counter Clerk

١٣ - شرط استعمال القوارب وما يماثلها، لمصطلح Craft and sea clause

بدلا من شرط الصندل (الماعون) الذي ينفلق فهمه على معظم المواطنين في البلاد العربية .

الصفحة (١٣)

١٤ - انخفاض سعر العملة - استهلاك الأصول - استهلاك - لمصطلح

Depreciation . ولا أرى موجبا لذكر كلمة استهلاك الأصول .

لان الاهتلاك ينسحب الى معنى آخر لايتفق والمصطلح الانكليزي .

الصفحة (١٥)

١٥ - وفور خارجية- لمصطلح External Economics ، بدلا من (وفورات

خارجية) لان مفردتها (وفر) وجمعها وفور لا وفورات .

الصفحة (٢٩)

١٦ - المصغر الفيلمي لمصطلح Microfilm بدلا من (ميكرو فلم) . لانكم

باستعمالكم نفس المصطلح الانكليزي ، كأنكم لم تضعوا مصطلحا

يقابله بالعربية او هو قريب منها .

الصفحة (٣١)

١٧ - كِسْفَة أو بَتْكَة - لمصطلح Scrap بدلا من (خردة) التي هي كلمة

فارسية صرفة .

الصفحة (٣٢)

١٨ - (فرق بين سعرين) - لمصطلح Spread ؛ تلاحظون انها مكونة من

مجموع كلمات أقل من مجموع الكلمات الموضوعة من قبل المجمع
(الفرق بين سعر البيع والشراء) وتؤدي الى المعنى المقصود .

الصفحة (٣٤)

١٩ - اذون خزينة - حوالات خزينة - لمصطلح Treasury Bills لان بعض الاقطار العربية اعتادت على استعمال المصطلح العربي الثاني لها . واني اميل الى ترجيح الحوالات على الاذون لالتصاقها بالمعنى المقصود .

٢٠ - (اموال ائتمان) - لمصطلح Trust Funds ولا ارى اتحام (الوقف) كمراذف لها . لان الوقف له احكامه في الشريعة الاسلامية ، ولا يوجد في القوانين الوضعية ، بحيث ان المعنيين في القضايا العامة اقتصروا على ترجمة كلمة وقف الى اللغة الانكليزية بنفس لفظها العربي (wakf)

اكتفي بايراد هذه الملاحظات المتواضعة ، وهي حصيلة دراسية سريعة لمصطلحات الكراس ، قد اكون فيها مصيبا ، وقد اكون مخطئا ؛ فاذا اصبحت فلي اجران ، اما اذا كنت مخطئا فلي اجر واحد كما يقول الفقهاء .

آمل أن اكون قد اسهمت في تلبية النداء الموجه منكم بخصوص ابداء المقترحات.

وتفضلوا بقبول فائق تقديري واحترامي .

عبدالرزاق الجزار

مصطلح "حاجز للخدمة" مقابل (كاونتر)

كان مجمع اللغة العربية الاردني في احدى جلساته عام ١٩٧٩ قد
رّ استعمال مصطلح « حاجز للخدمة » مقابل المصطلح الانكليزي
Counter ، وقد عممه وزير المواصلات السابق ، الزميل الدكتور سعيد التل ،
على دوائر البريد لاستعماله بدلا من المصطلح الاجنبي ، كما كتب بذلك الى
الاتحاد البريدي العربي . وقد اعترضت على هذا المصطلح وزارة
المواصلات العراقية الشقيقة ، وكتبت بذلك الى الامانة العامة للاتحاد
البريدي العربي ، ونقل الاتحاد اعتراضها الى الاردن ، ووصل الى
المجمع .

وفي ما يلي صيغة الاعتراض العراقي ، ننشرها لاجل تبادل الآراء في
الموضوع ، توصلا الى المصطلح الاصح :

آد ٩٢/١٢/١

الامانة العامة للاتحاد البريدي العربي

٥٢ نهج ابن شرف — تونس — الجمهورية التونسية

م / استخدام عبارة (حاجز للخدمة) بدلا من كلمة (كاونتر)

تحية طيبة ،

يشرفنا الاشارة الى نشرتم المرقمة ٧٩/٣٧ والمؤرخة في ١١/١١/١٧٩

بخصوص استخدام عبارة (حاجز للخدمة بدلا من كلمة كاونتر) التي أقرها
 مجمع اللغة العربية الاردني، ولدى دراستنا لهذه التسمية الاردنية من
 الجوانب الواقعية والفنية واللغوية وجدنا أن لفظة (حاجز) لا تنطبق
 على المعنى الواقعي (العملي) واللغوي للتركيبات المشيدة أو المنصوبة
 كمواقع لاداء الخدمات البريدية في مداخل المكاتب البريدية، أو ما يطلق
 عليها تسمية (شبك أو شبابيك البريد) ؛ ذلك لأن هذه التركيبات
 المستطيلة غالبا ما تقسم الى عدد من النوافذ (شبابيك) لتؤدي كل
 نافذة منها خدمة من خدمات المكاتب، حسبما يهيئه تعدد الخدمات وحجمها.
 وعلى ذلك فإننا نسمي النافذة باسم الخدمة التي تؤدي عليها، فنقول:
 (نافذة أو شبك الطوابع) ، و (نافذة أو شبك المسجلات) ، و (نافذة أو
 شبك التوفير) . إذن فإن هذه التركيبات ليست مجرد حاجز أو حواجز
 بين موقع وموقع، أو بين موظفي الخدمات البريدية وطالبي الخدمات ، بل
 انها أجهزة مركبة ومعدة لاداء الخدمات من الموظفين ، الى المواطنين ..
 وهذا هو البعد العملي والواقعي لها .. ومن الناحية اللغوية فإن جملة
 شبك البريد بالانكليزية Post Office counter أفرزت التسمية
 اللاتينية المختصرة (كاونتر Counter)، وشاعت على السن الموظفين
 البريديين العرب اقتباسا من زملائهم الأجانب الذين كانوا يعملون في إدارات
 البريد العربية في بدايات تأسيسها وعندنا في العراق، ومنذ فترة عريق هذه
 التسمية بعد الرجوع الى جذورها اللاتينية والعربية، فأطلقنا على
 التركيبات المستطيلة التي تنظم مجموعة شبابيك الخدمة البريدية باسم
 (المحسب)؛ وهي ترجمة حرفية ومعنوية ومشتقة من الكلمات (حساب
 account) و (محاسبة accounting) و (محسب / شبك بريد
 Post Office counter) وعليه فإن التسمية (المحسب) التي
 نستخدمها في العراق هي التسمية الواقعية واللغوية لهذه التركيبات التي
 تكون شبابيك البريد في المكاتب، وإن التسمية الاردنية (حاجز) أو (حاجز

للخدمة) لا تنطبق على الواقع عمليا ولنويا، فالحاجز بالفرنسية
obstacle/ Barriere/ Barraie هو السد / المانع / العائق .

راجين التفضل بالاطلاع، وتعميم هذه التسمية على الادارات البريدية
الأعضاء في اتحادنا البريدي العربي .

ننتهز هذه المناسبة لنعرب لكم عن أطيب أمانينا .

المدير العام

لهيئة البريد

نزار توفيق محمد

تعليق المجمع

ويرى المجمع أن المصطلح الذي تقترحه وزارة المواصلات العراقية
— وهو : المحسب — كان يصح لو أن الحاجز — أو الكاونتر — كان
للحسابات أو للمحاسبة ، ولكنه في الواقع ليس كذلك ؛ بل هو لتأدية
خدمات متعددة للمواطنين : من بيع الطوابع ، الى البرقيات ، الى معاملات
التوفير البريدي ، الى تسليم الرسائل المسجلة ، الى تسليم الطرود ،
إلى أمور أخرى متعددة . ومن هنا كان اقتراح المجمع استعمال مصطلح
« حاجز الخدمة » لشمول كل الخدمات التي يؤديها موظفو الحاجز
للجمهور .

والمجمع يرجو أن يعرف رأي المجمع الشقيقة في هذا ، لتوحيد
المصطلح في العالم العربي ، بدلا من الاستمرار في استعمال المصطلح الاجنبي
الذي لا مبرر له .

(المحرر)

أعضاء مؤازرون في مجمع اللغة العربية الأردني

قرر مجلس مجمع اللغة العربية الاردني في اجتماعه السابع والاربعين ، الذي عقده مساء يوم الاحد ٢٩/٤/١٤٠٠ هـ . الموافق ١٦/٣/١٩٨٠ م . تعيين أعضاء مؤازرين للمجمع من البلدان العربية الشقيقة ومن المستشرقين البارزين .

وكان المجمع العلمي العراقي قد قرر من قبل تعيين جميع أعضاء المجمع الاردني أعضاء مؤازرين فيه ، توثيقا للروابط العلمية والاخوية بين المجمع العربية . وراى المجمع الاردني اتخاذ خطوة مماثلة ردًا للتحية العراقية بمثلها ، فقرر تعيين جميع أعضاء المجمع العراقي الشقيق أعضاء مؤازرين فيه ، وعددهم (٣٧) عضوا ، وبذلك بلغ عدد الاعضاء المؤازرين الذين عينهم المجمع الاردني بموجب قراره رقم (٢٨٠٠٠٦) تاريخ ١٦/٣/١٩٨٠ م ستة وخمسين عضوا ، وهذا هو القرار : —

القرار رقم (٢٨٠٠٠٦)

بناء على تنسيب المكتب التنفيذي الخطي ، واستنادا الى الفقرة (ب) من المادة (٩) من قانون مجمع اللغة العربية الاردني رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م ، قرر مجلس المجمع ما يلي :

١ - تعيين جميع اعضاء المجمع العلمي العراقي التالية اسمائهم
اعضاء مؤازرين في المجمع الاردني :

١ - الدكتور سعدون حمادي	٢٠ - الشيخ محمد الخال
٢ - محمود شيت خطاب	٢١ - ضياء شيت خطاب
٣ - عزيز عقراوي	٢٢ - الدكتور جوامر مجيد سليم
٤ - الدكتور احمد سوسة	٢٣ - الدكتور علي المياح
٥ - الدكتور مسارع الراوي	٢٤ - يوسف خيدو البازي
٦ - الشيخ عبد الكريم المدرس	٢٥ - الدكتور جميل الملائكة
٧ - محمد بهجت الاثري	٢٦ - الدكتور يوسف عز الدين
٨ - موسى عبد الصمد	٢٧ - الدكتور جمال محمد صالح
٩ - طه باقر	٢٨ - الدكتور زكي صالح
١٠ - الدكتور يوسف حبي	٢٩ - الدكتور علي عطية عبدالله
١١ - الدكتور محمود الجليلي	٣٠ - الدكتور جابر الشكري
١٢ - الدكتور ناجي عباس احمد	٣١ - الدكتور حسن كتاني
١٣ - الدكتور منذرابز هيم الشاوي	٣٢ - الدكتور نجيب خروفة
١٤ - الدكتور جواد علي	٣٣ - ميخائيل عواد
١٥ - الدكتور جميل سميد	٣٤ - الدكتور نوري القيسي
١٦ - الدكتور عبد العال الصكبان	٣٥ - الدكتور فخري محمد صالح
١٧ - الدكتور عبد العزيز البسام	الدباغ
١٨ - سنحاريب (زكا) عيواص	٣٦ - الدكتور كامل حسن البصر
١٩ - كوركيس عواد	٣٧ - اندراوس حنا .

٢ - تعيين السادة التالية أسماؤهم من علماء الأقطار العربية
الشقيقة ومن المستشرقين الغربيين ، أعضاء مؤازرين كذلك في المجمع :

١ - الدكتور عدنان الخطيب	مجمع دمشق
٢ - الدكتور شكري فيصل	مجمع دمشق
٣ - الدكتور محمد هيثم الخياط	مجمع دمشق
٤ - الدكتور علي محمد خسرو	رئيس المجمع العلمي الهندي
٥ - الأستاذ أبو الحسن الندوي	عضو المجمع العلمي الهندي
٦ - الدكتور مختار الدين أحمد	الأمين العام للمجمع الهندي
٧ - الدكتور أحمد محمد سليمان	استاذ في كلية الطب / الجامعة الأردنية
٨ - الأستاذ حمد الجاسر	من المملكة العربية السعودية
٩ - الدكتور ابراهيم السامرائي	من العراق
١٠ - الأستاذ أبو القاسم محمد كرو	من تونس
١١ - الأستاذ محمد مزالي	من تونس
١٢ - الأستاذ محمود المسعدي	من تونس
١٣ - الأستاذ خليفة محمد التليسي	من ليبيا
١٤ - الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح	من الجزائر
١٥ - الأستاذ عبد الحميد المهري	من الجزائر
١٦ - الدكتور عبد الهادي القازي	من المغرب
١٧ - الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	من المغرب
١٨ - المستعرب الأستاذ جاك بيرك	من فرنسا
١٩ - المستعرب الأستاذ بيدرو مارتينيث مونتافيث	من اسبانيا

٣ - وتلقى المجمع بعدئذ من المجمع العلمي العراقي الشقيق ، أنه تم تعيين أربعة أعضاء جدد فيه ، هم :

الدكتور احمد عبدالستار الجواري

الدكتور احمد ناجي القيسي

الدكتور محمد حسن آل ياسين

الاستاذ محمد تقي الحكيم

فقرر المجلس في اجتماعه التاسع والاربعين ، والذي عقده بتاريخ

١٢/٦/١٤٠٠ هـ الموافق ٢٧/٤/١٩٨٠ م . تعيين هؤلاء الاعضاء الاربعة

اعضاء مؤزرين فيه ، وابلغهم ذلك خطياً .

مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته السابعة والأربعين

عقد مجمع اللغة العربية الشقيق في القاهرة مؤتمره السنوي في دورته السادسة والأربعين ، وذلك من ٣ الى ٣١ آذار - مارس - ١٩٨٠ . وقد ناقش المجمع ، جريا على عادته في كل دورة من دورات مؤتمره السنوي ، مئات المصطلحات الفنية والعلمية الحديثة ، وأصدر عددا من القرارات في أصول العربية وتيسير النحو والاملاء . . .
وخلال المؤتمر القيت بحوث في لغة المسرح الحديث ، وفي قضايا الشعر العربي المعاصر .

وقد وعد الزميل الدكتور عدنان الخطيب بأن يوافينا ، كالعهد به ، بتقرير واف عن وقائع المؤتمر ، نرجو أن ننشره في حينه .

شفيق جبري في ذمة الله

يوم الأربعاء ١٩٧٩/١٢/٢٣ فقدت سوريا علما من اعلام الشعر والأدب ، ودرعا من دروع اللغة العربية ، بفقد شاعر الشام وأديبها الكبير شفيق جبري ، كما فقد مجمع اللغة العربية في دمشق عضوا بارزا من أعضائه العالمين المجلّين . وقد نعاه مجمع دمشق ، ووزارة التعليم العالي ، وأسسة التعليم في جامعة دمشق ، ووزارة الثقافة والإرشاد القومي ، واتحاد الكتاب العرب في دمشق .

ولد شفيق جبري في حي القنوات في دمشق سنة ١٨٩٨ ، في بيت دمشقي عريق ، ونما وترعرع في دمشق ، وفيها نمت شاعريته . وقد عمل في سلك الحكومة ، وفي وزارة التربية والتعليم ، كما كان عميدا لكلية الآداب في الجامعة السورية — جامعة دمشق اليوم — من سنة ١٩٤٧ الى سنة ١٩٥٨ . وعين عضوا في مجمع دمشق ، وظلّ يكتب في مجلته ويشارك في نشاطاته العلمية حتى في شيخوخته . وقد تجاوز من العمر اثنين وثمانين عاما وظلّ في وحدته وشيخوخته يقيم في منزله في بلودان صيفا وشتاء .

وعلى الرغم من أنه نظم الكثير من القصائد ، فإنه لم يجمع شعره في ديوان ، ولكنه ترك لنا الكثير من المؤلفات النثرية ، منها :

الجاحظ معلم العقل

بين البحر والصحراء

دراسة عن كتاب الأغاني

محاضرات عن محمد كرد علي

أرض السحر (رحلة)

أنا والشعر

أنا والنثر

لقد فقدت المجامع اللغوية العربية بفقده مجعها هذا ، أحب اللغة العربية عمره ، ودافع عنها بشعره ونثره .

ومجمع اللغة العربية الاردني يشارك شقيقه المجمع الدمشقي ، كما يشارك الشعب السوري الشقيق في مشاعر الاسى على الزميل الراحل • وقد بعث رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفة بهذه المناسبة ببرقية التعزية التالية :

الدكتور حسني سبح ، رئيس مجمع اللغة العربية

دمشق — سوريا

علمنا متأخرين برحيل الزميل المرحوم شقيق جبري . . فباسم المجمع الاردني واسمي ابعث اليكم بأحر التعازي ، متمنيا لكم وللزملاء جميعا في المجمع الدمشقي الشقيق طول العمر وخصب الخطاء ، وللفقيد الغالي رضوان ربه ، ولذويه الصبر والسلوان .

رحمه الله واجزل ثوابه .

وانا لله وانا اليه راجعون .

رئيس المجمع

الدكتور عبد الكريم خليفة

البطريرك يعقوب الثالث

والدكتور ميشيل خوري

في ذمة الله

وفقد مجمع دمشق أخيراً عضوين آخرين من أعضائه العاملين ، ما

البطريرك يعقوب الثالث

والدكتور ميشيل خوري

ومجمع اللغة العربية الاردني يتقدم الى المجمع الدمشقي الزميل بالمشاركة
القلبية على خسارة هذين الزميلين الكريمين ، رحمها الله ؛

وحين يسقط واحد من أعضاء المجامع اللغوية ، تخسر اللغة العربية
عاملاً نشيطاً مخلصاً من ابنائها البررة ، العاملين على عزتها ورفع شأنها ،
وجندياً مناضلاً في ميادينها .

عوض الله المجمع الدمشقي الزميل عنها خيراً ، ليستمر في مسيرة
الخير التي سار على دربها ستين عاماً أو أكثر ، لم يعرف غير الجهاد المتواصل
من أجل خدمة اللغة العربية .

... 19 ...

1. *Chlorophyll a* and *Chlorophyll b* were determined by the method of Arar and Collins (1971).

100

المطبخ

677 F. 2d 1111

100

دفع مجلس الجمع من مناقشة المصطلحات التالية واقرارها . بعد أن
ناقشتها اللجنة المصطلحات العامة ، ولجان الخبراء ، وهي :

١١ - مصطلحات الأرصاد الجوية

٢٢ - المصطلحات الزراعية

٣٣ - مصطلحات التأمين على الحياة

وستصدر مصطلحات الأرصاد الجوية ، والمصطلحات الزراعية في
كتابين مستقلين ، وأما مصطلحات التأمين على الحياة فنشرها في ما يلي :

مصطلحات التأمين على الحياة

كما اقترحها مجلس الجمع

المصطلح الإنجليزي	المصطلح العربي	التعريف
Actuary	خبير التأمين	خبير فني في التأمين على الحياة وعلم الرياضيات منها ويرجعه خالص ..

المصطلح الانجليزي	المصطلح العربي	التعريف
Adverse Selection Anti-Selection.	الاختيار المعاكس	الاختيار في غير صالح الشركة ، ويتمثل في اقبال ذوي الوضع الصحي السيء ، على شراء تأمين جديد ، أو الاستمرار في تأمين قديم ، أو اعادة مريان وثيقة التأمين المتوقعة .
Beating The Slump	انعاش	التغلب على حالة التراخي والحوول التي تصيب الوكيل /البائع في فترات معينة .
Business Insurance	تأمين العمل	للتأمين لمصلحة العمل ، مثلا التأمين على حياة كبار الموظفين، وتأمينات أرباب العمل لعمالهم .
Call Reluctance	عزوف عن الاتصال	اعراض الوكيل عن القيام بزيارة الزبائن المرتقبين .
Career Orientation	توجيه مهني	
Career Presentation	تعريف بالمهنة	تقديم المهنة للناس أو عرضها عليهم
Claim	مطالبة	طلب يتقدم به عادة المستفيد من وثيقة التأمين بغية الحصول على عائداتها .

المصطلح الانجليزي	المصطلح العربي	التعريف
Client Or Customer	زبون	انتهاء معاملة البيع .
Close	اقفال	عقد تأمين يصدر على حياة الاطفال
Estate Builder	عقد مكون للثروة	بقصد تكوين ثروة .
Insurable Interest	مصلحة تأمينية	مصلحة المستفيد وصاحب وثيقة التأمين في استمرار حياة المؤمن له .
Lapse	توقف	انتهاء عقد التأمين بسبب عدم دفع الاقساط
Non-Forfeiture Values.	قيم مصونة	القيم التي تحفظ لصاحب وثيقة التأمين اذا توقف عن دفع الاقساط .
Override	عمولة خاصة	العمولة المتحققة لرئيس الوكالة ، أو رئيس الوحدة ، على شكل نسبة مئوية من عمولات الوكلاء العاملين في تلك الوحدة أو الوكالة (Commission)
Quota	حصة	الحد الأدنى المتفق على بيعه بين الشركة والوكيل / البائع .
Persistency	استمرار	استمرار سريان الوثيقة بفضل المثابرة على دفع الاقساط .

المصطلح الانجليزي	المصطلح العربي	التعريف
Presentation.	عرض	جزء من مقابلة البيع يتم فيه عرض التأمين على الحياة بوصفه الحل المثالي لمشكلات الزبون المرتقب .
Prospect	زبون مرتقب	
Prospecting	تنقيب	البحث عن الزبائن المرتقبين .
Rated Policy	وثيقة أعلى تكلفة	وثيقة تأمين بتعرفة أعلى من التعرفة العادية لاسباب تتعلق بالوضع الصحي أو المهني ... الخ للمؤمن له .
Recruitment	تجنيد	تجنيد الوكلاء لبيع التأمين .
Referred Leads.	مرشدون	اشخاص من مناصري التأمين ، يرشدون الوكيل الى الزبائن المرتقبين.
Submitted Business	طلبات مقدمة	الطلبات التي تقدم للشركة قبل دراستها ، وقد تكون مصحوبة بكامل القسط او يحجزه مقبول منه .
Surrender Value, or Cash Surrender Value	قيمة التصفية	المبلغ الذي يدفع لصاحب الوثيقة (تأمين عادي لدى الحياة أو مترتب) لدى تسليمه وثيقة ...

المصطلح العربي	المصطلح الانجليزي	التعريف
		... التأمين للشركة بقصد تصفيتها قبل تاريخ استحقاقها او وفاة المؤمن له .
دائرة التقييم	Underwriting Department.	الدائرة المعنية بتقدير الخطر وتقييمه وتصنيفه وما يتبعه من انتخاب بمقتضى الاسس والانظمة المرعية .
يعقد صفقة	Write An Application (a policy)	



مجلة مجمع اللغة العربية بـ القاهرة

السنة الثالثة

آب - كانون الاول ١٩٨٠ م.

العدد المزدوج ٩ - ١٠

رمضان ١٤٠٠ هـ - صفر ١٤٠١ هـ

محتمل

الصفحة

- ١ - التنافس وأثره على النحو والنحاه
للدكتور محمود حسني محمود
٥
- ٢ - عقيدة الخيام
للاستاذ عبد الحق فاضل
٢٨
- ٣ - المستعمرات الالمانية في فلسطين ما بين عامي ١٨٦٨ و ١٩١٨
للدكتور علي المحافظه
٤٦
- ٤ - كتاب « نهاية السؤل والامنية » في تعليم أعمال الفروسية
للدكتور أحمد سعيدان
١٠٠
- ٥ - ازدواجية اللغة : نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع
نحو مستقبلها ، في ضوء الدراسات اللغوية
للدكتور محمد راجي الزغول
(٥) ٢٨٩
- ٦ - وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته السادسة
والاربعين
للدكتور عدنان الخطيب
١٥٤
- ٧ - مع كتاب « الفرج بعد الشدة » للتوخي
للدكتور ابراهيم السامرائي
١٩٤
- تعليقات ومناقشات
- ١ - مناقشة رأي في علامة التأنيث
للاستاذ محمد شيت الحياوي
٢٢٢
- ٢ - حول كتاب مباديء التحليل الرياضي
للدكتور احمد سعيدان
٢٢٩

أخبار جمعية

- ١ - الدورة الخامسة اللجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب ٢٣٦
- ٢ - استقبال زملاء ٢٣٩
- ٣ - إعادة انتخاب الدكتور حسني سبح
رئيساً لمجمع اللغة العربية ٢٤٠
- ٤ - الاستاذ عبد الكريم زهور ٢٤٠
- ٥ - تأبين البطريرك يعقوب الثالث ، وتنصيب البطريرك
الجديد اغناطيوس زكا الاول ٢٤١
- ٦ - كتب العلوم للسنة الجامعية الاولى ٢٤١

المنافسُ واثره على النحو والنحاة

للدكتور محمود حسني محمود

(الجامعة الاردنية)

أُتي علم من العلوم يكون في حاجة الى التنافس بين علمائه لكي يتطور وينمو نحو النضج والكمال . ولا اظن أن علماً ما يمكن أن يسير سيرا حثيثاً وينمو نمواً متزايداً ، اذا لم تكن روح المنافسة بين علمائه متقدمة متوهجة ، كلُّ بزاحم الآخر على احتلال مكان بارز ، وكلُّ ينافس الآخر ليثبت أنه أتى بها لم يستطع احد أن يأتي به ؛ ولكن الفرق يكون كبيراً وشاسعاً بين منافسة ومنافسة : فالمنافسة الشريفة النابعة من الحرص والصدق لن تأتي الا بشمار يانعة طيبة الرائحة ، أما اذا تغلبت الأهواء وتصادمت المصالح فلن تأتي المنافسة الا بسلبيات كثيرة يكون لها أبعد الأثر وأخطر .

وعلم النحو كان واحداً من تلك العلوم التي تطورت ونضجت سريعاً ، وكانت ساحته مجال سباق ومنافسة ؛ بدأت هادئة هدوءاً فيه الخير كله لعلم النحو ، ولكنها اضطربت فجأة ، فتصادمت العلماء تصادماً خلف نتائج عكسية ، وترك شغرات عديدة .

لم يكن علماء النحو في البداية — حين كانت مدرسة البصرة النحوية وحدها في الميدان — منشغلين بشيء ، غير تطوير النحو وتثبيت دعائمه ،

وفرض سيطرته على مجالات أنشطته ، وبخاصة مجال الشعر حيث حدث تصادم بين النحاة والشعراء ، كذلك الذي كان بين أبي اسحاق — أكثر النحاة تشدداً — وبين الفرزدق — أكثر الشعراء عنفاً — حينما تَتَّبَعَ الأول الثاني في شعره وخطأه (١) في أكثر من موضع ، الأمر الذي استفز الفرزدق وأضجره ، وجعله يقول لأحد النحاة بعد أن سأله عن غامض في شعره من ناحية الاعراب : (٢) « علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا » .

وغاية تطوير النحو عند أوائل النحاة جعلتهم يتنافسون في هدوء وأمانة واتزان ؛ فإذا ما أحرز السبق أحدهم ، أكبره الآخرون وقدروه حق قدره : أتى عيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ) الى أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) وقال له (٣) : يا أبا عمرو ! ما شيء بلغني أنك تجيزه ؟ قال : ما هو ؟ قال : بلغني أنك تجيز : « ليس الطيب إلا المسك » بالرفع . فقال له أبو عمرو : نَهَيْتَ يا أبا عمر (كنية عيسى بن عمر) وأدُلجَ الناس ؛ ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ، ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع . ثم أرسل أبو عمرو تلميذين يسألان أعرابا حجازيين وأعرابا تميميين ، فنطق الاعراب بما قال أبو عمرو ، فلما سمع عيسى ما وصل اليه التلميذان من أقوال الاعراب، أخرج خاتمه من يده ، ثم قال لأبي عمرو (٤) : « لك الخاتم ؛ بهذا والله فقت الناس » . فلم تكن نتيجة هذه المناظرة إلا إكبارا من عيسى لأبي عمرو ، واجلالا .

(١) انظر : الشعر والشعراء ، ص ٣٣ (المقدمة) . وانظر : الموشح : ص ٩١ ، ٩٢ .

وخزانة الأدب : ج ١ / ٢٢٧ .

(٢) الشعر والشعراء : ص ٣٣ (المقدمة) .

(٣) . لس العلماء : مجلس ١ . طبقات النحويين واللغويين : ص ٢٨-٢٩ .

(٤) مجالس العلماء : مجلس ١ . طبقات النحويين واللغويين : ص ٢٨-٢٩ .

ولم يكن النحاة آنذاك يفرقون في المعاملة بين نحوي أتى اليهم من البصرة أو نحوي أتى اليهم من الكوفة ليستفيد من علمهم ويستنير به . فلم يجد الكسائي القادم الى البصرة من بغداد ، لدراسة النحو فيها ، أي عنت أو مجافاة ؛ درس النحو على الخليل (٥) بن أحمد ، ثم درس على يونس ابن حبيب الذي شجعه وأثنى (٦) عليه، ثم (٧) « صدره في موضعه » وقد قال له مرة بعد اجابة من اجاباته (٨) : « أشهد أن الذين رأسوك رأسوك باستحقاق » . ولم يك عند يونس أو الخليل تلك الروح التنافسية التي توغلت في نفوس النحاة فيما بعد ؛ إذ لم يك في نفسيهما غير ارادة الافادة ، وغير رغبة التطوير في علم النحو ونشره ؛ وهذا ما جعل الكسائي لا يحمل لهما في نفسه شيئا غير التقدير والاحترام ، فأثنى على الخليل ثناء عطرا امام الفراء حين سألته عنه ، قال (٩) : « مات والله الفهم يوم مات الخليل ، لو رأيته لم يعظم في عينك بشر بعده » ، ثم قال : « والله ما تمثلت في صدري جلالة ادب من وجه ولا علم الا وجدت ذلك فرعا من أصل اغترسه ، أو سببا من باب افتتحه ، وما رايت أحدا اعترضه باب من علم فأخال به ثقة يعتمد عليه ، أو مثال حسن يستمد منه ، الا والخليل صاحب قصته » .

وليت هذه الروح — روح التنافس النظيف ، والتقدير المتبادل — بقيت منغرسه في نفوس النحاة وواصلت سيرها ؛ فالمتبوع للأمر ، المستقصي شعابه المتعددة ، يجد أن هذه الروح داخلها شيء من الغثائية

(٥) نزعة الالباء : ص ٥٩ . انباء الرواة : ج ٢ / ٢٥٨ .

(٦) انظر : مجالس العلماء : مجلس ١٠ ، مجلس ١١٤ ، وانظر : انباء الرواة ج ٢ / ٢٦٥ .

(٧) نزعة الالباء : ص ٥٩ .

(٨) انباء الرواة : ج ٢ / ٢٦٥ .

(٩) مجالس العلماء : مجلس ٢٢ ، ص ٢٥٨ .

وشيء من مخلفات التعلق بمغريات الحياة على حساب النحو وحقائقه ،
فانعطف مسار النحو في بعض محطاته ، وانحنى انحناءات هنا وهناك ،
جعلته يسير في اتجاه غير سليم تماما ، وسجلت على دربه نتوءات بارزة ،
وسلبات كثيرة .

✓ عاد الكسائي الى بغداد — مثقلا بما حمله في جعبته من علم نحاة
البصرة ، ومما جمعه من لغة البادية — وبدأ يعلو ذكره ، وبدأت شهرته
تتزايد ، فقد واثاه الحظ حينما دعاه (١٠) المهدي ليسأله عن فعل الامر من
« السواك » ، فاعجب المهدي باجابته ، والحقه ليؤدب ابنه الرشيد . ثم
صار (١١) مؤدبا فيما بعد للأمين بن الرشيد . وكان نجاح الكسائي في هذا
المجال نجاحا له وللكوفيين جميعا ؛ فقد خلفه (١٢) الأحمر الكوفي على
تأديب الأمين . وصار ابن (١٣) قادم الكوفي مؤدبا للمعز قبل ان يصير
خليفة . وصار (١٤) ثعلب مؤدبا لطاهر بن محمد ، ولعبد (١٥) الله بن
المعز . وهذا دليل على أن الكوفيين كانوا مقربين عند الخلفاء والأمراء
والوزراء والقادة في بغداد ، يؤدبون أولادهم ويعلمونهم النحو على طريقة
المذهب الكوفي . فحققوا من وراء ذلك مركزا اجتماعيا بارزا ، وثراء
طائلا . فكان الكسائي عند الرشيد في مكانة لا تقل عن مكانة أبي يوسف
القاضي * وقد استثارت هذه المكانة أبا يوسف الذي كان يقول عسـن

(١٠) نزهة الألباء : ص ٦١ .

(١١) المصدر نفسه : ص ٦١ .

(١٢) المصدر نفسه : ص ٩٠ .

(١٣) انباه الرواة : ج ٢ / ١٥٨ .

(١٤) المصدر نفسه : ج ١ / ١٤٧ .

(١٥) فحى الاسلام : ج ٢ / ٢٩٨ .

الكسائي (١٦) : « أي شيء يحسن ؟ إنما يحسن شيئا من كلام العرب » .
 وكان قال للرشييد عنه (١٧) : « هذا الكوفي قد استفرغك ، وغلب عليك »
 فقال له : « يا أبا يوسف ، انه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي » . وكان
 الأحمر ثريا لكثرة المكافآت التي كانت تنهال عليه ؛ فقد روي عنه أنه قال :
 « قعدت مع الأمين ساعة من نهار فوصل الي فيها ثلاثمائة ألف درهم ،
 فانصرفت وقد استغنيت » . ولم يكن ثعلب بأقل من الأحمر في الثراء ، فقد
 خلف بعد موته : (١٨) « أحدا وعشرين ألف درهم ، وألفي دينار ، ودكاكين
 بباب الشام قيمتها يومئذ ثلاثة آلاف دينار » . وكان محمد بن عبد الله بن
 طاهر قد أجرى (١٩) عليه في كل شهر ألف درهم ، وعلى خليفته خمسمائة
 درهم ، وعلى ختته ثلاثمائة درهم .

هذا الجاه العريض ، وهذا الثراء الواسع الذي حققه الكوفيون ،
 دفع البصريين الى أن ترنو أبصارهم نحو بغداد ، فبدأوا يتعاقبون تباعا .
 فأحس الكوفيون بأن ما حققوه معرض للاندثار ، وسيندر فعلا إذا لم يكونوا
 أكفيا في الحفاظ عليه • وراوا أن الأمر يتعلق بحياة ومستقبل ، وأن فشل
 أحد الكوفيين سيكون فشلا للمدرسة الكوفية نفسها ، وأن انتصار أحد
 البصريين سيكون انتصارا للمدرسة البصرية نفسها ؛ فلا بد أن يتأهبوا ،
 ويكونوا صلابا اقوياء في المجابهة ، ولا بد أن يتخذوا كل وسيلة ويلجأوا الى
 كل حيلة لرد البصريين واعادتهم من حيث أتوا • ومن هذا المنطلق ، ومن
 هذا المناخ النفسي بدأ التنافس عنيفا ؛ ولكنه بدأ أعنف وأشد حين كان

(١٦) نزعة الالباء : ص ٦٢ .

(١٧) طبقات النحويين واللغويين : ص ١٢٨ •

(١٨) انباه الرواة : ج ١ / ١٤٨ .

(١٩) المصدر نفسه ج ١ / ١٢٩ .

يتجلى في قصر خليفة، أو بين يدي أمير أو وزير ؛ فقد أشعل هؤلاء نار التنافس بين النحاة ، وزادوها اضطراما ؛ فكانوا يعتقدون المناظرات بينهم ، ولا يترددون في دعوة نحوي بصري الى بغداد من أجل مناظرة نحوي كوفي ، أو من أجل البتّ في مسألة نحوية دار الخلاف عليها .

ولعل أبرز هذه المناظرات تلك التي دارت بين سيبويه والكوفيين ، وعلى رأسهم الكسائي ، والتي استوقفت نحاة قداماء (٢٠) ومحدثين (٢١) ادلوا بأرائهم فيها ؛ وقد حقق البصريون في هذه المناظرات تفوقا واضحا ، وصاروا يؤدّبون في القصور كما كان الكوفيون يؤدّبون ، وصاروا يُستدْعَوْنَ من البصرة للبتّ في مسألة استعصت على الحل ؛ فهذا اليزيدي (٢٢) يؤدّب المأمون بن الرشيد كما كان الكسائي يؤدّب اخاه الأمين ، وهذا قطرب (٢٣) ، تلميذ سيبويه، يعلم ولد أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي صاحب الكرخ ، ثم يؤدّبهم ابنه الحسن بن قطرب فيما بعد ؟ ثم هذا المازني يدعــــــــــــوه الواصل (٢٤) لبيان اعراب بيت من الشعر من البصرة الى بغداد ، ثم يجالس

(٢٠) انظر : أمالي ابن الشجري : ج ١ / ٢٢٩ - ٢٣٠ . ومغني اللبيب : ص ١٢٠-١٢٦ .

(٢١) انظر : سيبويه امام النحاة : ص ١٠٣ - ١١٣ . نشأة النحو : ص ٣٧-٤٠ .

القواعد النحوية : ص ٩٥ - ٩٧ . في اصول النحو : ص ١٨٠-١٨٢ . من تاريخ النحو :

ص ٤٩-٥٠ ، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو : ص ٦١-٦٥ .

(٢٢) كان اليزيدي والكسائي يتقارضان لتأديبهما ابني الرشيد (انظر : اخبار النحويين

البصريين ص ٤٠) اذ كان اليزيدي يؤدّب المأمون ، والكسائي الأمين ، وكان الاثنان

يجلسان في أيام الرشيد ببغداد مما في مسجد واحد يقرآن القرآن (انظر : تاريخ بغداد

ج ١٤ / ١٤٧) .

(٢٣) انباه الرواة : ج ٢ / ٢٢٠ .

(٢٤) انباه الرواة : ج ١ / ٢٤٩ .

المتوكل (٢٥) فيما بعد .

/ وقد اساء التنافس في المناظرات الى العلاقات بين نحاة المدرستين ،
ودفع نحاة المدرسة الواحدة الى الطعن على نحاة المدرسة الأخرى ،
ومحاولة الانتقاص من علمهم ومكانتهم في قسوة وتجنّ شديدين ، وادى بهم
الى تبادل التهم • وكان البصريون في هذا المجال أقسى واشد ؛ فمن جانبهم
كان أبو حاتم يقول : (٢٦) « لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام
العرب ؛ ولولا ان الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئا ،
وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل الا حكايات عن الأعراب مطروحة » . وكان
أبو زيد يقول : (٢٧) « قدم الكسائي البصرة ، فأخذ عن أبي عمرو ويونس
وعيسى بن عمر علما كثيرا صحيحا ، ثم خرج الى بغداد ، فقدم أعراب
الخطمة ، فأخذ عنهم شيئا فاسدا ، فخلط هذا بـذاك فافسده » . وكان
المبرد يقول (٢٨) : « ما عرف الرؤاسي بالبصرة ؛ وقد زعم بعض الناس
انه صتّف كتابا في النحو ، فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا ، فما التفت
اليه ، ولم يجسر على سماعهم لما سمع كلامهم » . أما من جانب الكوفيين
فكان أبو موسى الحامض يقول للزجاج (٢٩) : « صاحبكم الأكبر — يعني
سيبويه — كان أغلف اللسان عيّا عن البيان » . وكان ثعلب يؤازره في
قوله ، فيقول الزجاج ردا عليهما : « أما نحن فلا نذكر « حدود » الفراء ،

(٢٥) انباء الرواة ج ١ / ٢٥٠ .

(٢٦) مراتب النحويين : ص ٧٤ .

(٢٧) اخبار النحويين البصريين : ص ٥٦ .

(٢٨) انباء الرواة : ج ٤ / ١٠٢ .

(٢٩) المصدر نفسه : ج ٣ / ١٤١ .

لان خطأه فيها أكثر من أن يُعد . وقد عمل الزجاج على رد (٣٠) الكثير من الفاظ « الفصيح » لثعلب ، ولهجت بها اللسان السى أن سئم ثعلب « الفصيح » وأنكر أن يكون له .

ولم تكن التهم متبادلة بين نحاة المدرستين فحسب ، وإنما تفشت العدوى لاتساع نطاق التنافس، فسُكِرَت بين نحاة المدرسة الواحدة ؛ فكان الأحمر يزعم (٣١) أن الكسائي لم يكن يبصر التصريف، ويزعم أنه علمه . مع أن الأحمر هذا لم يقبل (٣٢) عرض الكسائي عليه تأديب الأمين بـن الرشيد إلا بعد أن وعده بأنه يلقيه كل يوم مسالتين في النحو، وثنتين في معاني الشعر قبل أن يأتيه . وكان الفراء يقول (٣٣) : « مات الكسائي وهو لا يحسن حد « نِعْم » و « بئس » و « أن » المفتوحة ، ولم يكن الخليل يحسن « النداء » ولا سيبويه يدري حد « التعجب » . مع أن الفراء هذا كان يثني على الكسائي ويقول (٣٤) : « مدحني رجل من النحويين فقال لي : ما اختلافك الى الكسائي وأنت مثله في النحو ؟ فأعجبني نفسي ، فأتيت به ، فنناظرته مناظرة الكفاء ، فكأنني كنت طائرا يغرف من البحر بمنقاره » . ولعل مَرَدَّ طعن الفراء يعود الى أن الكسائي كان يرى فيه منافسا (٣٥) على زعامة المدرسة الكوفية، ولذلك فإن الكسائي خَلَفَ بعده الأحمر الكوفي على تأديب ابن الرشيد، ولم يخلف الفراء، مما أدى الى فارق كبير في نمط

(٣٠) : انباء الرواة ج ٣ / ١٤٢ .

(٣١) : مجالس العلماء : مجلس ١٧١/٧٩ .

(٣٢) : معجم الادباء : ج ٦/١٣ .

(٣٣) : بغية الوعاة : ج ٢/١٦٣ .

(٣٤) : معجم الادباء : ج ١٣/١٩٢ .

(٣٥) : المصدر نفسه : ج ٦/١٣ .

الحياة بين الاثنين فبينما كان التلاميذ يأتون الأحمر ليلقاهم بوجه منطلق
ويُشرّح حسن كانوا يأتون الفراء ليخرج (٣٦) اليهم معبسا قد اشتغل
بكسائه ، وليجلس لهم على باب بيته ويجلسون هم في التراب بين يديه .

وعلى غرار ما كان بين الفراء والكسائي ، وبين الكسائي والأحمر ،
كان الأمر بين البصريين ؛ فكان أبو حاتم يقول في استاذة الأخفش الأوسط ،
سعيد بن مسعدة (٣٧) : « لم يكن بالحاذق في النحو » ، مع أن الأخفش
عرف أنه الطريق إلى كتاب سيبويه ، وكان الجاحظ يعترف بفضل علمه
ويقول له (٣٨) : « أنت أعلم الناس في النحو » . وكان ابن جنى يدافع
عنه ويرى أن الذين يطعنون عليه إنما هم (٣٩) : « أقوام نزلت من معرفة
حقائق هذا العلم حظوظهم وتأخرت عن إدراكه أقدامهم » . حتى الفراء
الذي عرف بالفروغ ، والاعتداد بالنفس ، كان يعترف بفضل الأخفش ؛
فقد روى أنه دخل على سعيد بن سلمة فقال سعيد (٤٠) : « قد جاءكم سيد
أهل اللغة وسيد أهل العربية » فقال الفراء : « أما ما دام الأخفش يعيش
فلا » . وكان أبو هلال العسكري يقول في الأخفش (٤١) : « وله نحو
كثير ليس كثير من النحويين من ينظر في النحو ، يدرس كثرة علمه » .

وقد أدى التنافس أيضا إلى انطواء كل مدرسة نحوية على نفسها ،
وانزوائها عن الأخرى ، وبالتالي عدم اطلاع نواة المدرسة الواحدة على

(٣٦) معجم الالباء : ج ١٢ / ٩ .

(٣٧) نزعة الالباء : ص ١٤٦ .

(٣٨) الحيوان : ج ١ / ٩١ .

(٣٩) الخصائص : ج ٢ / ١ .

(٤٠) وفيات الاميان : ج ٢ / ١٢٢ . مرآة الجنان ج ٢ / ٦١ .

(٤١) المصون : ص ١١٩ .

آراء نحاة المدرسة الأخرى أو لما رب في النفس . غير أن المدرسة البصرية كانت في هذا المجال — أيضا — أكثر تحفظا ، وأكثر تشددا في نظرتها الى مدرسة الكوفة ؛ فلم يأخذ أحد من علمائها عن أحد من علماء الكوفة الا (٤٢) أبا زيد فانه روى عن المفضل الضبي * وقد بلغ التشدد بالبصريين الى درجة انهم نفوا (٤٣) أن يكون الفراء قد استكثر في دراسته على يونس بن حبيب البصري . أما من ناحية مدرسة الكوفة، فمع أن الكسائي درس على الخليل ويونس بن حبيب — وهذان يخرجان من دائرة التنافس، لانهما سبقا مرحلة الصدام بين المدرستين — الا أنه حين أراد أن يدرس كتاب سيبويه — وسيبويه يأتي في لب الصدام — قراه (٤٤) على الأخفش الأوسط سرا ، ووجهه (٤٥) سبعين دينارا . لقد كان الكسائي يخشى فعلا أن يعلم البصريون قراءته هذه فيعمروا الكوفيين بذلك . وكان يخشى أن يعلم الأمراء والوزراء الذين كان يفاخر امامهم ويعتد ، والذين حكموا له بالغلبة على سيبويه في المناظرة المشهورة بينهما . ومثل الكسائي كان الفراء أيضا ؛ فقد عرف عنه أنه كان يقرأ كتاب سيبويه سرا ، ويضعه (٤٦) تحت وسادته ؛ مع أنه كان (٤٧) « زائد العصبية على سيبويه » فكان الجاحظ يقول (٤٨) : « أن الفراء لم ينتفع بالنظر في هذا الكتاب كبير نفع لانه لم ينظر فيه نظر ناصح لنفسه ، ولا شاكر لمن وصل

(٤٢) اخبار النحويين البصريين : ص ٥٧ .

(٤٣) مراتب النحويين : ص ٨٦ .

(٤٤) معجم الالباء : ج ١١ / ٢٢٩ .

(٤٥) المصدر نفسه : ج ١١ / ٢٢٤ .

(٤٦) انباه الرواة : ج ٨ / ٤ .

(٤٧) بغية الوعاة : ج ٢ / ٢٢٢ .

(٤٨) انباه الرواة : ج ٩ / ٤ .

اليه العلم من جهته ولا معترف بالحق فيه » . أما ثعلب الكوفي فإنه جنب نفسه التهم في هذا الأمر فلم يطلع على مذهب البصريين ، وإنما حصر نفسه في المذهب الكوفي؛ فدرس كتب الكسائي والفراء ، وكان يعود الى اقوالهما في مناظراته مع البصريين ويلجأ اليها (٤٩) « فاذا سئل عن الحجـة والحقيقة . . لم يفرق في النظر » . ولم يك ثعلب مكتفيا بتطبيق ذلك على نفسه وإنما كان يحاول أن يطبقه على تلاميذه ؛ فكان يعاتب ختنه أبا علي الدينوري لأنه كان يتركه ليقرا كتاب سيبويه على المبرد ، ويقول له (٥٠) : « اذا رآك الناس تمضي الى هذا الرجل وتقرأ عليه يقولون ماذا ؟ » .

✓ وكان النحوي يشعر بالحرج الشديد والخجل من نفسه اذا ما غلبه نحوي آخر في مناظرة بين يدي خليفة أو وزير : فهذا ابن السكيت يلوم المازني لانتصاره عليه في مناظرة بين يدي الخليفة الواثق، ويقول له (٥١) : « ما حملك على هذا وبينني وبينك من المودة الخالصة ؟ » فيقول المازني : « والله ما قصدي تخطئتك، ولم اظن أنه يعزب عنك ذلك » . وكان النحوي يتعصب لنحوي آخر من مدرسته، ويثور اذا ما غلبه نحوي آخر من المدرسة الأخرى : فهذا ابن قادم يقول (٥٢) : « قدم أبو عمر الجرمي على الحسن ابن سهل ، فقال لي الفراء : بلغني أن أبا عمر الجرمي قدم ، وأنا احسب أن اللقاء . فقلت له : فاني أجمع بينكما . فأتيت أبا عمر فأخبرته ، فأجاب الى ذلك . وجمعت بينهما . فلما نظرت الى الجرمي قد غلب الفراء وأفحمه ، ندمت على ذلك . فقال ثعلب لابن قادم ولم ندمت ؟ قال : لان علمي علم

(٤٩) لطبقات النحويين واللغويين : ص ١٥٥ .

(٥٠) المدر ينسب ص ١٥٦ .

(٥١) طبقات النحويين واللغويين : ص ٩٤ .

(٥٢) انباه الرواة : ج ٢ / ٨١ .

الفراء ، فلما رأيته مقهوراً قُلْتُ في عيني ، ونقص علمه عندي .

وكان التنافس يدفع النحوي في بعض الاحيان الى التحايل على الإعراب والافصاح براي غير الذي يقتنع به ، ولا بأس أن يسوب رأيا خاطئا من أجل ارضاء خليفة أو امير ، أو وزير أو قائد اجتهد رأيا فسي مسألة نحوية . فقد استقدم (٥٣) الخليفة المتوكل المبرد من البصرة ليعرف رأيه في همزة ان في قوله تعالى (٥٤) : (وما يشعركم أنها اذا جاءت) هل هي مكسورة أو مفتوحة ؛ وكان المتوكل قراها بالفتح ، ووزيره الفتح بن خاقان قراها بالكسر ، فحدث خلاف بينهما على ذلك . قال المبرد يروي بنفسه : فوردت سُرٌّ من رأى ، فأدْخِلْتُ على الفتح بن خاقان . فقال : يا بصرى ، كيف تقرأ هذا الحرف ، (وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) « انها » بالكسر أو بالفتح ، قل بالكسر أو بالفتح ؟ فقلت : بالكسر ، هذا المختار وذلك أن اول الآية : « واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنون بها ، قل انها الآيات عند الله وما يشعركم) ثم قال : يا محمد (انها اذا جاءت لا يؤمنون) باستيفاء جواب الكلام المتقدم . قال : صدقت . وركب الى دار امير المؤمنين فعرّفه بقدومي ، وطالبه بدفع ما تعاقدا عليه وتبايعا فيه . فأمر باحضاري . فلما وقعت عين المتوكل علي قال : يا بصرى كيف تقرأ هذه الآية : (وما يشعركم أنها اذا جاءت) بالكسر ، أو بالفتح ؟ فقلت : يا امير المؤمنين ، اكثر الناس يقرأونها بالفتح : فضحك ، وضرب برجله اليسرى . وقال : احضر يا فتح المال . فقال : والله يا سيدي انه قال لي خلاف ما قال لك : فقال : دعني من هذا ، احضر المال . واخرجت . فلم أصل الى الموضع الذي كتبت انزلته حتى اتتني رسل الفتح ، فأتبته ،

(٥٣) طبقات النحاة واللغويين : ص ٢٨٢ .

(٥٤) سورة الانعام : آية ١٠٩ .

فقال لي : يا بصري اول ما ابتدأتنا به الكذب ، فقلت : ما كذبت . فقال : كيف وقد قلت لامير المؤمنين الصواب (وما يشعركم أنها اذا جاءت) بالفتح . فقلت : ايها الوزير ! لم اقل هكذا ، انما قلت : اكثر الناس يقرأونها بالفتح ، واكثرهم على الخطأ ، وانما تخلصت من اللائمة ، وهو امير المؤمنين . فقال لي : احسنت .

وما سَلَكَ المبرد سُلْكَ يعقوب بن السكيت ، وبأسلوب فيه الكذب على النحو واضح ، والتلفيق بين ؛ وذلك حينما استدعي (٥٥) للفصل بين قولي محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير المعتصم ، واحمد بن ابي دؤاد في توجيه اعراب (رجل) في قول الشاعر :

أظلم ان مصابكم رجلاً اهدى السلام تحيةً ظلم

وكان محمد قال بالنصب ، واحمد بالرفع ؛ فحكم يعقوب لاحمد . قال ثعلب : لقيت يعقوب فعابته في هذا عتاباً مضاً ، فقال لي : اسمع عذري ؛ جاءني رسول ابن ابي دؤاد فمضيت اليه ، فلما رآني بشَّ بي وقربني ورفعني ، واخفى في المسألة عن اخباري ، ثم قال لي : يا ابا يوسف ، مالي ارى الكسوة ناقصة ؟ يا غلام ، دستا كاملاً من كسوتي ، قال : فأحضر . ثم قال : كيس فيه مائتا دينار . فأحضر ؛ ثم قال لي : اراك انت ؟ قلت : لا بل راجل ؛ فقال : حماري الفلاني بسرجه ولجامه ، فأحضر ، قال : يُسَلِّمُ الجميع الى غلام ابي يوسف ؛ فشكرت له ذلك . ثم قال لي : يا ابا يوسف ، انشدت هذا البيت :

أظلم ان مصابكم رجلاً

فقال الوزير : انما هو « رجلاً » بالنصب ، وقد تراضينا . فقلت :

(٥٥) مراتب التحويين : ص ٧٩ - ٨٠ .

القول ما قلت . فخرجت من عنده ، فاذا رسول محمد بن عبد الملك ، فقال :
اجب الوزير ، فلما دخلت بدرني وأنا واقف ، فقال : يا يعقوب ، اليس
الرواية :

اظلم ان مصابكم رجلا

فقلت : لا بل « رجل » . فقال : اغرب . قال يعقوب : فكيف كنت
ترى لي ان اقول ؟!

وبهذا الأسلوب — أسلوب ابن السكيت — عالج (٥٦) ابن قسادم
الكوفي ، استاذ ثعلب ، مسألة نحوية عرضت لميمون بن ابراهيم ، كاتب
اسحاق المصعبي . قال ابن قادم : وجه الي اسحق يوما فأحضرني ، فلم
ادر ما السبب ، فلما قربت من مجلسه تلقاني ميمون بن ابراهيم ، كاتبه على
الرسائل ، وهو على غاية الهلع والجزع ، فقال لي بصوت خفي : انسه
اسحاق ؛ ومُرَّ غير متلبث ولا متوقف حتى رجع الى مجلس اسحق . فراعني
ذلك ، فلما مثلت بين يديه ، قال لي : كيف يقال : « وهذا المال مال » او
« وهذا المال مالا » ؟ فعلمت ما اراد ميمون فقلت له : الوجه « وهذا المال
مال » . ويجوز « وهذا المال مالا » فاقبل اسحق على ميمون بغلظة وفظاظة ،
ثم قال : الزم الوجه في كتبك ، ودعنا من يجوز ويجوز ، ورمى بكتاب كان
في يده . فسالت عن الخبر فاذا ميمون قد كتب الى المأمون وهو ببلاد الروم
عن اسحاق ، وذكر مالا حملة اليه ، فكتب « وهذا المال مالا » . فخط المأمون
على الموضع من الكتاب ، ووقع بخطه في حاشيته « تخاطبني بلحن » ؟ فقامت
القيامة على اسحق ، فكان ميمون بعد ذلك يقول : ما ادري كيف اشكر ابن
قادم ، ابقى علي روحي ونعمتي . قال ثعلب : « وهذا المال مالا » ليس
بشيء ، ولكن احسن ابن قادم في الثاني لخلاص ميمون

ولم يكن النحوي يتورع عن التلطف أحيانا بأي جواب يرد على لسانه
 إذا لم يحضر ذهنه الجواب الصحيح ، وعن أن يلفق شعرا يؤيد جوابه ،
 وذلك من أجل أن يبقى محافظا على سمعته ، وحتى لا تترزعزغ الثقة به ؛
 فقد ورد (٥٧) المبرد النحوي الدينوري زائرا عيسى بن ماهان ؛ وأول
 ما دخل ، قال له : أيها الشيخ ، ما الشاة المجنئة التي نهى النبي صلى الله
 عليه وسلم عن أكل لحمها ؟ فقال : هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة
 فقال : هل من شاهد ؟ فقال : نعم ، قول الراجز :

لم يبق من آل الجعيد نسمة إلا عُنِيرٌ لُجْبَةٌ مَجْنُوءَةٌ

وإذا بالحاجب يستأذن لابي حنيفة الدينوري ، فأذن له ؛ فلما دخل
 قال له عيسى : ما الشاة المجنئة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
 أكلها ؟ فقال : هي التي جثت على ركباتها ، ونحرت من قفائها . فقال
 عيسى : كيف تقول ، وهذا شيخ العراق — يعني أبا العباس المبرد —
 يقول : هي مثل اللجبة ، وهي القليلة اللبن ؛ وانشد البيتين . فقال أبو
 حنيفة : إيمان البيعة تلزم أبا حنيفة أن كان هذا الشيخ سمع هذا التفسير ،
 وإن كان البيتان إلا لساعتها هذه . فقال أبو العباس المبرد : صدق الشيخ
 أبو حنيفة ، أنفُتُ أن أرد عليك من العراق ، وذكرني ما قد شاع ، فأول
 ما تسألني عنه لا أعرفه .

وقد وجد تنافس النحاة في العلة ميدانا خصبا تجلّى فيه وبرز ،
 فتنافسوا فيها ، وتوغلوا في شعابها ، ولم يتركوا شيئا في النحو يمكن أن
 يعمل إلا أوجدوا له علة مهما كانت واهية مهلهلة ، فمللوا ثقل (٥٨) الفعل

(٥٧) انباء الرواة ج ١ / ٤٣ .

(٥٨) الإيضاح : ص ١٠٠ .

وخفة الاسم ، وامتناع (٥٩) الاسماء من الجزم ، والأفعال (٦٠) من الخفض . وعللوا سكون (٦١) لام التعريف ، وعدم (٦٢) اجتماع ال التعريف مع التنوين ، وعدم الجمع ، وعدم ال التعريف والإضافة . وعللوا بناء (٦٤) الفعل الماضي على الفتح ، وبناء (٦٥) فعل الأمر على السكون . ومن هذه العلل الواهية ما ذهب إليه ثعلب حين سأل شيخه : لم أجاز الفراء قولهم « قائمين كان الزيدون » ولم يجرز « قائما ضربت زيدا ؟ » أي لم أجاز تقديم خبر كان عليها ولم يجرز تقديم الحال على العامل فيها ؛ فقال له (٦٦) : « انما أجاز « قائمين كان الزيدون » لأن قائمين خبر لكان ، ولم يجرز « قائما ضربت زيدا » لأن « قائما » ليس خبرا « لضربت » . وهذا تعليل ينطلق من غير أساس صحيح ، ولا يخاطب الذهن الصافي ؛ وكان المفروض فيه أن يعلل تعليلا منطلقا من واقع الجملة موطن التعليل، لا من واقع جملة أخرى لا علاقة لها بها ؛ فالفعل الأول فعل ناقص دخل على مبتدأ وخبر فقدم الخبر ، بينما الفعل الثاني فعل تام دخل على اسم ذات، وعلى وصف فقدم الوصف وتعليله كان منطلقا من الجملة الثانية ليست كالجملة الأولى فامتنع التقديم فيها فاتخذ من الخلاف

(٥٩) الإيضاح : ص ١٠٢ .

(٦٠) المصدر نفسه : ص ١٠٧ .

(٦١) اللامات : ص ١٩ .

(٦٢) المصدر نفسه : ص ٣٠ .

(٦٣) المصدر نفسه : ص ٧١ .

(٦٤) اسرار العربية : ص ٣١٥ .

(٦٥) المصدر نفسه : ص ٣١٧ .

(٦٦) انباء الرواة ج ٢ / ٥٧ وانظر ملة تقديم الحال : الانصاف ج ١ / ٢٥٠ مسألة ٣١ .

بينهما أساسا لصلة جواز التقديم ومنعه . وهذا منطلق غير صحيح . ومن هذه العلل ما ذهب (٦٧) اليه البصريون ردا على الكوفيين من أن فعل التمجيد «أفعل» وان كان لا يتصرف الا انه فعل ، وعلتهم أنهم اجمعوا على أن عسى وليس فعلا مع أنهما لا يتصرفان ، وعلة البصريين واهية، اذ اتخذوا من اجماعهم على مسألة مقياسا لمسائل أخرى وحجة لهم في ما يذهبون اليه ؛ والاجماع ليس حجة أبدا وليس دليلاً على صواب النحاة (٦٨) لأن كل واحد منهم ، كما قال ابن جني : « انما يردك ويرجع بك فيه السى التأمل والطبع لا الى التبعية والشرع » . ومن عللهم ان فعل الامر بني على الوقف ، لأن (٦٩) الاصل في الافعال البناء، والاصل في البناء أن يكون على الوقف، فبني فعل الامر على الوقف لأن الوقف أصل . وهذه العلة، ان كان منطلقها سليما، فلم لم يُبين الفعل الماضي على الوقف وبني على الفتح ، مع أن البناء أصل فيه وهو مبني دائما في شتى الاحوال ، وهو مبني أيضا باتفاق (٧٠) جميع النحاة البصريين والكوفيين ، بينما فعل الامر مختلف فيه بين النحاة ؛ فبينما قال البصريون ببنائه ، قال الكوفيون بأعرابه .

لقد ابتمد النحاة بتماديهم في مجال العلل عن جوهر النحو ، وأوغلوا بهذا الاسلوب في التمثل والتكلف ، مما جعل القدامى يرون أن هذه العلل انما اتى بها للاحتيال والتمويه . فقد قال ابن قتيبة في توجيه النحاة : « لمجلف » في قول الشاعر :

(٦٧) اسرار العربية : ص ١١٥ .

(٦٨) الخصائص : ج ٢ / ٢٢٦ .

(٦٩) اسرار العربية : ص ٢١٧ .

(٧٠) انظر : شرح ابن عقيل : ج ١ / ٢٤-٢٥ ، حاشية الجيبان ج ١ / ٩٨ مع المواضع

ج ١ / ٤٦ .

وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال الا مسحاً او مجلف

قال (٧١) : « فرغ آخر البيت ضرورة ، واتعب اهل الاعراب في طلب العلة ، فقالوا واكثروا ، ولم يأتوا فيه بشيء يرضي ؛ ومن ذا يخفى عليه من اهل النظر ان كل ما اتوا به من العلل احتيال وتمويه . وليت النحاة سلخوا مسلك يونس حين سئل (٧٢) : لم صارت « حتى » تنصب الالف لـ المستقبلة ؟ فقال هكذا خلقت . ومسلك الكسائي حين سئل (٧٣) : لم لا يقال : ايهم ، في : لاضرين ايهم يقوم . فقال : « اي » هكذا خلقت .

ومع ان المدرستين ، البصرية والكوفية ، انتهتا تقريبا بانتهاء المبرد وتعلب ، الا ان التنافس بين النحاة استمر بعدهما ، ولكنه عاد تنافسا فرديا فيه شيء من الحسد وحب الدنيا ، بعد ان كان زمن المدرستين تنافسا فرديا ومذهبيا معا . وبرز هذا التنافس ذلك الذي كان بين الفارسي والرماني والسيرافي والزجاجي ؛ فقد اتهم الفارسي هؤلاء جميعا نهما مختلفة ، منها اتهامه (٧٤) الرماني بأنه لا يحمل شيئا من النحو وقد علل الأستاذ سعيد الأفغاني تعرض الفارسي للسيرافي والرماني بقوله (٧٥) : « والفارسي ... متهم على الرماني كما هو متهم على السيرافي ، لان الثلاثة اشرقوا في عصر واحد ، وكان للأخيرين من التوفر في أعين الناس ما ليس للاول . ولامر ما اولع الفارسي بان ينص على تلمذة الرماني له حيناً » . والمنافسة النابعة من الحسد صرح بها الزجاجي وتخوف منها في تقديمه كتابه « الايضاح » ، فهو يتوقع ان الخصوم سيعترضون عليه ويغالطونه بعد

(٧١) الشعر والشعراء : ص ٣٣ .

(٧٢) طبقات النحويين واللغويين : ص ١٢٨ .

(٧٣) الخصائص ج ٢ / ٢٩٢ ، اوضح المسالك ج ١ / ١٠٩ .

(٧٤) محجم الادباء ج ١٤ / ٧٤ .

(٧٥) ملخضة الاعراب : ص ١٣ (المقدمة) .

صدور الكتاب ، ويرى أن لن يفصل بينه وبينهم حينئذ الا مناظرة علنية،
يشرط أن تكون امام علماء من ذوي الفهم الدقيق والنظر الصائب يقول (٧٦):
« ومن مالت به عنه عصبية او حميته فعنه يصرف حظه ، وعنا تسقط
كلفتة ؛ ومن سمت به نفسه الى تتبع ما اودعناه اياه ، وسميناه فيه ،
وفحصه والكشف عن حقائقه ، فحقيق عليه أن مر به أن يراجع فكره ويشير
قريحته ويحرك خاطره ، ليقف على ما لعله قد انستر عنه ، ولا يحكم من
اول وهلة بخروج عن الحق ؛ فان فعل ذلك وتدبره ، ولم يره ينقاد لمسي
طريقة القياس مستمرا ، او رأى أنه لا حق الا في غيره ، كانت حلبة التناظر
— باجتماع ذوي الفهم والنظر والفحص والجدال معنا فيها — فاصلة بيننا
وبينه ، حتى نصير معا بحق النظر الى الصواب » .

وعُرف التنافس زمن الفارسي أيضا — في مصر بين أبي العباس بن
ولاد (ت ٣٣٢ هـ) وأبي جعفر بن النحاس (ت ٣٠٧ هـ) فقد جمع (٧٧)
بعض ملوك مصر بينهما ، وأمرهما بالمناظرة • قال ابن النحاس لابن
ولاد : كيف تبني مثل « أفعلون » من رमित ؟ فقال : أرميت . فخطاه ابن
النحاس وقال : ليس في كلام العرب « أفعلون » ولا « أفعليت » . فقال ابن
ولاد : انما سألتني أن امثل لك بناء ففعلت .

وهذه المناظرة فيها مغالطة وتعتمد التخطئة من ابن النحاس ؛ وقد
صوب (٧٨) الزبيدي اجابة ابن ولاد ، ودعم ما ذهب اليه بأن الاخفش
الاوسط سعيد بن سعدة كان ييني من الامثلة ما سئل أن ييني عليه ، وان
لم يكن ذلك في كلام العرب .

١١١١

(٧٦) ص ١١-١٢ (المقتبة) .

(٧٧) طبقات النحويين واللغويين : ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٧٨) المصدر نفسه : ص ٢٩ .

في نهاية هذا البحث أرجو أن يُفهم أنني حاولت أن أجلو ما نتج عن التنافس من آثار سلبية على النحو ، واسجله . ولكنني أرجو أيضا ألا يفهم من خلال هذا البحث أن النحاة انحرفوا تماما عن جادة الصواب ، وأن مظاهر الحياة الخادعة قد اضلتهم الطريق كلها — وإن كنت قد بينت أنها اضلتهم فعلا في أحوال عارضة — فقد عُرف عنهم العفّة والنزاهة والأمانة في الحفاظ على علم النحو ، وعلى خط سيره الصحيح ، وكأن كل شيء في أحيان كثيرة، كان يتضاعل في قيمته ليرتفع شأن النحو عاليا ؛ فهذا المازني (٧٩) يقصده بعض أهل الذمة ليقرا عليه كتاب سيبويه ، ويعرض عليه مائة دينار مقابل تدريسه آياه ، فيرفض ؛ فيقول له المبرد : جعلت فداك ، أترد هذه النفقة مع فافتك وشدة اضاقتك ؟! فيقول : ان هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا آية ، من كتاب الله عز وجل ، ولست أرى أن أمكّن منها ذميا غيره على كتاب الله تعالى ، وحمية له .

وهذا الكسائي يأتيه الفراء ، فيراه باكيا ، فيقول له (٨٠) : ما يبكيك ؟ فيقول : هذا الملك يحيى بن خالد ، يوجه الي فيحضرنني ، فيسالني عن شيء ، فان ابطأت في الجواب لحقني منه عتب ، وان بادرت لم آمن الزلل ؛ فيقول له الفراء ممثنا : يا أبا الحسن ، من يعترض عليك ؟ قل ما شئت ، فأنت الكسائي . واذا بالكسائي يأخذ لسانه بيده ويقول : قطعه الله اذا أنا قلت ما لا أعلم !

وهذا المبرد يقول (٨١) : « الناس يلحقهم السهو والغلط ، فاذا غلطوا

(٧٩) درة الفواص : ج ١ / ٤٢ .

(٨٠) انباه الرواة : ج ٢ / ٢٦٦ .

(٨١) الايضاح : ص ٤٠ .

مرجعوا فكان لم يغلطوا ، واذا أقاموا على الغلط بعد أن يتبين لهم الصواب ،
كانوا جهالا كاذبين » .

ثبت مصادر البحث ومراجعته

الدكتور محمود حسني

- ١ - اخبار النحويين البصريين - السمراني - المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٦ م .
- ٢ - اسرار العربية - ابن الانباري - مطبعة الترقى ، دمشق ١٩٥٧ م .
- ٣ - امالي ابن الشجري - حيدر آباد - المطبعة الاولى ، ١٢٤٩ هـ .
- ٤ - انباه الرواة - القفطي - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار الكتب المصرية ،
القاهرة ١٩٥٠ م .
- ٥ - الانصاف - ابن الانباري - مطبعة السعادة - الطبعة الرابعة ١٩٦١ م .
- ٦ - أوضح المسالك - ابن هشام - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ،
بيروت ١٩٦٦ م .
- ٧ - الايضاح - الزجاجي - تحقيق مازن مبارك - القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٨ - بغية الوعاة - السيوطي - تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الاولى
١٩٦٤ م .
- ٩ - حاشية الصبان - دار احياء الكتب العربية .
- ١٠ - تاريخ بغداد - البغدادي - مطبعة السعادة بدمر ، ١٩٢١ م .
- ١١ - الحيوان - الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - مطبعة مصطفى الحلبي .
- ١٢ - خزنة الادب - البغدادي - تحقيق عبد السلام هارون - دار الكتاب العربي ،
القاهرة ١٩٦٨ م .
- ١٣ - الخصائص - ابن جني - تحقيق محمد النجار - دار الكتب المصرية ، الطبعة الثالثة
١٩٥٢ م .
- ١٤ - درة الخواص - الحريري - مطبعة الجوائب - القسطنطينية ، الطبعة الاولى ،
١٢٩٩ هـ .

- ١٥ - سيوييه امام النحاة - علي النجدي ناصف - مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة
١٩٥٣ م .
- ١٦ - شرح ابن عقيل - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - الطبعة
الثانية عشرة ، ١٩٦١ م .
- ١٧ - الشمر والشمراء - ابن قتيبة - دار الثقافة - بيروت .
- ١٨ - ضحى الاسلام - احمد امين - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة السادسة ، ١٩٦١ م .
- ١٩ - طبقات النحاة واللغويين - الاسدي - تحقيق الدكتور محمد غياضي - مطبعة النعمان -
النجف ، ١٩٧٣ م .
- ٢٠ - طبقات النحويين واللغويين - الزبيدي - تحقيق ابو الفضل ابراهيم - الطبعة الاولى
١٩٧٤ م .
- ٢١ - في اصول النحو - سعيد الافغاني - مطبعة جامعة دمشق - الطبعة الثالثة ، ١٩٦٤ م .
- ٢٢ - القرآن الكريم .
- ٢٣ - القواعد النحوية - عبد الحميد حسن - مطبعة العلوم ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .
- ٢٤ - اللغات - الزجاجي - تحقيق . مازن مبارك . المطبعة الهاشمية - دمشق ، ١٩٦٩ م .
- ٢٥ - مجالس العلماء - الزجاجي - تحقيق عبد السلام هارون - الكويت ، ١٩٦٢ م .
- ٢٦ - المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي - د. محمود حسني محمود ، رسالة
دكتوراة مخطوطة .
- ٢٧ - مرآة الجنان - اليافعي - مطبعة دار المعارف النظامية ، ١٣٢٨ هـ .
- ٢٨ - مراتب النحويين - ابو الطيب اللغوي ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم - مطبعة نهضة
مصر ، ١٩٥٥ م .
- ٢٩ - المصون - ابو احمد العسكري - تحقيق عبد السلام هارون - الكويت ، ١٩٦٠ م .
- ٣٠ - معجم الانباء - ياقوت الحموي - مكتبة عيسى الحلبي بمصر - الطبعة الاخيرة .
- ٣١ - مغني اللبيب - ابن هشام - تحقيق د. مازن مبارك ، محمد علي حمد الله مراجعة
سعيد الافغاني - دار الفكر - الطبعة الثالثة - ١٩٧٢ م .

٢٢ - ملفزة الاعراب - الرماني - تحقيق سعيد الاتفاني - مطبعة الجامعة السورية ،

١٩٥٨ م .

٢٣ - من تاريخ النحو - سعيد الاتفاني - دار الفكر .

٢٤ - الموشح - المرزباني - المطبعة السلفية - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٨٥ هـ .

٢٥ - نزهة الالباء - ابن الانباري - تحقيق د. ابراهيم السامرائي - الطبعة الثانية -

١٩٧٠ م .

٢٦ - نشأة النحو - محمد الطنطاوي - دار المصاوي للطبع والنشر - القاهرة ١٩٢٨ م .

٢٧ - معج الوامع - السبيوطي - تحقيق عبد السلام هارون الكويت - ١٩٧٥ م .

٢٨ - وفيات الاعيان - ابن خلكان - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة

المصرية ، ١٩٤٨ م .



عقيدة النخيام

للاستاذ عبد الحق فاضل

تقديم

من خلال رباعياته الفارسية عرفناه نحن العرب في هذا الجبل ، لكنه كان في حياته من أعلام الثقافة العربية ، لأنه كتب مؤلفاته ورسائله العلمية والفلسفية والدينية باللغة العربية، التي كانت لغة العلم والدين والادب في زمانه ، لا في فارس وحدها بل في غيرها من أقطار الامبراطورية الاسلامية . وقد طُبع كتابه الجليل (الجبر والمقابلة) بنصّه العربي وترجمته الفرنسية في باريس عام ١٨٥١ — أي ان اللغة العربية هي المرجع لدراسة هذا الاثر وغيره من ثمار عقل الخيام . ولولا أن شهرته برباعياته الفارسية قد غطت على شهرته العلمية وثقافته العربية، لعرفناه واحدا من رجال الفكر العربي كالفارابي وابن سينا والخوارزمي والزمخشري وغيرهم من اخوانه واخواننا غير العرب، الذين نشأوا في احضان الثقافة العربية والحضارة الاسلامية، والذين هجروا لغاتهم الاصلية في التعلم والتعليم، ودونوا ثمار قرائحهم بالعربية التي احبوها وهاموا بها،

الى حد أن ابا الريحان البيروني، مثلاً، كان يقول أن الهجو
بالعربية أحب اليه من المدح بغيرها ! .. وما كان هذا شعوره
وحده .

لهذا أرى أن الخيام جدير بأن يحتفي به العرب في
المناسبات، ويصدروا الأعداد الخاصة به من المجلات ، شأنهم
مع أمثاله الآنف ذكرهم .

عقيدته

كنت في كتابي « ثورة الخيام » عقدت فصلاً بعنوان (الإلحاد
الرياضي) برهنت فيه على الحاد عمر الخيام ؛ وهنا أعقد فصلاً بعنوان
(الإيمان الرياضي) أبرهن فيه على إيمانه — دون أن أمس ذلك الفصل
الإلحادي بتصحيح أو تنقيح ، لأن عمر الخيام نفسه قد كان كلا الرجلين .
فكيف كان ذلك ؟

البيهقي — جزاه الله خيراً كثيراً عما روى لنا من أخبار الخيام، ولا
سيما أن لمروياته، على قلتها وإيجازها ونقصها، خطورتها في البحث ، لقرب
عهده من مصادرها ، ولأنه يكاد يكون شاهد عيان في بعض ما يعيننا منها
— يقول عن صاحبنا عمر « وحكى لي ختته الإمام محمد البغدادي أنه كان
يتخلل بخلال من ذهب (١) ، وكان يتأمل الإلهيات من (الشفاء) ، فلما
وصل الى فصل (الواحد والكثير) وضع الخلال بين الورقتين وقال : أدع
الأزكياء حتى أوصي . فوصى ، فقام وصلى . ولم يأكل ولم يشرب ، فلما
صلى العشاء الأخيرة سجد ؛ وكان يقول في سجوده : اللهم أنك تعلم

١ — التخلل : تنظيف ما بين الأسنان من بقايا الطعام . والخلال (زنة الهلال) : ما يتخلل

به من عود أو نحوه .

اني عرفتكَ على مبلغ امكاني ، فاغفر لي ، فان معرفتي اياك وسيلتني
اليك . ومات . » . اهـ البيهقي (٢) .

قال لي الخيامي التركي المرحوم رضا توفيق (حين لقيناه في استانبول
عام ١٩٤٧) انه لا يصدق الحكاية ، لان الخيام كان فقيرا ، وليس معقولا
ان يتخلل بخلال من ذهب . غير اني لا اتفق معه في هذا ؛ اولا لأنني لا ارى
من الضروري تكذيب الحكاية كلها اذا كان جزء منها غير معقول ، وثانيا
لان الاستنتاج بمثل هذا التعميم لا يبيح لنا انكار نص ينقله راوٍ عرف شخص
الخيام (مذكوره سنة ٥٠٧ هـ - اي قبل وفاة الخيام بعشر سنوات) فلم
ينكر من رواية ختنه عنه انه كان يتخلل بخلال من ذهب . وقد كان هو
اخلق بالشك في صحة ذلك لو قد وجد ما يثير شكاً ، وخاصة انه يروي
الحكاية نقلا عن شاهد عيان يعرفه ايضا ويثق بروايته ، بدليل انه نقلها
دون ان يعلق عليها ، او يناقش روايتها ختن الخيام الذي يظهر انه كان
مساكنا له في دار واحدة . وليس ثمة ما يحمل اي واحد من الاثنين -
الراوي والمروي عنه - على ان يخترع (خلال الذهب) خلافا للواقع .
وليس مستبعدا ان يكون الخيام اغتنى في بعض مراحل عمره ، وهو الذي
كان يخالط الامراء والسلاطين . وقد جاء في بعض اخباره ان الوزير نظام
الملك كان اجري عليه (١٢٠٠) دينار في السنة ، وربما اجري عليه وزير
آخر او سلطان ، ما اغناه ولو في اخريات حياته فقط . كما ان الخيام كان
طبيباً عالي الدرجة ، يستدعيه الملك لمعالجة حفيده سنجر حين اصاب

* - ظهر الدين ابو الحسن علي بن زيد البيهقي ، يرجع نسبه الى الصحابي خزيمه الاوسي
الملقب بذي الشهادتين ، نزل ابناءؤه نارس - « تنمة حوان الحكمة » ثم تاليه ما بين
عامي ٥٥٢ و ٥٦٥ هـ . ويلاحظ ان لقب الخلق (البغدادي) ينسب ان زوجة الخيام كانت
مراثة النسب .

بالجدري في صباه (٣) ، والطب صنعة رائجة رابحة ، وما أحسب بضاعة الخيام هذه كانت بائرة . حتى لو كان فقيرا حقا أيامئذ فليس من المحال أن يكون أحد المعجبين أو الأصدقاء قد أهدى اليه ذلك خلال الذهب . وليس بعيد كذلك أن يكون تفسير هذه النقطة أي شيء لا يخطر لنا ببال . فعلى هذا لا أستسيغ تكذيب نص لمجرد وجود نقطة فيه لا نعرف كيف نفسرها . وما أكثر الألفاظ المستعصية ، وبعضها شديد الغرابة لا نفقه له معنى ، في حيوات رجال التاريخ .

على أن حكايتنا هذه تقول بنفسها أن الخيام كان عند وفاته ميسور الحال ، لأنه حين شعر بدنو ساعة الصفر المحتومة ، دعا بالأزكياء ليوثقوا وصيته ، فحضرُوا ووصى فعلا . فلو لم يكن ذا مال ذي بال لما كان ثمة ما يستدعي الوصية ، وتوثيقها من جانب الأزكياء ، وهم بمثابة الكتاب العدول في زماننا .

لكني أنا لم أسلم من مثل هذا الخطأ الذي وقع فيه المرحوم رضا توفيق ؛ فقد صدرت الطبعة الأولى والثانية من « ثورة الخيام » وأنا غير عابئ بالحكاية . . صدق كل ما رواه البيهقي عن الخيام ما عداها ، فكنت أنخطأها كلما وقع نظري عليها . وكان السبب أنها صادرة عن ختن الخيام — أي أخي زوجته أو أبيها — فقلت لنفسى ، إذا كان معاصرنا المرحوم فروغى (٤) يدافع عن صحة إيمان الخيام ، المتهم بالاحاد ، ذلك الدفاع

٣ — هو أبو الحارث سنجر بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، تولى الملك ولقب بالسلطان الأعظم .

٤ — محمد علي فروغى ذكاء الملك ، كان أحد جهاذة السياسة والعلم والادب في إيران ، تولى أثناء الحرب العالمية الثانية . أصدر مجموعة ترابعايات الخيام باسم « رباعيات حكيم خيام نيشابوري » وقدم لها بحث قيم على إيجاز ، وعلى مخالفتنا لبعض آرائه فيه . طبعت في طهران سنة ١٣٢١ شمسية ، أي ١٩٤٢ م .

الحار ، غير المنطقي ، ويتأول حتى الرباعيات اللاحادية الواضحة الكفران ،
 بالرغم من أنها أكثر من ثماني مئات من السنين تفصل بين المحامي والمتهم ،
 وبالرغم من عدم وجود أية رابطة شخصية بينهما من صداقة أو مخاتلة —
 فما بالي بالامام محمد البغدادي ختن الخيام ؟ كيف أصدق حكايته ضد رواية
 القنطي الذي قال لنا بكل جلاء عن الخيام إن أهل زمانه قدحوا في دينه . .
 حتى لخشي على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلبه ؟ . . وضد اتهام
 الرازي إياه بأنه من الدهريين والطبيعيين الضالين ، بالرغم من اكباره
 له ؟ (٥)

يضاف الى ذلك ان الرواية نفسها لا تخلو مما يثير الشك أو التساؤل
 على الأقل . فان ما يقال في السجود أثناء الصلاة هو « سبحان ربي الأعلى »
 . . فلماذا قال الخيام في سجوده غير ذلك ؟ كما ان ما يقال في السجود انما
 يقال سرّاً أي همساً لا جهراً ، فكيف سمعه الختن ؟ وان شئت مشككا آخر
 علاوة على هذا ، فكيف علم أن الخيام وقف في القراءة عند (فصل الواحد
 والكثير) من كتاب (الشفاء) وهو من أشهر كتب ابن سينا ؟

من أجل هذا أهملت هذه الحكاية من رواية البيهقي التي صدقتها كلها ،
 لاني لم أجد فيها — عدا هذه الحكاية — ما يدعو الى شك أو تكذيب . وكان
 ذلك تسرعاً مني .

بعد الطبعة الثانية من « ثورة الخيام » عدت الى القصة انظرها بعين
 جديدة ، ازلت قبل كل شيء ذلك التناقض بين روايتي القنطي والرازي
 وغيرهما عن الحاد الخيام ، وبين رواية ختنه عن ايمانه ؛ فظهر لي أن عمر
 الخيام نفسه قد كان كلا الرجلين ؛ ذلك ان الاخاد والايان لم يلتقيا في فترة
 واحدة من حياته . فنحن وان كنا على جهل تام بمرحلة الحاد ، فاننا نعلم ان

• — ورد تكميل ذلك في « ثورة الخيام » .

ايمانه كان في شيخوخته، وقد اطلعنا عليه في آخر يوم من حياته بالتحديد .
وما اكثر مَنْ أَلْحَدَ من العلماء والمفكرين في عهد الشباب أو الكهولة ثم فاء
الى الايمان في الشيخوخة .

وعلى ضوء هذه الظاهرة نعود الى النقاط الغامضة التي اثارَت
شكوكنا لنتحنها ونحقق النظر فيها . فاما كيف عرف الامام محمد البغدادي
ان صهره الخيام وقف من (الشفاء) عند (فصل الواحد والكثير) فهذه
بسيط المشاكل واسهلها جوابا . عندما فتح الكتاب — ربما بعد ان اسلم
الخيام الروح — حيث كان قد وضع الخلال بين الورقتين — وجد هذا
العنوان في احدى الصفحتين .

واما ما قاله الخيام في سجوده، فالظاهر انه كان خارج صلاة العشاء
الاخيرة — الاصلية — التي يقال في سجودها « سبحان ربي الاعلى » .
واكبر ظني ان البيهقي لم يحسن اختيار اللفظ للتعبير عن هذه النقطة ، ولو
ان عبارته تحتل تفسيرنا هذا . فهو يقول : « فلما صلى العشاء الاخيرة
سجد . . » اي : فلما مرغ من صلاة العشاء الاخيرة سجد . ولا معنى
لعبارته بغير هذا التفسير، لان السجودات في اثناء الصلاة بديهية لا حاجة
الى ذكرها . ولو كان قصده السجود الذي في اثنائها لقال : « فلما صلى
العشاء الاخيرة وسجد كان يقول في سجوده . . » او : « فلما سجد في صلاة
العشاء الاخيرة . . » . اما خارج الصلاة فما اكثر ما يسجد المسلم لله
شكرا او تضرعا ، او تحية للمسجد ، او استقبالا للاجل .

فلما احس الخيام بدنو ساعته وصّى ، وكان متهيئا نفسيا للقضاء
الرفيق الاعلى، فسجد بعد صلاة العشاء تضرعا وانابة . وفي مثل هذه
الحالة من المعقول ان يكون قد جهر بما قاله، ورفع به صوته من فرط التأثر
وحرارة الابتهاال . كما يحتمل ان يكون كرر الدعاء بعد السجود فسمعه

خفته . واية كانت الحالة فقد وردت احاديث نبوية عن اجلة من الصحابة ان الرسول كان يدعو احيانا في سجوده ويقول كذا وكذا ، من مختلف الادعية(٦) ويظهر ان البيهقي قد دوّن نص دعاء الخيام حين سمعه من الختن ليثبتته في كتابه ، كما يفعل امثاله ممن يؤلفون عن المشهورين او يجمعون الاقوال والنصوص .

اما الاحساس بدنو الاجل مظهرة كثير حدوثها ؛ ولعل القارئ قد صادف من معارفه او اقاربه — كما صادفت انا — من احسّوا بقرب تسليم الروح، ولو لم تعتورهم اثناء المرض نوبة او انتكاسة فجائية منذرة ، سوى الهاجس الداخلي .

من الملحوظ ان بعض الرواة — ومنهم رواة الخيام — ميالون الى الاختزال احيانا، فيحذفون كلمات او عبارات يظنونها زائدة او غير ذات جدوى ، غير مقدرين ما لها عند الباحث المحلل المدقق من خطورة ؛ وهي قد تغير المعنى او تقلبه ، او تضعف الرواية على الاقل . من ذلك مثلا رواية الشهرزوري لهذه الحكاية نفسها : نبذلا من ان يقول « روى البيهقي ان ختن الخيام الامام محمد البغدادي حكى له كذا وكذا .. » — قال الشهرزوري عن الخيام : « وحكي (بصيغة المجهول) انه كان يتخلل بخلال من ذهب موكان يتأمل الالهيات من الشفاء .. » (٧) .. فليتصور القارئ كم كانت تهبط قيمة الحكاية لو لم تصل الينا رواية البيهقي الاصلية التي منها علمنا ان الراوي ناقل مباشر ، ثقة ، عن شاهد عيان . شيء من هذا

٦ — ابن تيمية : « الكلم الطيب » — تحقيق محمد ناجي الدين الاباني — فيه امثلة من ادمية

السجود النبوية ، ص ٦٠ و٦١ .

٧ — شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري — « نزهة الارواح وروضة الامراح » — تاليف

٥٨٦ = ٦١١ هـ .

القبيل أقوله عن البيهقي نفسه ، فلا بد أن خزن الخيام قد روى له أمورا أكثر اقتناعا وأوفى تفاصيل مما اختصره لنا في نصه هذا الذي لم يجد هو فيه ما يثير تساؤلا أو يتطلب اقتناعا أو إيضاحا — لأن الحكاية كما سمعها كانت مقنعة واضحة . ولعله كان شخصا يعلم عن تدين الخيام وتقواه ما لم يذكره لنا اكتفاء بـرواية الامام محمد البغدادي .

ما سبب الحاد الخيام ؟

انه السبب الرائج للالحاد بخطوطه العريضة في كل مكان ، ولا سيما لدى العلماء والمفكرين .

لماذا كل هذا الجور في الحياة ؟

لماذا يسعد الأشرار ويثرون ، بينما يشقى الأحرار ويفتقرون ؟

لماذا يخلق الانسان لينمو ، ثم يموت بعد أن يتم ويكتمل ويصبح أجدر بالحياة ؟

لماذا تموت الصبيّة كالوردة في ميعه عمرها قبل أن يأتي دورها ؟

لماذا كل هذا الاضطراب والظلم ، واللامعقول ، في العالم ؟

لماذا .. لماذا .. لماذا ... (وقد ادرجنا نماذج أخرى من تساؤلاته و (لماداته) في فصل (الالحاد الرياضي) في « ثورة الخيام ») ..

فالذي يستطيع أن يستنتجه بعضهم من كل هذا انه لو كان للكون اله لما كان جائرا ، وان كان جائرا فلا يمكن أن يكون الها .

ولا بد أن الخيام كان عارفا بالقالة السفسطائية الاغريقية المشهورة: **إما أن الله لا يريد الشر ولا يستطيع أن يمنعه ، وإما أنه يستطيع ولا يريد ، وإما أنه يريد ولا يستطيع .. وكل أولئك يعني أنه ليس الها .** والرابعة

انه لا يريد الشر ويستطيع أن يمنعه ، وهذا أيضا مستحيل ، لانه يقال عندئذ : ماله لا يفعل اذن ؟

يضاف الى ما تقدم من افكار تقود الى الجحود والكفران بذات الله ، ان الالحاد ضرب من التمرد الذي يتسم به عهد الفتوة التي من طبعها التحدي والنزوع الى التجديد، والخروج على الموروث من معتقدات ومواضعات دينية واجتماعية وذوقية .. حتى في الأزياء .. حتى في الموسيقى والاغاني .. وقد رأينا بأعيننا انتشار بدعة اطالة اللحية على عهدنا عند أحداث الجيل ، خلافا لجيل آبائهم ، ثم اطالة شعر الرأس محاكاة للناث . ولا تسلم عن تملص الفن عموما — من رسم عبثي وأدب تشكيلي — من كل القيود، وخاصة من القيد الجوهرى الأساسى الذي انما خلق الفن والأدب للتعبير عنه ، وهو المعنى . وما كل هذا غير طراز من الالحاد الاجتماعى .

بديهى ان فكرة وجود خالق للكون مبدع لكل شيء لم ينتظر الخيام حتى يشيخ ليتعلمها، فهي في الواقع أول شيء من الاسلام تُعلِّمه الصبي ، عمر ، في دروس علم الكلام (الالهيات) يوم قالوا له : كل متغير حادث ، وكل حادث له محدث . والعالم متغير، فهو اذن حادث، فلا بد ان يكون له محدث، اي صانع أو خالق هو الله سبحانه . فكان يحفظ ذلك صبيا، ويتفهمه ويعيده على ممتحنه مثلما يحفظ (قفا نيك) ويتفهمها ويعيدها . غير انه حين شب ونما جسمه واضطربت فتوته في مرحلة التمرد والتحدي، بدا يقول (لماذا) ؟ ولا بد انه كان يسمع أقاويل الملحدّين المنكرين أيضا ، فكان يقارن ويوازن . وحين لابس الحياة وأحتك بتفاعلاتها، لعلَّه عانى واقعا فوضى الأمور واختلال معايير العدالة، بل فقدانها في الكثير من الأحوال ؛ وربما أصابه الكثير من عقابيل ذلك ، ولعله قاسى أيضا من تحيز القدر في معاملة الناس شيئا غير قليل — علاوة على لا منطقية الموت ومجهولية المبتدأ

والمنتهى ، لا بد أنه حين واجه كل أولئك صار رنين (لماذا) يدوي بقوة في رأسه — استنهاميا حيناً ، واحتجاجياً حيناً ، واستنكارياً حيناً آخر .

ولا بد كذلك أن الخيام قد درس منذ الصبا أيضا اجوبة الدين على أسئلته واعتراضاته ، فقبل له أن (الآخرة) تصحح أغلاط الدنيا . « من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ؛ فكما يثابب الاخيار على صالح اعمالهم وعلى ما يبطلون به من مصائب الحياة ، يعاقب الاشرار على شرورهم، ويحصى ما يتمتعون به في الدنيا من نعم الحياة فيحسب على سيئاتهم . . والظالم يؤخذ من حسناته يوم القيامة لتضاف الى حسنات المظلوم، فان لم تكن له حسنات اضيف الى سيئاته من سيئات المظلوم . . « يقضى بينهم بالحق ، وهم لا يظلمون » .

لكن هذا الذي تعلمه في الصغر تبخر تأثيره والافتناع به مع الزمن في دورة الشباب . كل الملحدین يعرفون موقف الدين هذا ، لكنهم يزيغون عنه ويذهب بهم الفكر و (اللماذات) مذهب الحيرة فالنكران .

/ على ان تقدم السن يخفف من فورة التمرد والتحدي ايضا . وكثيرا ما يؤمن الشيوخ بعد كثران . والتأويل الرائج لهذه الظاهرة هو ان المرء حين يستنفذ عمره وتخبو حدة شهواته، ويقترب منه قبرة يستغفر ربه خوفا من ويلات الآخرة وطبعاً في نعيمها، فيتوب عن معاصيه ، وكثيرا ما يعكف على العبادة واداء الفرائض من حج وصوم وصلاة وزكاة ؛ ومنهم من يتصدق بما حشد من مال حرام ، وبعضهم يبني المساجد ، او يوقف املاكه على وجوه البر .

لكني لا اخال هذا منطبقا على مثل شيخنا الخيام ، بل على مثل ابي نواس الذي كان يقول في شبابه :

قم سيدي نعص جبار السماوات

فهو كان يؤمن بأن في السماوات جبارا، لكنه يعصيه تمردا وسفاهة حتى بعد أن حج البيت وقال في بعض قريضه ما ينم عن إيمانه . وذلك شأن معظم العصاة من الناس . يؤمنون بالله القاهر فوق عباده، ولا ينمهم إيمانهم من اتیان المعاصي، من غش وابتزاز وعدوان وفسوق، وما الى ذلك من صفائر الذنوب وكبائرهما . . كالولد الشقي المتمرد، يرتكب كل ما تسول له نفسه ضد أوامر أبيه ومعلميه على الرغم من علمه — يقينا — بما سينال من عقاب وضرب وجيع .

فاذا أدبر الشباب وحلّ المشيب ببعض المارقين عن الدين تابوا .

قال أبو نواس فيما قال :

وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك اثم !

يتوب من آثامه لا من الحاده . انه لم يخرج على الدين عن فلسفة ، ولا هو تاب عن تفكير . لأن التوبة خامرته فيما يظهر عند اعتلال جسده، ربما بسبب الاسراف على نفسه في الخمر والفجور . ويفلب على ظني انه لو عاوده عنفوان الشباب واقبال الحياة لتاب عن توبته .

الخيام طراز آخر ، كان كثره بالدين والحاده بالله عقليا ، أي علميا، لا جهليا أو عصيانيا ؛ فلما عاد الى الايمان عاد عن تفكير وتأمل . فلماذا لم يستغفر في دعائه الأخير عن ذنوبه ومعاصيه ، بل عن عدم تمكنه من معرفة الله .

بعد أن شبع وسغم في مدارج العمر من كثرة تساؤل وطول احتجاج واعتراض ، أخذت (لماذا) تضعف وتتلاشى مع الزمن وبالتدرج . . لتظهر مقابلها في نفس الوقت ، مع الزمن وبالتدرج : (كيف) ؟ . . ولا سيما أن شعلة التمرد والتحدي خمدت مع تدرج خمود الفتوة ونضج الكهولة ،

فأصبحت نظرتة الى الأمور وتأملاته في شؤون العالم تنسم بشيء من الحياء .. الايجابي .

إذا كانت تأملات أبي نواس قد قادته الى القول :

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

/ فلا بد أن هذه الحقيقة قد كانت أجلى لعين الخيام، وهو أوسع علما واعمق فكرا ، وأكثر اهتماما بتقصي الحقائق والتفتيش عن المجهولات واسرار الحياة والكون . لا بد انه تسأل :

- (كيف) نبتت هذه الشجرة الوارفة من تلك البذرة الصغيرة ؟ كل اوراق هذه الدوحة الضخمة وخضرتها وخشبها والوان نورها ونوع ثمرتها وطعمها .. كل هذا كان مسجلا بطريقة خفية ودقة غير معقولة في تلك البذرة الصغيرة .

(كيف) تكونت هذه الحيوانات في أرحام أمهاتها ، من لا شيء تقريبا ، من ماء دافق لا يبين فيه اثر لحياة .. ثم اخذ كل منها منذ ولادته يتصرف على نحو خاص بأبناء نوعه دون تعليم ، بالفطرة ؟

(كيف) تكونت هذه الفطرة ؟

/ والإنسان .. (كيف) سطرت كل خصائص شخصيته بالتفصيل المسهب ، المتقن ، في تلك النطفة الضئيلة ؟ كل البرنامج : الطول والحجم ولون البشرة وعدد الشعرات في الجسم في كل مرحلة من مراحل الحياة .. والاحاسيس ، والمشاعر ، والهواجس ، والأفكار ؛ وكيف يواجه جسمه ونفسه وعقله كل انواع الاحتمالات التي تصادفه في الحياة ، وكل الاستجابات والتفاعلات وتعاملات البيئة ؟ .. والخيام طبيب ..

وهذا الكون (كيف) تهندس بنجومه الثابتة على مسافات محددة ..

-والخيام فلكي - وبكواكبه السيارة المتحركة بحسابات مضبوطة ؟ ..
-والخيام رياضي - هذا الكون (كيف) نشأ و (كيف) يعمل ؟ (ولو أنه لم
يكن معروفا يومئذ أن الفلك يتحرك كله ويسير) .

وهذه الفصول السنوية (كيف) تتغير وتتعاقب بانتظام، فلا يتقدم
دوران السنة دقيقة واحدة ولا يتأخر ؟ .. والخيام قد شارك في وضع
التقويم السنوي الذي يبدأ في لحظة تعادل الليل والنهار الربيعي .. وهو
نوق ذلك خبير بعلم الأجواء والأنواء ..

بعض هذه الاسئلة يظهر في رباعياته ، لكني لا اشك أنها كلها -
واكثر منها - قد كانت موضوع اهتمامه وتأملاته .

كيف وكيف وكيف ؟ ...

كل شيء يدعو الى العجب ، بل الدهشة .
وكلما كان العقل اكبر كان تعجبه ودهشته اكبر .

هذا الكون المذهل بكل هذه العظمة وهذه الدقة، من أعظم شيء الى
اصغر ذرة، فيه لا يمكن أن يكون قد تكوّن مصادفة . وهذه الدقة المتناهية
المحكمة الى حد لا يدركه الفكر، يستحيل أن تكون هي التي خلقت نفسها .

قال لي في أذن قلبي الفلك السدوار همسا :
لأرحمت الآن نفسي من هيامي ودواري !
أنا لو كان بأمرى دورانسي في مداري
أتظن الحكم حكيم في السورى سعدا ونحسا ؟

كلا ، ان الفلك لم يبدع نفسه ، ولا هو يدور باختياره ، ولا بوعي
منه ؛ انه كالثور يدور في الناعورة لا يدري من أجل ماذا .

لسنا نعلم في أية مرحلة من حياته قال هذه الرباعية ، وهي رباعية

خيامية الدلالة، حتى أن لم يكن الخيام قائلها فعلا .

(كيف) اذن نشأ الفلك ، و (كيف) دار ؟

انه بحر وجود جاء من طي الخفاء
درة للبحث لم تُتَقَبْ بعلم أو ذكاء
كلهم جاء بقول من تَظَنُّ وهـراء
غير أن الحق لم يظهر عليه ابن فناء

(لا ادريّة) صريحة ؟ وهي من الرباعيات (المعتمدة) التي يرجح ترجيحاً قويا صحة نسبتها الى الخيام . وثمة أمثال لهذه اللاادريّة في رباعيات أخريات . ثم :

يا فتى من صولج التقدير كالأكرة بجري (أ)
سرّ شمالا ويمينا ، ثم لا تنطق بأمر
أن من القاك في المحنة من كُـرّ وفسر
هو بدري، وهو بدري، وهو بدري، وهو بدري

(لا ادريّة) أخرى ، لكن من نوع آخر . فالخيام نفسه ما يزال (لا بدري) غير أنه قد توصل هنا الى معرفة (هو) الذي وحده بدري .. أي أنه اعترف بوجود (هو) الذي « القاك في المحنة » ..

كان الحادّه رياضيّا ، فلا بد أن إيمانه أيضا قد كان رياضيّا .. فلا يغلّ الحديد الا الحديد .

✓ فاذا وضعنا المسألة في صيغتها الرياضية كانت كما اظن هكذا :

٨ - المولج هو المولجان (اللسان) . بقصد لعبة الكرة والمولجان ، المشهورة نسبيّا

عمرنا باسم (الهوكي) .

(لماذا) ، جوابها : لا أدري ، أي صفر . جواب سالب .

(كيف) ، جوابها : هو يدري . جواب موجب ، على كل حال .

وطبيعي أن يتخلى عقل علمي كعقل الخيام عن السالب من أجل
الموجب ! بعد أن اقتنع عقله باستحالة وجود هذا الكون من دون موجد ،
خالق ، صار إذا عاوده التسأل : لماذا هذه المفارقات في الحياة ؟ لماذا
الشروع ؟ لماذا الحياة ؟ .. لماذا الموت ؟ .. لماذا ، لماذا ؟ ..

كان الجواب : هو يدري ! .. نفس الجواب الذي تعلمه الصبي عمر
ابن ابرهيم الخيام من معلميه وأهله : انها حكمة الله .. قضاء الله ..
ارادة الله .. يُعَزَّزُ من يشاء ويُذَلَّلُ من يشاء ..

ولماذا كانت حكمة الله ومشينته هكذا ؟ .. هو يدري ، هو يدري ..
« لا يُسأل عما يفعل ، وهم يُسألون » .

عندها لا بد أن الخيام عاد الى أجوبة الدين القائمة على تعادلية اليوم
الآخر . وصار يتأمل تلك الأجوبة على (لماذااته) بعين جديدة، ويهضمها
عقله بالتدرج — بعد أن كان يحفظها ويميدها ويتبحر في فلسفتها تحليلًا
وتعليلاً في محاضراته ورسائله . كان يلقيها دروساً على الناس، ويجهد في
افهامهم اياها بالادلة المتداولة بين العلماء والحكماء دون أن يقتنع — هو
بها أو يفهمها .. كما يفعل الكثيرون من المعلمين في كل زمان حين يضطرون
الى تلقين تلاميذهم مبادئ دينية أو سياسية لا يؤمنون بها . لكن الخيام بعد
أن آمن بالذي (يدري) صار يلقيها دروساً على نفسه ويجهد في افهامها
اياها بالادلة التي تقنعه هو، وأصبح شعوره بضرورة وجود (الواجب
الوجود) يساعده ويجبر عقله على الاقتناع .

وما في الامر غرابة ؛ فالغزالي الفقيه المتصوف الكبير أيضاً ثاب الى

الايمن بعد طول حيرة وتشكك . وللغزالي والخيام نظراء .

سؤال : (كيف) هو الله ؟ ..

أما هذا فلم يجب عليه العقل ولا الدين : الدين يقول : شيء لا
كالاشياء .. بكل شيء محيط .. يدرك الابصار ولا تدركه الابصار ..
والامام علي يقول : « كل ما خطر ببالك فهو ليس كذلك » !

والواقع أن كل تفكير في حقيقة الله وصفاته لا نتيجة له غير الحيرة
والضلالة : وهنا يأتي الحديث النبوي المنقذ : « تفكروا في خلق الله ولا
تفكروا في الله ، فتهلكوا » (٩) .

وينتهي التأمل الرياضي بالخيام ذي العقل الرياضي الكبير الى هذه
النتيجة :

ان عقلي ليس بالكفاء لاثباتك ، ربي
فمناجاتك اضحيت هي تفكيري ودأبي
كيف لي رياه ان اعرف ما كنه صفاتك ؟
ليس من يعرف ما ذاتك حقا غير ذاتك !
وما اشد انسجام رباعيته المنظومة هذه مع دعائه المنشور ذاك .

وان كانت للخيام عمر رباعيات دينية أخرى، فالمعقول أن تكون من
نتاج فترة الرجوع الى الايمان والتدين . ولعل رباعيتنا هذه أهم واحدة

٩ - لقد كرر الرسول ذلك على أصحابه في مناسبات متعددة فيما يظهر، لان الحديث روي من

جهات مختلفة بصيغ متقاربة ، كلها تؤكد النهي عن التفكير في ذات الله ويحث على التفكير
في مخلوقاته .

فيها .

ولا نعلم متى قالها عمر ، لكن الشهرزوري يروي أنها آخر ما قال

من الشعر .

وأما الرباعية الرائجة التي كثيرا ما يستشهدون بها على أيمن

الخيام :

ان كنت لم اتقب درة طاعتك قط ،

ولم انفض غبار الذنب عن وجهي قط ،

فلست باليائس من رواق كرمك ،

لاني لم اقل ان الواجد اثنان قط ..

فما أحسبها من صناعة عقل الخيام ، لضعفها ، وخاصة لتهاست
الاستعارة البلاغية في الشطر الأول منها — فمن أسلوب الخيام أن يقول
أحيانا (ثقبوا د. المعاني) بمعنى افتضوها ونفذوا الى صميمها ، أما
(ثقب درة الطاعة) بمعنى الاتصياح اليها والتمسك بها فاستعارة سقيمة
لا أراها شبيهة بشاعرنا المنطيق عمر .

لا أستبعد أن يكون أيمنه هذا الذي ملك عليه مشاعره في شيخوخته
أو منذ كهولته ، قد دعاه الى اتلاف رباعياته الفارسية وشعره العربي،
مما لم يرد به وجه الله أو أراد به الإلحاد والثورة على الدين ، كما يفعل
أمثال له من التائبين — فلم يخلف من جراء ذلك ديوان شعر ولا مجموعة
رباعيات ، الا ما بقي في ذاكرات أصحابه الذين كانوا أخذوها عنه أو في
دفاترهم ، أو أخذها بعضهم عن بعض ، مما شاع شيء في حياته نقلا
عنهم، وصارت شذرات منه تظهر بعد وفاته في المؤلفات اللاحقة ، حينما
بعد حين .

ولنعد الآن الى ذلك الدعاء الذي ودع به الفاتية . سيفته لا تخلسو
من غرابة ، وهي تناسب الخيام كما نعرفه كل المناسبة . ونص الدعاء
كالذي رأينا هو : « اللهم انك تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني ، فاغفر
لي . فان معرفتي اياك وسيلتي اليك » .

فاذا كانت معرفته الباريء هي وسيلته اليه فلماذا يستغفره ؟ السر
فيما ارى ان « المعرفة » في الشق الاول من هذا الدعاء تختلف عن « المعرفة »
في الشق الثاني منه . وبعبارة أوضح، يخيل لي انه قصد بالمعرفة الاولى
عكس معناها، اي الإنكار ! . فكأنه قال « اغفر لي عدم معرفتي اياك فمما
خلا من أعوام عمري » . وهو يتنصل ضمنا من التبعة، ويلقيها على عجزه
عن الادراك . وقوله « على مبلغ امكاني » يؤيد هذا التفسير . ثم جاءت
المعرفة الحق في الشق الثاني من قائلته ، وهي التي يتخذها وسيلته الى
الله لغفران الماضي وثواب الحاضر ، بل المستقبل .
كان الحاده عقليا ، وجاء ايمانه عقليا ولا بد .

عبد الحق فاضل



المستعمرات الألمانية في فلسطين

للدكتور علي محاذنة

(الجامعة الأردنية)

الغاية من هذا البحث دراسة المستعمرات الألمانية في فلسطين منذ تأسيس أولها عام ١٨٦٨ وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٨ . وتعالج هذه الدراسة الدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية التي كانت وراء انشاء هذه المستعمرات ، ومدى صلتها بالمخططات السياسية الألمانية في الدولة العثمانية . كما انها تتناول طبيعة العلاقات بين المستعمرين الألمان والسكان العرب، من جهة ، وبينهم وبين المستعمرين اليهود، من جهة أخرى . وتستعرض أيضا موقف السلطات الرسمية العثمانية من هذه المستعمرات .

مشاريع استعمار فلسطين في النصف الأول من القرن التاسع عشر :

فتحت حملة نابليون بونابرت على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨-١٨٠١) باب الصراع الدولي في الشرق العربي على مصراعيه . واطلقت العنان لمخططي السياسة الاستعمارية في أوروبا ، فقدموا مشروعات عديدة ترمي الى تجزئة الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها ، في وقت بلغ الجشع الاستعماري ، مع انتشار الثورة الصناعية ، أوجه . وكانت فلسطين بحكم موقعها الجغرافي والاستراتيجي وأهميتها الدينية هدفا لمخططي هذه

السياسة . فمنذ عام ١٨٠٠ نشر الكاتب البريطاني جيمسز بيتشينو

James Bicheno كتابا بعنوان The Restauration of Jews, دعا فيه الى تجميع يهود العالم
the crisis of All Nations

في فلسطين ، تحقيقا للنبوءات التوراتية ، وسعيا الى حل الازمات التي
تجتاح الدول المسيحية والدولة العثمانية . وعلق بيتشينو آمالا واسعة على
فرنسا النابليونية لتحقيق هذا المشروع . غير أن مبادرة نابليون بجمع
« مجلس أعلى » لليهود لاستغلاله كأداة سياسية ، منيت بالفشل . ولذلك
اتجهت الأنظار الى الدول البروتستانتية (بريطانيا وبروسيا) لتحقيق هذا
المشروع . ولقيت آراء بيتشينو صدى واسعا في بريطانيا ، وأعيدت طباعة
كتابه السابق الذكر عام ١٨٠٧ (١) .

وقد أعجب بالفكرة اللورد آشلي Lord Ashley الذي أخذ يدعو
لها منذ خريف عام ١٨٣٨ . وفي رايه أن جمع اليهود على أرض فلسطين
سيكون خطوة أولى نحو تنصيرهم ، كما أن استعمار فلسطين ضرورة
للاقتصاد البريطاني الذي شهد آنذاك ازدهارا وتوسعا نتيجة للثورة
الصناعية . وبضغط من آشلي قبل قريبه اللورد بالمرستون
Lord Palmerston رعاية عودة اليهود الى فلسطين، وحماية
الحكومة البريطانية للمقيمين منهم في الدولة العثمانية . وكان للكتاب الذي
ألفه اللورد ليندسي Lord Lindsay وصدر عام ١٨٢٨ بعنوان
"Letters on Egypt, Edom and the Holy Land" * رسائل عن
مصر وايدوم والأرض المقدسة والذي تضمن تحبيذه لفكرة جمع اليهود في
فلسطين ، صدى واسع في نفس اللورد آشلي . فقام الأخير بجمع الأموال
لتنفيذ مشروع جمع اليهود على أرض فلسطين (٢) .

أثار المشروع اهتمام الحكومة البريطانية والصحافة اللندنية .

فقد تناولت صحيفة التايمز Times في عددها الصادر في ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٣٩ الأفكار الرئيسية التي نادى بها آثلي وايدت « حق الشعب اليهودي في العودة الى فلسطين » . وربطت المسألة اليهودية بالازمة السياسية القائمة بين محمد علي باشا والسلطان العثماني (٣) . اما وزارة الخارجية البريطانية فقد اصدرت في ٣١ كانون الثاني ١٨٣٩ تعليماتها الى W. T. Young نائب القنصل المعين حديثا (١٨٣٨/٩/١٩) في القدس لبسط حمايته على كافة اليهود المقيمين في فلسطين (٤) .

ونشأت في الوقت نفسه حركة بين اليهود في بريطانيا تدعو الى استعمار فلسطين . ففي ربيع عام ١٨٣٨ زار موسى مونتفيوري (Moses Montefiore) (٥) ، الثري والمحسن اليهودي، فلسطين ، وعرج على مصر لمفاوضة محمد علي باشا في مشروع يرمي الى تاجير منطقة الجليل (نحو ٢٠٠ قرية) له لمدة خمسين سنة ، وأن يدفع له مقابل ذلك اجرا سنويا . وكان في نية مونتفيوري أن ينشئ شركة استعمارية في بريطانيا ، في حالة موافقة محمد علي باشا على مشروعه ، من أجل تشجيع يهود اوروبا على الهجرة الى فلسطين . غير أن مباحثات مونتفيوري مع محمد علي باءت بالفشل، عندما أكد والي مصر أنه لا يستطيع التصرف بأرض لا يملكها . واستمر مونتفيوري في نشاطه دون جدوى ؛ وزار فلسطين سبع مرات بين عامي ١٨٢٧ و ١٨٧٥ (٦) . كان مشروع مونتفيوري هذا مقدمة للمشروع الصهيوني الذي مر بمراحل عدة طوال القرن التاسع عشر .

وبعد جلاء قوات محمد علي عن بلاد الشام، اقترح هلموت فون مولتكه (Helmuth Von Moltke) الكابتن في الحرس الملكي البروسي، الذي عمل بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٣٩ في اعادة تنظيم الجيش العثماني (٧)، مشروعا آخر لاستعمار فلسطين . وورد هذا المشروع في مذكرات فسون

مولتكة التي نشرها في صحيفة (Augusburger Allgemeine Zeitung) عام ١٨٤١ تحت عنوان : « المانيا وفلسطين Deutschland und Palaestina » . وقد شرح الضابط الألماني مشروعه هذا بتفاصيل دقيقة أثارت اهتمام الرأي العام الألماني والأوروبي . وينص المشروع على إنشاء « ملكة القدس » لتجعل من فلسطين مركزا متقدما للحضارة الأوروبية ، وانموذجا للتطور الاقتصادي في الشرق ، ودولة واقية بين مصر وسورية في حالة قيام ملكة وراثية في مصر ، تحول دون أي اعتداء على الدولة العثمانية ، وجسرا يربط أوروبا بالقارة الهندية . ويرى مولتكة أن قيام هذه الملكة سيكون بعنا للنقلايد والقيم الصليبية، ونصرا معنويا عظيما تحققة المسيحية في العالم . واقتراح أن يكون على رأس هذه الدولة أمير الماني يتمتع بسلطة مطلقة، ويتّصف بروح متسامحة . فهو يرى أن اعتلاء أمير الماني لعرش ملكة القدس، سوف يبعد فلسطين عن تأثر المنافسات السياسية القائمة آنذاك بين الدول البحرية الأوروبية . كما أن تمتعه بسلطة مطلقة سيساعد في فرض النظام على بلد متخلف « لم يبلغ سكانه بعد مستوى حضارة اليونان، الذي تؤهله للمطالبة بالحكم الذاتي » (٨) . هذا وتحمس لمشروع مولتكة ملك بروسيا، فريدريش فيلهلم الرابع (Friedrich Wilhelm IV) وتبنّاه، فعرضه على ملوك أوروبا فلم يقبلوا به (٩) .

وبقيت فكرة استعمار فلسطين تشغل بال العديد من رجال الدين والسياسة والاقتصاد في أوروبا ؛ غير أننا سنقتصر على هذه المشروعات التي كانت تمهيدا للمشروع الاستعماري الألماني، الذي بدأ تنفيذه في نهاية الستينات من القرن التاسع عشر .

جمعية الهيكل الالمانية واستعمار فلسطين

تعود جمعية الهيكل الالمانية (Deutsche Tempelgesellschaft) في اصولها الى حركة الانتقاء Pietismus التي ظهرت في ألمانيا في القرن السابع عشر ، كحركة دينية اصلاحية في الكنيسة الانجيلية، اكدت على دراسة الكتاب المقدس، وعلى الخبرة الدينية الشخصية . واستمرت هذه الحركة الدينية حتى مطلع القرن التاسع عشر، وتركزت حول تيوزوفمن بينجل Theosophen Bengel، الذي بشر بقيام مملكة الرب وعودة المسيح الى الأرض في اعقاب كوارث مريعة تنجم عن الاعتماد عن الروح المسيحية . ودعا بينجل كلّ تقي أن يبحث له عن مكان في الشرق، لقرب قيام مملكة الرب هناك . ورأى بينجل واتباعه في نابليون بونابرت الشيطان المناهض للمسيح . ومع نهاية نابليون، اعتقد بينجل أن لا بد من مرور بعض الوقت حتى تتم التفجيرات الكبرى . وتوقع أن تتم عودة المسيح عام ١٨٣٦ .

وفي عام ١٨١٧ حُلّت مجاعة بمملكة فورتمبرغ Wurttemberg، فانتهز بينجل هذه الحالة كمدعى اتباعه الى الهجرة الى الشرق . فهاجـر آلاف الفلاحين من هذه المملكة الى جنوب روسيا، حيث رحب بهم القيصر اسكندر الاول . واعتقد كثيرون منهم أن ترحيب القيصر الروسي نداء الهي لا بد من تلبيةه . وتمت هجرة هؤلاء الالمان تحت اشراف البارون غون بيركهاهيم Von Berkheim . وسمح لهم القيصر بادارة شؤونهم ادارة ذاتية .

اما مملكة فورتمبرغ فقد رأت في هجرة مواطنيها خطرا يتهددها، لذلك لجأت الى مختلف الوسائل للحيلولة دون هجرتهم . وتقدم النائب العام في المملكة باقتراح على حكومته ينص على السماح لهؤلاء المتدينين بتشكيل جمعيات خاصة بهم، تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي . قبلت حكومة فورتمبرغ هذا الاقتراح، وتشكلت اول جمعية دينية في فورتمبرغ على يد

غوتليب هوفمان G. M. Hoffmann ، رئيس بلدية ليونبرغ Leonberg
في تشرين الاول عام ١٨١٨ . وفي صيف عام ١٨١٩ بدأ أعضاء الجمعية
الجديدة بالاستيطان في قرية من أملاك الفارس كورنتال Kornthal ، قرب
مدينة شتوتجارت Stuttgart ، وبنوا منازل لهم عليها مع دار للاجتماعات
العامة (١٠) .

في كورنتال ترعرع ابنا غوتليب هوفمان : فيلهلم (الأكبر) وكريستوف ،
وتربيا تربية دينية ؛ فحصل الاول على منصب ديني رفيع في بلاط ملك
بروسيا ، وهو منصب تسييس البلاط Hof prediger ، بينما ورث
الثاني ، الذي يصغره بتسع سنوات ، أباه في رئاسة الجمعية الدينية (١١) .
درس كريستوف الفلسفة والتاريخ في جامعة توبنجن . Tuebingen .
واشتغل في التعليم . ولما اشتد ساعد الحركة العلمانية المناهضة للمسيحية
في المانيا في الاربعينات من القرن التاسع عشر ، برزت هذه الجمعية الدينية
للدفاع عن المسيحية ، معتبرة المبادئ المسيحية الاسس التي ينبغي ان يقوم
عليها الاصلاح الاجتماعي في المانيا . وتولى كريستوف مهمة الدفاع عن هذا
الاتجاه الديني . واصر في ايار عام ١٨٤٥ ، بالتعاون مع صديقه عمانويل
باولسوس Immanuel Paulus ، الصحيفة الاسبوعية Die Sueddeutsche Warte
للتعبير عن هذا الاتجاه المسيحي
الاصلاحي (١٢) .

وجاءت أحداث عام ١٨٤٨ الثورية في المانيا فأدخلت الرعب في قلب
كريستوف هوفمان . وتأكد له من أحداث ذلك العام الرهيبة ان « مسيحية
الكنيسة مقتصرة على الوعظ الديني المجرد من الحياة ، ، وأنها قائمة
على قوة العادة ، وعاجزة عن وقف التفكير والانحلال » . ووجد ان
« المسيحية قد تخلت عن مهمتها الاساسية الروحية ، وغاصت في أحوال

المادية، وتمسكت بالقشور الخارجية » . ورشح نفسه في ذلك العام عن مدينة لودفيجزبورغ Ludwigsburg في الانتخابات العامة للبرلمان الاتحادي الألماني « البندستاغ Bundestag » الذي كان مقره مدينة فرانكفورت على الماين . وكان على ملكة فورتمبرغ أن تقدم ٢٨ نائبا عنها الى ذلك البرلمان . فاز هوفمان على خصمه مرشح الاوساط الليبرالية العلمانية ، فكان النائب الوحيد في البرلمان الاتحادي الألماني الذي يمثل حركة الانتقاء الالمان (١٣) .

وجد هوفمان في الاتجاهات الليبرالية والثورية، التي لقيت من يعبر عنها ويمثلها في برلمان فرانكفورت ، دليلا على فشل الكنيسة الانجيلية في القيام برسالتها . فعاد الى منطقته وبدأ الدعوة الى انشاء كنيسة حرة — من الاوساط المتدنية الورعة وتأسيس جمعية انجيلية . Evanguelische Verein مستقلة عن الكنيسة الانجيلية الرسمية؛ وكان ساعده الايمن في دعواته هذه جورج دافيد هارديج Georg David Hardegg ، الذي تعرّف عليه عام ١٨٤٨ (١٤) ، وصديقه عمانويل باولوس .

واتخذت هذه الحركة الدينية اتجاها جديدا عام ١٨٥٣، مع اندلاع حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا ، اذ سرى اعتقاد لدى الاوروبيين ان الدولة العثمانية على شفا الانهيار ، وأن تَفُكَّها بات وشيكا . وجاءت الاضطرابات الدينية التي حدثت في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ، لتشد أنظار المتدينين الالمان الى الارض المقدسة . وبرز كريستوف هوفمان يدعو الى سلخ فلسطين عن الدولة العثمانية، وجعلها موطنا لشعب الله Das Volk Gottes ، تنفيذا لوعود الانبياء الواردة في التوراة . وشعب الله هذا ليس الشعب اليهودي ، الذي لم يعد له وجود ، وانما هو الشعب المسيحي الانجيلي .

وفي ٢٤ آب عام ١٨٥٤ دعت لجنة أصدقاء القدس، التي تشكلت من أتباع هوفمان ، الى اجتماع عام يعقد في فالدهورن Waldhorn، قرب لودفيجزبورغ، من أجل بحث الوسائل اللازمة لتحقيق مشروع هوفمان . واقتراح هارديج في هذا الاجتماع التوجه الى البندستاغ، في فرانكفورت، والطلب منه أن يسعى لدى السلطان العثماني للسماح للألمان باستعمار فلسطين ، من أجل ايجاد عمل للعاطلين عن العمل في ألمانيا . وكان الشعار الذي طرحه هارديج في هذا الاجتماع « ينبغي ايجاد عمل للشعب الألماني » "die deutsche Nation muss Arbeit Haben." . ونفذ اقتراح هارديج، ووقع العريضة ٤٣٩ شخصا ، وحملها هوفمان وهارديج وقدمها الى البارون فون بروكش Von Brokesch ، رئيس البندستاغ . غير أننا لا نعلم شيئا عن استجابة البندستاغ لهذه العريضة أو رفضها (١٥) .

وتولت مجلة Sueddeutsche Warte، الناطقة باسم الجماعة الدعوة الى المشروع الجديد . وأخذت في الوقت نفسه تشن هجوما على كنيسة فورتبيرغ الانجيلية الرسمية . وفي هذه الأثناء كتب فيلهلم هوفمان، من برلين، الى شقيقه ينصحه بالبقاء في حوزة الكنيسة الانجيلية، والابتعاد عن مغامرات هارديج . غير أن كريستوف لم يُعِرْ بالا لهذه النصيحة ، وكتب مشروع دستور للجمعية الجديدة سماه « مشروع دستور شعب الله Verfassungsentwurf des Volkes Gottes » . فتشكلت الجمعية في

عام ١٨٥٤ تحت اسم "جمعية تجميع شعب الله في القدس Gesellschaft fuer Sammlung des Volkes Gottes in Jerusalem"

وجعلت هدفها السعي لجمع شعب الله في القدس لبناء مملكة الرب . ورأى قادة الجمعية أنهم بحاجة الى مزيد من الاعداد على أرض الوطن، لجمع أكبر عدد ممكن من الألمان وغيرهم قبل الهجرة الى فلسطين . وقام هوفمان وهارديج برحلات عديدة في أوروبا ، وحضرا في خريف عام ١٨٥٤ مؤتمرا

دينيا في باريس، وعرضا عليه مشروعاتهما، فلقي اهتماما من المؤتمرين .

وتبرعت بعض الاسر الثرية بالاموال لشراء الاراضي الواجب تجميع شعب الله عليها في المانيا قبل الانطلاق الى استعمار فلسطين . فتم شراء قطعة واسعة من الارض في كيرشنهاردت هوف (Kirchenhardthof) ، قرب فينندن Winnenden تحت منبع نهر النيك Necker ، عام ١٨٥٦ . وتمكن هوفمان وهارديج من جمع عدد كبير من الانصار، أطلق عليهم اسم « اصدقاء القدس Jerusalem Freunde » ، بلغ عددهم حوالي عشرة آلاف شخص . وساهمت سنوات الجذب التي شهدتها مملكة فورتمبرغ ، خلال السنوات الاولى من تشكيل هذه الجمعية ، في كسب العديد من الانصار الراغبين في الهجرة الى فلسطين (١٦) .

وانتهت حرب القرم عام ١٨٥٦ دون ان تسفر عن انهيار الدولة العثمانية، كما كان يتوقع هوفمان وانصاره . وشئت الكنيسة الانجيلية الوطنية في فورتمبرغ ، بتشجيع ودعم من حكومتها ، حملة شديدة على اصدقاء القدس . فاخذت اعدادهم تقل تدريجيا (١٧) .

وفي صيف عام ١٨٥٨ قررت الجمعية ارسال وفد مؤلف من هوفمان وهارديج والمزارع بويك Bubeck الى فلسطين ، ايمانا منها بان المسألة الشرقية لم تحل بمؤتمر باريس عام ١٨٥٦ ، وان لا بد من دراسة امكانية استعمار فلسطين . وصل الوفد الى فلسطين، والتقى بمطران القدس الانجليكاني صموئيل غويات Samuel Gobat ، وبالمبشر الانجيلي شنلر Schneller ، فشرحوا للوفد اوضاع فلسطين، ولم يشجعاه على تنفيذ مشروعه . وجمع الوفد معلومات جيدة عن البلاد من القنصلية البروسية في القدس . ولما عاد الوفد الى المانيا نشر هوفمان تقريرا عن الزيارة في مجلة Sueddeutsche Warte ، بيّن فيه المصاعب التي تعترض

الاستيطان في فلسطين ، وأوضح أن لا بد من الاستعداد لذلك . ودامت فترة الاستعداد هذه عشر سنوات (١٨) .

دخل هوفمان وانصاره في اثناء ذلك في خلاف مع كنيسة نورتمبرغ الانجيلية، أدى الى طردهم منها في ٧ تشرين الاول عام ١٨٥٩ . واضطروا الى انشاء طائفة دينية خاصة بهم . فقدم هوفمان اقتراحا الى مجلس الجمعية بتسمية الطائفة « الهيكل الروحي Der geistliche Tempel » او « طريق الخلاص Der Weg Zur Rettung » . اما فكرة « الهيكل » وتسمية الجمعية به، فتعود الى القس الميمداني جاكوب امان Jakob Amman ، الذي انشا في برن Bern ، بسويسرا، جمعية بهذا الاسم عام ١٦٩٣، بهدف اعادة بناء هيكل الرب في القدس (١٩) . ولا صلة لهذه التسمية بجمعية « فرسان الهيكل » التي تشكلت في مطلع القرن الثاني عشر، واستمرت في نشاطها حتى نهاية احتلال الفرنجة لبلاد الشام في نهاية القرن الثالث عشر .

واشتدت حملة الكنيسة الانجيلية على الطائفة الجديدة، فنفرد العديد من امراءها ؛ غير أنها استطاعت أن تحافظ على بقاء بعضهم في حظيرتها، وأن تكسب الى صفوفها العديد من الاتباع خارج المانيا، وبخاصة في اوساط المهاجرين الالمان في امريكا الشمالية وجنوب روسيا .

واعيد تنظيم الجماعة في كيرشنهاردتهوف عام ١٨٦١ تحت اسم جماعة الهيكل الالمانية Deutscher Tempel ، من أجل تجديد حياة « شعب الله » الدينية والاجتماعية . وحتى تكسب الجمعية ولاء العناصر القومية الالمانية، رفعت شعارات قومية الماتية . وجاء في أحد بياناتها : « ان روح الشعب الالمانى ومزاياه ينبغى أن تكون الطابع المميز لهيكل القدس واستعمار فلسطين ... ولا بد من السعى لادى سلطة الماتية (او دولة الماتية) لمتابعة

واستمر قادة الجمعية يحضرون المؤتمرات الدينية التي كانت تعقد في برلين ولندن وبيزن وجنيف ، ويتجولون في العواصم والمدن الأوروبية الكبرى يدعون الى تحقيق مشروعهم . فقد شارك هارديج في المؤتمر الذي عقد في جنيف عام ١٨٦٧، والذي كان ضيف الشرف فيه غاريبالدي Garibaldi ، بطل الحرية في ايطاليا . كما حضر حفل انشاء الصليب الأحمر على يد السويسري هنري دينان Henri Dunant ، الذي أبدى اهتمامه بشؤون الشرق العربي في فترة مبكرة . فقد أصدر كتابا في باريس بعنوان « تجديد الشرق La Rénovation de l'Orient » عام ١٨٦٥ . وقام دينان اثناء اقامته في باريس بانشاء جمعية العمل الدولي من أجل تجديد فلسطين Oeuvre Internationale de la Rénovation de la Palestine ، وتولى منصب سكرتيرها العام ؛ وتولى انشاء فروع لها في باريس . وأقام هارديج صلات وثيقة مع دينان . وتولى الأخير توجيه نداءات الى فروع « الجمعية الدولية لتجديد فلسطين » من أجل هيمنة المسيحيين على فلسطين عن طريق الاستيطان السلمي .

وسعى دينان لدى السفير العثماني في باريس جمال باشا، ولدى الوزير المفوض الفرنسي في اسطنبول المسيو بوريه Bourrée ، من أجل حث الباب العالي على السماح للمستعمرين الالمان، من جمعية الهيكل بشراء الأرض في فلسطين والاستقرار فيها . وتحت ضغط دينان جاء الجواب من الباب العالي يطلب تحديد موقع الأرض التي يريد المستعمرون الالمان شراءها . فاتصل دينان بهارديج، واقترح عليه ارسال مهندس مختص الى فلسطين من أجل اختيار الموقع المطلوب وتحديد مساحته . وكتب رسالة الى هارديج مؤرخة في ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٦٨ يقول فيها : « من

المعروف جيدا أن ارسال مهندس من أوروبا أمر مكلف (١٠٠٠٠-١٥٠٠٠ فرنك) ، وهذا مبلغ أولى بجميبتكم أن توفره لها . ولذلك تمنا بالاتصال بعدد من الاشخاص، وبخاصة بالوزير المفوض بورييه، ليسأل اذا كان بالامكان ايجاد مهندس قدير وامين، وباجر قليل، في اسطنبول أو في أي مكان آخر في الشرق . واتصلنا بدورنا بمحل لوفنتال Loewenthal في يافا لهذا الغرض . ولكننا لم نستطع أن نحصل على المهندس المطلوب . وربما كان من الأفضل لو أن جميبتكم اختارت مهندسا من بين اعضائها، وكلفتسه بالسفر الى فلسطين . . . » . وفشل دينان وهارديج في العثور على المهندس المطلوب . واخيرا قررت الهيئة الادارية لجمعية الهيكل، في اجتماع عقدته في ٢٤ آذار ١٨٦٨ في كيرشنهارتهوف، أن يقوم هوفمان وهارديج بالسفر الى فلسطين في آب من العام نفسه، من أجل انشاء أول مركز، Tempel Post ، للجمعية على أرض فلسطين . وقد سرّ دينان بهذا القرار، وكتب الى هارديج في ٨ نيسان ١٨٦٨ يقول : « آمل أن نتمكن من احراز بعض التقدم في عملنا في هذا الصيف . وكلما طال الزمن زاد اقتناعي بذلك . يمكنك الاعتماد علي ، انني مؤمن بمستقبل فلسطين . . . وسيكون لجميبتكم الشرف الكبير في انشاء أول مستعمرة على الارض المقدسة . . . » (٢١)

وفي ٦ آب ١٨٦٨ سافر زعيما جمعية الهيكل، هوفمان وهارديج، من كيرشنهارتهوف مع اسرتيهما الى فلسطين . ومَرّا بفيثّا حيث قابلا البارون فون أورزي Von Orsi من وزارة الخارجية النمسية، فوعدهما بأن يقدم ممثلو الحكومة النمسية الدبلوماسيون النصائح والمساعدات الضرورية لهما . كما مرا ببودابست، وقابلا فرانز دياك Franz Deák ، صاحب فكرة الاتحاد النمسوي - الهنغاري . واخيرا وصلا الى اسطنبول، حيث رَحّب بهما الوزير المفوض لرابطة دول شمال المانيا

der Norddeutsche Bund الذي كان قد تلقى تعليمات من البلاط الملكي البروسي بتقديم التسهيلات اللازمة لهما ، نتيجة وساطة شقيق هوفمان ، القس في البلاط البروسي . وفي ١٥ أيلول ١٨٦٨ تقدّم هوفمان وهارديج بطلب الى الباب العالي للموافقة على شراء قطعة من الارض مساحتها ثلاثة اميال مربعة على جبل الكرمل في حيفا . وجاء اختيار موقع القطعة بتوصية من المفوضية الألمانية . ووضحا في طلبهما هذا ان الغرض من الاستقرار في فلسطين ديني محض وليس له أية ابعاد سياسية ، وان الاستيطان هناك سيقترن على اعضاء جمعية الهيكل ، وسوف يتم بصورة تدريجية . كما ابانا ايضا دور الجمعية المقبل في تطوير الزراعة والصناعة في البلاد ، ولذلك طالبا باعفاء المستوطنين الالمان من الضرائب لمدة تتراوح بين خمس وسبع سنوات ، حتى يتمكنوا من تدبير امورهم . وابدوا رغبة المستوطنين في ادارة شؤونهم بانفسهم ، دون أي تدخل من السلطة الحاكمة .

واتصل هارديج بالوزراء المفوضين لدول النمسا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة وروسيا وهولندا والسويد ، وقال لهم : « ان ظروف شعبنا اقنعنا بأن الوقت قد حان لبناء هيكل الرب في الارض المقدسة ؛ فاقوال الانبياء في العهدين القديم والجديد تعتبر بناء الهيكل الوسيلة الوحيدة لسعادة الشعوب والافراد على حد سواء » . ورغم النشاط الحثيث الذي بذله زعيما جمعية الهيكل طوال مدة اقامتهما في اسطنبول (٤٥ يوما) ، لم يحصلوا على فرمان المطلوب . فغادرا العاصمة العثمانية في ٨ تشرين الاول ١٨٦٨ باتجاه بيروت ، فوصلا اليها بعد اربعة عشر يوما . وقابلا هناك القنصل البروسي العام الدكتور فيبر **Dr. Weber** ، فقدم اليهما عددا من النصائح ، ومنها ان لا يفتازلا عن الجنسية الألمانية ، وان يرفضوا الجنسية العثمانية ، لكي يتمتعوا بحماية القناصل الالمان . ومن بيروت سافرا الى حيفا فبلغاها في ٣٠ تشرين الاول عام ١٨٦٨ (٢٢) .

كان من الاسباب التي دفعت زعمي جمعية الهيكل الى البدء بمشروعها الاستيطاني في فلسطين ، صدور القانون العثماني للسادس عشر من حزيران عام ١٨٦٧ الذي اباح للرعايا الاجانب حق التملك في المدن والريف في كافة الولايات العثمانية . واصبح هذا القانون نافذ المفعول في حزيران ١٨٦٨ . لذلك اعتقد زعيما جمعية الهيكل ان الطريق امامهما قد فتح لشراء الارض في فلسطين والاستقرار عليها (٢٣) .

مستعمرة الهيكليين في حيفا

عند وصول هوفمان وهارديج الى حيفا، استقبلهما نائب القنصل البروسي في المدينة، الهرتسيفوس Zipfos ، وقدم لهما كل ما يحتاجان اليه من عون ومساعدة . وفي الايام الاولى من اقامتهما وصل رد الباب العالي على طلبهما، يؤكد استحالة السماح لهما بشراء الارض في حيفا الا اذا حصلوا على الجنسية العثمانية . ولكن هذا الرد لم يثنهما عن مشروعهما، فاجريا اتصالات بالبلاط البروسي، الذي اصدر تعليماته الى الوزير المفوض لرابطة دول شمال المانيا في اسطنبول بضرورة التوسط لدى الباب العالي، وتذكير المسؤولين العثمانيين بأنهم سمحوا لرعايا دول اوروبية اخرى بشراء الارض دون التجنس بالجنسية العثمانية (٢٤) .

غير ان هوفمان وهارديج لم ينتظرا نتائج الاتصالات الدبلوماسية، وبتشجيع من تسيفوس قاما بشراء قطعة من الارض مساحتها عشرة هكتارات عن طريق الاحتيال على القانون العثماني ؛ اذ تم الشراء عن طريق وسيط يحمل الجنسية العثمانية، وقام بدوره بتأجيرها لهما لمدة طويلة . ولما احتج القاضي على عملية البيع، سويت القضية بتدخل نائب القنصل البروسي (٢٥) .

وبدا بناء اول مستعمرة المانية في فلسطين على قطعة الارض هذه، التي

كانت تمتد من شاطئ البحر حتى سفح جبل الكرمل ، في ربيع عام ١٨٦٩ .
وُدِّسَت المنازل الاثنا عشر التي بنيت على هذه الارض في آذار ١٨٧٠ من
قبل نائب القنصل البروسي تسيفوس ، واشتملت آنذاك على منازل للسكن،
وبناء لمدرسة وآخر للصلاة . وقد وُضِعَ تصميم هذه المنازل والابنية لمهندس
دنماركي جاء من بيروت، اسمه لويڤد Loyved . (٢٦) وعلى مدخل المستعمرة
نقشت العبارة التالية باللغة الالمانية « لتنسني يميني ان نسيتك يا قس
Vergesse ich dein Jerusalem, So wurde meiner Rechten

” (1969) vergessen ، وحرص هوفمان وجماعته على بنساء
المستعمرة على الطراز الالماني، وفتح الشوارع الواسعة فيها، وترتيبها
بالاشجار والزهور والورود . كما اهتمت الهيئة الادارية للجمعية باختيار
افضل العناصر من اعضائها للهجرة الى فلسطين، من اجل اقامة مجتمع
متماسك مستقل عن المحيط العربي ؛ كما حرصت على اقامة صلات وثيقة
بالوطن الام ، وعلى الحفاظ على مستوى حياتهم كأوروبيين في حيفا (٢٧) .

ونمت هذه المستعمرة بقدم مهاجرين جدد من كيرشنهاردت هوف،
وبخاصة بعد ابرام اتفاقية بين ملكة بروسيا والدولة العثمانية في ٧ حزيران
١٨٦٩، نصّت على السماح للألمان بالاقامة والاستقرار في فلسطين . فبلغ
عدد سكان المستعمرة في بداية عام ١٨٧٣ (٢٥٤) نسمة . وبلغ عدد
بيوتها (٣١) بيتا ، استعمل عشرون بيتا الى جانبها كمعامل وورش للعمل .
وفي عام ١٩٠٢ بلغ عدد سكانها ٥١٧ نسمة ، وبلغ عدد منازلها ٩٢ منزلا،
والى جانبها ٩٥ ورشة عمل (٢٨) . وبلغ عدد سكانها عند اندلاع الحرب
العالمية الاولى (٧٥٠) نسمة (٢٩) . ونقص عدد سكانها بسبب الاحتلال
البريطاني لفلسطين ١٩١٧/١٩١٨، واعتقال العديد من الالمان، وتهجير
بعضهم قسرا الى المانيا في نهاية الحرب العالمية الاولى، والسنوات الاولى
التي تلت توقيع معاهدة الصلح بين المانيا والحلفاء عام ١٩١٩ (٣٠) .

اعتنى الالمان في السنوات العشر الاولى من استيطانهم في حيفا بزراعة الكرمة، وبناء معامل لانتاج النبيذ . غير أن مرضا اصاب الكرمة في الثمانينات من القرن التاسع عشر، فقاموا باقتلاعها . وكذلك اصبحت اشجار الحمضيات التي زرعوها بأمراض ادت الى اقتلاعها . عند ذلك انصب اهتمامهم على زراعة الزيتون، الذي كانوا يستخرجون منه صابونا من نوع جيد، كانوا يصدرونه لالمانيا وأمريكا الشمالية .

واقاموا في المستعمرة طاحونة هوائية على الطراز الهولندي، كما أنشأوا مزرعة للألبان . وانصرفوا تدريجيا عن الزراعة، واتجهوا نحو التجارة والصناعة، حتى أصبحوا محور الحياة الاقتصادية في حيفا . وكانوا روادا في الصناعات والحرف اليدوية وتجارة الاستيراد والتصدير . وأدخلوا الى حيفا المكتبات الحديثة، والاسميات الموسيقية، والنوادي المسرحية، والنشاط الرياضي ؛ فكانت مثلا يحتذى من قبل السلطات العثمانية في المدينة (٣١) .

مستعمرة يافا :

في آذار عام ١٨٦٩ وفد الى هوفمان زائر من يافا من أصحابه الذين تعرف بهم في بازل ، هو المبشر الانجيلي زالميلر Saalmueller، يرافقه الالمانى ميسلر Messler ، الذي اشترى المستعمرة الامريكية في يافا والمعروفة باسم « قرية آدامز Adams City » ، وجاء يعرضها على النيكليين الالمان بسعر معقول . ومن المعروف أن هذه المستعمرة المؤلفة من تسعة عشر بيتا من الخشب، قد انشأتها طائفة دينية امريكية جاءت الى فلسطين لتشهد عودة المسيح الى الأرض، كما كانت تعتقد . ولكنها هجرت المستعمرة بعد أن تبين لاتباعها أن النبوة بعودة المسيح لم تتحقق ، وبعد أن فتكت بهم الامراض (٣٢) .

لقي العرض الذي تقدم به ميسلر استجابة لدى الهيكليين، فاشترى خمسة منازل منها بمبلغ (٦٥) ألف فرنك فرنسي أول الأمر، ثم ما لبثوا أن اشترى ثلاثة أرباعها في مطلع عام ١٨٧١ ، وبعد ذلك بعامين أصبحت المستعمرة بأكملها ملكا لهم (٣٣) .

وفي أيار ١٨٦٩ انتقل هوفمان من حيفا الى المستعمرة الجديدة، وأوكل إدارة مستعمرة حيفا الى رفيقه هارديج . وبأثر فور وصوله بنى مستشفى صغير ودار للضيافة Gasthaus .

وحدث أن قام ولي عهد بروسيا، الأمير فريدريش Friedrich ، بالحج الى القدس في ذلك العام ، بعد أن حضر الاحتفالات بفتح قناة السويس ، فنزل في يافا في ٢ تشرين الثاني عام ١٨٦٩ ، وزار المستعمرة الألمانية الجديدة . وكتب هوفمان عن هذه الزيارة في مجلة الجمعية، Sueddeutsche Warte في عددها الصادر في ١٥ تشرين الثاني ١٨٦٩ ، يقول : « لقد استقبلناه (ولي عهد بروسيا) على مدخل المستعمرة ، فنزل عن جواده وتحدث الى العديد منا بروح ودية ، ثم تجول في المستعمرة ، وزار منزل رئيس الجمعية . واتجه بعد ذلك الى دار الضيافة حيث تناول مع حاشيته طعام الفطور . وودعناه بعد ذلك ، فركب جواده، يرافقه جنود البحرية (الألمان) ، والباشا (العثماني) ، والجنود الأتراك نحو الرملة . . » . هذا وقد تبرع الأمير البروسي ببعض المال للجمعية (٣٤) . وبلغت مساحة مستعمرة يافا هذه ستين هكتارا .

مستعمرة سارونا Sarona

توسع المستوطنون الهيكليون في يافا في نشاطهم ، واشترى في عام ١٨٧١ قطعة من الأرض على طريق يافا - تل أبيب مساحتها ٧٨ هكتارا، (بسعر الهكتار الواحد مئة غولد Guld) . وبدأ بناء المنازل على قطعة

الأرض هذه في ٢٧ آب ١٨٧١، فكانت المستعمرة الألمانية الثالثة في البلاد .
وتولى تصميم الابنية والتخطيط للمستعمرة المهندس الألماني ثيودور زاندر
Theodor Sandel ، ابن طبيب المستعمرة الهيكلية في يافا الدكتور زاندر
وقد انتقل الى المستعمرة نائب القنصل الألماني في يافا، مراد أفندي (أرمني
الأصل) .

انتشرت الحمى بين سكان المستعمرة في عام ١٨٧٢ ، وفكتت بثمانية
وعشرين شخصا من مجموع سكان المستعمرة البالغ حوالي مئة نسمة (٣٥) .
اشتهرت مستعمرة سارونا بزراعة الزهور والكرمة وتربية الأبقار،
كما وجد فيها معمل لانتاج النبيذ .

وفيما يلي بيان بتطور هذه المستعمرة بين عامي ١٨٧٢ و ١٩٢٦ :
معدل

المساحة للفرد

السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	الواحد بالهكتار
١٨٧٢	٦٣	٧٨	١.٢
١٨٨٠	١٦٢	٢٢٣	١.٤
١٨٩٨	٢٦٣	٤٦٩	١.٧
١٩١٤	٢٠٠	٤٧٤	٢.٤
١٩٢٦	٢٢٥	٤٩٢	٢.٢ (٣٦)

مستعمرة ريفاييم Rephaim

اشترى الهر فرانك Frank ، أحد أعضاء جمعية الهيكل في مستعمرة
يافا، قطعة من الأرض في رفايم شمال غربي محطة سكة حديد القدس،
خارج حدود البلدية ، في نيسان عام ١٨٧٢، وبني عليها منزلا وطاحونة تعمل

بالماء . وأخذ أعضاء الجمعية يتوافدون اليه ويشترون الأرض المجاورة . واعتنى سكان المستعمرة الجديدة باصلاح العربات التي تجرها الخيول . فمئذ عام ١٨٦٧ فتحت طريق للعربات بين يافا والقدس ، وكانت بذلك أول طريق للعربات في فلسطين . واهتم الالمان بالنقل بين يافا والقدس ، وأصبح منتظما بعد بضع سنوات من انشاء المستعمرة الجديدة (٣٧) .

اصبحت مستعمرة ريفايم منذ عام ١٨٧٨ المقر العام لادارة جمعية الهيكل ؟ وبلغت مساحتها ٢٥ هكتارا . وكان معظم سكانها يشتغلون بالحرف اليدوية والتجارة والصناعة ، واشتملت على مدرسة ثانوية كاملة وروضة للأطفال (٣٨) .

مستعمرة فالهالا Walhala

انشأها المستعمرون الالمان في يافا عام ١٨٩٢ على طريق يافا — تل أبيب . واقيم في هذه المستعمرة مستشفى لمعالجة الالمان المقيمين في المستعمرات الالمانية في جنوب فلسطين (يافا ، سارونا ، فيلهلما) . وكان سكانها يمارسون التجارة والصناعة والحرف اليدوية ، ويعملون في وكالات التأمين والنقل البحري . وانشئ في المستعمرة معمل للاسمنت . وبنت (فندق القدس) في يافا الذي كان من أجل فنادق المدينة (٣٩) .

مستعمرة فيلهلما Wilhelma

انشئت على يد المستوطنين الالمان في مستعمرتي يافا وسارونا عام ١٩٠٢ ، على بعد خمسة أميال الى الشمال الشرقي من اللد في وسط سهل خصيب ، بالقرب من سكة حديد اللد — حيفا . بلغ عدد سكان المستعمرة في العام الاول من انشائها ٩٤ نسمة . وفيما يلي بيلن بتطور هذه

المستعمرة بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٢٦ :

السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	المساحة للفرد	معدل
١٩٠٣	٩٤	٨٢٤	٨٨	
١٩١٤	١٩٥	٩١٩	٤٦	
١٩٢٦	٢١٥	٩٥٩	٤٥ (٤٠)	

مستعمرة نويهاردهوف Neuhardhof

أنشأها المستعمرون الالمان في حيفا من أجل الحصول على مزيد من الأرض، خارج نطاق المستعمرة الهيكلية الأولى في البلاد . وتقع المستعمرة الجديدة على بعد أربعة أميال الى الجنوب من جبل الكرمل . وبلغت مساحتها أربعمئة هكتار . وقد استُغلت أرض المستعمرة لزراعة عسسة الخضروات والحبوب (٤١) .

مستعمرة بيت لحم في الجليل Bethlehem

أنشأها المستوطنون الالمان في حيفا عام ١٩٠٦، بأموال من « جمعية شتوتجارت لتطوير الاستعمار الالمانى في فلسطين »، على أرض قرية بيت لحم الواقعة على سفوح جبال الجليل، والتي تبعد بضعة أميال عن مدينة الناصرة . لها مساحتها ألف وسبعمائة هكتار ، زُرِع ثلثها بأشجار البلوط، والباقي بأشجار الكرمة والفواكه والحبوب . وفيما يلي بيان بنمو هذه

المستعمرة بين عامي ١٩٠٧ و ١٩٢٦ :

السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	المساحة للفرد
١٩٠٧	١٠	٧١٨	٥٤ر٨
١٩١٤	٤١	٧١٨	١٣ر٣
١٩٢٦	٩٨	٧١٨	٥٤ر٤ (٤١)

مستعمرة فالدهايم Waldheim

أنشئت هذه المستعمرة عام ١٩٠٧ بالقرب من بير سالم على يد المسؤولين عن دار الأيتام السورية Das Syrische Waisenhaus لتكون مركزا لتدريب خريجها واستغلالها لتمويل دار الأيتام . ولذلك لا صلة لها بمستعمرات جمعية الهيكل .

مستعمرة شمه Chemeh

كانت تتبع بدورها دار الأيتام السورية في القدس، ولم تختلف عن مستعمرة فالدهايم من حيث الأغراض التي أنشئت من أجلها (٤٢) .

اشتملت كل مستعمرة من مستعمرات الهيكلين على قاعة للاجتماعات العامة، وأخرى للعبادة، ومدرسة، وروضة أطفال أو أكثر، وجمعيات للموسيقى، وناد رياضي، ومستوصف صغير أحيانا . .

المصاعب الداخلية التي واجهها المستعمرون الألمان :

في السنوات الأولى للاستيطان واجه المستعمرون الهيكليون صعوبات

ومتاعب عديدة بعضها أمني وبعضها الآخر اقتصادي واجتماعي . لذلك اهتموا الامور الروحية، وفشلوا في كسب انصار حدد لحركتهم في فلسطين وفي المانيا . وبلغ مجموع من استقر منهم في فلسطين بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٥ نحو سبعة وخمسين عضوا ، اي نحو ربع عدد أعضاء الجمعية . وبعد عام ١٨٧٥ اخذت جمعية الهيكل في الاضمحلال التدريجي في المانيا نفسها، وتوقفت منذ ذلك العام هجرتهم من المانيا ، ومات معظم الجيل الاول من هؤلاء المستعمرين في اواخر السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر .

ادرك الجيل الجديد تعذر تحقيق الغاية من هجرتهم الى فلسطين، وهي جمع « شعب الله » في القدس واقامة ملكة المسيح . وتركز اهتمامهم على تحسين احوالهم، وتقديم نمط معين من المعيشة للسكان المحليين . وساهم هذا التغير في اهداف الجمعية في جعل الحياة اسهل .

كانت اول الصعوبات التي واجهها المستعمرون الهيكليون في فلسطين النزاع بين زعيمى الجمعية، كريستوف هوفمان وجورج هارديج : كان هوفمان المؤسس الروحي للجمعية ، وكان هارديج المنفذ لفكرة المستعمرات . اما اسباب الخلاف بينهما فمشخصية، تدور حول كيفية تطوير الاستيطان الالمانى ، وحول بعض الآراء الدينية .

فقد تولى كل منهما ادارة مستعمرة مستقلة عن الاخرى . وكانت مستعمرة حيفا من نصيب هارديج بينما كانت مستعمرة يافا من نصيب هوفمان . وكان هارديج قد اسرع الى شراء اراضٍ تابعة لمستعمرته دون التنسيق مع هوفمان . وعارض هارديج بشدة نقل المعهد الثانوي الى ريفاييم، قرب القدس . وحصل خلاف بين هارديج والهيئة الادارية لجمعية الهيكل في شئون تجارت، حول اموال صندوق الاستعمار التابع للجمعية،

Kolonisations Kasse . ورفض هارديج أن يجيب عن كيفية صرفه لهذه الأموال، فاتهمته الهيئة الإدارية بالتبذير . وكان لسلوكه المتصلب اثر في ابتعاد الهيكلين في فلسطين عنه ؛ فقد كان منقرا في تصرفاته . وليسا أجريت الانتخابات لاختيار القيادة الجديدة للجمعية، عام ١٨٧٤، لم ينجح هارديج . فما كان منه الا أن أعلن انسحابه من الجمعية . وصدرت مجلة الجمعية " Suddeutsche Warte " في ١٧ تموز ١٨٧٤ بآخر مقال له بعنوان « وداعى لجمعية الهيكل Mein Abschied von der Gesellschaft des Tempels » ، أكد فيه التزامه ببنيادى الجمعية رغم انفصاله عنها . وخرج مع هارديج عدد من أصدقائه، فشكوا « رابطة الهيكل، Der Tempelverein » . ومنذئذ تولى القيادة العليا للجمعية كريستوف هوفمان، الذي أصبح يتمتع بسلطات واسعة . فاعاد تنظيمها بحيث أصبح لها مجلس استشاري Tempelrat، مؤلف من ثلثة عضو . ووثقت الجمعية صلاتها بفروعها في المانيا وأمريكا الشمالية وجنوب روسيا، بان أصبح لهذه الفروع ممثلون في مجلس الجمعية الاستشاري . وفي مطلع ايلول من عام ١٨٧٤ دعي ممثلون عن فروع الجمعية للمشاركة في عيدها الذي اقيم في حيفا . وبناء على قرار مجلس الجمعية أُعْتُبر يوم التاسع من ايلول عيداً لها . وتم الاحتفال بهذا العيد الأول بحضور المندوبين المذكورين . ومنذئذ تكررت اللقاءات في هذا العيد الذي كان القصد من استحداثه الحفاظ على الولاء للجمعية (٤٣) .

وحدث انقسام جديد في صفوف جمعية الهيكل، سببه الخلاف بين هوفمان ودانيد شتراوس، David Strauss ، خليفة هارديج في ادارة مستعمرة حيفا ، حول اسرار الكنيسة المقدسة، وتعاليم الثالوث الاقدس، والوهية المسيح وموت المسيح الابن . وكان تأثير هوفمان العقلاني على جماعته قويا جدا ، لذلك بقيت اكرية اعضاء الجمعية تدين له بالولاء .

وانفصل عدد ضئيل من الاعضاء واخذ يتقرب من الكنيسة الانجيلية .
 واستغلت الكنيسة الانجيلية الانقسامات في صفوف جمعية الهيكل ،
 فاوغدت القس راينكه ، Reinecke ، من القدس منذ عام ١٨٧٩ الى
 مستعمرات الهيكليين . وقام خليفته القس شلخت ، Schlicht ، بالمهمة
 نفسها . وفي عام ١٨٩١ قررت « جمعية بيت المقدس »
 Jerusalem Verein « (٤٤) » الانجيلية ارسال معلم الى مستعمرة حيفا
 ليقوم بتدريس ابناء الطائفة هناك المنشقين عن هوفمان . وبعد ذلك بعام
 واحد بنيت مدرسة لهذه الغاية . وعندها قررت جمعية بيت المقدس ارسال
 القس ديكرت ، Deckert ، الى حيفا . وبذلك اصبح للطائفة الانجيلية في
 حيفا مدرستها وكنيستها . وبلغ عدد الاسر التي عادت الى حظيرة الكنيسة
 الانجيلية من مستعمرة حيفا الهيكلية عشرين أسرة (٤٥) .

وكان للحرب العالمية الاولى آثار سلبية على المستعمرات الالمانية ،
 اذ منيت بخسائر فادحة على الصعيد الاقتصادي . ومع ذلك بلغ عدد
 المستوطنين الالمان في عام ١٩١٨ نحو ألفي نسمة (٤٦) .

الحركة الثقافية في المستعمرات الهيكلية الالمانية في فلسطين :

سعى كريستوف هوفمان ، الزعيم الروحي لجمعية الهيكل ، منذ
 وصوله الى فلسطين الى انشاء مؤسسة تعليمية تهوى التلاميذ من ابناء
 اعضاء الجمعية الى الالتحاق بالتعليم الجامعي في المانيا . كتب هوفمان الى
 رفيقه باولوس في ٢٨ ايار ١٨٧٠ يقول : « ان المدارس تشغل بالي ليل
 نهار » . وكان هم هوفمان تنشئة اجيال جديدة مؤمنة بالرسالة التي كرس
 نفسه لها . ولم تكن المدارس التي انشأتها الجمعية في مستعمراتها السابقة
 الفكر مجرد مدارس دينية ، وانما كانت تدرّس الرياضيات والعلوم الطبيعية
 والعلوم الفنية والتاريخ والجغرافيا واللغات الحديثة (الالمانية والفرنسية

والعربية) . وكان التعليم الديني أساسيا في هذه المدارس .

ولعل أبرز انتاج ثقافي للهيكلين في فلسطين هي مؤلفات زعيمهم كريستوف هوفمان وجورج هارديج : فقد تولى الأول رئاسة تحرير مجلة الجمعية، Sueddeutsche Warte ، التي كانت تصدر في شتوتجارت مدة طويلة من الزمن، وأصدر في عام ١٨٧٥ ، كتابا مهما هو « الغرب والشرق : تاريخ ثقافي من وجهة نظر جماعة الهيكل في فلسطين : Okzident und Orient : Eine Kulturgeschichte Betrachtung Vom Standpunkt der Tempelgemeinden in Palaestina, Stuttgart, Druck und Verlag J.F. Steinkopf, 1875.

ويتضمن هذا الكتاب المبادئ الأساسية لعقيدة الهيكلين بعد الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) . وفيه ايضاحات جيدة لأفكار هوفمان وتطلعاته . ويتضمن الفصل الأول منه عرضا لتطور جمعية الهيكل وفكرتها الاستعمارية ، ومدى صلتها بحركة الانتقاء القديسة ، وموقفها من المسائل الكنسية والعلمية والاجتماعية . ويؤكد هوفمان في هذا الفصل أن الهدف الأول للجمعية السعي الى استعادة ما فقدته الكنيسة من هيمنة روحية على رعاياها، وثقة المثقفين والمؤمنين بها ، وتحقيق تعاليم الكتاب المقدس .

أما الفصل الثاني من الكتاب فيدور حول الشرق وحاجاته ، مؤكدا على أن على مستقبل الشرق يقوم التجديد الديني للإنسانية . ويبين أن الواجب الديني ينبغي أن يحرك المسيحيين المؤمنين الى الهجرة الى فلسطين، التي لا يمكن مقارنتها بالهجرة الى أمريكا وأستراليا من وجهة نظر اقتصادية ، لأن فلسطين بلد فقير جدا، لا تتوفر فيه المصادر الطبيعية الكافية .

ويتضمن الفصل الثالث من الكتاب موضوع « الغرب ومستقبله » ،
يتناول فيه هوفمان الوضع الدولي ، بصفته سياسياً ، منطلقاً من المسألة
الدينية التي هي محور تفكيره . يقول في هذا الصدد إن الحزب الوطني الحر ،
Der Nationalliberden Partei ، في المملكة الألمانية (١٨٧٥) قد
أهمل النور القيادي للدين ، « لأن مجرى تاريخ العالم تحركه أفكار روحية
عميقة » .

ويكرس الفصل الأخير منه للمسألة الشرقية ، ويرى استحالة حل
هذه المسألة بغير الدبلوماسية ، أو باللجوء إلى القوة . أما الحل الذي يقترحه
فحملة صليبية سلمية تضمن الاستعمار المسيحي للشرق ، وتقديم صورة حية
حقيقية للشرقيين عن التدين والأخلاق المقرونين بالعمل ، وبخاصة بعد أن
اتضح أن التبشير المسيحي بين المسلمين لم ينل احترامهم واهتمامهم .

أما الكتاب الثاني لهوفمان فيتضمن ثلاث رسائل مفتوحة ،
Sendschreiben ، نشرها خلال ١٨٧٧/١٨٧٨ . وقد أصدرتها مجلة
الجمعية في كتاب واحد في شتوتجارت عام ١٨٧٨ بعنوان : « رسائل مفتوحة
عن الهيكل ، والأسرار المقدسة ، وعقيدة الثلاث ، والوهية المسيح ، وإبوة
الله للبشر » .

Sendschreiben Ueber den Tempel und die Sakramente, das
Dogma Ueber die Dreieinigkeit und von der Gottheit Christi,
Sowie Ueber die Versoehnung der Menschen mit Gott,
Stuttgart, Warte des Tempels, 1878. »

تناول هوفمان في هذه الرسائل عقائد الكنيسة بشأن الثلاث الأقدس ،
وما قبل وجود المسيح ، وموت المسيح وعودته . وقد أحدثت الآراء التي
نشرها انقساماً في صفوف جماعته . وأنشأت مجموعة منها في يانا جمعية
أطلقت عليها اسم « مؤسسة الهيكل » Tempelstift « تولت إدارة

المدرسة والمستشفى في مستعمرة يافا .

ونشر هوفمان مقالات عديدة ونشرات كثيرة حول الدراسات التوراتية، والدروس الدينية للشباب . وتمكن من انجاز كتابة مذكراته التي نشرت بعنوان « طريقي الى القدس » ، Mein Weg nach Jerusalem . ونشر الجزء الاول منها في القدس عام ١٨٨١ بعنوان « ذكريات من شبابي » ، Erinnerungen aus meiner Jugend ، ونشر الجزء الثاني منها في القدس أيضا عام ١٨٨٤ بعنوان « ذكريات سن الرشيد » ، Erinnerungen des Mannesalters .

ومن الجدير بالذكر ان هوفمان أصدر كتابا آخر في بداية اقامته في فلسطين بعنوان « اشعار وَاغان » ، Gedichte und Lieder ، صدر في شتوتجارت عام ١٨٦٩ .

اضطر هوفمان بسبب المرض الى العودة الى ألمانيا عام ١٨٨١، فتخلى عن رئاسة جمعية الهيكل، وتوفي في ٨ كانون الاول ١٨٨٥ (٤٧) .

اما جورج دافيد هارديج، رفيق هوفمان والزعيم الثاني لجمعية الهيكل، فقد شارك في تحرير مجلة الجمعية ، Sueddeutsche Warte ، منذ ان تعرف بهوفمان عام ١٨٤٨ . وأصدر كتابين قبل الهجرة الى فلسطين هما: « الانجيل السرمدي » ، Das Ewige Evangelium ، و « وسائل لحصل المسألة الاجتماعية » ، Mitteln Zur Loesung der Sozialen ، صدر في شتوتجارت عن دار كارل شولر عام ١٨٦٦ ، Frage, Verlag Von Carl Scholer ، كما أصدر آخر مؤلفاته عام ١٨٧٧ بعنوان : "المسألة التركية

Die Tuerkische Frage Oder die sechste Zornschele von einem Laien, Stuttgart, bei Messler Buchdrucker, 1877."

وتوفي هارديج في ١١ تموز ١٨٧٩ في حيفا (٤٨) .

المستعمرات الألمانية في فلسطين والعلاقات الألمانية — العثمانية

ينبغي علينا، عند معالجتنا لموقف ألمانيا من المستعمرات الهيكلية في فلسطين، التمييز بين موقفين : موقف الحكومة الألمانية القيصرية، وموقف الرأي العام الألماني .

ففي ظل المنافسة القائمة بين الدول الأوروبية الكبرى على الشرق العربي، كان من المفروض أن تستغل الحكومة الألمانية وجود طائفة من مواطنيها في فلسطين لصالحها . غير أن دراستنا للوثائق الموجودة في الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية أفضت الى عكس هذا الافتراض ؛ فقد اتصف الموقف الرسمي الألماني من هذه المستعمرات بالتحفظ، لاعتقاد المسؤولين الألمان أن النفوذ الذي يمكن لألمانيا أن تحققه من خلال دعمها لهذه المستعمرات، لا يساوي المصاعب التي قد تواجهها في علاقاتها مع الدولة العثمانية .

غير أن وزارة الخارجية الألمانية كانت عاجزة عن التصرف، انطلاقاً من الاعتبارات السياسية الصرفة ؛ إذ تدخلت عدة عوامل أدت الى تصرفها ، في كثير من الأحيان ، بصورة مناقضة لما اعتبرته مناسبة في العلاقات الألمانية — العثمانية . ومن أهم هذه العوامل التي أكرهت برلين على تقديم العون للمستعمرين الألمان في فلسطين، الرأي العام الألماني، والبرلمان القيصري، ووزارة خارجية مملكة فورتمبرغ، والبحرية الألمانية .

كان الرأي العام الألماني أكثر هذه العوامل فاعلية ؛ فقد كان المستعمرون الألمان في فلسطين ينشرون تقارير في الصحف الألمانية بصورة

مبتقطة أحيائه، ومنظمة أحيانا أخرى عن نشاطاتهم . وكثيرا ما كانت هذه التقارير الصحفية تؤكد عداة السكان العرب والإدارة العثمانية لهم . وكانت الأوساط القومية الألمانية تتجاهل في البداية المبالغة الواردة في هذه التقارير ، غير أنها غضبت لتجاهل حكومة برلين للمعاملة القاسية التي زعم المستعمرون أنهم يعاملون بها من طرف السلطة العثمانية . والواقع أن اهتمام أوروبا المتزايد بالأحداث الجارية في فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر، صاحبه زيادة في كمية المعلومات المنشورة في الصحف المحلية عن تلك الأحداث . وقد استغل قادة جمعية الهيكل هذا الوضع أحسن استغلال ، إذ كانوا خبراء في هذا الميدان الإعلامي .

أما البلاط الملكي ووزارة الخارجية في مملكة فورتمبرغ فقد كانوا معادين ، من حيث المبدأ ، لنشاطات جمعية الهيكل ، وذلك لاعتبارات دينية محضة . غير أن هذا الموقف الديني اتجه إلى الاعتدال بعد انتشار الليبرالية في أوروبا بوجه عام وفي ألمانيا بوجه خاص ؛ وخفّ ، مع الزمن ، هجوم الهيكلين في مجلته *Sueddeutsche Warte* على الكنيسة الانجيلية والسلطة السياسية في فورتمبرغ (٤٩) . وأخذ العديد من أعضاء جمعية الهيكل يعودون إلى حظيرة الكنيسة الانجيلية، حتى بلغ عدد هؤلاء عام ١٨٧٤ نحو ثلث أعضائها . وبدلاً من التطرف الديني ، نما شعور جديد في مملكة فورتمبرغ بأن على الوطن الأم واجب حماية أبنائه في ديار الهجرة، وهم يتعرضون لإهمال البروسيين . ولم تعد حكومة شتوتجارت تقتنع بالاعتبارات التي اعتمدت عليها وزارة الخارجية في برلين في تعاملها مع المستعمرين الألمان في فلسطين .

وكانت القوات البحرية الألمانية، المرتبطة مباشرة بالقيصر، ذات نفوذ واسع ، وتتلقى باستمرار تقارير من ضباط البوارج الحربية التي كانت

تردد على الموانئ الفلسطينية . ولعل اهتمام القيصر فيلهلم الثاني بالبحرية زاد من أهمية هذه التقارير التي كان يقرأها القيصر نفسه، ويعلق عليها بخط يده . وكان معظم ضباط البحرية الألمان الذين يترددون على فلسطين يميل إلى قبول وجهة نظر المستعمرين الألمان، القائلة بأن برلين لم تبذل الجهد الكافي لحمايتهم (٥٠) .

و عندما طلب اصدقاء القدس ، Jerusalem Freunde ، من الهندستاغ في فرانكفورت أن تتوسط النمسا وبروسيا ، العضوان في الاتحاد الألماني ، لدى السلطان العثماني للسماح لهم بالاستيطان في فلسطين ، رفضت الدولتان هذا الطلب بصورة قطعية ، وذهبت النداءات الشخصية الموجهة إلى مندوب بروسيا في الاتحاد ، أدراج الرياح (٥١) .

ولما سافر وفد جمعية الهيكل إلى فلسطين عام ١٨٥٨ لدراسة إمكانية إمكانية الاستيطان فيها ، طلب من ملك بروسيا، فريدرش فيلهلم الرابع Friedrich Wilhelm IV ، الذي كانت تربطه بفلسطين صلات عاطفية دينية ، أن يزوجه بعدد من الخبراء الرسميين . وليس هناك ما يدل على استجابة ملك بروسيا لهذا الطلب (٥٢) .

ولما قرر الهيكليون عام ١٨٦٨ البدء بالاستيطان في فلسطين، طلبوا من جديد المساعدة من ملك بروسيا . وكان فيلهلم هوفمان، شقيق رئيس جمعية الهيكل (كريستوف هوفمان)، يشغل آنذاك أعلى منصب كنسي في برلين General superintend ent ، وتسييس البلاط الملكي ، ولله نفوذ كبير على ملك بروسيا . غير أن الملك طلب من وزارة الخارجية أن تتعرف على موقف حكومة فورتمبيرغ من جمعية الهيكل قبل تقديم أية مساعدة لها . وجاء جواب وزير الخارجية في شتوتجارت في ١٦ أيلول ١٨٦٨ يقول أن آراء الجمعية ومواقفها المعادية من الكنيسة الانجيلية تجعلها

عنصرا غير مرغوب فيه . كما ان الظروف الصعبة في فلسطين سوف تنهي مشروعها بالفشل (٥٣) . غير أن نفوذ فيلهلم هوفمان تغلب على رأي وزارة الخارجية في شتوتجارت، وصدرت التعليمات الى الممثلين الدبلوماسيين البروسيين لدى الدولة العثمانية لتقديم العون للهيكليين . فبذلوا جهودا كبيرة لحماية الهيكليين في حيفا . ولكن الهيكليين لم يرضوا عن تردد بروسيا في دعمهم ، وأصيبوا بخيبة أمل كبيرة (٥٤) .

وإذا استثنينا الدعم الذي قدمته برلين للهيكليين اثناء المفاوضات الاولى مع الباب العالي ، فان المستعمرات الالمانية في فلسطين لم تتمكن من اثارة اهتمام حكومتي برلين وشتوتجارت خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٤ . أما على صعيد الرأي العام الالمانى فقد حظي مشروع الهيكليين منذ بدايته بتأييد الصحافة الوطنية : ففي نهاية عام ١٨٦٨ نشرت صحيفة Augusburger Allgemeine Zeitung مقالة للبرونسور زيب Sepp ، مؤرخ الكنيسة والسياسي الالمانى جاء فيها : « ان قيصر المانيا الكبير فريدريش بربروسا Friedrich Barbarossa قد قضى نحبه من أجل امتلاك الارض المقدسة ، وترك للألمان واجب استعادة السيطرة على فلسطين العزيزة على قلب كل مسيحي . ولا بد أن تجد المانيا في نهاية المطاف نصيبها من الاستعمار ، ومن أجل هذه الغاية ينبغي تشجيع هجرة الألمان الى فلسطين (٥٥) .

أما موقف السلطات العثمانية الذي كان معارضا لقيام المستعمرات الالمانية في فلسطين، فقد تغير منذ قيام الوحدة الالمانية عام ١٨٧١ . فوالي دمشق رشيد باشا ، الذي تعرف على نشاط الانجليين الألمان في سراسيا ، كان يعطف على الألمان، حتى أنه وعد القنصل الالمانى العام في بيروت بمنح الهيكليين قطعة من الأرض في حيفا هدية . وقام هارديج بزيارة الوالي في

اثناء وجوده في بيروت، وعرض عليه خطة لاستغلال جبل الكرمل . فما كان من رشيد باشا الا ان ارسل سكرتيره الخاص ليعد تقريراً عن المنطقة المطلوبة في عام ١٨٧١ . وكانت خطة هارديج تقوم على انشاء مصح على قمة الكرمل، وربطه بمسبح على شاطئ البحر . ورغم جهود القنصل الالماني فريدريش كيلر ، Friedrich Keller ، في سبيل تحقيق سق هذا المشروع ، امتنعت الحكومة العثمانية عن اصدار فرمان باهـداء جبل الكرمل للهيكليين (٥٦) .

حدث تغيير في موقف وزارة الخارجية الالمانية من الهيكليين بعد عام ١٨٧٥ . وكان السبب في ذلك المظاهرات التي قام بها المسلمون في فلسطين في اثناء الحرب البلقانية في ذلك العام . اذ خشي القناصل الاجانب قيام تحرك اسلامي ضد الاجانب في فلسطين ، وعلى رأسهم المستعمرون الالمان (٥٧) . وبناء على طلب الهيكليين ، وافقت الحكومة الالمانية على ارسال بوارجها الحربية الى الموانئ الفلسطينية في مظاهرة عسكرية، القصد منها تطمين المستعمرين الالمان . وفي ٢ حزيران ١٨٧٧ اصدر وزير الخارجية الالماني فون بيلوف، Von Buelow، تعليماته الى السفير الالماني في اسطنبول بالخطوة الاستثنائية التي اتخذتها الحكومة الالمانية . وجاء في هذه التعليمات : « وافق القيصر على طلب المستشار بسمارك ارسال قواتنا البحرية الى الشرق ، اخذا بعين الاعتبار الوضع الراهن هناك .. ان الهدف الاول للاسطول ظهور العلم الالماني في الموانئ التركية من اجل حماية رعايانا هناك، ومن اجل التعبير عن اهتمام حكومة القيصر برعاياها في ضوء قلقهم الناشئ عن الحرب ... وحماية ارواحهم وممتلكاتهم، بالتدخل الفعال اذا اقتضت الضرورة ذلك » (٥٨) .

واصدرت وزارة الخارجية في برلين سلسلة من التعليمات الى

سفرائها في أوروبا لاقناع الدول الأوروبية بأنه ليست وراء إرسال الاسطول الألماني الى الموانئ العثمانية أية دوافع سياسية ، وان السبب الوحيد هو الدفاع عن الرعايا الألمان في الشرق (٥٩) .

أما على الصعيد المحلي في فلسطين، فقد شعر المستعمرون الألمان في شباط ١٨٧٧ ، بينما كان مئات الشباب من المسلمين يتجهون الى يافا وحيفا للسفر الى سالونيك للمشاركة في القتال، أنهم قد يتعرضون للاذى . وقام وكيل ضابط سابق ألماني بتدريب الشباب الألمان على التمارين العسكرية في مستعمرة سارونا . وطلب هوفمان من القيصر حماية المواطنين الألمان من أي اعتداء محتمل من جانب المسلمين . وفي يوم عيد الفصح من عام ١٨٧٧ أرسى الطراد الألماني غاتسيله ، Gazelle ، في ميناء يافا . وكان عليه أربعمئة جندي وثمانية عشر مدفعا . وكان يقود الطراد الأمير فون هاكه ، Graf Von Hacke ؛ وجاء هوفمان وممثلون عن الهيكلين الى ميناء يافا لتقديم شكرهم لقائد الطراد لحماية الحكومة الألمانية لمواطنيها . ولما رد قائد الطراد على زيارة هوفمان ورفاقه بزيارة مستعمرة سارونا ، أقام المستعمرون الألمان الاحتفالات الضخمة بهذه المناسبة . وحدث شيء مماثل لذلك عندما زار الطراد نفسه ميناء حيفا في الفترة نفسها . وفي صيف العام نفسه قامت أربع بوارج حربية ألمانية بزيارة الساحل السوري والفلسطيني (٦٠) .

وبدأت بعد هذه المظاهرة العسكرية مرحلة من العلاقات الودية بين الهيكلين والحكومة الألمانية، واستجابت الحكومة الألمانية لطلب الهيكلين بدعم مدارسهم في فلسطين، فقدمت وزارة الخارجية الألمانية مبلغ ٣٧٥٠ ماركا منحة سنوية لهذه المدارس . وكان هذا المبلغ يعادل ربع الموازنة السنوية لتلك المدارس . ومن الجدير بالذكر ان هذه المنحة هي المعونة

المالية الرسمية الوحيدة التي قدمتها الحكومة الألمانية للهيكلين منذ بداية مشروعهم الاستعماري في فلسطين عام ١٨٦٨ وحتى عام ١٩١٨ .

/ وفي عام ١٨٨٠ سمى الهيكلين الى اعتراف الحكومة العثمانية بالتنظيم الاداري المستقل لمستعمراتهم . وايدهم في هذا المسمى القنصل الألماني العام في القدس مينشهاوزن ، Muenchhausen ؛ غير ان مساهم بء بالفشل . كما فشلت محاولتهم لدفع وزارة الخارجية الألمانية الى للتوسط لدى الحكومة العثمانية لتوسيع حقوق الاجانب المقيمين في الولايات العثمانية (٦١) . وحدثت أزمة عنيفة بين الهيكلين والحكومة الألمانية سببها الخدمة العسكرية في ألمانيا ؛ ذلك أن عددا قليلا من المستعمرين الألمان قد أتم الخدمة العسكرية الإجبارية في ألمانيا قبل الهجرة الى فلسطين؛ وكان هؤلاء يتمتعون بالجنسية الألمانية وفقا للقانون الألماني . اما الذين كانوا دون سن السابعة عشرة عندما غادروا ألمانيا، ولم يعودوا اليها للقيام بالخدمة العسكرية، فقد كان من الصعب منحهم حقوق المواطنة الألمانية . ومن المعروف ان العديد من الألمان وغيرهم قد دخل في حماية القنصليات الألمانية في فلسطين، إما بصفتهم مواطنين يتمتعون بحق المواطنة الألمانية ، Reichsangehoerige ، وإما بصفتهم رعايا تحت الحماية Schutzgenossen . وفي عام ١٨٨٠ أصدر المستشار الألماني بسمارك تعليمات الى القناصل الألمان في الدولة العثمانية يطلب فيها رفع الحماية عن من لم يقض الخدمة العسكرية في الجيش الألماني .

/ ودخلت الأزمة مرحلتها الحرجة اثر وصول خليفة القنصل مينشهاوزن، الدكتور رايتس ، Reitz ، الى القدس عام ١٨٨١ ؛ فقد بدأ يدعو الهيكلين الى مكتبه واحدا بعد الآخر، ويتهمهم بأن القصد من مشروعهم الاستعماري في فلسطين هو التهرب من الخدمة العسكرية في الجيش

الالمانى . ولما حاول رايتس ان يرفع الحماية عن بعض الهيكلين، ثار غضب هوفمان زعيمهم ، وبعث باحتجاج شديد اللهجة الى المستشار الالمانى . وقال في رسالته الاحتجاجية هذه : اذا كان رايتس يتصرف بناء على تعليمات من وزارة الخارجية، فان الهيكلين سوف يحثون عن دولسة اخرى للدخول في حمايتها ، وربما اضطروا الى الانتقال الى بلد آخر . ورجا هوفمان المستشار الالمانى ان يعتبر العمل في المستعمرات الالمانية فسي فلسطين، ولعشرين سنة قادمة، كخدمة عسكرية . وطلب تعديل قانون الخدمة العسكرية الالمانى، بحيث يأخذ بعين الاعتبار وضع الهيكلين في فلسطين . فاذا تعذر ذلك طلب هوفمان ابقاء الوضع كما هو عليه حتى عام ١٨٨٤، ليتمكن الهيكلون من ايجاد حل آخر (٦٢) .

وجاء رد المستشار الالمانى ليؤكد ان تصرفات رايتس مبنية على تعليمات تلقاها من وزارة الخارجية الالمانية ، وانه من المتعذر استثناء الهيكلين في قانون الخدمة العسكرية . ولكنه اعترف بحقهم في التمتع بالحماية القنصلية الالمانية ، شريطة ان يطبق عليهم قانون الخدمة العسكرية اعتبارا من عام ١٨٨١ (٦٣) . ومنذئذ شرع الهيكلون يرسلون ابناءهم الى المانيا للقيام بالخدمة العسكرية هناك، ومدتها ثلاث سنوات (٦٤) .

وحدث تغير مهم في السياسة الالمانية نحو الدولة العثمانية في الثمانينات من القرن التاسع عشر : ففي عام ١٨٨٠ لقي المستشار الالمانى بسمارك طلب السلطان العثماني بتزويد بلاده بالخبراء الماليين والعسكريين .

وبدأت المانيا منذئذ الغزو الاقتصادي، Penetration Pacifique ، للدولة العثمانية . واصبح دعم الدولة العثمانية وتقويتها ، على امل ان تكون في يوم ما حليفة لالمانيا ، هدفا مهما من اهداف السياسة الخارجية الالمانية . واستقدمت الدولة العثمانية العديد من الخبراء العسكريين

والاداريين الالمان . واخذ الشباب العثماني يتردد على المعاهد العسكرية والعلمية الالمانية . وبدأ بنك فلسطين الالمني Deutsche Palaestina Bank نشاطه في القدس، ثم فتح فرعاً له في يافا وآخر في حيفا . واخذت البواخر الالمانية تتردد بانتظام على الموانئ العثمانية . وتأسست في عام ١٨٨٩ شركة بواخر الشرق الالمانية ، die Deutsche Levante-Linie وبدأت رحلاتها بأربع بواخر، ثم ما لبثت أن زادت عدد بواخرها إلى العشرين في مطلع القرن العشرين (٦٥) . وفي عام ١٨٨٨ حصلت شركة المانية على امتياز مدّة سكة حديد الاتاضول (٦٦) .

وفي العام نفسه اعتلى عرش المانيا القيصر فيلهلم الثاني . وبعد عام من ذلك قرر أن تكون أول زيارة له خارج المانيا إلى السلطان العثماني . وقد أعجب القيصر بآراء السفير الالمني في اسطنبول البارون هاتسفيلد Baron Hatzfeld ، (١٨٧٩ — ١٨٨١) بشأن التعاون الالمني — العثماني . فقد رأى هاتسفيلد أن فرنسا تتمتع بوضع متفوق في الدولة العثمانية حتى حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ ، وأن انجلترا، التي حاولت الحلول محل فرنسا، قد اثارت شكوك الأتراك بها بعد أن ضيّقت قبرص إليها عام ١٨٧٨، واحتلت مصر عام ١٨٨٢ . وينتهي السفير الالمني السابق إلى القول إن فراغاً قد وجد نتيجة لذلك ولا بد لقوة أوروبية من ملئه ، وإن المانيا هي الدولة المؤهلة لملء هذا الفراغ (٦٧) .

في نطاق الانفتاح العثماني على المانيا، ورغبة هذه الأخيرة في توسيع علاقاتها مع الدولة العثمانية، لم يكن للميلكيين الاثر ضئيل جداً في هذا المجال ؛ اذ حرصت برلين على ازالة مخاوف العثمانيين من تجسس الاجانب على اراضيهم ، كما أن فلسطين تقع خارج نطاق المصالح الالمانية التي تركزت على طول سكة حديد بغداد .

لقد دار جدل طويل في أوساط وزارة الخارجية الألمانية حول موقف الحكومة الألمانية من الاستيطان الألماني في الدولة العثمانية على ضوء التطورات الجديدة . ففي عام ١٨٩١ طلب خليفة بسمارك، المستشار كابرني، Caprivi ، من وزارة الخارجية ابداء رأيها في اقتراح تقدم به السلطان العثماني الى القيصر فيلهلم الثاني، يتضمن انشاء مستعمرات المانية على طول سكة حديد بغداد . وكانت اول مذكرة من وزارة الخارجية تناولت هذا الاقتراح قدمها الهر كيدرلين، Kiderlen ، من الدائرة السياسية في الوزارة . وقد بنى كيدرلين تحليله على تجربة الهيلكيين في فلسطين . وجاء في مذكرته هذه :

« ان المستعمرات الألمانية في فلسطين لا تقدم لنا مثالا مشجعاً . فالمستعمرون يكسبون قوتهم بصعوبة ، ويتعرضون لعداء السكان المحليين والسلطات التركية . واذا كان المستعمرون المقترح توطينهم في آسيا الصغرى من الالمان، فسيواجه قناصلنا التذمر الدائم من السلطات المحلية، كما ستواجه سفارتنا تدخل الباب العالي المستمر . وهذا امر لا بد من اخذه في الحسبان . وقد يدمر علاقتنا الطيبة مع الاتراك بدلا من ان ينميها . والمستعمرات في فلسطين خير مثال على ذلك » (٦٨) .

وقدم مدير الدائرة الاستعمارية في وزارة الخارجية الهر كاي—زر، Kayser ، مذكرة مماثلة للمذكرة السابقة . يتبين لنا من هاتين المذكرتين أن وزارة الخارجية الألمانية كانت ترى في مستعمرات الهيلكيين في فلسطين مثالا سيئا، وسببا دائما لتهديد العلاقات الألمانية — العثمانية بالتدهور . والواقع أن شكاوى الهيلكيين اثارت غضب السلطات العثمانية ؛ كما أن وجود المستعمرات الألمانية في فلسطين اثار حفيظة الدول الأوروبية ضد ألمانيا . ولم تكن فلسطين، بإمكانياتها المحدودة، البلد القادر على تلبية

احتياجات ألمانيا فلا هي مصدر مهم للمواد الأولية ولا هي سوق واسعة قادرة على استيعاب منتجات ألمانيا . ولذلك لم يكن فيها ما يستحق اهتمام ألمانيا الحقيقي في هذه الفترة .

ولعل أبرز الأحداث السياسية التي شهدتها فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر، زيارة القيصر الألماني فيلهلم الثاني في تشرين الأول عام ١٨٩٨ وهي زيارته الثانية للشرق . وكان الغرض المعلن من هذه الزيارة الحج إلى الأماكن المقدسة : ففي ٢٥ تشرين الأول من ذلك العام، أرست ثلاث بواخر ألمانية تقلّ القيصر وحاشيته في ميناء حيفا . وفي صباح اليوم التالي تجمع كافة أفراد المستعمرة الألمانية في حيفا في باحة القنصلية الألمانية من أجل تحية القيصر . وقام فريدرش لانجه ، Friedrich Lange ، رئيس الجماعة الهيكلية في حيفا (ومؤرخ الجمعية) بالقاء كلمة في حضرة القيصر، شكره فيها على الدعم والمؤازرة التي يلقاها الهيكليون من القيصر وبخاصة في ميدان التعليم . وأكد على ضرورة توثيق الصلات بين الهيكلين والوطن الأم . وردّ القيصر عليه بالاعراب عن سعادته إذ يرى في قلب الأرض المقدسة مستعمرة ألمانية لها علاقات وثيقة بالوطن الأم ، وقال بأنهم سوف ينقل إلى ملك فورتمبرغ ما حققه مواطنوه من انجازات ؛ وأكد حمايته لكافة الألمان . كما التقى الدكتور شوماخر ، Dr. G. Schumacher ، ابن أحد قادة الجمعية كلمة في حضرة القيصر أشار فيها إلى قيمة الأبحاث العلمية الألمانية عن فلسطين وأحوالها (٦٩) . وتجوّل القيصر في المستعمرة ثم اتجه إلى يافا ومنها إلى القدس . وخلال سفره الذي استغرق يومين، زار القيصر مستعمرات يافا وسارونا وريفايم، حيث استقبل اسمعلا حافلا (٧٠) .

وفي أثناء هذه الزيارة أصبحت فلسطين والمستوطنون الألمان فيها موضوع الساعة في ألمانيا . وتأسست في شتوتجارت في تشرين الأول ١٨٩٩

« جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين » Gesellschaft Zur

» Foerderung der deutschen Ansiedlungen in Palaestina

تحت رعاية البارون فون ايليريكسهـاوزن ، Freiherr Von

Ellerichshausen ، من أجل تزويد الجمعية بالتبرعات المالية لتوسيع

نشاطها وشراء المزيد من الأرض . وتولى ادارة الجمعية الأمير فون اوراخ ،

K. Von Urach ، بينما تولى رئاستها الفخرية النائب العام في المملكة

الدكتور فون روب ، Von Rupp ؛ وتمكنت هذه الجمعية من جمع مبلغ

ثلاثمئة ألف مارك،حوّلت الى جمعية الهيكل،فاشتريت به قطعة من الأرض

مساحتها ثمانية كيلومترات مربعة بالقرب من اللد،غير بعيد عن سكة حديد

يافا - القدس . وانشأت عليها مستعمرة فيلهلما Wilhelma (٧١) .

واذا كانت زيارة القيصر لفلسطين قد بعثت الحماس في نفوس سكان

مملكة فورتمبرغ،فانشأوا جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين ،

فلم يتجاوز دعم القيصر للهيكلين اعجابه بمنجزاتهم،وتعاطفه معهم،ووعده

لهم بأن يسمى لدى السلطات العثمانية لتُعَامِلَهُم المعاملة التي

يستحقونها (٧٢) . واذا عدنا الى وثائق الارشيف السياسي لسوزارة

الخارجية الألمانية لمعرفة نتائج زيارة القيصر هذه ، لم نجد فيها ذكرا او

اشارة للمستعمرات الألمانية في فلسطين ، فقد لخص نتائج هذه الزيارة

القائم بالاعمال الألماني في اسطنبول في تقرير بعث به الى وزارة

الخارجية (٧٣) ، ووُزعت نسخ من هذا التقرير ، بناء على اوامر القيصر،

الى كافة السفارات الألمانية في العالم ؛ وقد ورد في هذا التقرير أن الدافع

الاول لزيارة فلسطين هو دافع ديني . ولم ترد فيه اية اشارة للمستعمرات

الألمانية فيها . والواقع أن زيارة القيصر لفلسطين لم تُحْدِث اي تغيير في

السياسة الألمانية الرسمية نحو المستعمرات الهيكلية ؛ غير أن فلسطين

بقيت منفذ موضوع اهتمام الراي العام الألماني ؛ فقد اثار الوصف

الحماسي للمستعمرات موجة من التعاطف الشعبي، ساعدت المستعمرين على التغلب على المصاعب التي واجهوها، وبناء ثلاث مستعمرات جديدة . غير ان الاموال اللازمة لبناء هذه المستعمرات جُمعت من مواطني ملكة فورتمبرغ وحدها (٧٤) . وذهبت جهود جمعية تطوير الاستيطان الالماني في فلسطين من اجل الحصول على تعاون القيصر الالماني لشراء الاسهم في المؤسسة المالية التي انشأتها ، سدى . هذا وقد لقيت الجمعية المذكورة اهتماما خاصا في ملكة فورتمبرغ ، ففي عام ١٩١٠ طلب وزير خارجية المملكة من ممثلها في برلين ان يتوسط لدى وزارة الخارجية الاتحادية لتضغط على الدويتش بانك ، Deutsche Bank ، لمنح جمعية الهيكل قرضا مقداره مئة ألف مارك، للحفاظ على الطابع الالماني لمستعمرة سارونا، وتطوير مستعمرتي فيلهلم وبيت لحم في الجليل . وبينما كانت المساعي جارية للحصول على القرض المطلوب، انفتحت حكومة برلين مبلغا يساوي عشرين ضعف هذا المبلغ على مؤسسة القيصرة اوغستا فكتوريوس— Kaiserin Auguste Victoria Stiftung في القدس التي انشئت تخليدا لزيارة زوجة القيصر للمدينة المقدسة (٧٥) .

ومع مَد سكة حديد الحجاز ومو قيام الفرنسيين بمد السكك الحديدية في فلسطين، ازداد قلق الهيكلين، وشعروا ان البلاد تكاد تقع تحت النفوذ الفرنسي . وفي صيف عام ١٩١٣ قام وفد من جمعية الهيكل في فلسطين، مؤلف من رئيسها كريستيان روهرر ، Christian Rohrer ، وغوتليب شوماخر ، Gottlieb Schumacher ، بزيارة شتوتجارت وبرلين للسمي لدى حكومة فورتمبرغ وحكومة برلين الاتحادية لتجنيب وقوع فلسطين في منطقة النفوذ الفرنسي . وفي آب ١٩١٣، قدم الوفد مذكرة الى كون روزنبرغ ، Von Rosenberg ، مدير الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية في برلين ؛ وسال شوماخر المسؤول الالماني عن ممر المستعمرات

الالمانية في حالة قبول المانيا بوقوع فلسطين تحت الهيمنة الفرنسية . وتضمنت مذكرة الوفد الهيكلي اشداء بدور المستعمرين الالمان في تطوير فلسطين، ورفع سمعة المانيا . كما اقترحت ايجاد حلّ لمستقبل فلسطين تقبل به الدول الكبرى ، وذلك بأسرع وقت ممكن، وقبل ان يغوت الاوان . واقترح شوماخر في هذا الصدد وضع فلسطين (من الحدود المصرية الى راس الناقورة شمالاً، وحتى سفوح جبل الشيخ شرقاً) تحت حكم امير اوروبي . وبُذّر اقتراحه هذا بأنه لا يتعارض والمصالح البريطانية والروسية في المنطقة . واقترح بالمقابل منح فرنسا المنطقة الواقعة شمال فلسطين، دون الاضرار بمصالح الدول الكبرى فيها (٧٦) .

وسمى الوفد لدى وزارة خارجية ملكة فورتمبرغ لقبول مقترحاته السابقة الذكر ، فأيدتها، وطلبت من ممثلها في برلين ان يجسّ نبض وزارة الخارجية الاتحادية . فجاء الرد : ان سورية لا تقع في منطقة اهتمام المانيا، لانها بعيدة عن سكة حديد بغداد (٧٧) . وهكذا خابت آمال الوفد الهيكلي من موقف حكومة برلين ، وعاد الى فلسطين خالي الوفاض . وجاءت الاتفاقية الفرنسية - الالمانية لعام ١٩١٤ (٧٨) لتؤكد اعتراف المانيا بوضع فرنسا الخاص في فلسطين، وبخاصة في موضوع بناء السكك الحديدية .

غير ان فكرة فصل فلسطين عن الدولة العثمانية ووضعها تحت الهيمنة الأوروبية، لم تغب عن ذهن بعض المسؤولين الالمان : فقد اقترح السفير الالمني في اسطنبول، في رسالة بعث بها الى المستشار الالمني الامير فون هيرتلنغ ، Graf Von Hertling ، انشاء ملكة في فلسطين لحل مسألة الاماكن المقدسة ، معتقداً بان هذا الحل سوف يرضي المسيحيين واليهود في العالم ، شريطة ايجاد حلّ مرضٍ للاماكن المقدسة

الاسلامية في القدس (٧٩) . وكان القنصل الالماني العام في القدس الدكتور بروده، Brode ، قد اقترح على السفير الالماني في اسطنبول اقامة مملكة صغيرة في القدس تضم بيت لحم جنوبا، وتمتد الى نهر الاردن والبحر الميت شرقا، الى قرية رام الله شمالا ، وان يعتلي عرشها أمير كاثوليكي الماني؛ شريطة ان تبقى هذه المملكة تحت السيادة العثمانية الاسمية ، وان تُدفع للخرينة العثمانية مليون جنيه استرليني ، وان يُحتفظ المسلمون والمسيحيون واليهود باماكنهم المقدسة فيها . واقترح بروده أيضا ان تسعى الحكومة الالمانية لدى الباب العالي للتوسع في الاستعمار اليهودي في فلسطين، ومنح اليهود حكما ذاتيا في البلاد (٨٠) . والواقع ان هذه المقترحات قد جاءت في فترة بَلَغَ النشاط الصهيوني في المانيا اوجه من اجل الحصول على وعد رسمي من الحكومة الالمانية مماثل لتصريح بلفور .

يتضح مما سبق ان الحكومة الالمانية لم تُسْعَ الى تحقيق أية مطالب علنية او سرية في فلسطين، منذ قيام الرايخ الالماني عام ١٨٧١ وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٨ ؛ كما انها لم تستغلّ عنصر المستعمرين الالمان لاغراضها السياسية في البلاد .

علاقات المستعمرين الالمان بالسكان العرب

اتَّسَعَت العلاقات بين المستعمرين الالمان والسكان العرب في فلسطين بالشك والريبة والحذر . لقد أدرك كريستوف هوفمان، أثناء رحلته الاستطلاعية الى فلسطين عام ١٨٥٨، ان مشروعه لن يحظى بتأييد السلطات العثمانية فحسب ، وانما سيواجه مقاومة حقيقية من جانب السكان العرب، الذين يشكل المسلمون اكثر من ٩٠٪ منهم (٨١) .

ولما بدأ استيطان الهيكليين في فلسطين، كانوا يحملون افكارا واضحة

عن العداء العربي لهم . وساهمت أحداث فلسطين في تشدد كل فريق في موقفه . وأدرك العرب أن الهيكليين الألمان ليسوا كبقية المقيمين الأجانب في فلسطين ؟ فمشروعهم ليس خيرا كمشاريع الإرساليات التبشيرية المنتشرة في البلاد . واكتشفوا أيضا أن الألمان قد جاؤوا إلى البلاد تاركين أوطانهم بهدف واحد هو الاستيلاء على أراضيهم وامتصاص دمائهم (٨٢) . ولذلك كان من المتعذر على مشروع الاستيطان الألماني أن يكسب قلوبهم . وخلافا لما كان يعتقد أو يزعمه الألمان لم تساهم إنجازاتهم في فلسطين إلا في بعث كراهية العرب لهم (٨٣) . ونظر الألمان ، بالمقابل ، إلى العرب نظرة استعلاء وتفوق ، فزادت من توتر العلاقات بين الفريقين (٨٤) ، وكان قادة جمعية الهيكل يخشون الاختلاط بالسكان العرب والذويان في المجتمع المحلي ؛ فهم « شعب الله » المكلف ببناء مملكة الرب في القدس . لذلك تحاملوا على العرب دوما ، وبرروا هذا التحامل في المقالات التي كانوا ينشرونها في مجلتهم *Sueddeutsche Warte* : فالشرقي في نظرهم « وقح متعجرف بالطبيعة ، يمارس السرقة والاستجداء ، ولا يحني هامته إلا للقوة والمال » (٨٥) .

وكان قادة الجمعية يحذرون أعضاءها من التزاوج مع العرب . واستغلوا حالة زواج فاشلة بين فتاة ألمانية وشاب مسيحي عربي في دعايتهم هذه . وكانوا يقولون « من الأفضل للألمانيات أن يبقين عوانس من أن يلقين بأنفسهن في أحضان الرعاع » . (٨٦)

ولم يُخف كريستوف باولوس الذي خلف هوفمان في رئاسة جمعية الهيكل بين عامي ١٨٨٤ و ١٨٩٠ ، والذي كان من أتباع الفلسفة الإنسانية ، احتقاره للعرب . وحينما تكونت شركة للنقل بين يافا والقدس من الألمان والعرب واليهود عام ١٨٨٤ ، وأوكل تنظيمها إلى الألمان ، كتب

بأولوس بهذا الصدد يقول : « تعتبر هذه الاتفاقية نصرا للأمانة الألمانية على دسائس العرب واليهود القذرة . لقد أمكن قيام الشركة لأن ادارتها والإشراف على ماليتها قد أوكلا الى الألمان، الذين تعترف كافة الأطبـراف بامانتهم ومثابرتهم على العمل . دعنا نأمل أن يكون لهذا الإنجاز الذي حققته النزاهة الألمانية ، تأثير ايجابي على السكان المحليين . ويمكن اعتبار هذا العمل النموذجي عملا تبشيريا ، لأن الهيكليين يؤمنون بأن على الشعب الذي يتوجه اليه المبشرون، أن يتحول الى كائنات بشرية قبل أن ينظـمـر في أمر تنصيره » . (٨٧)

أزاء هذه النظرة الاستعملائية المـرـقـمـية ، لا عجب اذا عجز الهيكليون عن الوصول الى قلوب العرب، وإقامة علاقات طيبة معهم . وقد اعترف بهذا الوضع السفير الألماني في اسطنبول، مارشال فون بيبـرشتاينـ، Marschall Von Bieberstein « في رسالته التي بعث بها الى المستشار الألماني فون بيلوف ، Von Buelow ، والمؤرخة في ٨ ايسار ١٩٠٩ ، والتي اقتبس فيها أقوال نائب القنصل الألماني في حيفا (٨٨) .

✓ ورغم حالة الشك والحذر والكراهية التي سادت العلاقات بين المستعمرين الهيكليين والعرب في فلسطين ، لم تحدث خلال الحكم العثماني سوى حادثة قتل واحدة، ذهب ضحيتها أحد هؤلاء الألمان، وبسبب استفزازي . وكان سبب الحادثة التي تمت عام ١٩١٠ ، مقتل أحد فلاحي قرية الطيرة (قرب حيفا) على يد أحد الألمان من مستعمرة حيفا ، أثناء اقـدام الأول على السرقة من المزرعة الألمانية . وثار أهل القـتـيل لقتيلهم، وهاجموا في اليوم التالي للحادث أحد الألمان، واسمه فريتس أونجر ، Fritz Unger ، في مستعمرة نويهاردت هوف وأردوه قتيلا (٨٩) .

وخشي المستعمرون الألمان اعتداء المسلمين عليهم أثناء الحرب

البلقانية (١٨٧٥ — ١٨٧٨) ، وطلبوا الحماية من حكومتهم ؛ فرات هذه ان تبعت ببوارج حربية الى الشواطىء الفلسطينية . فكانت خطوة لا سابقة لها .

وشعر المستعمرون الالمان بضيق شديد عندما أخذ العرب ينافسونهم في الميدان الاقتصادي ؛ فقد حل العرب محل الناقلين الالمان بالشاحنات على طريق حيفا — عكا ، كما الحقوا اضرارا كبيرة بشركة السفريات الالمانية على طريق يافا — القدس، بتخفيض أجور السفر . وواجه الجرُفُيون الالمان منافسة مماثلة من العرب . وزاد من كراهية العرب للمستعمرين الالمان واليهود حماية الدول الاوروبية الكبرى لهم . ولم يشعر العرب في يوم من الايام بأن وجود المستوطنين الالمان او غيرهم فيه اية فائدة لهم (٩٠) .

علاقة المستعمرين الالمان بالطائفة اليهودية

اتخذت جمعية الهيكل موقفا عدائيا من اليهود واليهودية قبل استيطان افرادها في فلسطين ، لاعتبارات دينية محضة . غير ان هذا الموقف تبدل بعد استيطان الهيكليين في فلسطين ، ولم يترددوا في التعاون مع المهاجرين اليهود والمستعمرات اليهودية لمواجهة المجتمع العربي المناهض لهم . واخذ هذا الموقف يتغير مع قدوم آلاف اليهود من شرق أوروبا في منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وذلك بسبب منافسة المستعمرين اليهود الجدد لهم في الميادين الاقتصادية .

فقد كان هوفمان، مؤسس جمعية الهيكل، يعتقد أن الأرض المقدسة ينبغي أن تكون ملكا لشعب الله ، وأن الله كان ينوي في البداية منح هذه البلاد للشعب اليهودي ، غير ان هذا الشعب غرق في الفساد والرياسة (ولم يعد شعبا مقدسا . الهيكليون وحدهم هم الذين أوجدوا الشعب المقدس الجديد « شعب الله » . وتأكد هذا الاعتقاد لدى هوفمان عند

زيارته لفلسطين عام ١٨٥٨، ورأى « حالة اليهود السيئة، وكسلهم وعجزهم عن تخليص البلاد من حالتها المتدهورة ». ووجد الألمان في بدايات استيطانهم مبررا للتفاهم مع الأقلية اليهودية، للتخلص من العزلة التي يعيشونها (٩١) .

أما بالنسبة إلى اليهود ، فقد حاول زعماء هواة صهيون « خوفيني تسيون » (٩٢) الاستفادة من تجربة المستوطنين الألمان في المستعمرات الزراعية ؛ وكانوا يترددون عليهم محاولين تجنب الأخطاء التي وقعوا فيها . وحينما بدأت الهجرة اليهودية المنظمة الأولى (١٨٨٢ — ١٩٠٤) التي تألفت من موجتين كبيرتين هما: الأولى (١٨٨٢ — ١٨٨٤) والثانية (١٨٩٠ — ١٨٩١) ، بدأ موقف المستوطنين الألمان يتغير . وكانت المنافسة الاقتصادية وراء هذا الموقف المعادي . صحيح أن نوعية الانتاج اليهودي من الحرف والصناعات الخفيفة كانت أدنى من نوعية الانتاج الألماني، إلا أن انخفاض اسعار الانتاج اليهودي جعل من الحرفيين والصناع اليهود منافسين خطرين للألمان (٩٣) .

وشعر المستعمرون الألمان بالخطر الحقيقي حينما طلب ثيودور هرتسل ، Theodor Herzl ، في آب ١٨٩٧ من أعضاء المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في مدينة بازل السويسرية، الموافقة على برنامج الحركة الصهيونية . ومنذ أن صدرت صحيفة « Die Welt ، العالم » الناطقة بلسان الحركة الصهيونية في حزيران ١٨٩٧ ، شعر الهيكليون أنهم يواجهون حركة سياسية يهودية منظمة، تؤكد صحتها كل يوم على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

ومنذ مطلع عام ١٩٠٨ شنت صحيفة الهيكليين Sueddeutsche Warte هجوما على الحركة الصهيونية، وعلى مختلف أوجه نشاطاتها . وكان يقود

هذه الحملة فريتس لورخ ، Fritz Lorch ، أحد الألمان المولودين في فلسطين، والذي انتقل الى شتوتجارت ليعمل في صحيفة الجمعية . وقد أبرز لورخ عدم ولاء الصهاينة للدولة العثمانية وتعاونهم مع بريطانيا من أجل تمزيق اشلانها . أما الصهاينة فقد حاولوا التقرب من المستوطنين الألمان والتفاهم معهم، حرصا منهم على تجنب الصدام مع الامبراطورية الألمانية الناشئة. وامتنعت صحيفة « دي فيلت » الصهيونية عن الرد على حملة لورخ الاعلامية (٩٤) :

وبمناسبة انتقال صحيفة الهيكليين **Sueddeutsche Warte** من شتوتجارت الى القدس في كانون الثاني عام ١٩١٢، نشرت صحيفة « دي فيلت » مذالا مطولا طالبت فيه المستوطنين الألمان أن يبدوا مزيدا من التفهم نحو المصالح المشتركة لليهود والألمان . وأكد المقال على الفوائد التي قد يجنيها المستوطنون الألمان والامبراطورية الألمانية من المهاجرين اليهود، الناطقين باللغة الألمانية، والذين يفضلون اقامة علاقات تجارية مع ألمانيا (٩٥) .

ومن الجدير بالذكر أن ألمانيا ، في هذه الفترة ، كانت مقراً لمعظم المؤسسات والمراكز التابعة للحركة الصهيونية . وانساق المستوطنون الألمان وراء سياسة ألمانيا الرسمية منذ عام ١٩١٣ ؛ تلك السياسة التي كانت تحبذ الاستفادة من الوجود اليهودي في فلسطين من أجل تنمية المصالح الألمانية فيها . وشهدت العلاقات بين الاقليتين الألمانية واليهودية تحسنا ملحوظا عشية قيام الحرب العالمية الاولى (٩٦) . غير أن هذا التحسن في العلاقات كان مؤقتا ولفترة قصيرة جدا .

المصادر :

- Hajjar, J. : L'Europe et les Destinees du Proche Orient, (١)
Bloud and Gay, Belgium, 1970, pp. 326-7
- Hyamson, A.M.: British Projects for the Restauration of
Jews to Palestine, in "Publications of the American
Jewish Historical Society", 1918, No. 2, pp. 129-131.
- Hajjar, J. : op. cit, pp. 327-8 (٢)
- Hyamson, A.M. : op. cit, p. 136, Hajjar, J. : op. cit, p. 329 (٢)
- Tibawi, A.L. : British Interests in Palestine, (١)
Oxford University Press, London, 1961, p. 33
- Hyamson, A.M. : The British Consulate in Jerusalem in
relation to the Jews of Palestine (1838-1914)
London, 1939, vol. I, p. 45
- هـ (ولد موسى مونتفيوري عام ١٧٨٤ في ليفورن Livourne . ونجح في حياته كرجل
أعمال يهودي . وأصبح نبيلًا بسبب صلة النسب بأسرة روتشيلد في بريطانيا . وانسحب
في عام ١٨٢١ من أعمال التجارة، وكرس حياته للأعمال الخيرية الاجتماعية المتعلقة باليهود .
وقام بمدة زيارات لفلسطين بين عامي ١٨٢٧ و ١٨٧٥ .
- Loewe, L.(ed.):Diaries of Sir Moses and Lady Montefiore,
London 1890, vol. I, pp. 165 ff.
- Hajjar, J. : op. cit, p. 327.
- Hajjar, J. : op. cit, pp. 330-331 (٦)
- ٧ (حول تفاصيل إقامة مولتكه في اسطنبول انظر :
- Moltke, Helmuth von : Briefe ueber Zustaende und
Begebenheiten in der Tuerkei aus den Jahren 1835
bis 1839, Berlin, 1893.
- Wagner, R. : Moltke und Muehlbach zusammen unter (٨)
dem Halbmonde (1837-1839), Berlin, 1893.
- Moltke, Helmuth von : Vermischte Schriften, Berlin, 1892,
Bd. 2, pp. 279-288.

Lewin, E : The German Road to the East, William
Heinemaun, London, 1916, pp. 22-3.

Hajjar, J. : Op. Cit., P. 369.

Geschichte der Deutschen Evangelischen Kirche und
Mission im Heiligen Lande, p. 4.

Tibawi, A. L. : Op. cit, pp. 44-5.

Richter, J. : A History of Protestant Missions in the Near East, A.M.S. Press, New York (1970) Reprinted Edition of 1910, p. 237.

Brugger, Hans : Die deutschen Siedlungen in Palaestina, (1.
Bern, 1909, pp. 11-12.

**Carmel, Alex : Geschichte Haifas in der tuerkischen Zeit
(1516-1918), Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1975,
p. 80.**

(١١) ولد كريستوف هوفمان في بلدة ليونبرغ Leonberg في الثاني من كانون الاول عام ١٨١٥ م وانتقل مع والده الى كورنثال . وكان يتردد على خاله الهير باومباومن Baumann في شتوتغارت . واهتم كريستوف منذ صباه بالشعر والتاريخ . ودرس في جامعة توبنجن الفلسفة والتاريخ . واعجب بهيجل وكانت من الفلاسفة الا ان . ولما انتهى دراسته الجامعية عام ١٨٣٧ اشتغل معلما في مدرسة انشاهها صديقه عمانوئيل باولوس بالقرب من لودفيجزبورغ . غير انه لم يبق فيها طويلا واضطر تحت ضغط والده الى العمل في مدارس الكنيسة في غورتيرغ . وفي عام ١٨٤١ كرس هوفمان نفسه للتعليم في المدرسة التابعة للجمعية التي يرأسها والده .

Brugger, H. : Op. cit., pp. 12-20

Brugger, H. : op. cit, pp. 20-32

Hoffmann, Christoph: Erinnerungen aus meiner Jugend,
Jerusalem, 1881, p. 720.

Carmel, Alex; The German Settlers in Palestine and their Relations with the local Arab Population and the Jewish Community (1868-1918) in "Studies 'on Palestine during the Ottoman Period, Jerusalem,

1975, p. 442.

Geschichte der deutschen Evangelischen Kirche. pp.132-3

Gaeschichte وسيشار اليه فيما بعد

Alonzo, Alphonse d' : Les Allemands en Orient, Oscar

Schepens, Bruxelles, 1904, p. 37

Brugger, H. : op. cit, pp. 26-7

Carmel, Alex : Geschichte Haifas . . . p. 81

(١٤) ولد جورج دايفد هارديج في الثاني من نيسان عام ١٨١٢ في قرية اغلوزهايم Egirosheim قرب لوندفيجزبورغ في مملكة فورتمبرغ . اتم دراسته الثانوية وعمل في التجارة . ثم دخل في منظمة سرية تنادي بالنظام الجمهوري . وتنقل بين شتوتجارت وبلجيكا وباريس خلال عامي ١٨٢٠ و ١٨٢١ . وفي باريس تعرف على عدد من اللاجئين السياسيين الالمان المتحمسين للنظام الجمهوري . وصادق تاجر كتب اسمه فرانك Frank كان قد اصدر في باريس صحيفة "Le Siècle" . وعاد فرانك الى فورتمبرغ في خريف ١٨٢١ . وعزم هارديج على دراسة الطب في جامعة غوتنجن فلم يوفق ، الا كانت السياسة والنضال من اجل الحرية اعز على قلبه من الدراسة . فشارك في محاولة العصيان الفاشلة في فورتمبرغ عام ١٨٢٢ ، وحكم عليه بالسجن لمدة اربعة عشر عاما . ثم استأنف الحكم عليه لدى محكمة الاستئناف في شتوتجارت فخففت الحكم عليه بالسجن الى تسعة اعوام . درس هارديج أثناء وجوده في السجن الكتاب المقدس ، فاثرك على سلوكه وفكره . ولما افرج عنه عام ١٨٤٠ لم يسمح له بالإقامة في فورتمبرغ فرحل إلى سويسرا حيث بقي حتى عام ١٨٤٤ حينما سمح له بالعودة الى وطنه بمناسبة الاحتفال باليوبيل الفضي لاعتلاء الملك فيلهلم Wilhelm عرش فورتمبرغ .

Brugger, H : Op. cit, pp. 5-10.

Brugger, H. : Op. cit, p. 35.

(١٥)

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٢٥ - ٢٦ .

Carmel, Alwx, The German settlers., p. 443.

Geschichte . . . , p. 134

Carmel, Alex, Op. cit, p. 443, Geschichte . . . p. 134.

(١٧)

Brugger, H. Op. cit, p. 37.

(١٨)

Carmel, Alex : Geschichte Haifas . . . p. 81.

- Brugger, H. : Op. cit, p. 38. (١٩
- (٢٠ المصدر نفسه ، ص ٣٩ .
- (٢١ المصدر نفسه ، ص ٤٢ - ٤٣ .
- (٢٢ المصدر نفسه ، ص ٤٥ - ٤٧ .
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . p. 82.
- Eliav, M. : German Interests and the Jewish Community (٢٣
in the 19th Century Palestine, in "Studies on Palestine
during the Ottoman Period, Jerusalem, 1975" p. 431.
- Brugger, H. : Op. cit, p. 49. (٢٤
- Sueddeutsche Warte, 22.1.1869 (٢٥ انظر تفاصيل عملية الشراء في مجلة
- Brugger, H. : Op. cit, p. 51. (٢٦
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . p. 83. (٢٧
- Grothe, Hugo : Bevoelkerung und Wirtschaftliche Lage (٢٨
der Schwaebischen Ansiedlungen in Palaestina,
Palaestina 1.1902,p. 233.
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . p. 84.
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p. 445. (٢٩
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abteilung (٣٠
VII, Po. 25, Bd. I.
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . pp. 87-9. (٣١
- Rosen, F. : Oriental Memoirs of a German Diplomatist, (٣٢
Methuen and Co., London, 1930, pp. 36-7.
- Brugger, H. : Op. cit, p. 52. (٣٣
- (٣٤ المصدر نفسه ، ص ٥٢ - ٥٤ .
- Brugger, H. : Op. cit, p. 61. (٣٥
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abt. VII, (٣٦
Po 25, Bd. I.
- Brugger, H. : Op. cit., pp. 62-3. (٣٧
- Answaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abt. VII, (٣٨
Po 25, Palaestina, Bd. I.

Brugger, H. : Op. cit, p. 95. (٢٩)

(٤٠)

(٤١) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

Answaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abt. VII, (٤٢)
Po. 25, Palaestina

تقرير القنصل الألماني في القدس فيليب فورست Ph. Wurst إلى سكرتير
لجنة التقسيم الفنية الفلسطينية في ١٢ تموز ١٩٢٨ .

Geschichte . . . pp. 136 - 7 (٤٣)

(٤٤) انشئت جمعية بيت المقدس في برلين في ١٢/١٢/١٨٥٢ من أجل دعم المشروعات التبشيرية
الانجيلية الألمانية في فلسطين
Geschichte . . . , pp. 51-62.

Geschichte . . . p. 137, Brugger, H. : Op. cit, p. 66. (٤٥)

Seidel, H. J. : Der Britische Mandatstaat Palaestina im (٤٦)
Rahmen der Weltwirtschaft, Walter de Gruyter,
Berlin, 1926, pp. 81-2.

Brugger, H. : Op. cit, pp. 85-9. (٤٧)

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٨٨ .

Carmel, A. : The Political Significance of German (٤٩)
Settlement in Palestine (1868-1918), in "Germany and
the Middle East 1835-1939 Tel-Aviv University,
Tel-Aviv, 1975, pp. 48-9.

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

Hauptstaataarchiv Stuttgart, Koeniglich Auswaertiges (٥١)
Amt.

Sueddeutsche Warte, 1.7. 1858, p. 2., 22.7. 1858, p. 114, (٥٢)
16.9. 1858, pp. 145-6.

Lange, Friedrich : Geschichte des Tempels, Stuttgart,
1899, p. 167.

Hauptstaataarchiv. Akten des Kabinets IV, Nr. 1585. (٥٣)

Sueddeutsche Warte, 12.2. 1874, pp. 25-6, 26.3.1874, pp. (٥٤)
70-71.

- Brugger, H. : Op. cit, p. 48. (٥٥
- المصدر نفسه ، ص ٥٨ - ٦٠ . (٥٦
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 126, (٥٧
- Muenchhausen an Bismarck, Jerusalem, den 30 Mai
- 1897.
- المصدر نفسه . (٥٨
- Carmel, A. : The Political Significance . . . , p. 54. (٥٩
- Brugger, H. : Op. cit, pp. 84-5. (٦٠
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 55. (٦١
- المصدر نفسه ، ص ٥٦ . (٦٢
- Sueddeutsche Warte Vom 18 Maerz 1882, p. 4. (٦٣
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 57. (٦٤
- Brugger, H. Op. cit, p. 90. (٦٥
- Carmel, A. : The Political Significance, . . . p. 59. (٦٦
- Holborn, H. : Deutschland und die Tuerkei (1878-1890), (٦٧
- Berlin, 1926, p. 106.
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 189, Vol. I. (٦٨
- Brugger, H. : Op. cit, P. 92. (٦٩
- المصدر نفسه ، ص ٩٢ . (٧٠
- المصدر نفسه ، ص ٩٢ . (٧١
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 63. (٧٢
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Preussen 4 (geheim), (٧٣
- Vol. 9, Schlaezer an Hohenlohe, Istambul, 15.11. 1898
- نص تقرير القائم بالاعمال الألماني في اسطنبول .
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 63. (٧٤
- المصدر نفسه ، ص ٦٥ - ٦٦ . (٧٥
- المصدر نفسه ، ص ٦٧ - ٦٩ . (٧٦
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 177, Vol.10. (٧٧
- Hurewitz, J. : Diplomacy in the Near and Middle East, (٧٨
- Princeton, Vol. 1, pp. 267-276.

- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 175 (e), (٧٩)
Abteilung I A, Bd. 2.
- Friedman, I. : Germany, Turkey and Zionism (1897-1918), (٨٠)
Oxford, At the Clarendon Press, 1977, pp. 390-391.
- Sueddeutsche Warte Vom 23.9. 1858, p.125, 14.10.1858, (٨١)
p. 161.
- (٨٢) جريدة الاهرام ، القاهرة ، عدد ٢٧ حزيران ١٨٩٨ .
- Sueddeutsche Warte Vom 27.4.1914, pp. 133-4. (٨٣)
- Deutsche Kolonial Zeitung, Berlin, 1884, pp. 83-4. (٨٤)
- Sueddeutsche Warte, 27.4.1911, pp. 131-2. (٨٥)
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p. 448. (٨٦)
- Sueddeutsche Warte, 30.00. 1884, pp. 1-2. (٨٧)
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv. Bd. 25 a Nr, 135. (٨٨)
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p.p. 449-50. (٨٩)
- (٩٠) المصدر نفسه ، ص ٥١ - ٥٢ .
- (٩١) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .
- (٩٢) هواة صهيون حركة سياسية يهودية استهدفت تنظيم هجرة اليهود من اقطار أوروبا الشرقية الى فلسطين . وقامت باتشاء المستعمرات اليهودية الاولى في البلاد بين عامي ١٨٨١ و ١٩٠٤ .
- حول هذه الحركة انظر :
- جريس ، صبري . تاريخ الصهيونية ، ج ١ ، (١٨٦١ - ١٩١٧) ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١٠١ - ١٢٢ .
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p.p. 455-8 (٩٣)
- (٩٤) المصدر نفسه ، ص ٤٦ - ٤٦٢ .
- Die Welt, 13.10. 1911, pp. 1083-4 (٩٥)
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p. 464 (٩٦)

كتاب "نهاية السؤل والأمنية"

للدكتور أحمد سعيدان

(عضو الجمع)

١ - تعريف

في المكتبة البريطانية في لندن مخطوطة تحمل الرقم *OR3631*، وتضم مجموعة من الرسائل العربية في الفروسية ، اكبرها رسالة بحوالي ٥١٠ صفحات ، في كل صفحة ٢١ سطرا ، في كل سطر حوالي ١٢ كلمة ، وقد كتب على صفحة غلافها بخط جميل وتشكيل هندسي :

(كتاب نهاية السؤل والأمنية في تعليم أعمال الفروسية ، تصنيف بكتوت الرماح ، خازن دار الملك الظاهر ، رحمهما الله تعالى ، أمين).

فمن هو بكتوت الرماح هذا ؟

كُتب على غلاف المخطوطة كاتب مستعجل ، بخط انكليزي غامض واضح ، يزعم ان حاجي خليفة ينسب الكتاب الى ابراهيم ابن ابي الحسن الشهير بابن رافع الدمشقي المتوفى سنة ٧٥٨ هـ . رجعت الى كشف الظنون لحاجي خليفة فوجدته يذكر الكتاب، ولكنه ينسبه الى محمد بن عيسى ابن اسماعيل بن خسروشاه الاقسرائي الحنفي الرومي، المتوفى في حدود

* بترخيص من ادارة المكتبة البريطانية في لندن .

٧٥٠ هـ . ورجعت الى موسوعة بروكلمان فوجدتها تذكر بدر الدين بكتوت الرماح الخازنداري المالكي الظاهري المتوفى سنة ٧١١ / ١٣١١ ، ولكنها تنسب اليه كتابا غير نهاية السؤل ؛ وتذكر نهاية السؤل والامنية في تعليم اعمال الفروسية، ولكنها تنسبه الى محمد بن عيسى بن اسماعيل الحنفي المعروف بنجم الدين ايوب .

ورجعت الى كتاب مارتن (مقدمة الى تاريخ العلم) فوجدته ينسب الكتاب الى الحسن الرماح،المسمى نجم الدين الاحدب ، ويذكر انه ظهر في سوريا حوالي ١٢٩٤ / ٥ (= ٦٩٤ هـ) وتوفي في الثلاثينات من عمره . ومارتن ينسب الى هذا الرماح الاحدب ، بالاضافة الى كتاب نهاية السؤل والامنية ، كتابا في الفروسية والمناصب الحربية،ويسجل له انه عني بالبحث في طرق تنقية البارود .

في غيرة هذا الاضطراب عدت الى نص الكتاب عساه يكشف لي عن هوية الكاتب ؛ ومن النص تبين لي ما يلي :

ليس المؤلف هو نجم الدين الاحدب،كما يظن حاجي خليفة وبروكلمان ومارتن ؛ ففي النص صفحات ينقلها المؤلف عن كتاب لنجم الدين يسميه كتاب البنود ، ويذكر انه اخذها عن نسخة لناصر الدين محمد الرماح ، وان ناصر الدين هذا قد عارض نسخته بنسخة لعز الدين بن عبد العزيز الرماح بقلعة دمشق . ثم يذكر المؤلف ما يجد من فروق بين نصوص هذه النسخة ونصوص نسخ أخرى لكتاب نجم الدين ، ويضيف بنودا من عنده تكمل ما يذكره نجم الدين الى المئة .

ويلي كتاب نهاية السؤل في مجموعة المكتبة البريطانية كشف يسرد فيه المؤلف ، بدر الدين بكتوت الرماح الخازندار الظاهري ، ما ألف من كتب ورسائل . يلي ذلك رسالة قصيرة في علم

الفروسية وعلاج الخيل . « تصنيف بدر الدين بكتوت الرماح ؛ وكان ابتداء تأليفه في حصار عكا في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف ، ولد مولانا السلطان الملك المنصور . . . قلاوون ، وذلك في شهر سنة ٦٨٩ » .

وفي الحالين يتباهى المؤلف بفروسيته ومهارته في ركوب الخيل، والمبارزة بالسيف والرمح .

فألى أن نعثر على أدلة جديدة أرى أن نعتبر :

أولاً، إن كتاب نهاية السؤل والأمنية في تعليم أعمال الفروسية ألفه بدر الدين بكتوت الرماح ، لا نجم الدين أيوب الأحذب .

ثانياً أن بدر الدين هذا خدم الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون وابنه الأشرف ؛ وقد يكون توفي سنة ٧١١، ولكن لا يُعقل أنه كان عندئذ في الثلاثين من عمره ، ذلك أنه كان سنة ٦٨٩ في سنٍّ تُمكنه من وضع كتاب في الفروسية وعلاج الخيل .

ثالثاً أن محمد بن عيسى بن اسماعيل، المعروف بنجم الدين أيوب الأحذب، لا بد أنه عاش قبل بكتوت بأكثر من نصف قرن ، وربما بأكثر من ذلك بكثير .

٢ - النسخة والناسخ

ليس هناك ذكر للناسخ ولا لتاريخ النسخ ؛ ولكن الخط ، في صفحات المجموعة كلها ، واحد ، وهو على نمط خطوط القرنين السابع والثامن الهجريين ، سواء في ترتيب النص وفي الأرقام . فقد لا تكون النسخة متأخرة كثيراً عن تاريخ التأليف . ولكن ثمة دلائل على أنها منقولة عن نسخة سابقة . والخط واضح والأشكال مرسومة باتقان بالغ . إلا أن الناسخ ، على طريقة عصره ، لا يراعي دقة التنقيط ، ويندر أن يضع الهمزة ، وهو لا

يرقم الصفحات ولا الأوراق .

ويبدو ان الناسخ كثير السهو ؛ ولعل اشنع اخطائه في موضع يجري فيه الكلام عن « الرمي بلا فوق » ، اي بلا تصويب ؛ فاذا بالكلام ينتقل فجأة ، في وسط السطر والجملة ، الى تعليم فنون الرماية للمبتدىء . ونستطيع ان نقدر ان الناسخ اراد هنا ان يقلب ورقة من الاصل الذي ينقل عنه فقلب ورقتين /ومضى ينسخ بلا تفكير .

ومثل هذا النقص في النص نجده في موضعين آخرين في الميكروفلم الذي حصلنا عليه من المكتبة البريطانية ، ولكننا فيهما لا نستطيع ان نجزم على من يقع اللوم .

اول هذين الموضعين هو الورقة الاولى من كتاب نهاية السؤل ، فهي مفقودة . ولكننا نستطيع ان نقدر ان المؤلف يبدأها بحمد الله والصلاة على نبيه الكريم ، ثم يذكر سبب وضعه لكتابه ولن وضعه ؛ ولعله هنا ، كشأنه في مخطوطيه الآخرين ، يتباهى بفروسيته ومهارته في ركوب الخيل، والمبارزة بشتى ادوات الحرب .

والموضع الثاني الذي ينقطع فيه النص ياتي في اواسط المخطوطة ، حيث يمضي الكلام عما ينبغي على الامر أن يصنع عند عقد الجيش وعرض العساكر ، فاذا به ينتقل فجأة الى جدول اختيارات ، اي ايام الاسبوع وما يصلح لها وتصلح له من اعمال . وتأتي هذه النقلة مع انتقالنا من ورقة الى ورقة، مما يبعث على الترجيح بأن ورقة على الاقل من المخطوط قسد تخطاها التصوير ، او سقطت من الاصل .

٣ - المحتوى

يشتمل الكتاب على مقدمة واثنى عشر فصلا يسميها المؤلف تعاليم ،

وهذه التعاليم متباينة في الطول يمتلأ أكبرها ٦٦ ورقة في المخطوط في حين أن اثنين منها لا يتجاوز كل منهما ورقة واحدة . وقد لا يصعب تبرير هذا التفاوت بين الفصول . إلا أن مما يلاحظ على المؤلف أن تقسيمه لموضوعاته لا يجري على نسق مميز ؛ فهو قد يقسم الموضوع إلى أبواب ، والباب إلى فصول ، ثم يقسم الفصل أيضا إلى أبواب .

إلا أن المؤلف ، رغم هذه الهنات الشكلية ، قد نجح في تحديد هدف واضح وفي تحقيق هذا الهدف : أنه محارب خاض غمار حرب صليبية واكتوى بنارها ، فهو يكتب للحرب وفي الحرب . ولذا فهو يستهدف الحز على الجهاد في سبيل الله ، ثم يمضي في تعليم المجاهد كل ما يفيد عن آلة الحرب وفنونه .

أما الحز على الجهاد في سبيل الله فقد وقاه بمقدمة عرض بها كل ما ورد في القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف من آيات وأحاديث تتعلق بالجهاد ، ثم أتبع ذلك بما رواه الرواة من قصص وأبيات شعرية عن المجاهدين والشهداء .

وقد لا تكون الأبيات الشعرية التي يوردها خير ما في الأدب العربي ، وقد يكون كل ما فيها من أخطاء من صنع الناسخ ، إلا أننا قد نتعذر أن نجد كتابا واحدا يضم بين دفتيه كل هذا القدر من الأحاديث والروايات عن الجهاد والمجاهدين . أن مقدمته تملأ ٢٤ ورقة في المخطوط ، ثم هو يضيف جديدا عن الجهاد عند الكلام عن الخيل ورباطها في سبيل الله ، ويضيف جديدا أيضا كلما وجد إلى ذلك سبيلا ، حتى يصل إلى التعليم الحادي عشر ، فيجبل فيه الأحكام الشرعية المتعلقة بالجهاد وأسرى الحرب ، من يسلم منهم ومن يبقى على دينه . أن ناحية التوعية في الكتاب وأمية تكاد تدفع القارئ للجهاد دفعا .

وأما تعليم الفروسية وأعمالها، الذي هو الموضوع الرئيسي، فنتضح
أبعاده من البيان التالي عن تعاليم الكتاب :

التعليم الأول عن رماية النشاب وما يتعلق بالقوس والوتر، وكيفية
الرمي ، وكيف تختلف القوس باختلاف تركيب الرامي نفسه ، وما قد يلحق
به الرمي من ضرر بدني، وكيف يعالج الضرر، وكيف يتوقاه .

وفي هذا يورد المؤلف مذاهب ينسبها إلى أصحابها، ومن الأسماء التي
يوردها : طاهر البلخي، ومحمد بن الحسن الهروي، وأبو هاشم الماوردي، وأبو
موسى السرخسي . . . وهو يقتبس نصا من شخص يسميه محمد بن بركات،
المعروف بابن القاضي الاصلاطي، ونصا آخر من سعيد بن خفيف . وبملا
هذا التعليم في المخطوطة حوالي ١٤ ورقة .

التعليم الثاني هو أطول فصول الكتاب، وبملا ٦٦ ورقة ، ويشتمل
الحديث عن الرماح والخيل وركوبها، يبدأ بمقدمة دينية تتعلق بالرمح
واستعماله، ثم يذكر ما يجب على المعلم في تعليمه وما يجب على المتعلم ؛
وهو يرى أن عليه أن يتعلم استعمال الرمح كما وصفه الشيخ نجم الدين
أيوب المعروف بالأحذب، وذلك في كتابه عن البنود ، والبنود، على ما يبدو،
أشبه برقصات حربية يجريها الفارس والرمح في يده ؛ والمؤلف يصف ٧٣
بندا ، نقلا عن الشيخ نجم الدين ، ثم يعيد وصف هذه البنود ثلاث مرات
أخرى ، نقلا عن نسخ أخرى من كتاب الشيخ نجم الدين . ولكن وصفه في
هذه الحالات كلها هو عندي أشبه بالغاز ؛ وقد كنت أعزو السبب في ذلك
إلى أن الكاتب إنما يصف فنونا مضى زمانها ، غير أنني وجدته هو نفسه يذكر
أن في هذه البنود كلمات زائدة وكلمات ليس لها معنى .

ثم هو لا يكتفي بذلك، وإنما يذكر بنودا أخرى يقول أنه وجدها للشيخ
نجم الدين، ويكملها ببنود من عنده حتى يصل مجموعها إلى المئة .

وهذا مثال :

« البند الأول ، وهو بند الحرب ، تبطيل يمين وتبطيل شمال، ونقل استواء، وتسريح مقور، وقريصة، ونشل، وطعن، ودخول وخروج، ونسزول شمال، وضرب زندية » .

بعد صفحات على هذا المنوال ينتقل المؤلف الى التكلم عن الركوب، ويخصص لذلك مقدمة وثلاثين بابا، يشتمل آخرها على ١٦ فصلا . واليك امثلة على هذه الابواب ، بنص المؤلف نفسه :

« باب في فضل الخيل واقسامها ورباطها في سبيل الله تعالى »

« فصل في المسابقة بين الخيل على عرض جائز » اي حيث يجوز تغريم الخاسر

« فصل في اختلافات الدواب »

« باب في ابتداء تعليم الرمح والفرس التي تصلح لذلك »

« باب في الركوب وأنواعه »

« باب في ابتداء الخروج الى الميدان »

« باب في ذكر الميادين » ، (نقلا عن اهل العلم ، ومنهم الشيخ نجم

الدين . يذكر خمسة ميادين مختلفة ويميز كلا منها باسم خاص ويفرد له بابا خاصا، ويبدو أنها تختلف بعضها عن بعض باختلاف خطوط سمر الفارس في حلبة الجري) .

ومن ذلك أيضا باب في الكر والفر والدوران ، باب في المواجهة ، باب في المطاردة ، باب في الضرب بالقرعة ، باب في العمل بالرمحين ، باب في العمل بالسيف والرمح .

فصل في رمي الفارس ، فصل اذا تبعك فارسان ، فصل اذا تقابلت

مع خصمك ... الخ

/ التعليم الثالث : في العمل بالسيف وما ورد فيه — ٣١ ورقة

بعد وصف العباب مختلفة بالسيف ذات أسماء متميزة بمقدم المؤلف
نصولا في ما يحتاج اليه العامل بالسيف ، وفي وزن السيف وجهازه ، وفي
العمل بالسيف والدرقة والترس .

ومن ذلك عمل بالسيف يذكر انه من تأليف منصور المعروف بالمصطنع؛
والعمل بالسيف على الفرس، وفصل بهز السيف والضرب به . ثم يورد بابا
في السيوف وانواعها وسقاياتها ، وهو رسالة أبي يوسف يعقوب بن
اسحق الكندي للمعتصم بالله .

التعليم الرابع : في الترس وما يرد حوله من مسائل .

التعليم الخامس : في العمل بالعمود ؛ والعمود على ما يبدو قضيب
معني يستعمل في الهجوم والضرب .

التعليم السادس : في صناعة الجنود والفرسان . خمسة ابواب في
سبع ورقات :

الباب الاول في منافع السرج واللجام .

الباب الثاني في الخفة والوثوب على الفرس والرمي عليها .

الباب الثالث في تعليم الفروسية .

الباب الرابع في الصيد واحوالها .

الباب الخامس في طلب السباع والحذر منها على اختلافها .

/ التعليم السابع : في الاسلحة ومسائل تتعلق بها : سبعة ابواب في ٣٢

ورقة :

الباب الأول في سلاح الرسول صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني مقسم الى فصول منها لبس الأسلحة ، وأين يضعها
الرجل من نفسه ، وماذا ينبغي أن يكون مع كل منها ،
وما ينبغي من حذر وثبت ، وقطع الأنهار والكباري
بالأسلحة .

الباب الثالث في رجاجة الفارس على أقرانه .
الباب الرابع في لقاء الفارس الفارس .
الباب الخامس في لقاء الفارس الراجل .
الباب السادس في لقاء الراجل الفارس
الباب السابع في لقاء الراجل الراجل .

التعليم الثامن : في عقد الجيوش وجمعها وآلاتها وأمرائها وقوادها
واجنادها ، ١١ ورقة ، يبحث في واجبات الرئيس والمرؤوس كل نحو الآخر ؛
ومن ذلك تحديد أوصاف مميزة للجنود وخيولها وطرق صف الجيش وتعبئته ،
ووضع الكمين .

التعليم التاسع : في تعبئة الصفوف للقتال ، وفي الأنواع المختلفة للصفوف .
وينتهي بباب للمبارزة ، اللعب منها والجد ، مع قصص عن مبارزة الصحابة
عليهم السلام — ٢٠ ورقة .

التعليم العاشر : في المكاييد الحربية . يتكلم في أربع ورقات عن ثمانسي
مكاييد منها تسليط النيران ، واستعمال النفط في الهدم بما يشبه القنابل
والقذائف . ويتكلم أيضا عن إطلاق أنواع من الدخان يتسرب من الثقوب فيقتل
من يشمه .

التعليم الحادي عشر : في قسمة الغنائم والأحكام الشرعية المتعلقة بالجهاد .
في ٣٥ ورقة ، يبحث في أمور مثل حكم الغنائم والانتفال وقسمتها والأمان ،

والموادة، والمصالحة، واحكام الاسير ، والمستأمن ما يَصْدُقُ فيه وما لا يصدق ، والمعاهدة، والمعاملة مع أهل الحرب، واحكام المرتدين من الخوارج والبغاة .

التعليم الثاني عشر: في أمور يحتاج اليها المحارب وغيره ، في ثماني ورقاته، يبحث في وجوه الفال، وعلامات تظهر في اذنان الخيل ، وفي نبات النبروز ، والاصوات .

وفيه باب في تدبير المسافرين، وآداب الراحلين، وباب في معالجة انجروح والذرور والمراهم .

٤ - كلمة تقييم :

بدأت اطالع كتاب نهاية السؤل وأنا في القدس أشبه به رابط أعزل يواجه العدو بالايمان بحقه والثقة بعدالة ربه ؛ فتملكني شعور غامر يربطني بالكتاب ومؤلفه كويدفعني الى تحقيق الكتاب ونشره، ايمانا بأن حاجتنا للجهاد اليوم كحاجتنا اليه بالأمس .

ولكن اذ مضيت في دراسته تزايدت قناعاتي بأنه يتكلم عن فنون ومهارات مضى زماتها .

وان آلة الحرب اليوم تحتاج الى علم ودربة وامكانيات أكثر مما تحتاج الى فروسية . حتى الجانب الرياضي ، جانب المباريات من فروسية الامس، ذهب من بيننا نسيا منسيا في غضون أعصار من الاستعباد .

فهل أنحي الكتاب جانبا ؟

ان فيه ما يستحق النشر، لاسباب تهم دارس تاريخ العلم، فرسالة

الكندي للمعتصم بالله عن سقاية السيوف ، وما يتضمنه الكتاب بن صفحات
عن هدم الحصون بما يشبه قتابل اليوم وقذائفه، ومن كلام عن حرب
الغازات وحرب السموم ، كل هذا قد يتضمن كشوفاً جديدة في تاريخ
الحروب . ولكن في الكتاب أيضاً صفحات كثيرة لا أستطيع فهمها، لأنها تصف
مهارات ذهبت من بيننا طي النسيان ، بكلمات كانت مألوفة في عصرها لا
تحتاج الى تبيان ؛ هذا بالإضافة الى مواطن محدودة تعتمد المؤلف تعمق
الكلام فيها لأنها تقع في اطار الأسرار الحربية .

لهذا رايت مُكرِّهاً ان اکتفي بالتعريف بالكتاب، عسى أن يجد غيري
الدافع القوي لتحقيقه . اما أنا فساخترنه عندي كما يُخترن الاثر الذي لا
يقدر بثمن .

ويبقى بعد ذلك صفحات احببت ان اشرك بالاطلاع عليها من تههم
العربية من الجمعيين وامثالهم، ومن يهمهم الاطلاع على نواحي مجهولة من
الحياة الادارية في الاسلام .

ملاحظة : مع مراعاة لحرمة النصوص ، أثبت الهزة وقسمت
النص الى فقرات ؛ وحيث اضطررت الى اضافة كلمة وضعتها بين قوسين،
وحيث تعذر عليّ قراءة كلمة عن يقين جعلت مكانها ثلاث نقط متتابعة .

الباب الاول من التعليم الثامن

فيما يجب على الملك

ان ينظر في امر الجيش، وان يولي أمرهم قائدا يكون امرا مقدما جلدا
بصيرا ذا تجربة ، فيقلده عرض الجيش . فليكن هذا الأمير تام النهضة ،
كافي الجلالة ، سريع الاقدام ، قليل المحابة ، غير مهمل لقليل يجب النظر
فيه ؛ فالقليل من الاهمال في حق المعارض فساد لجمهور الجيش ، لأنه

متى ساهلهم في شيء من العدد ، وربما أعاد بعض الأمراء أصحابه مرتين
او ثلاثة ، وربما حاباهم بالضعيف وبالفرس الأعرج ، وغير ذلك مما يجب
الاهتمام به ، فسبيل الأمر على هذا يكون غير مساهل في شيء منه وان
صفر . وينبغي أن يكون قائد الجيش كما قال بزر جهر : —

لا يصلح لقود الجيش وتدبير الأمور الا رجل تكاملت فيه خلال أربع ،
وثلاث ، واثنان ، وواحدة : أما الأربع فحزم ، وحلم يحجب عن التهور في
المشكلات الا مع امكان فرجها ، وشجاعة لا تقضها الملمات بتواتر جوائحها ،
وجود يهون جلائل الأموال عند سؤالها .

والثلاث سرعة مكافأة الاحسان الى صالح الأعمال ، وثقل الوطأة على
اهل الزيغ والعدوان ، والاستعداد للحوادث اذ لم يثق بأمان الزمان .
والاثنان ، اسقاط الحاجب عن الرعية ، والحكم بين القوي والضعيف
بالسوية .

والواحدة : التيقظ في الأمور مع ترك تأخير عمل اليوم الى غد .
فاذا كانت فيه هذه الخصال ، حفظ الجيش حفظا تاما .
وليكن معه كاتب شهم جلد عارف بالحلي والثياب .

ويحتاج الأمير الى عرض الجند في ثلاثة مواضع : احدها عند ابتداء
عقد الجيش ، والثاني عند ابتداء اللقاء للحرب ؛ وهذا عرض يختص فيسه
الترتيب ؛ والثالث عرض عند تمام الفتح ، ويتبعه ايضا قسمة الغنيمة .
ويحتاج ايضا الى الفراسة في الجند .

ونحن ذاكرون فصولا من ذلك تكون معونة لقائد الجيش وكاتبه .

الباب الثاني من التعليم الثامن

فيما ظهرت به اللغة واتصل به العرف ، واهمل من ذلك غريب اللغة فيه ؛ ونحن ذاكرون على رسومهم ذكرا يشتمل على استبقاء في اقتصار .

فمن تلك الصفات الدالة على الأسنان :

فيقال في حق غير البالغ صبي ، فان كان قد راهق قيل **أمرود** ، فان علا موضع شاربه شعرات سود قيل : **حين طرّ شاربه** ، بفتح الراء ، ويقال : **بقل شاربه** ، والاول أجود؛ فان ظهر مثل ذلك في عارضيه وذقنه قيل : **حين بقل وجهه** ، بتخفيف القاف . فان اسودّت لحيته بالاتصال قيل : **حين اتصلت لحيته** . فان تم شعر وجهه قيل : **شباب** .

فان ظهرت في لحيته شعرات بيض يسيرة، قيل : **حين وخطه الشيب** . فان زاد حتى يستوي البياض والسواد ، قيل : **مجتمع** ، وقيل **كهل** . فان زاد البياض على السواد ، قيل : **أشيب**

فان استكمل البياض قيل **شيخ** . وليس يكتب في ديوان الجيوش شيخ لقلة ذلك فيهم .

فصل في اللحي :

فان كان شعر لحيته موفرا من جميع الجهات قيل : **الحي** . فان كانت موفرة الطول قيل : **طويل اللحية** ، وبعضهم يكتبه بقوله : **الحي** . وان كانت موفرة الذقن ، خفيفة في العارضين قيل : **خفيف العارضين** . فان قلّ الشعر في الذقن والعارضين قيل : **كوشج** . فان قلّ شعره حتى يكون متفرقا جدا ، قيل : **سناط** . فان عري وجهه عن الشعر قيل : **شط و ائط** . وان كان شعره يعلوه شقرة ، قيل : **أشقر** . فان زاد على ذلك حتى احمرّ ، قيل : **أصهب** . فان كان سدل الشعر **قيل** **سبط الشعر** . فان كان بخلاف ذلك ،

تيل : **جمد الشعر** • حين يكون متفرقا جدا •

ثم ينظر في اللون : فان كان ابيض فان العرب يكتبونه : **ابيض** :
والتأخرين : **تعلموه سمرة** ؛ واتفق الجمهور انهم يكتبونه : **اسمر** • وكذلك
لا يلقون (بالا) الى اصفر اللون ، لان هذا مما يدخله لبس بزواله ... ،
الا ان يكون اصليا ، فله اسم يخصه :

فان كان الرجل ابيض يعلموه حمرة قالوا : **اسمر مشرب بحمرة** •

فان كان عليه سمرة مشرب بحمرة ، فان كان عليه سمرة خفيفة قيل :
أدم ، فان زادت قليلا قيل : **أدم ظاهر الادمة** ، فان زادت كثيرا قيل :
اصفر ، فان اظلم لونه : قيل : **أسود** •

ثم ينظر في الشعر المتصل من الرأس بالجبهة : فان تحاصص على أعلى
جبهته قيل : **أنزع** ، فان كان قليلا قيل : **خفي** ، وان كان كثيرا قيل : **بيّن** •
فان كان بذلك المكان اثر ، قيل : **وبنزعت أثره** ، ويذكر مكانه ، ان كان بجانب
اليمين أو اليسار . فان كان أكثر من نزع ... قيل : **أجلح** • وكان علي ابن
ابي طالب ، رضي الله عنه ، كذلك . فان استوعب مقدار الرأس قيل :
اصلح •

ثم ينظر (الى) الجبهة : فان كانت واسعة ، قيل : **واسع الجبهة** ،
وان كانت بخلاف ذلك ، قيل : **ضيق الجبهة** • فان (كان) جلدها متكسرا ،
قيل : **بها غصون** ، فان كان بها اثر ، يذكر صفته من جانب كذا وكذا . فان
اتصل بشعره ، قيل ، **متصل بقصاص شعره** • فان اتصل بحاجبه الايمن
أو الايسر ، ذكره وقيل : **مقترن بحاجبه** • وان كان بها خصال ، قيل :
بها خال ، **خفي** أو **بيّن** ، من جهة كذا •

ثم ينظر في حاجبيه : فان اتصلا قيل : **مقرون الحواجب** ، **بيّن** أو **خفي** •

فان كان بينهما خط من انثناء . قيل : **مقرون بينهما خط** او **خطان** ، ان كان مستطيلا . فان كان معترضا قيل **بينهما انثناء** . وان كان بينهما خال ذكره . ثم يذكر كثرة شعرهما ، ان كان ، او قلته ، فيقول **مقرون الحاجبين ، غليظهما ، او دقيقتها** . فان انفصل ما بينهما من الشعر ، قيل : **أبلج** ويقال : **أبلد** و**افرق** . فان رقّ الحاجب في لطافة ، قيل : **أرج** . في اللغة : **مُرَجَج** . فان كان شعره كثيفا زائدا فهو **أوطف** . فان سبغ وانعطف فهو : **أقوس** ، فان رق وخف في نبتة فهو : **أمص** ، فان غلظ من قدام ودق من آخر فهو **أمص** ، فان ذهب شعره كله فهو **أمرط** .

ثم ينظر في **الأنف** : فان طال قيل : **طويل الأنف** . فان علا ، قيل : **أعلى الأنف** ، وبعبكسه : **قصيره** . فان كان علوه من قبل آخره فهو **أشمم** ، فان غلظ قيل **غليظه** ، وبعبكسه **دقيقه** . فان أقبل طرف أنفه على فمه ، قيل : **أورد الأرنبة** . فان انبسط منخراه قيل : **منتشر المنخرين** ، فان عرض وسطه قيل : **أفطس** . فان انخفض آخره قيل : **أخنس** . فان مال الأنف الى أحد الجانبين قيل : **أورد** ، فان كان في طرفه قطع فهو **أجدع** ، فان كان في أحد الناشرين فهو **أخرم** ، فان كان صغيرا مليحا قيل : **أدلف** . . . فان كان قصيرا قبيحا قيل : **أدلف أكزّم** فان اشتدت فطسته قيل : **أفطح** . فان زاد على ذلك حتى صار كأنف البقرة قيل : **أختم** ، فان كان مرتفعا فهي **ملاحة** فهو **أشمم** . فان اشتد اقبال طرفه على فيه ، الشفة ، فهو **أحجن** . فان مال ذلك منه الى أحد الجانبين فهو **أفغم** . فان ارتفعت أرنبته نحو الغصبة فهو **أقنى** .

ثم ينظر في **الشفة** فان كانتا غليظتين قلت : **غليظ الشفتين** ، وبالعكس دقيقتهما ، فان كانت الشفة العليا منقلبة قيل لها : **قالصة** . وان كانت قصيرة قيل : **منشورة** ، فان انقلبت السفلى قيل : **هدلاء** ، ويقال : **دالعة** . فان

كان في العليا شق قيل : **اعلم** . فان كان في السفلى قيل : **أفلج** . فان كان في وسط العليا نثرة فهي **طرماء** ، فان كانت النثرة في السفلى قيل : **ترفاء** .

ثم ينظر الى بشرة الوجه فان كان مضطرب الخدين قيل : **مضموم الخدين** . فان كان بأعلامها نتوء قيل : **ناتئ الوجنتين** . فان كان بوجهه اثر جدري قيل : **مجدور** ، **بين** او **خفي** . فان كان في مواضع متفرقة قيل : **بوجهه نبذ جدري** . ثم يذكر حالا ان كان به ، وصفته في اي موضع منه كان ، ويقول لونه ، ويذكر لونه فيقول : **احمر** ، ان كان ، او **اسود** ، **بين** . ويذكر ما في الوجه من نمش او اثر مستطيل او معترض ، او ضربة او غير ذلك .

ثم ينظر الى الأسنان فان كان بينها انفراج قيل : **أفلج** او **مفلج الثنايا** ، ان كان مختصبا بها ، والرباعيات والنياب السفلى والعليا ، او كليهما ، او اليمنى او اليسرى ، او كليهما . فان سقط منها شيء ذكرته وذكرته وذكرته موضعه ، وما هو ، قيل : **ساقط كذا وكذا** ، السفلى والعليا ، اليمنى او اليسرى . وان اخضر لونها ، او لون بعضها ، قيل : **فاسد ذلك منه** . فان انسحج طرفها فهو **كشش** ، **بين** او **خفي** . فان انسحج حتى يستوي مع الميت قيل : **أدود** . فان انكسر قيل : **أهثم** . فان ذهبت أسنانه وبقيت اسنأخها فهو **الطع** .

ثم ينظر الى اذنيه : فان كان صغيرها قيل **أصمغ** ، فان كان مثقوبها قيل : **مثقوب الاذنين** ، فان كان في احديهما **دُكْرَتُهُ** . وكذلك يذكر ان كان مقطوع الاذنين ، احداهما ، او بعضهما .

ثم ينظر الى ظاهر كفيه وساعديه وباطنهما ، فان كان به اثر من ضربة او نار او غير ذلك يقال : **في يده كذا وكذا** .
فهذا مختصر ما جرت به العادة في ديوان الجيوش .

الباب الرابع من التعليم الثامن

في شيمات الخيل

اول ما ييدا به فيقال فرس او شهري او برزون ، والاثنى منها حجر ،
ويقال له بغل او بغلة ، ثم يذكر اللون : فان كان اسود قيل ادهم ، فان علكته
من الدهمة زرقة قيل : ادهم يشبه اخضر ، فان اشرب اسود او ظاهر حمرة
في باطنه تلي الصفرة قيل ادهم احوى . فان كان حلوا في اللون فهو كميت .
ولون الكميت لون المسك ، فان كان اصفر من ذلك قيل : فاقع الصفرة .
فان كان اصفى من ذلك قيل كميت يشبه اصفر ، وان شيت : اشقر يشبه
كميتا . وكذلك كل لون اشكل اعتمد فيه على الاقوى وشبه الاخر . ومن
هذا يقولون ادهم يشبه كميت ، وكميت يشبه ادهم . والكميت يكون اسود
العرف والذنب ، فان كان احمر العرف فهو اشقر ، فان كان اصفر العرف
والذنب والجلد فهو اصفر . وان (كان) اصفر اسود العرف والذنب والجلد
قيل سمور . فان كان ادغم اللون ، كلون البغال ، فهو اخضر ، نكتبه في
كتاب العرض ، وبعض الناس يكتبونه ادغم . فان كان اشقر يميل الى
الصفرة فهو ورد ، والاشقر اشد صفرة من الورد . فان كان اشقر تعلوه
زرقة او ظلمة فهو اصدى . وهو ان يكون شعره بيضا مُنافِدة للدهمسة
والكتمة ، فهو صافي ، فان كثر الشعر المنافد في احد اللونين واشتد ظهوره فهو
اشهب احمر بسواد او حمرة . فان كان اشهب الا ان في الحمرة اثسارا
سودا مباينة لجملة اللون فهو زرزوري اللون . فان كان ناقصا عن الكتمة
وزايدا على الشقرة فهو احمر . فان كان ناصع البياض فهو قرطاسي
ولباج والعرب تسمي اللون الواحد بهيما ، وتسمي الاشهب والضبابي
اثسيم واحم . فان اجتمع فيه لوان ، وكل واحد من اللونين نكتة مفردة عن
الآخر فهو مدبر . ثم انظر في شية الراس : فان ابيض اعلى راسه فهو
اصقع ، وان ابيض اصل ناصيته فهو اقنف ، وان كان في اذنيه شعرات بيض

فهو **أدرا** ، فان ابيض ما بين اذنيه الى البطن فهو **موشح** . فان ابيض اكثر
رأسه فهو **أرخم** ، فان شمل البياض رأسه فهو **أغشى** .

ثم ينظر في شية الوجه : فان كان في وجهه بياض صغير ، كالدرهم ،
فهو **أفرح** ، فان كان اكثر من ذلك فهو **أغر** ، فان كان شديد البياض فهو
أغر موجج . فان سالت غرته فهو **أغر سائل** . فان دقت وجللت الخيشوم
فهو **شمراخ** . فان سالت الغرة الى أحد شقي وجهه فالذكر والأنثى **لطيم** .
فاذا اخذت الغرة احدى العينين فهو **أثقل** ، فان شملتهما فهو **مغرب** ، فان
ابيضت شفته العليا فهو **أرقم** ، فان ابيضت السفلى فهو **الظ** ، فان تمدى
الى ناصيته البياض فهي **قرعاء** و **مقرعة** . فان عمها فهي **بشفاء** و **فائشة** .
فان ابيض رأسه وعنته فهو **أدرع** ، فان ابيض ظهره فهو **أرجل** ، فان ابيض
عجزه دون مقدمه فهو **أذرف** . فان ابيض جنبه او كلاهما فهو **أحصف** ، فان
ابيض بطنه ولم يبلغ الجنب فهو **أنبط** ، فان بلغهما فهو **أجوز** و **يجوز** ؛ فان
جاوز جوزه ، وهو وسطه ، الى الظهر فهو **أرح** ؛ فان ابيض ظهره وبطنه
فهو **مبطن** . فان كان في ظهره اثر سجح السرج ونبت شعر ابيض فهو
مونغ . فان اعتدل السواد (والبياض) فيه نصفين او ما يتقاربان فيه فهو
أبلق . فان كانت قوائم الفرس بيضا ، قل أو كثر ، الى نصف الرضيف او
ثلث منها ، فهو **محجل** . فان بلغ البياض ركبته وعرقوب الرجل ، او الى
الركبتين او العرقوبين ، فهو **محجل محبب** . فان جاوز ذلك الى نخذه
وعضديه فهو **مسرول** . فان (كان) البياض في رجل واحدة فهو **أرجل** .
فان كان البياض في رجل ويد فهو **مشكول** ، وهو الشكال ، فان كان محجل
يد ورجل من احد شقيه فهو **مميل الايمان مطلق الاياسر** . والامسك
والاطلاق ما ليس به بياض . فان كان البياض في يديه دون رجله فهو
أعصم . وقد قيل : يكون (في) احدى اليدين دون الاخرى ، فان كان
البياض في يديه دون رجله ، وبلغ مرفقيه فهو **أقفر** ، وكذلك اذا كان البياض

باحدى يديه كان بقوائمه شعرات بيض فهو **مختمٌ** وبه **خاتم** ، فان زاد قليلا فهو **منفل** ، فان استدار برجليه دون يديه فهو **أخدم ومخدوم** ، فان كان ذلك باي رجله فهو **أرجل** ، فان ابيضّ ذنبه (فهو — أصبع) فان ابيضّ بعض ذنبه فهو **أشعل** ، فان كان على ذنبه **برش** فهو **موقف** . فان كان به **سمة** في مخذه **ذكر** ذلك، وان لم يكن (به) **سمة** قيل : **غطل** .

فهذا (ما) في الشيات ، لا بد لكاتب الجيش من ذلك .

الدكتور أحمد سميدان



ازدواجية اللغة

للدكتور محمد راجي الزغول

جامعة اليرموك

تعتبر مشكلة ازدواجية اللغة العربية من أهم المشكلات اللغوية الاجتماعية التربوية التي تواجه الوطن العربي . ولطبيعة هذا الموضوع الحساسية من الناحيتين القومية السياسية والدينية فإنه لم يلقَ عنايـة موضوعية كافية، أو بحثا مستفيضا في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، خاصة التطورية والمقارنة منها . في هذا البحث سأتناول قضية الازدواجية بالتعريف، وأربطها بالوضع اللغوي العربي، شارحا أربعة أنباط للعربية تُحدَّث عنها الغربيون، وتبعمهم العرب في الحديث عنها ؛ ثم فكرة الدموة الى العامية، مبينا ثلاث مراحل تاريخية هامة لتطورها، ومن ثم سأتأقش هذا الوضع في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، لآخلص بنتائج واقتراحات آمل ان تكون موضع المناقشة والتنفيذ . ونظرا لان جنور المشكلة تكمن في الاهتمام الذي أبداه الغربيون بها ، فسأورد في كثير من المواقع استشهادات مما قاله بعض مفكرهم في الجوانب المختلفة لهذه القضية .

ان كلمة « ازدواجية » ترجمة للاصطلاح الانجليزي " Diglossia " .
يُعتقد ان اول من تحدث عن هذه الظاهرة هو اللغوي الالماني كارل كرمباخر

في كتابه المشهور **مشكلة اللغة اليونانية الحديثة المكتوبة** (١) عام ١٩٠٢م اذ تطرق الى طبيعة هذه الظاهرة واصولها وتطورها ، وأشار بشكل خاص الى اللغتين اليونانية والعربية، وخلص الى نتائج تفسر كثيرا من التطورات المتأخرة لبعض الدعوات في العالم العربي ، اذ اقترح على اليونانيين ترك « ازدواجيتهم الشرقية » واللاحاق بالعالم الغربي ببتبني العامية لغة قومية كذلك دعا العرب الى ترك غصيح لسانهم وتبني احدى اللهجات — فضلا المصرية — لغة قومية . لكن الراي العام المقبول في ادب هذه الظاهرة اللغوية هو أن العالم الفرنسي وليم مارسيه اول من نحت هذا الاصطلاح (بالفرنسية La Diglossie) وعرّفه في مقالة تخص الازدواجية في العربية عام ١٩٣٠ بقوله :

« هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث » (٢) وبعد ثلاثة عقود من الزمان ، وعلى جهة التحديد عام ١٩٥٩م وفي مقالة تعدّ من أشهر ما كتب عن الموضوع — لانه قلما تجد باحثا في الازدواجية لم يرجع اليها — قدّم اللغوي الأمريكي شارلز فيرجسون هذا الاصطلاح الى الانجليزية، اذ بحث اربع حالات لغوية تتميز بهذه الظاهرة، وهي: العربية واليونانية والالمانية السويسرية، واللغة المهجنة في هايتي . كما قدّم فيرجسون تعريفه المعروف لهذه الظاهرة :

« حالة لغوية ثابتة نسبيا، يوجد فيها فضلا عن اللهجات الأساسية (التي ربما تضم نمطا محددا أو أنماطا مختلفة باختلاف الاقاليم) نمط آخر في اللغة مختلف ، عالي التصنيف (وفي غالب الاحيان أكثر تعقيدا من الناحية القواعدية) فوقى المكانة، وهو آلة لكمية كبيرة ومحترمة من الادب المكتوب لمعصور خلت، أو لجماعة سالفة، ويتعلم الناس هذا النمط بطرق التعليم الرسمية ، ويستعمل لمعظم الأغراض الكتابية والمحادثات الرسمية، لكنه

لا يستعمل من قبل أي قطاع من قطاعات الجماعة المحلية للمخاطبة أو
المحادثة العادية « (٣)

دعا فيرجسون هذا النمط « المرتفع » وهو الفصحى ، وتساير
استعماله « بالمنخفض » وهو النمط العامي ، وأعطى نموذجاً التالي
لاستعمالات كل منهما لتوضيح الفروق المذكورة : (٤)

الحالة	عال	منخفض
١ - الوعظ في المسجد (أو الكنيسة)	x	
٢ - التعليمات للخدم والعمال والكتبة	x	
٣ - الرسائل الشخصية	x	
٤ - الخطبة في مجلس الأمة ، الحديث السياسي	x	
٥ - محاضرات الجامعة	x	
٦ - الحديث مع الأصدقاء والزلاء وأفراد العائلة	x	
٧ - إذاعة الأخبار	x	
٨ - التمثيليات الاجتماعية في الإذاعة	x	
٩ - افتتاحية الصحف ، أخبار الصحف والعناوين	x	
١٠ - التعليق على الكاريكاتير	x	
١١ - الشعر	x	
١٢ - الأدب الشعبي	x	

ويمضي فيرجسون في المقالة نفسها ليتقبا بما ستكون عليه الحالة
اللغوية في اللغات الأربع المذكورة بعد القرنين القادمين ، وعلى وجه تقديره
عام ٢١٥٠ . والجزء الخاص بالعربية جدير بالذكر هنا ، ويفسر لنا أيضاً
بعض الاتجاهات والدعوات في العالم العربي . يتوقع فيرجسون أن يكون
هناك تقدم بطيء نحو تطور مجموعة من الأنماط اللغوية يرتكز كل منها على

أحدى العاميات مع مزيج مركز من مفردات الفصحى . وهناك بناءً على
توقعه ثلاثة أنماط رئيسية : أولها العربية المغربية وترتكز على عامية الرباط
أو تونس ؛ وثانيها المصرية وترتكز على عامية القاهرة ؛ والثالثة ما أسماه
المشرقية وترتكز على عامية بغداد . ويضيف فيرجسون مكملاً توقعاته أنه
بناءً على تطورات سياسية واقتصادية غير متوقعة، فلربما نشأ نمط جديد
للعربية في سوريا، يرتكز على عامية دمشق، وآخر سوداني يرتكز على عامية
أم درمان أو الخرطوم ، أو أنماط أخرى على حد قوله . (٥)

ودعا فيرجسون في ختام مقالته المختصين لدراسة هذه الظاهرة
بشكل أوسع. وقد تم ذلك بالفعل، وخاصة بين علماء اجتماع اللغة . يقول دل
هايمز (٦) اللغوي الاجتماعي الأمريكي تعليقا على مقالة فيرجسون، إن
الازدواجية مثال ممتاز لتعايش نظامين غير متبادلي الفهم (ويقصد هنا
الفصحى والعامية، وصعوبة فهم الفصحى على العوام) وتربط كل من هذه
الأنظمة بمفاهيم وقيم مختلفة ، وكذلك لضرورة الرجوع إلى الجماعة المحلية
للتحكم لتجنب أي تحريف أو تشويه قد ينشأ بحالة الاتصال . وكذلك
تعرض لهذه الظاهرة بالدرس كل من جيمبرز Gumperz وفشمان
Fishman ؟ فقد أضاف جيمبرز في أعماله الكثيرة ذات العلاقة بهذه
الظاهرة (٧) أن الازدواجية ليست حصراً في المجتمعات المتعددة اللغات،
التي تعترف رسمياً بعدة لغات ، ولا في المجتمعات التي تتكلم أنماطاً عامية
وفصحى، ولكن في المجتمعات التي تستخدم لهجات منفصلة ، أو أساليب
مختلفة، أو أي أنماط أخرى تخدم وظائف مختلفة . كذلك بحث النماذج
الاجتماعية التي تحدد استعمال نمط دون آخر . أما فشمان (٨) فقد لخص
ما قدمه لدراسة هذه الظاهرة بأنه تناول استمرارية الازدواجية وتعطيلها
على المستوى القومي والاجتماعي . وحاول ربط الازدواجية ببعض
الاعتبارات النفسية وما يختص منها بثنائية اللغة bilingualism

بشكل رئيسي، ودرس نماذج من الجماعات التي تتميز بالازدواجية والثنائية، وبالازدواجية دون الثنائية، وبالثنائية دون الازدواجية ، والجماعات التي لا تعاني من الازدواجية أو الثنائية . وقبل سنوات قليلة ، تناول الن كي (٩) A. Kaye تعريف الازدواجية بشكل مختلف، اذ انتقد تعريف فيرجسون لها، ووصفه بأنه « انطباعي ». ونظر الى وضع الازدواجية كوضع لا يميل الى الاستقرار والثبات كما فهمه فيرجسون ؛ كذلك فهم الفرق بين النمطين الاساسيين للعربية الفصحى والعامية بأنه الفرق بين نمط معرف " defined " وهو العامية، وغامض التعريف " ill defined " وهو الفصحى . فالعامية في رايه نمط معرف ، لان الطفل يتعلمها لغة أولى، أما الفصحى فانها نظام غامض التعريف لأنها لا تكتسب لغة أولى، بل يتعلمها الطفل فيها بعد في المدرسة . وفي اعتقاده انه لوجود تفاعل مستمر بين النظامين ، لا يمكن أن نستنتج بأن الوضع الازدواجي يميل الى الثبات ، بل على العكس هو متغير .

ـ لقد اعتُبر الوضع الازدواجي في اية لغة انه يشكل عوائق مختلفة للناطقين بتلك اللغة ؛ كما اعتبره الكثير من الباحثين عائقا للتعليم وللتطور التربوي والاقتصادي والتماسك القومي . يقول الباحث سوتيرو بولص (١٠) الذي تناول بالتفصيل الوضع القائم باليونان، حيث كان لآمد قصير التنازع بين الفصحى والعامية كلفة للبلاد (لقد حلت المشكلة في اليونان قبل بضعة اشهر بتبني العامية « ديموتيكا » لغة رسمية للبلاد، وترك الفصحى « الكاثارفوسا » بناء على قرار حكومي) في وصف انعكاسات الازدواجية اللغوية .

... « وان تكن الازدواجية ، وبشكل موضوعي ، أداة بارعة للضرورة، فانها من وجهة النظر الاقتصادية والتماسك القومي وفعالية

التعليم والاتصالات وأجهزة الاعلام لعائق . بالإضافة الى ذلك ، اذا اعتبرنا
إن وظيفة اللغة ليست للاتصال وحسب، وحقيقة أن اللغة تخدم احتياجات
الشخص والمجتمع العاطفية والمعرفية والنفسية ، فان وجود الازدواجية
في الجماعة اللغوية لذو آثار محددة بل معقدة لقوتها التعبيرية . الازدواجية
رمز وتذكرة للصراع الاجتماعي ونقص التماسك الاجتماعي .»

هل يُصدقُ هذا على العربية ؟ ان كان الحال كذلك فكيف الطريق
لتجنب تلك العوائق ؟ هل للعربية وضع خاص يختلف عن غيرها من
اللغات ؟ سأحاول الاجابة عن هذه الاسئلة بعد أن أحدد المشكلة في سياقاتها
العربي . لذلك سأبدأ ببحث أربعة أنماط للغة العربية ، يعرف منها العرب
الفصحى والعامية ؛ أما النمطان الآخران فقد أبرزهما كتاب غريسون
أو عرب تعلموا بالغرب وبأمريكا خاصة . ولو وضعنا الأنماط الأربعة على
خط مستقيم لوجدنا الفصحى على طرفه الأيمن ، والعامية على طرفه
اليسره وقارب كل من النمطين الجديدين أحد الطرفين . والأنماط الأربعة
هي العربية الفصحى ، العربية الحديثة ، عربية المثقفين والعامية .
سأبحث تلك الأنماط مبينا بعض الاتجاهات نحو الأنماط مناقشا ومبينا بعض
آراء الدارسين الغربيين لظاهرة الازدواجية في اللغة العربية .

١ — العربية الفصحى؛ وهي ما يسميه الغربيون Classical Arabic

أو Fusha Arabic وما سماه فيرجسون بالنمط العالسي أو
« المرتفع » .

الفصحى بالدرجة الأولى هي لغة القرآن ولغة الاسلام؛ وهي الوسط
الذي انتشر به الاسلام دينا وثقافة . والعلاقة بين العربية الفصحى
والاسلام علاقة عضوية حميمة . قال تعالى : « انا أنزلناه قرآنا عربيا »
وقال « بلسان عربي مبين » . ولا غرو أن يكون هذا السبب الأول في

احتفاظ العرب على اختلاف مآربهم وأهوائهم عبر التاريخ، ورغم كل ما بذله
الغازون والمستعمرون عبر التاريخ العربي الاسلامي من جهد في سبيل
تحويلها أو تحريفها أو ابدالها بلغة أخرى . ولا بد من نظرة عميقة في هذه
العلاقة بين العربية والاسلام، التي تنعكس في آراء المسلمين في بلاد منها
الصين وبورما وافغانستان وروسيا السوفيتية وغرب افريقيا، وفي آراء
ومعتقدات العرب منهم خاصة، حتى ندرك قيمة هذه اللغة ومدى تمسك
المسلمين بها . وقد حاول عدد من المفكرين المسلمين أن يشرحوا أو يبينوا
هذه العلاقة ولل فكر الغربي بالذات ، وللمستغربين في تفكيرهم . فعلى
سبيل المثال يقول الشيخ عناية الله الاستاذ في جامعة البنجاب، في مقالة
نشرتها مجلة Islamic World في توضيح هذه العلاقة (١١) :

« العربية ذات أهمية عظمى، كونها اللغة الدينية للمسلمين الذين
يكونون خمس الجنس البشري . . . ويتم التأكيد في القرآن الكريم مرارا
وتكرارا على حقيقة أن كلمة الله قد أوحى بها باللسان العربي . ومن
طرف العالم الاسلامي الى الطرف الآخر ، ومهما كانت لغة المسلم سواء
كانت بربرية أم حوساوية أم بشتو أم فارسية أم تركية أم جاوية أم ملاوية،
فإن الصلوات تقام خمسة اوقات بالعربية يوميا . أما الكلمات الأساسية
في العقيدة الاسلامية — لا اله الا الله محمد رسول الله — فأتت كلها في
أذن الوليد، ومن بين أولى الجمل التي يعلم الطفل أن ينطق بها « وينبغي
أن تكون هي الكلمات الأخيرة على شفاة الميت » .

ويستطرد الشيخ عناية الله :

« بدون العربية يكون فهم الاسلام ناقصا، ولاي فهم للأفكار المؤثرة
بطريقة حياة المسلمين وعقائدهم التي يعتبرونها أكثر الأشياء قدسية،
ومبادئ دينهم وأخلاقهم التي ينشأون عليها ، علينا أن نعود للعربية

فهي الاداة الاصلية لكل العلوم الدينية في الاسلام » .

من هنا نبع الاعتقاد بقدسية اللغة العربية بشكلها الفصيح، وقد اثر هذا الاعتقاد تأثيرا واضحا باتجاهاته العرب نحو لغتهم . يقول انور شحنة (١٢) في كتابه المعروف في الغرب عن اللغة العربية واهميتها في التاريخ واصفا اثر هذا الاعتقاد :

« ان الايمان بقدسية القرآن فيما يتعلق بمعانيه وكلماته، وحتى ادق تفصيلاته، أصبحت تشمل وتحتوي اللغة العربية بكليتها . ان مسألة كون العربية اعطية الله - وبناء عليه فهي فوق اللغات جميعا بجمالها وثروتها ونبلها - قد استحوذت بعمق اهتمام وتفكير فقهاء اللغة ومشرعى الاسلام والفلاسفة والفقهاء وغيرهم » .

ان ما لا يفهمه الغربيون والمستغربون من اعداء امة العرب هي هذه العلاقة العضوية الحميمية بين الاسلام والعربية، وما لها من انعكاسات على تفكير المسلمين، ومنزلة هذه اللغة بانفسهم . وعلاوة على ذلك كله ما تركته هذه اللغة من آثار على استمرار الخط الحضاري المتناسك للمسلمين . فبالاضافة الى كونها لغة الاسلام، فقد كانت اللغة التي سُجِّلَتْ بها الحضارة العربية الاسلامية وحُفِظَتْ . ولا نستطيع ان نعطي هذه النقطة حق قدرها الا اذا امعنا التفكير فيها ووضعنا الفرضيات المختلفة فيما لو كان الحال غير ذلك . دعني هنا اقتطف بعض ما قاله المستشرق كاشيه في تبيان توضيح هذا الامر ؛ يقول كاشيا :

« فوق ذلك كله فان الفصحى هي مفتاح تلك الكنوز الضخمة مسن الماضي ... ثباتها لم توازه اية لغة، وفي هذا اليوم يستطيع اي عربي في المرحلة الثانوية من تعليمه، ان كان مهتما وقادرا على بذل قليل من الجهد، ان يعبر الى (ويكون في متناوله) السجل الكامل للالف وثلاثماية عسّام

هل يستطيع الانجليزي أو الفرنسي أو الاسباني عمل ذلك ؟ هل يستطيع التركي أو الطلياني عمل ذلك ؟ هل يستطيع أي شاب من تلك الجنسيات أن يقرأ تراث أمته كما كتب لفترة ما قبل ألف عام مثلا ؟ وحتى خمسمائة عام ؟ تتمنى الامم أن يكون ابناءؤها قادرين على دراسة تراثها لهذه الفترة الزمنية . ان الانجليزي على سبيل المثال لا يستطيع أن يقرأ أي شيء من تراثه بشكله الأصلي مما يزيد تاريخه على خمسمائة عام وحتى ذلك من الصعوبة بمكان . اننا لن نستطيع ادراك أهمية ذلك الا اذا أدركنا قيمة الاستمرارية الحضارية على المستوى الانساني وبشكل شامل .

بالاضافة الى هذه العلاقة مع الاسلام فان علاقة العربية بالقومية العربية والوحدة العربية ليست اقل من ذلك بمكان ؟ فهي عماد القومية العربية واحد أهم مكوناتها كما أوضح ذلك عدد كبير من كتاب العالم العربي وادبائه من بينهم ساطع الحصري في معظم كتاباته في هذا الميدان . (١٤) كذلك ما زالت العربية بشكلها الفصيح أكبر قوة موحدة في عالم عربي تتنازعه قوى التفتت بعد الاسلام . وهنا أود أن اقتطف بعض ما قاله الأستاذ السابق في الجامعة الأميركية في بيروت ريتشارد يوركي في مقدمة لمحاضرة القاها في قاعدة لاكلانز الجوية الأميركية بمجموعة من العسكريين الاميركيين الذين يدربون مبعوثي بعض الجيوش العربية في امريكا . يقول يوركي : (١٥)

« وعلى اختلاف تلك الدول وتشعبها ، هناك قوة موحدة عظيمة واحدة : العربية الفصحى ؛ هذا النمط من العربية الذي تحمّل وثبت لآل وخمسمائة عام خلت ، والذي يعتبر لغة القرآن المقدسة ويحترم تراثه الادبي الهائل . بشكل رئيسي ، لم تتغير هذه النوعية من العربية منذ عهد محمد وهي تراث عام يوحد جميع العرب : ذلك العربي الفرنسي

الثقافة في المغرب ، وذلك الكاتب الانجليزي التعليم في فلسطين، وذلك البدوي الذي ما زال متنقلا في الحجاز ، جميعهم يتقاسمون احتراما شبيه اسطوري لفصاحة ومرونة العربية، وبشكل خاص ما دعاه المستشرق البريطاني جب « لغة الادب الثمينة، والمزينة بخيال غالبا ما يكون ساحرا ومترامي الاطراف » .

بالرغم من تلك الوظائف التي تؤديها، وأدتها العربية الفصحى ، الا انها وصفت وتوصف من قبل أبنائها أحيانا وأعدائها أحيانا أخرى بالجمود والاصطناعية والصعوبة المتناهية، خاصة من قبل الداعين الى العامية .

كذلك يعتبرها عدد من الباحثين لغة « غير طبيعية »، لأنه ليس هناك من يتعلمها لغة أولى، بل يتعلمها الطفل لغة ثانية في المدرسة . وهذا الكلام ، ولا شك ، نابع عن جهل، إذ أن الكثير من اللغة العربية الفصحى يتعلمه الطفل أثناء اكتسابه لعاميته . أما صعوبتها وصعوبة تعلُّمها فيتذرع الداعون لذلك بصعوبة نحوها الذي كتب قبل ما يقارب الف عام، وقلما تغير بعد ذلك . بالرغم من ذلك فإنه يشهد لها كواحدة من أغنى ، أن لم تكن أغنى ، لغات العالم بمفرداتها . ورغم أن فيرجسون، في مقالة ثانية عما دعاه خرافات عن اللغة العربية، يدرج هذه كاحدى الخرافات، الا أنه يدعمها كحقيقة بقوله إن ذلك ناتج عن الاستمرار الطويل في استعمال الفصحى، ودوام اثراتها من اللهجات وطرق النكت الأخرى . (١٦)

٢ — العامية أو المحكية أو الدارجة؟ وهو النمط الذي يسميه الباحثون الغربيون Colloquial Arabic أو Spoken Arabic .

في الكثير من الأبحاث المنشورة عن العربية ، هناك تركيز على الفكرة القائلة بأن اللهجات العامية تطورت عن الفصحى، بعد اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، واتصال الشعوب العربية بشعوب أخرى

بالإضافة الى توزيعهم الجغرافي . لا داعي هنا لمناقشة هذا الرأي ، لكن هناك الكثير من الدلائل التي تشير الى أن اللهجات العربية قديمة — اللغة العربية نفسها — وما الفصحى مقارنة بتلك اللهجات الالفة أدبيّة مشتركة، كتّبت بها الشاعر الشمالي والجنوبي والشرقي والغربي، على اختلاف لهجاتهم المحلية تبعاً لاختلاف لهجات قبائلهم .

كذلك كانت هذه اللغة الأدبية هي أداة التفاهم في اللقاءات والأسواق الأدبية . يخلص الدكتور محمود حجازي في كتابه اللغة العربية عبر القرون (١٧) الى نتيجة أنه انطلاقاً من وجود هذه اللغة الأدبية فإنه « من الطبيعي أن يكون القرآن الكريم بلسان عربي مبين » وأن لا يكون محلياً في التعبير بلهجة ما، بينما الاسلام دعوة الى تجاوز المحلية القبليّة الى أفق عالمي أرحب . وقد اعتبر عدد من الباحثين أن هذه اللغة الأدبية هي لهجة قريش، وقد تبنى من بين المحدثين الدكتور صبحي الصالح في كتابه « دراسات في فقه اللغة » وجهة النظر هذه ودافع عنها . (١٨) بالرغم من ذلك فإن اللغويين العرب لم يبدوا اهتماماً باللهجات ودراساتها ؛ ومرد ذلك غلبة التشابه بين هذه اللهجات من جهة، وبينها وبين اللغة الأدبية من جهة أخرى، وسهولة التفاهم أو وجود ما يسمى بالنظرية اللغوية الحديثة « الفهمية المتبادلة » (Mutual intelligibility) بين هذه اللهجات واللغة الأدبية . بالرغم من عدم الاهتمام الفائق ذلك، فإن هناك اشارات للزوايا البارزة لكل من هذه اللهجات واختلاف بعضها عن بعض ، اورد الكثير منها ابن جني في الخصائص (١٩) . ومن الطبيعي أن يكون التركيز على الزوايا البارزة، وخاصة في حقل الأصوات، وهو حقل يثير الاهتمام والملاحظة . وجملته المشهورة تلخص بعض الخصائص البارزة لتلك اللهجات حين قارنها بلهجة قريش « فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنقنة تميم ، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتهجع قيس، وعجرفية

ضبة، وتلنطة بهراء » ، كما ورد المزيد منها في المزهرة (٢٠) كالفخفة في لغة
هذيل، والمعجعة في لغة قضاة، وشنشنة اليمن، ولخاخنية اعراب عمان،
ومطممانية حمير ... الخ .

لكنه باتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية، ومخالطة الاعاجم،
والانصال بلغات مختلفة ومتعددة الاصول والفروع، أخذت الفوارق تزداد بين
تلك اللهجات من جهة، وبينها كمجموعة وبين الفصحى من الجهة الأخرى .
وبالرغم من اتساع الفوارق، إلا أن انتشار الفصحى لم يتوقف؛ إذ كانت هي
الأساس، وأصبحت لغة العلم والسياسة والابداع والتأليف والترجمة
فيما بعد . ثم أخذت في الركود في العصور المتأخرة، حتى كان الحكم
العثماني ومحاولات التتريك، ثم الاحتلال الفرنسي ومحاولات الاحتواء والضم
بالقضاء على العربية ، والاحتلال الانجليزي ومحاولات التجزئة بضرب
الفصحى . وهكذا زاد اتساع الشقة بين اللهجات والفصحى بزيادة
استعمال اللهجات، وقلة استعمال الفصحى، حتى وُصف بعضهم الفصحى
بأنها لغة ثانية ، وأصبح الاعتقاد الشائع أن الفهم المتبادل بين اللهجات
ضعيف .

ينظر العربي بشكل عام للهجته بالنسبة للفصحى على أنها ليست
ناقصة وحسب، بل أنها تشويه للغتنا المقدسة ، لغة الفصاحة والادب. وقد
وُصفت العاميات بأقذع الالفاظ من قبل الادباء والكتاب العرب، فهي مصاحبة
للجهل والسوقية، كما قال عبد الملك (٢١) لغة السكارى والخـدم ...
فوضوية ولا قواعد لها، كما يقول مبارك (٢٢) علامة للجهل والامبريالية، كما
يقول ناصيف (٢٣) ، لا تستحق أن تسمى لغة، ولا تلائم أهداف الحياة الثقافية،
كما يقول طه حسين (٢٤) ، ينشرها ويجذبها الاميون، كما يقول فهمي (٢٥)
... الخ . وبعض هذه الاوصاف مبالغة في الاتهام وتنقصه العلمية ؛

للعامية قواعد، وتستطيع كتابتها ان كان ذلك ذا جدوى؛ وهي تميل الى التبسيط في النحو، اذ تُلغى الحركات وتقلّ الأوزان والتمييزات ؛ ولكن هناك اسسا متنا من ذلك للحكم على العامية وتفضيل الفصحى . وبالرغم من هذه الاتجاهات السلبية نحو العامية في العالم العربي، فان العامية تقوم بوظائف جديدة في عالمنا، ربما تستمر ولدهة من الزمن، وذلك لارتفاع نسبة الامية . يقول صالح الطعمة في كتاب نشرته جامعة هارفارد في اميركا واصفا هذه الوظائف (٢٦) :

« ان تطور اشكال جديدة من الادب والدراما، والاستعمال المكثف لوسائل الاعلام، قد زود العامية بوظائف مهمة في بعض الحالات، كما في الفنون المحلية، كالآغاني، والسينما، فانها تخدم كلفة اساسية . وفي اشياء اخرى، كالدراما والتقصص، فقد أخذ استعمال العامية يزداد ويركّز عليه، وخاصة في الاعمال الموجهة للمشكلات الاجتماعية » .

لا شك في ان العامية تميل الى التبسيط، وخاصة في القواعد، اذ على سبيل المثال تختفي صيغة المثني تقريبا، وينقص عدد الضمائر ، وتختفي معظم اوزان الجمع، وصيغ الافعال، وكذلك تختفي حركات الاعراب ... الخ . لكن هذا التبسيط هو ولا شك على حساب القدرة على التعبير، ويتناسب طرديا مع تضيق الافاق لا توسيعها . كذلك فان العامية قاصرة عن ان تنبج بالتعبير عن الامور الثقافية والفكرية والفلسفية ؛ وعلى المتكلم في هذه المواضيع ان يعود الى الفصحى ليمزجها بتركيب العامية، ان اراد التعبير عما يقول بشيء من الدقة .

هناك بين هذين النمطين، الفصحى والعامية ، نهطان آخران من ابتداء دارسي العربية والمهتمين بالظواهر اللغوية في الغرب، وهما ما يسميان بعربية المثقفين Educated Arabic والعربية الحديثة

Modern Standard Arabic (M.S.A.)

٣ - عربية المثقفين Educated Arabic . عربية المثقفين اسم جديد لنماذج العاميات الاقليمية وداخل الاقليم الواحد مع الفصحى في كلام المتعلمين من اقليم عربي واحد او من اقطار عربية مختلفة حينما يجتمعون . وقد قام بدراسة تحليلية لهذا النمط عدة باحثين اخص بالذكر منهم ثلاث دراسات قام بها «حاييم بلانك» (٢٧) عندما حلل كلام اربعة من الطلبة العرب القادمين الى امريكا (١٩٦٠) ؛ وشعبان (٢٨) الذي حلل كلام ستة من الطلبة العرب (لبنانيان ، وسعودي ، عراقي ، عماني ، وتونسي) وزغول (٢٩) الذي حلل كلام عشرة من الطلبة العرب (سعودي ، مصريان ، عراقي ، جزائري ، اردنيان ، سوداني ، عماني ، ومغربي) .

اتفقت نتائج هذه الدراسات الثلاث على ان ترتيب الكلام يبقى عاميا ؛ كذلك يبقى النحو والصرف عاميا ولكن هناك ميلا لاختيار الالفاظ من الفصحى ؛ كما ان هناك ميلا لاستعمال اصوات الفصحى وخاصة الصحيحة منها . لكن هناك انتقالا للاصطلاح الاجنبي في كثير من الاحيان . ان هذا النمط خليط من العامية وبعض جوانب الفصحى لكنه يبعد عن الفصحى كثيرا . يقول بلانك مثلا في ختام دراسته :

« انه الاستثناء وليس القاعدة ان تجد اي كلام متواصل في اي من الانماط المشار اليها (الفصحى او العامية) ؛ اذ يميل المتكلم الى التنقل من نمط لآخر وفي داخل الجملة الواحدة » .

ويستنتج شعبان : « تبقى عربية المثقفين بغالبيتها تحت سيطرة العاميات وخصائصها خاصة في مجالي الاصوات والقواعد ؛ والركون الى الفصحى يعتمد على الموضوع المثار وبلد المتكلم ومعرفته باللهجات

الأخرى » .

{ — العربية الحديثة أو ما يسمى في الغرب Modern Standard Arabic (MSA) أو Neo-Classical Arabic .

لقد تطور هذا النمط من العربية بنمو الصحافة وتطورها وانتشار وسائل الاعلام ؛ ويقصد به تلك النوعية من العربية التي تكتب بها الصحف وتذاع بها نشرات الاخبار والبرامج الثقافية في الاذاعة والتلفاز . يختلف هذا النمط قليلا عن الفصحى ، وما هو الا تبسيط للفصحى من بعض الجوانب ، وذلك ليكون الكلام مفهوما لاي عربي يجيد القراءة والكتابة . وهذا كذلك ما سماه الادباء العرب قبل حين « لغة الجرايد » . للمثقف العربي ليست هناك فروق واضحة ، اذ ما تزال اصوات الفصحى نفسها تستعمل ، وكذلك قواعد النحو والصرف نفسها .

والفرق الوحيد الذي يستحق الذكر هو الميل الى استخدام الشائع من الالفاظ ، والبعد عن الاغراب ، والمرونة الزائدة أحيانا تجاه استعمال العبارات المترجمة (مثل يلعب دورا هاما ، في الجانب الآخر ، الخ) والالفاظ المستمارة من اللغات الأجنبية .

ان مفهوم ما يسمى بالعربية الحديثة ، غريب عن العالم العربي ؛ والكل يفترض ان هذا النمط هو الفصحى بعينها . ومن غير المتخصصين الذين تلقوا تعليمهم في بريطانيا أو اميركا ، هناك القليل ممن يعلمون بوجود هذا النمط ، ان وجد فعلا . بالرغم من ذلك فان بعض الباحثين قد بالغ في تقدير هذا النمط خطوة نحو تحديث العربية وتسهيلها . وآراء الباحث جارسلوف ستيتكيفيتش (٣٠) التي ضمنها في دراسة من أوسع الدراسات عن العربية الحديثة ، والتي نشرت في كتاب في الانجليزية ، جديرة بالعرض والتمحيص لاهميتها وحتى خطورتها في بعض الاحيان . يقول ستيتكيفيتش في خلاصة

كتابه عن هذا النمط من العربية (٣١) :

« ان المفهوم الخادع بأن هذا النمط من العربية غير مطعم لموجود ؛ اذ نادرا ما سيكون القاموس ذا فائدة في تتبع آثار الابتعاد عن الفصحى . والتوسعات في المعنى الواردة واسعة وشفافة لدرجة انها لا تعيق استيعابا مرضيا . توسيع الصفات يدعمه السياق التشبيهي ، والانطباع العام هو ان تلك لغة واضحة وحيطة بحيث لا يتردد الشعراء والكتاب في استعمالها ، ونادرا ما يركز النقاد على خصائصها . وفي الحقيقة فان الانطباع المتزايد هو انه لا يبدو ان هناك ما يميز ما يختص بهذا النمط . وهي ليست « بلغة الصحفيين » كما كانت تسمى قبل خمسين عاما . كذلك فانها ليست اختراعا جديدا أو صرعة . لقد غمر الوضوح الطبيعي في هذا النمط المصطلح المستعار، حتى أصبح من الصعب التمييز بأن هذا النمط غريب أو خارج عن العربية الفصحى . وفي الوقت نفسه فان قليلا من مستخدمي هذا المصطلح العربي الجديد يعلمون مدى قربهم من آفاق لغوية جديدة . يستطيع المترجمون الآن دون عناء ، وبسهولة فياضة أن ينقلوا العربية المعاصرة للغات الحديثة الأخرى، والعكس بالعكس .

كذلك تظهر المحبة والالفة اللغوية على التباين الذي ساد سابقا . كذلك يجد العرب اللغات الأجنبية أسهل، والآخرين يرون العربية أسهل كذلك . »

ويمضي ستيتكيفتش بعيدا في استنتاجاته ليصل الى نتيجة ان قواعد اللغة العربية الحديثة لم تبدأ بالابتعاد وحسب عن العربية الفصحى ، لكنها بدأت تتسبب في غربة ديناميكية التفكير في العربية ؛ وان العربية كلفة قد تعدت حدودها من الوجهة السلالية، من لغة سامية لتدخل مجموعة اللغات الأوروبية الحديثة الفوق السلالية . ونتيجة ستيتكيفتش

التي ينهي بها كتابه جديرة بالتمحيص، خاصة من الهيئات المشرفة على التخطيط اللغوي في العالم العربي . يقول ستيتكيفتش : (٣٢)

« من خلال مفرداتها (الغربية) الجديدة ، وسياق صقل التفكير الذي تقوم به المفردات ، وأخيرا وليس آخرا من خلال تلك الثروة العظيمة والتنوع لتلك النماذج الإصطلاحية المستوعبة، واشباه الجمل الأدبية المستعاره فإن العربية الحديثة قد تعدت حدود سلالته النسقية، وإنها قد دخلت بصلة ألفة مضمارا لغويا حضاريا مع عائلة جديدة فوق سلالته من اللغات الأوروبية الحديثة . أما عملية استيعابها في الغرب فقد بدأت حديثا، لكن تهيئتها ثابتة وخطاها بالطبع سرية . تستمر العربية الحديثة من ناحية صرفها لغة سامية، وإلى حد بعيد ما زالت الفصحى في هذا المجال؛ لكن بقاءها ضمن هذا التعريف سيكون غلطة . فجلّ تركيب نحوها الآن يتمشى مع ديناميكية تفكير غير سامية إلى حد بعيد . فالعقل العربي الحديث يتحول إلى فرع للعقل الغربي الحديث، ويحتفظ بالقليل القليل من صلابة ديناميكية التفكير السامية . والعقل العربي الحديث يتحول إلى استمرار للعقل الغربي، ولهذا فإنه يحتفظ بالقليل من عادات التفكير السامية المتصلبة، وكذلك بالقليل من القوالب الكلاسيكية والخصائص التركيبية، وإن روحا لغوية ثقافية حديثة مشتركة تتطور الآن لتكون العامل المعرف للمعيية الحديثة » .

لا شك في أن ستيتكيفتش يبالغ في نتائجه بتأثير اللغات الأوروبية على العقل العربي، وطريقة التفكير العربية من خلال التأثير اللغوي، لكن تلك الاستنتاجات لا تخلو من الكثير من الصحة . يعارض هذا السراي لستيتكيفتش نجم بزرقان، أستاذ الأدب العربي والفلسفة السابق في جامعة تكساس بأميركا، في مقالة له إذ يقول بأن هناك تيارا جديدا في الكتابة العربية

وهو يمثل الميل الى الكتابة بأسلوب مشابه لأساليب الكتاب العرب في الفترة الوسطى . ويستشهد بزرجان بكتابه **مصر لسركيس** وكتاب **عبد الله** لكرم كاملة لهذا التيار . كذلك يقول بزرجان بأنه رغم التغيرات التي اعتبرت العربية الحديثة في نحوها وأسلوبها فهي استمرار للفصحى؛ ولذلك فإنها « تشهد بانتصار دعاة الفصحى على خصوم ابطال العامية في المعركة التي استمرت في نهاية القرن التاسع عشر» واستمرت للعقود الثلاثة الأولى من القرن الحالي » . (٣٣)

ان الجانب التاريخي لقضية ازدواجية يقدم بعض العمق لتفهم تلك المشكلة وجوانبها المختلفة . كذلك فان هذا الجانب يقدم تفسيراً للكثير من الدوافع لبعض الدعوات في العالم العربي . وفيما يلي سأعرض لما أسميته مراحل **ثلاثاً** لهذا التطور التاريخي .

١ — مرحلة الاهتمام الغربي

كان أول من ابرز الفصل بين العامية والفصحى بعض المدارس الأوروبية التي أسست برامج لتدريس العامية فيها .

لقد بدأت تلك البرامج في إيطاليا عام ١٧٢٧ — مدرسة نابولي للدراسات الشرقية — وفي النمسا عام ١٧٥٤ وفي فرنسا عام ١٧٩٥ وفي روسيا عام ١٨١٤ وفي بريطانيا عام ١٨٥٦ . وقد استخدمت تلك المدارس عرباً لتدريس العامية وكتابة قواعدها . أما الأوروبيون الذين عاشوا في العالم العربي وهم موظفو الاستعمار البريطاني والفرنسي في البلاد العربية، فلم يخفوا كيدهم للفصحى أبداً ؛ وقد أبدوا إعجابهم بالعامية وقاموا بحملات صليبية لآظهارها واحلالها محل الفصحى . من أشهر هؤلاء مهندس الري البريطاني وليم ولكوكس . في سلسلة من المحاضرات والمقالات نشر بعض منها في مجلة الأزهر ، شنَّ ولكوكس هجوماً لا مثيل له على الفصحى في

اشهر اثنتين من محاضراته : واحدة بالعربية « لماذا لم يكن للمصريين قوة الاختراع » والثانية بالانجليزية وعنوانها « سوريا ومصر وشمال افريقيا ومالطا يتكلمون القرطاجية لا العربية » عزا فيهما ولكوكس أسباب تأخر المصريين ونقص الاختراعات عندهم وقلة الأصالة في تفكيرهم إلى استعمال الفصحى التي نعتها بأنها لغة ميتة .

أما القاضي ويلمور فقد جدد الدعوة لتبني العامية وكتابتها بالحروف اللاتينية . وتعاقب كثيرون بعد هؤلاء . (٣٤)

٢ - مرحلة الاقليمية ردا على القومية العربية

بعد ثورة عام ١٩١٩ في مصر ، برزت مجموعة من الكتاب يدعون لما نسميه الفرعونية المصرية أو الاقليمية الضيقة ولم يكن الاستعمار البريطاني مشجعا للفكرة وحسب بل متبنيا لها . وقد علق محمد حسين على هذه الحركة بأنها حركة استعمارية انفصالية كان وراءها الانجليز (٣٥) .

وقد دعت هذه الحركة الى « مصرنة » اللغة والفن والادب واستعمال العامية المصرية كوسط لهذه الاشكال الادبية . في هذه الفترة دعا احمد لطفي السيد الى ما أسماه « التسامح اللغوي » وما قصده بذلك هو اصلاح الفصحى باستعمال الفاظ من العامية بالإضافة الى الالفاظ المستعمارة الأخرى في الكتابة (٣٦) . أما محمد تيمور وسلامة موسى فقد دُعوا الى النهوض بالعامية لتكون لغة قومية . وفي تلك الاثناء وفي عام ١٩٤٣ فاجأ عبد العزيز فهمي مجمع اللغة العربية بالقاهرة باقتراحه أن تكتب العربية بأحرف لاتينية ؛ لكن هذه الدعوة التي سبقه اليها سلامة موسى ماتت بهوته .

ومما يشير الاهتمام هنا هو أن أي دعوة انفصالية اقليمية تتسلح

بسلح تجزئة اللغة العربية بالدعوة الى استعمال العامية . وعكس ذلك
اي الدعوات الاتحادية التي يهملها أن تبقى على وفاق تام مع العروبة
والاسلام، فإننا دائما نجد الدعوة الى وحدة اللغة أحد أهم أركان الدعوة .
ويصدق ذلك على أجزاء كبيرة حاول الاستعمار أن يقطعها كلها من الوطن
الأم، اذ تعرضت لجميع صنوف الاضطهاد الفكري واللغوي والحضاري بقصد
الضم الى الدول الاستعمارية ، الا وهي أقطار شمال افريقيا . وهذا تأييد
مطلق للفرضية القائلة إن أولئك الذين يطمحون للانفصال يدعون للتجزئة،
وأولئك الذين يدعون للوحدة والتماسك يتمسكون بالعربية ووحدتها . يقول
شحنه في بحث الوضع اللغوي في شمال افريقيا (٣٧) :

كان الاهتمام الشمال افريقي بالعربية يتركز على الاعتراف بها كلفة
للشعب والدولة، ودون تأكيد على عمليتها كأداة للاتصال ؟ اذ أن عددا من
قواد الحركات الاستقلالية كان أكثر طلاقة وقدرة في التعبير في الفرنسية لا
بالعربية — وهذا الوضع كان محرجا لبعضهم . وقد قام أحمد بن بلا رئيس
الوزراء السابق للجزائر بتأمين مدرس خصوصي في العربية حتى يستطيع
استعمالها في جزائر مستقلة » .

لقد توقعت دول شمال افريقيا العربية أن تواجه صعوبات جمة في
التعريب، وخاصة الجزائر وتونس ومراكش، لكن الجهود تظافرت وما زالت
تتظافر بكل حيوية واندفاع نحو التعريب الشامل . يقول شحنه (٣٨) في هذا
الصدد :

« لم تضعف جهود الشمال افريقيين في سبيل تحصيل تعريب تمام
وكامل . فحال حصول تلك الدول على الاستقلال أعيد تأسيس العربية كلفة
رسمية وشعبية، واتبعت جميع الطرق لاعادة حيوية اللغة بتأسيس مدارس
متعددة، وينشر الدوريات والكتب . وفي السنوات القليلة الماضية أصبح

الشمال افريقيون واعين للمشكلة اللغوية ودأبوا في المحاولة لايجاد الطرق لحلها كما يثبت ذلك المؤتمر العربي المنعقد في الرباط عام ١٩٦١ » .

وعلى النقيض من ذلك فان الطريق الى « غربية » العرب تبدا بكتابة لهجاتهم وتطويرها، أو ما يسمى « النهوض بها » الى لغات قومية . ومن اروع الامثلة لمثل هذا التحول هو مثال الجماعات الناطقة بالعربية فسي الاتحاد السوفيتي : فباسم جعل العربية لغة ديمقراطية كتبها السوفييت بأحرف سرلية (العامية طبعا) وبهذا انجز السوفييت كما تقول باتيسون في كتابها « تشعيب هذه المجموعات وقطعها تماما عن القومية العربية » وعن نصيب من الثراء الثقافي القديم والجديد » (٣٩) .

٣ - مرحلة الوعي العربي :

تبدا هذه المرحلة بفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، اذ بدأت الدول العربية تأخذ استقلالها ولو شكليا من الدول المستعمرة . لقد واجهت تلك الدول مشكلات جمة، منها مشكلة ازدواجية اللغة لعلاقتها المباشرة فسي التعليم . وفي هذه الفترة اعيد طرح بعض المقترحات القديمة بالدعوة الى العامية ؛ ثم لبست هذه الدعوة ثيابا جديدة ، فطرح أنيس (٤٠) في عام ١٩٦٠ تعميم احدى اللهجات العربية — المصرية — كلفة قومية ، وكذلك طرح فريجة (٤١) عام ١٩٥٥ نمطا عاما يتكلمه المثقفون العرب . لكن الاهتمام بدا ينصب على ما يسمى اصلاح اللغة وتيسير قواعدها . وفي هذه الفترة ايضا نشطت الجامعات اللغوية العربية، واجتمعت في دمشق عام ١٩٥٧ وكان هناك شبه اجماع على رفض الدعوة الى العامية رفضا باتا، واتخذت التوصيات لتسهيل العربية والرقى بها، ونشرت تلك التوصيات في حينه في مجلة مجمع اللغة العربي السوري (٤٢)

استطيع القول وبكل ثقة ان الدعوة الى العامية الآن لا تقابل باكثر

من الاستهزاء في الوسط الثقافي العربي ، ولا اظن أن هناك عربياً يمتلك شيئاً من الولاء للعروبة أو الاسلام، أو كليهما، يتفوه بتلك الدعوة، وذلك لخطرها على الأمة العربية ووحدتها ووحدتها تراثها واستمرارية تأثير ذلك التراث . وإن كانت الدعوة قد تلبس اثواباً جديدة، ككتاب اللغة الوسطى، أو عربية المثقفين، فإن عمقها معروف، وبالتالي لا تختلف عن العامية شيئاً، وقد أيقن المثقف العربي من ذلك .

والمبدأ العام هو أن كل ما يعارض لغة القرآن وتراث العرب فهو موجه لضرب وحدتهم والتشكيك في هويتهم . ولو نظرنا في الدوافع النفسية للدعاة إلى العامية والكتابة باللاتينية لا يفتأ أي غير تدفعهم للسفر في هذا الاتجاه . دعنا ننظر لبعض ما كتب سلامة موسى مثلاً تبريراً للدعوة للكتابة بالأحرف اللاتينية ؛ وهذا مقتطف قصير من مقالة نشرتها مجلة شؤون الشرق الأوسط بالانجليزية، يقول سلامة :

« لن يفاجأ الكاتب إن طالب العرب في يوم من الأيام بالأحرف اللاتينية لكتابة لغتهم . هذا الانتقال ، ان تحقق، فلن يؤثر بحياتنا الثقافية والأدبية وحسب، ولكنه سيكون علامة لتغير في اتجاهاتنا النفسية . سنرحب بالحضارة الصناعية الحديثة بقيمتها الأخلاقية والثقافية والروحية . والمشاكل التي تبدو الآن صعبة الحل ستكون أسهل . لن نرفض استعمال الكلمات الأوروبية، لكن نعلق حينها بتراثنا الماضي وكأنه الدعم الوحيد لحياتنا . . » (٤٣)

هل نحن بحاجة لقيم وأخلاق وثقافة وروح الحضارة الصناعية الحديثة ؟ هل غير اليابانيون لغتهم أو دينهم أو مثل أخلاقهم عندما أصبحوا ينافسون أميركا صناعياً ؟ حتى لو كنا بحاجة لذلك، فهل يتم ذلك إن غيرنا الطريقة التي تكتب بها لغتنا ؟ إنه تفكير لا ينقصه شيء من مهارة اخفاء

دوافع أخرى لا يجوز المجاهرة بها .

ان هناك مما اثبتته النظرية اللغوية الحديثة ما يجعلنا نتمسك بفصيح لغتنا بتضييق الشقة بينها وبين عامياتنا ؛ كذلك هناك في الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة ما يحتم علينا أن نتمسك بالفصيح، والا كتب لنا التفرق والضياع ، وذلك كله بجانب العوامل الدينية والقومية . وفي هذا الجزء من هذا البحث سأبحث العاملين السابقين وانعكاساتهما على الوضع اللغوي العربي .

لا شك في أن اللغة الواحدة إن أمكن ايجاد مثل تلك اللغة للكتابة والحديث في البيت والشارع والمدرسة والمكتب لهو وضع مثالي . لكن هل يمكن ذلك ؟ ان ذلك شبه مستحيل ، اذ ان كل لغة في العالم تواجه وضعاً ازدواجياً بشكل أو بآخر . لنضرب مثلاً في الانجليزية : هل يتكلم الأمريكي في تكساس بالطريقة نفسها التي يتكلم بها الأمريكي في ماساشوستس مثلاً ؟ او الطريقة التي يتكلم بها الأمريكي في اوهايو أو شيكاغو ؟ ماذا نسمي كلام السود في أمريكا مقارنة بالمستوى الكلامي العام للرجل الأبيض الحاكم ؟ ماذا نسمي كلام الكوكبي والسكرتلانديين مقارنة بكلام الملكة في بريطانيا ؟ اليس ذلك أشبه بالفصحى والعامية ؟ الا يستطيع الأمريكي معرفة مواطنه من أي بقعة في أمريكا عندما يتكلم ؟ ان ذلك يحصل في أمريكا البلد الذي تستطيع فيه ان تتكلم من الساحل الشرقي الى الساحل الغربي ببضع ثوان ، وان تراقب نفس البرنامج التلفزيوني الذي يُبث للشعب الأمريكي كاملاً وتنتقل أينما شئت دون سؤال أو جواب أو هوية أو جواز سفر أو تأشيرة أو تصريح . هل يستطيع الأبيض من الطبقة الوسطى في أمريكا ان يفهم مواطنه الأسود أكثر مما يستطيع العربي من اليمن أن يفهم العربي في تونس ؟ ان كلام الملكة في بريطانيا وكلام الرجل الأبيض البروتستانتي

الانجلوسكسوني في أميركا ليسا سوى مثيل للفصحى في لغته مع فارق
العاملين الديني والقومي . وما اللغة الفرنسية التي ينطق بها التلفاز
والمدرس في الجامعة والنخبة المثقفة من الفرنسيين الا اللهجة الباريسية
التي فرضتها الثورة الفرنسية اثر بيان ثوري واتخذت قرارا باستعمالها
والقضاء على العاميات التي كانت تسمى « الباتواز » . لكن هل انتهت
« الباتواز » ؟ لا ، لقد بقيت وستبقى لكن المثقف الفرنسي يأبى التحدث بها
ليتحدث باللهجة الباريسية عنوان الثقافة الفرنسية .

فالجانب الازدواجي طبيعي اذن وبأية لغة ؛ لئن كان هناك أي فرق
بين ازدواجية اللغة العربية واللغات العلمية الأخرى كالانجليزية
والفرنسية ، فانه فرق كمي ، اذ ربما كانت الفجوة وما زالت أضيق بين
الفصحى والعامية في تلك اللغات مما هي في العربية . وما ذلك الا بسبب
عمل القوانين الطبيعية للتغير اللغوي .

من طبيعة اللغة أن تتغير إن تركت دون ضوابط . وهذا التغير قد
يؤدي بفعل عوامل متعددة الى خلق لغة جديدة . وهذا كان من الممكن أن
يحصل للعربية لولا العوامل الدينية والقومية السالفة الذكر التي احتفظت
بالفصحى وبوحدة اللغة . وهذا الاحتفاظ قد زاد اثرها وسعة ثقافتها
ودوام عطائها للوحدة ، وهذا جانب تحسدنا عليه الشعوب الأخرى .
ولأوضح هذه النقطة دعني اسأل هذا السؤال :

تخيل ماذا كان يمكن أن يحصل لو رفعنا اللهجات لمستوى اللغات
القومية وكتبناها ؟ وللإجابة عن هذا السؤال أود أن أستشهد بعبارة
تاريخية يجب أن تبقى في أذهاننا كلما طلع صوت ناشز ينادي بالعامية في
وطننا العربي .

* ومثالي هو اللغة اللاتينية واللغات الرومانية Romance Languages

وكانت اللاتينية هي لغة الادب والعلم والثقافة والدين في اوروبا في أول
الامبراطورية الرومانية ؛ ومن لم يلق نصيبا من العلم في هذه اللغة يبقى
علمه ناقصا بالتفاضي عن حقل تخصصه او وظيفته او مكانته الاجتماعية .
وبمرور الزمن تطور نمط اخر من اللاتينية يتكلمه العامة وعساكر الرومان ،
فأصبح الوضع موازيا للعربية ، اذ كان هناك اللاتينية الفصحى
Classical Latin والعامية المسماة Vulgar Latin ،

(والاسم لا يعني العامية فقط بل يتضمن معنى السوقية وعدم الصقل) .
وبالرغم من أن اللاتينية ذات اثر كبير دينيا ، الا انها لا تملك قدسية العربية
في نفوس الناطقين بها ؛ كما لا تلعب دور العربية بوحدة متكلميها ؛ لذا ترك
الامر لتطورها الطبيعي . وباختلاط جنود الرومان ، متكلمي العامية ،
بالشعوب الأخرى الذين يتحدثون لغات مختلفة ، أو لهجات من لغات
مختلفة ، تطور من العامية — وهذا نسق طبيعي — لغات جديدة تعتمد على
الجذور اللاتينية كأساس ، والمؤثرات اللغوية الأخرى كعوامل مكونة .
وهكذا كانت ولادة الفرنسية والاسبانية والبرتغالية واليطالية والرومانية .
وان قل الضبط عن أي من تلك اللغات فلا يستبعد ، بل من الطبيعي أن
ينشأ عنها لغات جديدة . وهذا حتما ما كان سيحصل لأي لهجة عربية لو
كُتبت أو أصبحت لغة قومية .

في الحقيقة لقد حصل ذلك التحول باحدى اللهجات العربية ، وهو مثال
حي امام أعيننا وقلما نفكر بجديته وعقبى نتائجه ؛ وهو مثال مالطا : فقد
كان أهل مالطا يتكلمون العربية ، ونظرا لانسلاخها دينيا وقوميا عن جسم
العالم العربي ، فقد كتبت هذه اللغة بالأحرف اللاتينية ، وفتح باب الاقتراض
على مصراعيه من اللغات الأوروبية ، وخاصة الإيطالية والانجليزية ، وتطورت
هذه اللهجة العربية الى ما يسمى اليوم اللغة المالطية ، التي تتحدى أي
عربي أن يفهمها ، رغم أن جل الكلام فيها عربي الجذور . كيف نتعاضد عن مثل

هذه النتائج الحتمية ؟ هل يعرف دعاة العامية أمثلة من هذا النوع ؟ هل درسوا أو اطلعوا على النظرية اللغوية والتغير اللغوي قبل أن ينصبوا أنفسهم مصلحين ؟ اني استبعد ذلك .

إذا كان وضع الأزواجية طبعيا في معظم لغات العالم ، فلماذا يكون هذا الوضع «غيرطبعي» أو عائقا للتقدم في بلادنا العربية ؟ باعتقادي أن ذلك يعود لسببين رئيسيين : أولهما ازدياد الفجوة بين الفصحى واللهجات نتيجة العوامل التاريخية السالفة الذكر ، حتى أصبحتا وكأنهما لغتان مختلفتان في أعين كثير من الباحثين ؛ ومع المبالغة بذلك الاختلاف أصبح الكثير يعتقد أنهما مختلفتان فعلا . وثانيهما أنه رغم استقلالنا كدول وتبني اللغة العربية رسميا وشعبيا ، إلا أن اعتمادنا على اللغات الأجنبية في القطاعات المختلفة ، ما زال واسعا . وسأعرض لهذين السببين بمزيد من التفصيل .

لقد بالغ كثيرون من الذين كتبوا عن العربية في الغرب بالاختلافات بين الفصحى والعامية ، حتى أن كثيرا من التعميمات التي نشرها بعض باحثيهم المحترمين علميا تثير الاستغراب ، بل تشكك بنوايا ومقدرة هؤلاء الباحثين .

فاللغوي الاجتماعي جمبرز (٤٤) على سبيل المثال يساوي بين دور العربية الفصحى في المجتمع العربي ودور اللاتينية في أوروبا العصور الوسطى والسينسكريتية في جنوب آسيا ، ويعطي اللغات الثلاث — بما فيها العربية — كمثال للغات مميزة ليس لها علاقة بالكلام الشعبي (اللهجات) وان الطقوس المفصلة والمراسيم التي تحيط استعمالها لا تُكتسب إلا بعد سنين عديدة من التدريب الخاص . التعليم بها متوفر فقط بواسطة المدرسين الخاصين ، ومحدود لأصحاب الامتيازات القلائل الذين يملكون الجاه الاجتماعي والموارد المالية . نتيجة ذلك ، فمعرفة تلك اللغات في المجتمعات التقليدية حصر لجماعة مختارة محدودة نسبيا .

هل يصدق هذا التعميم على العربية كما يصدق على اللاتينية والسينسكريتية ؟ هل يدل هذا التعميم على أي اطلاع على العربية ؟ دعنا نقارنه بما يقول اللغوي الأميركي مايكل بريم (٤٥) الذي درس العربية وأجادها وكتب أطروحته عن صوتياتها كما سجلته أمهات الكتب العربية. يقول بريم :

« ان المدعي بأن الفصحى نمط اصطناعي (بمعنى أنه غير طبيعي من ناحية ان الطفل لا يتعلمه كلفة أولى) غانما يكشف عن جهله . ان الاختلافات التي تفرق بين الفصحى والعاميات المختلفة قد بولغ فيها . في الحقيقة ، ان المشكلة الحقيقية الصعبة الوحيدة التي يواجهها العربي في الفصحى هي مشكلة تزويد الحركات في اواخر الكلمات للأسماء ونهايات الافعال ، لانه من المفهوم ان ليس من تلك الحركات شيء في لهجته » .

كيف بنا ان نرد الاعتبار الى فصيح لغتنا ؟ وكيف بنا ان نصيّق الفجوة بين فصيحنا وعامياتنا وبذلك تقترب عامياتنا من بعضها البعض ومــــن الفصحى ؟ في الجزء التالي من هذا البحث سأجيب ولو جزئيا عن هذين السؤالين واتركهما مفتوحين للاجتهاد لكل من دعاه واجبه للنهوض بالعربية .

لا ريب في ان اهم مسببات اتساع الفجوة بين العامية والفصحى بل من اهم اسباب ازدهار العامية هو ارتفاع نسبة الامية في مجتمع ما . والرقم في مجتمعنا العربي معيب اذ يقارب ، ان لسم يتجاوز ٧٠٪ . وبمعكس ما اثار اليه بعض الباحثين أمثال الن كي (٤٦) ووكسلر (٤٧) : لا نستطيع ان نعزو ارتفاع نسبة الامية في الوطن العربي الى الازدواجية ، بل نستطيع ان نستنتج ان ارتفاع نسبة الامية زاد الفجوة اتساعا بين الفصحى والعامية وليس بأي حال نتيجة له . ان هذه النسبة العالية في عالمنا العربي هي نتيجة مباشرة لخمسة قرون من الاهمال تبعها فترة من

الاستغلال الاستعماري البشع، كان هم المستعمر فيه تجهيل الشعوب العربية . لكنه بعد الاستقلال ، وبهذه الواردات المادية التي تفوق تخيل الانسان، فإنه لم يعد هناك مبرر لمثل هذا الرقم المغيب من الاميين في العالم العربي . وعلى حكوماتنا العربية أن تبدأ بحملات واسعة النطاق لازالة الأمية في وطننا من شرقه الى غربه . وجدير بالذكر أن من أنجح الحملات التي بدأت فعلا هي تلك التي تقوم بها الحكومة العراقية حاليا، والتي يظن أنها ستقارب أنجح الحملات العالمية لازالة الأمية، كالحملة في كوبا وتركيا . ومن المنتظر أن يكون عطاء الدول المنتجة للنفط أكبر مما هو عليه الآن في هذا السبيل . وجميع الدول العربية بأمرس الحاجة لتلك الحملات ، لكن أحوج تلك البلاد الآن هي السعودية ، واليمن ، وعمان ، دول الخليج ، والسودان والمغرب .

منطلقنا الثاني يجب أن يكون المدرسة العربية . لن نحقق أي تحسن في هذا السبيل الا اذا التزم المدرس العربي بلفقه ، والتزامه يحتم عليه أن يستعمل الفصحى في محاضراته ، وأن يشجع تلاميذه للسؤال والمناقشة بالفصحى ان كان الدرس دينيا أو فيزياء أو رياضيات أو جغرافيا . كذلك يجب التركيز على المراحل الأولى من تدريس الفصحى وآدابها، وذلك بتدريب معلمين أكفيا لتدريس مختلف المهارات اللغوية، من استماع وكلام وقراءة وكتابة . ولا يتسنى ذلك الا اذا تعاون البيت مع المدرسة ، والمؤلف مع المدرسة والمجمع اللغوي مع المدرسة .

كما أنه لا يكفي لعمل ذلك أن تصدر القرارات ، بل يجب أن تراقب الهيئات المعنية مختلف مراحل تطبيقها وتنفيذها .

ولا يقلّ عمل أجهزة الاعلام أهمية عن المدرسة والبيت . لا نريد أن نحرم قطاع عامة الناس من فهم تلك الأجهزة ، ولكننا نطالب بأن يقلل

استعمال العامية في الصحف والمجلات، وأن توجه لعامة الناس برامج
بإذاعة ، والتلفاز بلغة فصحة سليمة سهلة . وكلما قل استعمال الكلمة
العامية في تلك الأجهزة ، وكثر استعمال الفصحى، أعطينا مجالا أوسع
لانتشار الفصحى واضمحلال العامية على المدى البعيد .

أما الجامعات اللغوية العربية فعليها، بالإضافة الى نشاطها في التعريب،
وخاصة تعريب المصطلحات، أن تراقب استعمالها في أجهزة الاعلام والمدارس
والجامعات ، وأن تستمر بتفاعلها المباشر مع المجتمع ومع المؤسسات
التعليمية في البلاد العربية، لتكون مراكز تخطيط لغوي، لاجتماعنا ومؤسساتنا،
وأن تستمر بتقديم يد العون، لتقديم المشورة الى وزارات التعليم ومختلف
الهيئات التي تطلبها .

ان ما قدمته تلك الجامعات يستحق التقدير ، لكن المزيد من العمل
مطلوب . نقطة أخيرة ؛ فان زيادة التنسيق بين هذه الجامعات يجعلنا نتجنب
اعادة بعض الأبحاث، ويزيد من فعاليتها بشكل عام .

أما تسهيل الاتصال ، وبمعناه المطلق، في العالم العربي فليس مدعاة
لوجدتنا العربية وحسب، بل مدعاة لتماسكنا السياسي والاجتماعي .
وتسهيل الاتصال يتم بتطوير أجهزة الاتصال الحديثة، من الشبكات
التلفزيونية، الى البث التلفازي والإذاعي الموجه للعالم العربي بأسره ؛
كذلك بتسهيل تنقل المواطن العربي من بلد لآخر، وفتح ابواب التبادل ثقافيا
واقتصاديا على مصراعيها . هدف اللغة هو الاتصال، ووحدته متكبتها تتم
بتسهيل اتصالهم بعضهم ببعض .

من أهم الأسباب التي أدت الى ازدهار تعلم اللغات الأجنبية في العالم
العربي، وبشكل خاص الانجليزية والفرنسية، لا شك أسباب تتعلق بفرص
العمل. إذ انه لسوء حظ المواطن العربي، يصعب عليه حتى في عقر داره أن يجد

عملا جيدا خاصة في القطاع الخاص، اذا لم يكن يجيد الانجليزية او الفرنسية . لماذا نجعل لتلك اللغات تلك القيمة على لغتنا طيعين مختارين ؟ لماذا نجعل تلك اللغات علامة الرفعة الاقتصادية والاجتماعية، وتؤثر بذلك باتجاهات ابنائنا النفسية لتلك اللغات وللفتنا بالمقارنة بها ؟ فجعل العربية عاملا أساسيا في التوظيف والترقية يولد دوافع جديدة للقبال على تعلمها واجادتها، ويخلق تأثيرات نفسية جديدة نحن احوج الناس اليها . لا اقصد ان اقلل التشجيع على تعلم اللغات الأجنبية ، لكن يجب ان نخفف اعتمادنا عليها ونجعل نظرتنا لها متواضعة بعض الشيء .

يرتبط هذا العامل بعامل آخر وهو ما أسميته « الغربية الحضارية » عند المواطن العربي ؛ فبالرغم من الاحداث الجسام التي تعيشها امتنا العربية، وبالرغم مما قاست وتقاسي من الغرب ودوله وثقافته و« حضارته»، الا اننا ان اردنا ان نصارح انفسنا وجدنا ان قطاعا كبيرا من شبابنا يقاسي من غربة حضارية مريرة، تتجلى بتهافت شبابنا على « الغربية » المتمثلة بالنظر للغرب على انه النموذج الذي يحتذى . كذلك تتجلى هذه الغربة بنظرة مجتمعنا العالية لمن يجيد احدى اللغات الغربية، وبتهافتنا على استعمال الاصطلاح الاجنبي في حديثنا العادي وفي صحفنا واجهزة اعلامنا . ان ذلك ما اسماء ابن خلدون في مقدمته تقليد المغلوب للغالب . لكن اما ان الوان لان تتوقف هذه الظاهرة، ونبدأ كشعوب نعتر بلغتنا وحضارتنا ! .

العربية تستصرخ ابناؤها لمزيد من البحث والتأليف والنشر، وخاصة في حقل المعاجم ؟ اذ يأسف المثقف العربي ان لا يكون في العربية حتى الآن قاموس واحد بجودة وشمول ووضوح وسهولة استعمال وبسترز في الانكليزية مثلا . كذلك حتى هذه اللحظة لا توجد دائرة معارف واحدة بمستوى دائرة المعارف البريطانية او الاميركية. لذلك تحتاج العربية

الى مجموعة شاملة واضحة حسنة التصنيف من معاجم المترادفات والمتاقنات والمكنزات والمواد المرجعية الأخرى . وقد قام سلفنا بالبحث وحصر المعلومات وما علينا الا أن نصنف تلك المعلومات ونطبعها . انه وضع مؤسف .

أما تعريب التعليم الجامعي ، فليس ضرورة ومطلبا قوميا محسب ، انما هو خدمة نزجهاا للمربية بل لابنائنا الواقعين الآن بين نارين * نار جهلهم بلغتهم ونار صراهم مع اللغة الأجنبية التي لا يجيدونها ومع ذلك عليهم أن يتعلموا بها . ليس هناك على وجه الأرض دولة ذات قيمة تدرس أبناءها بلغة غير لغتهم . فمن البديهيات في التعليم أن الطالب يستوعب بشكل افضل ويفكر بشكل اسلم في لغته الأم لا بلغة فرضت عليه ولا يتم ذلك الا اذا بدأنا به وبالحال ؛ اذ سيبقى دعاة استعمال الأجنبية يبرزون الحجة تلو الحجة لتأخير التعريب وسيجدون دائما حججا مقنعة ما لم نبدا بالتعريب . كيف يمكن أن يكون هناك مصادر علمية بالمربية ما لم نخرج جيلا عربيا تعلم بالعربية كي يبحث وينشر بها ؟ لماذا لم نبدا بحملة ترجمة شاملة للكتب المدرسية العلمية وهي بالواقع محصورة العدد وليسست بذلك الحجم البالغ الذي يصوره بها اعداء التعريب ؟ اذا اخذنا الكيمياء مثلا ، فانك تجد كتابا واحدا مشهورا عالميا ككتاب مدرسي ويستعمل في مستوى معين — كالسنة الاولى أو الثانية مثلا — وفي كثير من الأحيان نجد ان هذا الكتاب قد أعيدت طباعته مرات ومرات وبتعديلات طفيفة تستطيع اضافتها لترجمتها سنويا . ان الكلام سيطول عن التعريب وسنبقى نعاني نفس المشاكل التي نتحدث عنها ما لم نبدا وبالحال بتحضير جيل يتعلم في الجامعة وفي أعقد العلوم بالمربية . والتجربة السورية ، وكذلك التجربة العراقية الجديدة جديرتان بالاعجاب والتقدير .

في ختام هذا البحث ، أود ان اوجه الدعوة الى المثقفين العرب ،
والمختصين منهم أو العاملين في حقل اللغويات وتدرّيس اللغات بشكل خاص ،
لابدء آرائهم وتوجيه بحوثهم نحو مزيد من الاقتراحات العملية الممكنة التنفيذ ،
التي تهدف الى اعادة الاعتبار للغتنا العربية لغة رسمية وشعبية للعالم
العربي ، لا بالاسم بل بالفعل .

يقول العقاد (٤٨) في مقالة له عن الفصحى والعامية ، وفي ما يقول
عمق بالتفكير ، وملخص لكثير مما قيل ويقال عن هذا الموضوع ، لولا بعض
كلام عن العامية تنقصه العلمية (كتلة القواعد) :

« ان في كل امة لغة كتابة ولغة حديث ، وفي كل امة لهجة تهذيب ولهجة
استدال ، وفي كل امة كلام له قواعد وأصول ، وكلام لا قواعد له ولا أصول .
وسيظل الحال على هذا ما بقيت لغة ، وما بقي ناس يتمايزون في المدارك
والاذواق . فلن يأتي اليوم الذي يكتب فيه فردوس ملتون بلغة العامل
الانجليزي ، وفلسفة كانت بلغة الزارع الألماني ، ولن يأتي اليوم الذي تستوعب
فيه قوالب السوق كل ما يخطر على قرائح العبقرين ، ويختلج في ضمائر
النفوس ، ويتردد في نواصب الاذهان ، فالفصيحة باقية والعامية باقية —
مدى الزمان !

الدكتور محمد راجي زغول

المصادر العربية

المصادر الأجنبية

- 1 - Karl Krumbachen. **Das Problem der modern griechischen Schriftsprache.** Munich, 1902.
- 2 - William Marçais "La diglossie arabique" **L'enseignement Public**, Vol. 97, 1930.
- 3 - C. Ferguson. "Diglossia."

٤ - المصدر نفسه ، ٩٠ ، ٣٢٨

٥ - المصدر نفسه .

- 6 - D. Hymes. "Introduction to Social Structure and Speech Community." In D. Hymes (ed.), **Language in Culture and Society.** New York: Harper and Row Publishers, 1964, 385-390.
- 7 - J. Gumperz. "Types of Linguistic Communities"

أخص بالذكر منها :

- "Linguistic and Social Interaction in Two Communities"
- "On the Ethnology of Linguistic Change"
- "The Speech Community"

بحث نشأت ظاهرة الازدواجية في مؤلفات كثيرة أخص بالذكر منها :

- 8- a - J. Fishman et al (eds.) **Language Problems in Developing Nations**
- b - ----- **The Sociology of Language**
- c - ----- **Language and Nationalism**
- d - ----- **Readings on the Sociology of Language**

- 9- A. Kaye. "Remarks on Diglossia : Well - defined Vs. III - defined"

وله مقالة أخرى جديرة بالدراسة هي :

- "Modern Standard Arabic and the Colloquials."

- 10- Sotiropoulos. "Diglossia and the National Language Question in Modern Greece", *Linguistics*, 197 (1977) pp-5-31.
- 11- Inayatullah "Arabic as the Religious Language of the Moslems."
- 12- A. Chejne. *The Arabic Language : Its Role in History* p.9
- 13- P. Cachia "The Use of the Colloquial in Modern Arabic Literature.", p.12

١٤ — ذكر الحمري وركز على هذه الناحية في معظم مؤلفاته وأخص بالذكر منها *أراء واحاديث في اللغة والادب* وأبحاث مختارة في القومية العربية .

- 15- R. Yorkey. "Practical EFL Techniques for Teaching Arabic Speaking Students" p. 59.
- 16- C. Ferguson "Myths About Arabic" p.377

١٧ — د. محمود نهى حجازي . *اللغة العربية عبر القرون* ، ص ٤٣ — ٤٤

١٨ — صبحي الصالح ، *دراسات في فقه اللغة* ص ١٠٩ — ١١٦

١٩ — ابن جني ، *الخصائص* ج ١ ص ٤١١

٢٠ — السيوطي ، *المزهر* ج ١ ص ٢٢٢ — ٢٢٤

- 21- Z. Abdel-Malek. "The Influence Diglossia on the Novels of Yusif Al-Sibai" p. 132

٢٢ — مازن مبارك ، *نحو وهي لغوي* ص ٤١ — ٤٤

٢٣ — علي ناصيف ، *من قضايا اللغة والنحو* ص. ٤٩

٢٤ — طه حسين ، *مستقبل الثقافة في مصر* ص ٢٣٦

٢٥ — مصطفى نهى ، *النظرية العامة للقومية العربية* ص ١٥٠

- 26- S. Al-Toma. *A Comparative Study of Classical and Iraqi Arabic*, p. 114.
- 27- H. Blank. "Stylistic Variation in Spoken Arabic: a Sample of Interdialected Conversation," 1960
- 28- K. Shaaban. "Code Switching in the Speech of Educated Arabs," 1978.
- 29- M. Zughoul "Diglossia in Arabic: Investigating Solutions", 1979.

- 30- J. Stetke cych. **The Modern Arabic Literary Language : Lexical and Stylistic Development**, 1970.

٣١ — نفس المصدر ص. ١١٤

٣٢ — المصدر نفسه ، ص ١١٩ — ١٢٠

- 33- N. Bezirgan "Language and Reality in The Arab World" p.24

٣٤ — لمزيد من التفاصيل راجع كتاب نفوسة سعيد ، تاريخ الدعوة الى العامية وأثارها في مصر ، فهو كتاب شامل وموثق في هذا المجال .

٣٥ — محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ١٢٤ — ١٢٤

٣٦ — أحمد لطفي السيد ، الانتخابات ص. ٢٤٦ — ٢٥٠

- 37- A. Shej ne **The Arabic Language : Its Role in History**, p. 109

٣٨ — نفس المصدر ص. ١٠٩

- 39- M. Bateson. **Arabic Language Handbook**

٤١ — إبراهيم أنيس ، مستقبل اللغة العربية ، ١٩٦٠

٤١ — أنيس مريجة ، نحو عربية ميسرة ، ١٩٥٥

٤٢ — مجلة المجمع العربي مجلد ٣٢ ، عدد ١ ، ١٩٥٧

- 43- S. Moussa. "Arabic Language Problems" p. 44

- 44- J. Gumperz "The Speech Community", p. 222

- 45- M. Brame, "Arabic Phonology" p. 1

- 46- A. Kaye. "Modern Standard Arabic and the Colloquials".

- 47- Wexler. "Diglossia, Language Standardization and Purism".

٤٨ — العقاد ، ساعات بين الكتب ص. ١٤٥ — ١٤٦

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة

للدكتور عدنان الخطيب

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السادسة والأربعين، في المدة الواقعة من الثلاثين من ربيع الآخر ، الموافق ١٧ من آذار (مايس) ، حتى الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ، الموافق ٣١ من آذار (مايس) سنة ١٩٨٠ م ؛ وعقد خلالها ثلاث عشرة جلسة ، منها جلستا الافتتاح والختام .

وفي ما يلي عرض موجز لأهم ما دار في المؤتمر من أبحاث وأُخذ من مقررات :

أولا : جلسة الافتتاح

كانت جلسة افتتاح المؤتمر علنية ، حضرها جمع من رجال الفكر والأدب ومحبي العربية ، وألقيت فيها كلمات ترحيبية ، كما عُرضت أعمال المؤتمر في الدورة السابقة ، وتطلعاته في هذه الدورة .

وتضمنت كلمة رئيس المؤتمر الدكتور إبراهيم مذكور ، رئيس المجمع ، الخطوط العريضة لمنهج المؤتمر . وكان مما قاله : « لقد قيل من قديم أن المجمعين حماة اللغة ، وظنُّ خطأ أن هذه الحماية تقضي بأن يقفوا عند القيم وحده ، ولا ينسحوا المجال لشيء سواه . وهذا دون نزاع زعم باطل ؛ ذلك لأن اللغات حياة تسير بسير الزمن ، وتسد حاجات العصر .

ونحن نتحدث عن أدب معاصر ، وهذا التعبير نفسه خير شاهد على هذه الحياة . . »

وتحدث الأستاذ الرئيس عن الأدب المعاصر ، مبينا السمات التي تميزه عن أدب العصور الخالية؛ ثم قال : « يتابع مجمع اللغة العربية سير أدبنا المعاصر ، ويرتب حركاته ؛ ويبسّر له وسائل النهوض والتقدم ، ويشجّع الشباب على الاقبال عليه والعناية به ، بما يقترح من موضوعات بحث ، وما يمنح عليها من جوائز ؛ ويعنى عناية خاصة بلغة العلوم والحضارة ، لأنها لغة الحاضر والمستقبل ؛ ويدعم اسهاما واضحا في تعريب التعليم العالي والجامعي . وفي وسعنا أن نقرّر أن ليس ثمة حياة علمية أخرى عنيت بالمصطلح العلمي العربي عنايته . وهو يقدم منها كلّ عام في مؤتمره . زادا يفيد منه الدارسون والباحثون ؛ وليست عنايته بمستحدثات الحضارة باقلّ من عنايته باللغة العلمية . . »

ثم تحدث الدكتور مهدي علام ، الأمين العام للمجمع ، عارضا صورة عامة عن النشاط المجمعى منذ إنتهاء المؤتمر السابق ، ومعددا ما تمكّن المجمع من إصداره من معجمات ومجموعات مصطلحات ومطبوعات أخرى ، مؤكدا على « أن لغتنا العربية الخالدة لغة علم وحضارة ، بل في طليعة اللغات العالمية القادرة على استيعاب الحضارة المعاصرة ، والتعبير عنها في مختلف المجالات . ولا عجب في ذلك ، فالتاريخ نفسه خير شاهد على أن لغتنا ظلّت لها السيادة والريادة ، بوصفها لغة علم وأدب وفن ، عدة قرون . »

ثم قال : « فلعلّنا — في هذا العصر — لا تبدأ من فراغ ، وإنما تستعيد حيويتها ، وتستردّ مكانتها ، وتستأنف مسيرتها الحضارية ، نهجها الحاضر المعاصر يضرب بجذوره في أعماق ماضٍ مجيد عريق . انها أطول لغة ظلّت

حية على مدى حقبة متواصلة، لم تعش مثلها أية لغة أخرى مهما كانت قديمة » .

ثانيا - المصطلحات العلمية

درس المؤتمرون وناقشوا ، خلال جلساتهم اليومية ، المصطلحات العلمية والفنية التي رفعتها الى المؤتمر اللجان المختصة عن طريق مجلس المجمع ، فأقر المؤتمر غالبيتها مجمعين ، وبعضها منها بأكثريةهم ، كما أقروا بعضا آخر بعد تعديله .

وبلغ عدد المصطلحات التي عرضت على المؤتمرين (١٢١٧) مصطلحا ، موزعة بين العلوم والفنون كما يلي :

١٤٠ مصطلحا في الفيزياء (الفيزيكا)

٩٥ مصطلحا في المياهيئات (الهيدرولوجيا)

٩٤ مصطلحا في القانون التجاري

١٢٨ مصطلحا في الكيمياء والصيدلة

٦٦ مصطلحا في علم الرياضة

١٥٠ مصطلحا في علم التربية

٤٢ مصطلحا من الفاظ الحضارة الحديثة

١١٣ مصطلحا في فلسفة التاريخ

١٠٢ مصطلح في النفط

١٣٦ مصطلحا في علم الحيوان

١٥١ مصطلحا في فني السينما والتمثيل .

ثالثا - البحوث والدراسات

استمع المؤتمرون ، خلال مدة انعقاد المؤتمر ، الى عدد من البحوث والدراسات المتخصصة، ألقاها بعض الاعضاء . وفي ما يلي عرض موجز

لها، مع أهم ما دار حولها من مناقشات أو تعليقات :

١ — الأدب العربي المعاصر

بحث للأستاذ محمد خلف الله أحمد (١) ، وقد حُدِّد للمعاصرة مدة قرن من سنة ١٩٥١ حتى ٢٠٥٠ م ، عرض فيه واقع الأمة العربية من خلال أدبها الحديث ناقداً محلّلاً ؛ ثم تطلع الباحث الى المستقبل والآمال المرجوة له ، وما يجب أن يكون عليه الأدب العربي ، موجهاً ، باذلاً جهده وما لديه من نظرات عميقة وخبرات طويلة .

وشكر المؤتمر للباحث دراسته القيمة وتطعماته المستفيضة ، وتوجيهاته النافعة . وكان من أهم التعليقات على البحث تعقيب الأستاذ اسحق موسى الحسيني ؛ وقد أيد ضرورة العناية بدراسة النصوص ، وكان مما قاله : « وبحسب تجربة لي خاصة ، اذ كنا نحمل الطلاب على قراءة كتب اضافية على البرنامج المقرر ، وندعو الطلاب الى أن يشترك كلّ واحد منهم سنوياً بتقديم كتاب يختاره ، وتكون حصيلة هذا « مكتبة خاصة بالصف » يقرأها الطلاب في تلك السنة . والنصوص ليست مصدراً للغة فحسب ، بل للقواعد أيضاً ، كما قرر ذلك ابن خلدون » .

٢ — اللغة الصامتة

بحث الدكتور اسحق موسى الحسيني ، وكان ممتعاً طريفاً، تناول الأدب العربي والتراث الشعري بخاصة ، وما تضمّنه من رموز وإشارات ذات دلالة معينة، كالتحية، أو التذكير بوعد حيناً ، أو تدلّ على الموافقة أو الرفض حيناً آخر ، وعلى الحب أو الكره تارة ، وعلى الرغبة في شيء، أو الاستمزاز من شيء تارة أخرى .

وانارت شواهد البحث وأطرأه، تعليقات طريفة من قبل الزملاء

الاساتذة : الدكتور ابراهيم مذكور ، ومهدي علام ، وعبد السلام هارون ،
ومحمد عبد الغني حسن ، وعز الدين عبد الله ، وتام حسان ؛ وقد تداعت
على السنتهم شواهد مماثلة فيها كل الطرافة والجمال في التعبير .

٣ - بين « مرضعة » و « منظر » في القرآن الكريم

بحث الفاه الاستاذ علي النجدي ناصف ، في تحليل المسالتين التاليتين :

١ - ورود علامة التانيث في كلمة « مرضعة » في قوله تعالى : * يَوْمَ
تُرَوْنَهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْرُضَةٍ عَنْهَا أَرْضَعَتْ (٢) * والقاعدة النحوية
لا توجبها في الأوصاف الخاصة بالنساء .

٢ - ورود كلمة « مُنْظِرٌ » بصيغة التذكير في قوله عز وجل : * السَّمَاءُ
مُنْظِرٌ بِهِ (٣) * خلافا للقاعدة التي توجب مطابقة الوصف
للموصوف ، والسما اسم مؤنث (٤) .

وعرض الباحث أقوال مختلف العلماء والمفسرين في تحليل هاتين
المسالتين ، رافضاً ذهاب بعضهم الى التعلل بالرخصة المنضمة فسي
القواعد النحوية واللغوية ، او القول بأن التذكير محمول على تاويل أن
السما بمعنى السقف . وأكد الباحث بأن القرآن الكريم حين يقول : * وَإِنْ
طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا (٥) * فانه لا يقوله ترخصاً ؛ والتعليل الصحيح
للأمر ، يحتاج الى بحث دقيق وعميق في التفسير : فالمرأة التي تبشر الرضاعة
لا توصف إلا بكلمة « مرضعة » (٦) ، والوصف بمنظر من باب الوصف
باسم الفاعل من فعل مطاوعة يحمل كل معاني الانفال والتصدع ، والتذكير
فيه أولى .

وجرت تعليقات موسعة ومهمة حول هذا البحث ، اشترك فيها
الاساتذة : تمام حسان ، ومهدي علام ، وشوقي ضيف ، ومحمد عبد الغني

حسن ، مجتمعين على شكر الباحث وتقدير دقته وتعمقه في البحث .

٤ - من كنائس النواذر (٧)

بحث القاه الأستاذ عبد السلام هارون ، ويتضمن نظرات مستأنية
وطرفا مستملحة، جميعها خلال مطالعته الطويلة في كتب اللغة والادب ،
وفي ما يلي نماذج منها :

١ - الإمعة : كلمة اصلها جاهلي ، وكانت تطلق على من كان يتبع الناس
الى طعام لم يُدْع اليه ، وهو الطُفيلي ؛ وهذه كلمة اسلامية (٨) ،
اما اليوم فهي لا تطلق الا على من لا راي له ، ويقول لكل واحد : انا
مك .

ب - في حاشية الدمنهوري ورد ان لسيوييه كتابا باسم (القوافي) ولسم
يذكر هذا الكتاب في المصادر التي اوردت ثبنا بمؤلفات سيوييه .

ج - « ايوه » في عامية اهل مصر (٩) لها جذر فصيح هو : اي والله .

د - في وفيات الاعيان لابن خلكان خبر طريف يدل على مبلغ العناية بعلوم
اللغة العربية في دمشق ؛ فقد ألزم احد الذين تُرجم لهم ابن خلكان
نفسه بدفع مئة دينار لكل من يستظهر كتاب « المفضل » للزمخشري .

هـ - سورية : في معجم البلدان لياقوت ما صورته : « سورية ، موضع
بالشام بين خناصره وسلمية ، والعامية تسميه سورية » . هذا
ما كان في القرن السابع ، ولكن المسعودي ، المتوفى سنة ٣٤٥ ،
يذكر في « التنبيه والاشراف » ص ١٥٠ ما نصه : « والروم يسمون
بلادهم ارمانيا ، ويسمون البلاد التي سكاتها المسلمون في هذا الوقت
من الشام والعراق سوريا ، والفرس الى هذا الوقت تقارب الروم
في هذه التسمية ، فيسمون العراق والجزيرة والشام سورستان » .

وفي معجم البلدان في رسم (سورستان) يقول ياقوت : « وقال أبو
الريحان : والسرانيون منسوبون الى سورستان ، وهي أرض العراق
وبلاد الشام . . غير أن هرقل ملك الروم ، حين هرب من انطاكية أيام
الفتوح الى القسطنطينية ، التفت الى الشام وقال : « عليك السلام يا
سورية ، سلام مودع لا يرجو أن يرجع اليها أبدا » . وهذا دليل على أن
سورستان هي بلاد الشام » .

ويقول صاحب القاموس ، المتوفى سنة ٨١٧ : ان « سورية ،
مضمومة مخففة ، اسم للشام (١٠) » فيعقب عليه الزبيدي ، المتوفى بعده
بأربعة قرون ، أي في سنة ١٢٠٥ ، بقوله : « في القديم » ثم يقول : « والكلمة
رومية (١١) » .

وانهى الباحث عرضه قائلا : « وهكذا لا نجد في القديم الا اضطرابا في
دلالة هذه التسمية ، التي استقرت الآن في أحد أقاليم الشام بوضع جغرافي
وسياسي معين ، بعد أن ظلت ردحا من الزمان كورة من كور الشام ، التي
تشمل أجناد قنشرين ، ودمشق ، والأردن ، وفلسطين ، وحمص ، بخلاف
الثغور ، وهي المصيصة ، وطرسوس وأذنة وانطاكية ، وجميع العواصم .
ثم صارت الى لبنان وفلسطين والأردن وسوريا (١٢) » .

وشكر المؤتمر للباحث امتاعهم بنوادره المنتقاة من مختلف كتسب
التراث ، وافادتهم بنظراته الثاقبة فيما وراء السطور ، وعلق الأستاذ محمد
عبد الغني حسن قائلا : « عرفنا في الزميل المحقق البارِع وكشف لنا اليوم في
كناشته عن شخصية المنقَرِّ الرائع » .

٥ - وقفة امام قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم)

تصيدة القاها الدكتور حسن علي ابراهيم، استاذ الجراحة في كلية

الطب، بمناسبة عودته من زيارة الزوطة الشريفة في المدينة المنورة ، وهي في ثلاثة وستين بيتا ، وهذه مقاطع منها :

مُشيتُ وفي قلبي وجيبٌ ورهبةٌ	الى خير قبر ضَمَّ خير رُفاتِ
وحولي من الاقوام حشدٌ ميمٌ	الى حيث يثوي منبع البركاتِ
وفي النفس ما فيها من الحب والتقى	وفي النفس ما فيها من الحشراتِ
وعادت بي الذكرى دهورا سخيفة	الى فجر دينٍ عاطر النفحاتِ
هنا اكمل الروح الامين رسالة	اضاعت فلاة البدو والعُرصاتِ
وشعَّت وراء الافق حبًّا ورحمةً	لتغشى بلاد الارض والجَنَّاتِ
اذا اُمتحن الاسلام حيناً بشدّة	فقد عمَّ بالايمان والعزِّماتِ
وقد سار من نصرٍ لنصرٍ مؤزَّر	فأحيا نفوسا في عميق سباتِ
هنا شرَّع الإسلام فرضا وسنةً	بما انزل الرحمن من كلماتِ
وقد قام بالتفصيل والشرح احمدٌ	بفعلٍ وقولٍ ضَمَّ جَمَّ عِظاتِ
ولما دنا وقت الرحيل وأزلفت	لعينيه انوارٌ من الجَنَّاتِ
دعا ربَّه همسا لبأوي بمنزل	رفيقا لعالٍ مانح الخيراتِ
بحبك يا خير الانام جميعهم	وهديك إني قد ملأت حياتي
ويا ربَّ عفواً من لدنك ورحمةً	لعبدٍ دعا في اقدس الحرماتِ
لجأت الى الرحمن اطلب عفوه	وربي غفور واسع الرَّحِماتِ
فيا ربَّ أَلَفْ بين عَرَبٍ تفرَّقوا	وَوَحَّدْ خُطاهم بعد طول شتاتِ
مشيتُ تقبلُ الخطو في القلب حسرةً	لتركي مقامَ الأعظمِ المعطراتِ
عليك سلامُ الله ما أشرق الضحى	وما لاح نور البدر في الظلماتِ

وهنا المؤتمرون زميلهم الطبيب الشاعر بعودته الحميدة، مشيدين بشاعريته وبقصيدته الرائعة .

٦ — كلمة (أريسين) في كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) الى هرقل —

ما الصواب في نطقها وفي معناها ؟

بَحْثُ القاه الدكتور أحمد الحوئي، عرض فيه لما هو ثابت في كتسبب الحديث والسيرة واللغة من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، بعث الى هرقل ملك الروم ، بكتاب يدعو فيه الى الاسلام قائلا له : (. . وان توليت فان عليك اثم الأريسيين (١٣)) .

وَفَصَّلُ الباحث أقوال رواة الحديث في ضبط كلمة « أريسيين » ؛ فقد اختلفوا ان كانت بياء واحدة أو بياعين بعد السين ، وقال بعضهم بكسر همزتها بينما نطقها آخرون بياء ؛ كما اختلفوا حول تشديد الراء وحسول حركتها . وقد تداخلت الروايات وتعدد بعضها (١٤) ، مما كان له أثر كبير فيما أثبتته علماء اللغة في المعجمات (١٥) .

وعرج الباحث على المراد من كلمة « الأريسيين » ، فقد اختلف العلماء حوله على أقوال ، أشهرها: انها تعني : « الأكاريين » ، أي الفلاحين والزارعين ؛ وقد جاءت كلمة « الأكاريين » في بعض روايات النص نفسه (١٦) ، كما وردت كلمة « الفلاحين » في رواية أُثْبِتَها صاحب كتاب الأموال (١٧) .

ثم ذكر صاحب البحث قول بعضهم : ان المراد بالأريسيين هم : اتباع عبد الله بن أريس، الذي تنسب اليه فرقة الأروسية من النصارى ، ويقال لهم « الأروسيون (١٨) » .

وانتهى الباحث الى ان المراد بكلمة « الأريسيين » هم اتباع أسقف اسكندري يدعى « آريوس arius (١٩) » كان ينكر الوهيبة السيد المسيح، فتبعه خلق كثير من النصارى، وانتشر اتباعه في بقاع كثيرة، كانت منها بلاد الشام ؛ وعرفوا بالأريسيين وعقيدتهم بالأروسيية

وشكر المؤتمرون للباحث طرافة موضوعه وجهوده في استقصائه؛
وعُلّق بعضهم مؤيدا أو مستفهما أو مشيرا الى بعض ما جاء في كتب
التاريخ (٢١) .

٧ - توحيد المصطلح العلمي في التعريب

بحث للدكتور شوقي ضيف ، ضُمنه عرضا للموضوع القديم الذي
لا تَبْلَى جِدَّتُهُ ؛ مبينا تاريخ المصطلح العربي عند العلماء المسلمين والعرب ،
وواقعه اليوم في مختلف الاقطار العربية ، متطلعا الى الغد المأمول — يوم
تصبح اللغة العلمية فيه واحدة في العالم العربي — ، مشيرا الى
ان المصطلح العلمي لا يوحدُه مثل وحدة السلطة التي تشرف على وضع
المصطلحات ، ومدى نموذها في مختلف المؤسسات والادارات ذوات العلاقة
بهذا الموضوع .

ولم يخل البحث من نقاط جديدة استشارت تعليقات قيِّمة من الاساتذة
ابرهيم الدمرداش، وعز الدين عبدالله، وتمام حسان ؛ وقد عرض كل منهم
خبرته في الموضوع مؤيدا الباحث في تطلعاته وآماله .

وشكر الرئيس الدكتور ابراهيم مذكور للمحاضر آرائه المفيدة ،
وطمأنه بأن البلاد العربية في طريقها الى الهدف الذي ينشد ، معتمدة على
المعلم المحسن تأهيله ، مشيرا الى واجبات كل من اتحاد مجامع اللغة
العربية، واتحاد الجامعات العربية، ومؤتمرات التعريب التي تُعدها
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٨ - تاصيل بعض الدخيل من أسماء الملابس والأطعمة في كتاب الجبرتي

بحث القاه الدكتور احمد السعيد سليمان ، مقدِّما له بالكلام على

أثر الوضع السياسي في بلد ما على الفاظ الحضارة فيه ، وكيف تتأثر هذه الالفاظ بتبدل الدول ؛ مبينا كيف ازاحت المصطلحات التركية في يوم من الايام في مصر المصطلحات الملوكية وحاولت طردها نهائيا ؛ ثم اوضح كيف وجدني تاريخ الجبرتي مصدرا من أهم المصادر في دراسة أسماء الملابس والاطعمة وما تدلّ عليه ، وأن هذا البحث استهواه، وهو في سبيله إلى وضع معجم لالفاظ الحضارة في عهد الجبرتي .

وعلق بعض الاعضاء على طرافة الموضوع شاكرين للباحث جهوده فيه .

٩ - يزيد بن محمد المهلب

بحث للشيخ محمد رفعة فتح الله، عرض فيه لسيرة شاعر عربي كبير من بني المهلب بن أبي صفرة، عاش في القرن الثالث الهجري ، واتصل بالمتوكل العباسي، وناداه حتى اذا مات رثاه بقصيدة من عيون الشعراء اوردها المبرد في الكامل .

لقد أغفل مؤرخو الادب العربي سيرة هذا الشاعر الكبير (٢٢) ، حتى لم يبق منها الا متفرقات في مختلف الكتب، جميعها الباحث فكانت طريفة حلوة ممتعة .

رابعا : المحاضرات

تتضمن جدول اعمال المؤتمر في هذه الدورة محاضرتين عالميتين عن الادب العربي المعاصر ، فُتِحَ المؤتمر فيهما امام جمهرة الحضور من رجال الفكر والبحث والتعليم باب الحوار والنقاش العلني .

وكان الموضوع في المحاضرتين هو :

الأولى : لغة المسرح بين العامية والفصحى

لقاها الدكتور شوقي ضيف، عارضاً فيها تاريخ المسرح في مصر من النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، يوم كان مسرحاً للدمى المتحركة (خيال الظل) . وكان هذا المسرح قد عُرف في مطلع القرن الثالث الهجري ، ونال بعض عناية الدولة الفاطمية، ثم استمر في عصر المماليك إلى العهد العثماني بعدئذ ، وكانت العامية لفته ولغة الأغاني فيه .

وبدأ المسرح في مصر يحاكي المسرح الأوروبي في النصف الثاني من القرن الماضي ، على يد بعض السوريين واللبنانيين ، وكانت لفته تتفاوت بين العامية والفصحى، تبعاً لموضوع التمثيل، واختلاف الفرق التي تقوم به. وبُين المحاضر أثر اشتراك أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، أمثال شوقي وتيمور وإباضة ، في تزويد المسرح بمؤلفاتهم على لفته ، ثم خَصَّ أثر توفيق الحكيم على هذه اللغة، راسماً الخط البياني للغة التي كتب بها مسرحياته ، بدءاً من لفته في مسرحياته الذهنية، وهبوطاً إلى لفته في مسرحياته الاجتماعية ؛ وشرح المحاضر الأسباب التي تؤدي إلى توسع انتشار الكتابة باللغة العامية بين مؤلفي المسرحيات ، تقريباً من أهلها وملقاً لهم .

ثم أفاض المحاضر في الحديث عن اللغة الثالثة التي دعا إليها توفيق الحكيم في تقديمه مسرحية الصفقة سنة ١٩٥٦ ، ناقداً لغة هذه المسرحية ، مؤكداً الكتابة بلغة ثالثة، شريطة الارتفاع بها لتصبح فصحية مبسطة بمستوى مقبول عربياً .

واعقبت المحاضرة مناقشات حامية بين الأساتذة المهتمين بلغة المسرح ، وكان أغلبهم من أنصار الفصحى .

الثانية : قضايا حول الشعر العربي

القاهما الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن، عرض فيها المشاكل التي يثيرها الشعراء ، مذ كان الشعر وكان للشعراء خصوم وأعداء يتتبعون زلاتهم وسقطاتهم ، أو يهاجمون تحللهم من قيود الشعر، أو مخالفتهم القواعد المتعارف عليها جهلا أو اهمالا .

وعرض المحاضر للشعر المنسوب لغير قائله ، والى طرائف ناجبة عن أوهام بعض المؤلفين أو المحققين .

وأعقب المحاضرة حوار وتساؤل حول بعض القضايا التي أثارها المحاضر .

خامسا : المعجم الكبير

عُرِضت على المؤتمرين المواد التي أنهى مجلس المجمع دراستها من المعجم الكبير، وهي المواد المبتدئة من أول حرف الجيم والراء وما يثلثهما إلى نهاية حرف الجيم والزاي مع الراء .

واستمع المؤتمرين الى الملاحظات التي قدمها الزملاء الأساتذة : علي النجدي ناصف، وعبد السلام هارون، وعدنان الخطيب ، وقرروا إحالتها الى اللجنة المختصة لاعادة النظر في مواد المعجم في ضوءها .

سادسا : أعمال لجنة الأصول

نظر المؤتمرين في ثماني موضوعات اقترحتها لجنة الأصول، ورفعت اليهم بموافقة مجلس المجمع . وفيما يلي موجز عن تلك الموضوعات، وما انتهت اليه المؤتمر بشأنها :

الموضوع الأول : جواز مجيء المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان

من الفعل الثلاثي المعتل بالياء على (مُفَعَّل) بالفتح

كانت لجنة الأصول بعد مناقشة الموضوع اتخذت القرار الآتي :

« يجوز أن يجيء اسم الزمان والمكان — كالمصدر الميمي — من الفعل الثلاثي الأجوف اليائي على المُفَعَّل بالفتح ، فيقال مثلا **المسار** بمعنى السير أو مكانه أو زمانه ، وكذلك يقال **طار** مطارا والآن **مطاره** وهناك **المطار** » .

وشرح مقرر اللجنة الأستاذ شوقي أمين الدافع الى القرار بقوله :

لو جرينا وراء القاعدة الصرفية المألوفة لكانت كلمة **المطار** وكلمة **المسار** في استعمالهما بمعنى المكان وخطة السير خطأ لا يفتقر ؛ ولما كان بعض العلماء قال : **ان شِئْتُ فَتَحْتُ وان شِئْتُ كَسَرْتُ** في الاسم والمصدر ، وفي هذا رخصة وتيسر للمصدر الميمي واسمي الزمان والمكان ، مما دفع اللجنة الى اتخاذ هذا القرار .

وبعد مناقشة قصيرة وافق المؤتمر على قرار اللجنة بالاجماع .

الموضوع الثاني : الحاق تاء التانيث بِمُفْعِلٍ وَمُفْعَالٍ وَمُفَعَّلٍ صفة المؤنث

كانت لجنة الأصول بعد دراسة هذا الموضوع ، انتهت الى القرار التالي : « يجوز أن تلحق تاء التانيث صفة مُفْعِلٍ وَمُفْعَالٍ وَمُفَعَّلٍ ، سواء أُنْكِرَ الموصوف أم لَمْ يُنْكَرْ ؛ مثل : مسكين ومسكينة ، ومعطار ومعطارة » .

وشرح مقرر اللجنة الأستاذ شوقي أمين الدافع الى هذا القرار فقال : ان هذا الموضوع يتعلق بعقبات في اللغة والاستعمال ؛ فقد كان نقاد اللغة يُخَطِّنون قولهم فخورة وغيورة • وعالج المجمع مثل هذه العقبات وحل منها الكثير ؛ وقد وجدت اللجنة من كلام العلماء ما يؤيد دخول التاء دلالة على التانيث في هذه الصيغ .

وبعد مناقشة الموضوع وافق المؤتمر على قرار اللجنة بالإجماع .

الموضوع الثالث : جواز المطابقة في توكيد المثنى بالنفس والعين

بعد مناقشة الموضوع انتهت لجنة الأصول الى القرار الآتي :
« يجوز الافراد والمطابقة والجمع على أنعمل في توكيد المثنى بالنفس والعين ،
فيقال : جاء الرجلان نفسيهما ونفساهما وأنفسهما » .

وشرح مقرر اللجنة الأستاذ شوقي أمين الدافع الى اتخاذ هذا القرار ، فقال : جميع كتب النحو التعليمي تقول في توكيد المثنى بالجمع على أفعل : جاء الرجلان أنفسهما ؛ وهذا يخالف طبيعة الكلام ، اذ أنه يجب أن يؤكد المثنى بصيغة المثنى والجمع بصيغة الجمع : عندما درست اللجنة هذا وجدت في آراء أئمة اللغة سندا لجواز المطابقة في التوكيد بالنفس والعين للمفرد والمثنى والجمع ؛ وهذا أبو حيان قد نص على أن المطابقة هي الأصل : ونحن نقول بمجرد الاجازة .

ولم يعترض احد على ما انتهت اليه اللجنة فأجيز .

الموضوع الرابع : ضوابط رسم الهزة

اولا : تقوم هذه الضوابط على الدعائم التالية :

١ - تُجَنَّبُ الْكِتَابَةُ الْعَرَبِيَّةُ نَوَالِي الْأَمْثَالِ ، فَيُكْتَبُ الْحَرْفُ الْمَضْعَفُ حَرَمًا واحدا في « تَكْم » . وكتب الحجازيون قديما : (داود) و (رويس) و (شون) و (بواو واحدة هكذا . (داود) و (روس) و (شون) .

٢ - تُعَدُّ مِنَ الْكَلِمَةِ الْوَاضِقِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِآخِرِهَا مِثْلُ الضَّمَاةِ وَعَلَامَاتِ التَّنْثِيَةِ وَالْجَمْعِ ، وَالْفِ الْمَنْصُوبِ ؛ وَلَا يُعَدُّ مِنْهَا مَا دَخَلَ عَلَيْهَا مِنْ حُرُوفِ الْجَرِّ وَالْعَطْفِ ، وَأَدَاةِ التَّعْرِيفِ ، وَالسَّيْنِ ، وَهَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ ، وَلَا مِ الْقِسْمِ .

٣ — الحركات والسكون في الكلمة ترتب من ناحية الأولوية ترتيبا تنازليا على النحو التالي : **الكسرة، فالضمة، فالفتحة، فالسكون** .

ثانيا : تلخص قواعد كتابة الهمزة بعد ذلك في القاعدة التالية : تكتب الهمزة في اول الكلمة بالـف مطلقا ؛ أما في الوسط فانه يُنظر فيها الى حركتها، **وحركة ما قبلها ، وتكتب على ما يوافق أولي الحركتين من الحروف .**
فتكتب الهمزة على ياء في مثل : **المستهزئين ، والمنشئين ، وتطمئن ،**
وانئدة، وفئة ، وجئتئ؛ لان الكسرة اولى من كل الحركات والسكون .
وتُكتب على واو مثل : **يؤز ، ويؤدي ، وسؤل ، واولياؤهم ؛** لان الضمة اولى من الفتحة والسكون .

وتكتب على الف في مثل : **نسال ، ويسال ، وكاس ؛** لان الفتحة اولى من السكون .

أما في الآخر فتكتب بحسب ما قبلها ؛ فان كان ما قبلها مكسورا فتكتب على ياء مثل : **بريء وقارئ ؛** وان كان مضموما كُتبت على واو مثل : **جرؤ وتكافؤ ؛** وان كان مفتوحا كُتبت على الف مثل : **بدا وملجأ ؛** وان كان ما قبلها ساكنا تكتب مفردة مثل : **بطيء وملء وشيء وجزاء وضوء وبطيء ومضيء .**

ملحوظة : اذا ترتب على كتابة الهمزة على الف او واو توالي الامثال في الخط ، كُتبت الهمزة على السطر مثل : **يتساعطون ورعوس ؛** الا اذا كان ما قبلها من الحروف مما يوصل بما بعده، فانها تُكتب على نبـسرة مثل : **بطنا وشنون ومسئول) .**

استثناء من القاعدة :

١ — اذا اجتمعت الهمزة والف المد في اول الكلمة او في وسطها اُكتفي بعلامة

المد فوق الألف مثل : آدم، وأكل، وآخر، والآن ، ومثل مرآة، وقرآن .

٢ — تعد الفتحة بعد الواو الساكنة في وسط الكلمة بمنزلة السكون ؛ **ولذلك** تُكتب **الهزة مفردة** في مثل : مروءة، وشنوءة، ولن يسوءك، وإن ضوءك .

كما تعد ياء المد قبل الهزة المتوسطة بمنزلة الكسرة ، ولذلك

تكتب الهزة على نبرة في مثل : خطيئة وبريئة ومشيتة .

وتولى الأستاذ شوقي أمين مقرر اللجنة شرح أسباب تدوين هذه الضوابط فقال : ليس موضوع الهزة جديداً على المجمع ، ولا على لجنة الأصول ؛ فقد عني المجمع بموضوع الهزة ومشكلاتها حقبة طويلة ، وانتهى المجمع الى قرارات منذ ثمانية عشر عاماً تقريباً في تيسير رسم الهزة ؛ لكن جاءت قراراتها كثيرة الفروع والشعب ، ولوحظ فيها التداخل ؛ ورغم ابلاغ وزارة التربية والتعليم بما انتهى اليه المجمع في هذا الشأن فانها لم توضع موضع التنفيذ ، وكان قولهم : ان تعليم هذه القواعد الكثيرة شقة لا تتسع لها خطة التعليم . وقدم الدكتور رمضان عبدالقواب مشروعاً **جعل لقسوة الحركات الاعتبار الأول في رسم الهزة** .

وتبين للجنة الأصول عند دراسة مشروع الدكتور رمضان انه منذ خمس وعشرين سنة قُدم الى المجمع استاذ في المعاهد الأزهرية يُسمى الأستاذ الشيخ بشير سلمو ، ومعه مشروع لرسم الهمزة بعنوان : « **قاعدة الأقوى** » . وطوى الزمن هذا المشروع منذ ذلك الوقت ، حتى عاد الحديث حول كتابة الهزة ، وعُثِرْتُ أنا عليها بعد جهد في البحث عنها ، ثم جئت بقرارات المجمع القديمة وعُنييت بعقد المقارنة بينها وبين ما تقدم به كل من الدكتور رمضان والأستاذ بشير سلمو ؛ وفي أثناء البحث هدى الدكتور مهدي علام الى **طريقة الأقوى** هذه ، وكان يعلمها بعض طلابه ، وكان يجسّد تيسيراً كبيراً .

وُطِّبِقَ المَجْمَعُ القَوَاعِدَ الَّتِي وَضَعَهَا مُتَّفَقًا مَعَ مَا جَرَى بِهِ العَرَفُ فِي الكِتَابَةِ، إِلَّا فِي ضَابِطَيْنِ اثْنَيْنِ هُمَا : « بِيئَةٌ وَشُئُونٌ » إِذَا كَانَ يَكْتُبُ الْأَوَّلَى هَمْزَةً عَلَى الْف ، وَالثَّانِيَةَ هَمْزَةً عَلَى وَאו ، إِلَّا أَنَّ هَذَا لَمْ يَجِدْ قَبُولًا ؛ وَفِي هَذِهِ الضَّوَابِطِ الْجَدِيدَةِ نَعُودُ إِلَى سِيرَةِ كِتَابَةِ « بِيئَةٌ وَشُئُونٌ » فَتَكْتُبُ الهمزة عَلَى نَبْرَةٍ كَمَا هُوَ الْمَالُوفُ (٢٣) .

وَجَرَتْ مَنَاقِشَاتٌ حَوْلَ بَعْضِ الضَّوَابِطِ ، وَاخْتَلَفَ عَلَى ضَابِطِ الثَّلَاثِي، وَانْتَهَى الْأَمْرُ بِالْمُؤَافَقَةِ عَلَى تَقْرِيرِ اللِّجْنَةِ بِالْأَكْثَرِيَّةِ .

الموضوع الخامس : الألف اللينة

بَعْدَ مَنَاقِشَةِ الْمَوْضُوعِ وَمَا قُدِّمَ فِيهِ مِنْ مَذَكِرَاتٍ، انْتَهَتْ لَجْنَةُ الْأَصُولِ إِلَى الْقَرَارِ الْآتِي :

« تُرْسَمُ الْأَلِفُ اللَّيْنَةُ بِصُورَةِ الْيَاءِ (غَيْرِ مَنْقُوطَةٍ) أَمَّا الْيَاءُ فَتَنْقُطُ لِلْفَرْقِ .

وَتُرْسَمُ الْأَلِفُ اللَّيْنَةُ فِي آخِرِ الْفِعْلِ عَلَى صُورَةِ الْيَاءِ نَحْوُ : رَمَى وَسَمِعَى وَادْعَى وَاسْتَوْفَى ؛ فَإِنْ سُبِقَتْ بِيَاءٍ رُسِمَتْ بِالْأَلِفِ نَحْوُ : أَحْبَا وَاسْتَحْبَا ؛ أَمَّا إِذَا كَانَ الْفِعْلُ ثَلَاثِيًا مُضَارِعُهُ بِالْوَاوِ فَتُرْسَمُ الْفَا نَحْوُ : غَزَا وَدَعَا . وَتَكْتُبُ فِي آخِرِ الْأِسْمِ بِصُورَةِ الْيَاءِ إِذَا كَانَتْ رَابِعَةً فَصَاعِدًا، نَحْوُ : بُشْرَى وَمُنْتَدَى وَمُصْطَفَى ؛ فَإِنْ سُبِقَتْ بِيَاءٍ رُسِمَتْ الْفَا نَحْوُ : دُنْيَا وَخَطَايَا ؛ وَإِنْ كَانَتْ الْأَلِفُ ثَالِثَةً جَازَتْ كِتَابَتُهَا بِالْأَلِفِ مُطْلَقًا نَحْوُ : عَصَا وَرَحَا وَخَطَا ؛ وَيَجُوزُ كِتَابَتُهَا بِصُورَةِ الْيَاءِ لِمَنْ يَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ مَوْقِعِيهِمَا نَحْوُ : رَضَا وَهَدَى . وَتُرْسَمُ الْفَا فِي آخِرِ الْأِسْمِ الْأَعْجَمِيِّ مُطْلَقًا مِثْلَ : تَسْلَا وَسَخَا وَشَبْرَا ، إِلَّا مَا اشتهر بغير ذلك نَحْوُ : مُوسَى وَعِيسَى وَكُسْرَى وَبَخَارَى وَمَتَّى (مُشَدَّدَةٌ) ، وَتُكْتُبُ فِي آخِرِ الْحُرُوفِ بِصُورَةِ الْأَلِفِ مَا عَدَا : إِلَى وَعَلَى وَبَلَى وَحَتَّى وَمَتَّى » .

وجرت مناقشات حادة حول بعض الضوابط اشترك فيها الاساتذة:
شوقي أمين، وتام حسان، وعبد السلام هارون، ومحمد رفعت فتح الله، وأحمد
الحوئي، واسحق موسى الحسيني، ومهدي علام، وخص الدكتور عدنان
الخطيب اللجنة بالشكر لتفريقها بين الألف اللينة والياء بأقرارها نقط الياء
في آخر الكلمة؛ ورجا أن يأخذ بذلك المسؤولون عن الطباعة في مصر، ليزول
كل اختلاف املائي بين ما يُنشر في مصر وفي غيرها من الأقطار العربية
وانتهى الأمر بالمؤتمرين الى الموافقة على قرار اللجنة بالاكثرية .

الموضوع السادس : اقتران اسمين في تعبيرات محدثة

كانت لجنة الاصول اتخذت بالأغلبية القرار الآتي :

« اتفاقية سايكس — بيكو ؛ طيران مصر — السودان ؛ قطار دمشق
— معان »

درست اللجنة هذه التعبيرات ، ورات أن النمط الاول منها فيسه
المفاعلة لا يحتاج الى تأويل ، لأنه مكون من جملة فيها عامل ومعمولين .
اما النمط الثاني والثالث ففي تخريجها وجهان :

الوجه الاول : انها على تقدير حذف حرف العطف .

الوجه الثاني : ان الاسمين المقترنين متضايقان »

وجرت مناقشة حادة من اجل اجازة أمثال هذه التعبيرات المستعمارة
من غير العربية ، اعيدت خلالها المناقشات التي جرت في اللجنة المختصة ،
وقد لخصها الاستاذ علي النجدي ناصف فقال : ذهبت اللجنة في تخريج
اقتران اسمين في بعض هذه الاساليب ثلاثة مذاهب : أحدها اضافة الاسم
الاول الى الثاني ؛ والآخر تسكين اواخر كل من الاسمين اعتمادا على قرار
للمجمع في هذا ؛ والثالث جعل الاسمين معطوفين بلا عاطف مذكور . ثم

أردف يقول : والاحظ أن القول بإضافة الأول الى الثاني لا يمكن حين يكون الاسم الأول مقرونا بالالف واللام ؛ والاحظ على التخریسج الثاني أن التسكين يمكن أن يؤخذ به حين تُكثَر فيه الأسماء فحسب ، ويكون التسكين حينئذ للتخفيف . أما القول بالعطف مع حذف العاطف فهو الرأي الأشبه باللغة . وقد احتج له الدكتور شوقي ضيف بنصوص تجيز ذلك؛ وأزيدُ على احتجاجه ، الاحتجاج بأسلوب واو الثمانية (٢٤) ، وهي واو يتقدمها سبعة معطوفات ويجيء الثامن مقرونا بالواو ، وله ثلاثة أمثلة في القرآن الكريم : الأول في سورة التوبة، والثاني في سورة الكهف، والثالث في سورة التحريم . وسكنت المناقشات، وكاد المؤتمر يجمعون على أن أمثال هذه التعبيرات العصرية المترجمة عن الأعجبيات ، تخرج على سنن العربية ، ولكن شيوعها أوجب البحث عن تخريج لها ؛ والقول بالعطف مع حذف العاطف أشبهها بالعربية . وأُعتبِر قرار اللجنة مجازا .

الموضوع السابع : جواز جمع فعل على أفعال من كل اسم ثلاثي

انتهت لجنة الأصول بعد مناقشة هذا الموضوع الى القرار الآتي : « يجوز إذا لم يسعف السماع أن يجيء جمع التكسير على أفعال من كل اسم ثلاثي بناء على ما قرره جمهور النحاة من أن (أفعالا) يطرد في اسم ثلاثي لم يطرد فيه (أفعال) ، وعلى ما قرره المجمع من إباحة جمع (فُعل أسما صحيح العين) على أفعال ، وهو ما استثناه النحاة من أطراد مجيء (أفعال) في الثلاثي » .

ووافق المؤتمر على اجازة القرار .

الموضوع الثامن : وزن فعالة للدلالة على نفاية الأشياء ومتنثراتها وبقاياها

انتهت لجنة الأصول بعد مناقشة الموضوع الى القرار الآتي :

« درست اللجنة صيغة فُعالة للدلالة على نفاية الشيء وبقيائه وما تنأثر منه ، وتأسيسا على ما سجلته المعاجم وكتب اللغة الأخرى من عشرات الألفاظ على هذه الصيغة بهذه المعاني ، وعلى ما ذكره اللغويون — ان فُعالة يدل على فضالة الشيء وما تحأت منه وبقي بعد الفعل — كما في ديوان الأدب وغيره — يجيز المجمع ما ينشأ من كلمات على صيغة فُعالة بهذه المعاني ، سواء ما كان منتهي مصطلحات العلوم أم في الفـُـلـُـظ الخسارة (٢٥) .

وأجمع المؤتمر على اجازة هذا القرار .

الموضوع التاسع : تعليق على تيسير دراسة النحو في التعليم العام

أحيل الى لجنة الأصول تقرير عن دراسة النحو العربي في التعليم العام ، فوكلت اللجنة الى الدكتور شوقي ضيف كتابة تعليق عليه ؛ فكتب تعليقا أجازته اللجنة ، وهو الآتي :

« من الواضح الجلي في التقرير ان — ما أدخلته مناهج اللغة العربية لتيسير النحو — أخذت فيه بطائفة من قرارات المجمع اللغوي في الدورة الخامسة والأربعين وما قبلها ؛ وهذا احصاء بها :

- ١ — اذا تقدّم المعدود على العدد جاز تذكير العدد وتأنينه .
- ٢ — اذا جرّ المعدود بهن جاز تأنين أدنى العدد (٣-١) .
- ٣ — اذا كان العدد مضافا جاز تعريفه مع بقاء المضاف اليه منكراً (الالف كتاب) .
- ٤ — المستثنى بالآ وخلا وعدا وحاشا منصوب دائما .
- ٥ — المستثنى بغير وسوى يُجرّ بالاضافة وهما منصوبان .

٦ - الاستثناء المفرغ قُصِرَ لا استثناء .

٧ - لا يُقَدَّرُ العامل في أساليب الإغراء والتحذير والاختصاص ، وَيُكْتَفَى بعرض صورها .

٨ - يقال في « لا سيما » أنها للترجيح وما بعدها يُرْفَعُ أو يُنْصَبُ أو يَجْرُ .
ولا يتعرض لتوجيه الأعراب في هذه الأحوال .

٩ - يُكْتَفَى في تعريف المفعول معه أنه اسم منصوب تالٍ لو أو بمعنى مع ، لا يشترك مع ما قُبْلَهُ في الفعل .

وأضافت اللجنة إلى هذه البنود البند العاشر التالي :

« ١٠ - في مصدر الفعل الأجوف واسمي الزمان والمكان منه ، يقال فيه بجواز الفتح والكسر ، مثل مسار ومسير ومطار ومطير - للمصدر الميمي واسم الزمان واسم المكان » .

وهذا البند من قرارات لجنة الأصول في الدورة السادسة والأربعين ؛
أما البنود التسعة السابقة فتلتقي مع قرارات المجمع في دورته الخامسة والأربعين وما قبل ذلك ، وهناك بنود صرفية أُخِذَ فيها بقرارات سابقة للمجمع .

وشكر المؤتمر بعد اطلاعهم على هذا التعليق للجنة الأصول جهودها الكبيرة .

١ / سابعاً : أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمر في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب المحالة إليه عن طريق مجلس المجمع ؛ وفيما يلي عرض موجز لمناقشاته وما اتخذته من مقررات :

أولا : الألفاظ

١ - المعلن اليه

قررت اللجنة ، بعد مناقشة الموضوع ، ما يأتي :

« مما يشيع في لغة أهل القضاء قولهم : المعلن اليه أي الشخص الذي يصل اليه اعلان بالحكم أو بالقضية .

ويؤخذ على هذا التعبير أن لفظ المعلن مُعَدَّى بالي مع أن فعله (اعلن) مُعَدَّى بنفسه ، يقال : أعلن رأيه ، وأعلن أمره .

ولكن تعدية اعلان بالي أمر جرت به أقلام بعض اللغويين منذ وتنت طویل ، اذ فسر صاحبا القاموس واللسان : عالنه بقولهما : أعلن اليه . هذا مع امكان أن يكون الكلام من باب القطمين ؛ واذاً يكون أعلن قد عُدِّي بالي لانه بمعنى أوصل .

وعلى ذلك يكون التعبير القضائي صحيحا يجري على سنن العربية وضوابطها » .

وبعد مناقشة قصيرة وافق المؤتمر على القرار بالإجماع ، — مع اضافة الجملة التالية الى التعليل : « خلا عن ازالة الالتباس بين المعلن والمعلن » .

٢ - التطويع

ناقشت لجنة الألفاظ والأساليب الموضوع المعروض عليها وانتهت الى القرار التالي :

« يشيع بين المعاصرين استعمال (التطويع) بمعنى الاختصاص والتذليل في نحو قولهم : تطويع التلاميذ، أو تطويع القاعدة ، أو تطويع —

اللغة ؛ وقد يؤخذ على هذا الاستعمال أن المعجمات لم تثبت هذا المعنى لكلمة تطويع ، وإنما أثبتت لها معاني أخرى كالتزيين والمطاوعة ، كما هي قوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾ .

وفي اللغة طاع يطوع ، وطاع يطاع بمعنى : أشاد ؛ ويجوز أن يُضَمَّفَ هذا الفعل الثلاثي اللازم — للتعدية — فيصير : طَوَّعَ بمعنى : أخضع .

وإذاً يكون المصدر وهو التطويع من الفعل طَوَّعَ المتعدي مؤدياً لمعنى الاخضاع والتذليل والتيسير ؛ ولا اعتراض على هذا لأن الفعل الثلاثي اللازم مُتَعَدٍّ بتضعيف عينه .

ولهذا ترى اللجنة أن لفظ التطويع صحيح في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه » .

وبعد مناقشة سريعة وافق المؤتمر على القرار بالاجماع .

٣ — الانضباط

انتهت لجنة الالفاظ والأساليب الى القرار التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال لفظ الانضباط مراداً به حدوث الضبط والتزام القواعد أو النظام العام ؛ ويؤخذ على هذا الاستعمال أن أمهات المعجمات العربية لم تثبته ، وإنما أثبتت ضَبَطَهُ ضَبْطاً وَضْبَاطَةً . وإذا كان الانضباط يمكن أن يكون مصدراً للفعل انضبط الذي هو مطاوع للفعل ضبط الثلاثي المتعدي — والمطاوعة هنا تنطبق عليها الضوابط التي أقرها المجمع في قياسية المطاوعة — فإن اللجنة تجيز لفظ الانضباط في المعنى الذي يستعمله المعاصرون » .

وقبل المؤتمر هذا القرار بالاجماع ، بعد مناقشات حول طبيعة المطاوعة والتعدية والقياسية فيها .

٤ - التصويب

انتهت اللجنة الى ما يلي :

« جاء في المعجم الوسيط : صَوَّبَ الشَّيْءَ : صَحَّحَهُ ، على معنى انه عالجه بما يجعله صحيحا .

وهناك مَنْ تَوَقَّفَ في هذا ، بدعوى ان تلك الدلالة ليست في مسموع اللغة ، وانما المسموع : صَوَّبَ الشَّيْءَ : رآه او عَدَّهُ صوابا (٢٦) .

وترى اللجنة ان ما سجله المعجم الوسيط من هذا الاستعمال ، له سنده في لغة العربية ؛ فان التعدية تحمل معنى الجعل والصيورة ، كما تقول : حَقَّقْتُ الكتاب ، وصَحَّحْتُ الحديث ، وَذَهَبْتُ الاناء ؛ وعلى هذا تصويب الكلمة جَعْلُها صوابا ؛ وذلك بادخال عنصر تصحيح عليها او بديل يجعلها جذيرة بالحكم لها بالصواب ، وهذا تَصَرُّف مجازي سائغ » .

وبعد المناقشة اجاز المؤتمران القرار بالاجماع .

٥ - تصويب كلمات مزيدة بالهز

انتهت اللجنة الى ما يلي :

« يجري في استعمال الكتاب قولهم : عَمَلٌ مُرَبِّكُ ؛ وقولهم : اشهار المزداد او البيع ؛ وقولهم : هذا التصرف يُضِرُّه بضم الياء ، وقد أُضِرَّ في هذا الحادث .

وللناقد ان يتوقف في اجازة هذه الاستعمالات لان المسموع في افعالها انها ثلاثية متعدية بنفسها الى المفعول ؛ واللجنة لا ترى مانعا من اجازتها على اساس ان اَفْعَلَهُ بمعنى فَعَّلَهُ مَوْرَدٌ منه في اللغة عشرات من الكلمات . وان صيغة المزيد انها عُدِلَ اليها لما فيها من الاسراع الى افادة

التعدية ، ومن قياسية مصادرها ، ويسر الضبط لماضيها ومضارعها » .

ووافق المؤتمر على اجازة القرار بالاجماع .

٦ - التصفية

انتهت اللجنة الى القرار التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : تصفية المشكلات ، وتصفية الخلاف ، وتصفية البضائع ، وتصفية الحساب ، مرادها بها الانتهاء والحل والإزالة .

وقد يبدو للناقد المتعجل أن استعمال هذا المصدر بهذا المعنى غير جارٍ على سنن العربية؛ لأن معنى الصفاء في اللغة هو الخلو من الكدرة والخلاء مما يشوب ، فيقال : أَصْفَى الشاعر : انقطع شعره ، وأصفت الدجاجة : انقطع بيضها ، وأصفى الأمير الدار : أخلاها .

ولما كان الإصفاء والتصفية تجمعهما مادة واحدة هي (صفا) فإنه يجوز قياس صفى على أصفى بمعنى ما تؤول إليه التصفية ، وهو الانتهاء والإخلاء والإزالة .

ولهذا ترى اللجنة أن التصفية في معناها المعصري بمعنى الإزالة والحلّ والانتهاء صحيحة ، ولا مانع من تداولها في أساليب الكلام » .

وبعد مناقشة وجيزة أجاز المؤتمر الكلمة .

٧ - الأنشطة

انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال « الأنشطة » مراداً بها الدلالة على جملة الأعمال المتنوعة التي يمارسها المرء أو الجماعة في الحياة العامة

من رياضية واجتماعية وثقافية .

وقد يؤخذ على هذا الاستعمال أن الأنشطة جمع نشاط ، وهو مصدر ، والاصل في المصدر الا يثنى ولا يجمع ، لانه يدل على القليل والكثير ، ثم ان جمعه في حالة جوازه على صيغة افعله غير مسموع .

واللجنة ترى اجازة التعبير على اساسين :

الاول : ان جمهرة علماء اللغة يجيزون جمع المصدر اذا تعددت أنواعه ؛ والنشاط متعدد الانواع .

والآخر : ان جمهرة علماء التصريف يجيزون فعلا على افعله جمع قلة ؛ هذا وقد سبق للجمع ان اصدر قرارا يجوّز فعلا على افعله جمع قلة .

ودارت مناقشات انتهت باجازة القرار بالاجماع .

٨ — هذا عامل كسول

ناقشت اللجنة الموضوع واتخذت القرار التالي :

« يُخَطّئ بعض الباحثين مثل هذا التعبير ، ويقولون ان الصواب فيه كَسِلٌ أو كُسْلان ، لان المعجمات اثبتت لفظ الكسول بين اوصاف المؤنث دون الذكر .

درست اللجنة هذا ثم انتهت الى ان التعبير صحيح بدليلين :

(١) ان صيغة فعول جاءت كثيرا مشتركة بين المذكر والمؤنث مثل : غُيِرَ وكُنُوذ وعُضُوب ؛ ولا مانع ان يكون « الكسول » مثلها ، اذ الكُسل في اصله من المعاني المشتركة بين الجنسين .

(٢) انه قد ثبت ورود لفظ الكُسل عنه وصفا للمذكر في بيتين من الشعر وهما : قول الشاعر الجاهلي أُحِيْحَةُ بن الجُلاح (كما في

الصاحح مادة زمل) :

لا وابيك ، ما يغني غنائي من الفتیان زُميلُ كسولُ

وقول الراعي في ملحته :

طال التقلب والزمان ورايه كسل ويكره أن يكون كسولا

وعلى هذا يكون مثل قولهم : عامل كسول ، صحيحا لا مانع من

استعماله .

وبعد المناقشة وافق المؤتمر بالإجماع على اجازة القرار .

ثانيا : الأساليب

١ — ما هي الأسباب — ما هو رأيك — من هو مؤسس الدولة ؟

انتهت اللجنة الى القرار التالي :

« يخطئ بعض نقاد اللغة ما تجري به الاقلام في اللغة المعاصرة من

امثال هذه التعبيرات التي يُستعمل فيها الضمير بعد (ما) أو (من)

الاستفهاميتين ؛ وحجّتهم في ذلك أن الضمير لا مرجع له هنا بحسب

الظاهر .

وقد انتهت اللجنة بعد دراسة المسألة الى انه يمكن تخريج هذه

التعبيرات ونحوها بأحد الأوجه الآتية :

١ — أن يكون الضمير ضمير فصل ليدل على أن ما بعده خبر عما قبله .

٢ — أن يكون الاسم الظاهر بدلا من الضمير قبله .

٣ — أن يكون الضمير مبتدأ ثانيا وما بعده خبر والجملة خبر المبتدأ الاول .

ولهذا ترى اللجنة أن هذه التعبيرات المذكورة فيها يستعمل

المعاصرون صحيحة » .

ووافق المؤتمر على اجازة القرار بالاجماع .

٢ — دلالة الحرف (عن) في محدث الاستعمال

انتهت اللجنة الى القرار التالي :

« يجري في الاستعمال مثل قولهم : تقرير عن مشكلة التعليق —
الاساسي ، ومحاضرة عن تربية الاسماك ، وحلقة اذاعية عن النقود
الادبي .

ويلاحظ ان (عن) في هذه التعبيرات غير دالة على (المجاوزة) التي
هي المعنى الاصلي للحرف في ظاهره .

وقد استبان للجنة ان (عن) في هذه الاستعمالات ونحوها تدلّ على
معنى الاتصال والتعلق والارتباط ، وقد نبّه فقهاء اللغة الى ان دلالة (عن)
الاصلية على (المجاوزة) تتضمن معنى : (اللصاق) او (السببية) او
(الظرفية) بمعنى (في) وقد فسّرت بذلك شواهد من المنثور والمنظوم في
نصيح الكلام .

لهذا ترى اللجنة اجازة امثال تلك الاستعمالات .

وبعد مناقشات حول هذا القرار اعلنت موافقة المؤتمرين على اجازته
بالاجماع .

٣ — تعريف كلمات في محدث الاستعمال

انتهت اللجنة بالمناقشة الى القرار التالي :

« يشيع في اللغة العصرية ايقاع كلمات موقع الظرفية المكتابة ،
على حين انها ظروف مختصة غير مبهمة ، وذلك مثل : طيّ ، ضمن ، باطن ،
ادناه ، رفق (بفتح الراء) ، وسط (بفتح السين) فيقولون : ارسلته طيّ

كتلبي ، قَدِّمْتُهُ ضِمْنَ أوراقي ، رفق هذا مذكرة ، جلس وَسَطَ الدار .

ويرى بعض الباحثين أن هذه الاستعمالات لا توافق اللغة ، لأنها ظروف مختصة ، لا بد أن تُسَبِّقَ بحرف الجر ، وقد بحثتها اللجنة وانتهت الى اجازتها بناء على أن النحاة قد أجازوا من قبل كلمات منها : جهة ، ووجه ، وناحية ، وداخل ، وخارج ، على أساس أنها تشبيهة بالجهات في الشئوع ، وأنها لا تخلو من الإبهام وعدم الاختصاص ، على الاتساع ، سواء أكانت الاسماء مصادر أم كُنَّ غير مصادر .

وأجاز المؤتمر هذا القرار بعد مناقشته ، وشكر الرئيس للجنة ولقررها جهدهم الطويل .

ثامنا : أعمال لجنة اللهجات

عُرِضَت أعمال لجنة اللهجات على المؤتمر ، وكان مجلس المجمع أحالها اليه ، بعد تعديله بعض ما فيها وموافقته عليها .

وكانت لجنة اللهجات درست جملة من المسائل ، وانتهت الى قرارات ؛ وفيما يأتي موجز لما تم فيها :

١ - الظواهر اللغوية للهجات العربية القديمة

كانت اللجنة قد عُرِضَت على مجلس المجمع ومؤتمره في الدورات : ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ مجموعات من المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة ، فووفق على طائفة منها ، كالتثنية والتثنية والقطعة . ورات اللجنة الانتقال من مرحلة رصد الظواهر الجزئية ، الى مرحلة رصد الظواهر الكلية لقبيلة بعينها . . .

وقد قامت اللجنة بجمع ما يتعلق باللهجات القديمة في لسان العرب ونقل نصوصه في جزايات ، وصنفت المادة المجموعة بطريقة تُيسِّر الانتفاع

بها في البحث ؛ وكان التصنيف وفقا لمستويات اللغة بالترتيب الآتي :

ما يتصل بعلم الأصوات ، وما يتصل بعلم الصرف ، ثم ما يتصل بعلم النحو؛ وفي هذا العام رجعت الى ما وجدته من تلك الجزازات . وشرعت في استخلاص **الخصائص** مستأنسة بما كُتِبَ من دراسات وبحوث في القديم والحديث ...

وقد انتهت اللجنة الى قرارين في لهجتي **طيء وهذيل** ، **محبوبين** بالمذكرات المقدمة من الدكتور رمضان عبدالنواب في خصائص لهجة **طيء**، والدكتور أحمد علم الجندي في خصائص لهجة **هذيل** .

أما القرارات فهي :

١ — الظواهر الصوتية في لهجة **طيء** هي :

١ — **الميل الى التخلص من صوت الهمزة** ، مُتَبَدِّلُ حَرَمًا من جنس

حركة ما قبلها مثل : **يؤاخي** ، **ويؤاكل** ، **ويؤاسي**، فتصير :

يواخي ، **ويواكل**، **ويواسي** ؛ أو يبدلونها هاء في بعض المواضع،

يقولون : **هَنْ مَعَلْتُ** ، يريدون **إِنْ نَعَلْتُ** .

٢ — **جهر السين والصاد** ، بقلبيها **زايا** ، فيقولون في **سَقَر** و**صَقَر** :

زُقَر و**زُقَر** .

٣ — **قلب الياء والواو ألفا** ولو لم يكن ما قبلهما مفتوحا فيقولون :

بَقَى و**بَقِيَّتْ** مكان : **بُقَيِّ** و**بُقِيَّتْ** .

٤ — **قلب الف المقصور ياء** فيقولون : **أفمي** و**حبلي** مكان : **أفمى**

و**حبلى** .

ب — الظواهر الصوتية في لهجة **هذيل** أهمها :

قلب الف المقصور ياء عند اضافته الى ياء المتكلم ، ثم تدغم الياء في الياء مثل : فتَيّ وهويّ، وبعد قراءة المذكرات المشار اليها جرت بعض المناقشات حولها، ثم أعلن الرئيس الشكر للجنة على جهودها .

ب — ما بين الفصحى والعامية من الوحدة في الالفاظ

تُعنى لجنة اللهجات بالحديث منها كما تُعنى بالقديم ؛ وقُدِّمت هذه السنة الى المؤتمر طائفة من الالفاظ العامية التي تجري في البيت والمصنع والسوق والحقْل ، مستهدفة توثيق علاقتها بالفصحى ، والتنبيه الى انه لا وجه لاغفالها او الترفع عنها في لغة الكتابة، وهي تُعائش الحياة اليومية في التفاهم والتحدث والخطاب .

وتأمل اللجنة أن تواصل دراستها لمجموعات متتابعة من الالفاظ، وُصلاً لجهود الباحثين في مختلف البلاد العربية خلال قرن مضى في ابراز العروة الوثقى بين الفصحى والعاميات في اوطان العروبة .

وقُدِّمت اللجنة قائمة بمئة كلمة عامية ، سجلتها معجمات الفصحى في مفرداتها ؛ وفيما يلي بعض منها :

المُئِيل : الولد

الشُّجِيع : الشُّجاع

الشَّبَّ والشَّبَّة : الشاب والشابة

السُّبوع : الاسبوع

الرَّيْحة : الرائحة

حَرَج : حَرَم وَضَيْق

زُوق : زَيْن

المراجيح : الاراجيح

محصور : حابس البول

السُّفرة : المائدة

الزُّور : القوة والشدة

الجُرْسَة : الفضيحة وسوء السمعة

الاطرش : الاصم

حَوْش : جمع

الشَّطَّ : الشاطئ

بَيَّاع : بائع

حَوْد : مال

الصيغة : المصوغات

الضَّنَا : الولد والنسل

هَجَّ : شرد ونفر

وجرت مناقشات طريفة حول بعض الالفاظ ودورها في الشعر القديم؛
وشكر الرئيس للجنة جهودها آملا مواصلة في سبيل التقريب بين لغة
الناشئين التي تدرسوا بها وما يُعْرَض عليهم في الكتب المدرسية في مرحلة
التعليم الاساسي .

تاسعا : جلسة الختام

عقد المؤتمر جلستهم الختامية صباح يوم الاثنين في الرابع عشر من
جمادى الاولى ١٤٠٠ هـ وفق الحادي والثلاثين من آذار (مارس) ١٩٨٠م،
عُرِض فيها الدكتور مهدي علّام، أمين المجمع، ما انجزه المؤتمر خلال هذه
الدورة؛ ثم تليت اقتراحات الأعضاء وملاحظاتهم حول الجهود المبذولة في
سبيل تعريب التعليم الجامعي، وتوحيد المصطلح العلمي ، وحول مؤتمرات
التعريب التي تدعو اليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؛ وتسائل

بعض الأعضاء عما تم بالتوصيات السابقة للمؤتمر ، من أجل اعداد العاملين بالاذاعة المسبوعة والرئية ، وما يتعلق منها بلغة المسرحيات والتثيليات والصحف ، والدعوة الى الاقتصاد على استخدام لغة فصحي يسهل فهمها على العربي من مختلف المستويات وفي جميع اقطار العروبة .

وطالب بعض الأعضاء ببذل جهود لتكوين هياة ذات سلطات نافذة تقوم بالتنسيق مع اتحاد المجامع العربية بتوحيد المصطلح العلمي ونشره في انحاء العالم العربي .

وبعد اقرار التوصيات النهائية للمؤتمر ، تقرر تبليغها الى سائر المجامع العربية، وانى كل من اتحاد المجامع، والجامعات، وجامعة الدول العربية، والمنظمات الاخرى، ووزارات التربية والتعليم، والثقافة والاعلام في جميع البلاد العربية .

ثم تبادل عدد من الأعضاء كلمات وداعية ، مبدئين أسفهم لامتقادهم وجوها كريمة من أعضاء المؤتمر غابت عنهم في هذه السنة .

والقى الدكتور عز الدين عبد الله كلمة واعية، ضَمَّنْها الاسى لعدم التثام شمل جميع العاملين في خدمة العربية ، تبعا للظروف السياسية المؤلمة التي فُرِّقَتْ كلمة العرب وشَتَّتَتْ صفهم ؛ ورجا أن تتبدل هذه الظروف لتساعد جميع أعضاء المؤتمر على حضور المؤتمر القادم .

ووقف الدكتور اسحق موسى الحسيني ليشكر القائمين على المؤتمر بالغ حفاوتهم ، وليشاطرهم الأمانى في مستقبل مضيء، عسى أن يكون قريبا ؛ فاذا بأبيات من الشعر تنثال عليه فيقول :

في كل عام لنا في مصر مَادِينَةٌ
غنيةٌ بغذاء الروح والجسدِ

فلتبقُ مصرُ على الأيام شامخةً
تزداد خيراً بلا حدٍّ ولا عددٍ
وليُبقُ مجتمعنا للعرب مؤنّنةً
تُذاع من فوقها الفصحى الى الأبدِ

وقبل أن تلتهب الأكف بالتصفيق استحساناً ، لاحظ المؤتمران دمعتين تتلألآن في عيني الدكتور الحسيني ، وهو يتطلع الى مقاعد أبناء الأقطار العربية التي شغرت بغيابهم ؛ فكانت الدمعتان أبلغ من أي كلمة قيلت في حال الأمة العربية وما آل اليه من تشتت وفرقة في السياسة ؛ حال على بالغ سوءه ما كان ينبغي أن يبدو في مؤتمر لا هدف له الا خدمة لغة الذكر الحكيم .

ثم أعلن الدكتور أبراهيم مدكور، رئيس المؤتمر، ختام الدورة السادسة والأربعين ، متمنيا للأعضاء كل خير، آملا اللقاء بهم في الدورة القادمة التي ستعقد ان شاء الله في الأسبوع الثاني من شباط (فبراير) سنة ١٩٨١ .

عدنان الخطيب



(١) ألقى البحث الدكتور مهدي علام نيابة عن صاحبه ، وقد عاقته ظروف صحية من متابعة أعمال المؤتمر .

(٢) الآية ٢ من سورة الحج ٢٢ .

(٣) الآية ١٨ من سورة المزمل ٧٢ .

(٤) وردت لفظة السماء في القرآن الكريم عشرات المرات ، وصفت كلها بمؤنست ، إلا في موضعين ، أحدهما المسألة المبحوث فيها .

(٥) الآية ٩ من سورة الحجرات ٤٩ .

(٦) جاء في تفسير الإمام النسخي في هذه المسألة : « وقيل (مرضعة) ليدل على أن ذلك الهول إذا حدث وقد أُلْقِيَت الرضيع نديها نزعت من فيه لما يلحقها من الدهشة . إذ المرضعة هي التي في حال الارضاع ملققة نديها الصبي ، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تبشر الارضاع في حال وصفا به » أنظر ص ٤٢٤ ، ج ٢ من مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٧) أنظر القسم الاول من هذا البحث المتع في أبحاث مؤتمر الدورة الخامسة والإربعين ؛ وسبق للمجلة أن نشرت وقائع هذا المؤتمر في العدد المزدوج (٣ - ٤) .

(٨) طُفِيل ، وزن زُبَيْر ، اسم ابن زلال الكوفي ؛ كان يدعى طفيل الأعراس ، لانه ياتسي الولائم من دون دعوة (القاموس المحيط) .

(٩) ليست الكلمة في عامية أهل مصر فحسب ، فهي وأمثال لها في عاميات بلاد الشام وأقطار أخرى ؛ وهي وإن بدا أنها بولدة ، فقد جرت منذ القدم على السنة الفصحاء وعلى أعلام كبار الكتاب .

(١٠) من هذه النصوص يبين أن الرسم الصحيح لكلمة (سورية) الاسم الذي عرفت به بلاد الشام ، يكون بالثاء المربوطة ، وهي مضمومة السين بخفة الياء ، وهو الرسم الشائع بين الكتاب في سورية نفسها . كما أن الحكومة السورية تلزم به دوائرها (بلاغ ١٩٥٥/٥/٢١ وتعميم ١٩٦٢/١/٦) ، خلافا لما جرى عليه الكتاب في مصر . وقد أشار المرحوم عبد القادر المغربي الى خطأ رسم سورية بالالف (أنظر كتابه عشرات

اللسان ، دمشق ١٩٤٩) وكان الأمير مصطفى الشهابي من المتعصبين الى كتابسة سورية بالنقاء المربوطة ، تبعاً للسليقة العربية ، وتقيداً بقرار مؤتمر المجمع الذي يرجع الرسم الصحيح (انظر كتابه المصطلحات العلمية ، دمشق ١٩٦٥ - ومحاضر المؤتمر في دورته ٢٨) .

(١١) يقول فيليب حتي ان اسم سورية يوناني (انظر تاريخ سورية ص ٦٢ ج ١ بيروت ١٩٥٨) ويربط هرتزلد اسم سورية بكلمة آشور ، او اثورا (انظر مجلة مجمع دمشق مج ٢٢ ص ١٧٨) والمؤرخون السريان يوسون سورية الى سورس ، أو كورش ، ملك فارس ومادي (انظر كنيسة انطاكية للبطريرك يعقوب . دمشق ١٩٧١) .

(١٢) ورد اسم سورية في بحث الاستاذ هارون بلال تبعاً للرسم الشائع في مصر. وما هو جدير بالتنويه ان الاستاذ وهيب دياب كان أشار في نقده معجم تهذيب اللغة للأزهري، الذي حققه الاستاذ هارون ، الى هذا الامر (انظر « المجلة العربية » السعودية ، عدد ٥ سنة ٢ / ١٩٧٧) .

(١٣) هذا هو رسم الكلمة في النص الأكثر شهرة والاصح ، وهو المعتمد في كتاب «مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي والخلافة الراشدة » ، ل محمد حميد الله، تحت رقم ٢٦ - القاهرة ١٩٥٦ . وما هو جدير بالتنويه ان الحسين ملك الاردن اعلن في نيسان (ابريل) سنة ١٩٧٧ ان اهل كتاب النبي (س) دخل في حوزته بعد ان عرضته على خبراء الآثار والمخطوطات المالين واقرّوا بصحته . وفي رسمه اختلاف بين (انظر مجلة اكتوبر القاهرية عدد ٢٥ الصادر في ١٧ ابريل ١٩٧٧) .

(١٤) انظر جماع ذلك كله في شرح الامام النووي لصحيح مسلم ص ١٠٩ ج ١٢ القاهرة ١٩٣٠ - وجميع المصادر التي تضمنت النص على اختلاف الروايات بمشار اليها في كتاب حميد الله السابق ذكره .

(١٥) انظر ما جاء في اللسان وما جمعه الزبيدي في التاج، بينما قال ابن فارس « البهسرة والراء والسين ليست عربية . ويقال ان الاراريس : الزارعون وهي شامية ! » واثى المعجم الكبير على ما ذكره ابن فارس وعلى ما ورد في المعجمات الاخرى ، وكثير

منها تستلقت صحته النظر !

(١٦) . اورد الطبري في تاريخه خبر كتاب النبي الى هرتل، واثبت نصه بصيغة : « وان تقول »

من اثم الأكارين عليك » انظر ص ٦٤٩ ج ٢ من طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦١ .

(١٧) جاء في الرواية التي اثبتها القاسم بن سلام : « .. وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين

الاسلام » لم قال : « لم يرد الفلاحين خاصة ولكنه اراد اهل مملكته جبيما » . انظر

ص ٣٢ ج ١ من كتاب الاموال . القاهرة ١٣٥٢ .

(١٨) انظر شرح الامام النووي السابق ذكره آنفا - وقارن مع ما أورده ابن منظور لسي

اللسان من الاروسية . وكان أبو الفتح الشهرستاني ذكر أن النصراني افترقا اثنتين

وسبعين فرقة، وذكر أهم الفرق وما انشعب منها دون أي إشارة الى الاروسية ! غير

انه نقل بعض اقوال آريوس قائلا : « وهذا آريوس قبل الفرق الثلاث ، فترأوا منه

لمخالفتهم اياه في المذهب » . انظر كتاب الملل والنحل ص ٢٠٨ ج ١ القاهرة ١٩٥٦ .

والتم محمد أبو زهرة بخلف الفرق والمذاهب النصرانية، ويراي آريوس مشيرا

الى انتشار هذا الراي في مصر والشام ومقدونية . انظر « محاضرات في النصرانية »

القاهرة ١٩٦١ .

(١٩) عاش القس آريوس في الاسكندرية في أوائل القرن الرابع بعد الميلاد ، وأعلن اراءه

في طبيعة المسيح حوالي سنة (٣١٨) ، معارضه فيها كبير الاساقفة، ودعا السي

حرمه ؛ غير أن أعوانه اختلفوا فيه ، وعرض الامر على الامبراطور قسطنطين بعد

نصره، ندما الى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ، وانتهى المجمع الى حرم آريوس واتباعه ؛

ففناه الامبراطور ثم عفا عنه ؛ ويقال انه مات مسموما سنة ٣٣٦ (انظر ول ديورانت

في « قصة الحضارة » ج ٣ مج ٢ القاهرة ١٩٥٥) .

ولما مات قسطنطين سنة ٣٣٧ خلفه على العرش في الشرق ابنه قسطنس ،

وكان متعاطفا مع الاروسيين ، نازداد انتشار المذهب ورسوخه ؛ ولم يقتصر انتشاره

على المشرق فحسب بل انتشر في الغرب ايضا ، وكان الخلاف حول الاروسية شديدا

في اسبانيا قبل فتح العرب لها (انظر قصة الحضارة المرجع السابق ذكره ج ١ مج ٤)

(٢٠) حدث من عهد قريب أن أعلن رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) في وصية طريفة له أتباعه آراء أريوس . انظر مجلة الحوادث البيروتية العدد ١٠٨٤ الصادر بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٧٧ . وانظر ما أعقب اعلان هذه الوصية من ردود وبحوث حول الاروسية في مختلف المجلات العربية — وانظر ما علق به على هذا الموضوع انور الجندي في كتابه « صفحات مضئنة من تراث الاسلام » ص ٣٧١ القاهرة ١٩٧٩ .

(٢١) مؤرخو النصرانية في غالبيتهم يوجزون البحث في العقيدة الاروسية ومدى انتشارها باعتبارها بدعة تناقض الايمان الكنسي لسنة ٣٢٥ م ؛ غير أن واحدا من كبار الاحبار المعاصرين اعترف في تاريخه بأن (الاروسية التي نفذت الى الغرب باستيلاء البرابرة ، لم تكن راسخة شأنها في الشرق) . انظر « الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة » للبطريك برصوم ج ١ ص ٥٤٦ حصص ١٩٤٠ . وفي كتاب « تاريخ المالم » الذي نشره جون ا . هامرتن بالانكليزية ، واشترت على ترجمته الى العربية وزارة التربية بمصر بدءا من سنة ١٩٤٨ ، تجد تفصيلات هامة في هذا الموضوع ، كما تجد في كتاب « روما وامبراطوريتها » لاندريه ايمار وجاتين أوبويه ، الذي ترجمه يوسف اسعد داغر وفريد داغر ، تحليلات قيمة ، وهما يطلقان لفظة الآرية على الاروسية . بيروت ١٩٦٤ .

(٢٢) ترجم الزركلي للشاعر في اعلامه وقال فيه : « كان فيه اعتزاز وترفع ، قال من ابيات يمدح بها اسحق بن ابراهيم :

ان اكن مهديا لك الشعر اني لابن بيت تُهدى له الاشعارُ

واشار الزكلي الى المصادر التي اعتبدها في الترجمة للمهلب ، وذكر الموشح للمزبانم . وتاريخ بغداد للخطيب ، وسبط الآل ، ورغبة الآمل ، وبتيمة الدهر (الاعلام ج ١٠ ص ٢٤٢) .

(٢٣) تكاد تكون غالبية الضوابط المذكورة هي المعتمدة في سائر الاقطار العربية ، اما مسا شؤون ومسؤولية) لما زالت في اقطار كثيرة تكتب الهزرة فيها على واو على الاصل (٢٤) اشارة الى (الواو) التي سبقت كلمة ثامنهم في الآية ٢٣ من سورة الكهف .

(٢٥) من الكلمات التي يجيزها هذا القراء ، الاكالة والجرادة والجراشة والجزارة والحلافة
والخيطة والرسالة والمقاتلة والكسرة .

(٢٦) انظر مقال الاستاذ صبحي البصام في الجزء الاول من المجلد الرابع والخمسين مسن
مجلة مجمع اللغة العربية يمشق سنة ١٩٧٩ .

مع كتاب "الفرج بعد الشدة" للشنوشي

للدكتور إبراهيم السامرائي

مصنف الكتاب هو الشنوشي أبو علي الحسن بن علي القاضي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، صاحب «نشوار المحاضرة» . وكتاب «الفرج بعد الشدة» نشر غير مرة نشرات لم تتل شيئاً من الضبط والعناية ، شأنه شأن «النشوار» .

غير أن الأستاذ عبود الشالجي المحامي قد اضطلع بنشر «النشوار» بادية ذي بدء ، ثم أعقبه بنشر «الفرج بعد الشدة» . وليست بي حاجة الى بيان فضل هذه النشرة المحققة ، فقد أغناها الأستاذ الشالجي بفوائد سنينة ، وأخرج الكتاب بهياة حظيت بالاحسان التام والعناية الفائقة .

وكتاب «الفرج بعد الشدة» من كتب الادب العامة لما فيها من ادب كثير ؛ فقد اشتملت على طائفة من الشعر ، ومثلها من عيون النثر والملح والنوادر . ثم ان الكتاب مما لا يستغني عنه المؤرخ لعلاقة الاخبار والقصص المذكورة بأحداث تاريخية معروفة مشهورة . وهذا الضرب من التصنيف كثير في المكتبة العربية التي تتصل بالتراث المشترك بين الادب والتاريخ . ولعل هذا النمط غير بعيد مما عرفناه في كتابه (نشوار المحاضرة) من حيث الجمع بين فوائد عدة .

ان موضوع «الفرج بعد الشدة» معروف من اسمه ، فهو عرض

لأحداث وأخبار وقصص عرضت فيها الشدة والكرب لجماعة من الناس،
ثم هيا الله لهم فرجا قريبا خُفّف عنهم الكرب فقرّت نفوسهم .

قلت: ان الأستاذ الشالجي المحقق قد أعان الدارسين فهيا لهم كتباً فيها
جهد كبير وفوائد سنية . ولكني وددت أن أقف على أشياء يسيرة فأقول
فيها ما أقول :

الجزء الاول :

١ - جاء في الصفحة ٦٨ قول المصنف :

« عُلِّمَ أن البَشْرَى الأوَّلَةَ تمنع من ذبح اسحاق » .
عَلَّقَ الأستاذ المحقق على قول المصنف « الأوَّلَةُ » فقال :
« تعبير بغدادي بمعنى الاولى ، أما التعبير البغدادي الآن فهو
« الاولية او الاولانية » .

أقول : لقد وجدتُ الأستاذ المحقق يفرع كثيراً الى وصف طائفة
من المواد اللغوية بقوله : « تعبير بغدادي » ؛ ولا أدري كيف استطاع
أن يتوثق من عامية بغدادية في القرن الرابع الهجري ، وأين لنا
من المظان التي نعرف فيها هذه الشوارد العامية التي وصفت بـ
« التعابير البغدادية » ؟

أقول : كان دليل الأستاذ ما ذكره من التعبير البغدادي المعاصر
« الاولية او الاولانية » ؛ ولا أرى أن في ذلك ما يعين على معرفة
لسان دارج قديم ، فان لم يكن هذا فما الحاجة الى الاكثار من الوان
العامية البغدادية المعاصرة في هذا الكتاب؛ ا يكون ذلك من سبب
الموازنة أم يكون للفائدة التاريخية ؟

وقد وجدت أن كثيرا مما وصفه الأستاذ المحقق بقوله : « تعبير
بفدادي » هو من الكلم العام الشائع الذي نجده في مصنفات
شامية أو مصرية أو غيرها كما سنرى .

أقول : ليس من الصحيح أن نفرع الى القول بالعامية قبل أن
نتوثق مما في عريبتنا الفصيحة . جاء في ترجمة « وال » في « لسان
العرب » :

وحكى ثعلب : هن الأولات دخولاً والآخرات خروجاً ؛ واحدها
الأولة والآخره . ثم قال : ليس هذا أصل الباب، وإنما أصل الباب الأول
والأولى كالأطول والطولى .

وجاء في ترجمة « صَحَّح » في « لسان العرب » :

قال ابن جنى : الحاء الأولى من « صَحَّح » زائدة ، وذلك أنها
فاصلة بين العينين ؛ والعينان متى اجتمعتا في كلمة واحدة مفصولا
بينهما ، فلا يكون الحرف الفاصل بينهما الا زائداً نحو عَثُولٌ وَعَقَنُلٌ
وَسَلَالِمٌ وَحَفِيْفٌ • وقد ثبت أن العين الأولى هي الزائدة ، فثبت أن
الميم والحاء الأوليتين في « صَحَّح » هما الزائدتان ، والميم والحاء
الآخرتين هما الأصليتان ؛ فاعرف ذلك .

أقول : وهذا يعني أن « الأوله » لغة فصيحة وليس تعبيراً
بفدادي .

٢ - وجاء في الصفحة ٨٠ من قول المصنف ذكر « بختنصر » فعلق المحقق
بقوله : بخت نُصْر أو نبوخذ نُصْر ٦٠٤ - ٥٦١ ق. م ، ملك بابل ، أغار

على مصر ، وفتح اورشليم (انظر المنجد) .
اقول: ليس من الاصاله العلميه ان يُوثَّق العِلْمُ التاريخي ، وهو
مشهور في مظانه الموثقة ، بكتاب « المنجد » !

٣ - وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« وجا بدانيال » ، فعلق الأستاذ المحقق بقوله :

« جا » أصلها « جاء » ، حذفت الهمزة على طريقة البغداديين
في حذف الهمزة في آخر الكلمة ، قال الشاعر :
عُشِّيَّةُ جا اهلُ العراق كأنهم سحابٌ خريفٌ صَفَفَتُهُ الجَنائِبُ
(العقد الفريد ٤ / ٣٤٤)

اقول : ألم يكن من الأجود والأولى أن تعاد الهمزة الى الفعل
« جا » فيكون « جاء » ؛ وذلك لعلمنا الأكيد أن جمهرة النساخ في
المخطوطات كلها تتخفف من رسم الهمزة في اواخر الكلمات . رأيناهم
يكتبون « الأدبا » و « الألبا » و « السما » و « البيغا » وكنسرا
غير هذا بحذف الهمزة * ومن المعروف أن هذه من الأسماء الممدودة ،
ومدّها أكثر من قصرها ، وإن كان القصر جائزا وواردا ولا سيما في
الشعر ، فأعيدت الهمزة الى هذه الكلمات عند نشر الكتب .

ثم ان حذف الهمزة الأخيرة غير خاص بالبغداديين ، فهو أمر
شائع في بلاد العرب عامة ، في العربية الفصيحة واللسن الدارجة
قديمًا وحديثًا ؛ وكتب القراءات وكتب الأدب خير شاهد على هذا .

ثم ان استشهاد الأستاذ المحقق بالبيت دليل ضعيف ؛ ذلك ان
الشاعر ممتحن بالوزن ، وحذف الهمزة يني بالوزن وأبقاؤها يُخِلُّ به .

ولا أدري كيف جاز للمحقق أن يُعَدَّ قول « الشاعر » على طريقة
البفداديين وهو مجهول ؟ اليس من الجائز أن يكون أندلسياً أو مصرياً
أو شامياً ؟

٣ — وجاء في الصفحة ٨٣ قول الأستاذ المحقق في التعليق على كلمة
« الفرث » :

« الفرث السرجين ما دام في داخل الكرشي » .

أقول توخى الأستاذ المحقق أن يكون عمله مفيداً غنياً بما يحتاج
إليه القارئ وما قد يكون فيه غنى عنه . وما أظن أن هذه الفائدة
تدخل في جملة اضافاته الممتعة .

٤ — وجاء في الصفحة ٨٣ حاشية طويلة استهلكت صفحة وشيئاً من صفحة
عن « أبي سفيان » .

أقول : « الأصل في التعليق والحواشي أن تكون مما يفيد، كان
يكون التعريف برجل غير معروف لدى جمهرة القراء ، أو أن اسمه
من باب المشتبه، أو أنه عرض له تصحيف فأنفسده ؛ وفي هذه الأحوال
يكون عمل المحقق من الأعمال الجليلة . أما أن يكون تعريفاً بعلم
من المشاهير، كابي سفيان، فليس هذا مما يفتقر إليه الدارس الطالب
للفوائد . وإذا كان من تعريف لهذا المشهور، أفلا كان من الحق أن
يُكتفى بالقليل مع ذكر المصادر الضرورية المتقدمة لا المتأخرة ؟ ثم إن
الأستاذ المحقق بعد هذه البسطة الطويلة عن « أبي سفيان » ترك
المادة غفلاً من المصادر .

٥ — وجاء في الصفحة ٨٥ حاشية للمحقق عن كلمة « المنايق » ذكر فيها
علامة الاسم بالنافقاء وهو جحر اليربوع

ثم اعتمد في قوله هذا على « المنجد » ؛ ألم يكن من المفيد أن يرجع الى « لسان العرب » فيجد فيه « الربوع » و « نافقاه » ، ثم يجد فيه معنى « المنافق » في القرآن والحديث ، كما يجد فيه أنه من المصطلح الاسلامي ؟ وفي مجموع هذا فوائد لغوية وتاريخية .

٦ - وجاء في الصفحة ٩٢ في تعليق المحقق على « اليقطين » قوله :

اليقطين واجدته يقطينة وهو كل ما لا ساق له من النباتات كالقثاء

اقول : أليس من العلم أن يرجع الى « المنجد » في مادة قديمة هي « اليقطين » . ومن فوائد المحقق في هذه الكلمة اشارته الى أن القرع المستطيل يسمى في بغداد الآن : « الشجر » ، وفي لبنان نوعان هما الكوسة والقرع .

اقول : وفاته أن يشير الى أن « اليقطين » بهذا اللفظ ما زال معروفا لدى القرويين في جنوب العراق ولا يعرفون غيره من الأسماء .

٧ - وجاء في الصفحة ٩٣ قول المصنف :

« كهياة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش » .

فعلق المحقق بقوله :

الممعوط الذي سقط شعره ؛ وعامة بغداد يكون عن اوغل في الشر والحيلة بقولهم : « ذيب امعط » .

اقول : لا ارى مناسبة كبيرة تستدعي أن يشار الى قولسة البغداديين ، وان كان غير البغداديين من العراقيين وغيرهم يعرف « الامعط » .

٨ - وجاء في الصفحة ٩٨ قول المصنف :

ولكن أُطْلِهْ بِفِرَا ...

وعلق الأستاذ المحقق على كلمة « الفِرا » فقال : مادة لاصقة ؛
ما زال هذا اسمها في بغداد .

أقول : ان « الفِرا » أو « الغراء » معروف ، والاسم نفسه في
كثير من بلاد العرب في عصرنا هذا .

٩ - وجاء في الصفحة ٩٩ قول المصنف :

قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد

أقول : ليس في العربية مادة « دَاد » ؛ وعلى هذا ليس فيها
« دؤاد » ، بالهمزة ، من الأعلام ، والصواب : « دُواد » بالواو . وعرض
هذا الوهم لكثير من المحققين والناشرين .

جاء في « الاشتقاق » لابن دريد ص ١٦٨ قوله في الكلام على أبي
دواد الشاعر :

واشتقاق « دواد » من الدود ؟ والدوادة والدودة واحد .

أقول : ولم يرد هذا الاشتقاق في « اللسان » ؛ فقد جاء فيه
في ترجمة « دود » :

قال ابن الأعرابي : الدوادي مأخوذ من الدواد ، وهو الخُضف
الذي يخرج من الانسان ، وبه كني أبو دواد الأيادي .

وليس شيئاً اخلاف الاشتقاق بين ما ورد في كتاب الاشتقاق
لابن دريد . وبين ما ورد في « اللسان » ، ذلك ان الذي يهمننا هو

الأصل الواوَيّ لا المهموز .

١٠ — وجاء في الصفحة ١٠٠ قول المصنف :

« ان قوما ركبوا البحر فقام رجل من اهل المركب » .

فعلّق المحقق الفاضل على كلمة « المركب » فقال :

المركب واحد المراكب البحرية والبرية . وفي بغداد تعني الكلمة

المركب البحري اي السفينة .

اقول : والذي وعيته من أيام الصبا ان « المركب » في العراق

للسفينة النهرية كثيرا ، كما هي للسفينة البحرية .

١١ — وجاء في الصفحة ١٠٣ قول المصنف :

فجعلت بين يدي نَفَاطة . . .

فعلّق الأستاذ المحقق على « النفاطة » فقال :

النفط دهن معدني سريع الاحتراق توقد به النار ويُتداوى به . .

اقول : ما اغنانا عن هذه الحاشية المستقاة من « المنجد » الذي

ما أظنه « منجدا » في هذه الكلمة .

ثم تحدث الأستاذ المحقق عن التداوي بالنفط وكيف تُطلى به

الإبل الجرب مستفيدا ذلك من « لسان العرب » . ولم يكتف بهذا بل

رجع الى « قانون » ابن سينا ، و « مفردات » ابن البيطار في هذا

الموضوع .

وما أظن ان الامر محتاج الى هذا لا سيما اذا عرفنا ان « النفط »

لم يرد في النص بل وردت « النفاطة » وهي سراج يستضاء به .

اقول : كان على الأستاذ المحقق ان يشرح « النفاطة » ويشير

كمعادته الى « النفطية » وهي الاسم المتداول في عصرنا ببغداد وغيرها
من الحواضر :

ولم يكتف الأستاذ المحقق بهذا بل عرض للنفاطة وهي —
أدوات الحرب؛ وأشار الى استعمال الرشيد للنفاطة في حربه مع
الروم . وزاد فذكر أن « النفطة » : الموضع الذي يُسْتَخْرَجُ منه
النفط .

أقول : لقد أشرت في « المقدمة » الى جهد المحقق باغناء الكتاب
بالفوائد الكثيرة .

١٢ — وجاء في الصفحة ١٠٤ قول المصنف :

« ثم انتبهت فماذا أنا بمشعل قد أقبل من بعيد » .

فعلق الأستاذ المحقق تعليقا طويلا على كلمة « المشعل » ،
واستعمال البغداديين للمشاعل، وهيأته وما يوضع فيه من المواد
للاشتعال في رموسه .

أقول : وما أظن هذا الوصف مفيدا لغير العراقي ولا أخص
« البغدادى » وحده ؛ وذلك لأنه لا يعرفه ولا يستطيع تصويره .
والمشاعل أعمدة يمتد على أحد راسيها أعمدة أخرى بهياة عمودية ،
فيها رموس تحشى بالخيش وتشعل بعد غطسها بالنفط، وتستعمل
في مواكب التابئين بذكرى مقتل الامام الحسين عليه السلام، في أيام
المحرم العشرة الأولى .

وأفاد الأستاذ المحقق أن « المشعل » من أعلام الذكور ؛
ويصفون الجميل الوجه بأنه « مشعل » .

وقد افاض في هذا التعليق فذكر رجلا عاميا فيه كلمة المشاعل

وهذا كثير لعلّه يفتقر الى المناسبة وقيمتها . وفي الزجل كلمة
« اللالات » ، وهي عامية عراقية لنوع من المصاييح شرحها المحقق
شرحاً تاماً .

١٣ - وجاء في الصفحة ١١١ ذكرُ أبي الحجاج مجاهد بن جبر، مُعلق الاستاذ
المحقق بقوله :

ترجم له صاحب « الخلاصة » ص ٣١٥ ، وصاحب ميزان
الاعتدال ٤٣٩/٣ .

أقول : وكان من المفيد أن يشار الى المصادر الأخرى ؛ إما كان
من المفيد أن يستأنس بالمصادر التي أثبتتها الزركلي في « الاعلام »
وفيهما سير « اعلام النبلاء » و « غاية النهاية » و « الارشاد »
وغيرها ؟

١٤ - وجاء في الصفحة ١١٠ تعليق للمحقق على أبي الاحوص عوف بن
مالك بن نضلة الجشمي، قال فيه :

ترجم له صاحب الخلاصة وقال : انه قُتل أيام الحجاج .

أقول : وفي تاريخ بغداد ١٢ / ٢٩٠ ترجمة مفيدة لأبي الاحوص
هذا .

١٥ - وجاء في الصفحة ١٦٩ تعليق طويل على « عبد الله بن الزبير » من
دون ذكر أي مصدر .

أقول : ولا أريد هذا وحده، ولكني أقول أننا في غنى عن التعليق
على الاعلام المشهورة كابن الزبير هذا * ومثل هذا ما ورد من
ترجمة مُمز الدولة بن بويه صاحب العراق، في الصفحة ٩٤ ، ومثل

هذه التراجم للأعلام المشهور قدر عظيم في « الفرج بعد الشدة » .

١٦ - وجاء في الصفحة ١٧٦ تعليق الاستاذ المحقق على قوله تعالى
« فان العسر يُسراً » .

قال الاستاذ المحقق : اليسر اللين والانتقاد ؛ واستشهد بقول
الشاعر :

قوم اذا شؤسوا جَدَّ الشماس بهم ذاتِ العناد وان ياسرتهم يسروا
ثم قال :

والعسر الضيق والشدة ؛ قال الشاعر :

... ..

اقول : ما اظن ان اليسر والعسر من الكلم اللغوي السذي لا
يعرفه القارئ العام بله الخاص . ان الآية الكريمة من الآيات التي
يستشهد بها ، وقد ترد في كلام العامة، فهي مما يعرفون ويرددون .

١٧ - ومثل هذا الشرح للكلم المعروف تعليق المحقق على « البرد » وشرحه
في الصفحة ١٨٠؛ وهو مما يعرفه عامة القراء .

اقول : كان الاستاذ المحقق حين شرح « البرد » اراد ان يقول
لنا ان « البغداديين يسمونه الحلوب » فاذا أصيب الزرع بالبرد
قالوا : تحولب فهو محولب .

وهذه اضافة مفيدة لولا تخصيصها بالبغداديين ، وذلك لان
عامة العراقيين يعرفون هذا .

١٨ - وعلق المحقق في الصفحة ١٨٣ على « الجبل » فقال :

اسم شامل لاقليم عراق العجم ... (المشترك صقعا

لياقوت ص ٩٥) .

واضاف : ادركت الناس ببغداد وهم اذا ذكروا الجبل فهم يريدون جبل بشت كوه في بلاد ايران

اقول : وليس من صلة بين اقليم الجبل في كتب البلدان القديمة وبين المتعارف في العراق عن « الجبل » الا من باب « الشيء بالشيء يذكر » !

١٩ — وجاء في الصفحة ١٩٠ كلام على الحجاج من زيادات الاستاذ المحقق استوفت ثلاث صفحات، وقد ضُمَّت الى مادة الكتاب دون الاشارة الى انها تعليق المحقق .

اقول : وليس هذا مقبولا ؛ والصحيح أن يشار الى ان هذا من كلام الاستاذ المحقق، وهو حاشية وتعليق، لا أن يُضَمَّ الى مادة الكتاب .

ثم ان ثلاث الصفحات كثير في حاشية او تعليق ، وهي تشتمل على اخبار الحجاج وظلمه بداها بقوله :

وبلغ من شنيع سمعة الحجاج وشهرته بالظلم

اقول : وستأتي حواشي أخرى تعليقا على الحجاج يؤلف مجموعتها صفحات عدة، وكلها مُحْكَم على نص الكتاب من غير اشارة الى انها تعليقات .

٢٠ — وجاء في الصفحة ٢٠٣ قول المصنف :

« اتعلَّمتُ السحر ؟ »

فراح الاستاذ المحقق يتحدث عن « السحر » في « لسان

العرب « وفي آي القرآن الكريم ، وما ورد في « الفهرست » لابن
النديم في المقالة الثامنة عن المعزمين والمشعبذين والسحرة ...
ثم قال : انظر دائرة المعارف الاسلامية .

اقول : ما اظن أن كلام المصنف محتاج الى هذا العرض الوافي
عن « السحر » .

٢١ - وجاء في الصفحة ٢٠٤ كلام طويل مُقْحَم على نص الكتاب على
« عبد الملك بن مروان » دون اشارة الى أن ذلك تعليق . ثم ان
عبد الملك بن مروان من المشاهير الكبار ؛ فهل من حاجة الى هذا
التعليق الطويل ؟

٢٢ - وجاء في الصفحة ٢٠٥ قول المصنف :
وقد رأيته نُقِشَ ذلك على خاتمه
نعلق المحقق فقال : الختم في اللغة السد والاغلاق ، وقولـه
تعالى : « ختم الله على قلوبهم »

ثم صرفت الى نهاية الشيء ، وكقولنا خاتم النبيين .
ثم تكلم المحقق على الطين الذي يُسَدُّ به المزود او الكتاب عند
الانتهاء منه ، ثم صرفت الى الطبعة ثم الى النص الذي يطبع
به الطين ؛ ثم ... ثم ...

اقول : ان هذه من الفوائد وغيرها لون حضاري ؛ ولكن هذا كله
يتجاوز التحقيق لنص من النصوص .

٢٣ - وجاء في الصفحة ٢١٠ تعليق المحقق على « بنت وردان » فذكر أنها
دويبة كريمة الرائحة

ثم قال : تسمى الآن ببغداد « مردانة » وجمعها « مردان » ثم
استشهد ببيت شعر .

اقول : وليس هذا كله من هَمَّ المحقق فهو معروف .

٢٤ — وجاء في الصفحة ٢١٢ قول المصنف :

« ورجوت أن نعاونه بأموالنا وجاهنا ليمشي أمره » .

اقول : ومن المفيد أن نعلق على قول المصنف « يمشي أمره » ،
وهو من الأساليب العامية التي ما زلنا نداولها في لغتنا الدارجة في
العراق في الاقل . ولم يشر المحقق الفاضل الى ذلك على شسدة
اهتمامه بالكلم العامي الذي وصفه بـ « البغدادي » .

٢٥ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« واخذ خطي بالمال على نجومه » .

وقد علق الأستاذ المحقق بقوله : « نجم الدين : أداه نجومها »
أي اقساها في أوقات معينة » .

اقول : ومن المفيد أن يشار الى أن هذا من المولّدات العباسية
في الاقل ؛ وفي ذلك فائدة تاريخية .

٢٦ — وجاء في الصفحة ٢١٥ قول المصنف :

« ورد كتاب عامل مصر » .

وعلى المحقق بقوله : « العامل بالموظف المالي الذي يناط به جمع
الارتفاعات وما يقتضي صرفه » .

اقول : وليس في النص ما يدعو الى أن يكون « العامل » بهذه
الحدود وهذا الاستعمال ، وذلك لأن « العامل » بمعناه المشهور كما

يبدولي هو الوالي أو الحاكم أو الأمير القائم في البلد .

٢٧ - وجاء في الصفحة ٢١٥ قول المصنف :

« ورد كتاب عامل مصر بمبلغ مال مصر لهذه السنة مجملاً
في مبلغ الحمل والنفقات » .

وقد علق الأستاذ المحقق بقوله :

أي المال الذي يحمله العامل إلى الحضرة خالصاً بعد سداد
النفقات .

أقول : وهذا من فوائد الأستاذ المحقق السنية في عمله المفيد .

٢٨ - وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« فوُتِّع إلى ديواني باخراج العبرة لمصر » .

قال المحقق : العبرة : ثبت ارتفاعات الكورة « أي الواردات » .
وعبرة سائر الارتفاعات : المعدل الوسط بين أعلى الارتفاعات
وأدناها .

أقول : وهذا من الفوائد الكبيرة في شرح هذه الكلمات
الاصطلاحية من الألفاظ العباسية الخاصة . ولكنني أتساءل : لِمَ
لَمْ يوثَّق الأستاذ المحقق هذه الفوائد ببعض التوثيق ؟

٢٩ - وجاء في الصفحة ٢١٧ تعليق المصنف على « المتوكل » الخليفة
العباسي .

أقول : و « المتوكل » غني عن التعليق، شأنه شأن المشاهير؛
وإذا كان من تعليق فهو شيء موجز كل الإيجاز، لا ثلاث صفحات
كاملة من غير مصدر ؛ ثم تضاف إلى مادة الكتاب ولا يشعر القارئ

ان الكلام مقحم على النص ، وهو من اضافات المحقق .

٣٠ - وجاء في الصفحة ٢٢٠ حاشية المحقق على كلمة « الديوان » ، وأنه في الاصل جريدة الحساب ، ثم ...

والكلام مقتبس من « المنجد » وزاد عليه بما يقرب من ———
صفحتين .

قلت غير مرة أن هذه الاضافة غير ذات قيمة كبيرة لتجاوزها
المظان المعتمدة .

٣١ - وجاء في الصفحة ٢٢٩ تعليق على كلمة « الدهليز » فقال :

الممر الذي بين باب الدار ووسطها ، ويسمى ببغداد الآن
المجاز .

اقول : كان الأستاذ المحقق أراد أن يعرف بالكلمة العراقية
المعاصرة .

٣٢ - وجاء في الصفحة ٢٤٥ تعليق طويل على « الحرّ » و « الحُرّة » ،
ودلالة الحرية وشرح الأمة والهجين ونحوهما . وهذا
التعليق مضاف الى مادة الكتاب من غير اشارة الى أنه من اضافات
المحقق .

٣٣ - وجاء في الصفحة ٢٥٢ شرح لكلمة « الطغيان » بأنه الاسراف في
الظلم .

اقول : وهل من حاجة الى هذا الشرح ؟

٣٤ - وجاء في الصفحة ٢٦٩ حاشية استغرقت صفحة كامل عن « زياد بن
أبيه » وقد أضيفت الى مادة الكتاب من غير اشارة الى أنها من صنيع
المحقق واضافته .

٣٥ - وجاء في الصفحة ٢٨٠ قول المصنف :

« محمد بن القاسم ظلمني » .

وقد علق الأستاذ المحقق على ذلك بكلام على « الظلم » استوفى صفحة كاملة ، وأضيف الى مادة الكتاب من غير اشعار بأنه من كلام المحقق .

أقول : كان المحقق الفاضل يتصيد اقل صلة ليتكلم في مسائل كثيرة تتجاوز العلاقة أو المناسبة، فيذهب بعيدا كل البعد عن الموضوع .

٣٦ - وجاء في الصفحة ٢٨١ قول المصنف :

« لما خرج طاهر بن الحسين الى محاربة علي عيسى بن ماهان ، جعل ذات يوم في كُفِّه دراهم » . فعلق المحقق الفاضل على « الكُفِّ » تعليقا طويلا ذكر فيه القميص والثوب والجيب و « العُبِّ ، من العامية العراقية » ، كما ذكر ترنمة يُرَنَّمُ بها للأطفال لتتويعهم من الشعر العامي من جملة أبياتها :

هُسَّهْ يَجِينَا بَابُـهُ شَايِلْ تَمْرَ بَاعِبَابُـهُ

وينصرف الأستاذ المحقق الى شرح كلمة « هُسَّهْ » العامية ، وشرح كلمة « شَايِلْ » ؛ فأين هذا من النص ، وما علاقة « الكُفِّ » بكل هذا ؟

٣٧ - وجاء في الصفحة ٢٩٩ حواشٍ لشرح كلمات هي : البرزون ، والسرَج ، واللجام ، والطيلسان ، والقميص ، والشاشية .

أقول : وليس في هذه المواد ما يدعو الى الشرح والتعليق ، فأمرها

معروف للخاصة والعامة .

٣٨ — وجاء في الصفحة ٣٠٢ تعليق الأستاذ المحقق على « صاحب البريد »
استوفى صفتين، ضُمَّتا الى النص دون أن يكون فيهما ما يشعر بأنهما
من كلام المحقق لا المصنف .

اقول : وهذا النمط من التعليقات يتجاوز حد التحقيق ؛ ولو
رغب المحقق في أن يأتي بهذه الفوائد التي أدركها في قراءته لكان أولى
له أن يفرد لها مصنفًا خاصًا يَضُمّ فيه هذه النماذج الحضارية
والتاريخية واللغوية وغيرها . وإن شينا منها ، من غير شك ، الصق
ببادة « الكنايات الشعبية » التي أفرد لها المحقق كتابا وُسِمَ بـ
« الكنايات البغدادية » .

٣٩ / — وجاء في الصفحة ٣٠٥ تعليق المحقق على كلمة « المال » التي وردت
في كلام للمصنف .

لقد أتى المحقق بما ورد في « لسان العرب » عن « المال » ، وما
جاء في كتاب « التلخيص » لأبي هلال العسكري عن المال ، ودلالته
على الأبل والغنم وغيرها من الماشية .

غير أن المحقق لم يكتف بهذا فقال :

أما في بغداد وما يجاورها فإن كلمة « المال » تقوم مقام كلمة
« الهن » ؛ أي أنها كناية عن عضو التناسل سواء عند المرأة والرجل
أو الحيوان . ثم ذكر قول أحد الشعراء العراقيين وزاد قول أحد
شعراء الحلة .

اقول : ولا أرى في حاجة أن أذكر قول أحد الشعراء العراقيين
ولا الشاعر الحلبي فاسيء اليهما ، ولكني أقول : انهما كنيا عن

« المتاع » بشيء آخر هو « مال » وليس « المال »، اجتناباً لذكر السواة .

قلت : « مال » وليس « المال » وأريد بذلك أن « مال » هذه بغير الألف واللام هي شيء ينطوي فيه قولنا : « ماله » و « مالنا » و « مالكم » و « ما لهن » الى آخره ثم اجتزىء من ذلك بلفظ « مال » على طريقة الضم أو النحت والخرم للضمير فكانت الكلمة « مال » ؛ وهي غير « المال » المعرفة التي تعني ما تعنيه من الدلالة على الأبل والغنم وسواهما .

٤٠ - وجاء في الصفحة ٣٥٦ قول المصنف :

« أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني عن المدائني » .

فعلق المحقق على « المدائني » فقال : نسبة الى « المدائن » ؛ ورُكِّل بتكلم على المدائن وفيها ايوان كسرى وقرب الايوان قبر سلمان الفارسي الملقب بـ « پاك » اي الطاهر ، ومن ذلك « باكستان » البلاد المعروفة ؛ ثم ذكر كيف يجتمع العراقيون البغداديون في المدائن للنزهة .

اقول : ليس هذا كله من التجاوز على عمل المحقق !

٤١ - وجاء في ٣٦١ تعريف بالجاحظ ذكره المحقق ؟

اقول : ان أبا عثمان أشهر من أن يعرف به في حاشية من حواشي كتاب « الفرج بعد الشدة » .

٤٢ - وجاء في الصفحة ٣٦٦ كلام طويل اضيف الى النص دون اية اشارة، على جعفر البرمكي . وهذا على شاكلة ما صنع المحقق في جملة اعلام ومواد أخرى .

٤٣ — ونختتم الجزء الأول فنرى في الصفحة ... { تعليقاً طويلاً في تسوية
الحجاج وظلمه ضُمَّ إلى مادة الكتاب .
الجزء الثاني :

٤٤ — وجاء في الصفحة ٢٧ قول المصنف :
« فَأُحْضِرْتُ وَشُلِّحْتُ لِلضَّرْبِ » .

معلق الأستاذ المحقق على « التشليح » وقال : انه التعرية ؛
ثم أتى كمادته فأشار إلى دلالة التشليح عند البغداديين، وهو —
« انكشاف العورة » (كذا) ؛ والتعرية عندهم « التصليح » وهو
مصلِّح أي عارٍ .

أقول : ولا أرى من داع إلى هذا الاسهاب في هذا الضرب من
الادب العالمي .

٤٥ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« فان كانت الرغبة صحيحة فليس يفوتك عقابه » .

معلق المحقق بقوله : « الرغبة ما يُرْمَعُ على الانسان من
التهمة » .

أقول : وهذه فائدة جلييلة تدخل في باب المُحدثات العباسية
في اللغة .

٤٦ — وجاء في الصفحة ٢٨ قول المصنف :

« وجدت المستحم ضيقاً غير نظيف » .

أقول : لقد أشار المحقق إلى أن المراد بـ « المستحم » المرحاض،

وهذا نظير قولهم : بيت الادب، وبيت الراحة، والمستراح، كناية عن بيت
« المرحاض » .

٤٧ - وجاء في الصفحة ٤٦ قول المصنف :

« والبسني جبة صوف قد نُقِعَتْ بماء الاكارع » .

اقول : وقد علق الاستاذ المحقق في الصفحة ٥٠ تعليقا طويلا
على « ماء الاكارع » واضيف التعليق الى النص كانه جزء منه ، ذكر
فيه شيئا عن « الكرع » وجمعه كوارع على لغة المصريين ، وتسمى
« الاكلة » في الشام (كذا) وفي لبنان (كذا) وفي بغداد (كذا) وما
يتصل بذلك في بغداد المعاصرة .

اقول : وفي هذا بعض الفائدة وان تجاوز حد التحقيق .

٤٨ - وجاء في الصفحة ٤٧ قول المصنف :

كتبت الى بعض عمال المشرق بمطالبته بأمواله وودائعه، فكتب
الي بالطاطة، فكتبت اليه بأن يُغَلِّ ...

اقول : ولم يعلق المحقق على قوله : بالطاطة . والإلطاط الستر
والاخفاء، فكانه اراد أن يقول : انه انكر الاموال والودائع .

٤٩ - وجاء في الصفحة ٤٨ قول المصنف :

« ولم يبرح حتى امروا باخذ حديدي وادخالي الحمام وأُخِذَ
شعري » .

اقول : أردت أن انبه على قوله « اخذ شعري » وهذا من
معاني الاخذ التي جَدَّتْ ، والمراد به قص الشعر .

٥٠ - وجاء في الصفحة ٥٣ « دار مؤنس » وهو مؤنس المظفر من القواد

الأتراك في الدولة العباسية .

لقد علق الأستاذ المحقق على « دار مؤنس » تعليقا استوفى صفحتين ضمهما الى نص الكتاب من غير اشارة الى صنيعة هذا . كما اثار الى موقع الدار المذكورة واين مكاتها في بغداد الحديثة ، وهو سوق « اليمنجية » . ثم تكلم على ما يسمى في العراق الآن « يمني » وهو ضرب من الأحذية خاص لونه احمر وله مقدم متجسه الى الاعلى ؛ ولا ادري لم سمي « يمني » ذلك أننا لا نعرف انه مستورد من اليمن مثلا ، او ان جُلده من اليمن !

اقول : الا ترى معي ، ايها القارئ ، ان المحقق قد ابتعد في هذا الاستطراد عن مادته ؟

٥١ — وجاء في الصفحة ٦٤ قول المصنف :

« فمن أين أنفق الأموال وأقيم الأنزال » .

اقول : الأنزال جمع « نَزَل » بفتحين وهو الارزاق والاعطية . وهذا من مولدات العصر العباسي .

٥٢ — وجاء في الصفحة ٨٠ قول المصنف :

« وخرج وصرف التوكيل عني » .

لقد اثار الأستاذ المحقق الى التوكيل وافاد انه مصطلح عباسي يراد به حجز الحرية ؛ فيقال : وكل به اذا نصب عليه حارسا يحول بينه وبين الفرار .

٥٣ — وجاء في الصفحة ٨١ قول المصنف :

« الى ان أزيح علة قائد يصحبك الى الرملة » .

وقد علق الأستاذ المحقق على « ازاحة العلة » قائلا : انه مصطلح عباسي يعني القيام بجميع ما يحتاج اليه من يراد ازاحة علته ، فالجيش مثلا يعتبر « مُزَاحُ العِلَّة » اذا كان أفرادُه قد أُعْطُوا أرزاقهم وسُدَّت نفقاتهم

اقول : وهذا من المواد المفيدة ذلك انها تكشف عن العربية الخاصة وكيف جَدَّ فيها من مقتضيات العصر ما اُضاف اليها كَلِمًا فنيا .

٥٤ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات » .

« الارتفاع » كما يُسْتَقْرَى من مادة الكتاب هو « الوارد » في لغتنا المعاصرة ؛ وقد أشار الأستاذ المحقق الى ذلك .

٥٥ — وجاء في الصفحة ٨٣ تعليق طويل على « الفرش » ، ذكر فيه الأستاذ المحقق أنواع المفروشات قديما وحديثا، كالطنانس والزرابي وما هو معروف منه في العراق في عصرنا بأسمائه المحلية الدارجة .

٥٦ — وجاء في الصفحة ٨٦ قول الأستاذ المحقق على كلمة « ايش » فقال :

هي « أي شيء » اختصرها البغداديون الى « ايش » .

اقول : ان « ايش » بمعنى « أي شيء » قديمة، وقد وردت في تاريخ الطبري في أخبار قديمة تسبق تمصير بغداد . وقد أشار الحريري في « درة الغواص » الى انها عامية ؛ وكذلك فعل الخفاجي في « شفاء الغليل » ولم يخص أي منهما انها بغدادية .

٥٧ — وجاء في الصفحة ٨٨ قول المصنف :

« ... فِدَقُ الباب فُكِّلَهُ من خُوخة » .

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة « خوخة » فقال :

الخوخة الباب الصغير يفتح في الباب الكبير .

أقول : قد تكون « الخوخة » بهذا المعنى وإن كان الدليل غير واضح من النص ؛ ولكني أعرف الخوخة في كتب اللغة : أنها كوة في البيت تؤدي إليه الضوء .

٥٨ — وجاء في الصفحة ٩٠ قول المصنف :

« ... فارمي اليه من رُوْزَنَةٍ لي ... » .

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة « روزنة » فقال : هي الرازونة عند البغداديين ، وهي روشن ... يريدون به تجويفا غير نافذ توضع فيه الحاجيات .

أقول : والصواب توضع فيه الحاجيات وليس في العربية الفصيحة « حاجيات » على شيوخها في اللغة المعاصرة .

٥٩ — وجاء في الصفحة ٩٩ قول المصنف :

« ... وينشوان في دولتك ... » .

وقد علق الأستاذ المحقق على الفعل « ينشوان » فقال : إنها لغة بغدادية وقد درج البغداديون منذ القديم وما زالوا إلى الآن على حذف الهمزة إذا كانت في آخر الكلمة ، وابدأها واوا أو ياء إذا كانت في وسطها ...

وقد مثل لذلك فجاء ب : رياسة ، وجيسة وصايم ... وحسن النشوة .

أقول : لقد قلت في حذف الهمزة الأخيرة وجوازها لغة وضرورة
في العربية الفصحى ، كما قلت في تسهيل الهمزة الى الواو والياء
والالف .

ولكني أقول الآن وأضيف : أنه ربما كانت الكلمة « ينشوان »
في نص الكتاب عامية بغدادية او غير بغدادية لأن ذلك امر شائع ، بل
أقول : أن في العربية الفصحى « ينشوان » أيضا .
جاء في كتب اللغة :

نشوت في بني فلان : ربيت ، نادر ؛ وهو محول من « نشأت »
وقال قطرب : نشا ينشو لغة في نشأ ينشأ ، وليس عنده
على التحويل .

٦٠ - وجاء في ١٠٢ تعليق طويل استوفى صفتين أضيف الى مادة الكتاب
من غير اشارة ، على عبيد الله بن زياد .

٦١ - وجاء في الصفحة ١٤٦ كلام طويل على سياسة الحجاج المخريصة ،
استوفى ثلاث صفحات وُضِمَ الى الكتاب .

٦٢ - وجاء في الصفحة ١٤٩ قول المصنف :

« ... حدثني أبو علي الوكيل على أبواب القضاة ببغداد » .

أشار المحقق الى أن الوكيل هو المحامي في مصطلح هذا
العصر .

٦٣ - وجاء في الصفحة ١٦٠ قول المصنف :

« ... وقعت على سترة الحجاج ... » .

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة « سترة » وأفاد أنها ما استمر من الجدار الخارجي الى فوق سطح الدار ، وهو ما يسمى الآن « ستارة » في بغداد ؛ وأشار الى حادثة معاصرة استعمل فيها طابوق الستار في خصومة بين طرفين ، سلاحا يتراشقون به .

٦٤ - وجاء في الصفحة ١٦٨ قول المصنف :

... وشاع في اليمن

وانطلق الأستاذ المحقق يتكلم على اليمن والشام واليمن والشمال كلاما طويلا .

٦٥ - وجاء في الصفحة ١٨٣ ذكر « الكوز » ، فراح الأستاذ المحقق يشرح الكوز والكيزان وأنواعها ، وما استجدّ من صناعتها ، وقد أضيف كلّه الى مادة الكتاب .

ومثل هذه التعليقات الطويلة تعليق على السكر ، وآخر على النبيذ ، وآخر عن يزيد بن معاوية .

٦٦ - وجاء في الصفحة ٣٢٣ ذكر « المسبحة » ، فاطال الأستاذ المحقق في الكلام عليها ، وان في مدينة الحلة في العراق تصنع « مسبحة الباقلاء » وليس هذا الا من باب ما يتندر به على اهل الحلة لشغفهم بالباقلاء زراعة وأكلها .

الجزء الثالث :

٦٧ - وجاء في الصفحة ١٠٧ تعليق على « الحمّار » استوفى عشر صفحات . كما ورد تعليق طويل على البرامكة .

٦٨ - وجاء في الصفحة ٣٦٤ تعليق على مادة العذاب استوفى أربع

صفحات .

كلمة ختام :

لقد اثرت الى هذه المسائل، ولكنني اعترف ان اخراج الكتاب
وتحقيقه حظي بالمنايا الكبيرة، بمجاء مصدرا يُعتمد عليه في ضبط
النص واحكامه مع الفوائد التي وشي بها .

الدكتور ابراهيم السامرائي



تعلیمات و مناقشات

مناقشة رأي في علامة التانيث

بقلم : محمد شيت صالح الحياوي

في مجلة (المورد) الشامخة — المجلد التاسع ، العدد الاول — مقال
جليل جاء بالعنوان الآتي : —

— ديوان الادب لاسحاق بن ابراهيم الفارابي — الجزء الاول ، تحقيق
د . احمد مختار عمر ، القاهرة ٧٤

— بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب —
والحقيقة أن كاتب المقال قد حالفه التوفيق واجاد في نقده وتعليقه
أيما اجادة ؛ ولا عجب فهو بحاث مشهور ومحقق بارع ، ضرب بسهم وافر
في مجالي الادب واللغة فيما قَدَّمَ من بحوث ، وما أنتج من مؤلفات تشهد بطول
باعه وسعة اطلاعه . ومع ذلك فالكمال لله ، ولن ينجو كاتب من زلل ،
ولا سيما في معرض الاجتهاد ؛ وهذا ما حصل في المقال آنف الذكر — برأيي
الذي قد أكون مصيبا فيه وقد أكون مخطئا ، والقول الفصل أولا وأخيرا
للعلم والتفكير السليم —

يقول الكاتب ص ١٦ ما نصه : (وعندي أن علامة التانيث واحدة في
العربية ، هي هاء التانيث ، كما في (حجرة و فاطمة) التي تتحول تاء في درج
الكلام . وإذا عرفنا أن علامة التانيث هذه ، أي الهاء ، تقتضي أن يكون
تبلهافتح ، وعلى هذا يكون الفتح العلامة الأصلية للتانيث ، وهي نفسها

الف التانيث المقصورة في (ليلى وسلمى) وهي نفسها الالف المدودة في (صحراء وحساء) ؛ وما الفتح القصير كالفتحة ، والفتح المتوسط كالالف المقصورة ، والفتح الطويل كالالف المدودة ، الا صوت واحد يختلف في مساحة طوله) . ويقول ايضا في الحاشية (وهذا الفتح هو علامة التانيث ، ولان الفتحة لا ترسم في الخط العربي ، ذُيِّلَت الكلمة بهاء لتقرأ مفتوحة الآخر قبل الهاء ، ثم رسم الفتح فكان الالف المقصورة والالف المدودة . ولو عرفت ان (ليلة و ليلى و ليلاء) مادة واحدة ، أدركت ان علامة التانيث واحدة فيها جميعا ، وهي الفتح بصورة الثلاثة) .

نفحوى اجتهاده ما هو آت : —

اولا — علامة التانيث واحدة في العربية هي هاء التانيث ، كما في (حجرة وفاطمة) التي تتحول تاء في درج الكلام .

ثانيا — هاء التانيث لا تأتي الا بعد حرف مفتوح .

ثالثا — الفتح هو العلامة الاصلية للتانيث .

رابعا — الفتحة لا ترسم في الخط العربي ، ولذلك ذُيِّلَت الكلمة بهاء ^و ليقرأ ما قبلها مفتوحا .

خامسا — حينما رسم الفتح استغنى عن الهاء وتطورت الفتحة واستطالت فصارت الفا مقصورة كما في (ليلى وسلمى) ثم الفا مدودة كما في (صحراء وحساء) .

سادسا — بما ان فتحة الحرف الثالث مشتركة في الكلمات الثلاث (ليلة ، ليلى ، ليلاء) وهن مادة واحدة ، لذلك فالفتحة وحدها هي علامة التانيث لا غيرها .

لذلك كله نرجو ان يسمح لنا بمناقشة اقواله وآرائه عسى ان نتوصل

الى نتيجة حاسمة .

أولاً — سمي التاء المربوطة هاء التانيث ، لاننا حين نقف عليها نلفظها هاء . وفاته أن الأصل هو الدرج لا الوقف ، كما أن من العرب من يقف عليها ويلفظها تاء . فهي تاء أقوى من هاء ، والتسمية للأقوى ، وشتان بين المخرجين ، فالهاء حلقية والتاء نطقية .

ثانياً — لا يشترط أن يكون ما قبل التاء المربوطة حرفاً مفتوحاً، فقد يكون ألفاً ، والألف لا يكون إلا ساكناً ، مثل (فتاة وقضاة) .

ثالثاً — ذكر أن الفتح هو العلامة الأصلية للتانيث ، كما ذكر أن الهاء وحدها هي علامة التانيث . أفلا يتناقض القولان ؟ أم يريد أن يقول : إن للتانيث علامتين اثنتين واحدة أساسية هي الفتحة ، والأخرى فرعية هي الهاء ، فلم يحسن التوضيح !

رابعاً — التاء كما سميناهـا، أو الهاء كما سماها، زائدة على رأيه، جيء بها لإظهار الفتح الذي قبلها لأنه غير مرسوم، وليس لها غرض آخر أو فائدة أخرى. وهو رأي ضعيف على ما أظن لا يتناسب مع دقة ملاحظات الكاتب فيما يحلل ويدقق ؛ فقد شرح اللغويون هذه التاء وبيّنوا أغراضها المختلفة في مواضعها المتعددة ؛ ولا حاجة لتسطير ما وضحوا وبيان ما قرروا .

وإني — بتواضع — أجازف ولا أسمي التاء المربوطة هاء كما سماها فحسب، بل لا اعتبرها علامة تانيث ! . فبعد أن فحصت مواضعها وحللت أغراضها، تبين لي أنها تعطى معنى واحداً يشترك فيه جميع الأمثلة المختومة بها ، وهذا المعنى المشترك هو ما نسميه (الوحدة) ! .

ومعنى الوحدة هو الذي يجعلنا نعامل الكلمة معاملة المؤنث، سواء كان مجازياً أم حقيقياً أو مذكراً أو جمعا كما سنرى . والوحدة جزيئة أو

نسخة أو مجموعة قد تمثل عدداً رقمه واحد، كما قد تمثل عدداً يزيد على اثنين . وهاكم أمثلتها مع الشرح : —

شُرْبَة : وحدة من الشرب

شُرْبَة : وحدة لهيئة الشرب

تمرة : وحدة من ثمر التمر

صخرة : وحدة من جماد الصخر

بطَّة : وحدة من الطير المسمى بَطَّاً

طلحة : وحدة من شجر الطلح

فأرة : وحدة من الفئران ، أما الفأر فليس بوحدة بل فرداً من الفئران، وهكذا جاء تانيث فأرة من الوحدة لا من الفأرة الذي بدوره جاء تذكيره من الجمع أيضاً !

حليمة : وحدة من الحلم متصفة به ؛ أما حلیم فليس بوحدة بل فرداً من الحلم متصفاً به .

رحالة : وحدة من الرجل متصفة به قوية .

قضاة : وحدة (مجموعة) من معنى القضاء .

عباقره ، عبادلة ، مغاربة : وحدة (مجموعة) من العبقرية، وعبد الله، وأهل المغرب على التوالي .

حُجْرَة : وحدة من معنى الحَجَر (بفتح الحاء وسكون الجيم)

تذكرة : وحدة من معنى التذكير

خبرة : وحدة من معنى الخبر .

نُسخة : وحدة من معنى النسخ .

مسابقة : وحدة من معنى السباق .

هبة : وحدة من معنى الوهب .

بنية : وحدة من معنى البناء أو البنيان .

اعانة : وحدة من المعنى المستفاد من أعان — يعين .

استقامة : وحدة من المعنى المستفاد من استقام — يستقيم . فإذا

أردناها لمرة واحدة، أي ليس وحدة أو نسخة مكررة، قلنا استقامة

واحدة !

لغة : وحدة من معنى اللغو... الخ التاءات المربوطات .

✓ ونستفيد من هذه الأمثلة ما يأتي : —

أ — لو كانت الكلمة المختومة بالتاء المربوطة مؤنثة، وكانت التاء علامة

التأنيث، لجاز حذف التاء وتحولت الكلمة الى مذكر. وهذا لم يحصل

الا مصادفة في فارة — فأر ، فتاة — فتى ، كلبة — كلب وأمثالها، وقد

شرحنا ذلك .

ب — لو كانت مؤنثة لما نُقل معناها الى مذكر؛ مثل طلحة حمزة معاوية ...

الخ

ج — لو كانت مؤنثة لما دلت على جمع مذكر مثل قضاة عباقرة ... الخ

فالْمؤنث إِذَا مَا دَلَّ عَلَى التَّأْنِيثِ فِي الْوَضْعِ وَالْمَعْنَى الْمَعْجَمِيِّ، أَوْ فِي

الصِّيْغَةِ، سِوَا أَنْ كَانَ مَخْتُومًا بِالتَّاءِ أَوْ بِالْأَلِفِ أَوْ لَمْ يَكُنْ مَخْتُومًا بِهِمَا .

خامسا — اما الالف المقصورة والالف الممدودة فليستا وحدهما

علامتي تأنيث، لان التأنيث سواء أكان حقيقيا أم اعتباريا مفهوم بالصيغة، فني

سلمى وعطشى ومضلى جاء التأنيث من وزني مُعْلَى وَمُعْلَى بفتح الحرف

الاول أو ضمّه وسكون ثانيهما ووقوع الالف في رابعهما .

وفي صحراء وحسنا وحمرأ جاء التأنيث من وزن مُعْلَاء بفتح فسكون

مع الالف والهمزة وفي كلا النوعين نجدالفتحة قبل الالف كما نجدها قبله
حيثما جاء . ولو حذفنا الالف،أو الالف والهمزة،لم يكن لما تبقى من الكلمة
اي معنى ؛ ولذلك فالالف ليست وحدها علامة تأنيث لانها امتداد للفتحة
ذو صيغة لا علاقة لها بصيغة المؤنث؛مثل افضل مذكر فضلى واحمر مذكر
حمرء .

ومن الظريف أن كلمة عطشى،مثلاء،التي زعم الكاتب أن الفهاء دال
على انوثتها،إذا أضيفت اليها نون فصارت (عطشان) تحولت الى مذكر؛
فكيف صارت الكلمة الجديدة مذكرا مع أن علامة التأنيث (الالف) على
زعمه باقية ايضا ؟!

سادسا — بقي اشتراك الكلمات الثلاث (ليلة ليلى ليلاء) في المادة
وفي فتحة الحرف الثالث — وقد تكلمنا عن الفتحة ما فيه الكفاية — . أما
المادة فلو كانت علامة التأنيث واحدة في الكلمات الثلاث وهي الفتحة — على
رأيه — لكان المعنى واحدا لا ثلاثة معان .

فليلة ليست مؤنث ليل،لأن الليل نفسه جنسان؛تارة يكون مذكرا
وتارة يكون مؤنثا،ولذلك لا يحتاج الى مؤنث.بل معنى (ليلة) المختومة بالتاء
وحدة من وحدات (الليل) كما مثلنا وشرحنا .

وأما ليلى ، وهي كوكب الزهرة عند العوام،لا الخمر ، فمعناها —
على ما اتصور — ذات الليل أو ربة الليل،لأنها أشد الكواكب السيارة ضياء .

وأما ليلاء من الليالي فهي الفريدة أوالمتميزة في أمر ما كالطول
أو الظلام أو غيرهما .

/ وبعد فاني أرى التاء المبسوطة الزائدة التي تأتي مع الفعل أو الاسم

هي علامة تانيث، كما في: ذهبت، ورجعت، والتلميذة تذهب، وترجع؛ وكما في التلميذات مهذبات؛ حيث التاء تدل على التانيث، والالف يدل على الجمع، ولا يمكن فصلهما ولا بد أن يأتيا مجتمعين .

قضية أخيرة أذكرها لعلني أكون مصيبا فيها وهي على عكس ما ارتأى الكاتب ، فإن كانت الفتحة عنده علامة تانيث — وقد فندنا رأيه — فإن الكسرة عندي قد تكون من علامات التانيث؛ والدليل ورودها في كثير من مواضع التانيث مثل: أنت، ذهبت، تذهبن، لن تذهبي، عندك، كتابك، هذي، هذه، ذه، هاته، ته، تلك، التي، اللاتي، حذام، قطام، يا لكاع، ويا خباش .
علامات كاتبات (في حالتي الجر والنصب) ... الخ .

خلاصة بحثنا كما يلي : —

(١) التاء المربوطة لا الهاء تأتي لأغراض مختلفة، وتتفق معانيها جميعا في معنى واحد مشترك هو (الوحدة) فهي علامة على الوحدة أصلا لا على التانيث .

(٢) الألف المقصورة والألف الممدودة إذا وجدت أحدهما في كلمة، وكانت تلك الكلمة مؤنثة، كان التانيث بالصيغة والوضع وليس بوجود الألف .

(٣) علامة التانيث هي التاء المبسوطة الزائدة مع الفعل أو الاسم .

(٤) قد تكون الكسرة علامة تانيث .

محمد شيت صالح الحياوي

حول كتاب مبادئ التحليل الرياضي

تأليف الدكتور عبد المجيد نصير - جامعة اليرموك

بالأمس تلقيت نسخة من هذا الكتاب ؛ وأشهد لقد غمرتني بفيض من مشاعر الرضى التي قلّما يوجد بها الزمان في هذه الأيام . ذلك أن الدكتور نصير يقدم لكتابه بقوله ان « المكتبة العربية بحاجة الى مثل هذا الكتاب ليساهم في تنفيذ عملية التعريب الجامعي التي نحرص جميعا عليها » .

ولقد بعث لي الزميل المؤلف بكلمة فحواها أن كتابه انما هو أول الفيث الذي سينهمر ، دفعا بعملية التعريب ، ولكن لا بالترجمة وحدها ، بل أيضا بالتأليف . ومثل هذا الاتجاه لمحتة لدى أساتذة في كلية العلوم في الجامعة الاردنية .

وجوابا عن ذلك أقول ، من أعماق القلب : الحمد لله ، الحمد لله ان قد انضم الى العاملين في التعريب دم جديد . ان الكرة التي تذف بها مجمع اللغة العربية في مضمار التعليم الجامعي لم تطوَّحها الريح ، ولقد اعطتها جامعة اليرموك الفتية ، ممثلةً بالدكتور عبد المجيد نصير ، دفعة جديدة، وأمدتها بدفق من الحيوية والطاقة ؛ فهي تدور وستدور ؛ والدعوة الصادقة لم تذهب كصيحة في واد .

الحمد لله ، واهلا بالأستاذ نصير وزملائه فتية مؤمنة واثقة تصنع الرجال .

ويقيناً ، مذ شرع مجمع اللغة العربية بترجمة الكتب العلمية

الجامعية ، كان نصب عينه أن هذا الذي يصنعه انما هو في اطار مشروع اوسع ؛ ذلك هو ترجمة الفكر العلمي العالمي الى العربية ، وهذا مسار طويل عريض ، بطول المستقبل وعرضه ، وهو دائم ما دام هنالك فكر ينتج ونتاج يُكْتَب . ولكنّا نرى أن الحاجة تفرض علينا أن نعطي الاولوية فيما نترجم الى ما يفيد الشباب في مرحلة تكوّنه ؛ اعني الكتب التدريسية الجامعية على الأخص ، لتكون نواة تعين الطالب والمدرس ، ولا سيما في المراحل الاولى من تعريب التعليم . ولم يغرب عن بالنا لحظة أن ترجمة هذه الكتب سيتلوها ، عاجلا أو آجلا ، تأليف كتب فيها من أصالتنا وابتكارنا ، ومن خبرتنا المتزايدة ما يجعلها تنبثق من واقعنا ، وتتلاءم مع طبيعتنا ، وترتفع بهذا الواقع والطبيعة الى رحاب حضارية أسمى ، اذ تعمل على مسيرة احدث الكتب التي تنتجها مطابع العالم وتمضي معها في مستوى واحد .

فعملية الترجمة وعملية التأليف ترفد احدهما الأخرى وتسندها ، وكلاهما جهد لا ينتهى ومعين لا ينضب . وهاهو الدكتور عبد المجيد نصير واخوانه يمضون في سبيل التأليف على بركة الله ، في حين يمضي المجمع في سبيل الترجمة ، ترجمة الفكر العلمي والكتب التعليمية ؛ وعلى الله التوفيق . على أنا جميعا مطالبون الآن بالتخطيط لرفع مستوى اللغة الانكليزية لدى طلبة العلوم كي نضمن الا يخسر الطلبة شيئا ، لا في حاضره ولا في مستقبلهم .

واذ يمضي الزملاء في سبيل التأليف ، بعد ان خاضوا تجربة بها تميزت كليتنا العلمية ، هي تجربة تصيد احدث ما تصدره المطابع وأنسبها ، ليعضوه بين ايدي طلابهم ، كي يبقوا واياهم مسافرين للتطور العلمي السريع ، فلن يكونوا في عهد التأليف أقل مسيرة للتطور ، أو أقل تفتحاً

على كتب الغرب أو تصيدا لها . ان التطور العلمي ، من ناحية ، وتنافس دور النشر الاميركية ، من ناحية اخرى ، جعلت كل كتاب علمي جامعي قصير الاجل ، لا يعمر أكثر من خمس سنوات ، في غضونهما يجدد ليلحق الركب ، او يلقي في زاوية النسيان . وهذا ما ينبغي أن يكون عليه شأن الكتب التي نؤلفها . فلن يكون تأليف الكتب العلمية احتكارا يدعو الى التحجر ، بل سيكون تداعيا الى التطوير فيه يتنافس المتنافسون ، أما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

يبقى الآن الحديث عن كتاب الدكتور نصير بالذات :

يقول الاستاذ في مقدمته انه اختار الأرقام المغربية « انسجاما مع توصيات لجنة خاصة من المجمع اللغوي في الأردن » . فاليه أقول مؤكدا أن المجمع لم يوص بشيء في هذا الصدد ، بل هو لم يتصد أصلا لدراسة أمر الأرقام ، لا على صعيد المجلس ، ولا على صعيد اللجان . وكل ما في الأمر مما يتعلق بموضوع الأرقام ، انني ، شخصا ، نشرت في مجلة المجمع مقالة دعوت فيها الى استعمال المجموعتين المشرقية والمغربية ، كلا في ميدان تخصص له . وأشهد أن من زملائي في عضوية المجمع من خالفني الرأي .

ولقد دعوت ، وما زلت ادعو ، الى استعمال المجموعتين ، كلا في مجال ، لأنني أرى أنها مجرد رموز معروفة لدى الكاتب والقراء ، وأن للكاتب أن يستعملها بلا تحرج ، لأن الامتناع عن استعمال رمز يرى فيه مزايا تجعله ينقل افكاره الى قرائه على نحو أوضح ، إنما هو خضوع لحساسيات أولى بالعالم أن يعلو فوقها .

وكل ما في الأمر مما يتعلق بالمجمع — من بعيد — أن لجنة الترجمة والتعريب والنشر ، التي عنها انبثق المجمع ، درست في الماضي أمر هاتين

المجموعتين دراسة لم تفض الى توصية . ثم ان الجامعة الاردنية انتدبت لجنة لدراسة الامر عينه ، برئاسة الاستاذ الكبير الدكتور عبد العزيز الدوري ، وقد كنت من أعضاء هذه اللجنة ، ولقد حاولت ان احصل على توصية باباحة استعمال المجموعتين ، كلا في مجال ، فلم توافق اللجنة . ثم ان الاستاذ الدوري كتب بلباقته ودقته المعهودتين ، تقريراً لخص فيه الآراء ، ولم يوص بشيء .

واضيف انني التقيت في بغداد باخوان كرام عاتبوني ، بالادب العراقي الجم ، والبيان العراقي المشهود ، اذ ادعوا الى مثل هذا التغيير في وقت نحن نعاني فيه من عقدة الهزيمة . فليدع الاستاذ نصر ربه ان تزول هذه العقدة قبل ان يخرج كتابه خارج الاردن ، والا فليتحمل ، جمل المحامل ، وحده تبعة ما ضيع .

لست اعني اني لا اقر المؤلف على تغيير يراه نحو الأفضل بحجة ان الناس لا يستحسنونه ، ولكني لا ارضى له ، وهو المعروف بشجاعته ، ان بتواري خلف غيره . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا تتقنني حجته بأنه اختار هذا السبيل لأنه يريد لكتابه أن ينتشر في العالم الواسع ، فان الذين يستعملون الأرقام المشرقية في العالم العربي أكثر من الذين يستعملون الأرقام المغربية .

اني اوافق الدكتور نصير على ان المجموعة المغربية أنسب للأعمال الرياضية والعلمية عامة ، والعملية أيضا ، من المجموعة المشرقية ، وكنت اتمنى لو جاءت هذه الخطوة في مرحلة مبكرة ، كبداية المرحلة الثانوية مثلا .

ولكن اذا كان مجرد استبدال أرقام بأرقام ، ومجرد استعمال الأرقام المغربية الى جنب المشرقية ، كلا في مجال يخصه ، ما يزال يلقي معارضة ،

فما بالك بنقل الجداول تصويرا عن الاصل الانكليزي ، عناوين وترتيبا ورموزا !

اني أخشى على صديقي الدكتور نصير أن يتهم بصدد هذه الجداول بالدعوة الى التفريب لا الى التعريب .

/ ولقد احسن الدكتور نصير اذ جعل محاولته الاولى في الطباعة تصويرا عن الآلة الكاتبة كيما يبقى المجال مفتوحا للتعديل حسبما تملّي التجربة ويتقضي الاستعمال . وفي هذا ما يفوت علينا فرصة محاسبته على شكليات كثيرة فرضتها قيود الآلة الكاتبة . وانا على يقين من أنه سيتلامها نفسي الطباعة .

فاذا تجاوزنا الشكليات ونظرنا في المضمون مثل امامنا سؤال جوهري :
ما المقرر الذي يستوفيه هذا الكتاب ؟ واذا نفتقد المقرر نفترض أن المؤلف قد وضع كتابه ليكون ، كله أو أكثره ، كما جاء في المقدمة ، وافيا بمقرر مساتين اوليين في الرياضيات لطلبة الاقتصاد والادارة والتجارة .

فاذا حاسبناه على أساس من هذا الفرض نحكم بأن الكتاب يناسب طلاب القسم العلمي لأن أكثره انما هو مراجعة لما سبق أن درسوه نفسي المرحلة الثانوية .

واما طلاب القسم الادبي فلمهم الله . هاهنا ، كشأني في مناسبات أخرى ، أجدني أتوجه الى صديقي عبد المجيد بكلمتين لطيفتين : « رفقا بالقوارير ! » والقوارير هنا هم الطلاب من غير المتخصصين بالرياضيات او المؤهلين للتخصص بها .

تبقى كلمة واحدة أقولها الى الدكتور في هذه المعجالة :

اني اوافق على أن الرمز « لن » خير من « لط » الذي لا يستسيغه

الذوق العربي . واعترف بأنني أنا وحدي المسؤول عن هذا الرمز القبيح .
ولكن لو سأل طالب انكليزي معلمه : من أين جاء الرمز (Ln) «لأجاب المعلم
أنه مختصر عن الاصطلاح (Logarithm natural) . وإذا سأل
طالب عربي معلمه : من أين جاء الرمز (ل ط) أجاب المعلم أنه مختصر عن
الاصطلاح (لوغرتم طبيعي) ؟ فماذا يجيب المعلم إذا سئل : من أين جاء
الرمز (لن) ؟

يبدولي في هذه اللحظة أن « له » خير من « لن » باعتباره
اللوغرتم للأساس ه . وأحب أن تبقى الهاء هنا بمثل شكلها في أول الكلمة
لنذكر القارئ بأنها رمز متميز .

الدكتور أحمد سعيدان

(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

الدورة الخامسة

للجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب

شارك الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس المجمع ، في الدورة الخامسة التي عقدتها اللجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب في الرباط من ١٠ الى ١٥ / ١٠ / ١٩٨٠ . وكانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد انتخبت الدكتور خليفة عضوا في هذه اللجنة .

وانتخب الدكتور عبد الكريم خليفة رئيسا للجنة الاستشارية ،

وتضمن جدول أعمال الدورة امورا متعددة ، من أهمها ما يلي :

انتخاب رئيس اللجنة ونائب رئيسها ،

والنظر في تقرير مدير المكتب الدائم لتنسيق التعريب عن انجازات المكتب ،

والنظر في برامج المكتب وخططه من خلال الموازنة المقترحة للدورة المالية ١٩٨٠ / ١٩٨١ ،

والاعداد لمؤتمر التعريب الرابع ، ومن ضمن ذلك عقد ندوة للخبراء المتخصصين ، وندوة أخرى لمنهجية وضع المصطلح الموحد .

وكذلك نظرت اللجنة في المشاريع المعجمية التي ستعرض على مؤتمر التعريب الرابع .

توصيات الدورة الخامسة

اللجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب

في ما يلي ننشر التوصيات التي صدرت عن الدورة الخامسة للجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب ، التي عقدت في الرباط من ١٠ إلى ١٥ / ١٠ / ١٩٨٠ :

١ — زيادة عدد المطبوع من مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب إلى خمسة وسبعة آلاف نسخة نظرا للاقبال عليها وللتوسع في توزيعها ، ومواصلة الجهود الرامية إلى اخراج المجلة اخراجا سليما خاليا من الاخطاء اللغوية والمطبعية .

٢ — اعطاء الاولوية للمكتبات العامة والجامعات والمؤسسات العلمية واللغوية في توزيع مجلة (اللسان العربي) ومطبوعات المكتب ثم الخبراء المختصين .

٣ — توطيد العلاقات بين الاساتذة المختصين في مجالات العلوم المختلفة والمنظمات العلمية والمؤسسات اللغوية في الوطن العربي وخارجه وعقد ندوات متخصصة والعمل على أن تساعد الجامعات والمؤسسات العلمية في استضافة هذه اللقاءات والاجتماعات .

٤ — حث المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على مواصلة القيام بدراسة احصائية للكفايات العربية ولا سيما المهاجر منها والاستفادة منها في المجال العلمي والتعريب .

٥ — عدم الاقتصار على الانكليزية والفرنسية وحدهما في معاجم المكتب ، وادخال لغات معاصرة اخرى .

٦ - توثيق اتصال المكتب بلجان التعريب التي شكلت في الدول والجامعات العربية .

٧ - اضافة اللسانيات (علوم اللسان) ، وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا ، والاقتصاد ، والاعلام ، والآثار ، والفلك والفنون كالموسيقى والرسم الى المشروعات المقدمة من المكتب لعرضها على مؤتمر التعريب الخامس ، مع الاسترشاد بتوصيات مؤتمر التعريب الرابع والمؤتمرات السابقة بهذا الخصوص .

٨ - عقد ندوتين للخبراء العرب تمهيدا لمؤتمر التعريب الخامس ، احدهما حول استكمال المشروعات المعجمية الخاصة بمواد التعليم المهني والتقني وثانيتهما حول المشروعات المعجمية الخاصة بمواد التعليم العالي .

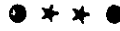
٩ - قيام المكتب بالاتصال بالجامع اللغوية بالقاهرة وبغداد ودمشق وعمان والرباط ، والجامعات والمعاهد اللسانية في الاقطار العربية من اجل موافاته بقراراتها الخاصة بمنهجية وضع المصطلح العلمي ، واستنساخ ما يرده منها وتوزيعه على جميع الجهات المعنية ، تمهيدا لعقد ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات باللغة العربية .

١٠ - قيام تعاون وثيق بين مكتب تنسيق التعريب ومعهد اللسانيات في الجزائر ومعهد الدراسات والابحاث للتعريب في الرباط مع رجاء ان يتقدم المسؤولون في هذه الهيئات او المؤسسات بمذكرة لمؤتمر التعريب الرابع لبيان اوجه التعاون والتكامل ووسائل دعمها .

١١ - انشاء بنك عربي للمصطلحات في مكتب تنسيق التعريب وضرورة قيام المكتب بالاتصالات مع بنوك المصطلحات المتخصصة العالمية والتعاون

معها في نشر المصطلح العربي والاستفادة من خبرتها في هذا الميدان ودعم المكتب بالتقنيات الحديثة في إنجاز أعماله .

وبعد الاطلاع على مشروعات مكتب تنسيق التعريب وجهوده في مجال تنسيق المصطلحات العربية تتوجه اللجنة الاستشارية بالشكر على الثقة التي أوليت لها وتشيد بالجهود المثمرة التي يقوم بها المكتب وترجو من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم زيادة الدعم له حتى يستطيع أن يحقق الاهداف التي انشئ من أجلها .



استقبال زملاء

استقبل مجمع اللغة العربية الاردني ، في منتصف شهر ايلول الماضي ، مجموعة من الزملاء من بلدان عربية شقيقة ، من أعضاء لجنة المعجم الطبي العربي ، الذين كانوا يزورون عمان في ندوة خاصة بالمعجم الطبي . وكان من بينهم الدكتور حسني سبح ، رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق ، والدكتور محمود الجليلي ، عضو المجمع العلمي العراقي ، والدكتور

مروان المحاسني ، من دمشق ، وغيرهم .

وقد اقام المجمع حفلة شاي تكريما لهم في مقر المجمع الجديد ، وكانت الحفلة مجالا لتبادل الافكار والآراء حول عدد من القضايا التي تهم المجمع العربية ، ولا سيما قضية التعريب ، والمصطلحات العلمية والتكنولوجية الحديثة ، وضرورة اغناء اللغة العربية بها .

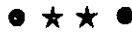
اعادة انتخاب الدكتور حسني سبيع

رئيساً لمجمع اللغة العربية في دمشق

جدد مجمع اللغة العربية الشقيق في دمشق انتخاب الزميل الاستاذ الدكتور حسني سبيع رئيساً له لمدة اربع سنوات اخرى .

وقد تم ذلك في الجلسة الثانية عشرة للدورة الجمعية ١٩٧٩/١٩٨٠ ، وقد انعقدت في ١٥ شعبان ١٤٠٠ هـ ٢٨ حزيران ١٩٨٠ م .

ومجمع اللغة العربية الاردني يبارك للزميل الدكتور حسني سبيع ، متمنيا له السعادة والعمر المديد ، والنشاط المستمر في خدمة اللغة العربية العزيزة .



الاستاذ عبد الكريم زهور

تلقى مجمع اللغة العربية الاردني من شقيقه مجمع اللغة العربية في دمشق ، نبأ انتخاب الاستاذ عبد الكريم زهور عدي عضوا عاملا في مجمع دمشق ، وقد تم استقباله في ٨ رجب ١٤٠٠ هـ ٢٢ ايار ١٩٨٠ م .

نبارك للزميل الاستاذ عبد الكريم زهور عدي ، متمنين له كل التوفيق في مواصلة الجهد في خدمة الضاد العزيزة .

تابين البطريك الراحل يعقوب الثالث

وتنصيب البطريك الجديد اغناطيوس زكا الاول

انتدب المكتب التنفيذي لمجمع اللغة العربية الاردني الاستاذ عيسى الناعوري الامين العام للمجمع ، لحضور حفلة تأبين البطريك الراحل يعقوب الثالث ، بطريك السريان الارثوذكس ، وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق ، التي اقيمت في دمشق مساء يوم الجمعة ١٩٨٠/٩/٥ ، وكذلك لحضور حفلة تنصيب البطريك الجديد مار اغناطيوس زكا الاول عيوان ، عضو المجمع العلمي العراقي ، والعضو المؤازر في المجمع الاردني ، التي جرت في دمشق صباح يوم الاحد ١٩٨٠/٩/٧ .

وقد نقل الامين العام تهنئة المجمع الى البطريك الجديد ، مثلما نقل قبلها تعزية المجمع بالبطريك الراحل .

كتب العلوم للسنة الجامعية الاولى

كان اقبال الطلبة في بداية هذا العام الدراسي ٨٠/٨١ على شراء الكتب العلمية المترجمة الى اللغة العربية رائعا في الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ، بفضل تعاون الجامعتين وأعضاء الهيئة التدريسية فيهما مع المجمع ، لاحتلال اللغة العربية محل اللغة الانكليزية في تدريس العلوم .

وكانت الكتب التي خرجت من المطبعة واصبغت معدة للاستعمال هي : الرياضيات (جزآن) ، والبيولوجيا (جزآن) ، والجيولوجيا (جزء واحد) . وتأخر في المطبعة كتابا الفيزياء والكيمياء لظروف القاهرة .

ولقد كان المجمع يأمل أن يشمل مشروعه لتعريب تدريس العلوم الجامعات العربية برمتها ، والامل كبير في أن يتم هذا في الاعوام التالية .

